المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
عمادة الدراسات العليا
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



الرؤى والتعابير في الكتاب والسنة

دراسة عقدية

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

بإشراف

أ. د عثمان بن علي حسن حفظه الله

دراسة

الطالب/ حيات خان غلام حيدر

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن مما زلت فيه الأقدام وانحرفت فيه الآراء وافترقت فيه المذاهب؛ الرؤى والتعابير، فمن غالٍ فيها حتى جَعْلِها مصدرًا من مصادر التلقي، ومنبعًا من منابع العلم والمعرفة، إلى منكر لها أو لبعض أنواعها، ومن مهتدٍ بين ذلك سبيلاً.

والرؤى والتعابير من الأمور المهمة التي عني بها الكتاب والسنة بيانًا لأهميتها، وتفصيلاً لأنواعها، وإيضاحًا لأحكامها، وإرشادًا إلى آدابها، وتحذيرًا من الكذب فيها، وتقعيدًا للعلم بتعبيرها، وحثًّا على معرفة تأويلها، إلى غير ذلك من صور العناية بها.

وفي كتاب الله – جل جلاله – ذكرٌ لرؤيا إبراهيم عليه السلام، ولرؤيا يوسف عليه السلام، وفيه ذكرٌ لرؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر، ورؤياه في شأن دخول المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون، كما فيه ذكرُ تعبير يعقوب لرؤيا ابنه يوسف عليهما السلام، وتعبير يوسف – عليه السلام – لرؤيا صاحبيه في السجن ولرؤيا الملك.

وفي السنة المطهرة ذكرٌ لرؤى كثيرة رآها النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – فحكاها لأصحابه رضوان الله عليهم، ومثلها رؤى رآها الصحابة الأخيار فعرضوها على النبي المختار – صلى الله عليه وسلم – فعبرها لهم.

وهذه الرؤى وتلك التعابير تحتوي على مباحث عقدية كثيرة ومتنوعة تحتاج إلى إبراز وتجلية، ودراسة وتنقية.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتحقيق ذلك الهدف.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذا الموضوع من جوانب عدة، أذكر منها ما يلي:

١- اهتمام القرآن الكريم بالرؤيا الصالحة وتعبيرها، وخاصة رؤى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعرض نماذج منها، وبيان ما آلت إليه من الخير والمصلحة.

٢- عناية السنة النبوية بالرؤى والتعابير، حيث لا تكاد تجد كتابًا من كتب السنة إلا وفيها بابٌ أو كتابٌ للرؤى والتعابير، ففي صحيح البخاري كتاب التعبير، وفي صحيح مسلم كتاب الرؤيا، وفي سنن أبي داود باب ما جاء في الرؤيا، وفي سنن الترمذي كتاب الرؤيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سنن ابن ماجه كتاب تعبير الرؤيا، وقل مثل ذلك في باقي كتب السنة من الصحاح، والسنن، والمسانيد، والجوامع، والمصنفات، والمستخرجات، والمستدركات وغيرها. ولا شك أن هذه الأحاديث بحاجة إلى دراسة علمية.

٣- أن الرؤيا الصالحة من الله، وهي من المبشرات، وجزء من أجزاء النبوة، وأول ما بدئ به الوحي، فهي تحظى بمكانة عالية في الإسلام تجعلها جديرة بالاهتمام والدراسة.

٤- أن الرؤى لها تعلق بالاعتقاد من حيث كونها جزءًا من أجزاء النبوة، ونوعًا من أنواع الوحي إلى الأنبياء، ولتعلقها بالروح التي هي من أمر الله، ومن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل، ولأن الناس قديمًا وحديثًا تعددت فيها آراؤهم، واختلفت فيها اعتقاداتهم، مما يدفع إلى العناية بها ودراستها دراسة علمية وعقدية.

٥- شغف الناس - على اختلاف أجناسهم و طبقاتهم - بالرؤى وتعبيرها، وحاجتهم إلى معرفة أحكامها وتصحيح مفاهيمهم تجاهها.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية الموضوع كما سبق بيانها.

٢- أنه لم تسبق دراسة هذا الموضوع دراسة عقدية، وذلك بأن تجمع الرؤى والتعابير الواردة في الكتاب والسنة وتدرس من الناحية العقدية.

٣- أن آراء الناس قديمًا وحديثًا اختلفت في شأن الرؤى، وتعددت مواقفهم منها، فظهرت آراءٌ منحرفة، ودخلت فيها الخرافات، مما يستدعي دراسة هذا الموضوع وتجلية الحق والصواب فيه، وفيما ورد في الكتاب والسنة من الرؤى والتعابير ما يوضح الحق في المسألة، ويرشد إلى الصواب فيها.

٤- أن الرؤى والتعابير الواردة في الكتاب والسنة تحتوي على مسائل عقدية بحاجة إلى إبراز وتجلية.

٥- تعلق بعض فئات المجتمع بالرؤى المنامية الزائفة، والروايات المضلِّلَة، والتي تعمل على إفساد العقيدة وتكدير صفوها، مما يوجب على الباحث المخلص أن يقصد الرؤى النبوية الصحيحة، ليبرز ما أودع فيها من مسائل عقدية تعين القارئ والمستمع على تصحيح مفاهيمه العقدية.

٦- تغطية حاجة المكتبة الإسلامية من مثل هذه الموضوعات المهمة.

الدراسات السابقة:

لقد حاولت الحصول على دراسات سابقة للموضوع؛ وذلك من خلال الاستعانة بدليل الرسائل الجامعية المناقشة والمسجلة في جامعة أم القرى، وجامعة الملك عبد العزيز، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لدول الخليج العربي، والجمعية السعودية لعلوم العقيدة، وبالبحث المباشر في مواقع البحث والتصفح في الشبكة العنكبوتية؛ فلم أعثر على أية دراسة علمية بالعنوان نفسه، وإنما هناك بعض الرسائل الجامعية التي تعد ذات صلة بموضوع الدراسة الحالية، وهي كما يلي:

١- الدراسة الأولى: (الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين) للدكتور سهل بن رفاع العتيبي، وهي رسالة علمية تقدم بها المؤلف إلى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، عام ١٤١٥هـ، وهي مطبوعة ومتداولة.

وقد تناولت الرؤى بشكل عام، وتحدثت عن حقيقة الرؤى وأقسامها وعلاقتها بالنبوة، وأحكامها وآدابها، وموقف كل من أهل السنة والجماعة ومخالفيهم منها، وواضح أن الدراسة تعنى بالجانب الاستدلالي.

أما الدراسة الحالية فإن فكرتها قائمة على تقَصِّي ما ورد في الكتاب والسنة من الرؤى والتعابير، ودراستها دراسة عقدية.

٢- الدراسة الثانية: (الرؤى والأحلام بين النصوص الشرعية ومدرسة التحليل النفسي) إعداد أسامة عبد القادر الريس، وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة، عام ١٤١٠هـ.

وهي كالدراسة الأولى تقريبًا إلا في تناولها لنظريات العلماء المعاصرين المنكرين للرؤيا، فهي تدرس الرؤى بشكل عام، وتتحدث عن حقيقة الرؤى وأقسامها وعلاقتها بالنبوة، وأحكامها وآدابها، وآداب المعبر، وموقف كل من العلماء الإسلاميين وعلماء التحليل النفسي منها.

بينما الدراسة الحالية تتقَصَّى ما ورد في الكتاب والسنة من الرؤى والتعابير مركِّزةً على دراسة المسائل العقدية التي تضمنتها هذه الرؤى والتعابير.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

- أما المقدمة فبينتُ فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الدراسة.

● وأما التمهيد فضمنته مبحثين:

- المبحث الأول: مكانة الرؤى والتعابير في حياة الناس.

- المبحث الثاني: علاقة الرؤى والتعابير بالعقيدة.

● الفصل الأول: التعريف بالرؤى والتعابير، وبيان أحكامهما.

وأدرجت فيه سبعة مباحث:

>> المبحث الأول: التعريف بالرؤى والتعابير. وفيه مطلبان:

◄ المطلب الأول: التعريف اللغوي للرؤى والتعابير.

◄ المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للرؤى والتعابير.

>> المبحث الثاني: عناية الإسلام والمسلمين بالرؤى والتعابير. وفيه ثلاثة مطالب:

◄ المطلب الأول: عناية الكتاب العزيز بالرؤى والتعابير.

◄ المطلب الثاني: عناية السنة النبوية بالرؤى والتعابير.

◄ المطلب الثالث: عناية علماء سلف الأمة وأئمتها بالرؤى والتعابير.

>> المبحث الثالث: أقسام الرؤى . وفيه خمسة مطالب:

◄ المطلب الأول: أقسام الرؤى باعتبار حقيقتها.

◄ المطلب الثاني: أقسام الرؤى باعتبار مصدرها.

◄ المطلب الثالث: أقسام الرؤى باعتبار آثارها.

◄ المطلب الرابع: أقسام الرؤى باعتبار أصحابها.

◄ المطلب الخامس: أقسام الرؤى باعتبار حجيتها.

>> **المبحث الرابع: أغراض الرؤى .**

>> **المبحث الخامس: علاقة الرؤى بالروح والوحي والنبوة. وفيه ثلاثة مطالب:**

◄ المطلب الأول: علاقة الرؤى بالروح.

◄ المطلب الثاني: علاقة الرؤى بالوحي.

◄ المطلب الثالث: علاقة الرؤى بالنبوة.

>> **المبحث السادس: خصائص رؤى الأنبياء – عليهم السلام – وتعابيرهم.**

>> **المبحث السابع: هل الإسراء والمعراج كانا يقظة أو منامًا؟**

- الفصل الثاني: الرؤى والتعابير في القرآن الكريم ودلالاتها العقدية. وقسمته إلى ستة مباحث:

>> **المبحث الأول: رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام.**

>> **المبحث الثاني: رؤيا نبي الله يوسف عليه السلام.**

>> **المبحث الثالث: رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر.**

>> **المبحث الرابع: رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – قبل صلح الحديبية.**

>> **المبحث الخامس: رؤيا صاحبي يوسف – عليه السلام – في السجن.**

>> **المبحث السادس: رؤيا ملك مصر في عهد يوسف عليه السلام.**

- الفصل الثالث: الرؤى والتعابير في السنة النبوية الصحيحة ودلالاتها العقدية. وفيه ثمانية مباحث:

>> **المبحث الأول: دلالات الرؤى والتعابير في السنة النبوية في باب الإيمان بالله.**

>> **المبحث الثاني: دلالات الرؤى والتعابير في السنة النبوية في باب الإيمان بالملائكة.**

>> المبحث الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في السنة النبوية في باب الإيمان بالكتب.

>> المبحث الرابع: دلالات الرؤى والتعابير في السنة النبوية في باب الإيمان بالرسل.

>> المبحث الخامس: دلالات الرؤى والتعابير في السنة النبوية في باب الإيمان باليوم الآخر.

>> المبحث السادس: دلالات الرؤى والتعابير في السنة النبوية في باب الإيمان بالقدر.

>> المبحث السابع: دلالات الرؤى والتعابير في السنة النبوية في باب الصحابة.

>> المبحث الثامن: دلالات الرؤى والتعابير في السنة النبوية في أبواب متفرقة من العقيدة.

- وأما الخاتمة فسجلتُ فيها أهم النتائج التي توصلتْ إليه الدراسة، وبعض التوصيات العلمية.

منهج الدراسة:

طبيعة الدراسة تحتم استخدام: المنهجين الاستقرائي والتحليلي؛ ذلك لأنها قائمة على التتبع والاستقراء لما ورد في الكتاب والسنة من الرؤى والتعابير، ثم استنباط المسائل العقدية منها.

عملي في البحث:

وفي ضوء طبيعة الدراسة، وموضوعها، وما تستهدفه؛ فإن البحث سار وفقًا للخطوات التالية:

١- التتبع والاستقراء لما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من الرؤى والتعابير.

٢- دراسة هذه الرؤى والتعابير دراسة تحليلية لاستنباط المسائل العقدية منها.

٣- الرجوع إلى أقوال أئمة التفسير وشراح السنة النبوية وما كتبه المحققون من أهل العلم في موضوع الرؤى والتعابير.

٤- نقل الآيات القرآنية المستشهد بها من المصحف برسمها العثماني، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب البحث.

٥- نقل الأحاديث الشريفة من مراجعها الأصلية مع ذكر حكم العلماء عليها إلا ما كان في الصحيحين أو أحدهما فيكتفى بالعزو إليهما .

٦- الحرص على ذكر اختلافات ألفاظ الحديث إذا كان يترتب عليها زيادة فائدة.

٧- استنباط المسائل العقدية من الرؤى والتعابير، ودراستها دراسة عقدية.

٨- الترجمة للأعلام غير المشهورين.

٩- التعريف بالفرق والمذاهب التي ورد ذكرها في الدراسة تعريفًا مختصرًا.

١٠- التعريف بالغريب من الألفاظ والاصطلاحات.

١١- التعريف بالبلدان والمواضع والقبائل.

١٢- وضع فهارس عامة للبحث.

وفي الختام أحمد الله تعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله بما أنعم علي من نعم عظيمة، وما أولاني من آلاء جسيمة، ومنها إتمام هذه الرسالة، وأسأله تعالى أن يجعلها خالصًا لوجهه الكريم، صوابًا على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يتقبلها مني وينفع بها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

واعترافًا مني بالفضل لأهله، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يَشْكُرُ اللهَ مَن لا يَشْكُرُ النَّاسَ»[(١)]؛ أتقدم هنا بجزيل شكري ووافر تقديري - بعد شكر الله عز وجل - لكل من أفادني وأعانني في عملي في هذه الرسالة، وفي مقدمتهم والداي الكريمان - حفظهما الله ورعاهما ومتعهما بالصحة والعافية - اللذان حرصا على حسن تربيتي، ووجهاني إلى تحصيل العلم الشرعي، وشجعاني على إتمام هذه الرسالة، وتحمَّلا تقصيري في خدمتهما بسبب

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ١٨٨ رقم: ٤٨١١)، والترمذي في سننه (٤/ ٣٣٩ رقم: ١٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٧٦ رقم: ٤١٦).

انشغالي بهذه الرسالة، فجزاهما الله عني خير الجزاء وأحسنه، وأمدهما بالعفو والعافية، وأطال عمرهما في طاعته، وبارك في عملهما.

والشكر وخالص الدعاء وجميل الثناء موصول لشيخي وأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور/ عثمان بن علي حسن، أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى، حفظه الله ورعاه، والذي غمرني بجميل فضله، وحسن توجيهه، ونبلِ أخلاقه، وبشرِ وجهه، وسعة صدره؛ حيث أشرف على هذه الرسالة، ومنحني من وقته وعلمه وتوجيهه الشيء الكثير، فجزاه الله عني خير الجزاء وأوفاه، وأعلى قدره في الدارين، وغفر له ولوالديه وولده وذويه ومن يحب.

كما لا يفوتني أن أشكر القائمين على جامعة أم القرى على ما يبذلونه من جهود مشكورة في سبيل العلم وطلابه، وأخص بالشكر المسؤولين في كلية الدعوة وأصول الدين، على ما يقدمونه من خدمات جليلة لطلاب العلم الشرعي.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

و كتبه

الطالب: حيات خان غلام حيدر

تمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مكانة الرؤى والتعابير في حياة الناس.

المبحث الثاني: علاقة الرؤى والتعابير بالعقيدة.

المبحث الأول

مكانة الرؤى والتعابير في حياة الناس

كانت الرؤى فيما تقدم من الدهور ولا زالت موضع عناية واهتمام لدى أصحابها، فللرؤى عبر التاريخ شأن في حياة الأمم أفرادًا وجماعات، وذلك لأن الإنسان مجبول على حب الاطلاع على ما غُيّب عنه من الأمور، لاسيما تلك التي لها علاقة به أو بمن يهمه شأنه، ويجد في الرؤى شيئًا من بغيته، ولأن الناس لمسوا آثار هذه الرؤى في أنفسهم وفيمن حولهم، بل وفي المجتمع ككل، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصر.

وقد ذكر الله – عز وجل – في كتابه نماذج من هذه الرؤى وما آلت إليه من آثار، فذكر رؤيا إبراهيم – عليه السلام – في ذبح ابنه إسماعيل – عليه السلام – وما ترتب عليها من البلاء المبين، وما نتج عنها من الفداء بذبح عظيم.

وذكر رؤيا يوسف – عليه السلام – وتأويل أبيه إياها، وما ترتب عليها من أنواع البلاء والحزن الشديد لأبيه يعقوب عليه السلام، ثم ما آلت إليه من الرفعة والفضيلة ليوسف عليه السلام، وسجود أبويه وإخوته له.

وذكر رؤيا الفتيين اللذين دخلا السجن مع يوسف عليه السلام، واهتمامهما برؤياهما، وطلبهما تأويلها لدى يوسف عليه السلام، لما توسما فيه من الصلاح والتقوى، وما نتج عن ذلك من خروجهما من السجن، ونجاة أحدهما وإكرامه بالقرب من الملك، وهلاك الآخر وإهانته بصلبه وأكل الطير من رأسه.

وذكر رؤيا ملك مصر واهتمامه واغتمامه بها، وطلبه تأويلها عند الملأ من قومه، وعجزهم عن ذلك، ثم إرساله إلى يوسف – عليه السلام – في تأويلها، وتأويل يوسف إياها، وما نتج عن ذلك من الأمور العظيمة من براءة يوسف عليه السلام، وخروجه من السجن، وتوليه خزائن مصر، وحسن تصرفه فيها، وتغير أحوال الناس، حيث أحيا الله تعالى به البلاد والعباد وتفادى الناس مجاعة محققة.

وذكر رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر، وما نتج عنها من الربط على قلوب المؤمنين، ورفع معنوياتهم القتالية، ومن ثم الانتصار العظيم على أعداء الله المشركين.

وذكر رؤياه – صلى الله عليه وسلم – قبل الحديبية، وما آلت إليه من دخول النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون، وقد جاء في السنة بيان ما نتج عن هذه الرؤيا من الابتلاء للمسلمين يوم صلح الحديبية لما تأخر تأويلها إلى العام التالي.

وهكذا لو تتبعنا أحداث التاريخ لوجدنا للرؤيا أثرًا بالغًا في حياة الناس؛ وذلك لأن الرؤيا من الغيب الذي يريد الله تعالى كشفه للناس قبل وقوعه لحكمة يريدها، وهو العليم الحكيم.

فقد تناقل المؤرخون رؤيا عبد المطلب جد النبي – صلى الله عليه وسلم – في شأن حفر زمزم، واهتمام الناس بها آنذاك، وما ترتب عليها من الأمور العظيمة، وما آلت إليه من كشف بئر زمزم ونبع مائها، والقصة معروفة. فهذه زمزم التي ما زال الناس يشربون منها ويستشفون بمائها كان الدال عليها بعد دفنها تلك الرؤيا التي رآها عبد المطلب.[1]

وتناقلوا رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب قبيل غزوة بدر الكبرى، فقد رأت رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس فقالت له: يا أخي لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني، ليَدْخُلَنَّ على قومك منها شرٌّ وبلاء. فقال: وما هي؟ فقالت: رأيت فيما يرى النائم أن رجلاً أقبل على بعير له فوقف بالأبطح[2] فقال: " انفروا يا آل غُدَر[3] لمصارعكم في ثلاث " فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم أرى بعيره دخل به المسجد واجتمع الناس إليه، ثم مَثَلَ به بعيرُه فإذا هو على رأس الكعبة، فقال: " انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث ". ثم إن بعيره مَثَلَ به على رأس أبي قُبَيس، فقال: " انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث ". ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت في أسفل الجبل ارْفَضَّتْ[4] فما بقيت دار من دور

---

[1] انظر قصة رؤيا عبد المطلب في شأن حفر زمزم في: سيرة ابن إسحاق تحقيق: محمد حميد الله (ص: ٣ رقم: ٦)، وسيرة ابن هشام (١/ ١٤٢- ١٤٣)، وأخبار مكة للزرقي (ص: ٥٤٨ رقم: ٦٥٦)، وأخبار مكة للفاكهي (٢/ ١٦ برقم ١٠٦٥)، كلهم من طريق ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد ابن عبد الله اليزني عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ... الحديث، وهذا إسناد أقل أحواله أن يكون حسنًا فإن ابن إسحاق وإن كان مدلسًا إلا أنه صرح بالتحديث وباقي رجال الإسناد ثقات.

[2] يعني: أبطح مكة، وهو مَسِيل وَادِيها، ويُجمع على: البِطَاح والأباطِح. النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/ ١٣٤- ١٣٥).

[3] **غُدَر**: معدول عن غادر للمبالغة، يقال للذكر: غُدَر، و للأنثى: غَدَار، و هما مختصان بالنداء في الغالب. النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣/ ٣٤٥).

[4] **ارْفَضَّتْ**: أي تكسرت وتفرقت. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/ ٢٤٣) ولسان العرب لابن منظور (٧/ ١٥٦).

قومك ولا بيت إلا دخل فيه بعضها. فقال العباس: والله إن هذه لرؤيا فاكتميها. قالت: وأنت فاكتمها؛ لئن بلغت هذه قريشًا ليؤذوننا. فأخبر بها العباس الوليد بن عتبة، فأخبر الوليد أباه عتبة، فأصبح الناس يتحدثون عنها، فلقي أبو جهلٍ العباسَ فقال له: يا أبا الفضل متى حدثت هذه النبيَّة فيكم؟! أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟! فسنتربَّصُ بكم هذه الثلاث التي ذكرت عاتكة، فإن كان حقًّا فسيكون، وإلا كتبنا عليكم كتابًا أنكم أكذب أهل بيت في العرب. ثم وقع تأويلها بعد ثلاث ليال، حيث حدثت غزوة بدر، وأصاب قريشًا ما أصابها من قتل أشرافهم وأسر خيارهم، فقالت عاتكة بنت عبد المطلب:

«ألم تَكُنِ الرُّؤيا بحقٍّ و عابَكم ... بتصديقها فَلٌّ[1] من القوم هاربُ

فقلتم ولم أكذب: كذبَتْ، و إنما ... يُكَذِّبُنا بالصدق من هو كاذبُ»[2]

فانظر إلى أثر هذه الرؤيا في المشركين من أهل مكة، واهتمامهم بها، وخوفهم من آثارها، وتحدثهم عن مجرياتها، وترقبهم لمآلاتها، وهكذا كان العرب يؤمنون بأن الرؤى حق، ويعتنون بها.

وقد بلغ الحال ببعضهم أن الرؤيا ربما أخافته وأمرضته ونكَّدت عليه حياته، كما روى الشيخان عن أبي سلمة قال: لقد كنتُ أرى الرؤيا فتُمرضني، حتى سمعتُ أبا قتادة يقول: وأنا كنتُ أرى الرؤيا تمرضني، حتى سمعتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يُحِبُّ فلا يحدِّثْ به إلا من يُحِبّ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثًا، ولا يحدث بها أحدًا، فإنها لن تضره».[3]

---

[1] **الفَلُّ**: القَوْم المنْهزِمون، من الفَلّ: الكسر، وهو مصدرٌ سُمِّي به، ويقع على الواحد والاثنين والجميع، ورُبَّما قالوا: فُلُول وفِلَال. و فَلَّ الجيْشَ يَفُلُّه فلاً إذا هَزَمه فهو مَفْلُول. انظر: النهاية في غريب الأثر (٣/ ٤٧٣).

[2] رؤيا عاتكة هذه أخرجها ابن إسحاق في سيرته من طريقين أحدهما متصل والآخر مرسل، كما نقل ذلك عنه ابن هشام في سيرته (٢/ ٦٠٧) قال ابن إسحاق: أخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس، ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قالا ... فذكرها. وشيخ ابن إسحاق الذي لم يصرح باسمه هنا هو حسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن عباس، كما جاء مصرحًا بذلك عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٥٧ رقم: ٤٣٥٣) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسين هذا قال عنه الحافظ في التقريب (١/ ١٧٦- ١٧٧ برقم: ١٤٦٠): ضعيف. وبه ضعف الذهبي الحديث في تعليقه على الموضع السابق من المستدرك. وأما الطريق المرسل فسنده إلى عروة صحيح، فإن ابن إسحاق صرح فيه بالتحديث كما جاء في الموضع السابق من المستدرك، وشيخه يزيد بن رومان ثقة كما في التقريب (٢/ ٣٧٣ رقم: ٨٦٨٨)، وأخرجها الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٣٤٤ رقم: ٨٥٩) من حديث عاتكة نفسها بإسناد ضعيف، والقصة مشهورة نقلها أكثر أهل السير.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها (٦/ ٢٥٨٢ رقم: ٦٦٣٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا الباب الأول (٤/ ١٧٧٢ رقم: ٢٢٦١).

وفي لفظ لمسلم: «كنت أرى الرؤيا أُعْرَى منها غير أني لا أُزَمَّل».[1]

وفي لفظ لهما: «وإن كنت لأرى الرؤيا أثقل عليَّ من الجبل، فما هو إلا أن سمعتُ هذا الحديث فما أباليها».[2]

ومما يدل على مكانة الرؤيا في حياة الناس اهتمام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بها وسؤاله أصحابه عن رؤاهم، وتعبيرها لهم، وتمني الصحابة حصول رؤيا لهم ليعبرها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيأتي بيان عناية الإسلام والمسلمين بالرؤيا في مبحث خاص.

وأما عن مكانة الرؤى والتعابير في حياة الناس في العصر الحاضر فأمرٌ ظاهرٌ ومشاهَد، فقد أولوها اهتمامًا كثيرًا، وأشغلت حيزًا كبيرًا من أوقاتهم وبرامجهم، فهي أحاديث كثير من مجالسهم، وموضوعات العديد من برامجهم، ومجالات أسئلتهم واستفساراتهم، حتى خصصت لها قنوات، وانبرى لتفسير الرؤى أدعياء ومتعالمون، فروّجت بسببهم بدع وخرافات، وارتكبت حماقات وجهالات، وكشفت عورات، وهتكت أعراض، ونهبت أموال، وزرعت أحقاد، و جلبت أحزان، وقطعت أرحام، بل وأشعلت نيران حرب، وأريقت دماء أبرياء؛ كل ذلك لجهل الناس بأحكام هذا الباب، وبُعدِهم فيه عن هدي الوحيين، ووُلُوج من لا يحسنه فيه.

فالرؤيا المزعومة للمدعي: الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية، وما تضمنته من الوصية المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما رتّب عليها من الوعد والوعيد؛ ما زالت تنشر وتتكرر وتُرَوَّج، فكم نتج عنها من خرافات وبدع ومنكرات؟

وفتنة جهيمان عام ١٤٠٠هـ في الحرم المكي، وما نتج عنها من هتك حرمة المسجد الحرام، وسفك الدماء، وترويع الآمنين، وتخريب الممتلكات؛ كانت بحجة رؤى ومنامات زعموا أنها تواطأت في شأن مهديِّهم المزعوم.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا الباب الأول (٤/ ١٧٧١ رقم: ٢٢٦١). قوله: «**أُعْرَى منها**» : أي أُحَمّ لخوفي من ظاهرها في معرفتي، يقال: عُرِي الرجل - بضم العين وتخفيف الراء - يعرى إذا أصابه عُراء - بضم العين وبالمد - وهو نفض الحمى، وقيل: رعدة. وقوله: «**لا أُزَمَّل**» : أي لا أغطى وألف كالمحموم. انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٦).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب النفث في الرقية (٥/ ٢١٦٩ رقم: ٥٤١٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا الباب الأول (٤/ ١٧٧١ رقم: ٢٢٦١)..

وإنما اغتر بهؤلاء من اغتر بسبب جهلهم بأن الرؤى ليست مصدر تشريع للأحكام، ولا يعتمد عليها في إراقة الدماء وإزهاق الأرواح وقطع الأرحام وغير ذلك.

الخلاصة أن للرؤيا في حياة الناس قديمًا وحديثًا مكانة عالية، وأهمية بالغة، وأنه لابد من تفقيه الناس بشأنها، وتعريفهم بأحكامها، وتمييز الحق من الباطل والخطأ من الصواب في بابها.

المبحث الثاني

علاقة الرؤى والتعابير بالعقيدة

للرؤى والتعابير علاقة قوية بالعقيدة، وتتجلى هذه العلاقة في النقاط التالية:

١- علاقة الرؤيا بالروح، والروح من أمر الله عز وجل، ومن الغيب الذي اختص الله بعلمه، ومجال البحث فيها هو علم العقيدة.[١]

٢- علاقة الرؤيا بالوحي والنبوة، فهي أول ما بدئ به النبي - صلى الله عليه وسلم - من الوحي، وهي جزء من النبوة كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم[٢]، وهي كذلك من دلائل نبوته؛ إذ أخبر عن أمور مستقبلة فوقعت كما أخبر.

٣- وقوع الانحرافات العقدية في شأنها، كغلو الفلاسفة والصوفية، وتفريط المعتزلة ومن وافقهم.[٣]

٤- إدخال الأئمة مسألة الرؤيا في كتب العقائد، وبيانهم عقيدة أهل السنة والجماعة والمخالفين لهم فيها. فمن هؤلاء الأئمة:

١- الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٣٠هـ) في «مقالات الإسلاميين».[٤] وقال في «الإبانة عن أصول الديانة»[٥]: «ونؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير عليهما الصلاة والسلام، ومساءلتهما المدفونين في القبور، ونصدق بحديث المعراج، وتصحيح كثير من الرؤيا في المنام، ونُقِرُّ أن لذلك تفسيرًا».

٢- الإمام أبو الحسن الملطي (٣٧٧هـ) في كتابه «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»[٦] حيث قال في معرض بيانه طوائف الجهمية: «ومنهم صنف أنكروا الميزان - إلى أن قال - وأنكروا الرؤيا وزعموا أنها أضغاث أحلام».

---

[١] وقد خصصتُ مبحثًا لبيان هذه العلاقة.

[٢] وقد خصصتُ مبحثًا لبيان هذه العلاقة.

[٣] وسأبين شيئًا من ذلك في مبحث التعريف بالرؤى.

[٤] (٢/ ١٢٠- ١٢١).

[٥] (ص: ٢٠).

[٦] (ص: ٩٩).

٣- الإمام المقرئ أبو عمر الداني (٤٤٤هـ) في كتابه «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات».[1] قال: «ومن قولهم: إن التصديق بالرؤيا واجب، والقول بإثباتها لازم، وأنها جزء من أجزاء النبوة، كما ورد الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى أنس وأبو هريرة عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».[2] ومعنى ذلك: أن الأنبياء - عليهم السلام - يخبرون بما سيكون، والرؤيا تدل على ما سيكون».

٤- الإمام ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل».[3]

٥- الإمام أبو القاسم الأصبهاني (٥٣٥هـ) في كتابه «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة»[4] قال: «والرؤيا حق إلا ما كان أضغاث أحلام».

٦- الشهرستاني (٥٤٨هـ) في كتابه «الملل والنحل».[5]

٧- الإمام بدر الدين ابن جماعة (٧٣٣هـ) في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل».[6]

٨- الإمام الشاطبي (٧٩٠هـ) في كتابه «الاعتصام».[7]

٩- العلامة محمد صديق حسن خان (١٣٠٧هـ) في كتابه «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر».[8] وقال: «والرؤيا من الله تعالى وحي حق إذا رأى صاحبها في منامه ما ليس ضغثًا، فقصها على عالم، وصدق فيها، وأولها على أصل

---

[1] (ص: ٦١).

[2] حديث أنس: أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٦٢ رقم: ٦٥٨٢)، وأما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري (٦/ ٢٥٦٣ رقم: ٦٥٨٧)، ومسلم (٧/ ٥٣ رقم: ٦٠٤٨).

[3] (٥/ ١٤).

[4] (٢/ ٢٨٤- ٢٨٥).

[5] (٢/ ٢٠٠).

[6] (ص: ٢٠٤- ٢٠٥)

[7] (ص: ١٩٨).

[8] (ص: ١١١).

تأويلها الصحيح، ولم يُحرِّف، والرؤيا تأويلها حق، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيًا، فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء؟! ».

٥- أن الرؤى والتعابير في الكتاب والسنة تشتمل على مسائل عقدية كثيرة، كما سنوضح ذلك – إن شاء الله – في الفصلين: الثاني والثالث من هذه الرسالة.

الفصل الأول

التعريف بالرؤى والتعابير وأحكام عامة تتعلق بهما

و فيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالرؤى والتعابير.

المبحث الثاني: عناية الإسلام والمسلمين بالرؤى والتعابير.

المبحث الثالث: أقسام الرؤى.

المبحث الرابع: أغراض الرؤى.

المبحث الخامس: علاقة الرؤى بالروح و الوحي والنبوة.

المبحث السادس: خصائص رؤى الأنبياء وتعابيرهم.

المبحث السابع: هل الإسراء والمعراج كان يقظة أو منامًا؟

المبحث الأول

التعريف بالرؤى والتعابير

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الرؤى لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف التعابير لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول

التعريف بالرؤى والتعابير

◄ المطلب الأول: تعريف الرؤى لغة و اصطلاحًا.

أولاً : تعريف الرؤى لغة :

الرؤى: جمع: رؤيا، والرؤيا: ما يرى في النوم.[١] وذهب الخليل بن أحمد إلى أن الرؤيا لا تجمع[٢]، ونقله ابن منظور عن الليث أيضًا[٣]، فلعلهما يعدّانها من أسماء الأجناس التي تستعمل في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث بصيغة واحدة.

وألفها للتأنيث ولذلك منعت من الصرف.[٤]

وأصل الكلمة: رأى، وهي تطلق على رؤية العين فيقال: رأى رؤيةً. وعلى ما يُرى في النوم فيقال: رأى رؤيا على وزن: (فُعلى) غير منصرف. وعلى ما يذهب إليه الشخص من الاعتقاد ونحوه فيقال: رأى رأيًا.

قال ابن فارس[٥]: «الراء والهمزة والياء أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة، فالرأي ما يراه الإنسان في الأمر وجمعه الآراء ... والرؤيا معروفة، والجمع رؤًى».[٦]

---

[١] انظر : المعجم الوسيط (١/ ٣٢٠)

[٢] انظر : كتاب العين (٨/ ٣٠٧).

[٣] لسان العرب (١٤/ ٢٩١).

[٤] انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٤/ ٢٤).

[٥] هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها سنة (٣٩٥هـ)، وإليها نسبته. من تصانيفه: (مقاييس اللغة– ط) ستة أجزاء، و(المجمل– خ) طبع منه جزء صغير، و (جامع التأويل) في تفسير القرآن، أربع مجلدات. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٩٣).

[٦] معجم مقاييس اللغة (ص: ٤١٥).

وقال الزمخشري[1] في " أساس البلاغة "[2]: «رأيتُه بعيني رؤية، ورأيتُه في المنام رؤيا، ورأيته رأي العين ... ورأى رؤيا حسنة، ورؤًى حِساناً».

وقال أبو البقاء الكفوي[3]: «والرؤيا كالرؤية غير أنها مختصة بما يكون في النوم؛ فرقًا بينهما، كالقربة و القربى ... ورأى رؤيا: اختص بالمنام، ورؤية: بالعين ، ورؤيا[4]: بالقلب».[5]

وقال أبو حفص ابن عادل النعماني[6]: «و" رأى " مشترك بين " رأى " بمعنى: أبصر، ومصدره : الرَّأي والرؤية. وبمعنى: اعتقد، وله " الرأي ". وبمعنى: الحلم، وله " الرؤيا " كالدنيا. فوقع الفرق بالمصدر، فالرؤية للبصر خاصةً، والرؤيا للحلم فقط، والرأي مشترك بين البصرية والاعتقادية، يقال: هذا رأي فلان، أي: اعتقاده».[7]

وقد تطلق " الرؤيا " على رؤية العين في اليقظة أيضًا، كما في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ...} [الإسراء: ٦٠] فإن المراد بالرؤيا هنا ما رآه النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة الإسراء والمعراج من الغرائب والعجائب، كما قال تعالى: {أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٢-١٨].

---

[1] هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها سنة (٥٣٨هـ)، من أشهر كتبه: (الكشاف – ط) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة– ط)، و (المفصل– ط)، و (المقدمة– ط) معجم عربي فارسي في مجلدين، و (الفائق– ط) في غريب الحديث. وكان معتزلي المذهب، مجاهرًا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٨) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ١٥١).

[2] (١/ ٣٢٦)

[3] هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، صاحب (الكليات – ط) كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى استانبول فتوفي بها سنة (١٦٨٣م)، وله كتب أخرى بالتركية. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٣٨).

[4] هكذا في المطبوع ، ولعلها : رأيًا .

[5] كتاب الكليات لأبى البقاء الكفوى (ص: ٤٧٠).

[6] هو أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني الدمشقي، صاحب التفسير الكبير (اللباب في علوم الكتاب)، توفي بعد سنة ٨٨٠هـ. الأعلام (٥/ ٥٨)

[7] اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٥/ ٦٩).

وروى البخاري – رحمه الله – في صحيحه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠] قال: «هي رؤيا عين أُرِيَها رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ليلة أسري به إلى بيت المقدس».[١]

وفي لفظ للإمام أحمد – رحمه الله – في المسند: «شيء أريه النبي – صلى الله عليه وسلم – في اليقظة، رآه بعينه حين ذُهِبَ به إلى بيت المقدس».[٢]

وفي لفظ عند ابن جرير الطبري رحمه الله: «هي رؤيا عين أُرِيَها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليست برؤيا منام».[٣]

وقد وردت" الرؤيا "مرادة بها الرؤية البصرية في أشعار العرب المحتج بكلامهم، فمن ذلك قول الراعي النميري[٤] وهو يصف صيّادًا رأى صيدًا :

فَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وهَشَّ فُؤَادُهُ .... وبَشَّرَ نَفْسًا كَانَ قَبْلُ يَلُومُهَا[٥]

وقول الأمير أبي الفوارس[٦]:

لو نِيلَ بالقول مطلوبٌ، لَما حُرِمَ ال ... رؤيا الكَلِيمُ مُوسى، وكان الحَظُّ للجبلِ[٧]

---

[١] (٣/ ١٤١٢ رقم: ٣٦٧٥).

[٢] (٥/ ٤٥٠ رقم: ٣٥٠٠) قال محققه شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط البخاري».

[٣] تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٠) وتهذيب الآثار- مسند ابن عباس رضي الله عنهما – له (١/ ٤٥٦ رقم: ٧٣٦) وإسناده صحيح.

[٤] هو أبو جندل عُبَيد بن حُصين بن معاوية بن جندل، النميري، المتوفى سنة ٩٠هـ، من فحول الشعراء المحدثين، كان من جلّة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل، وكان بنو نمير أهل بيتٍ وسؤدد. وقيل: «كان راعي إبلٍ من أهل بادية البصرة». عاصر جريراً والفرزدق، وكان يفضّل الفرزدق فهجاه جرير هجاءًا مُرًّا، وهو من أصحاب الملحمات. وسماه بعض الرواة حصين بن معاوية. انظر: دواوين الشعر العربي على مر العصور (١/ ٧٠).

[٥] ديوان الراعي النميري (ص: ١٨٣) وانظر: لسان العرب (١٤/ ٢٩١).

[٦] هو الشاعر المشهور، الأمير شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي، الأديب الفقيه الشافعي، كان يلقب بالحيص بيص، ومعناهما الشدة والاختلاط، قيل: إنه رأى الناس في شدة وحركة فقال: ما للناس في حيص بيص؟! فلزمه ذلك لقبًا. تفقه بالري على القاضي محمد بن عبد الكريم الوزان، وسمع الحديث من أبي طالب الزينبي، وأبي المجد محمد بن جهور، وروى عنه: القاضي بهاء الدين بن شداد، ومحمد ابن المني، وله ديوان شعر مشهور، وترسل، وبلاغة، وباع في اللغة، ويد في المناظرة، قيل: إنه كان إمامي المذهب، مات في شعبان سنة (٥٧٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٦١)، طبقات الشافعية الكبرى (٧/ ٩٢)، لسان الميزان (٣/ ١٩).

[٧] خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني (١/ ٧٦).

وقال ابن هشام الأنصاري رحمه الله: «ولا تختصُّ الرؤيا بمصدر الحلمية، بل تقع مصدرًا للبصرية، خلافًا للحريرى وابن مالك، بدليل: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الّتِى أَرَيْنَاكَ إلاّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠] قال ابن عباس: هي رُؤْيَا عَيْن».[١]

والحكمة في التعبير عن ذلك بالرؤيا: إما لأنه لا فرق بينها وبين الرؤية، أو لأنها وقعت بالليل، أو لأن الكفرة قالوا: لعلها رؤيا.[٢] أو أطلق عليه لفظ الرؤيا على سبيل التشبيه بالرؤيا المنامية، نظرًا لما رآه في تلك الليلة من عجائب سماوية وأرضية، فالرؤيا محل الأحداث العجيبة، وقد كان في سرعته كأنه رؤيا منامية.[٣]

والذي دفعني إلى بيان هذه المسألة – إطلاق الرؤيا على الرؤية البصرية في اليقظة – أن هناك من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج كانا منامًا اعتمادًا على آية الإسراء وهي قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاس...} [الإسراء: ٦٠] زاعمًا أن " الرؤيا " تختص بما يرى في المنام، وسيأتي بحث المسألة بالتفصيل إن شاء الله.

---

[١] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين (٢/ ٥٠). وراجع تعليق المحقق فإنه مفيد.

[٢] تفسير أبي السعود (٥/ ١٨١).

[٣] التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (٨/ ٣٨٤).

ثانيًا : تعريف الرؤى اصطلاحًا :

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الرؤيا اصطلاحًا، ومن أسباب هذا الاختلاف اختلاف عقائدهم وآرائهم في شأن الرؤى، إلا أن الجميع متفقون على أن الرؤيا هي ما يراه النائم في نومه، وإنما اختلفوا في بيان حقيقة هذا الشيء الذي يراه النائم في نومه.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه الله[1]: «هو فصلٌ كبيرٌ من الحقائق، وأمرٌ مشكلٌ على الخلائق، وهو مايراه النائم في منامه ... واختلفَ الناسُ فيها فمنهم من أفرط، ومنهم من فرّط، ومنهم من استوى واقتصر[2]».[3]

وقال أبو العباس القرطبي شارح صحيح مسلم[4]: «وقد اختلف الناس في حقيقة الرؤيا قديمًا وحديثًا، فقال غير المتشرعين أقوالاً مختلفة، وصاروا فيها إلى مذاهب مضطربة قد عَرِيت عن البرهان فأشبهت الهذيان. وسبب ذلك التخليطِ العظيم: الإعراضُ عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم.

وبيان ذلك: أن حقيقة الرؤيا إنما هي من إدراكات النفس، وقد غُيِّب عنّا علم حقيقتها. وإذا لم يُعلم ذلك لعدم الطريق الموصل إليه؛ كان أحرى وأولى ألا نعلم ما غيِّب عنَّا من إدراكاتها، بل نقول: إنا لا نعلم حقيقة كثير مما قد انكشف لنا جملته من إدراكاتها، كحس السمع والعين والأذن وغير ذلك، فإنا إنما نعلم منها أمورًا جملية لا تفصيلية، وأوصافًا لازمة

---

[1] هو الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي صاحب التصانيف المفيدة، ولد سنة ٤٦٨هـ، وسمع من كثير من حفاظ عصره، ورحل إلى كثير من الأقطار، وتتلمذ على أبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاسي، وتولى قضاء إشبيلية، وتوفي سنة ٥٤٣هـ، ومن تصانيفه: القبس، والمسالك، والعواصم من القواصم، وعارضة الأحوذي، وأحكام القرآن، وكلها مطبوعة، وله غيرها، وهو أشعري في باب الصفات، يظهر ذلك من خلال كتابه: المتوسط في الاعتقاد، وكتابه: الأمد الأقصى شرح أسماء الحسنى. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ١٩٧- ٢٠٣)، وشذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٢٣٢)، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (١/ ٥٧٠- ٥٧١).

[2] هكذا في نسختين من المطبوع: (واقتصر) بالراء. ولعلها: (واقتصد) بالدال.

[3] القبس في شرح موطأ ابن أنس لابن العربي المالكي (٤/ ٣٣١).

[4] هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي، من رجال الحديث، ويعرف ببلاده بابن المزين، ولد بقرطبة سنة ٥٧٨هـ، ورحل إلى المشرق، واختصر الصحيحين، وشرح مختصره لصحيح مسلم وسمّاه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، وفيه أشياء حسنة مفيدة محررة. توفي بالاسكندرية سنة ٦٥٦هـ. وهو شيخ القرطبي المفسر. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٢٤٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (٧/ ٤٧٣)، والأعلام للزركلي (١/١٨٦).

أو عرضية لا حقيقية، وسبيل العاقل: أن لا يطمع في معرفة ما لم يُنْصَب له عليه دليل عقلي ولا حسي ولا مركب منهما؛ إلا أن يخبر بذلك صادقٌ، وهو الذي دلَّ الدليل القطعي على صدقه، وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ فإنَّهم دلت على صدقهم دلائل المعجزات.

وإذا كان كذلك: فسبيلنا أن نعرض عن أحوال المعرضين، ونتشاغل بالبحث عن ذلك في كلام الشارع والمتشرعين».[1]

ويقصد – رحمه الله – بغير المتشرعين: الفلاسفة وعلماء النفس والأطباء ونحوهم ممن تكلموا في حقيقة الرؤى من منطلق الأدوات التي معهم والعلوم التي يتقنونها بعيدًا عن الوحيين.

ومما قيل في تعريف الرؤيا اصطلاحًا:

١ – «الرؤى: علوم علقها الله في النفس ابتداءً بلا سبب».

ذكره الإمام ابن القيم – رحمه الله – لبعض الأشاعرة، وقال: «وهذا قول منكري الأسباب والحِكَم [و]القوى[2]، وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة».[3]

ويقصد – رحمه الله – بمنكري الأسباب والحِكَم الأشاعرةَ لاشتهارهم بذلك، وذكر أن قولهم هذا مخالف للشرع والعقل والفطرة، ولم يبين وجه المخالفة، ولعل وجه ذلك ما ثبت في النصوص الشرعية من إثبات سبب الرؤيا، وذلك في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان».[4] وقوله: «الرؤيا ثلاث: فبشرى من الله، وحديث النفس، وتخويف من الشيطان ...».[5] ونحو ذلك من النصوص.

---

[1] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٦– ٧).

[2] في النسخة المطبوعة التي نقلت منها: منكري الأسباب (والحكم القوي) بإسقاط الواو، وأشار المحقق في الهامش أن في نسختين من النسخ الخطية التي اعتمدها: (والحكم والقوى) بإثبات الواو، وهو الذي ترجح عندي فأثبتها بين معكوفتين.

[3] الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء لابن القيم (١/ ٢٣٤).

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٣/ ١١٩٨ رقم: ٣١١٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا (٤/ ١٧٧١ رقم: ٢٢٦١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير باب القيد في المنام (٦/ ٢٥٧٤ رقم: ٦٦١٤) وليس فيه التصريح بالرفع، وإنما قال ابن سيرين الراوي عن أبي هريرة: «وكان يقال: الرؤيا ... » فذكره. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا (٤/ ١٧٧٣ رقم: ٢٢٦٣)، والترمذي في سننه (٤/ ٥٣٧ رقم: ٢٢٨٠)، وأبو داود (٧/ ٣٦٥ رقم: ٥٠١٩)، وابن ماجه (٥/ ٦٢ رقم: ٣٩٠٦) واللفظ له.

٢-تعريف المازري[1] **للرؤيا،** قال: «والمذهب الصّحيح: ما عليه أهل السنّة، وهو: **أنّ الله سبحانه يخلق في قلب النّائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليَقظان ... فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنّه سبحانه جعلها عَلَماً على أمورٍ أخر يخلقها في ثاني حالٍ أو كان قد خلقها**».

ثم قال: «فإذا خلق في قلب النّائم اعتقاد الطّيران وليس بطائر؛ فقصارى ما فيه أنّه اعتقد أمرًا على خلاف ما هو عليه، وكم في اليقظة من يعتقد أمرًا على غير ما هو عليه فيكون ذلك الاعتقادُ عَلَمًا على غيره، كما يكون خَلْقُ الله سبحانه للغيم عَلَماً على المطر، والجميع خَلْقُ الله سبحانه. ولكن يخلق الرؤيَا والاعتقادات التي جَعَلها عَلَمًا على ما يسرّ بحضرة المَلَك أو بغير حضرة الشيطان، ويخلق ضِدَّها مِمَّا هو عَلَم على ما يضرّ بحضرة الشيطان، فتنسب إليه مجازًا واتّساعًا. وهذا المعنيُّ بقوله – صلى الله عليه وسلم – «الرّؤيا من الله والحلم من الشّيطان» لا على أنّ الشّيطان يفعل شيئًا في غيره، وتكون الرُّؤيا اسماً لما يُحبُّ، والحلم لما يكره».[2]

وهذا التعريف اشتهر كثيرًا، ونقله كثير من المصنفين على أنه التعريف المعتبر لدى أهل السنة والجماعة[3]، ولعل لقول المازري: «والمذهب الصّحيح: ما عليه أهل السنّة» دور في ذلك، وهذا التعريف مع سلامته من بعض ما أُخِذَ على غيره من التعريفات؛ إلا أنه يؤخذ عليه ما يلي:

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري – نسبة إلى (مازر) بلدة بجزيرة صقلّيّة – المالكي، يعرف بالإمام، كان بصيرًا بعلم الحديث، وأحد الأذكياء الموصوفين، والأئمة المتبحرين، ولد سنة ٤٥٣هـ، وله شرح كتاب (التلقين) في عشرة أسفار، وهو من أنفس الكتب، والمُعْلِم بفوائد شرح مسلم. قال القاضي عياض: لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أفقه منه، ولا أقوم بمذهبهم، سمع الحديث، وطالع معانيه، واطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب والآداب وغير ذلك. كان أشعري العقيدة، توفي سنة ٥٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ١٠٥)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٧).

(٢) المُعْلِم بفوائد مسلم للمازري (٣/ ٢٠١).

(٣) منهم: القاضي عياض (٥٤٤هـ) في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢٠٥)، والإمام محي الدين النووي (٦٥١هـ) في شرحه على صحيح مسلم (١٥/ ٢٠)، وأبو العباس القرطبي (٦٥٦هـ) في شرحه على مسلم (٦/ ٧)، وابن مفلح الحنبلي (٧٦٣هـ) في الآداب الشرعية (٣/٤٣٤)، وابن الملقن (٨٠٤هـ) في التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/ ١٣٨)، وابن العراقي في طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢٠٥)، والحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) في الفتح (١٢/ ٣٥٣)، والخازن (٧٤١هـ) في تفسيره (٢/ ٥١٢)، وابن علان (١٠٥٧هـ) في دليل الفالحين (١٣٠/٦)، والألوسي (١٢٧٠هـ) في تفسيره (١٢/ ١٨١)، وابنه أبو البركات (١٣١٧هـ) في كتابه جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: ١٦٤) إلا أنه عزاه إلى النووي فأخطأ.

١- قوله: «والمذهب الصّحيح: ما عليه أهل السنّة»: والمازري من علماء الأشاعرة، وهو يصرح بذلك في مواضع من كتابه «المعلم بفوائد مسلم»[1]، فمراده بأهل السنة أصحابُه من الأشاعرة، والمذهب الذي صححه هو مذهب الأشاعرة، لا مذهب أهل السنة والجماعة، فلا يصح أخذ قوله على أنه مذهب أهل السنة والجماعة.

٢- قوله: «وهو أنّ الله سبحانه يخلق في قلب النّائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليَقظان ...» فيه إجمال؛ لأن تعريف الرؤيا بأنها اعتقادات مخلوقة ربما يراد به أنها خلقت ابتداءً من غير سبب، كما نسب ذلك ابن القيم - رحمه الله - إلى الأشاعرة الذين عبر عنهم بمنكري الأسباب والحِكَم، وقد سبق الرد على هذا القول.

ولأنه يدخل في هذا الإطلاق رؤيا الأنبياء وهي وحي، ولا يقال عن الوحي: إنه اعتقادات مخلوقة.[2]

ولأن هذا التعبير يشبه قول القائل: "الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟" فهو من الألفاظ المحدثة التي تحتمل معنىً حقًّا ومعنىً باطلاً، فيستفسر حينئذ عن مراده بها، فإن أراد معنىً حقًّا قبل، وإن أراد معنىً باطلاً ردّ، فماذا يريد المازري بقوله: «يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان»؟

ولأن هذا التعبير قد يوهم بأن الاعتقادات مخلوقة لله وليست مفعولة للعبد، وهذا مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة.

٣- قوله: «يخلق الرؤيَا والاعتقادات التي جَعَلها عَلَمًا على ما يسرّ بحضرة المَلَك أو بغير حضرة الشيطان، ويخلق ضِدّها مِمَّا هو عَلَم على ما يضرّ بحضرة الشيطان» هذا أمر غيبي يفتقر في إثباته إلى دليل صحيح صريح، يقول أبو العباس القرطبي في سياق الرد على من زعم ذلك: «يحتاج في ذلك إلى توقيف من الشرع؛ إذ يجوز أن يخلق الله تعالى تلك التمثيلات من غير مَلَك».[3]

---

[1] يقول محقق المعلم بفوائد مسلم محمد الشاذلي النيفر في سياق تعريفه بالمازري (١/ ١٠٩) : «المازري الأشعري: نجد المازري في شرحه للمعلم أشعريًّا يتقلد قول الأشعري، وقول أصحابه، ويذبّ عما رأوه من آراء، فهو خالص في أشعريته. وقد انتهج المنهج الذي سنه مقلَّده (بفتح اللام) وهو منهج أهل السنة والاستقامة. وانظر بعض أشعرياته في المواضع التالية من كتابه المعلم بفوائد مسلم من شرحه لكتاب الإيمان من صحيح مسلم: (١/ ٢٨٥ و ٢٨٩-٢٩٠ و ٢٩٤ و ٣٠٠ و ٣٠٨ و ٣١٠- ٣١٢ و ٣٣٥ و ٣٣٧ و ٣٣٩- ٣٤١ و ٣٤٧)».

[2] انظر: الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين للدكتور سهل بن رفاع العتيبي (ص: ٦٢).

[3] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٦/ ٧).

٣-تعريف ابن العربي[(١)]، قال: «إنها إدراكات يخلقها اللهُ في قلب العبد على يدي المَلَك أو الشيطان، إمّا بأمثالها، وإمَّا أمثالاً بكناها، وإمّا تخليطًا. ونظيرُ ذلك في اليقظةِ الخواطرُ، فإنّها تأتي على نَسَقٍ في قصدٍ، وتأتي مسترسلة غير محصّلة. فإذا خلق اللهُ ذلك في المنامِ على يدي المَلَكِ، كان وحيًا منظومًا، وبرهانًا مفهومًا».[(٢)]

وهذا قريب من تعريف المازري السابق، إلا أنه يرى أن التعبير بالإدراكات أولى من التعبير بالاعتقادات.[(٣)].

٤-«الرؤيا: إدراك أمثلة منضبطة في التخيل، جعلها الله إعلامًا على ما كان، أو يكون».[(٤)]

واختاره أبو العباس القرطبي رحمه الله، ثم بين بعض محترزات التعريف فقال: «وإنما قال: منضبطة التخيل؛ لأنَّ الرائي لا يرى في منامه إلا من نوع ما أدركه في اليقظة بحسِّه، غير أنه قد تركَّب المتخيَّلات في النوم تركيبًا يحصل من مجموعها صورة لم يوجد لها مثال في الخارج، تكون علمًا على أمر نادر؛ كمن يرى في نومه موجودًا رأسُه رأس الإنسان وجسدُه جسد الفرس مثلاً، وله جناحان، إلى غير ذلك مما يمكن من التركيبات التي لا يوجد مثلها في الوجود، وإن كانت آحادُ أجزائها في الوجود الخارجي. وإنَّما قال: جعلها الله إعلامًا على ما كان، أو يكون؛ لأنَّه يعني به: الرؤيا الصحيحة المنتظمة الواقعة على شروطها».[(٥)]

فهذا التعريف إنما يتحقق على الرؤيا الصادقة دون غيرها من أنواع الرؤيا.

٥-«الرؤيا: مشاهدة النفس صورًا خيالية موجودة في عالم المثال الذي هو برزخ بين عالم المجردات اللطيفة المسمى بعالم الملكوت، وبين عالم الموجودات العينية الكثيفة المسمى بعالم المُلْك»

---

(١) وعدَّه الدكتور عبد الرحمن المحمود من أشهر رجال الأشاعرة في رسالته العلمية: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٥٧٠).

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك (٧/ ٥٠١)، وعارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (٩/ ١٢٣- ١٢٤).

(٣) نقلًا عن ابن حجر في الفتح (١٢/ ٣٦٩). وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٦)، والقبس له (٣٣٣/٤).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٧- ٨).

(٥) المرجع السابق.

نسب الألوسي في تفسيره هذا التعريف إلى بعض أصحاب المكاشفات وأرباب المشاهدات من الحكماء المتألهين والصوفية المنكرين لارتسام الصور في الخيال.[1]

٦-«الرؤيا هي مطالعة النفس في الصور المنطبعة في الحس المشترك من أفق المتخيلة عند غفلتها وفراغها عن مطالعة المحسوسات في النوم أو الإغماء أو نحو ذلك».

وهذا التعريف لمحمد ثناء الله المظهري الصوفي[2]، وقد ذكر أنها ثلاثة أقسام: قسمان منها باطلان، والقسم الثالث منها رؤى صحيحة صالحة من حيث الأصل، لكنها قد تفسد بالعوارض ويقع فيها الخطأ بها، وقد يقع الخطأ في تأويلها. وأن القسمين الباطلين هما: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وأن الرؤيا الصحيحة هي إلهام وإعلام من الله تعالى لعبده على شيء مما في خزائن الغيب، أو على شيء من مكنونات صفاته وأحواله ودرجات القرب له من الله تعالى حتى تكون له بشارة. ثم قال: «وحقيقة تلك الرؤيا الصالحة عند الصوفية: أن العالَم الكبير شخص له نفس وروح وقوى على هيئة الإنسان، ولذلك يسمى إنسانًا كبيرًا، ولمشابهته يسمى الإنسانُ عالَمًا صغيرًا، فكما أن في العالم الصغير - أعني الإنسان - قوة متخيلة؛ فكذلك في العالم الكبير متخيلة، يتخيل بها المحسوسات والمعقولات والأعراض والجواهر والمجردات والمعاني، فصور الأشياء كلها - حتى الواجب تعالى وصفاته - والممكنات بأسرها، المجردات منها والماديات، وما لا صورة لها في الخارج كالموت والحياة والأيام والسنين والأمراض موجودة في تلك المتخيلة، بإيجاد الله تعالى، ... وتلك المتخيلة من العالم الكبير تسمى في اصطلاح الصوفية بعالم المثال، ثم تلك الصورة تنطبع - لأجل المناسبة والمحاذات من متخيلة العالم الكبير - في متخيلة العالم الصغير - أي الإنسان - وتراه النفس حين فراغها عن مطالعة المحسوسات».[3]

وهذا التعريف والذي قبله من خرافات الصوفية وتأثُّرِهم بأقوال الفلاسفة الحكماء، وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - في معرض حديثه عن اضطراب الناس في حقيقة الرؤيا قولاً

---

[1] روح المعاني (١٠/ ١٢).

[2] هو القاضي مولوي محمد ثناء الله الهندي الباني بتي النقشبندى الحنفي العثماني المظهري، من تلامذة الشاه ولي الله الدهلوي، وكان الشاه عبد العزيز يسميه «بيهقي العصر»، ألف كتبًا كثيرة في التفسير والفقه وغيرها، منها «تفسير المظهري»، و«ما لا بد منه» في الفقه الحنفي، توفي سنة ١٢٢٥هـ. انظر ترجمته في نزهة الخواطر للحسني (٧/ ٩٤٢).

[3] التفسير المظهري لمحمد ثناء الله (٥/ ٧- ٩).

شبيهًا بهذه الأقوال ثم ردّه من دون أن ينسبه لأحد، فقال: «فمن قائل: إن العلوم كلها كامنة في النفس، وإنما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها، فإذا تجردت بالنوم رأت منها بحسب استعدادها، ولما كان تجردها بالموت أكمل كانت علومها ومعارفها هناك أكمل. وهذا فيه حق وباطل، فلا يُرَدُّ كلُّه، ولا يُقبل كلُّه، فإنّ تجرُّدَ النفس يُطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد، لكن لو تجردت كلَّ التجرد لم تَطَّلِع على علم الله الذي بعث به رسوله، وعلى تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والأمم الخالية، وتفاصيل المعاد، وأشراط الساعة، وتفاصيل الأمر والنهي، والأسماء والصفات والأفعال، وغير ذلك مما لا يعلم إلا بالوحي، ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك، وتلقيه من معدنه أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنغمسة في الشواغل البدنية».[1]

٧- «المنامات: أوهام وتخيلات جعلها الله دليلاً على ما كان أو يكون».

وهذا التعريف لبدر الدين ابن جماعة[2]، وقد شرحه بقوله: «والتخيلات والأوهام ليست حقائق في نفسها، كما يرى الإنسان أنه طار في الهواء ومشى على الماء، أو أنه في مكة أو الهند وشبه ذلك؛ فإن ذلك ليس حقيقة قطعًا، فإن قيل: رؤيا الأنبياء حق، قلنا: نعم هي حق، ومعناه: أنها حق في مقاصدها وتأويلاتها، لا في صورها في نفسها مطلقًا في جميعها، فإن رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - السوارين من الذهب في يديه الكريمتين، ونفخه لهما بفيه، وطيرانهما؛ لم يكن سوارا الذهب في يديه حقيقة، ولا النفخ بفيه المكرم حقيقة، وإنما كان الحق والحقيقة في تأويل ذلك، ولذلك كان كذلك الرؤيا نوع من الوهم والخيال، وذلك لا ينفك عن صورة مخيلة، ولذلك ذكره المعبرون في تصانيفهم».[3]

---

[1] الروح لابن القيم (١/ ٢٣٤).

[2] هو أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعيّ، عالم بالحديث وسائر علوم الدين. ولد في حماة سنة ٦٣٩هـ. ولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، كل هذا مع الرياسة والديانة والصيانة والورع، وكف الأذى، وله التصانيف الفائقة النافعة، توفي بمصر سنة ٧٣٣هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ١٨٨)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٩٧).

[3] إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة (ص: ٢٠٤- ٢٠٥).

٨- «الرؤيا: أمثال مضروبة، يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا؛ ليستدل الرائي بما ضُرب له من المثل على نظيره، ويعبر منه إلى شبهه».[١]

وهذا التعريف لابن القيم رحمه الله، وهو تعريف جيد، ولكنه لا يشمل جميع الرؤى، إذ ليس كل رؤيا من هذا القبيل، ولا يدخل فيه إلا النوع الأول من الرؤى، وهو الرؤيا الصالحة، بل بعض أفراد النوع الأول لا كلها، وقد نبّه على هذا ابن القيم نفسه في كتاب الروح، حيث قال في سياق استعراض اضطراب الناس في حقيقة الرؤيا:

«ومِن قائل: إن الرؤيا أمثالٌ مضروبةٌ يضربها الله للعبد - بحسب استعداده وإلفه - على يد مَلَك الرؤيا، فمرة يكون مثلاً مضروبًا، ومرة يكون نفس ما رآه الرائي فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه». ثم قال: «وهذا أقرب من القولين قبله، ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه، بل لها أسباب أُخَر - كما تقدَّم - من: ملاقاة الأرواح وإخبار بعضها بعضًا، ومن إلقاء المَلَك الذي في القلب والروع، ومن رؤية الروح للأشياء مكافحة بلا واسطة».[٢]

والتعريف الجامع لأنواع الرؤيا هو أن يقال: الرؤيا: ما يراه النائم في منامه، وهي إما رؤيا حق من الله - عز وجل - فهي أمثال مضروبة[٣]، يضربها الله تعالى للعبد؛ بشارةً أو نذارةً أو إعلامًا، وإما رؤيا باطلة فهي أضغاث أحلام من تهويل الشيطان وتحزينه وتمثيله لابن آدم، وإما حديث نفس وهو ما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في المنام.

وهذا التعريف سالم من جميع الاعتراضات على التعريفات السابقة، لأن تلك التعريفات ركزت على نوع من أنواع الرؤيا، وأهملت باقي الأنواع، وقد دلت السنة النبوية على هذا التعريف، ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا: «والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه».[٤] وفي لفظ: «الرؤيا ثلاث: فرؤيا حق ...».[٥]

---

[١] إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ١٩٥).

[٢] الروح لابن القيم (١/ ٢٣٤- ٢٣٥).

[٣] انظر: منهاج السنة النبوية (٣٧٨/٥)، ومجموع الفتاوى (٦٣٦/١١، ٦٣٧)، وبيان تلبيس الجهمية (٧٢/١) وكلها لابن تيمية رحمه الله، وإعلام الموقعين (١/ ١٩٥)، وكتاب الروح (١/ ٢٣٤- ٢٣٥) وهما لابن القيم رحمه الله.

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا (٤/ ١٧٧٣ رقم: ٢٢٦٣).

[٥] أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٣٧ رقم: ٢٢٨٠)، والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٣٤ رقم: ١٠٦٨٠) وإسناده صحيح.

وفي حديث عوف بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».[1]

والقول بأن للرؤيا مَلَكًا موكلاً بها مشهور لدى كثير من العلماء، لكني لم أقف على دليل صحيح صريح يدل على ذلك، وقد أشار إلى نحو هذا الإمامُ القرطبي شارح صحيح مسلم، فإنه لما ذكر قول من قال: إنّ لله تعالى ملكًا موكلاً يعرض المرئيَّات على المحل المدرك من النائم؛ قال: «ويحتاج في ذلك إلى توقيف من الشرع؛ إذ يجوز أن يخلق الله تعالى تلك التمثيلات من غير مَلَك».[2]

ولكن قد يُستأنس في ذلك ببعض الأحاديث التي فيها ذكرٌ لعمل الملَك في بعض الرؤى النبوية[3]، مثل:

- حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُريتُكِ قبل أن أتزوجكِ مرتين، رأيتُ الملَكَ يحملكِ في سرقة من حرير، فقلت له: اكشف. فكشف فإذا هي أنتِ، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضه. ثم أُريتُكِ يحملكِ في سرقة من حرير، فقلت: اكشف. فكشف فإذا هي أنت، فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه».[4]
- وحديثها – رضي الله عنها – في قصة سحر النبي – صلى الله عليه وسلم – قالت: لبث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي، فأتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: فيم؟ قال: في مشط

---

[1] أخرجه ابن ماجه في سننه (٥/ ٦٣ رقم: ٣٩٠٧) وصححه الأرنؤوط، وصححه كذلك الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٤٨٧ رقم: ١٨٧٠).

[2] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٧- ٨).

[3] وانظر: آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني (٤/ ٣٣٣).

[4] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير باب ثياب الحرير في المنام (٦/ ٢٥٧٣ رقم: ٦٦١٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة (٤/ ١٨٨٩ رقم: ٢٤٣٨).

ومشاطة، في جف طلعة ذكر، في بئر ذروان تحت رعوفة. فاستيقظ النبي – صلى الله عليه وسلم – من نومه فقال: «أي عائشة ألم تري أن الله أفتاني فيم استفتيته».[1]

- وحديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا؟». قال فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق. وإني انطلقت معهما ...».[2]
- حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: جاءت ملائكة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أوِّلوها له يفقهها. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أطاع محمدًا – صلى الله عليه وسلم – فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا – صلى الله عليه وسلم – فقد عصى الله، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – فرق بين الناس.[3]

---

[1] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب السحر (٥/٢١٧٤ رقم: ٥٤٣٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام باب السحر (٧/ ١٤ رقم: ٥٨٣٢). وهذا اللفظ للإمام أحمد في مسنده (٤٠/ ٤٠٥ رقم: ٢٤٣٤٧) وإسناده صحيح.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١/ ٤٦٥ رقم: ١٣٢٠) وكتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٦/ ٢٥٨٣ رقم: ٦٦٤٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (٧/ ٥٨ رقم: ٦٠٧٦).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦/ ٢٦٥٥ رقم: ٦٨٥٢).

◄ المطلب الثاني: تعريف التعابير لغة واصطلاحًا.

أولاً : تعريف التعابير لغة:

التعابير: جمع: تعبير، كالتعاليم جمع تعليم. والتعبير مصدر: عَبَّرَ – بتشديد الباء – يُعبِّرُ فهو مُعَبِّرٌ.

والتعبير: تفسير الرؤيا والإخبار عما تؤول إليه، وسمي تعبيرًا لأنه عبورٌ وانتقالٌ بالرؤيا من حال إلى حال؛ من حال النوم إلى اليقظة، أو من ظاهر الرؤيا إلى باطنها. وأصله من (عَبَرَ) التي تفيد النفوذ والمضيَّ في الشيء ومجاوزته.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «عَبَّر يُعَبِّر الرؤيا تَعبيرًا، وعَبَرَها يَعْبُرُها عَبْراً وعِبارةً: إذا فسّرها. وعَبَرْت النهر عُبورًا، وعِبْرُ النّهر: شطّه، وناقةٌ عُبْرُ أسفارٍ أي: لا تزال يُسافَرُ عليها ... والمِعْبَرُ: شطّ النّهر الذي هيّئ للعبور، والمِعْبَرُ: مركب يعبر بك، أي: يقطع بلداً إلى بلَدٍ ... وعَبَّرتُ عنه تعبيراً إذا عيّ من حُجّته فتكلّمتُ بها عنه ... ورجلٌ عابِرُ سبيلٍ أي مارُّ طريق».[1]

وقال ابن فارس: «(عَبَرَ) العين والباء والراء أصلٌ صحيح واحدٌ يدلُّ على النفوذ والمضيِّ في الشيء».[2]

وقال: «ومن الباب: عَبَرَ الرُّؤْيا يعبرها عَبْرًا وعِبارة، ويُعبِّرُها تعبيرًا، إذا فسَّرَها. ووجه القياس في هذا عُبُور النَّهْر؛ لأنه يصير من عَبْر إلى عَبْر. كذلك مفسّر الرُّؤيا يأخُذُ بها من وجهٍ إلى وجهٍ، كأن يُسأل عن الماء، فيقول: حياة. ألا تراه قد عَبَرَ في هذا من شيءٍ إلى شيء».[3]

وفي القاموس المحيط[4]: «عبَرَ الرُّؤيا عَبْراً وعِبارةً وعَبَّرَها: فَسَّرَها وأخْبَرَ بآخِرِ ما يَؤُولُ إليه أمْرُها. واسْتَعْبَرَه إيَّاها: سَألَه عَبْرَها».

---

[1] كتاب العين (٢/ ١٢٩)

[2] معجم مقاييس اللغة (ص: ٧٠٢).

[3] المرجع السابق (ص: ٧٠٣).

[4] (ص: ٤٣٤).

وقال الزمخشري في تفسيره: «وحقيقة "عبرت الرؤيا" ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرت النهر، إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره. ونحوه: أَوَّلتُ الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها. و"عَبَرْتُ الرؤيا" بالتخفيف؛ هو الذي اعتمده الأثبات، ورأيتهم ينكرون "عبَّرت" بالتشديد، والتعبيرَ والمعبِّرَ. وقد عثرتُ على بيت أنشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الأعراب:

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا ... وَكُنْتُ للأَحْلاَمِ عَبَّارَا ».[١]

ثانيًا : تعريف التعابير اصطلاحًا:

تعريف التعبير اصطلاحًا لا يختلف كثيرًا عن تعريفه لغة، بل اكتفى كثير من المصنفين بتعريفه اللغوي عن تعريفه اصطلاحًا.

قال البيضاوي – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: {إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣]:

«إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا، وهي: الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها، من العبور وهي المجاوزة».[٢]

وعرفه الكرماني بقوله: «التفسير والإخبار بآخر ما يؤول إليه أمر الرؤيا».[٣]

وقال الحافظ في الفتح: «والتعبير خاص بتفسير الرؤيا، وهو العبور من ظاهرها إلى باطنها، وقيل: النظر في الشيء فيعتبر بعضه ببعض حتى يحصل على فهمه، حكاه الأزهري، وبالأول جزم الراغب».[٤]

---

[١] الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٤٧).

[٢] تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) (ص: -٢٩٠).

[٣] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٩٤).

[٤] (١٢/ ٣٥٢).

المبحث الثاني

عناية الإسلام والمسلمين بالرؤى والتعابير

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عناية الكتاب العزيز بالرؤى والتعابير.

المطلب الثاني: عناية السنة النبوية بالرؤى والتعابير.

المطلب الثالث: عناية علماء سلف الأمة وأئمتها بالرؤى والتعابير.

المبحث الثاني

عناية الإسلام والمسلمين بالرؤى والتعابير.

◄ المطلب الأول: عناية الكتاب العزيز بالرؤى والتعابير.

إن المتدبر لكتاب الله العزيز يجد فيه عناية بالرؤى والتعابير، وقد ظهرت هذه العناية بالرؤى والتعابير في كتاب الله – عز وجل – في صور متعددة، ألخصها في النقاط التالية:

١– إثبات الرؤى وأنها حقيقة لها تعبير وتأويل، وأن منها ما هو حق وصدق، وما هو أضغاث أحلام، فقد ذكر القرآن الكريم رؤيا إبراهيم في ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام، وأثنى عليه بأنه صدّق الرؤيا بعزمه على ذبح ابنه، قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: ١٠٢– ١٠٥].

وأخبر عن رؤيا يوسف – عليه السلام – وأنه قال لأبيه: {يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: ٤]، ثم أخبر عن تحقق تأويل رؤياه فقال: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} [يوسف: ١٠٠].

وأخبر عن رؤيا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل صلح الحديبية، ووصفها بقوله: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ} [الفتح: ٢٧].

وأخبر عن رؤيا ملك مصر وأنه طلب تعبيرها لدى الملأ من قومه وقال: {يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣]، فلما عجزوا عن تعبيرها وقالوا: {أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ} [يوسف: ٤٤]؛ عبرها له يوسف عليه السلام، وفي ذلك دلالة على أنه لا يصلح كلُّ أحدٍ لتعبير الرؤيا. [١]

وقد سمى الله تعالى تأويل الرؤيا علمًا فقال: {وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ} [يوسف: ٢١] والعلم له حقيقة.

---

[١] الجملة الأخيرة من إفادة شيخي الفاضل الدكتور عثمان بن علي حسن حفظه الله.

وهذا كله يدل على أن الرؤيا حقيقة ولها تفسير وتأويل.

٢- منَّة الله تعالى على نبيه يوسف – عليه السلام – بتعليمه تأويل الرؤى، قال تعالى على لسان يعقوب – عليه السلام – مخاطبًا ابنه يوسف عليه السلام: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف: ٦].

وقال – جل ذكره – ممتنًّا على نبيه يوسف عليه السلام: {وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ} [يوسف: ٢١].

وقال – عز وجل – على لسان نبيه يوسف – عليه السلام – مخاطبًا ربه معترفًا بنعمه عليه: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: ١٠١].

وتأويل الأحاديث: علم ما يؤول إليه أحاديثُ الناس، عما يرونه في منامهم، وذلك تعبير الرؤيا.[١]

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وقد أثنى الله – عز وجل – على يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما، وعدد عليه فيما عدد من النعم التي آتاه: التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث، وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا، وكان يوسف – عليه السلام – أعلم الناس بتأويلها».[٢]

٣- الرؤيا بشرى من الله – جل وعلا – لعباده المؤمنين في الحياة الدنيا، قال تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيواةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: ٦٢- ٦٤].

عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن قوله تبارك وتعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيواةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ} قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له».[٣]

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٥٦٠).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (١/ ٣١٣- ٣١٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٣٤ رقم: ٢٢٧٥) وقال: هذا حديث حسن. وابن ماجه في سننه (٥/ ٥٨ رقم: ٣٨٩٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٩١ رقم: ١٧٨٦)، والأرنؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه في الموضع السابق، وفي تحقيق مسند أحمد (٣٧/ ٣٦١ رقم: ٢٢٦٨٧).

وروى هذا التفسيرَ عن النبي صلى الله عليه وسلم - فيما وقفت عليه - بالإضافة إلى عبادة بن الصامت كل من: أبي الدرداء[1]، وعمرو بن العاص[2]، وأبي هريرة[3]، وجابر بن عبد الله بن رئاب السلمي[4]، ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[5] رضي الله عنهم.

وقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة».[6]

وقال عليه الصلاة والسلام: «والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله ...».[7]

٤- رؤيا الأنبياء وحي واجب الامتثال، هذا ما تدل عليه رؤيا إبراهيم - عليه السلام - حيث أقدم على ذبح ابنه بناءً على رؤياه، واعتبر ما رآه في المنام أمرًا من الله - عز وجل - يجب امتثاله، وكذلك فهم ابنه إسماعيل - عليه السلام - حيث قال: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ} [الصافات: ١٠٢].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٣٤ رقم: ٢٢٧٣) و (٥/ ٢٨٦ رقم: ٣١٠٦) وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٩١ رقم: ١٧٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١١/ ٦٢١ رقم: ٧٠٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٨٩ رقم: ٤٧٦٤) وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٣) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (١/ ٣١٠ برقم: ٥٤٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٣١ رقم: ١٧٧٢٨)، وأبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان (١/ ٢٤٦). ولفظه عند ابن جرير وأبي نعيم: «(لهم البشرى في الحياة الدنيا) قال: الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له، وهي في الآخرة: الجنة». وإسناد ابن جرير وأبي نعيم حسن فيما يظهر لي، فإن رواته كلهم ثقات عدا عمار بن محمد، وهو ابن أخت سفيان الثوري، فقال عنه الحافظ في التقريب (٢/ ٥٥ رقم: ٥٤٢٤): صدوق يخطئ. وقال الشيخ أحمد شاكر في إسناد ابن جرير: وإسناد هذا الخبر إسناد صالح.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٤/ ١٨٩ رقم: ٤٧٦٤)، وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب كما في التقريب (٢/ ١٧٣ رقم: ٦٦٢٤).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٣٧ رقم: ١٧٧٤٢) وفي إسناده الحسين بن داود المصيصي الملقب بسُنَيد، قال فيه الحافظ في التقريب (١/ ٣٢٢ رقم: ٢٩٢٥): ضعيف مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يلقِّن حجاجَ بن محمد شيخَه. قلت: ومع ذلك صححه أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري، فقال في الموضع السابق منه: «وهذا الخبر رواه نافع عن صحابي لم يصرح باسمه، لعله أبو هريرة، وجهالة الصحابي لا تضر، فهو حديث صحيح إن شاء الله».

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير باب المبشرات (٦/ ٢٥٧٤ رقم: ٦٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه مسلم، وقد تقدم تخريجه (ص: ٣٤).

٥- ذكر الله – جل جلاله – في القرآن الكريم ستَّ رؤى، أربعٌ منها لأنبيائه وهي:

١- رؤيا إبراهيم – عليه السلام – في سورة الصافات [٩٩- ١١٣].

٢- رؤيا يوسف – عليه السلام – في سورة يوسف [٤- ٦ و ٩٩- ١٠١].

٣- رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – في غزوة بدر في سورة الأنفال [٤٣- ٤٤].

٤- رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – عام الحديبية في سورة الفتح [٢٧].

واثنتان لغيرهم، وهما :

١- رؤيا صاحبي يوسف في السجن في سورة يوسف [٣٦- ٤٢].

٢- رؤيا ملك مصر في سورة يوسف [٤٣- ٤٩].

وكلها رؤى صادقة، وقعت كما عبّرت، وذِكْرُ هذه الرؤى بهذه الطريقة دليلٌ على عناية الكتاب العزيز بالرؤى والتعابير.

٦- جعل الله – عز وجل – تعبير الرؤيا من الفتوى التي لا يجوز الإقدام عليها إلا عن علم ومعرفة، قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – في سياق ذكر فوائد سورة يوسف: «ومنها: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأنَّ تعبير المرائي داخلٌ في الفتوى؛ لقوله للفتيينِ: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف: ٤١]، وقال الملك {أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ} [يوسف: ٤٣]، وقال الفتى ليوسف: {أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ} [يوسف: ٤٦] الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير عِلم».[١]

٧- اشتمل القرآن الكريم على أصول وقواعد تعبير الرؤيا، وعلى بعض أحكامها. فقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – جملة من الأمثال التي ضربها الله في القرآن الكريم، ثم قال: «وبالجملة فما تقدم من أمثال القرآن كلها أصول وقواعد لعلم التعبير لمن أحسن الاستدلال بها، وكذلك من فهم القرآن فإنه يعبر به الرؤيا أحسن تعبير، وأصول التعبير الصحيحة إنما أخذت من مشكاة القرآن».[٢]

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – في سياق ذكر فوائد قصة يوسف عليه السلام: «ومنها: أن فيها أصلاً لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم

---

[١] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤١٠).

[٢] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ١٩٣).

المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبنى عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة».[1]

وللشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – كلام نفيس في تفسير قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: ٨٩] بيَّنَ فيه شمولية بيان القرآن الكريم لكل شيء، وقال: «وعلى كل حال فلا شك أن القرآن فيه بيان كل شيء، والسنة كلها تدخل في آية واحدة منه، وهي قوله تعالى: {وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} [الحشر: ٧]».[2] ثم أخذ ينقل عن الإمام السيوطي في «الإكليل في استنباط التنزيل» أقوال العلماء في هذا الباب، إلى أن قال:

«وقال المرسي[3]: جمعَ القرآنُ علومَ الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علمًا حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خلا ما استأثر الله به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم؛ مثل الخلفاء الأربعة، ومثل ابن مسعود، وابن عباس حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله. ثم ورث عنهم التابعون لهم بإحسان، ثم تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه؛ فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه».

ثم أخذ المرسي يبين استنباط أصحاب كل فنٍّ من القرآن ما يخدم فنَّه، إلى أن قال:

«واستنبط قومٌ مما فيه من أصول التعبير، مثل ما ورد في قصة يوسف: من البقرات السمان، وفي منامي صاحبي السجن، وفي رؤية الشمس والقمر والنجوم ساجدات، وسموه: تعبير الرؤيا، واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب، فإن عزَّ عليهم إخراجها

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص: ٤١٠).

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٥٢) وانظر الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي (ص: ١٣).

[3] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي الفضل السّلمي الأندلسي المحدّث المفسّر النّحويّ، ولد سنة ٥٧٠هـ، وسمع «الموطأ» من أبي محمد ابن عبيد الله الحجريّ، ورحل إلى أن وصل إلى أقصى خراسان. وسمع الكثير من منصور الفراوي، وأبي روح الهرويّ، والكبار، وكان كثير الأسفار والتطواف، جمّاعة لفنون العلم، ذكيًّا، ثاقب الذهن. له تصانيف كثيرة، مع زهد، وورع، وفقر، وتعفف. سئل عنه الحافظ الضياء فقال: فقيه، مناظر، نحويّ، من أهل السّنّة. صحبنا وما رأينا منه إلا خيرًا. توفي سنة ٦٥٥هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/ ٣١٢)، شذرات الذهب لابن العماد (٧/ ٤٦٦).

منه، فمن السنة التي هي شارحة الكتاب، فإن عسر فمن الحِكَم والأمثال، ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم، وعُرْفِ عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} [الأعراف: ١٩٩]».[١]

[١] المرجع السابق (٣/ ٢٥٥).

◄ المطلب الثاني: عناية السنة النبوية بالرؤى والتعابير.

من تأمَّلَ السنة النبوية واطلع على ما ورد فيها من النصوص الكثيرة التي تناولت مسائل الرؤى والتعابير؛ يدرك العناية العظيمة التي أولتها السنة النبوية لهذا الباب، وهذه العناية تتجلى في الصور التالية:

١- جاءت السنة النبوية بإثبات حقيقة الرؤيا، وبيان أقسامها بيانًا دقيقًا، فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه ...».[١]

وأخرج ابن ماجه من حديث عوف بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».[٢]

٢- جاءت السنة النبوية ببيان منزلة الرؤيا الصالحة، فبينتْ أنها من الله كما سبق في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأنها أول ما بدئ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الوحي كما في حديث عائشة – رضي الله عنها – في الصحيحين وغيرهما[٣]، وأنها من مبشرات النبوة كما في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – عند مسلم أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ... ».[٤]، وأنها من أجزاء النبوة كما في حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عند البخاري أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: «الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».[٥]

---

[١] أخرجه مسلم، وقد تقدم تخريجه (ص: ٣٤).

[٢] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٥).

[٣] انظر: صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ٤ رقم: ٣)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ١٣٩ رقم: ١٦٠).

[٤] صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (١/ ٣٤٨ رقم: ٤٧٩).

[٥] صحيح البخاري: كتاب التعبير باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة (٦/ ٢٥٦٤ رقم: ٦٥٨٨).

٣- جاءت السنة النبوية ببيان الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها المرء إذا رأى ما يحب أو إذا رأى ما يكره، فمن ذلك حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرها، ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره».[١]

وحديث أبي قتادة - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثًا، ولا يحدث بها أحدًا؛ فإنها لن تضره».[٢]

وحديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه».[٣]

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وفيه: «فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس».[٤]

٤- جاءت السنة النبوية بتحريم الكذب في الرؤيا، والتحلّم كذبًا، ووعَّد عليه الوعيد الشديد، و مما ورد في ذلك:

حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من تحلَّمَ بحُلمٍ لم يره كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل».[٥]

وفي لفظ عند الإمام أحمد: «ومن تحلَّم عُذِّب يوم القيامة حتى يعقد شعيرتين، وليس عاقدًا».[٦]

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله (٦/ ٢٥٦٣ رقم: ٦٥٨٤).

[٢] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ١٥).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب (١) (٤/ ١٧٧٢ رقم: ٢٢٦٢).

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب (١) (٧/ ١٧٧٣ رقم: ٢٢٦٣).

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه (٦/ ٢٥٨١ رقم: ٦٦٣٥).

[٦] أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٥٩ رقم: ١٨٦٦) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط البخاري.

وحديث ابن عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن من أَفْرَى الفِرَى[1] أن يُرِيَ عينه ما لم تر».[2]

٥- جاءت السنة النبوية ببيان خطورة تعبير الرؤيا، وعدم طلبه إلا ممن هو أهل لذلك، وبيان متى يطلب تعبير الرؤيا ومتى لا يطلب، ومما ورد في ذلك:

حديث أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرؤيا تقع على ما تُعبَّر، ومَثَلُ ذلك مَثَلُ رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها، فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدِّث بها إلا ناصحًا أو عالـمًا».[3]

وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: وكان يقول (أي النبي صلى الله عليه وسلم): «لا تُقَصُّ الرؤيا إلا على عالم أو ناصح».[4]

وحديث أبي رَزِينٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الرُّؤيا على رِجْلِ طَائِرٍ، ما لم تُعْبرَ، فإذا عُبِرَتْ وقَعَت». قال: وأحسِبُه قال: «ولا تَقُصَّها إلا على وادٍّ أو ذِي رأيٍ».[5]

وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأى أحدكم الرؤيا تعجبه فليذكرها وليفسرها، وإذا رأى أحدكم الرؤيا تسوؤه فلا يذكرها ولا يفسرها».[6]

---

[1] **الفِرَى**: جمع فِرْيَة، وهي الكَذْبة، وأفرى: أفعل منه للتفضيل: أي من أكذب الكذبات أن يقول: رأيت في النوم كذا وكذا ولم يكن رأى شيئًا، لأنه كذب على الله، فإنه هو الذي يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٤٤٣).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه (٦/ ٢٥٨٢ رقم: ٦٦٣٦).

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك (٥/ ٥٥٧ رقم: ٨٢٣٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٨٦ رقم: ١٢٠) وفي صحيح الجامع (١/ ٣٣٣ رقم: ١٦١٢).

[4] أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٣٧ رقم: ٢٢٨٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٨٦ رقم: ١١٩) وفي صحيح الجامع (٢/ ١٢٣٣ رقم: ٧٣٩٦).

[5] أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٧/٧- ٣٦٨ رقم: ٥٠٢٠)، والترمذي في سننه: (٤/ ٥٣٦ رقم: ٢٢٧٨ و٢٢٧٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في سننه (٥/ ٦٧ رقم: ٣٩١٤). وحسن الحديث الإمام البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٢١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦٣ رقم: ٣٥٣٥) وانظر: السلسلة الصحيحة (١/ ١٨٦ رقم: ١٢٠)، وحسنه الأرنؤوط في الموضع المشار إليه من سنن أبي داود

[6] أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٢٨٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٢٨) وقال: «وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم».

٦- ومن صور عناية النبي – صلى الله عليه وسلم – بالرؤيا وتعبيرها: كثرة سؤاله أصحابَه عن رؤاهم وتفسيرها لهم، ليتعلموا أصول تعبيرها، وكيفية الكلام في تأويلها، ولكونه – صلى الله عليه وسلم – أولى من يفسرها لهم، فهو العالم الناصح الوادّ ذو الرأي، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم. ومما ورد في ذلك:

حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا». قال: فإن رأى أحدٌ قصها، فيقول ما شاء الله.[1]

وفي لفظ: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحدٌ منكم من رؤيا». قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص.[2]

وحديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان مما يقول لأصحابه: «من رأى منكم رؤيا فليقصَّها أعْبُرْها له».[3]

٧- ومن صور اهتمامه – صلى الله عليه وسلم – بالرؤى وتعابيرها أنه كان يسمح لأصحابه بتعبير الرؤى بين يديه، فيبين ما أصابوا فيه من ذلك وما أخطؤوا؛ تدريبًا لهم على تعلم هذا العلم الشريف، ومما ورد في ذلك:

حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رجلًا أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله! إني أرى الليلة في المنام ظُلَّةً تَنطِفُ السَّمْنَ والعسل، فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، وأرى سببًا واصلًا من السماء إلى الأرض، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل من بعدك فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به ثم وصل له فعلا.

قال أبو بكر: يا رسول الله – بأبي أنت — والله لتَدَعَنِّي فلأَعْبُرَنَّها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعبرها».

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين (١/ ٤٦٥ رقم: ١٣٢٠).

[2] متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص: ٣٦).

[3] أخرجه: مسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب تأويل الرؤيا (٧/ ٥٦ رقم: ٦٠٦٩).

قال أبو بكر: أما الظُّلَّة فظلة الإسلام، وأما الذي يَنطِفُ من السمن والعسل فالقرآن حلاوته ولينه، وأما ما يتكفف الناسُ من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيُعليك الله به، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به. فأخبرني يا رسول الله – بأبي أنت – أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا».

قال: فوالله يا رسول الله! لتُحَدِّثَنِّي ما الذي أخطأتُ. قال: «لا تقسم».[1]

٨– ومن صور عنايته – صلى الله عليه وسلم – بالرؤى والتعابير؛ حكايته لكثير من مرائيه على أصحابه – رضي الله عنهم – وتعبيرها لهم؛ ليتعلموا من خلال ذلك أصول التعبير، وليتعظوا بما فيها من مواعظ.

وتأتي أمثلتها في القسم الأول من الفصل الثالث من فصول هذه الرسالة.

٩– ومن صور عنايته – صلى الله عليه وسلم – بالرؤى والتعابير؛ تنبيهه على معاني بعض ما يرى في المنام، وقد تفنَّنَ الإمام البخاري – رحمه الله – في استخراج هذه المعاني في تبويباته في كتاب التعبير من صحيحه، ومن أمثلته:

- باب اللبن، وباب إذا جرى اللبن في أطرافه أو أظافيره، وأورد فيهما حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: «بينا أنا نائم أُتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من أطرافي، فأعطيت فضلي عمر بن الخطاب». فقال من حوله: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم».[2]
- باب القميص في المنام، وباب جر القميص في المنام، وأورد فيهما حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قمص، منها ما يبلغ

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب (٦/ ٢٥٨٢ رقم: ٦٦٣٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب تأويل الرؤيا (٧/ ٥٥ رقم: ٦٠٦٦) واللفظ له.

[2] (٦/ ٢٥٧١ رقم: ٦٦٠٤ و ٦٦٠٥).

الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومرَّ عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره». قالوا: ما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدين».[1]

- باب كشف المرأة في المنام، وباب ثياب الحرير في المنام، وأورد فيهما حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُرِيتُكِ قبل أن أتزوجك مرتين، رأيت الملَكَ يحملكِ في سرقة من حرير، فقلتُ له: اكشف. فكشف فإذا هي أنتِ، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضه. ثم أُرِيتُكِ يحملكِ في سرقة من حرير، فقلت: اكشف. فكشف فإذا هي أنتِ، فقلتُ: إن يك هذا من عند الله يمضه».[2]

وانظر بقية الأمثلة هناك.

١٠- ومما يدل على عناية السنة النبوية بالرؤى والتعابير كثرة الأحاديث الواردة فيها، وتضمين أئمة الحديث مصنفاتهم كتبًا وأبوابًا في الرؤى والتعابير، وسيأتي بيان ذلك في المطلب التالي إن شاء الله.

---

(1) (٦/ ٢٥٧١- ٢٥٧٢ رقم: ٦٦٠٦ و ٦٦٠٧).

(2) (٦/ ٢٥٧٢- ٢٥٧٣ رقم: ٦٦٠٩ و ٦٦١٠).

◄ المطلب الثالث: عناية علماء سلف الأمة وأئمتها بالرؤى والتعابير.

عناية علماء المسلمين سلفًا وخلفًا بهذا الباب من أبواب العلم عظيمة، واهتمامهم به وتبيان مكانته ومناقشة مسائله؛ أمرٌ معروف ومشهود.

فما بذله علماء المسلمين – سواء علماء الحديث أو التفسير أو الأصول أو علماء التعبير وغيرهم – من ذكر أصول هذا العلم وقواعده، والحثِّ على تعلُّمه وتعليمه في مصنفاتهم، ومناقشة مسائله في شروح الكتاب والسنة، وأبواب العقيدة والأصول والآداب، وتأليف المصنَّفات المستقلَّة، وصَوْغ المتون نثرًا ونظمًا في هذا الشأن؛ لمن أكبر الأدلة على هذه العناية والاهتمام.

واتخذت هذه العناية والاهتمام أساليب شتى، وأشكالًا متعددة، أحاول تلخيصها في النقاط التالية:

١- بيانهم منزلة هذا العلم، وحثهم على تعلمه، وتنبيههم على خطورته ودقة التعامل به، وتحذيرهم من التعبير بلا علم.

من ذلك ما نقله ابن عبد البر عن الإمام مالك (١٧٩هـ) رحمهما الله أنه قيل له: أيعبر الرؤيا كلُّ أحد؟ فقال: أبالنبوة يلعب؟!

وقال رحمه الله: لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها، فإن رأى خيرًا أخبر به، وإن رأى مكروهًا فليقل خيرًا أو ليصمت.

قيل: فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول من قال إنها على ما أُوِّلت عليه؟ فقال: لا، ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة.[١]

وقال ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) : «وليس فيما يتعاطى الناس من فنون العلم، ويتمارسون من صنوف الحِكَم، شيءٌ هو أغمضُ وألطف، وأجلُّ وأشرف، وأصعبُ مِرارًا، وأشدُّ إشكالًا؛ من الرؤيا، لأنها جنسٌ من الوحي، وضرْبٌ من النبوة».[٢]

وقال ابن عبد البر المالكي رحمه الله (٤٦٣هـ): «وهذا الحديث (يريد حديث: هل رأى أحدٌ منكم الليلة رؤيا) يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم – إنما كان يسأل عنها لتُقَصَّ عليه ويعبرها ليعلم أصحابه كيف الكلام في

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (١/ ٢٨٨).

(٢) تعبير الرؤيا لابن قتيبة الدينوري (ص: ٢٥).

تأويلها، وقد أثنى الله – عز وجل – على يوسف بن يعقوب – صلى الله عليهما – وعدَّد عليه فيما عدَّد من النعم التي آتاه: التمكين في الأرض وتعليم تأويل الأحاديث».[1]

وقال: «وجملة القول في هذا الباب أن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها من النبوة، وأن التصديق بها حق، وفيها من بديع حكمة الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه. ولا أعلم بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر خلافًا فيما وصفتُ لك، ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة».[2]

وقال ابن العربي المالكي (٥٤٣هـ) رحمه الله: «هو فصل كبير من الحقائق، وأمر مشكل على الخلائق، وهو ما يراه النائم في منامه ... واختلف الناس فيها، فمنهم من أفرط، ومنهم من فرَّط، ومنهم من استوى واقتصر ... وقال علماؤنا: هي حق وبشرى، ودليل من الله تعالى اتفقت عليه الأمم من العرب والعجم، ووجدت حقيقة، وأدركت بالتجربة».[3]

وقال ابن القيم (٧٥١هـ) – رحمه الله – في سياق حديثه عن عبارة الرؤيا: «فإن العبد إذا نفذ فيها، وكَمُل اطلاعه، جاء بالعجائب. وقد شاهدنا نحن وغيرُنا مِن ذلك أمورًا عجيبة، يحكم فيها المعبِّرُ بأحكام متلازمة صادقة، سريعة وبطيئة، ويقول سامعها: هذه علم غيب. وإنما هي معرفة ما غاب عن غيره بأسبابٍ انفرد هو بعلمها، وخفيت على غيره، والشارع – صلوات الله عليه – حرَّم مِن تعاطي ذلك ما مضرتُه راجحة على منفعته، أو ما لا منفعة فيه، أو ما يُخشى على صاحبه أن يجرَّه إلى الشرك، وحرم بذل المال في ذلك، وحرم أخذه به صيانة للأمة عما يُفسد عليها الإيمان أو يخدِشُه، بخلاف علم عبارة الرؤيا، فإنه حقٌّ لا باطل، لأن الرؤيا مستندة إلى الوحي المنامي، وهي جزء من أجزاء النبوة، ولهذا كُلَّما كان الرائي أصدقَ، كانت رؤياه أصدقَ، وكلما كان المعبرُ أصدق وأبر وأعلم؛ كان تعبيرُه أصحَّ».[4]

---

[1] التمهيد لابن عبد البر (١/ ٣١٣).

[2] المرجع السابق (١/ ٢٨٥).

[3] القبس في شرح موطأ ابن أنس لابن العربي (٤/ ٣٣١).

[4] زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٥/ ٧٨٩).

٢- اشتهار جملة من أئمة المسلمين وعلمائهم بتأويل الرؤيا وتفسيرها، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فمن الصحابة:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه كان مشهورًا بتأويل الرؤيا، حتى إنه كان يعبر الرؤيا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما مرَّ معنا في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – عند الشيخين، لما عبر الرؤيا التي رآها النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا».[١]

وقد تناقل العلماء بعض تعابيره.[٢]

ومن التابعين: محمد بن سيرين رحمه الله، فقد اشتهر اشتهارًا عظيمًا في تفسير الرؤيا، حتى إنه ينسب إليه كتاب في ذلك، ويرى بعض العلماء أنه لا تصح نسبته إليه.[٣]

وترجم الحافظ الذهبي – رحمه الله – له في السير فذكر بعض تعابيره ثم قال: «قد جاء عن ابن سيرين في التعبير عجائب يطول الكتاب بذكرها، وكان له في ذلك تأييد إلهي».[٤]

وقد تناقل العلماء كثيرًا من تعابيره في مصنفاتهم.[٥]

ثم اشتهر من بعد التابعين شخصيات كثيرة بتعبير الرؤيا، منهم:

- زُهَيْر بن عياض المعبِّر (٣٨٨هـ) من أهْل قُرْطُبة؛ يُكَنَّى: أبا عبد الرحمن. وكان رجلاً صالحاً، وكان عالماً بتفسير الرؤيا مَطْبوعاً فيها.[٦]
- أبو المنجا حيدرة ابن أبي التراب الأنطاكي المعبر (٤٦٩هـ)، ومن عجائب ما ذكر عنه؛ ما نقله الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[٧] عنه أنه كان يحفظ في علم

---

[١] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٥٠).

[٢] انظر مثلًا: تعبير الرؤيا لابن قتيبة (ص: ٨٣، ٨٧)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ٤٧ رقم: ١٢٦ و ١٢٧)

[٣] انظر: كتب حذر منها العلماء (٢/ ٢٨٢)، والرؤى والأحلام في سنة هادي الأنام لأحمد بن سليمان العريني (ص: ٢١- ٢٢).

[٤] سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٦١٨).

[٥] انظر مثلًا: تعبير الرؤيا لابن قتيبة (ص: ٣٣، ٣٥، ٤٧، ٤٨، ٧٨- ٨٣، ٨٦- ٨٧، ٨٩- ٩٠) وغيرها من المواضع، شرح السنة للبغوي (١٢/ ٢٠٨، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٤٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٦١٧- ٦١٨).

[٦] تاريخ العلماء و الرواة للعلم بالأندلس للحافظ أبي الوليد الأزدي (١/ ١٨١ رقم: ٤٥٧).

[٧] (١٥/ ٣٨٢).

تعبير الرؤيا عشرة آلاف ورقة وثلاثمائة ونيفًا وسبعين ورقة، وكان يقول: زدت على أستاذي أبي القاسم عبد العزيز بن علي الشهرزوري المالكي (٤٢٧هـ) بحفظ ثلاثمائة ورقة ونيف وسبعين ورقة؛ لأنه كان يحفظ من علم الرؤيا عشرة آلاف ورقة.

وهذا يكشف عن العناية العظيمة التي أولاها علماء المسلمين لهذا العلم، إلا أن هذا الكم من المحفوظ في الرؤى والتعابير ربما هو مبالغ فيه، ولهذا لما ذكر الحافظ الذهبي – رحمه الله – هذا الوصف قال: «يكون هذا القدر نحوًا من أربعين مجلدًا، فالله أعلم بصحة ذلك».[(١)]

- ومنهم أبو الحجاج يوسف بن عبيد بن محمد بن عبد الباقي الكندي الحوفي المعبِّر، ويعرف بابن مطير، وكانت له إصابات في التعبير يتعجب منها.[(٢)]
- ومنهم شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور العابر المقدسي الحنبلي (٦٩٧هـ) عجيب في تعبير المنام، لم يدرك فيه أحدٌ إدراكه، وألف فيه البدر المنير في علم التعبير.[(٣)]
- ومنهم: محمد ابن البقال المعبِّر الدمشقي (٧٧٦هـ) انتهت إليه رياسة معرفة التعبير في وقته.[(٤)]
- ومنهم أحمد بن محمد بن عبد القادر النابلسي الحنبلي المعبِّر الفقيه المفتي، وله تصنيف في التعبير.[(٥)]
- ومنهم أحمد بن محمد بن عماد الشهاب أبو العباس المصري ثم الدمشقي الضرير نزيل حلب، ويقال له: حميد الضرير، وحميد المعبر. كان له في التعبير يد طولى، وكان يعبر بغير أجرة، وله إصابات عجيبة.[(٦)]
- ومنهم محمد بن محمد بن سليمان الحنفي المعبر، كان عالمًا فقيهًا مدرسًا ورعًا زاهدًا متقدمًا في التعبير.[(٧)]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٥٠ رقم: ٢٠٦).

(٢) معجم السفر لأبي الطاهر السلفي (ص: ٤٥٨ رقم: ١٥٦٨)، هو من شيوخ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني (٥٧٦هـ) صاحب معجم السفر.

(٣) برنامج الوادي آشي (ص: ١٠٣– ١٠٤).

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٦/ ٧٦).

(٥) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (١/ ١٢٥ رقم: ٢٧٢).

(٦) المرجع السابق (٢/ ١٥٨ رقم: ٤٥٠).

(٧) المرجع السابق (٩/ ٨٥ رقم: ٢٤٠).

٣- وضعهم أصول وقواعد هذا العلم، حيث خصها بعضهم بالتأليف، ونثرها بعضهم في مصنفاتهم، فممن خصها بالتأليف:

- أبو العباس أحمد بن سلطان بن سرور (٦٩٧هـ) في كتابه «قواعد تفسير الأحلام» وسيأتي ذكره.
- وابن شاهين الظاهري (٨٧٣هـ) في كتابه «الكوكب المنير في أصول التعبير» كما يأتي ذكره.

ومِمن نثرها في مصنفاتهم:

- ابن قتيبة الدينوري في «كتاب تعبير الرؤيا» كما يأتي ذكره.
- والإمام البغوي في «شرح السنة» كما يأتي ذكره.

٤- تصنيفهم في هذا العلم، وقد كتب في هذا الفن جمٌّ كثير من العلماء، منهم من كتب فيه استقلالاً، ومنهم من كتب فيه ضمن كتابه.

والكتب المستقلة؛ منها ما هو منثور، ومنها ما هو منظوم، فمن الكتب المستقلة المنثورة:

١- «الإرشاد في التعبير» لابن حيان: أبي موسى جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي الطرسوسي تلميذ جعفر الصادق (١٦٠هـ).[١]

٢- «كتاب تعبير الرؤيا» للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، وقد طبع بتحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر- دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣- «كتاب المنامات» للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١هـ).[٢]

٤- «الدستور في التعبير» لأبي إسحاق إبراهيم بن عمران الكرماني.[٣]

٥- «كنز الرؤيا المأمون» لأبي طالب عبد السلام بن حسن المأموني (٣٨٣هـ).[٤]

---

[١] كشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ١)، وهدية العارفين (١/ ٢٤٩)، وأسماء الكتب لعبد اللطيف زاده (ص: ٣٣).

[٢] طبع بتحقيق عبد القادر أحمد عطا، ضمن "موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا"، وصدر عن مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، سنة ١٤١٣هـ، تناول المؤلف في هذا الكتاب الكلام على رؤية الأموات في المنام، وإخبارهم عما لقوه بعد موتهم، ساق في ذلك العديد من الأحاديث والآثار التي تدل على هذا المعنى.

[٣] كشف الظنون (١/ ٧٥٥).

[٤] كشف الظنون (٢/ ١٥١٧)، وهدية العارفين (١/ ٥٦٩)، ومعجم المؤلفين (٥/ ٢٢٣).

٦- «فوائد الفرائد في التعبير» لابن الدقاق: أبي بكر محمد بن محمد بن جعفر الشافعي صاحب الأصول (٣٩٢هـ).[١]

٧- «التعبير القادري» لأبي سعد نصر بن يعقوب الدينوري، ألفه للقادر أحمد العباسي الخليفة سنة (٣٩٧هـ)، ذكر فيه أن المعبرين نحو سبعة آلاف وخمسمائة معبر، فاختار صاحب الطبقات منهم ستمائة معبر، ورتبهم على خمس عشرة طبقة.[٢]

٨- «البشرى في تعبير الرؤيا» لابن الحذاء القرطبي المعبر: أبي عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد التميمي القرطبي المالكي (٤١٦هـ).[٣]

٩- «كتاب الرؤيا والمنامات» لأبي ذر عبد بن أحمد الهروي (٤٣٤هـ).[٤]

١٠- «كتاب المنامات» للحافظ أبي علي أحمد بن محمد البرداني (٤٩٨هـ).[٥]

١١- «تعبير الرؤيا» لأبي عبد الله الحسين بن محمد المعروف بابن المقري (٥٢٣هـ).[٦]

١٢- «التحبير في علم التعبير» لحمزة بن محمد بن محمد بن سقري الابنجي (٦٠٦هـ).[٧]

١٣- «درة الأحلام في التعبير» لأبي طاهر إبراهيم بن يحيى بن غنام البغدادي الحنبلي المعبر (٦٩٣هـ).[٨]

١٤- «المعلم على حروف المعجم في التعبير» أيضًا لأبي طاهر البغدادي السابق.[٩]

١٥- «البدر المنير في علم التعبير» لشهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور العابر المقدسي الحنبلي (٦٩٧هـ).[١٠]

---

[١] كشف الظنون (٢/ ١٣٠٠)، ومعجم المؤلفين (١١/ ٢٠٣).

[٢] كشف الظنون (١/ ٤١٧).

[٣] كشف الظنون (١/ ٢٤٦)، وهدية العارفين (٢/ ٦٣)، ومعجم المؤلفين (١٢/ ٩٩).

[٤] فهرسة ابن خير الإشبيلي (ص: ٢٣٣).

[٥] انظر: السير للذهبي (١٩/ ٢٢٠)، والمعجم المفرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة للحافظ ابن حجر العسقلاني (ص: ١٢٠)، وطبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٢٥١)، وهدية العارفين لإسماعيل باشا (١/ ٨١).

[٦] إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٣/ ٢٩٥)، معجم المؤلفين (٤/ ٥٩).

[٧] فهرس مخطوطات مكتبة آزاد- عليكر- الهند (١/ ١٦٠).

[٨] إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٣/ ٤٥٥).

[٩] المرجع السابق (٤/ ٥١٤).

[١٠] برنامج الوادي آشي (ص: ١٠٣).

١٦- «قواعد تفسير الأحلام» لأبي العباس أحمد بن سلطان بن سرور (٦٩٧هـ)، وطبع بتحقيق حسين بن محمد جمعة، نشرته مؤسسة الريان سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ببيروت.

١٧- «البصيرة في تعبير الرؤيا» للشيخ علاء الدين علي بن أحمد الآمدي (٧٦٢هـ).[1]

١٨- «الإشارة إلى علم العبارة» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عمر السالمي (٨٠٠هـ) اعتمد فيه على كتاب أبي إسحاق الكرماني.[2]

١٩- «حاوي العبير في التعبير» لشهاب الدين أحمد بن محمد بن خليل الحاضري الحلبي الحنفي المعبر (٨٦٠هـ).[3]

٢٠- «الإشارات في علم العبارات» لخليل بن شاهين الظاهري (٨٧٣هـ)، وقد طبع بدار الفكر ببيروت.[4]

٢١- «الكوكب المنير في أصول التعبير» لابن شاهين الظاهري السابق.

٢٢- «التعبير المنيف والتأويل الشريف» للشيخ محمد بن قطب الدين الرومي الأزنيقي (٨٨٥هـ)، وهو كتاب على مقدمة وثلاثة مقاصد وخاتمة، ذكر فيه أقوال المعبرين ثم عبر على اصطلاح أهل السلوك.[5]

٢٣- «تعبير المنامات» لشهاب الدين أحمد بن سلامة القليوبي الشافعي (١٠٦٩هـ).[6]

ومن الكتب المستقلة المنظومة في هذا العلم:

١- «المرتبة العليا في تعبير الرؤيا» لمحمد بن جابر المكناسي (٨٢٧هـ).[7]

٢- «الألفية الوردية» في تعبير الرؤيا للإمام أبي حفص عمر بن مظفر بن الوردي (٨٥٠هـ)، وقد طبعت بعناية وتحقيق أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري العمري، ونشرته دار الثأر بصنعاء سنة ١٤٣٠هـ.

---

(١) كشف الظنون (١/ ٢٤٧)، وهدية العارفين (١/ ٧٢٤).

(٢) كشف الظنون (١/ ٨١)، وهدية العارفين (٢/ ١٧٧).

(٣) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٤/ ٩٢).

(٤) كشف الظنون (١/ ٨١)، وهدية العارفين (١/ ٣٥٣- ٣٥٤).

(٥) كشف الظنون (١/ ٤١٧)، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (١١/ ١٥٣).

(٦) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٣/ ٢٩٥).

(٧) الأعلام للزركلي (٦/ ٦٨)، ومعجم المؤلفين (٩/ ١٤٦).

٣- «كتاب التعبير» منظومة في أربعة آلاف بيت، لابن عربشاه: تاج الدين أبي الفضل عبد الوهاب بن أحمد الدمشقي الحنفي (٩٠١هـ).[١]

٤- «العبير في التعبير» لعبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي الصوفي النقشبندي القادري (١١٤٣هـ).[٢] وتتكون هذه الأرجوزة اللطيفة من ثلاث مائة وستة عشر بيتًا من بحر الرَّجز.

٥- «منظومة في تعبير الرؤيا» لأبي فارس علي بن السمكير، كتبت سنة ١١٥٧هـ. اطلعتُ على مخطوطته في مكتبة جامعة الرياض- قسم المخطوطات برقم (١٧١٣)، وهي إحدى عشرة لوحة، مطلعها:

الحمد لله على تقديره   إذ أحسن الإنسان في تصويره

وخاتمتها:

والحمد لله على تمامها   وحسن ما وقف من نظامها

ويبدو لي أن اسم الناظم خطأ، وصوابه: أبو الحسن علي بن السكن المعافري، وأن هذه المنظومة هي التي ذكرها صاحب كشف الظنون بعنوان: «أرجوزة في تعبير الرؤيا على صفة خلق الإنسان».[٣] ونسبها إلى علي بن السكن المذكور. ثم رأيت في موقع معهد المخطوطات العربية بمصر ما يؤيد ذلك.

أما الذين ضمَّنوا مصنفاتهم أبوابًا وفصولاً ومسائل في الرؤى والتعابير فكثيرون جدًّا، مع اختلاف مجالاتهم العلمية، من علماء التفسير والحديث والعقائد والأصول والآداب وغيرهم.

أما علماء التفسير فتعرضوا لهذه المسألة في تفاسيرهم، عند كلامهم عن الآيات التي فيها ذكر بعض الرؤى والتعابير، وقد سبقت الإشارة إليها في المطلب الأول من هذا المبحث عند الحديث عن عناية الكتاب العزيز بالرؤى والتعابير، وسيأتي - إن شاء الله - الحديث عنها ونقل أقوال بعض المفسرين

---

[١] كشف الظنون (٢/ ١٤٠٥)، وهداية العارفين (١/ ٦٤٠).

[٢] هدية العارفين (١/ ٥٩٠).

[٣] كشف الظنون (١/١).

في تفسيرها في الفصل الثاني من هذه الرسالة، وعليه فلا حاجة لذكر نماذج من كلامهم هنا.

وأما أئمة أهل الحديث فقد خصوا لهذا العلم كتبًا وأبوابًا في مصنفاتهم الحديثية، فمن هؤلاء الأئمة:

١- الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ) في موطئه، حيث عقد فيه كتابًا بعنوان: كتاب الرؤيا، ضمنه بابًا واحدًا ترجم له بقوله: باب ما جاء في الرؤيا، أورد فيه خمسة أحاديث.[١]

٢- الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (٢٣٥هـ) في مصنفه، إذ عقد فيه كتابًا بعنوان: كتاب الرؤيا، احتوى على خمسة وثمانين حديثًا وأثرًا.[٢]

٣- الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥هـ) في سننه، فقد عقد فيه كتابًا بعنوان: كتاب الرؤيا، ضمَّنه ثلاثة عشر بابًا، وثمانية وعشرين حديثًا.[٣]

٤- الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) في صحيحه، حيث عقد فيه كتابًا بعنوان: كتاب التعبير، وذكر فيه ثمانية وأربعين بابًا، اشتملت على تسعة وتسعين حديثًا، وعشرة آثار عن الصحابة والتابعين، ولقد أبدع فيه أيَّما إبداع.[٤]

٥- الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) في صحيحه، حيث عقد فيه كتابًا بعنوان: كتاب الرؤيا، اشتمل على خمسة أبواب، أورد فيها ثمانية وأربعين حديثًا بالمتابعات.[٥]

---

[١] انظر: الموطأ للإمام مالك (٢/ ٩٥٦- ٩٥٨).

[٢] انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٥٠- ٨٥).

[٣] انظر: سنن الدارمي (٢/ ١٦٥- ١٧٤).

[٤] انظر: صحيح البخاري بتحقيق مصطفى أديب البغا (٦/ ٢٥٦٠- ٢٥٨٣).

[٥] انظر: صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (٤/ ١٧٧١- ١٧٨١).

٦- الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (٢٧٣هـ) في سننه، فقد عقد فيها كتابًا بعنوان: كتاب تعبير الرؤيا، اشتمل على عشرة أبواب، ضمّنها اثنين وثلاثين حديثًا.[١]

٧- الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٧٥هـ)، حيث عقد له بابًا في كتاب الأدب من سننه، أورد فيه تسعة أحاديث.[٢]

٨- الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (٢٧٩هـ) في سننه، فإنه عقد فيها كتابًا بعنوان: الرؤيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أورد فيه خمسة وعشرين حديثًا.[٣]

٩- الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسائي (٣٠٣هـ) في سننه الكبرى، حيث عقد فيها كتابًا بعنوان: كتاب التعبير، اشتمل على اثنين وخمسين بابًا، ومائة وتسعة وأربعين حديثًا.[٤]

١٠- الإمام أبو حاتم محمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (٣٥٤هـ) في صحيحه، ذكر جملة من الأحاديث في هذا الباب، جمعها علي بن بلبان (٧٣٩هـ) في ترتيبه لصحيح ابن حبان وعقد لها كتابًا بعنوان: كتاب الرؤيا، احتوى على واحد وعشرين بابًا، وعلى نفس العدد من الأحاديث.[٥]

١١- الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) في مستدركه على الصحيحين، إذ عقد فيه كتابًا بعنوان: كتاب تعبير الرؤيا، ضمَّنه خمسة عشر بابًا، احتوت على واحدٍ وثلاثين حديثًا.[٦]

١٢- الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ) في كتابه شرح السنة، فقد عقد فيه كتابًا بعنوان: كتاب الرؤيا، اشتمل على أربعة عشر بابًا، احتوت على ستة وعشرين حديثًا.[٧]

---

[١] انظر: سنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (٢/ ١٢٣٢- ١٢٩٤).

[٢] انظر: سنن أبي داود بتحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد كمال قرة بللي (٧/ ٣٦٤- ٣٧٢).

[٣] انظر: سنن الترمذي (٤/ ٥٣١- ٥٤٣).

[٤] انظر: السنن الكبرى للنسائي (٤/ ٣٨٢- ٤٢٠).

[٥] انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٣/ ٤٠٤- ٤٢٥).

[٦] انظر: المستدرك على الصحيحين (٥/ ٥٥٦- ٥٦٨).

[٧] انظر: شرح السنة (١٢/ ٢٠٢- ٢٥٣).

فهؤلاء الأئمة وغيرهم خصُّوا كتبًا أو أبوابًا في مصنفاتهم الحديثية للرؤى والتعابير، لأن مصنفاتهم وضعت على الكتب والأبواب، ومنهم من ليست مصنفاتهم على الكتب والأبواب، ولكنها اشتملت على أحاديث كثيرة في الرؤى والتعابير، منهم:

الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ) في مسنده، وقد جمع الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي (١٣٧٨هـ) هذه الأحاديث أو معظمها في ترتيبه للمسند على الأبواب الفقهية، وخصَّ لها كتابًا بعنوان: كتاب تعبير الرؤيا، ضمَّنه تسعة أبواب، جمع فيها واحدًا وستين حديثًا.[(١)]

والإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ) في معاجمه الثلاثة، وقد جمع الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) زوائد المعاجم الثلاثة للطبراني وضمّنها كتابه «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» مع زوائد كتب أخرى، وعقد لها كتابًا بعنوان: كتاب التعبير، احتوى على سبعة أبواب، بلغتْ زوائد معاجم الطبراني فيها ثمانية وثلاثين حديثًا.[(٢)]

هذا ولعل مما يجلّي عناية علماء المسلمين بهذا الباب من أبواب العلم؛ ما بذله شراح الحديث في شرح هذه الأحاديث في المصنفات الحديثية، ولعل من أبرزهم الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) – رحمه الله – في شرحه على البخاري، حيث شرح كتاب التعبير من صحيح البخاري في مائة صفحة تقريبًا.[(٣)]

وأما علماء العقيدة فهم أيضًا تناولوا هذا الموضوع في مصنفاتهم، وتناولهم له كان من عدة جوانب:

- حقيقة الرؤيا وإثباتها والرد على منكريها.

[(١)] انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني ومعه كتاب بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني كلاهما للساعاتي (٣/ ٢٨٥٦– ٢٨٧١).

[(٢)] انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (٧/ ٣٥٦– ٣٨٢).

[(٣)] انظر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (١٢/ ٣٦٨– ٤٦٧).

- بيان مكانة الرؤيا والرد على الغالين فيها.
- بيان مذاهب الناس فيها.
- رؤية الله عز وجل في المنام.[(١)]
- رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام.
- الإسراء والمعراج هل كانا يقظة أو منامًا ؟

وقد سبق ذكر نماذج من كتب العقيدة التي تناولت هذا الموضوع في مبحث علاقة الرؤيا بالعقيدة، وغالب كتب العقيدة قد تناولت هذا الموضوع من أحد الجوانب المذكورة.

وأما علماء أصول الفقه وقواعده فهم كذلك تناولوا هذا الموضوع بالبحث، من جانب حجية الرؤيا لاسيما رؤيا الأنبياء، ورؤيا غيرهم للأنبياء، وهل يثبت بها حكم شرعي؟ وهل يعمل بمقتضاها؟ وهل يستأنس بها؟

انظر مثلًا:

- «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي (٦٣١هـ).[(٢)]
- «الفروق» للقرافي (٦٨٤هـ) الفرق الثامن والستون والمائتان منها.[(٣)]
- «الموافقات» للشاطبي (٧٩٠هـ).[(٤)]
- «البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي (٧٩٤هـ)[(٥)].

وهناك دراسة أصولية فقهية أعدها الدكتور خالد بن بكر بن إبراهيم آل عبدان، الأستاذ المساعد في قسم الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الطائف، عنوانها: «الرؤى الصادقة، حجيتها وضوابطها».[(٦)]

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ٧٢- ٧٤).
(٢) (٣/ ١٤٠)
(٣) (٤/ ٤٠٩- ٤٢٦).
(٤) (١/ ١١٤- ١١٥) و (٢/ ٤١٩ و ٤٤٦- ٤٤٨ و ٤٥٧- ٤٥٩) و (٤/ ٣٩١ و ٤٦٦- ٤٦٧).
(٥) (١/ ٤٨- ٤٩).
(٦) نشرت بمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٩ ، ع ٤٢ ، رمضان ١٤٢٨هـ.

أما علماء السلوك والآداب فقد أدلوا بدلوهم في هذا الباب، حيث بينوا أثر الرؤيا الصالحة على سلوك الإنسان، وأوضحوا الآداب التي ينبغي التأدب بها لمن رأى رؤيا حسنة، ولمن رأى رؤيا مكروهة، ولمن يريد تعبير الرؤيا.

- فالإمام المنذري (٦٥٦هـ) – رحمه الله – عقد بابًا في كتابه «الترغيب والترهيب» بعنوان: الترغيب فيما يقوله و يفعله من رأى في منامه ما يكره.[١]
- والإمام النووي (٦٧٦هـ) – رحمه الله – عقد في كتابه «الأذكار» بابين في الرؤيا:
  ١- بابُ ما يقولُ إذا رَأى في منامِه ما يُحِبُّ أو يَكره.[٢]
  ٢- بابُ ما يقولُ إذا قُصَّتْ عليه رُؤيا.[٣]
- ولأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) كلام جميل في كتابه «المدخل»[٤] حول الرؤيا، ومما قاله:

«وليحذر أن يسكن إلى ما يقع له من الهواتف التي تهتف به في يقظته ومنامه، ومن الرجوع إلى سهو بعض العلماء في أشياء لم يكن عليها الصدر الأول، وكذلك لا يسكن إلى رؤيا يراها في منامه تكون مخالفة لشيء مما تقدم ذكره من الاتباع لهم، وليحذر مما يقع لبعض الناس في هذا الزمان وهو أن يرى النبي – صلى الله عليه وسلم – في منامه في أمره بشيء أو ينهاه عن شيء فينتبه من نومه فيقدم على فعله أو تركه بمجرد المنام دون أن يعرضه على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وعلى قواعد السلف رضي الله عنهم».

- وابن القيم (٧٥١هـ) – رحمه الله – في كتابه «مدارج السالكين» عدّ الرؤيا الصادقة إحدى مراتب الهداية، وذكر أنه يستحيل أن تخالف الرؤيا الوحيَ إذا كانت صادقة أو تواطأت، بل لا تكون إلا مطابقة له منبهة عليه، وقال: «ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق، وأكل الحلال، والمحافظة على الأمر والنهي،

---

[١] الترغيب والترهيب (٢/ ٣٠١).
[٢] (ص: ١٨١) بتحقيق محي الدين مستو.
[٣] (ص: ١٨٢).
[٤] (٤/ ٢٨٦- ٢٩٤).

ولينم على طهارة كاملة مستقبل القبلة، ويذكر الله حتى تغلبه عيناه؛ فإن رؤياه لا تكاد تكذب ألبتة».[1]

- وابن مفلح الحنبلي (٧٦٣هـ) في كتابه «الآداب الشرعية» عقد ثلاثة فصول في الرؤيا، ذكر فيها آداب المعبر، وآداب الرائي، ومعنى كون الرؤيا الصالحة ستة وأربعين أو سبعين جزءًا من النبوة، ورؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام، وما الحكم إذا أمره في منامه أو نهاه، وحكم الكذب في الرؤيا، وحقيقة الرؤيا، وأنها قد يتأخر تأويلها وغير ذلك.[2]
- وضمّن الإمام الشوكاني (١٢٥٥هـ) رحمه الله كتابه «تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين» فصلًا في آداب الرؤيا، وأجاد فيها.[3]

والغرض من ذكر جميع ما رُقِمَ في هذا المطلب هو بيان عناية علماء المسلمين بموضوع الرؤى والتعابير، وقد اتضح ذلك ولله الحمد.

---

[1] انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٠- ٥٢).

[2] انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٤٢٧- ٤٣٦).

[3] (ص: ١٣٤- ١٤٠).

المبحث الثالث

أقسـام الـرؤى

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أقسام الرؤى باعتبار حقيقتها.

المطلب الثاني: أقسام الرؤى باعتبار مصدرها.

المطلب الثالث: أقسام الرؤى باعتبار آثارها.

المطلب الرابع: أقسام الرؤى باعتبار أصحابها.

المطلب الخامس: أقسام الرؤى باعتبار حجيتها.

المبحث الثالث

أقسام الرؤى

◄ المطلب الأول: أقسام الرؤى باعتبار حقيقتها.

ليست الرؤى كلها قسمًا واحدًا، بل هي أقسام متعددة باعتبارات مختلفة، فهي باعتبار حقيقتها تنقسم إلى قسمين رئيسين:

١- رؤى صادقة، وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم، وهي نوعان:

أ- ما لا يحتاج إلى تعبير، لوضوحه وعدم اشتماله على رموز، وذلك مثل:

رؤيا إبراهيم - عليه السلام - لما رأى أنه يذبح ابنه، قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢].

ورؤيا نبينا - صلى الله عليه وسلم - لما رأى أنه وأصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون، قال تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ٢٧].

ب- ما يحتاج إلى تعبير، لاشتماله على رموز، وذلك مثل:

رؤيا يوسف - عليه السلام - الواردة في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: ٤].

ورؤيا الفتيين الواردة في قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٣٦].

ورؤيا ملك مصر المذكورة في قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣].

قال ابن بطال[1] – رحمه الله – في شرحه على البخاري: «الرؤيا[2] تنقسم قسمين لا ثالث لهما؛ وهو أن يرى الرجل رؤيا جلية ظاهرة التأويل، مثل من رأى أنه يعطى شيئًا في المنام فيعطى مثله بعينه في اليقظة، وهذا الضرب من الرؤيا لا إغراق في تأويلها ولا رمز في تعبيرها. والقسم الثاني: ما يراه من المنامات المرموزة البعيدة المرام في التأويل، وهذا الضرب يعسر تأويله إلا على الحذاق بالتعبير، لبعد ضرب المثل فيه».[3]

٢- أضغاث أحلام، وهي التي لا واقع لها، وإنما تكون أخلاطًا متباينة، ولا يعرف المعبرون تأويلها لخروجها عن القواعد التي ألفوها في تعبير الرؤى، ولهذا لما عجز الملأ عن تعبير رؤيا ملك مصر قالوا: {أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ} [يوسف: ٤٤]. وهي المعبَّر عنها في السُّنة بالحُلْم ، وهي أنواع:

منها ما يكون من تهاويل الشيطان، وتلاعبه بالإنسان، وتخويفه وتحزينه إياه.

ومنها ما يكون من حديث النفس، ومما كان يفكر فيه الإنسان قبل نومه وأهمَّه أمره وأشغلَ باله.

روى البخاري – رحمه الله – من حديث أبي قتادة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان».[4]

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «جميع المرائي تنحصر على قسمين:

[١] الصادقة، وهي رؤيا الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين، وقد تقع لغيرهم بندور، وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم.

[٢] والأضغاث وهي لا تنذر بشيء، وهي أنواع:

الأول: تلاعب الشيطان ليحزن الرائي، كأن يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه، أو رأى أنه واقع في هَوْل ولا يجد من ينجده، ونحو ذلك .

والثاني: أن يرى أن بعض الملائكة تأمره أن يفعل المحرمات مثلًا، ونحوه من المحال عقلاً[5].

---

[1] هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، ويعرف باللجام، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، فقيه مالكي، أكثر ابن حجر النقل عنه في الفتح، من آثاره: شرح صحيح البخاري، والاعتصام في الحديث، توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٥)، ومعجم المؤلفين (٧/ ٨٧).

[2] أي الصادقة.

[3] شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٥١٧).

[4] صحيح البخاري: كتاب التعبير باب الرؤيا من الله (٦/ ٢٥٦٣ رقم: ٦٥٨٣).

[5] هكذا في المطبوع، ولعلها: (من المحال شرعًا).

الثالث: أن يرى ما تتحدث به نفسه في اليقظة أو يتمناه فيراه كما هو في المنام، وكذا رؤية ما جرت به عادته في اليقظة، أو ما يغلب على مزاجه، ويقع عن المستقبل غالبًا وعن الحال كثيراً وعن الماضي قليلاً».[1]

---

[1] فتح الباري (١٢/ ٣٥٤) .

◄ المطلب الثاني: أقسام الرؤى باعتبار مصدرها.

تنقسم الرؤى بالنظر إلى مصدرها إلى ثلاثة أقسام:

١- رؤيا من الله، وهي الرؤيا الصادقة، والصالحة، والحسنة، وبشرى من الله، وهي من أجزاء النبوة، وهي رؤيا حق، كما ثبتت الروايات بذلك، فقد سبق من حديث أبي قتادة – رضي الله عنه – عند البخاري عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان».[١]

وفي لفظ له: «الرؤيا الحسنة من الله».[٢]

وفي لفظ لهما: «الرؤيا الصالحة من الله».[٣]

وفي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعًا عند مسلم: «والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله ...».[٤]

وفي رواية للترمذي: «الرؤيا ثلاث: فرؤيا حق ...».[٥]

وفي حديث عوف بن مالك – رضي الله عنه – عند ابن ماجه مرفوعًا: «إن الرؤيا ثلاث: ... ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».[٦]

وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها... »[٧].

٢- رؤيا من الشيطان، وهي الرؤيا السوء، وهي المعبَّرُ عنها في السنة بالـحُلْم، وهي من أهاويل الشيطان وتحزينه وتخويفه وتلاعبه.

---

[١] تقدم تخريجه (ص: ٧٦).

[٢] صحيح البخاري: كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها (٦/ ٢٥٨٢ رقم: ٦٦٣٧).

[٣] صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣/ ١١٩٨ رقم: ٣١١٨)، وصحيح مسلم: كتاب الرؤيا، باب (١) (٤/ ١٧٧٢ رقم: ٢٢٦١).

[٤] تقدم تخريجه (ص: ٣٤).

[٥] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٤).

[٦] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٥).

[٧] تقدم تخريجه (ص: ٤٧).

فقد روى مسلم من حديث أبي قتادة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان».[١]

وجاء في لفظ عند الشيخين: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان».[٢]

وفي حديث عوف بن مالك – رضي الله عنه – عند ابن ماجه مرفوعًا: «إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان ليحزن ابن آدم ...».[٣]

وفي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عند مسلم مرفوعًا: «والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان ...».[٤]

وفي لفظ عند ابن ماجه: «وتخويف من الشيطان».[٥]

وفي حديث جابر – رضي الله عنه – عند مسلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إذا حلم أحدكم فلا يخبر أحدًا بتلعب الشيطان به في المنام».[٦]

وفي حديث أبي سعيد السابق: «... وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرها، ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره».[٧]

٣- رؤيا من حديث النفس، وهي ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه.

ففي حديث أبي هريرة السابق في أنواع الرؤيا: «والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه ...».[٨]

وفي حديث عوف بن مالك السابق: «إن الرؤيا ثلاث: ... ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ...».[٩]

---

[١] صحيح مسلم: كتاب الرؤيا، باب (١) (٤/ ١٧٧٢ رقم: ٢٢٦١).

[٢] صحيح البخاري: كتاب التعبير، باب الحلم من الشيطان (٦/ ٢٥٧١ رقم: ٦٦٠٣)، وصحيح مسلم: كتاب الرؤيا، باب (١) (٤/ ١٧٧١ رقم: ٢٢٦١).

[٣] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٥).

[٤] تقدم تخريجه (ص: ٣٤).

[٥] سنن ابن ماجه (٥/ ٦٢ رقم: ٣٩٠٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٤١٥ رقم: ١٣٤١).

[٦] صحيح مسلم: كتاب الرؤيا، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من رآني في المنام فقد رآني» (٤٧/ ١٧٧٦-١٧٧٧ رقم: ٢٢٦٨).

[٧] تقدم تخريجه (ص: ٤٧).

[٨] أخرجه مسلم، تقدم تخريجه (ص: ٣٤).

[٩] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٥).

قال ابن القيم – رحمه الله – في مدراج السالكين: «والرؤيا كالكشف، منها رحماني، ومنها نفساني، ومنها شيطاني».[1]

«وعلامة هذا القسم أنه من الأمور المباحة، فلا يسُرُّ كحال الرؤية الصالحة ولا يحزن كالتي من الشيطان، ومثلها الهم والخواطر في اليقظة. وهذا القسم لا حكم له، ولا دلالة له.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: "حديث النفس لا خير ولا شر ولا بأس بأن يحدث به، ولذلك جاء الخبر في بعض الأحاديث بتقسيم الرؤيا قسمين: من الله، ومن الشيطان كحديث أبي قتادة، وذلك لأن أحاديث النفس لا حكم لها"».[2]

---

[1] مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" لابن القيم (١/٢٧٨).

[2] الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين (ص: ١١٤).

◄ المطلب الثالث: أقسام الرؤى باعتبار آثارها.

تنقسم الرؤى باعتبار آثارها إلى أقسام:

١- رؤيا مبشرة، وهي التي تنبئ بخير يناله الرائي أو المرئي له، وهذه حال أغلب الرؤيا الصالحة التي تكون من الله عز وجل، كما جاء ذلك في أحاديث صحاح، مرَّ بنا بعضها، ومنها حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - في تفسير قوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحياةِ الدُّنيا} [يونس : ٦٤] قال: «هي الرؤيا الصالحة، يَرَاها المؤمِنُ، أَو تُرَى له»[١]. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة».[٢] وقوله عليه الصلاة والسلام: «والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله ...».[٣]

ومن أمثلتها: رؤيا يوسف عليه السلام، ورؤيا أحد الفتيين معه في السجن أنه يعصر خمرًا، ورؤيا نبينا - صلى الله عليه وسلم - أنه وأصحابَه يدخلون المسجد الحرام - إن شاء الله - آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون.

٢- رؤيا منذرة، وهي التي تحذر من شر سيقع للرائي أو المرئي له، ليستعدّ له فيخفَّ وقْعُه عليه، ويتخذ التدابير اللازمة للتعامل معه، وهذه أيضًا من أنواع الرؤيا الصادقة أو الصالحة، وإن كان الغالب عليها البشرى كما سلف.

فالرؤيا «الصادقة التي تكون من الله: قد تأتي صاحبها على صور وأوجه عدة، كأن يرى في منامه البشرى له في دينه أو دنياه؛ فيسر بها وينشرح لها صدره، وقد يراها في نفسه أو غيره ممن يحب، وتكون بمنافع متجددة أو نقم مندفعة، وربما رآها على صورة التحذير من شيء، أو إنذار من خطر محدق به، ولعلها تأتيه على صورة الإرشاد والنصيحة، فهو يراها مهولة له مفزعة، ومع هذا فهي ليست من تهاويل الشيطان التي يحزن بها ابن آدم، بل هي إنذار من الله له على سوء أو بلاء سيقع به، كيما يستعد له».[٤]

---

[١] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤١).

[٢] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٤٢).

[٣] أخرجه مسلم، تقدم تخريجه (ص: ٣٤).

[٤] المقدمات الممهدات السلفيات في تفسير الرؤى و المنامات لمشهور آل سلمان وآخر (ص: ٣٧٨).

ولهذا قال بعض المعبرين: «الرؤيا الصالحة على قسمين: قسم بشرى، وقسم تحذير. وقد تخرج الرؤيا على مآرب كثيرة».[1]

وقال القرطبي – رحمه الله – في تفسيره لسورة يوسف: «روى البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة».[2] وهذا الحديث بظاهره يدل على أن الرؤيا بشرى على الإطلاق وليس كذلك؛ فإن الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسر رائيها، وإنما يريها الله تعالى المؤمن رفقًا به ورحمة، ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه؛ فإن أدرك تأولها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك ... وقد تقدم في "يونس" في تفسير قوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [يونس: ٦٤] أنها الرؤيا الصالحة. وهذا وحديث البخاري مخرجه على الأغلب، والله أعلم».[3]

وقال الحافظ – رحمه الله – في الفتح: «وأيضًا فالمنذورة قد ترجع إلى معنى المبشرة، لأن من أنذر بما سيقع له – ولو كان لا يسره – أحسن حالًا ممن هجم عليه ذلك، فإنه ينزعج ما لا ينزعج من كان يعلم بوقوعه، فيكون ذلك تخفيفًا عنه ورفقًا به. قال الحكيم الترمذي: الرؤيا الصادقة أصلها حق تخبر عن الحق، وهو بشرى وإنذار ومعاتبة؛ لتكون عونًا لما ندب إليه».[4]

ومن أمثلتها: رؤيا إبراهيم – عليه السلام – أنه يذبح ابنه، ورؤيا أحد الفتيين أنه يحمل فوق رأسه خبزًا، ورؤيا ملك مصر، ورؤيا نبينا – صلى الله عليه وسلم – أنه هزّ سيفه فانقطع صدره، فأوّله بمن أصيب من أصحابه يوم أحد[5].

---

[1] الإشارات في علم العبارات لابن شاهين (ص: ٣).

[2] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٤٢).

[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٢٧).

[4] فتح الباري (١٢/ ٣٧٢).

[5] انظر: صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣٢٦ رقم: ٣٤٢٥)، وصحيح مسلم: كتاب الرؤى، باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٧٧٩ رقم: ٢٢٧٢) وستأتي إن شاء الله.

٣- رؤيا محزنة مخيفة، وهي التي تكون من أهاويل الشيطان وتحزينه وتخويفه، كما سبقت الأحاديث ببيان ذلك، وقد أخبر الله تعالى في كتابه بأن الشيطان يسعى لتخويف الإنسان وتحزينه، قال تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥]. وقال عز وجل: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [المجادلة: ١٠].

وهذا النوع من الرؤيا – وإن لم تكن صادقة – قد تؤثر في الرائي لحدّ المرض، إذا لم يفعل ما أرشد إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – من الاستعاذة، والتفل، والتحول من الجنب الذي هو عليه إلى الجنب الآخر، وأن لا يحدث بها أحدًا وغير ذلك.

فقد سبق من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتُمرضني، حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني، حتى سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثًا، ولا يحدث بها أحدًا، فإنها لن تضره».[١]

وفي لفظ لمسلم: «كنت أرى الرؤيا أُعْرَى منها غير أني لا أُزَمَّل».[٢]

و في لفظ لهما: «وإن كنت لأرى الرؤيا أثقل عليَّ من الجبل، فما هو إلا أن سمعتُ هذا الحديث فما أباليها».[٣]

---

[١] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ١٥).

[٢] أخرجه مسلم، تقدم تخريجه (ص: ١٦).

[٣] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ١٦).

◄ **المطلب الرابع: أقسام الرؤى باعتبار أصحابها.**

وتنقسم الرؤى باعتبار أصحابها إلى خمسة أقسام، وذلك بحسب صدق الرائي:

١- رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي أصدق الرؤى بلا شك، لأن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هم أصدق الناس قولًا وعملًا، ورؤياهم حق ووحي كما سنبينُ ذلك - إن شاء الله - في المبحث التالي، ولهذا كان نبينا - صلى الله عليه وسلم - لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.[١]

٢- رؤيا الصالحين، وتأتي في المرتبة الثانية بعد رؤيا الأنبياء عليهم السلام، والغالب عليها الصدق، وذلك لكثرة الصدق فيهم، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا».[٢]

٣- رؤيا المستورين، وهم الذين يؤدون الواجبات في العموم مع تقصير في بعضها، ولهم بعض الذنوب التي هي دون الشرك، لكنهم لا يجهرون بها ولا يعرفون بالفسق والفجور، فهؤلاء أحيانًا تأتيهم الرؤيا التي هي من الله، وأحيانًا تأتيهم الرؤيا التي هي من الشيطان، فيرون هذه تارة، وهذه تارة.

٤- رؤيا المعروفين بالفسق والفجور، فرؤيا هؤلاء يقل فيها الصدق، ويكثر فيها الأضغاث الذي هو من تلاعب الشيطان.

٥- رؤيا الكفار والمشركين، وهي يندر فيها الصدق، وذلك لخبثهم وكفرهم بالله ورسله، وغالبها من الشيطان، وقد يرون رؤيا صادقة، لكن إذا وقعت لهم رؤيا صادقة فهل يقال: إنها من الوحي أو إنها جزء من النبوة ؟!

أجاب الإمام القرطبي - رحمه الله - عن ذلك فقال: «وإن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءًا من النبوة فكيف يكون الكافر والكاذب والمخلط أهلاً لها؟!.

وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم - ممن لا يرضى دينه - منامات صحيحة صادقة؛ كمنام رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتيين في السجن، ورؤيا

---

[١] انظر صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ٤ رقم: ٣)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ١٣٩ رقم: ١٦٠).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب (١) (٤/ ١٧٧٣ رقم: ٢٢٦٣).

بختنصر التي فسرها دانيال في ذهاب ملكه، ورؤيا كسرى في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، ومنام عاتكة عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أمره وهي كافرة، وقد ترجم البخاري "باب رؤيا أهل السجن".

فالجواب: أن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب – وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات – لا تكون من الوحي ولا من النبوة؛ إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة، وقد تقدم في الأنعام أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك على الندور والقلة، وكذلك رؤيا هؤلاء». [1]

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٢٤).

◄ المطلب الخامس: أقسام الرؤى باعتبار حجيتها.

تنقسم الرؤيا باعتبار حجيتها إلى ثلاثة أقسام:

١- ما هو حجة، وهذا القسم على ضربين:

أ- ما هو حجة بنفسه، وهو رؤيا الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، فقد نص العلماء - رحمهم الله - على أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، وأن من أنواع الوحي إلى النبي ما يُنَبَّأ به في المنام، والرؤيا الصالحة مبدأ الوحي إلى الأنبياء كما قالت عائشة رضي الله عنها: «أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح».[١]

وروى البخاري - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قصة مبيته عند خالته ميمونة - رضي الله عنها - وصلاته مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلًا، وفيه: «ثم اضطجع فنام حتى نفخ، ثم أتاه المنادي فآذنه بالصلاة، فقام معه إلى الصلاة فصلى ولم يتوضأ». قلنا لعمرو - أحد رواة الحديث -: إن ناسًا يقولون: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تنام عينه ولا ينام قلبه؟ قال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول: رؤيا الأنبياء وحي. ثم قرأ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].[٢] وسيأتي مزيد بيان لهذا في المبحث التالي إن شاء الله.

ومن أمثلته: رؤياه - صلى الله عليه وسلم - لعقوبات أهل المعاصي، ورؤياه أنه يطوف بالكعبة، ورؤياه أن امرأة تتوضأ إلى جانب قصر في الجنة.

ب- ما هو حجة بإقرار النبي - صلى الله عليه وسلم - له لا بنفسه، وهو رؤيا الصحابي التي أقرها النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإن من أنواع السنة النبوية: السنة التقريرية، وهي ما أقره النبي - صلى الله عليه وسلم - مما فُعِلَ بحضرته أو سمع به.[٣]

---

[١] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٦).

[٢] صحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء (١/ ٦٤ رقم: ١٣٨).

[٣] انظر على سبيل المثال: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي لابن جماعة (ص: ٤٠)، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن حجر (ص: ١٣١)، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (١/١٤٩)، وشرح الكوكب المنير لابن النجار (٢/ ١٦٦).

ومن أمثلته: رؤيا طفيل بن سخبرة – رضي الله عنه – في قول: «ما شاء الله وشاء محمد»، ورؤيا عبد الله بن زيد بن عبد ربه – رضي الله عنه – في تشريع الأذان، وغيرها.

قال الزركشي ناقلاً عن الشيخ أبي إسحاق ومعقبًا عليه: «قال: ولا يجوز أن يثبت بالرؤيا شيء، حتى لو رأى واحد في منامه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمره بحكم من الأحكام لم يلزمه ذلك. انتهى. قلت: وحكى الأستاذ أبو إسحاق في كتاب " أدب الجدل" في ذلك وجهًا، والأصح الأول؛ لأن الأحكام لا تثبت بالمنام إلا في حق الأنبياء أو بتقريرهم».[1]

٢– ما ليس بحجة، وهذا القسم أيضًا على ضربين:

أ– ما ليس بحجة ولا يستأنس به في شيء؛ لأنه أضغاث أحلام، وأحاديث نفس، وتهاويل الشيطان.

ب– ما ليس بحجة ولكن يستأنس به ويستبشر به؛ لأنه من المبشرات، وهي جزء من النبوة، وهي الرؤيا الصالحة التي تكون من الله – عز وجل – يراها الرجل الصالح أو يرى له، باستثناء رؤى الأنبياء – عليهم السلام – ورؤى الصحابة التي أقرهم النبي – صلى الله عليه وسلم — عليها فإنها حجة بإقراره كما سبق.

ويدخل في هذا النوع ما إذا رأى الرائي النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – في المنام يأمره بشيء أو ينهاه عن شيء، فإن كان موافقًا لما جاء في الشريعة عمل بمقتضاه وإلا لم يلتفت إليه.

قال الإمام النووي – رحمه الله – في مقدمة صحيحه تعليقًا على أثر حمزة الزيات:

«قوله: «إن حمزة الزيات رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام فعرض عليه ما سمعه من أبان فما عرف منه إلا شيئًا يسيرًا». قال القاضي عياض رحمه الله: «هذا – ومثله – استئناس واستظهار على ما تقرر من ضعف أبان، لا أنه يقطع بأمر المنام، ولا أنه تبطل بسببه سنة ثبتت، ولا تثبت به سنة لم تثبت، وهذا بإجماع العلماء». هذا كلام القاضي، وكذا قاله غيره من أصحابنا وغيرهم، فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر

---

[1] البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/ ٤٩).

في الشرع، وليس هذا الذي ذكرناه مخالفًا لقوله صلى الله عليه وسلم: (من رآني في المنام فقد رآني)؛ فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن مِن شرط مَن تُقبل روايتُه وشهادتُه: أن يكون متيقظًا، لا مغفلاً، ولا سيء الحفظ، ولا كثير الخطأ، ولا مختل الضبط. والنائم ليس بهذه الصفة، فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه، هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة، أما إذا رأى النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة؛ فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه، لأن ذلك ليس حكمًا بمجرد المنام بل [بما] تقرر من أصل ذلك الشيء والله أعلم».[١]

وقال أبو زرعة ابن الحافظ العراقي: «قد يفهم من كون الرؤيا جزءًا من أجزاء النبوة – ولم يذكر أنها جزء من الرسالة – أنه لا يعتمد عليها في إثبات حكم، وإن أفادت الاطلاع على غيب؛ فشأن النبوة الاطلاع على الغيب، وشأن الرسالة تبليغ الأحكام للمكلفين، ويترتب على ذلك أنه لو أخبر صادق عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في النوم بحكم شرعي مخالف لما تقرر في الشريعة لم نعتمده ... وقد حكي عن القاضي حسين أن شخصًا قال له ليلة شك: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال لي: صم غدًا، أو نحو ذلك، فقال له القاضي: قد قال لنا في اليقظة: لا تصوموا غدًا. فنحن نعتمد ذلك، أو ما هذا معناه».[٢]

ويؤكد هذا المعنى الحافظ ابن حجر – رحمه الله – فيقول: «ويؤخذ من هذا ما تقدم التنبيه عليه أن النائم لو رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – يأمره بشيء هل يجب عليه امتثاله ولا بد، أو لا بد أن يعرضه على الشرع الظاهر؟ فالثاني هو المعتمد كما تقدم».[٣]

---

[١] شرح النووي على مسلم (١/ ١١٥).

[٢] طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢١٥).

[٣] فتح الباري (١٢/ ٣٨٩)، وانظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢٨٢/١)، والاعتصام للشاطبي (١/ ١٩٨)، والقائد إلى العقائد للمعلمي (ص: ٩٠)، وضوابط الرؤيا للدكتور محمد بن فهد الودعان (ص: ٥١) فما بعدها.

المبحث الرابع

أغراض الرؤى

المبحث الرابع

أغراض الرؤى

إن أفعال الله تعالى وأحكامه وتقديراته كلها مبنية على الحكمة، ولا يقدّر الله شيئًا إلا لحكمة عظيمة قد نعلمها وقد لا نعلمها، وذلك لأنه سبحانه العليمُ الحكيم، فلا شك أن في تقدير الله – عز وجل – على عباده أن يروا في منامهم الرؤى المختلفة حكمٌ عظيمة، وأغراضٌ عديدة، ومن هذه الحكم والأغراض ما يلي:

١– الوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد نص العلماء على أن من أنواع الوحي إلى الأنبياء: الرؤيا الصالحة التي يرونها في منامهم، وبذلك فسر جملة من الأئمة قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا ...} [الشورى: ٥١] الآية. قالوا: إلهامًا في اليقظة أو في المنام.[١]

وقد سبق بيان أن أول ما بدئ به نبينا – صلى الله عليه وسلم – من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وأن رؤيا الأنبياء – عليهم السلام – وحي وحجة.

ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك رؤيا إبراهيم – عليه السلام – في ذبحه لابنه إسماعيل عليه السلام.

٢– إرهاص وتمهيد وتوطئة لإرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري بالنبوة والرسالة، ويدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها : «أول ما بدُئ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الوحى الرؤيا الصالحة في النوم».[٢]

وقد نص أهل العلم على ذلك في شروحاتهم لهذا الحديث، فقال القاضي عياض – رحمه الله – في شرحه على مسلم: «في هذا حكمة من الله تعالى، وتدريج لنبيه – صلى الله عليه وسلم – لما أراده الله – جل اسمه – به لئلاَّ يفجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتَةً فلا تحتملها قُوى البشرية، فبدأ أمره بأوائل خصال النبوَّة وتباشير الكرامة، من

---

[١] انظر: تفسير الثعلبي (٨/ ٣٢٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢١٢)، وتفسير البغوي (٧/ ٢٠٠)، وتفسير ابن الجوزي (ص: ١٢٧٢)، وشرح السنة للإمام البغوي (١٣/ ٣٢٤)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٣٩٧-٣٩٨)، وفتح الباري (١٢/ ٣٧٠).

[٢] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٦).

صدق الرؤيا، وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضَّوء، وسَماع الصوت، وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة، حتى استشعر عظيم ما يراد به، واستعَدَّ لما ينتظره، فلم يأته الملك إلا لأمر عنده مقدّماته و بشاراته.

وفيه أن الرؤيا الصادقة أحد خصال النبوَّة، وتباشير الكرامة، وجزء منها، وأول منازل الوحي، وأن رؤيا الأنبياء وحي، وحقٌّ صدقٌ، لا أضغاث فيها، ولا سبيل للشيطان إليها». [١]

ونقل هذا القول عنه وأقره عليه كثير من الشراح كالنووي[٢]، وأبي شامة المقدسي[٣]، والكرماني[٤]، وابن الملقن[٥]، والحافظ العراقي[٦]، والعيني[٧]، والملا علي القاري[٨]، وغيرهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فلا ريب أن الشيء يكون جزءًا من النبوة أو الإيمان ويكون من أصغر الشعب والأجزاء، كإماطة الأذى في الإيمان، أو كالرؤيا في النبوة، ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم – : «إنه لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات، وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له». ولهذا كان هذا الجزء أول ما بدىء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تدريجًا له، كما في الصحيح عن عائشة قالت: أول ما بدىء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم». [٩]

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وبدئ بذلك ليكون تمهيدًا وتوطئةً لليقظة، ثم مهد له في اليقظة أيضًا رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر». [١٠]

---

[١] إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١/ ٤٧٩).

[٢] شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٧٤).

[٣] شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى (ص: ٦٦).

[٤] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١/ ٣١).

[٥] التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢/ ٢٤٧).

[٦] طرح التثريب في شرح التقريب (٤/ ١٨٤).

[٧] عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٦٠).

[٨] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٧٢٨).

[٩] الصفدية (١/ ٢٣٥).

[١٠] فتح الباري (١/ ٣١).

وقال السِّنْدي[1] في حاشيته على البخاري: «وجعلت رؤياه تمهيدًا للوحي إليه صريحاً، وقد تقرر نبيًّا وآدم بين الماء والطين، والله تعالى أعلم».[2]

٣- بشرى للعبد المؤمن – الذي رأى الرؤيا الصالحة أو الذي رئيت له – وتثبيته وإعانته على الاستقامة على دين الله تعالى، وإذهاب الخوف والحزن عنه، لاسيما في أوقات الغربة والفتن والمحن، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيواةِ الدُّنْيَا ...} [يونس: ٦٢ – ٦٤].

فعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن قوله تبارك وتعالى: {لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة} قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له».[3]

وصح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة».[4]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا ...».[5]

قال ابن بطال – رحمه الله – في شرحه على صحيح البخاري: «وقوله عليه السلام: «إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن»، فمعناه – والله أعلم – إذا اقتربت الساعة وقُبض أكثر العلم ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة، فكان الناس على فترة من الرسل، يحتاجون إلى مذكر ومجدد لما درس من الدين، كما كانت الأمم قبلنا تذكر بالنبوة، فلما كان نبينا محمد – عليه السلام – خاتم الرسل، وما بعده من

---

[1] هو أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي التتوي السندي، فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير والعربية، أصله من السند ومولده فيها، وتوطن بالمدينة إلى أن توفي. له حواشي على الصحيحين والسنن الأربعة حاشا سنن الترمذي، ومسند الإمام أحمد. توفي سنة ١١٣٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٣).

[2] حاشية السندي على صحيح البخاري (١/ ٤).

[3] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤١).

[4] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٤٢).

[5] أخرجه مسلم، تقدم تخريجه (ص: ٧٦).

الزمان ما يشبه الفترة؛ عُوِّضُوا مما منع من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة التي هي جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار».[1]

وقال بدر الدين العيني – رحمه الله – في شرحه على صحيح البخاري: «والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان: أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريبًا كما في الحديث: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا» أخرجه مسلم[2]، فيقلُّ أنيس المؤمن ومعينه في ذلك الوقت، فيكرم بالرؤيا الصادقة».[3]

وقد سبقهما إلى نحو هذا الكلام ابن أبي جمرة في شرحه على مختصر صحيح البخاري.[4]

وتفسير قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا اقترب الزمان» بما ذُكر من قرب الساعة في آخر الزمان يؤيده ورود الحديث بلفظ صريح بذلك، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «في آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثًا».[5]

ولهذا اقتصرتُ على هذا القول في تفسير الحديث ولم أتعرض لغيره من الأقوال.[6]

ومن الرؤى التي تجلى فيها هذا الغرض: رؤيا يوسف عليه السلام، ورؤيا نبينا – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر، ورؤياه – عليه الصلاة والسلام – أنه أُتي بخزائن الأرض فوضعت في يديه، ونحوها من الرؤى.

٤– النذارة للرائي أو المرئي له، وتنبيهه لأمر سيقع له، رفقًا به، وليستعد ويتأهب له، فيخف وقعه عليه، أو ليدع ما فيه مضرة عليه في عاجل أمره أو آجله.

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – معلقًا على حديث المبشرات السابق: «وهذا الحديث بظاهره يدل على أن الرؤيا بشرى على الإطلاق وليس كذلك؛ فإن الرؤيا

---

[1] شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٥٣٨– ٥٣٩).

[2] صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب بدأ الإسلام غريبًا (١/ ١٣٠ رقم: ١٤٥)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (٢٤/ ١٥٣).

[4] انظر: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها و ما عليها لابن أبي جمرة (٤/ ٢٤٩).

[5] أخرجه الترمذي (٤/ ٥٤١– ٥٤٢ رقم: ٢٢٩١) والإمام أحمد في مسنده (١٣/ ٨٠ رقم: ٧٦٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[6] للوقوف على أقوال العلماء في تفسير الحديث انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢٣)، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٩/ ٣٠٠٣)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٠٥– ٤٠٧).

الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسر رائيها، وإنما يريها الله تعالى المؤمن رفقًا به و رحمة؛ ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه؛ فإن أدرك تأولها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك. وقد رأى الشافعي – رضي الله عنه – وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدل على محنته، فكتب إليه بذلك ليستعد لذلك».[1]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال المهلب ما حاصله: التعبير بالمبشرات خرج للأغلب؛ فإن من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمؤمن رفقًا به ليستعد لما يقع قبل وقوعه».[2]

ومن الرؤى التي يظهر فيها هذا الغرض: رؤيا نبي الله إبراهيم في ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام، ورؤيا ملك مصر التي عبرها له يوسف عليه السلام، ورؤيا نبينا – صلى الله عليه وسلم – أن في سيفه ذي الفقار فلاً.

٥- الكشف والإلهام في المنام لغير الأنبياء، فقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من النبوة، أي أنها وحي وإلهام منامي من الله عز وجل، وذلك في قوله – صلى الله عليه وسلم –: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».[3]

«ومن هنا يعلم أن الوحي من حيث العموم غير مختص بالأنبياء، بل قد يكون لغيرهم، لكن الأنبياء يختصون بالعصمة في الوحي، ولذلك كان الوحي إليهم تشريعًا بخلاف الوحي إلى غيرهم. وقد أخبر تعالى أنه أوحى إلى غير الأنبياء كما قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٧]، وقال تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} [المائدة: ١١١]، ولم يلزم من ذلك أن تكون أم موسى – عليه السلام – نبية، ولا أن يكون الحواريون أنبياء».[4]

---

[1] تفسير القرطبي (٩/ ١٢٧).

[2] فتح الباري (١٢/ ٣٩٢).

[3] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ١٩).

[4] المعرفة في الإسلام- مصادرها ومجالاتها للدكتور عبد الله بن محمد القرني (ص: ٧١).

وقد أوضح هذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في فتاويه فقال: «الوحي وهو الإعلام السريع الخفي: إما في اليقظة وإما في المنام، فإن رؤيا الأنبياء وحي، ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، كما ثبت ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الصحاح، وقال عبادة بن الصامت – ويروى مرفوعًا –: «رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام»[1] وكذلك في اليقظة، فقد ثبت في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر»[2]». إلى أن قال: «فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء ويكون يقظةً ومنامًا».[3]

وقال ابن القيم رحمه الله: «والرؤيا الصحيحة أقسام؛ منها إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد، وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام، كما قال عبادة بن الصامت وغيره».[4] والرؤى في هذا الباب عبر التاريخ لا تحصى كثرة.

٦– هداية وإرشاد إلى خيري الدنيا والآخرة، فإن من المنامات ما يهدي صاحبها إلى خير في أمر الدين أو الدنيا أو الآخرة، وهذا أمر واقع ومشهود، فرؤيا عبد الله بن زيد – رضي الله عنه – في مشروعية الأذان هدت المسلمين إلى خير عظيم في أمر دينهم، وكذلك رؤيا طفيل بن سخبرة – رضي الله عنه – في قول «ما شاء الله وشاء محمد»، ولانتفاع الناس بالرؤيا في أمور دنياهم أخبارٌ ووقائعُ كرؤيا عبد المطلب بن هاشم في حفر بئر زمزم، ونفع الله – عز وجل – ابن عمر – رضي الله عنه – برؤياه في أمر الآخرة فلم يدع قيام الليل إلى أن مات.

ولهذا عدّ الإمام ابن القيم – رحمه الله – الرؤيا الصالحة مرتبة من مراتب الهداية، فقال: «فصل: المرتبة العاشرة من مراتب الهداية: الرؤيا الصادقة»[5] ثم قال: «والذي

---

[1] أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١٣ رقم: ٤٨٦)، والدولابي في الكنى والأسماء (٢/ ٨٧٣ رقم: ١٥٣٢)، والمقدسي في المختارة (٨/ ٢٧٥ رقم: ٣٣٧) من حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعًا، وفي إسناده من لا يعرف، ولهذا ضعفه الألباني في تخريجه للسنة في الموضع المشار إليه. ولم أقف على السند الموقوف.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤/ ١٨٦٤ رقم: ٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[3] مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٩٧– ٣٩٨).

[4] الروح (١/ ٢٣٤).

[5] مدارج السالكين (١/ ٢٧٨).

هو من أسباب الهداية هو الرؤيا التي من الله خاصة، ورؤيا الأنبياء وحي؛ فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل – عليهما السلام – بالرؤيا، وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها، فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة أو تواطأت؟ قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي، بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك، ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال، والمحافظة على الأمر والنهي، ولينم على طهارة كاملة مستقبل القبلة، ويذكر الله حتى تغلبه عيناه؛ فإن رؤياه لا تكاد تكذب البتة».[١]

فخلاصة هذا المبحث أن الرؤيا لها أغراض منها: الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام، وإرهاص وتمهيد وتوطئة لإرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري بالنبوة والرسالة، وبشرى للعبد المؤمن وتثبيت له وإعانة على الاستقامة على الدين، والنذارة للرائي أو المرئي له وتنبيهه على أمر سيقع له رفقًا به وإعدادًا له عليه، والكشف والإلهام لغير الأنبياء.

---

[١] مدارج السالكين (١/ ٢٨٢).

المبحث الخامس

علاقة الرؤى بالروح والوحي والنبوة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علاقة الرؤى بالروح.

المطلب الثاني: علاقة الرؤى بالوحي.

المطلب الثالث: علاقة الرؤى بالنبوة.

المبحث الخامس

علاقة الرؤى بالروح والوحي والنبوة

◄ المطلب الأول: علاقة الرؤى بالروح.

إن للرؤى علاقة بالروح، وإن للروح تعلقًا بالنائم، وإن الرؤى مجال لتلاقي الأرواح، كما نبه على ذلك علماؤنا – رحمهم الله – معتمدين على دلالة الكتاب والسنة، ومستشهدين بالواقع.

يقول الله عز وجل: {اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الزمر: ٤٢].

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسيره للآية: «{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} فيقبضها عند فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفى أيضًا التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها، {فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ} ذكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى، وذلك إلى انقضاء مدة حياتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

ثم نقل بسنده عن سعيد بن جبير والسدّي نحوًا مما ذكر. [١]

وذكر الإمام ابن القيم – رحمه الله – في كتاب "الروح" تلاقي أرواح الأحياء والأموات في المنام وأيد ذلك قائلًا: «شواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا الله تعالى، والحس والواقع من أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء».[٢]

ثم استدل بآية الزمر السابقة، ونقل عن أبي عبد الله ابن منده بسنده إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – في هذه الآية قال: «بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها».[٣]

---

[١] تفسير الطبري (٢١/ ٢٩٨- ٢٩٩).

[٢] الروح (١/ ٢١٣).

[٣] الروح (١/ ٢١٣- ٢١٤) وأثر ابن عباس عزاه ابن القيم إلى ابن منده وذكر سنده، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٤٥ برقم: ١٢٢)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٣/٩٠٦ برقم: ٤٤٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٢٣ رقم: ١١٣١٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، وقال الألباني في تحقيقه لكتاب "الآيات البينات" (ص: ٩١): «فيه جعفر ابن أبي المغيرة الخزاعي، وهو صدوق يهم كما قال الحافظ ابن حجر».

وقال – رحمه الله – عند ذكره لأقسام الرؤيا الصالحة: «ومنها التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا. ومنها عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له. ومنها دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك، فالتقاء أرواح الأحياء والموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات».[1]

وذكر أيضًا أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام، منها تعلقها به في حال النوم، حيث لها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.[2]

وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة تبين أن الله – جل جلاله – يتوفى الأرواح حين نوم أصحابها، ثم يبعثها حين يستيقظون، كما في الآية السابقة، وكما في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأنعام: ٦٠].

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسير الآية: «والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم {وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} يقول: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار ... {ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ} يثيركم ويوقظكم من منامكم {فِيهِ} يعني في النهار ... {لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى} يقول: ليقضي الله الأجل الذي سماه لحياتكم، وذلك الموت، فيبلغ مدته ونهايته ...».[3]

ومما جاء في السنة النبوية في هذا الشأن:

حديث أبي هريرة – رضي الله عنه — في الصحيحين أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فليأخذ بداخلة إزاره فلينفض بها فراشه، وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع، فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربي بك وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».[4]

---

[1] الروح (١/ ٢٣٤).

[2] الروح (١/ ٢٦٣).

[3] تفسير الطبري (١١/ ٤٠٤– ٤٠٧) باختصار.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات باب التعوذ والقراءة عند النوم (٥/ ٢٣٢٩ رقم: ٥٩٦١)، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٤/ ٢٠٧٤ رقم: ٢٧١٤) واللفظ له.

زاد الترمذي: «فإذا استيقظ فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ عليَّ روحي، وأذن لي بذكره»[1]

وحديث أبي قتادة – رضي الله عنه – في قصة نومهم والنبي – صلى الله عليه وسلم – عن صلاة الفجر، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردَّها عليكم حين شاء».[2]

وروى مسلم هذه القصة من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – وفيه: فقال بلال: «أخذ بنفسي الذي أخذ – بأبي أنت وأمي يا رسول الله – بنفسك».[3]

وظاهر هذه الأحاديث عدم التفريق بين الروح والنفس وأنهما شيء واحد، وإلى ذلك ذهب أكثر العلماء، ونسبه الإمام ابن القيم – رحمه الله – إلى الجمهور، ومنهم من فرق بينهما.[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت». ثم ذكر حديث أبي قتادة وأبي هريرة – رضي الله عنهما – في قصة نومهم عن صلاة الفجر، وأعقبهما بآية الزمر، ثم قال: «قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يقبضها قبضين: قبض الموت، وقبض النوم، ثم في النوم يقبض التي تموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى حتى يأتي أجلها وقت الموت».

ثم أورد نصوصًا عدة من الكتاب والسنة في وصف النفس ووصف الروح، ثم قال: «فقد سمى المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحًا ونفسًا، وسمى المعروج به إلى السماء روحًا ونفسًا. لكن يسمى نفسًا باعتبار تدبيره للبدن، ويسمى روحًا باعتبار لطفه، فإن لفظ "الروح" يقتضي اللطف، ولهذا تسمى الريحُ روحًا».[5]

---

[1] سنن الترمذي (٥/ ٤٧٢ رقم: ٣٤٠١) وقال: «حديث حسن». وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧١٦).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة باب الأذان بعد ذهاب الوقت (١/ ٢١٤ رقم: ٥٧٠).

[3] صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها (١/ ٤٧١ رقم: ٦٨٠).

[4] انظر الروح لابن القيم (٢/ ٦٥٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ١٢٣٢)، وفتاوى ابن الصلاح (٢/ ١٣٩- ١٤١).

[5] مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٩- ٢٩٠).

وجزم الإمام ابن القيم – رحمه الله – في كتاب "الروح" بالقول الأول فقال معلقًا على آية الزمر: «والأنفس ها هنا هي الأرواح قطعًا». ثم ذكر حديث أبي قتادة السابق في نومهم عن صلاة الفجر، ثم قال: «فهذه الروح المقبوضة هي النفس التي يتوفاها الله حين موتها وفي منامها، وهي التي يتوفاها ملك الموت، وهي التي يتوفاها رسل الله سبحانه، وهي التي يجلس الملك عند رأس صاحبها، ويخرجها من بدنه كرهًا، ويكفنها بكفن من الجنة أو النار، ويصعد بها إلى السماء فتصلي عليها الملائكة أو تلعنها، وتوقف بين يدي ربها فيقضي فيها أمره، ثم تعاد إلى الأرض فتدخل بين الميت وأكفانه، فيُسأل ويُمتحن ويُعاقَب ويُنَعَّم، وهي التي تُجعل في أجواف الطير الخضر تأكل وتشرب من الجنة، وهي التي تعرض على النار غدوًّا وعشيًّا، وهي التي تؤمن وتكفر وتطيع وتعصي، وهي الأمارة بالسوء، وهي اللوامة، وهي المطمئنة إلى ربها وأمره وذكره، وهي التي تعذب وتنعم وتسعد وتشقى وتحبس وترسل وتصح وتسقم وتلذ وتألم وتخاف وتحزن، وما ذاك إلا سمات مخلوق مبدع، وصفات منشأ مخترع، وأحكام مربوب مدبر مصرف تحت مشيئة خالقه وفاطره وبارئه».[١]

وبين – رحمه الله – أن الفرق بين النفس والروح فرقٌ بالصفات لا بالذات.[٢]

وفي بيان الفرق بين القبضين: قبض الموت، وقبض النوم، والوفاتين: وفاة الموت ووفاة النوم؛ يقول الإمام ابن الصلاح – رحمه الله – في فتاويه:

«الروح في حالة النوم تفارق الجسد على أنها تعود إليه، فلا تخرج خروجًا ينقطع به العلاقة بينها وبين الجسد، بل يبقى أثرها الذي هو حياة الجسد باقيًا فيه، فأما في حالة الموت فالروح تخرج من الجسد مفارقة له بالكلية، فلا تخلف فيه شيئًا من أثرها، فلذلك تذهب الحياة معها عند الموت دون النوم، ثم إن إدراك كيفية ذلك والوقوف على حقيقته متعذر فإنه من أمر الروح، وقد استأثر بعلمه الجليل، تبارك وتعالى، فقال سبحانه: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥]».[٣]

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – في أثناء شرحه لحديث أبي قتادة السابق: «قوله: «إن الله قبض أرواحكم» هو كقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا}، ولا يلزم من قبض الروح الموت؛ فالموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهرًا وباطنًا، والنوم انقطاعه عن ظاهره فقط».[٤]

---

[١] الروح (٢/ ٥١١– ٥١٣).

[٢] المرجع السابق (٢/ ٦٦٠).

[٣] فتاوى ابن الصلاح (٢/ ١٤١– ١٤٢).

[٤] فتح الباري (٢/ ٨٠).

◄ المطلب الثاني: علاقة الرؤى بالوحي.

الوحي في اللغة يطلق على معان منها: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، والإعلام السريع.[1]

قال ابن فارس رحمه الله: «الواو والحاء والحرف المعتلّ: أصلٌ يدلُّ على إلقاء عِلْمٍ في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوَحْيُ: الإشارة. والوَحْي: الكتابُ والرِّسالة. وكلُّ ما ألقيتَه إلى غيرك حتَّى عَلِمَهُ فهو وَحيٌ كيف كان».[2]

وللوحي في النصوص الشرعية معنيان:

الأول: معنى عام، وهو ما سبقت الإشارة إليه عند اللغويين، والرؤيا الصادقة داخلة في هذا النوع من الوحي، ولا يختص هذا النوع من الوحي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل يكون لهم ولغيرهم، إلا أن ما يكون منه للأنبياء يمتاز بالعصمة والصيانة بخلاف غيرهم.

الثاني: معنى خاص، وهو إخبار الله تعالى أنبياءه ورسله بما يريد من أمر أو نهي أو خبر بالكيفية التي يشاؤها، كما في قول الله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١].

قال ابن جزي رحمه الله: «الآية بين الله تعالى فيها كلامه لعباده، وجعله على ثلاثة أوجه: أحدها المذكور أولاً وهو الذي يكون بإلهام أو منام، والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب، الثالث الوحي بواسطة الملك وهو قوله: {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً} يعني ملكًا، فيوحي بإذنه ما يشاء إلى النبي، وهذا خاص بالأنبياء، والثاني خاص بموسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ كلمه الله ليلة الإسراء، وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيراً، وقد يكون لسائر الخلق، ومنه: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل: ٦٨] ومنه منامات الناس».[3]

---

[1] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ١٠٤٦)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٢٠)، والمغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (٢/ ٣٤٥)، ولسان العرب لابن منظور (١٥/ ٣٧٩).

[2] معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ١٠٤٦).

[3] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ٢٥٢).

فهذه الآية اشتملت على عامة أنواع الوحي، فقوله سبحانه: {وَحْيًا} يدخل فيه أنواع من الوحي؛ من الإلهام[1]، والنفث في الروع[2]، والرؤيا الصادقة ونحو ذلك، وقوله تعالى: {أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} أي مباشرة بلا واسطة وبدون رؤية، وهذا حصل في الدنيا لاثنين من أنبياء الله، وهما موسى بن عمران – عليه السلام – كما في آيات من القرآن[3]، ونبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – كما في حديث الإسراء[4]، وقوله عز وجل: {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً} أي بواسطة رسول ملكي إلى رسول بشري كما هو الغالب في الوحي إلى أنبياء الله ورسله، أو إلى غيرهم من البشر كما حصل لمريم – عليها السلام –[5] ولغيرها[6]، أو بواسطة رسول بشري إلى نظرائه من الآدميين، فإن الأنبياء – عليهم السلام – هم المبلغون وحي الله – عز وجل –

---

[1] وذلك كقوله تعالى مخبرًا عن يوسف – عليه السلام – حين ألقي في الجب: {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف: ١٥]، وقوله سبحانه: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٧].

[2] وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي: إن نفسًا لا تموت حتى تستكمل رزقها». وهو حديث صحيح، انظر تخريجه في السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٦٥ رقم: ٢٨٦٦).

[3] ومن هذه الآيات قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي...} [الأعراف: ١٤٣]، وقوله جل وعلا: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي . إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى . فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى . وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى} [طه: ١١- ١٧].

[4] انظر صحيح البخاري: كتاب التوحيد باب قوله {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (٦/ ٢٧٣٠ رقم: ٧٠٧٩)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى السموات وفرض الصلوات (١/ ١٤٥ رقم: ١٦٢)، ومسند الإمام أحمد (١٩/ ٤٨٥ رقم: ١٢٥٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

[5] قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: ١٦ – ١٩].

[6] كما في صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله (٤/ ١٩٨٨ رقم: ٢٥٦٧) من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».
وكما في قصة «ثلاثة نفر من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى» في صحيح البخاري (٣/ ١٢٧٦ رقم: ٣٢٧٧) ومسلم (٤/ ٢٢٧٥ رقم: ٢٩٦٤).

إلى عباده عمومًا كما هو الشأن في تبليغ الكتب المنزلة والشرائع والأحكام، أو إلى أفراد منهم خصوصًا في غير ذلك[1].

فتبين بما سبق أن للرؤيا الصالحة علاقة بالوحي، إذ هي نوع من أنواع الوحي، وقد سبق مرارًا بيان أنها كانت مبدأ الوحي إلى الأنبياء، وأن رؤيا الأنبياء وحي من الله عز وجل.

وحديث عائشة – رضي الله عنها – في الصحيحين صريح في هذا الباب، حيث قالت: «أول ما بدئ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح».[2]

وجاء في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن أبا هريرة – رضي الله عنه – أخبره أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأُوحِيَ إليَّ في المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي». فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة.[3]

---

[1] وذلك مثل حديث أنس في قصة قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – على أبي بن كعب، وفيه: قال النبي – صلى الله عليه وسلم– لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا}». قال: وسماني؟! قال: «نعم». قال: فبكى. أخرجه البخاري (٤/ ١٨٩٦ رقم: ٤٦٧٦) ومسلم (١/ ٥٥٠ رقم: ٧٩٩).

[2] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٦).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (١٣٢٥/٣ رقم: ٣٤٢٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤى باب رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٧٨٠ رقم: ٢٢٧٣).

◄ المطلب الثالث: علاقة الرؤى بالنبوة.

النُّبُوَّة في اللغة: مأخوذة من النَّبَأ وهو الخبر[(١)]، لا سيما إذا كان ذا شأن وفائدة يحصل به علم أو غلبة ظن.[(٢)]

وربما تكون مأخوذة من النَّبْوَة أو النَّباوة وهي الارتفاع[(٣)]، سميت بذلك لأنها مرتبة علية ومنزلة رفيعة يختار لها الله سبحانه من شاء من عباده.

وقيل: هي مأخوذة من النَّبِي وهو الطريق[(٤)]، سميت بذلك لأنها الطريق الموصلة إلى الله – عز وجل – ورضاه وجنته.

وكل هذه المعاني موجودة في النبوة الشرعية بلا ريب.

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – جزم باشتقاق النبي من النبأ، وضعف اشتقاقه من النَّبْوة، وقال: «وقد قيل: هو من النَّبْوَة، وهي العلو، فمعنى النبي المعلى الرفيع المنزلة، والتحقيق أن هذا المعنى داخل في الأول، فمن أنبأه الله وجعله منبئًا عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر عليًّا، وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة؛ إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي، بل يوصف بأنه الأعلى كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. وقراءة الهمزة قاطعة بأنه مهموز ... وأيضًا فإن تصريفه: أَنْبَأَ ونَبَّأَ يُنْبِئُ ويُنَبِّئُ بالهمزة، ولم يستعمل فيه نَبَا يَنْبُو، وإنما يقال: هذا يَنْبُو عنه، والماء ينبو عن القدم إذا كان يجفو عنها، ويقال: النَّبْوَة، وفي فلان نَبْوَةٌ عنا أي مجانبة. فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الإنباء لا من النَّبْوَة».[(٥)]

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٩٧٣)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ١٦٢)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ٦٧).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٧٨٨– ٧٨٩)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١/ ٦٩١) نقل عن الأصفهاني دون أن يعزو إليه.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٩٧٣)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٧٩٠)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ١٦٢).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٩٧٣).

(٥) النبوات لابن تيمية (ص: ٢٣٧).

وأما النبوة في الاصطلاح:

فيقول الراغب الأصفهاني: «والنُّبُوَّة: سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده؛ لإزاحة عللهم في أمر معادهم ومعاشهم».[1]

ويمكن أن نعرفها بأنها: منزلة رفيعة ومرتبة شريفة، يجتبي لها الله سبحانه من شاء من عباده، فيوحي إليهم بشرعه وأحكامه، ويطلعهم على بعض غيبه، ليكونوا مبلغين عنه داعين إليه.

أما عن علاقة الرؤيا بالنبوة فقد جاءت النصوص بإثباتها وتأكيدها، فقد سبق أن الرؤيا نوع من أنواع الوحي، أوحى الله – جل وعلا – من خلالها إلى أنبيائه، وأثبت القرآن الكريم نماذج من رؤى الأنبياء كما سيأتي ذكرها في الفصل الثاني من هذه الدراسة، وثبت في السنة النبوية نماذج كثيرة من رؤى النبي – صلى الله عليه وسلم – كما سيأتي ذكرها في الفصل الثالث من هذه الدراسة إن شاء الله.

وقد ثبت في أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها – ربما يبلغ حد التواتر المعنوي[2] – بأن الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوة، بعضها أطلق هذا الجزء دون أن يقيده قلة أو كثرة[3]، وبعضها قيده بعدد معين، ثم اختلفت الروايات في تحديد هذا العدد قلة وكثرة.

وأصحها أربع روايات، وهي:

١- رواية «رؤيا المؤمن جزءٌ من أربعين جزءًا من النبوة».[4]

٢- رواية «خمسة وأربعين جزءًا».[5]

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٧٨٩).

(٢) ممن عده في الأحاديث المتواترة: السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة (ص: ١٧٤ رقم: ٦٤)، والكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر (ص: ٢١٧ رقم: ٢٧٤).

(٣) من ذلك حديث أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي» قال: فشق ذلك على الناس، فقال: «ولكن المبشرات». قالوا: يا رسول الله! وما المبشرات؟ قال: «رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة». أخرجه أحمد في مسنده (٢١/ ٣٢٦ رقم: ١٣٨٢٤) وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم». والترمذي في سننه (٤/ ٥٣٣ رقم: ٢٢٧٢) وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١٢٨).

(٤) أخرجها: أحمد في مسنده (٢٦/ ١٠٢ رقم: ١٦١٨٣)، والترمذي في سننه (٤/ ٥٣٦ رقم: ٢٢٧٨) من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه. وقال محققو المسند: «حسن لغيره». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٥٦).

(٥) أخرجها مسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا باب (١) (٢/ ١٧٧٣ رقم: ٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣- رواية «ستة وأربعين جزءًا»[١]، وهي أصحها وأشهرها.

٤- رواية «سبعين جزءًا».[٢]

وما عداها من الروايات لا تخلو من مقال.

وقد سلك العلماء - رحمهم الله - في الإجابة عن اختلاف عدد أجزاء النبوة التي جعلت الرؤيا الصالحة جزءًا منها؛ أربعة مسالك:

المسلك الأول: الجمع بين هذه الروايات المختلفة، وتوجيهها توجيهًا لا يبقى معه إشكال، وهذا مذهب جمهور العلماء، ولكنهم اختلفوا في طريقة جمعهم بين هذه الروايات، وتعددت أقوالهم في ذلك، فمنها ما فيه بُعدٌ وتكلُّفٌ وتعسُّف، ومنها ما هو أقرب إلى الصواب، ولا مانع من أن يحتمل الجمعُ بين هذه الروايات أكثرَ من وجه.

وسأقتصر على ذكر قولين هما أشهر هذه الأقوال وأقربها إلى الصواب من وجهة نظري:

القول الأول: أن اختلاف هذه الروايات راجع إلى اختلاف حال الرائي من حيث الصدق والأمانة واليقين والتدين، فكلما كان الرائي أوفر حظًّا من هذه الأوصاف كانت رؤياه أعظم نصيبًا من هذه الفضيلة الواردة في الأحاديث.

وقد ذهب إلى هذا القول جملة من أهل العلم، منهم: الإمام ابن جرير الطبري (٣١٠هـ)[٣]، والإمام ابن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ)[٤]، واختاره الإمام ابن العربي المالكي (٥٤٣هـ) فقال:

---

[١] أخرجها من حديث عبادة: البخاري في صحيحه: كتاب التعبير باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة (٦/ ٢٥٦٣ رقم: ٦٥٨٦)، ومسلم في صحيحه: في الباب الأول من كتاب الرؤيا (٧/ ١٧٧٤ رقم: ٢٢٦٤). ومن حديث أبي هريرة: البخاري في صحيحه: كتاب التعبير باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة (٦/ ٢٥٦٣ رقم: ٦٥٨٧)، ومسلم في صحيحه في الباب الأول من كتاب الرؤيا (٤/ ١٧٧٣ رقم: ٢٢٦٣). ومن حديث أنس: البخاري في صحيحه كتاب التعبير باب رؤيا الصالحين (٦/ ٢٥٦٢ رقم: ٦٥٨٢). ومن حديث أبي سعيد الخدري: البخاري في صحيحه كتاب التعبير باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة (٦/ ٢٥٦٨ رقم: ٦٥٩٣).

[٢] أخرجها مسلم في صحيحه في الباب الأول من كتاب الرؤيا (٤/ ١٧٧٥ رقم: ٢٢٦٥).

[٣] نسب هذا القول إليه: ابن بطال في شرحه على صحيح البخارى (٩/ ٥١٥)، وأبو الوليد الباجي في المنتقى شرح الموطأ (٧/ ٢٧٦)، والمازري في المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٢٠٥)، والقاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢١٣)، وابن الملقن في كتابه التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/ ١٤٣) وغيرهم.

[٤] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (١/ ٢٨٣).

«وأصح ما في ذلك: تأويل الطبري عالم القرآن والحديث، قال: نسبة هذه الأعداد إلى النبوة إنما هو بحسب اختلاف حال الرائي، فتكون رؤيا الصالح على نسبته، والمحطوط عن درجته على دونها، وهذا تأويل جُمْليٌّ، فأما تحقيق الأجزاء وكيفية القسمة فلا يمكن ذلك أبدًا»[1]، واختاره من المتأخرين الألباني – رحمه الله – كما في السلسلة الصحيحة[2].

القول الثاني: أن الاختلاف في هذه الروايات راجع إلى حال الرؤيا نفسها، إذ ليست الرؤى كلها على مستوى واحد من الظهور والجلاء والدلالة، بل منها ما هو ظاهر جلي لا رمز فيها ولا غرابة، ومنها ما هو خفي بعيد المرام صعب الإدراك، فكلما كانت الرؤيا واضحة الدلالة كانت إلى الأربعين والستة والأربعين جزءًا أقرب، وكلما كانت خفية الدلالة كانت إلى السبعين جزءًا أقرب.

وقد ذهب إلى هذا القول: الإمام ابن بطال (٤٤٩هـ) – رحمه الله – في شرحه على البخاري، فقال: «الرؤيا تنقسم قسمين لا ثالث لهما، وهو أن يرى الرجل رؤيا جلية ظاهرة التأويل، مثل من رأى أنه يعطى شيئًا في المنام فيعطى مثله بعينه في اليقظة، وهذا الضرب من الرؤيا لا إغراق في تأويلها ولا رمز في تعبيرها، والقسم الثاني: ما يراه من المنامات المرموزة البعيدة المرام في التأويل، وهذا الضرب يعسر تأويله إلا [على][3] الحذاق بالتعبير؛ لبعد ضرب المثل فيه، فيمكن أن يكون هذا القسم من السبعين جزءًا، [والأول من الستة والأربعين؛ لأنه إذا قلَّت الأجزاء][4] كانت الرؤيا أقرب إلى النبأ الصادق، وآمن من وقوع الغلط في تأويلها، وإذا كثرت الأجزاء بَعُدتْ بمقدار ذلك وخفي تأويلها، والله أعلم بما أراد نبيه صلى الله عليه وسلم».[5]

وذكر الإمام المازري (٥٣٦هـ) في شرحه على مسلم قولاً قريبًا من هذا فقال: «وقد قيل: إن المنامات دلالات، والدلالة منها خفيّ ومنها جَلِيٌّ، فما ذكر فيه السبعون أريد به أنّه الخفيّ منها، وما ذكر فيه الستة والأربعون أريد به الجلي منها».[6]

---

[1] القبس في شرح موطأ ابن أنس لابن العربي (٤/ ٣٣٤- ٣٣٥).

[2] السلسلة الصحيحة (٤/ ٤٨٧)، وانظر: المقدمات الممهدات السلفيات في تفسير الرؤى والمنامات (ص: ٤٥٠).

[3] زيادة مني ليستقيم الكلام.

[4] ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل المطبوع، استدركته من فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٦٥).

[5] شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٥١٧).

[6] المعلم بفوائد مسلم للمازري (٣/ ٢٠٥).

وهذا القول هو أحد الوجهين اللذين جمع بهما ابن أبي جمرة بين هذه الروايات كما في شرحه على مختصر صحيح البخاري.[1]

والجمع بين هذه الروايات هو أولى وأرجح المذاهب، لأن فيه إعمال الأدلة كلها وعدم إهمال شيء منها، وأقرب القولين المذكوين هو القول الأول، ويقويه الحديث المرفوع: «وأصدقكم رؤيا: أصدقكم حديثًا».[2]، ومما يؤيده أيضًا وصف الرائي الذي رؤياه من أجزاء النبوة بالإيمان والصلاح كقوله صلى الله عليه وسلم: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[3]، وقوله: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[4]، والناس متفاوتون في الإيمان والصلاح.

ومما يؤيده أيضًا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا قص عليه أحد رؤياه سأل عن حاله، فإن كان ليس به بأس كان أعجب لرؤياه إليه، كما أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تعجبه الرؤيا الحسنة، فربما قال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» فإذا رأى الرجل رؤيا سأل عنه، فإن كان ليس به بأس كان أعجب لرؤياه إليه.[5]

وفي قول الله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: ٦٢- ٦٤] ما يدل على أن من اتصف بالإيمان والتقوى والولاية لله – عز وجل – كان أوفر الحظ والنصيب من البشرى التي فسرها النبي – صلى الله عليه وسلم – بالرؤيا الصالحة يراها العبد المسلم أو ترى له.[6]

---

[1] بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها لابن أبي جمرة (٤/ ٢٤٠).

[2] أخرجه مسلم، وتقدم تخريجه (ص: ٧٦).

[3] أخرجه البخاري، وتقدم تخريجه (ص: ١٩).

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة (٦/ ٢٥٦٢ رقم: ٦٥٨٢)، ومسلم في صحيحه: في الباب الأول من كتاب الرؤيا (٤/ ١٧٧٤ رقم: ٢٢٦٤) من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه.

[5] مسند أحمد (١٩/ ٣٧٨ رقم: ١٢٣٨٥) وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

[6] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤١).

والقول الثاني أيضًا له وجه صحيح، ولا مانع من احتمال القولين، فيكون الاختلاف المذكور راجعًا إلى حال الرؤيا تارة، وإلى حال الرائي تارة أخرى، فإن رؤى الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مع ما هم عليه من المنزلة الرفيعة في الصدق والأمانة والتديّن؛ تارة تكون ظاهرة لا تحتاج إلى تأويل كرؤيا إبراهيم – عليه السلام – في ذبح ابنه، وتارة تكون مرموزة تحتاج إلى تأويل كرؤيا يوسف – عليه السلام – حين رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، وكرؤيا نبينا – صلى الله عليه وسلم – في شأن وباء المدينة التي قال فيها: «رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة – وهي الجحفة – فأولت أن وباء المدينة نقل إليها».[1]

المسلك الثاني: ادعاء نسخ بعضها ببعض، وأن الرواية التي فيها زيادة نسبة الرؤيا من النبوة ناسخة لما دونها من الروايات، وممن سلك هذا المسلك: الإمام الطحاوي – رحمه الله – في كتابه القيم «شرح مشكل الآثار»، حيث عقد فيه بابًا بعنوان: «بيان مشكل ما روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الرؤيا: كم هي من جزء من الأجزاء التي هي النبوة؟»، ثم أورد فيه رواية السبعين جزءًا والخمسين جزءًا والستة والأربعين جزءًا، ثم بين وجه الإشكال في هذه الروايات، ثم قرّر أن جميع ما روي في الباب يحتمل ما لا تضاد فيه، وهو أن الرؤيا جزء من أجزاءٍ من النبوة جعلت بشارات، ثم قال: «فاحتمل أن يكون الله – عز وجل – كان جعلها في البدء جزءًا من سبعين جزءًا من النبوة، فيكون ما يعطى من رآها أو رئيت له بها ذلك الجزء من النبوة فضلاً منه عليه، وعطية منه إياه، ثم زاده بعد ذلك أن يجعل ما يعطيه بها جزءًا من خمسين جزءًا من النبوة، ثم زاده بعد ذلك أن جعل ما يعطيه بها جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة. فإن قال قائل: وكيف لم يجز أن يكون قليلها هو الناسخ لكثيرها؟ فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله – عز وجل – وعونه: أن الله – عز وجل – لا ينتزع من عباده فضلاً تفضل به عليهم إلا بحادثة يحدثونها يستحقون بها ذلك منه، كما قال الله عز وجل: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} [النساء: ١٦٠] الآية. وكما قال الله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير، باب إذا رأى أنه أخرج الشيء من كورة فأسكنه موضعًا آخر (٢٥٨٠/٦ برقم: ٦٦٣١).

بِأَنْفُسِهِمْ} [الأنفال: ٥٣]، فلم يكن ممن أنعم عليه – عز وجل – بكثير من أجزاء النبوة ما يستحقون به حرمان ذلك والرد إلى قليل أجزائها، والله نسأله التوفيق».[(١)]

وقد ذكر الإمام ابن العربي المالكي – رحمه الله – مثل هذا القول عن بعض العلماء في شرحه على الموطأ.[(٢)]

وهذا المسلك ضعيف هنا؛ لعدم العلم بالمتقدم من هذه الروايات على المتأخر منها، ليقال بنسخ الأول بالثاني، وذلك شرط في قبول القول بالنسخ[(٣)]، ولأنه لا يصار إلى القول بالنسخ مع إمكانية الجمع كما هو مذهب جمهور العلماء[(٤)]، والجمع هنا ممكن، ولأن هذه الروايات أخبار، والنسخ لا يقع في الأخبار كما هو معلوم عند الأصوليين.[(٥)]

المسلك الثالث: الترجيح بين الروايات ومن ثم الأخذ بأرجحها.

والذين سلكوا هذا المسلك رجحوا رواية «ستة وأربعين جزءًا من النبوة» على غيرها من الروايات، وذلك لأنها أصح الروايات وأشهرها وأكثرها رواة، وقد اتفق على تخريجها البخاري ومسلم رحمهما الله، ثم وجه بعضهم هذه الرواية بأن مدة النبوة كانت ثلاثًا وعشرين سنة، لأنه – صلى الله عليه وسلم – بُعث عند استيفاء الأربعين سنة، وكان في أول الأمر يرى الوحيَ في المنام، ودام كذلك نصف سنة ثم رأى الملَك في اليقظة، فإذا نُسِبَتْ مدة الوحي في النوم – وهي نصف سنة – إلى مدة نبوته وهي ثلاث وعشرون سنة كانت جُزْءًا واحدًا من ستَّة وأربعين جُزءًا.

---

(١) شرح مشكل الآثار (٥/ ٤١٣- ٤٢٢).

(٢) القبس في شرح موطأ ابن أنس (٤/ ٣٣٤).

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٥٦٣)، ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص: ٢٥٠).

(٤) انظر: روضة الناظر لابن قدامة الحنبلي (٣/ ١٠٢٩- ١٠٣٠)، والتقريب والتيسير للنووي الشافعي (ص: ٩٠)، وكشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعلاء الدين البخاري الحنفي (٣/ ٧٨)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة للدكتور عثمان بن علي حسن (١/ ٣٢٢- ٢٢٤)، ومنهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث للدكتور عبد المجيد السوسوة (ص: ١١٣- ١١٥).

(٥) انظر: روضة الناظر لابن قدامة (١/ ٢٩٠)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٣/ ١٥٨)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٥٤٣)، وإرشاد الفحول للشوكاني (٢/ ٥٥)، وانظر أيضًا: شرح ابن بطال على البخاري (٩/ ٥١٧).

ومن مال إلى هذا المسلك: القاضي عياض (٥٤٤هـ)[١]، والإمام ابن الأثير (٦٠٦هـ)[٢]، وأبو زرعة ابن العراقي (٨٢٦هـ) فإنه ذكر الروايات الواردة ثم قال: «فهذه ثمان روايات، أقلها من ستة وعشرين، وأكثرها سبعون، وأصحها وأشهرها ستة وأربعون، فإن ملنا إلى الترجيح فرواية الستة والأربعين أصح كما تقدم».[٣]

وهذا المسلك ضعيف، لأن فيه إهمالاً لبقية الروايات الصحيحة، وبهذا ردّ القرطبيُّ شارحُ مسلمٍ هذا المسلكَ فقال: «فاختلفت الرواية فيه من ستة وعشرين إلى سبعين، كما قد ذكرناه، وأكثرها في الصحيحين، وكلها مشهور فلا سبيل إلى أخذ أحدها وطرح الباقي، كما قد فعل أبو عبد الله المازري[٤]؛ فإنه قد يكون بعض ما ترك أولى مما قَبِلَ إذا بحثنا عن رجال أسانيدها، وربما ترجح عند غيره غير ما اختاره هو».

ثم قال: «وإذا تقرر هذا فلا يضرنا الاضطراب الذي وقع في عدد تلك الأجزاء مع حصول المقصود من الخير[٥]، غير أن علماءنا قد راموا إزالة ذلك الاضطراب، وتأولوه تأويلات فلنذكرها».[٦]

ولأن الترجيح بين الروايات التي ظاهرها التعارض لا يُسار إليه إلا إذا تعذر الجمع بينها أو معرفة الناسخ والمنسوخ منها، كما هو مذهب جمهور العلماء، والجمع هنا ممكن كما تقدَّم.

المسلك الرابع: التوقف، وعدم الترجيح أو الجمع بين الروايات، والإيمان بها كما وردت، وعدم تأويلها بالظنون التي لا تغني من الحق شيئًا.

ومن مال إلى هذا المسلك الإمام الخطابي (٣٨٨هـ) في ظاهر كلامه في كتابه «أعلام الحديث»، حيث إنه أنكر المناسبة التي ذكرها بعض العلماء في كون الرؤيا ستة وأربعين جزءًا

---

[١] كما يُفهم ذلك منه في كتابه إكمال المعلم (٧/ ٢١١- ٢١٢).

[٢] كما يُفهم ذلك منه في كتابه جامع الأصول (٢/ ٥١٨)، والنهاية في غريب الأثر (١/ ٢٦٥)، وبعد بيانه لترجيح رواية الستة والأربعين حاول توجيه رواية الخمسة والأربعين ورواية الأربعين، وقال في رواية السبعين جزءًا: «فما أعلم له وجها، ولا يحضرني الآن له وجه. والله أعلم».

[٣] طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي و ابنه أبي زرعة (٨/ ٢٠٩).

[٤] لعل هذا وهم من القرطبي – رحمه الله – فإن المازري – رحمه الله – لم يذهب هذا المذهب في كتابه المعلم وقد نبه على هذا الوهم ابن العراقي في طرح التثريب (٨/ ٢٠٨) فقال: «وحكى أبو العباس القرطبي عن المازري أنها الأكثر والأصح عند أهل الحديث، ولم أقف على ذلك في المعلم، وإنما هو في الإكمال للقاضي، وكأنه اشتبه عليه».

[٥] هكذا في الأصل المطبوع، ولعل الصواب: الخبر.

[٦] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ١٤- ١٥).

من النبوة[1] ثم قال: «كأنه ظنٌّ وحسبان، والظن لا يغني من الحق شيئًا، ولئن كانت هذه المدة محسوبة من أجزاء النبوة على ما ذهب إليه من القسمة؛ لقد كان يجب أن تلحق بها سائر الأوقات التي كان يوحى إليه في منامه في تضاعيف أيام حياته، وأن تلتقط فتلفق وتزاد في أصل الحساب، وإذا صرنا إلى هذه القضية بطلت هذه القسمة وسقط هذا الحساب» ثم قال: «ونقول: إن هذا الخبر صحيح وجملة ما فيه حق، وليس كل ما يخفى علينا علَّتُه لا تلزمنا حجته، وقد نرى أعداد ركعات الصلوات وأيام الصيام ورمي الجمار محصورة في حساب معلوم، وليس يمكننا أن نصل من علمها إلى أمر يوجب حصرها تحت هذه الأعداد دون ما هو أكثر منها أو أقل، فلم يكن ذهابنا عن معرفة ذلك قادحًا في موجب الاعتقاد منا في اللازم من أمرها. وهذا كقوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث آخر: «الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة عشر جزءًا من النبوة»[2] وتفصيل هذا العدد وحصر النبوة به متعذر لا يمكن الوقوف عليه، وإنما فيه أن هاتين الخصلتين من جملة هدي الأنبياء وشمائلهم، ومن جملة شيمهم وأخلاقهم، فكذلك الأمر في الرؤيا أنه جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، ومعنى الحديث: تحقيق الرؤيا، وأنها مما كان الأنبياء يثبتونه ويحققونه، وأنها كانت جزءًا من أجزاء العلم الذي كان يأتيهم، والأنباء التي كان ينزل بها الوحي عليهم، والله أعلم».[3]

وممن مال أيضًا إلى هذا المسلك: الإمام أبو عبد الله التوربشتي (٦٦١هـ) في شرحه لمصابيح السنة، فقال: «وأما وجه تحديد الأجزاء بستة وأربعين؛ فأرى ذلك مما يجتنب القول فيه ويتلقى بالتسليم؛ فإن ذلك من علوم النبوة التي لا تقابل بالاستنباط، ولا يتعرض له بالقياس، وذلك مثل ما قال في حديث عبد الله بن سرجس في السمت الحسن والتؤدة

---

[1] وهي التي ذكرناها في المسلك الثالث.

[2] هكذا في الأصل المطبوع، ولم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من مصادر، والحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ٣٨١) حينما نقل كلام الخطابي هذا ذكر الحديث بلفظ: «الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة» وهو الأولى بالصواب، والحديث أخرجه: أبو داود في سننه (٧/ ١٥٥ رقم: ٤٧٧٦) من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – بلفظ: «الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة» وقال الأرنؤوط: حديث حسن لغيره.

[3] أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٣١٥– ٢٣١٩).

والاقتصاد إنها «جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة».[1] وقلّما يصيب مؤول في حصر هذه الأجزاء، ولئن قُيِّضَ له الإصابة في بعضها لما يشهد له الأحاديث المستخرج منها؛ لم يسلم له ذلك في البقية».[2]

وهذا المسلك أيضًا لا يصار إليه إلا إذا لم يمكن شيء من المسالك المتقدمة، وقد تبين أن الجمع ممكن.

وما تثبته هذه الروايات - على اختلافها - هو أن الرؤيا الصالحة جزء من النبوة، بغَضِّ النظر عن مقدار ذلك الجزء، فهذا القدر مشترك فيه بين جميع الروايات، وهو ما يثبت علاقة الرؤيا بالنبوة، وأنها علاقة الجزء بالكل.

كما أشار إلى ذلك الخطابي - رحمه الله - بقوله: «ومعنى الحديث: تحقيق الرؤيا، وأنها مما كان الأنبياء يثبتونه ويحققونه، وأنها كانت جزءًا من أجزاء العلم الذي كان يأتيهم، والأنباء التي كان ينزل بها الوحي عليهم، والله أعلم».[3]

وكون الرؤيا جزءًا من أجزاء النبوة مما يستعظم ولو كانت جزءًا من ألف جزء كما ذكر ابن بطال رحمه الله[4].

فإذا تبين ذلك، يبقى أن نعلم ما المراد بكون الرؤيا جزءًا من النبوة؟ هل معنى ذلك أن صاحب الرؤيا الصالحة له حظ من النبوة؟ ثم ألا يتعارض هذا مع انقطاع النبوة بموت النبي صلى الله عليه وسلم؟

أما إذا كانت الرؤيا الصالحة واقعة من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الأنبياء فلا إشكال في ذلك؛ لأن رؤيا الأنبياء حق ووحي، فهي في حقهم جزء من النبوة على الحقيقة، ولا خلاف في ذلك.[5]

---

(1) حديث عبد الله بن سرجس أخرجه: الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٢٢٢ رقم: ١٠٦٥) بلفظ: «الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد والتؤدة، جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة» وإسناده حسن فيما يظهر لي، وأخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٣٦٦ رقم: ٢٠١٠) بلفظ: «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة» وقال: حديث حسن غريب. وحسنه الألباني انظر حديث رقم : (٣٦٩٢) في صحيح الجامع.

(2) الميسر في شرح مصابيح السنة لأبي عبد الله التوربشتي (٣/ ١٠١٨).

(3) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٣١٩).

(4) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٥١٧).

(5) انظر: أعلام الحديث للخطابي (٤/ ٢٣١٩)، وشرح السنة للبغوى (١٢/ ٢٠٣)، والكواكب الدراري للكرماني (٢٤/ ٩٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٨٠)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ١٢٣)، وشرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٥٥٦).

وأما إذا كانت من غير الأنبياء فهذا محل البحث والتحقيق، والعلماء - رحمهم الله - متفقون على أن كون الرؤيا الصالحة من غير الأنبياء جزءًا من أجزاء النبوة لا يعني أن صاحبها يشترك مع الأنبياء في النبوة والوحي بمعناهما الخاص الذي به يكون النبي نبيًّا، لأن النبوة بمعناها الخاص قد ذهبت وانقطعت بموت النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث أم كرز الكعبية - رضي الله عنها - مرفوعًا: «ذهبت النبوة، وبقيت المبشرات».[1] وفي حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي». قال: فشق ذلك على الناس، فقال: «لكن المبشرات». قالوا: يا رسول الله! وما المبشرات؟ قال: «رؤيا المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة».[2]

ولأن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة وليست بانفرادها نبوة، كما أن ما كان جزءًا من أجزاء الصلاة لا يكون بانفراده صلاة[3].

ومن ذهب من العلماء إلى القول بأن الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوة في حق الأنبياء خاصة دون غيرهم[4]، وأنه لا يمكن أن يحصل لغير الأنبياء جزء من النبوة[5]؛ لعلهم أرادوا النبوة بمعناها الخاص كما أسلفنا، ولم يقصدوا رد مدلول هذه الأحاديث، أو تخصيصها بالأنبياء مع تصريحها بغير الأنبياء.

---

[1] أخرجه ابن ماجه في سننه (٥/ ٥٧ رقم: ٣٨٩٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٤٦ رقم: ٣٤٣٩).

[2] أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٣٣ رقم: ٢٢٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٣٦ رقم: ١٦٣١).

[3] انظر: الصفدية لابن تيمية (١/ ٢٣٤- ٢٣٦)، وشرح المشكاة للطيبي (٩/ ٢٩٩٩)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٩٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ١٢٣).

[4] قاله الخطابي في معالم السنن (٤/ ١٣٨)، ونقله عنه النووي في شرحه على مسلم (١٥/ ٢٤)، ورجحه ابن حزم في الفصل (٥/ ١٤) فقال: «وقد تخرج هذه النسب والأقسام على أنه - عليه السلام - إنما أراد بذلك رؤيا الأنبياء عليهم السلام، فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزءًا من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله، ومنهم من رؤياه جزء من ستة وأربعين جزءًا من نبوته وخصائصه وفضائله، ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزءًا من نبوته وخصائصه وفضائله، وهذا هو الأظهر، والله أعلم، ويكون خارجًا على مقتضى ألفاظ الحديث بلا تأويل بتكلف».

[5] قال ابن العراقي في طرح التثريب (٨/ ٢١٤): «لا يتخيل من هذا الحديث أن رؤيا الصالح جزء من أجزاء النبوة، فإن الرؤيا إنما هي من أجزاء النبوة في حق الأنبياء عليهم السلام، وليست في حق غيرهم من أجزاء النبوة، ولا يمكن أن يحصل لغير الأنبياء جزء من النبوة، وإنما المعنى أن الرؤيا الواقعة للصالح تشبه الرؤيا الواقعة للأنبياء التي هي في حقهم جزء من أجزاء النبوة، فأطلق أنها من أجزاء النبوة على طريق التشبيه. قال الخطابي: وإنما كانت من أجزاء النبوة في الأنبياء - صلوات الله عليهم - دون غيرهم؛ لأن الأنبياء - صلوات الله عليهم - يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة. ثم قال: وقال بعض أهل العلم: معناه أن الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة. وقال آخر: معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة، وعلم النبوة باق، والنبوة غير باقية».

ثم اختلف العلماء بعد ذلك في المراد بكون الرؤيا الصالحة من غير الأنبياء جزءًا من النبوة، فذهب بعضهم إلى حمل هذه الأحاديث على المجاز في حق غير الأنبياء، والذي حملهم على ذلك هو أن النبوة قد انقطعت بموت النبي صلى الله عليه وسلم[1]، ولأنهم – فيما يظهر لي – حملوا النبوة في هذه الأحاديث على مفهومها الخاص، فاستشكلوا كون الرؤيا الصالحة من غير الأنبياء جزءًا من النبوة مع أن النبوة انقطعت بموت النبي صلى الله عليه وسلم، ولأنهم قالوا : النبوة لا تتجزأ [2].

ثم ذكروا في تأويل هذه الأحاديث أقوالاً منها:

١ – أن الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء علم النبوة، لأنها وإن انقطعت فعلمها باق[3].

٢– أن الرؤيا الصالحة تأتي على موافقة النبوة، لا أنها جزء باق من النبوة.[4]

وقريب من هذا قولُ من قال: «المعنى: أن الرؤيا الواقعة للصالح تشبه الرؤيا الواقعة للأنبياء، التي هي في حقهم جزء من أجزاء النبوة، فأطلق أنها من أجزاء النبوة على طريق التشبيه».[5]

ومن العلماء من ذهب إلى أنه لا حرج في حمل هذه الأحاديث على الحقيقة، وقال: لا حرج في الأخذ بظاهرها، فإن أجزاء النبوة لا تكون نبوة، فلا ينافي حديث «ذهبت النبوة».[6]

وقال أبو عبد الله التوربشتي: «وأرى الذاهبين إلى التأويلات التي ذكرناها قد هالهم القول بأن الرؤيا جزء من النبوة وقد قال صلى الله عليه وسلم: «ذهبت النبوة»، ولا حرج على أحد في الأخذ بظاهر هذا القول؛ فإن جزءًا من النبوة لا يكون نبوة، كما أن جزءًا من الصلاة على الانفراد لا يكون صلاة، وكذلك عمل من أعمال الحج، وشعبة من شعب الإيمان».[7]

---

[1] انظر: طرح التثريب في شرح التقريب لابن العراقي (٨/ ٢١٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٨٠).

[2] انظر: شرح السنة للبغوي (١٢/ ٢٠٤).

[3] انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ١٣٩)، وشرح السنة للبغوي (١٢/ ٢٠٣)، وطرح التثريب لابن العراقي (٨/ ٢١٤)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ١٢٣).

[4] انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ١٣٩)، وشرح المشكاة للطيبي (٩/ ٢٩٩٩)، وعمدة القاري للعيني (١٣١/٢٤).

[5] انظر: طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢١٤).

[6] انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة (٣/ ١٠١٨)، ومجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار لجمال الدين الكجراتي (٢/ ٢٦٣).

[7] انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة (٣/ ١٠١٨).

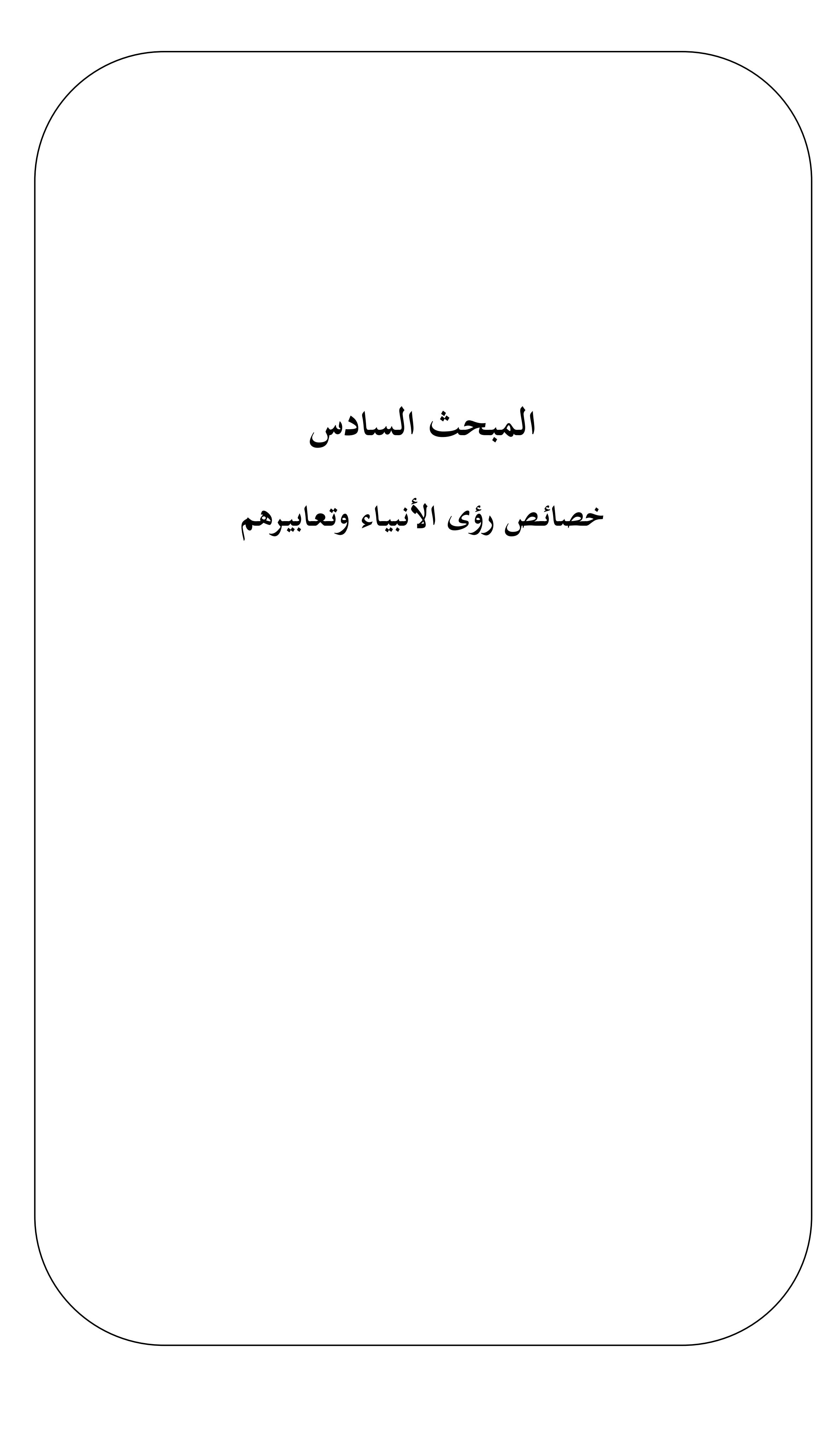
وهؤلاء العلماء حملوا النبوة في هذه الأحاديث على حقيقتها اللغوية فقالوا: «إن لفظ «النبوة» مأخوذ من النبأ والإنباء، وهو الإعلام في اللغة، والمعنى أن الرؤيا إنباء صادق من الله لا كذب فيه، كما أن معنى النبوة الإنباء الصادق من الله الذي لا يجوز عليه الكذب، فشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر عن الغيب».[1]

وقال القاضي عياض رحمه الله: «وبالجملة في هذا كله صحةُ أمر الرؤيا وتعظيمُ شأنها وعلمها، وأنها جزءٌ من النبوة، وخاصية من خصائصها، وكانت حقيقةً من أجزاء النبوة لما فيها من الإعلام الذي هو معنى النبوة على أحد الوجهين».[2]

---

[1] انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٥١٧).

[2] إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٧/ ٢١٥).



المبحث السادس

خصائص رؤى الأنبياء وتعابيرهم

المبحث السادس

خصائص رؤى الأنبياء وتعابيرهم

الخصائص: جمع خِصِّيصة، وهي الصفة التي تميز الشيء وتحدده.[1]

وخصائص رؤى الأنبياء هي الصفات والسمات التي تميزتْ بها عن رؤى غيرهم، ولا شك أنه كما خص الله تعالى أنبياءه بخصائص دون غيرهم من البشر، كذلك خص رؤاهم بخصائص دون غيرها من الرؤى.

فمن تلك الخصائص ما يلي:

١- أن رؤى الأنبياء - عليهم السلام - كلها صادقة صالحة، لا سبيل للشيطان إليها، ولا يمكن أن تكون من قبيل الأضغاث أو أحاديث النفس، فإن الله - عز وجل - قد عصمهم من ذلك[2]، وذلك لأن رؤاهم حق وواقع كما أخبرت عائشة - رضي الله عنها - عن نبينا - صلى الله عليه وسلم - بقولها: «فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[3]

قال القاضي عياض رحمه الله: «قوله في الرؤيا: (مثل فلق الصبح) بفتح اللام، يعني: انشقاقه وبيانه وخروجه من الظلام، شبهها به لبيانها في إنارته وضوئه وصحته».[4]

وقال البيضاوي: «شبه ما جاءه في اليقظة ووجده في الخارج طبقًا لما رآه في المنام بالصبح في إنارته ووضوحه».[5]

وقال حمزة بن محمد قاسم[6]: «أي فكانت رؤياه - صلى الله عليه وسلم - كلها صحيحة صادقة، لا يرى رؤيا إلا تحقَّقَ تفسيرها وظهر، كما يظهر الصباح في هذا الوجود، لأنَّ رؤيا الأنبياء ليست من أضغاث الأحلام، وإنّما هي حق ووحي من الله».[7]

---

[1] المعجم الوسيط (١/ ٢٣٨).

[2] انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٣٦- ٣٧).

[3] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٦).

[4] مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ١٥٨).

[5] تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/ ٤٧٥).

[6] هو أحد علماء المدينة وأدبائها المعاصرين، ولد سنة ١٣٤٤هـ، درس على الشيخ محمد الحافظ القاضي في المدينة النبوية، وتخرج من مدرسة العلوم الشرعية، ودرّس بها، اختصر صحيح البخاري ثم شرح مختصره في خمسة مجلدات بعنوان: مناري القاري شرح صحيح البخاري، وهو شرح مفيد، توفي ١٤٣١هـ.

[7] منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (١/ ٣٤).

٢- أن رؤى الأنبياء وحيٌ من الله عز وجل، دل على ذلك القرآن الكريم كما في قصة رؤيا إبراهيم عليه السلام، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، وسيأتي مزيد بيان له في الفصل التالي، وكذلك دلت عليه السنة النبوية كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - السابق، فإنها قالت فيه: «أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم».[١]

قال ابن الملقن رحمه الله: «قولها: (مِنَ الوَحْيِ) في (من) هنا قولان: أحدهما: أنها لبيان الجنس. وثانيهما: للتبعيض، قال القزاز بالأول، كأنها قالت: من جنس الوحي، وليست الرؤيا من الوحي حتَّى تكون (من) للتبعيض، ورده القاضي، وقال: بل يجوز أن تكون للتبعيض، لأنها من الوحي، كما جاء في الحديث أنها جزء من النبوة. والوحي: الإعلام كما سلف، فرؤيا المنام إعلام وإنذار وبشارة، ورؤيا الأنبياء حق وصدق».[٢]

ونقل العراقي قول القزاز[٣] ورد القاضي عياض - رحمهم الله - ثم قال: «ويمكن أن يكون لبيان الجنس مع الجزم بأن الرؤيا وحي».[٤]

وثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفًا عليه أنه قال: «كانت رؤيا الأنبياء وحيًا».[٥]

وذكر الطحاوي - رحمه الله - أن مثل هذا لا يقوله ابن عباس - رضي الله عنهما- عن رأيه وإنما أخذه من حيث يؤخذ مثله.[٦]

---

[١] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٦).

[٢] التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢/٢٤٤)، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١/٤٧٩).

[٣] هو العلامة إمام الأدب أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي القيرواني النحوي، مؤلف كتاب " الجامع " في اللغة، وهو من نفائس الكتب، وكان يعرف بالقزاز، صنف كتبًا للعزيز العبيدي صاحب مصر، وكان مهيبًا، عالي المكانة، محببًا إلى العامة، لا يخوض إلا في علم دين أو دنيا، وعمِّر تسعين عامًا. قيل: مات بالقيروان سنة ٤١٢هـ. سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٢٦- ٣٢٧).

[٤] طرح التثريب في شرح التقريب (٤/ ١٨٣).

[٥] أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٢ رقم: ٤٦٣)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٤ رقم: ١٨٧٧٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤/ ٤٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٠١ رقم: ١١٣٢٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٦ رقم: ١٢٣٠٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٤ رقم: ٣٦٦٥) كلهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا عليه. وقال الألباني في ظلال الجنة (١/ ٢٣١): «إسناده حسن، رجاله ثقات رجال مسلم، وفي سماك وهو ابن حرب كلام يسير، وهو في روايته عن عكرمة خاصة أشد».

[٦] شرح مشكل الآثار (١٤/ ٤٦٥).

وقد روي مرفوعًا من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – إلا أن في سنده مقالاً.[1]

ورواه البخاري في صحيحه من قول عبيد بن عمير وهو من كبار التابعين فقال: «رؤيا الأنبياء وحي». ثم قرأ: {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: ١٠٢].[2]

٣- أن رؤيا الأنبياء حجة واجبة الاتباع، دلت عليه قصة إبراهيم عليه السلام، وسيأتي توضيح ذلك عند الحديث عن رؤيا إبراهيم عليه السلام، وهذه الميزة مرتبة على الميزة التي سبقتها وهي كون رؤيا الأنبياء وحيًا.

٤- أن مما جعل رؤى الأنبياء متميزة عن رؤى غيرهم: كون الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، كما في الصحيحين من حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: قلت: يا رسول الله! تنام قبل أن توتر؟ قال: «تنام عَيْنَيَّ، ولا ينام قلبي».[3]

وفي البخاري من حديث أنس – رضي الله عنه – في قصة الإسراء: «حتى جاؤوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي – صلى الله عليه وسلم – نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم».[4]

قال ابن عبد البر – رحمه الله – في التمهيد[5] معلقًا على حديث نومه – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه عن صلاة الفجر[6]: «ونومه – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٢١ رقم: ١٨٢٣١)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٧- ٢٨) فقال: «قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أبو عبد الملك الكرندي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن إسرائيل بن يونس، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رؤيا الأنبياء في المنام وحي»» ثم قال: «ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه». وقال الألباني في ظلال الجنة (١/ ٢٣١) : «رجاله ثقات غير أبي عبد الملك الكرندي فلم أعرفه ولا عرفت نسبته» قلت: وفي رواية سماك عن عكرمة كلام كما نبه الألباني في التعليق السابق.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء (١/ ٦٤ رقم: ١٣٨).

(٣) صحيح البخاري: كتاب المناقب باب كان النبي – صلى الله عليه وسلم – تنام عيناه ولا ينام قلبه (٣/ ١٣٠٨ رقم: ٣٣٧٦)، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم بالليل (١/ ٥٠٩ قم: ٧٣٨).

(٤) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه (٣/ ١٣٠٨ رقم: ٣٣٧٧).

(٥) (٥/ ٢٠٧- ٢٠٩).

(٦) انظر الحديث في صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها (١/ ٤٧١ رقم: ٦٨٠).

في ذلك الوقت عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس أمرٌ خارج – والله أعلم – عن عادته وطباعه وطباع الأنبياء قبله، وأظن الأنبياء مخصوصين بأن تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم، وإنما كان نومه ذلك ليكون سنة – والله أعلم – وليعلم المؤمنون كيف حكم من نام عن الصلاة أو نسيها حتى يخرج وقتها، وهو من باب قوله عليه السلام: «إني لأَنْسَى أو أُنَسَّى لِأَسُنَّ»[1] والذي كانت عليه جبلته وعادته – صلى الله عليه وسلم – أن لا يخامر النوم قلبه، ولا يخالط نفسه، وإنما كانت تنام عينه، وقد ثبت عنه أنه قال: «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»[2] وهذا على العموم لأنه جاء عنه صلى الله عليه وسلم: «إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا»[3]. ولا يجوز أن يكون مخصوصًا بذلك، لأنها خصلة لم يعدها في الست التي أوتيها ولم يؤتها أحد قبله من الأنبياء[4]، فلما أراد

---

[1] أخرجه الإمام مالك في الموطأ (١/ ١٠٠) بلاغًا بغير إسناد، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢١٨/١ رقم: ١٠١): «باطل لا أصل له». ثم قال: «فالعجب من ابن عبد البر كيف يورد الحديث في "التمهيد " جازمًا بنسبته إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – في غير موضع منه!» ثم قال: «وظاهر الحديث أنه – صلى الله عليه وسلم – لا ينسى بباعث البشرية وإنما ينسيه الله ليشرع، وعلى هذا فهو مخالف لما ثبت في "الصحيحين" وغيرهما من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني»، ولا ينافي هذا أن يترتب على نسيانه – صلى الله عليه وسلم – حكم وفوائد من البيان والتعليم، والقصد أنه لا يجوز نفي النسيان الذي هو من طبيعة البشر عنه – صلى الله عليه وسلم – لهذا الحديث الباطل! لمعارضته لهذا الحديث الصحيح».

[2] تقدم تخريجه (ص: ١١٣) من حديث عائشة – رضي الله عنها – عند الشيخين.

[3] قال الألباني – رحمه الله – في السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٨١) : «أخرجه ابن سعد في " الطبقات " (١ / ١٧١) عن طلحة بن عمرو عن عطاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: فذكره. قلت: وهذا إسناد ضعيف مرسل، لكن يشهد له حديث أنس بن مالك في الإسراء وفيه: "والنبي – صلى الله عليه وسلم – نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم". أخرجه البخاري (٢/ ٣٩٦ و ٤/ ٤٨٥) من طريق شريك بن عبد الله عنه».

[4] يشير إلى حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون». أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٧١ رقم: ٥٢٣). وأخرجه السراج في مسنده (ص: ١٧٤ رقم: ٤٩٠) بإسناد حسن بلفظ: «أعطيت ستًّا – لا أقولهن فخرًا – لم يعطهن أحد قبلي: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وجعلت أمتي خير الأمم، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأعطيت الكوثر، ونصرت بالرعب، والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة».

الله منه ما أراد ليبين لأمته - صلى الله عليه وسلم - قبض روحه وروح من معه في نومهم ذلك، وصرفها إليهم بعد طلوع الشمس؛ ليبين لهم مراده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا التأويل جماعة أهل الفقه والأثر وهو واضح، والمخالف فيه مبتدع».

وقال الإمام البغوي في شرح السنة[1]: «ونومه مضطجعًا حتى نفخ، وقيامه إلى الصلاة من خصائصه، لأن عينه كانت تنام، ولا ينام قلبه، فيقظة قلبه تمنعه من الحدث، وإنما منع النوم قلبه ليعي الوحي إذا أوحي إليه في منامه، قال عبيد بن عمير: «رؤيا الأنبياء وحي» ثم قرأ: {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: ١٠٢]».

٥- أن تعابير الأنبياء - عليهم السلام - لرؤاهم أو لرؤى غيرهم هي أصدق التعابير وأحقها وأصحها، ذلك لأنهم مؤيَّدون من قبل الله تعالى بالوحي والرسالة، ولأن الله تعالى لا يقرهم على خطأ، لا سيما والتعبير نوع من الفتوى، فلا يقتحمه من لا يحسنه، ولعل في تعابير يوسف - عليه السلام - لرؤيا الفتيين ولرؤيا الملك، وكذلك تعابير نبينا - صلى الله عليه وسلم - لرؤاه ورؤى أصحابه؛ أكبر شاهد على هذه الخصيصة.

وتأمل قول الله تعالى ممتنًّا على نبيه يوسف عليه السلام: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١]، واعترافَه - عليه السلام - بهذه النعمة وثناءَه على ربه بها قائلاً: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: ١٠١].

ولنعلم أن نبينا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - هو أفضل الأنبياء وسيد المرسلين، وقد جعل الله تعالى له من كل فضيلة ومزية أكملها وأعلاها، فما سبق من خصائص رؤى الأنبياء - عليهم السلام - كان لنبينا - صلى الله عليه وسلم - منها أوفر الحظ والنصيب، وهذه في حد ذاتها خصيصة وفضيلة، ولعل مما اختص به رؤى نبينا - صلى الله عليه وسلم - وتعابيره زيادة على ذلك:

---

[1] (٤/ ٦).

١- كثرة ما حفظ ونقل إلينا من رؤى نبينا - صلى الله عليه وسلم - وتعابيره، فلا يوجد نبيٌّ حُفِظَ ونُقِلَ إلينا من رؤاه وتعابيره مثل ما حُفِظَ ونُقِلَ إلينا من رؤى وتعابير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- شمولية رؤى النبي - صلى الله عليه وسلم - وتعابيره لكثير من الجوانب؛ الدينية والدنيوية والأخروية، فإنا إذا قارنا بين ما نقل إلينا من رؤى الأنبياء السابقين ورؤى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ نلحظ هذه الخصيصة واضحة جلية.

المبحث السابع

هل الإسراء والمعراج كانا يقظة أو منامًا؟

المبحث السابع

هل الإسراء والمعراج كانا يقظة أو منامًا؟

سبق في بداية هذا الفصل الإشارة إلى خلاف العلماء في المراد بالرؤيا في قوله تعالى عن أحداث الإسراء والمعراج: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠] هل هي رؤية عين أو رؤيا منام؟ ورجحنا القول بأنه رؤية عين، لكن بقي تحرير الخلاف في حادثة الإسراء والمعراج هل كانا يقظة أو منامًا؟

ولما كان موضوع هذه الرسالة: «الرؤى والتعابير في الكتاب والسنة- دراسة عقدية» كان لزامًا علي تحرير هذه المسألة؛ لأن على ضوئها يتحدد إدخال هذه الحادثة ضمن الرؤى التي تتناولها الدراسة من عدمه.

وخلاصة القول: أنه قيل في المراد بالرؤيا في الآية المذكورة عدة أقوال هي كالتالي:

القول الأول: أن المراد رؤياه التي رأى فيها أنه يدخل مكة هو وأصحابه، وهو يومئذ بالمدينة، فعجّل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – السير إلى مكة قبل الأجل، فردّه المشركون، فقالت أناس: قد رُدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان حدَّثَنا أنه سيدخلها، فكانت رجعته فتنتهم.

ويؤخذ على هذا القول ما يلي:

١-أن الأثر الوارد في كون المراد بهذه الآية تلك الرؤيا التي رآها النبي – صلى الله عليه وسلم – في شأن دخوله وأصحابه المسجد الحرام محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون؛ لم يصح، فقد أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بسند رجاله كلهم ضعفاء، فقال: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠] قال: يقال: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أُري أنه دخل مكة هو وأصحابه، وهو يومئذ بالمدينة، فعجّل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – السير إلى مكة قبل الأجل، فردّه المشركون، فقالت أناس: قد رُدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان حدَّثنا أنه سيدخلها، فكانت رجعته فتنتهم.[1]

[1] تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٣)، وعزاه في الدر المنثور (٥/ ٣١٠) لابن مردويه أيضًا.

فإن الراوي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – هو عطية بن سعد العوفي «صدوق يخطئ كثيرًا، كان شيعيًّا مدلسًا».[1]

والراوي عنه هو ابنه الحسن بن عطية العوفي «ضعيف».[2]

والراوي عنه هو ابنه: الحسين بن الحسن بن عطية العوفي «ضعفوه عن الأعمش وأبيه».[3]

والراوي عنه هو ابن أخيه: سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي، قال فيه الإمام أحمد: «جهمي، قال: ولو لم يكن هذا أيضًا لم يكن ممن يستاهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعًا لذاك».[4]

والراوي عنه هو ابنه شيخ الطبري: محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي «كان لينًا في الحديث، وذكر الحاكم أبو عبد الله أنه سمع الدارقطني ذكره فقال: لا بأس به».[5]

٢-أن ابن عباس نفسه يقول: «يقال: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أُري أنه دخل مكة...» أي أنه لا يجزم بذلك.

٣-أن هذه الآية مكية والرؤيا المذكورة كانت بالمدينة.

القول الثاني: أن المراد أنه – صلى الله عليه وسلم – رأى في منامه أناسًا يَعلُون منبره فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكًا حتى مات صلى الله عليه وسلم.[6]

ويؤخذ عليه ما يلي:

---

[1] تقريب التهذيب (٢/ ٢٨ رقم: ٥١٩٠).

[2] تقريب التهذيب (١/ ١٦٩ رقم: ١٣٨٤).

[3] المغني في الضعفاء للذهبي (١/ ١٧٠ رقم: ١٥١٦).

[4] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩/ ١٢٦ رقم: ٤٧٤٣).

[5] المرجع السابق (٥/ ٣٢٢ رقم: ٢٨٤٥).

[6] رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٨٣) فقال: «حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة، قال: ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، قال: ثني أبي، عن جدّي به». قال ابن كثير رحمه الله (٥/ ٩٢): «وهذا السند ضعيف جدًّا؛ فإن محمد بن الحسن بن زبالة متروك، وشيخه أيضًا ضعيف بالكلية».

١-أنه لم يثبت بسند صحيح أن المراد بالآية ما ذكر، فقد قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسيره: حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة، قال: ثنا عبد المهيمن بن عباس ابن سهل بن سعد، قال: ثني أبي، عن جدّي، قال: رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني فلان ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكًا حتى مات، قال: وأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} الآية.[1]

قال ابن كثير - رحمه الله - بعد نقل هذا السند: «وهذا السند ضعيف جدًا؛ فإن "محمد بن الحسن بن زَبَالة" متروك، وشيخه أيضًا ضعيف بالكلية»[2].

وروى ابن أبي حاتم عن يعلي بن مرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُريتُ بني أمية على منابر الأرض، وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء» واهتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لذلك، فأنزل الله: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ}.[3] ولم يذكر له سندًا.

وروى أيضًا عن سعيد بن المسيب - رحمه الله - قال: رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه: «إنما هي دنيا أعطوها» فقرَّتْ عينُه، وهي قوله: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ}، يعني بلاء للناس.[4] ولم يذكر له إسنادًا، وهو مع ذلك مرسل.

٢-أن هذه الرؤيا ليس فيها فتنة للناس على عهده صلى الله عليه وسلم، قال الشوكاني - رحمه الله - بعد ذكر هذا القول: « وفيه ضعف، فإنه لا فتنة للناس في هذه الرؤيا، إلا أن يراد بالناس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحده، ويراد بالفتنة ما حصل من المساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يحمل على أنه قد كان أخبر الناس بها فافتتنوا».[5] قلت: سياق الآية يأبى مثل هذا التأويل.

---

[1] المرجع السابق.

[2] تفسير ابن كثير (٥/ ٩٢).

[3] تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ١٦٨) رقم (١٣٦٩٥).

[4] المرجع السابق (٩/ ١٦٨) رقم (١٣٦٩٦).

[5] فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٧).

القول الثالث: أن المراد ما أراه الله تعالى في المنام من مصارع قريش يوم بدر، حتى قال: «والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»، وهو يومئ إلى الأرض ويقول: «هذا مصرع فلان، هذا مصرع فلان». فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية.[1]

ويؤخذ عليه ما يلي:

١- أن تعيين مصارع قتلى صناديد قريش يوم بدر وإن كان ثابتًا في الصحيح؛ إلا أنه لم يثبت - من خلال اطلاعي على المصادر - أن ذلك كان عن طريق رؤيا رآها الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- أن تفسير الآية بهذه الرؤيا لم يثبت بسند صحيح، وإنما ذكره بعض المفسرين فيما قيل في تفسير الآية دون أن يسند ذلك.

٣- ولأن الآية مكية وغزوة بدر وقعت في السنة الثانية من الهجرة.

القول الرابع: أن المراد ما رآها النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء والمعراج من الآيات والعجائب، وهذا هو الصواب لدلالة القرآن والسنة عليه، وهو قول جمهور المفسرين، فهذه الآية الكريمة واردة في سورة الإسراء التي استفتحت بقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الإسراء: ١]. فقوله تعالى: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} هو المراد بقوله عز وجل: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]. وأحاديث الإسراء والمعراج صحيحة ثابتة في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة، وهي تؤكد تفسير هذه الآية بها[2]، وبها فسَّرَ الآيةَ أئمةُ التفسير من السلف والخلف.[3]

---

[1] هذا الحديث في قصة بدر وأصله في مسلم (٥/ ١٧٠ رقم: ٤٧٢١) لكني لم أقف على ما يؤيد أنه سبب نزول الآية الكريمة، أو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أري ذلك في المنام، وإنما ذكر ذلك بعض أهل التفسير كالزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٧٥)، وأبو السعود (٥/ ١٨٢)، والشوكاني (٣/ ٣٣٧) وغيرهم.

[2] وقد جمع هذه الأحاديث الحافظ ابن كثير جمعًا حسنًا في تفسيره (٥/ ٦- ٤٢)، كما جمعها الشيخ الألباني - رحمه الله - في مؤلف مستقل وأوردها على نسق واحد.

[3] سبق نقل ذلك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - برواية البخاري وسيتكرر، ونُقِلَ أيضًا عن جملة من أئمة السلف، قال ابن كثير رحمه الله (٥/ ٩٢): «وهكذا فسر ذلك بليلة الإسراء: مجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، ومسروق، وإبراهيم، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد، وغير واحد». وانظر هذه الروايات في تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٠- ٤٨٣) وفي تهذيب الآثار — مسند ابن عباس رضي الله عنهما — له (١/ ٤٥٦- ٤٦١).

قال الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – بعد نقله الأقوال السابقة: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أُسري به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أوّل هذه السورة. وإنما قُلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله – عز وجل – بها، فإذا كان ذلك كذلك؛ فتأويل الكلام: وماجعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس؛ إلا فتنة للناس، يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدّوا عن الإسلام، لمَّا أُخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تماديًا في غيهم، وكفرًا إلى كفرهم».[1]

وبعد اتفاقهم على أن المراد بالآية ما رآه النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة الإسراء والمعراج؛ اختلفوا هل كان ذلك بروحه منامًا أو بالروح والجسد يقظة؟ وحاصل أقوالهم في ذلك ما يلي:

القول الأول: أن الإسراء والمعراج كانا بروحه منامًا لا يقظة[2]؛ بدليل ظاهر لفظ {الرؤيا} في الآية[3]، ولِمَا جاء في رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس – رضي الله عنه – من قوله في أول الحديث: «حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه» وفي آخره: «واستيقظ وهو في المسجد الحرام».[4]، ولما يُروى عن معاوية – رضي الله عنه – أنه سئل عن مسرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: «كانت رؤيا من الله صادقة».[5]، ولأن عائشة

---

[1] تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٣– ٤٨٤). وقد نقل – رحمه الله – الأقوال المذكورة عدا القول الثالث.

[2] انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (١/ ١٨٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ١٤٤)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٦٨)، والآية الكبرى في شرح قصة الإسراء للسيوطي (ص: ٣٣)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٣/ ٣).

[3] انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ١٤٤).

[4] أخرجها البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤] (٦/ ٢٧٣٠ رقم: ٧٠٧٩).

[5] رواه ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٣٤٩) وفي تهذيب الآثار – مسند ابن عباس رضي الله عنهما – (١/٤٤٦ رقم: ٧٣٢) قال:«حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان» به.

- رضي الله عنها - كانت تقول: «ما فُقِدَ جسد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله أسرى بروحه».[1]

وهذا القول ضعيف، وأجيب عن أدلته بما يلي:

١- أما استدلالهم بظاهر لفظ الرؤيا في الآية فلا يصح؛ فقد سبق بيان أن " الرؤيا "وإن كان غالب استعمالها في الرؤيا المنامية؛ إلا أنها تطلق على الرؤية البصرية أيضًا، لاسيما إذا وجدت قرائن تقتضي ذلك، كما هو الشأن هنا، وسيأتي ذكر هذه القرائن في أدلة القول الراجح.

٢- وأما استدلالهم برواية شريك بن عبد الله ابن أبي نمر فقد أجاب عنها العلماء بما ملخصه:

أ- أن هذا من أوهام شريك التي خالف فيها غيره من الرواة الثقات، حيث لم يذكر غيره أن ذلك كان منامًا، فإن شريكًا اضطرب في هذا الحديث، وساء حفظه ولم يضبطه[2]، بل قدم فيه شيئًا وأخر وزاد ونقص[3]، وعدَّ له الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أكثر من عشر مخالفات في هذه الرواية منها هذه المخالفة[4].

ب- أنه يمكن الجمع بينها وبين بقية الروايات بأن يحمل قوله في أول الحديث: «فيما يرى قلبه وتنام عينه» على ابتداء الحال، ثم لما خرج به إلى باب المسجد فأركبه البراق استمر في يقظته[5]، وليس في الحديث أنه كان نائمًا في القصة كلها[6]. ويحمل قوله في آخر الحديث: «واستيقظ وهو في المسجد الحرام» على أن المراد بـ «استيقظ»: أفاق، أي أنه أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت ورجع إلى العالم الدنيوي[7].

---

[1] رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٥٠) وفي تهذيب الآثار - مسند ابن عباس رضي الله عنهما - (٤٤٧/١ رقم: ٧٣٣) قال:«حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، قال: ثني بعض آل أبي بكر، أن عائشة» به.

[2] انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٧).

[3] انظر: صحيح مسلم (١/ ١٠٢ رقم: ٤٣٢).

[4] فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٩٤).

[5] المرجع السابق (٧/ ٢٤٤).

[6] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٧٠).

[7] فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٤٤).

قال القاضي عياض رحمه الله: «قولهم: "إنه قد سماها في الحديث منامًا" وقوله في حديث آخر: " بين النائم واليقظان " وقوله أيضًا: " وهو نائم " وقوله: "ثم استيقظت"؛ فلا حجة فيه، إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم، أو أول حمله الإسراء به هو نائم، وليس في الحديث أنه كان نائمًا في القصة كلها، إلا ما يدل عليه قوله: "ثم استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام"، فلعل قوله: "استيقظت" بمعنى: أصبحت، أو استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته، ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله، وإنما كان في بعضه، وقد يكون قوله: "استيقظت وأنا في المسجد الحرام" لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والأرض، وخامر باطنه من مشاهدة الملإ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى، فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام، ووجه ثالث: أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه، ولكنه أسرى بجسده وقلبُه حاضر، ورؤيا الأنبياء حق، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، وقد مال بعض أصحاب الإشارات إلى نحوٍ من هذا، قال: تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله تعالى. ولا يصح هذا أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء، ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات، ووجه رابع: وهو أن يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع، ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام: "بينا أنا نائم – وربما قال: مضطجع –" وفي رواية هدبة عنه: "بينا أنا نائم في الحطيم – وربما قال: في الحجر مضطجع –"، وقوله في الرواية الأخرى: "بين النائم واليقظان "، فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبًا، وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب – عز وجل – الواقعة في هذا الحديث؛ إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته، إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه وسلم، وقبل النبوة، ولأنه قال في الحديث: " قبل أن يبعث " والإسراء بإجماع كان بعد المبعث.

فهذا كله يوهن ما وقع في رواية أنس، مع أن أنسًا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره، وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، فقال مرة: عن

مالك بن صعصعة، وفي كتاب مسلم: لعله عن مالك بن صعصعة على الشك، وقال مرة: كان أبو ذر يحدث».[1]

٣- وأما استدلالهم بأثر معاوية - رضي الله عنه - فلا يصح أيضًا، فإنه يجاب عنه بما يلي:

أ- أن سنده لم يصح عن معاوية رضي الله عنه؛ فإن الراوي عنه وهو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس وإن كان ثقة إلا أنه لم يدرك معاوية[2]، فإن كتب التراجم لم تثبت له رواية عن الصحابة، وغاية ما ذكروا أنه رأى السائب بن يزيد رضي الله عنه[3]، وعدَّه الحافظ ابن حجر في الطبقة السادسة من الرواة[4]. قال الشيخ الألباني رحمه الله: «يعقوب بن عتبة هذا من ثقات أتباع التابعين، مات سنة ثمان وعشرين ومائة»[5]، وقال في موضع آخر في سياق كلامه في حديثٍ في سنده يعقوب هذا عن أبي هريرة: «يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس؛ فإنه من هذه الطبقة، وهو ثقة، لكنهم لم يذكروا له رواية عن الصحابة ... فالحديث منقطع».[6]

ب- أن لفظه ليس صريحًا في كون الإسراء و المعراج منامًا، بل هو محتمل كلفظ الآية الكريمة، ويترجح أن يكون مراده الرؤيا البصرية لا الحلمية، كما ترجح ذلك في الآية الكريمة، قال أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري: «والعرب تقول: " رأيت بعيني رؤية ورؤيا "، وعلى هذا يحمل حديث معاوية: أنه كان إذا سُئل عن مسرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " كانت رؤيا من الله صادقة " أي:

---

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ١٩٢- ١٩٤).

[2] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٦٩).

[3] انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣/ ٢٦- ٢٧ رقم: ٣٠٧٩) قال: «السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة ... يعرف بابن أخت النمر... له ولأبيه صحبة، روى البخاري من طريق محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد قال: حج أبي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا ابن ست سنين ... وفي الصحيحين أيضًا من طريق محمد بن يوسف عن السائب أن خالته ذهبت به وهو وجع فمسح النبي - صلى الله عليه وسلم - رأسه، ودعا له، وتوضأ فشرب من وضوئه، ونظر إلى خاتم النبوة ... وقد روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث ... وقال أبو نعيم: مات سنة اثنتين وثمانين. وقيل: بعد التسعين. وقيل: سنة إحدى. وقيل: سنة أربع. وقال ابن أبي داود: هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة».

[4] انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٨٥ رقم: ٨٨٢٤).

[5] السلسلة الضعيفة للألباني (٢/ ٣١١).

[6] المرجع السابق (١٠/ ٢٠٤).

رؤيا عيان أرى الله نبيه صلى الله عليه وسلم».[1] فقوله لا ينفي أن تكون الرؤيا هذه هي إسراء و معراج بالحقيقة بالروح والجسد.

٤ – وأما استدلالهم بأثر عائشة – رضي الله عنها – فلا يصح أيضًا، وذلك للأسباب التالية:

أ– عدم صحة السند إليها، حيث إن الراوي عنها مجهول غير معين، فابن جرير الطبري يقول: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، قال: ثني بعض آل أبي بكر، أن عائشة[2]. فبعض آل أبي بكر مجهول لا ندري من هو؟ أثقة أم غير ثقة؟ فلا يصح عنها ذلك.

قال الإمام محمد بن يوسف الصالحي: «وأما ما يعزى لعائشة – رضي الله عنها – فلم يَرِد بسند يصلح للحجة، بل في سنده انقطاع و راو مجهول كما تقدم. وقال أبو الخطاب ابن دحية في التنوير: " إنه حديث موضوع عليها ". وقال في معراجه الصغير: " قال إمام الشافعية القاضي أبو العباس ابن سريج: هذا حديث لا يصح، وإنما وضع ردًّا للحديث الصحيح " انتهى ».[3]

ب– عدم التصريح بأن ما حدث للنبي – صلى الله عليه وسلم – كان منامًا، فعائشة – رضي الله عنها – لم تَسْتعمِل أيَّ لفظ يشير إلى المنام.

ج– قال ابن كثير رحمه الله: «وليس مقتضى كلام عائشة – رضى الله عنها – أن جسده – صلى الله عليه وسلم – ما فُقِدَ وإنما كان الإسراء بروحه؛ أن يكون منامًا كما فهمه ابن إسحاق، بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم، وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاين ما عاين حقيقةً ويقظةً لا منامًا، لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، ومراد من تابعها على ذلك، لا ما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام، والله أعلم».[4]

---

[1] الكشف والبيان (٦/ ١٠٩).

[2] سبق تخريجه (ص: ١٣٦).

[3] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٧٠).

[4] البداية والنهاية (٣/ ١٤١).

وقال الإمام محمد بن يوسف الصالحي: «وعلى تقدير أن يكون صحيحًا ورد بالبناء للمفعول [ما فُقِدَ جسدُ رسول الله] فعائشة - رضي الله عنها - لم تحدِّث عن مشاهدة لأنها لم تكن زوجة إذ ذاك، أو بالبناء للفاعل: "ما فقدتُ جسدَه الشريف" فعائشة لم يدخل بها إلا بالمدينة بالإجماع، ولا كانت وقت الإسراء في سن من يضبط الأمور؛ لأنها في سنة الهجرة كانت بنت ثمان سنين. فعلى القول بأن الإسراء كان قبلها بسنة تكون بنت سبع، وعلى القول بأكثر من ذلك تكون أصغر من ذلك، وعلى قول من قال: إن الإسراء كان بعد البعث بعام لم تكن وُلدت».[1]

د- بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده؛ لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين، ولو كانت عندها منامًا لم تنكره[2]، وذلك في الحديث المتفق عليه عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة! ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئًا فجلستُ فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣] {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]. فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض». فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرِ} [الأنعام: ١٠٣] أولم تسمع أن الله يقول: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١] ... الحديث.[3]

---

[1] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٧٠- ٧١) وما بين المعكوفتين [ ] زيادة للتوضيح.

[2] الشفا للقاضي عياض (١/ ١٩٤).

[3] متفق عليه، أخرجه: البخاري في صحيحه: كتاب التفسير باب سورة والنجم (٤/ ١٨٤٠ رقم: ٤٥٧٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: {وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]، وهل رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - ربه ليلة الإسراء (١/ ١٥٩ رقم: ١٧٧) واللفظ له.

القول الثاني: أن الإسراء كان في اليقظة والمعراج كان في المنام، وأنه بهذا يجمع بين النص القرآني المقتصر على حادثة الإسراء والدال على كونها يقظة، وبين الأحاديث النبوية التي أثبتت حادثة المعراج ودلت في بعض ألفاظها بأنه كان منامًا.[١]

واستدلوا على هذا التفصيل بما يلي:

١- قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [الإسراء: ١] حيث جعل المسجد الأقصى غاية للإسراء بذاته صلى الله عليه وسلم، والذي وقع التعجب فيه من حيث إنه كان في بعض ليلة[٢]، ووقع التمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه؛ فلو كان المعراج من بيت المقدس إلى السماء وقع أيضًا بذاته لذكره؛ لأنه أبلغ في المدح من عدم ذكره.[٣]

٢- أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما أخبر المشركين بالإسراء كذبوه واستبعدوا وقوعه، وسخروا منه واستغربوه؛ لأنه كان بالروح والجسد وفي اليقظة، بينما لم يستغربوا حادثة المعراج ولم يتعرضوا له، ولم يولوه اهتمامًا؛ لأنه كان منامًا، ووقوع مثل هذه الأمور في المنام لا يستغربه أحد.[٤]

٣- أن الروايات التي صرحت بأنه – صلى الله عليه وسلم – كان نائمًا اقتصرت على ذكر المعراج دون الإسراء[٥]، كرواية شريك بن عبد الله ابن أبي نمر[٦].

---

[١] انظر: الشفا للقاضي عياض (١/ ١٨٧)، وفتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٧)، والآية الكبرى في شرح قصة الإسراء للسيوطي (ص: ٣٤)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٣/ ٦٨)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣)، والإسراء والمعراج لمحمد رزق (ص: ٣٠) وقد نصر هذا القول جدًّا وذكر أدلته.

[٢] وقع التعجب فيه من الكفار ومن المؤمنين، والتعجب فيه من الكفار تعجب استحالة، ومن المؤمنين تعجب تعظيم القدرة الباهرة. انظر:سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٦٨).

[٣] انظر: المعلم بفوائد مسلم للمازري (١/ ٣٢٨- ٣٢٩)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٧)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٦٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٩٣).

[٤] انظر:فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٧)، وقصة إنكار قريش وتكذيبهم لخبر الإسراء واستغرابهم منه وردت في عدة أحاديث منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مسند أحمد (١/ ٣٠٩ رقم: ٢٨٢٠) وإسناده صحيح.

[٥] الإسراء والمعراج لمحمد بن رزق (ص: ٣٠).

[٦] صحيح البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه (٣/ ١٣٠٨ رقم: ٣٣٧٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات (١/ ١٠٢ رقم: ٤٣٢).

هذا القول أقوى من القول الأول، لكنه ليس بالقول الراجح؛ لإمكان الإجابة عن أدلته بما يلي:

١- أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذكر الإسراء دون المعراج، بل أشار إلى المعراج في نفس آية الإسراء، ثم صرح به في موضع آخر، ودَلَّ على وقوعه يقظة، قال تعالى تعالى في آية الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الإسراء: ١] قوله: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} إشارة إلى الآيات التي رآها النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة المعراج، والتي جاءت صريحة في سورة النجم، قال تعالى: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٣- ١٨].

يقول الشنقيطي رحمه الله: «قوله تعالى: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} الظاهر إنما أراه الله من آياته في هذه الآية الكريمة: أنه أراه إياه رؤية عين؛ فهمزة التعدية داخلة على رأى البصرية. كقولك: أرأيتَ زيداً دارَ عمرو. أي جعلته يراها بعينه. و{من} في الآية للتبعيض، والمعنى {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا}: أي بعض آياتنا فنجعله يراها بعينه. وذلك ما رآه - صلى الله عليه وسلم - بعينه ليلة الإسراء من الغرائب والعجائب. كما جاء مبيناً في الأحاديث الكثيرة. ويدل لما ذكرنا في الآية الكريمة قوله تعالى في سورة النجم: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٧- ١٨]».[١] وقال: «لأن البصر من آلات الذات لا الروح».[٢]

وأيضًا تسمية ما رآه النبي - صلى الله عليه وسلم - بالآيات الكبرى تنفي كونه منامًا؛ لأنه لو كان منامًا لما كانت فيه آية ومعجزة؛ لأن رؤية مثل ذلك ليس خارقًا للعادة ولا ممتنعًا على غيره.[٣]

٢- أن الله تعالى إنما جعل غاية الإسراء إلى المسجد الأقصى لأن ذلك غاية علم كفار قريش؛ لأن فيهم من قد سافر إليه وعرف معالمه، فهم مقرّون ببلد يسمى بيت المقدس، وبمسجد يدعى المسجد الأقصى، فإقامة الأدلة على صدق وقوع الإسراء

---

[١] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٩٨).

[٢] المرجع السابق (٣/ ٢٩١).

[٣] انظر كلامًا من هذا القبيل للإمام محمد بن يوسف الصالحي في كتابه: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٦٧).

بالنسبة لهم أمر ممكن وميسر، وتكون مقنعة للمنصفين منهم، أما المعراج فهو من الأمور الغيبية التي هم لا يقرون بها، وليس عندهم علم سابق حول أحداث المعراج بحيث يمكن الاحتجاج به عليهم.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ولم يقع لقريش في ذلك اعتراض؛ لأن ذلك عندهم من جنس قوله: إن الملك يأتيه من السماء في أسرع من طرفة عين، وكانوا يعتقدون استحالة ذلك مع قيام الحجة على صدقه بالمعجزات الباهرة، لكنهم عاندوا في ذلك واستمروا على تكذيبه فيه، بخلاف إخباره أنه جاء بيت المقدس في ليلة واحدة ورجع، فإنهم صرحوا بتكذيبه فيه، فطلبوا منه نعت بيت المقدس؛ لمعرفتهم به وعلمهم بأنه ما كان رآه قبل ذلك، فأمكنهم استعلام صدقه في ذلك بخلاف المعراج».[١]

ويرى الإمام محمد بن يوسف الصالحي أن الله تعالى «استدرجهم إلى الايمان بذكر الإسراء أولًا، فلما ظهرت أمارات صدقه، وصحت لهم براهين رسالته، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة؛ أخبرهم بما هو أعظم منها، وهو المعراج، فحدثهم النبي – صلى الله عليه وسلم – به، و أنزله الله تعالى في سورة النجم».[٢]

ويقول ابن أبي جمرة رحمه الله: «والحكمة في إسرائه – صلى الله عليه وسلم – أولًا إلى بيت المقدس، لإظهار الحق على من عاند؛ لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء، لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلًا إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس؛ سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقق بصدقه فيما ذكر من الإسراء به إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكر».[٣]

فالمشركون لم يتعرضوا لحادثة المعراج لأنهم ليس لديهم ما يثبتون به كذب النبي – صلى الله عليه وسلم – فيه، بخلاف الإسراء إلى بيت المقدس فإن لديهم معلومات ومشاهد يستطيعون من خلالها أن يثبتوا صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – من كذبه، هذا هو السبب، وليس السبب كون الإسراء يقظة والمعراج منامًا.

٣– أما استدلالهم بالروايات التي فيها أن المعراج كان منامًا؛ فقد قدمنا الجواب عنها في الرد على أدلة القول الأول، ويأتي مزيد بيان لها في أدلة القول الراجح.

---

[١] فتح الباري (٧/ ٢٣٧).

[٢] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٦٨).

[٣] المرجع السابق (٣/ ١٧).

القول الثالث: أن الإسراء والمعراج قد تكرر وقوعهما أكثر من مرة، بحيث كان في بعضها منامًا وفي بعضها يقظة، بدليل تعدد الروايات واختلافها وعدم إمكان الجمع بينها إلا بحملها على تكرر وقوعها، ثم هؤلاء اختلفوا:

فمن قائل: إن ذلك كله وقع مرتين، مرة في المنام توطئة وتمهيدًا، ومرة ثانية في اليقظة.[1]

ومن قائل: إن الإسراء وقع مرتين: مرة على انفراده، ومرة مضمومًا إليه المعراج، وكلاهما في اليقظة، والمعراج وقع مرتين: مرة في المنام على انفراده توطئة وتمهيدًا، ومرة في اليقظة مضمومًا إلى الإسراء.[2]

ومن قائل: إن الإسراء وقع ثلاث مرات: مرة قبل الوحي ومرتين بعده، استنادًا لرواية شريك بن عبد الله ابن أبي نمر.

وأكتفي في الرد على هذا القول بنقل كلام لابن القيم – رحمه الله – حيث ذكر الأقوال في تعدد وقوع الإسراء ثم قال: «وكل هذا خبط، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة. ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارًا، كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين؟! ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسًا، ثم يقول: «أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»؟! ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين؟! ثم يحطها عشرًا عشرًا؟! وقد غلَّط الحفاظ شريكًا في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلمٌ أورد المسند منه ثم قال: فقدم وأخر وزاد ونقص. ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله».[3]

القول الرابع: «أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي – صلى الله عليه وسلم – وروحه بعد المبعث. وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء

---

[1] ذكره الحافظ في الفتح (٧/ ٢٣٧) و نسبه إلى بعض أهل العلم سمى منهم: المهلب شارح البخاري، و أبا نصر بن القشيري، و أبا سعيد في " شرف المصطفى ".

[2] فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٨).

[3] زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٤٢).

والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك؛ إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل».[1]

وهذا هو القول الذي لا يكاد يُعرَفُ غيره عن السلف - رحمهم الله - من الصحابة فمن بعدهم، وقد تبيّن لنا من خلال مناقشة الأقوال السابقة أن ما نسب إلى عائشة ومعاوية - رضي الله عنهما - من كون الإسراء بالروح دون الجسد أو منامًا؛ لا يصح عنهما سندًا ولا معنى، وكذلك ما حكي عن الحسن وابن إسحاق - رحمهما الله - لا يصح عنهما، فإن المشهور عن الحسن موافقة السلف رحمهم الله، فقد نقل ابن هشام عن ابن إسحاق أنه قال: «وحُدِّثتُ عن الحسن أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينا أنا نائم في الحجر، إذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئًا، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئًا، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدي، فقمت معه فخرج بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار...»».[2] وهذا صريح في أن الإسراء حصل بعد استيقاظه من النوم، والذي حمل بعض العلماء على نسبة القول بمنامية الإسراء إلى الحسن - رحمه الله - هو أن ابن إسحاق لما حكى عن عائشة ومعاوية - رضي الله عنهما - ما نسب إليهما في شأن الإسراء؛ قال عقب ذلك: «فلم يُنكَر ذلك من قولهما، لقول الحسن: إن هذه الآية نزلت في ذلك قولُ الله تبارك وتعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]. ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم - عليه السلام - إذ قال لابنه: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: ١٠٢]. ثم مضى على ذلك، فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظاً ونياماً».[3] وهذا كما ترى

---

[1] فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٧) و قال القاضي عياض رحمه الله في الشفا (١/ ١٨٨):«وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين».

[2] السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣٩٧)، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٣٢) مسندًا إلى الحسن، فقال: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: ثني عمرو بن عبد الرحمن، عن الحسن بن أبي الحسن ...» به. وعمرو بن عبد الرحمن لم يظهر لي من هو؟ وشيخ الطبري محمد بن حميد بن حيان الرازي حافظ ضعيف كما في التقريب (٢/ ١٦٥ رقم: ٦٥٤٣)، وشيخه سلمة بن الفضل الأبرش صدوق كثير الخطأ كما في التقريب (١/ ٣٠٨ رقم: ٢٧٥٩). فالإسناد ضعيف.

[3] السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٤٠٠).

ليس صريحًا في موافقة الحسن لما روي عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما، بل إن استدلال الحسن بآية الرؤيا يدل على موافقته للجمهور، فإنه قال: «وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٦٠]».[١]

وابن إسحاق نفسه لم يجزم بأن الإسراء كان منامًا، بل قال: «والله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه، وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أيّ حاليه كان: نائمًا أو يقظانَ، كلّ ذلك حقّ وصدق».[٢]

هذا وقد دل على صحة هذا القول ورجحانه الكتاب والسنة، فمن أدلة الكتاب:

١- قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الإسراء: ١] ووجه الدلالة من الآية ما يلي:

أ- أن الله تعالى افتتح الآية الكريمة بالتسبيح، والتَّسبيح إنما يكون عند الأمور العظيمة الخارقة. فلو كان منامًا لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه.[٣]

ب- أنه تعالى قال: {أَسْرَى بِعَبْدِهِ} ولا يقال في النوم: أسرى[٤]، بل مثل هذا السياق لا يكون إلا في اليقظة.

ج- أنه تعالى قال: {بِعَبْدِهِ} ولم يقل: (بروح عبده)، والعبد: مجموع الروح والجسد، ولا يُفهم قطُّ من قوله تعالى: {أَسْرَى بِعَبْدِهِ} أنه يريد: بروح عبده، كما أنه لا يفهم ذلك من مثل قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١] وقوله عز وجل: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن: ١٩].[٥]

د- أن قوله جل شأنه: {لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} لإفادة أن ما حصل لنبيه - صلى الله عليه وسلم - من الإسراء أمرٌ

---

[١] المرجع السابق (٢/ ٣٩٩).

[٢] المرجع السابق (٢/ ٤٠٠).

[٣] انظر:البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٤٠)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٩١).

[٤] الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ١٩١).

[٥] انظر:البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٤٠)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٩١).

خارق للعادة، حيث قطع هذه المسافات الطويلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في جزء من الليل، والناس في ذلك العهد كانوا يقطعونها شهرًا ذهابًا وشهرًا إيابًا، ولا تتحقق هذه الإفادة إلا إذا كان ما حصل يقظة بالروح والجسد، أما في المنام فقد يرى الإنسان أعظم من ذلك ولا يكون خارقًا للعادة ولا أمرًا مستغربًا.

هـ- أن قوله تعالى شأنه: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} لإفادة العلة والحكمة من الإسراء والمعراج، وأنه أراد بذلك أن يري نبيه من الآيات ما يكون دليلًا على صدق نبوته، ويحتج به على من أنكرها، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان ما حصل له يقظة.

وللإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - كلام نفيس في هذا الشأن يقول فيه معلقًا على آية الإسراء: «فأخبر - تبارك وتعالى - أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مُعْلِمًا بذلك خلقَه قدرتَه على ما فعل به، مما لا سبيل لأحد من خلقه إلى مثله، إلا لمن مكَّنه من ذلك مثل الذي مكن منه نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم، ودالًّا بذلك مِن فِعْلِه به على صدقه وحقيقة نبوته، إذ كان ذلك من المعجزات التي لا يقدر من البشر عليه أحد، إلا من خصه الله بمثل ما خصه به. ولو كان ذلك رؤيا نوم؛ لم يكن في ذلك على حقيقة نبوة رسول الله دلالة، ولا على من احتج عليه به من مشركي قوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرسوله حجة، ولا كان لإنكار من أنكر من المشركين مسراه من مكة إلى المسجد الأقصى ورجوعه إليها في ليلة واحدة وجهٌ معقول؛ إذ كان معقولًا عند كل ذي فطرة صحيحة أن الإنسان قد يرى في منامه في الساعة ما على مسيرة سنة من موضع منامه من البلاد أو أكثر، وأنه يقضي هنالك أوطارًا وحاجات، فدع ما على مسيرة شهر».[1]

٢- قوله تعالى: {... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ...} [الإسراء: ٦٠]. وجه الاستدلال من هذه الآية:

«أن الله - جل وعلا - جعل ما أراه نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس، لأن عقول بعضهم ضاقت عن قبول ذلك، معتقدة أنه لا يمكن أن يكون حقًّا. قالوا: كيف يصلي ببيت المقدس، ويخترق

[1] تهذيب الآثار - مسند ابن عباس رضي الله عنهما (١/ ٤٥٤).

السبع الطباق، ويرى ما رأى في ليلة واحدة، ويصبح في محله بمكة؟ هذا محال، فكان هذا الأمر فتنة لهم لعدم تصديقهم به، واعتقادهم أنه لا يمكن».[١]

هذا من أوضح الأدلة على أنهما رؤيا عين وفي اليقظة، لا رؤيا منام، كما صحَّ عن ابن عباس وغيره؛ لأنهما لو كانا رؤيا منام لما كانت فتنة، ولا سبباً لتكذيب قريش، لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار، لأن المنام قد يُرى فيه ما لا يصح، فالذي جعله الله فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب، فزعم المشركون أن من ادعى رؤية ذلك بعينه فهو كاذب لا محالة، فصار فتنة لهم.[٢]

٣- قوله تعالى: {أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٢- ١٨].

هذه الآيات في شأن المعراج ليلة الإسراء، وفيها ذكر لبعض الآيات التي رآها النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلتئذ من: رؤية جبريل على صورته الحقيقية، ورؤية سدرة المنتهى وما تغشاها من جمال، ورؤية جنة المأوى.

ووجه الدلالة من هذه الآيات: أن رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – لهذه الآيات كانت رؤية عين يقظةً؛ لقوله جلت قدرته: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٧]، لأن البصر من آلات الذات لا الروح[٣]، ولأن هذه الآيات جاءت في سياق المدح وبيانِ عظيمِ عناية الله – جل جلاله – بنبيه عليه الصلاة والسلام، وهذا يقتضي كونه يقظة بالروح والجسد؛ لأن هذا الذي يخصُّه عن غيره من البشر، أما الرؤيا المنامية فيشترك فيه كل البشر.[٤]

ودلالة السنة على صحة هذا القول أيضًا ظاهرة، فإن الإسراء والمعراج ثبت في شأنهما أحاديث كثيرة، حتى إن بعض العلماء قال بتواترها[٥]، وهذه الأحاديث ليس فيها أنهما كانا منامًا أو بالروح دون الجسد، سوى ما جاء في رواية شريك بن عبد الله ابن أبي نمر عن أنس

---

[١] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٤٣٩- ٤٤٠).

[٢] المرجع السابق (٣/ ٢٩١) بشيء من التصرف.

[٣] المرجع السابق.

[٤] انظر: تهذيب الآثار- مسند ابن عباس رضي الله عنهما (١/ ٤٥٤).

[٥] كالحافظ عمر بن دحية فيما نقله عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٥).

رضي الله عنه، وهو قابل للتوجيه، وقد سبق الجواب عنه، ومن دلالات هذه الأحاديث على أن الإسراء والمعراج كانا يقظة بالروح والجسد ما يلي:

١- شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم:

فقد أخرج الشيخان من طريق ابن شهاب الزهري عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «فُرِج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريلُ ففَرَج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيمانًا فأفرغه في صدري، ثم أطبقه ...».[١]

وهذا إنما يكون للجسد ويقظةً.

٢- ركوبه - صلى الله عليه وسلم - البراق:

أخرج مسلم من طريق ثابت البناني عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أتيت بالبراق - وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه - قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء ...».[٢]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «وأما الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمتظاهرة بأنه قال: «أتاني جبريل بالبراق فحملني عليه، فسار بي حتى أتينا بيت المقدس». ولا شك أن الأرواح لا تحمل على الدواب، وإنما تحمل عليها الأجسام ذوات الأرواح وغير ذوات الأرواح، وفي إخباره - صلى الله عليه وسلم - أنه حمل على البراق الإبانةُ عن خطأ قول من قال: إن خبر الله - تعالى ذكره - عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - أنه أسرى به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إنما هو خبرٌ منه عن أنه أسري بروحه دون جسمه».[٣]

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة (١/ ١٣٥ رقم: ٣٤٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات (١/ ١٤٨ رقم: ١٦٣).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات، وفرض الصلوات (١/ ١٤٥ رقم: ١٦٢).

[٣] تهذيب الاثار - مسند ابن عباس (١/ ٤٥٥).

٣- سؤال قريش النبي – صلى الله عليه وسلم – عن علامات بيت المقدس وإخباره إياهم بها[١]:

فهم لا يُعقل أن يسألوه عن أمارات ما رآه في المنام، وإنما سألوه عن أمارات ما رآه بعينه وحضره بذاته، وهو – صلى الله عليه وسلم – إنما وصف لهم ما رآه بعينه، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعًا: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها. فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به».[٢]

بل إن النبي – صلى الله عليه وسلم – وصف لهم ما رآه في الطريق وما كان من شأن البعير، فكان الأمر كما أخبر به.[٣]

٤- إنكار قريش وتكذيبهم بما أخبرهم به من الإسراء والمعراج[٤]:

يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «وفي تظاهر الأخبار عن مشركي قوم رسول الله بإنكارهم ما أخبرهم به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من مسراه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ أوضحُ البرهان وأبينُ البيان أن ذلك كان منهم لإخبار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إياهم من الخبر بما كان ممتنعًا عندهم فعلُه على من كان بمثل خلقتهم وبنيتهم من جميع البشر. فأما ما كان جائزًا منه وجودُه، وممكنًا كونُه من كل من كان بمثل هيئتهم، ومفطورًا مثل فطرتهم؛ فغير جائز منه التكذيب به، ومستحيل من رسول رب العالمين أن يكون احتج عليهم به،

---

[١] انظر: صحيح البخاري – تحقيق البغا (٤/ ١٧٤٣ رقم: ٤٤٣٣)، وصحيح مسلم (١/ ٤٠١ رقم: ٢٤٩).

[٢] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١/ ١١٢ رقم: ١٢١).

[٣] أخرج الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٧٦ رقم: ٣٥٤٦)، و أبو يعلى في مسنده (٥/ ١٠٨ رقم: ٢٧٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:«أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم، قال: قال أناس: نحن لا نصدق محمدًا، فارتدوا كفارًا فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل ...». و أورده ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٨) وقال:«إسناده صحيح». وصححه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند في الموضع المشار إليه.

[٤] أخرج الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٨ رقم: ٢٨١٩) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قصة تكذيب قريش لخبر الإسراء مطولة، وفيها دلالة واضحة جدًّا على كون الإسراء يقظة بالروح والجسد، وإسنادها صحيح على شرط الشيخين، ولم أنقلها خشية الإطالة.

ولا شك أن النائم قد يرى في نومه مما هو أبعد من مسافة ما بين مكة وبيت المقدس أنه به، وأنه يعاني به أمورًا ويقضي به أوطارًا. والأنبياء – صلوات الله عليهم – لا تحتج على من أرسلت إليه لصدقها فيما ينكره المرسلون إليهم من نبوتها؛ إلا بما يعجز عن مثله جميع البشر، إلا من أيده الله – جل ثناؤه – بمثل ما أيدهم به من الأعلام والأدلة».[1]

فتبين بما سبق أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد وفي اليقظة، وأن المراد بالرؤيا في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]. الرؤيا البصرية لا الرؤيا الحلمية.

وعليه فإن دراستنا لن تتناول أحاديث الإسراء والمعراج؛ لعدم دخولها في الرؤيا المنامية.

---

[1] تهذيب الآثار– مسند ابن عباس رضي الله عنهما (١/ ٤٥٦).

الفصل الثاني

الرؤى والتعابير في القرآن الكريم ودلالاتها العقدية

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: رؤيا نبي الله يوسف عليه السلام.

المبحث الثالث: رؤيا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم **يوم بدر.**

المبحث الرابع: رؤيا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم **قبل صلح الحديبية.**

المبحث الخامس: رؤيا صاحبي يوسف عليه السلام **في السجن.**

المبحث السادس: رؤيا ملك مصر في عهد يوسف عليه السلام.

المبحث الأول

رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها.

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من الرؤيا.

المبحث الأول

رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام.

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها:

قال الله – عز وجل – مخبرًا عن خليله إبراهيم عليه السلام:

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ . رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ . وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الصافات: ٩٩- ١١٣].

أي أن إبراهيم الخليل – عليه السلام – لما بلّغ قومه رسالة ربه، وأقام عليهم الحجة بالبراهين الساطعة والأدلة القاطعة، فعاندوا وأعرضوا وامتنعوا عن إجابة الدعوة، واعتدوا على نبيهم بإلقائه في النار – التي كانت بأمر الله بردًا وسلامًا على إبراهيم – وأيس من إيمانهم؛ تركهم حينئذ واعتزلهم وما يعبدون من دون الله، وهاجر عنهم إلى حيث أمره الله – وهو أرض الشام – قائلاً: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ} «أي: مهاجر إلى بلد أعبد فيه ربي، وأعصم فيه ديني».[1]. وقال في آية العنكبوت: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت: ٢٦] وقال في آية مريم: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا} [مريم: ٤٨].

يقول ابن عاشور[2] رحمه الله: «وهذه أول هجرة في سبيل الله للبعد عن عبادة غير الله ... والظاهر: أن هذا القول قاله علنًا في قومه ليكُفُّوا عن أذاهُ، وكان الأمم الماضون يعدّون الجلاء من مقاطع الحقوق، قال زهير:

---

[1] تفسير القاسمي (١٤/ ٥٠٤٨).

[2] هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، الشهير بالطاهر ابن عاشور، أحد علماء تونس وخريجي جامع الزيتونة وشيوخه، درس على جملة من علماء الزيتونة، منهم: إبراهيم المارغني، وسالم بو حاجب، وعمر بن الشيخ وغيرهم، وتولى مناصب علمية عديدة، من مؤلفاته: التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم، وحاشية على =

وإن الحق مقطعه ثلاثٌ . . . يَمين أو نِفار أو جَلاءُ

... ويحتمل أن يكون قال ذلك في أهله الذين يريد أن يخرج بهم معه، فمعنى: {ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي}: مهاجر إلى حيث أعبد ربّي وحده ولا أعبد آلهةً غيره، ولا أفتَن في عبادته كما فتنتُ في بلدهم.

ومراد الله أن يفضي إلى بلوغ مكة ليقيم هنالك أولَ مسجد لإعلان توحيد الله، فسلك به المسالك التي سلكها حتى بلغ به مكة وأودع بها أهلاً ونسلاً، وأقام بها قبيلةً دينُها التوحيد، وبنى لله معبدًا، وجعل نسله حفظة بيت الله، ولعلّ الله أطلعه على تلك الغاية بالوحي أو سترها عنه حتى وجد نفسه عندها، فلذلك أنطقه بأن ذهابه إلى الله نطقًا عن علم أو عن توفيق».[١]

وقوله: {سَيَهْدِينِ} أي: سيثبتني على الهدى الذي أبصرته، ويعيننى عليه.[٢]

قال القاسمي[٣] رحمه الله: «وإنما بتَّ القولَ لسبق وعده تعالى؛ إذ تكفل بهدايته، أو لأنَّ من كان مع الله كان الله معه».[٤]

ثم دعا ربه قائلاً: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} قال ابن كثير رحمه الله: «يعني: أولادًا مطيعين عِوَضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم».[٥]

وقال ابن عاشور رحمه الله: «ووصفه بأنه من الصالحين؛ لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحًا، فإن صلاح الأبناء قُرة عين للآباء، ومن صلاحهم برُّهم بوالديهم».[٦]

= التنقيح للقرافي في أصول الفقه، وكشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، وغيرها، وهو أشعري العقيدة كما صرح بذلك في أكثر من موضع من تفسيره. توفي عام ١٣٧٧هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٤)، وتراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ (٣/ ٣٠٤- ٣٠٩)، والتحرير والتنوير (١/ ٤٤٣) و (٢٢/ ١٩٣).

[١] التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/ ١٤٦- ١٤٧).

[٢] تفسير الطبري (٢١/ ٧٢).

[٣] هو جمال الدين - أو محمد جمال الدين - بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، إمام الشام في عصره، علمًا بالدين، وتضلعًا من فنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، له مؤلفات كثيرة منها: دلائل التوحيد، والفتوى في الإسلام، وإرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق، مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، ومحاسن التأويل، توفي سنة ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٣٥).

[٤] تفسير القاسمي (١٤/ ٥٠٤٩).

[٥] تفسير ابن كثير (٧/ ٢٧).

[٦] التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/ ١٤٨).

فاستجاب الله دعاء خليله وقال: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}، وهذا الغلام هو إسماعيل – عليه السلام – فإنه أول ولد بُشِّر به إبراهيم – عليه السلام – كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

قال الزجاج: «هذه البِشارة تَدُلُّ على أنه مبشَّر بابنٍ ذَكَر، وأنه يبقى حتى ينتهيَ في السنّ ويوصَف بالحِلم».[1]

ثم أخبر تعالى أن هذا الغلام الحليم الذي بَشَّرَ به خليلَه لما كَبُرَ وترَعْرَعَ وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه؛ امتحن تعالى فيه خليله امتحانًا عظيمًا، قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢]. «أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنًّا يكون في الغالب أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبتْ مشقتُه، وأقبلتْ منفعتُه، فقال له إبراهيم عليه السلام: {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} أي: قد رأيتُ في النوم، والرؤيا: أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا الأنبياء وحي، {فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى} فإن أمر الله تعالى لا بد من تنفيذه، {قَالَ} إسماعيل صابرًا محتسبًا مرضيًّا لربه وبارًّا بوالده: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ} أي: امض لما أمرك الله {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} أخبر أباه أنه موطن نفسَه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى؛ لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى».[2]

وقال ابن كثير رحمه الله: «وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه».[3]

ثم أخبر تعالى عن غاية الطاعة والامتثال من خليله وابنه لأمر ربهما، فقال عز وجل: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات: ١٠٣]. قال ابن جرير رحمه الله: «فلما أسلما أمرهما لله وفوّضاه إليه، و اتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه».[4]

{وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} أي: صرعه على الأرض على جبينه بسرعة – قوةً في تنفيذ أمر الله عز وجل – ليذبحه، وإنما صرعه على جبينه من أجل أن لا يرى وجهه حين يذبحه، ولئلاَّ يرى الابنُ السِّكِّينَ فيفزع، ومعلوم أن رؤية المذبوح للسكين تريعه.[5]

---

[1] زاد المسير لابن الجوزي (ص: ١١٩١).

[2] تفسير السعدي (ص: ٧٠٥).

[3] تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨).

[4] تفسير الطبري (٢١/ ٧٦).

[5] انظر : تفسير سورة الصافات لابن عثيمين (ص: ٢٣٠).

وهذا غاية الاستسلامِ لأمر الله - جل جلاله - والرضا بقضائه، استسلام القلب حيث تقبّلا أمر الله - عز وجل - عن رضًا ورغبة، واستسلام الجوارح بأن صرع الأب ابنه البكر الوحيد الذي بلغ معه السعي على الأرض ليذبحه، وسكَنَ الابنُ وتهيَّأَ للذبح ولم يُظهِر أيَّ تردد.

قال ابن عاشور رحمه الله: «فاستسلام إبراهيم بالتهيؤ لذبح ابنه، واستسلام الغلام بطاعة أبيه فيما بلغه عن ربه».[1]

فلما بلغا هذا المبلغ من الاستسلام والانقياد والامتثال لأمر الله عز وجل؛ جاء الفرج من الله جل جلاله، قال تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: ١٠٤- ١٠٥].

ذكر بعض المفسرين أن جواب «لما» في قوله تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا} هو قوله تعالى هنا: {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا...} وأن الواو زائدة[2] أو أنها أدخلت في جواب «لما» كما أدخلت في قوله: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: ٧٣] وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب «فلما» و«حتى إذا».[3]

والصحيح أن الواو ليست زائدة، ولكنها عاطفة على مقدر مناسب للمقام، لأن الواو من حروف المعاني وتفيد فائدة لا نستفيدها إذا قلنا بزيادتها، وما كان كذلك لا يمكن أن يكون زائدًا.[4]

والمراد بتصديق الرؤيا: تحقيقها في الخارج، أي أنه عمل صورة العمل الذي رآه في المنام.

وقال ابن جزي[5] - رحمه الله - في تفسيره: «{قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيا} يحتمل أنه يريد: بقلبك، أي كانت عندك رؤيا صادقة فعملتَ بحسبها. ويحتمل أن يريد: بعملك، أي وفيت حقها

---

[1] التحرير والتنوير (٢٣/ ٦٥).

[2] انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٦/ ١٣٧) و التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ١٩٦).

[3] انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٧٨).

[4] انظر: تفسير سورة الصافات لابن عثيمين (ص: ٢٤١).

[5] هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن جزي الكلبي، فقيه مالكي، عالم بالأصول والتفسير واللغة، من أهل غرناطة، ومن شيوخ لسان الدين ابن الخطيب، قرأ على والده الخطيب أبي القاسم ولازمه، وقرأ على بعض معاصري أبيه، وروى، واستجلب له أبوه كثيرًا من أهل صقعة وغيرهم. فُقِد وهو يحرض الناس على الجهاد يوم معركة طريف سنة ٧٤١هـ. من مصنفاته: التسهيل لعلوم التنزيل في التفسير، ووَسِيلَة الْمُسلم فِي تَهْذِيب مُسلم، والبارع فِي قِرَاءَة نَافِع. انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (١/ ٥٢) والدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ٨٨).

من العمل. فإن قيل: إنه أمر بالذبح ولم يذبح، فكيف قيل له: صدقت الرؤيا؟! فالجواب: أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح، ولو لم يَفْدِه الله لَذَبَحَه، ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه، فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله، وقد مضى إبراهيم ما عليه».[1]

ومعنى قوله تعالى: {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}: «إنا كما جَزَيْناك بطاعتنا يا إبراهيم، كذلك نجزى الذين أحسنوا، وأطاعوا أمرنا، وعملوا في رضانا».[2]

ثم ذكر – تعالى ذكره – أن ما حدث لإبراهيم وابنه – عليهما السلام – كان بلاءً عظيمًا وامتحانًا كبيرًا ظهر فيه قوة إيمانهما وشدة انقيادهما وصدق محبتهما لربهما، فقال عز من قائل: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ} [الصافات: ١٠٦].

قال السعدي – رحمه الله – في تفسيره: «{إِنَّ هَذَا} الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام {لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ} أي: الواضح الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال محبته لربه وخلته، فإن إسماعيل – عليه السلام – لما وهبه اللّه لإبراهيم، أحبه حبًّا شديدًا، وهو خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة، ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفي وُدَّه ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحَمَ حُبُّه حُبَّ ربه، فلما قدّم حبَّ اللّه، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم؛ بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} [الصافات: ١٠٦- ١٠٧] أي: صار بدله ذِبْحٌ من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيمًا من جهة أنه كان فداء لإسماعيل، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قربانًا وسنة إلى يوم القيامة».[3]

ثم إن الله تعالى ذكر ما جازى به خليله – عليه السلام – على هذه الطاعة العظيمة وهذا الانقياد الجليل وهذا الوفاء الكبير فقال عز وجل: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين} [الصافات: ١٠٨- ١١١].

قال السعدي رحمه الله: «أي: وأبقينا عليه ثناءً صادقًا في الآخرين، كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام، فإنه فيه محبوب معظَّمٌ مثنيٌّ عليه».[4]

---

[1] التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ١٩٦).

[2] تفسير الطبري (٢١/ ٧٨).

[3] تفسير السعدي (ص: ٧٠٦).

[4] المرجع السابق.

ومعنى قوله تعالى: {سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ}: «تحية من الله له، ودعاء بالسلامة من كل ضر وآفة».[1]

{كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} أي: «كما جازينا إبراهيم هذا الجزاء على طاعته؛ نجازي المحسنين»[2] يعني: المحسنين «في عبادة اللّه، ومعاملة خلقه؛ أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن».[3] {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}: «بما أمر اللّه بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين».[4]

ثم بشره الله تعالى بولد آخر صالحٍ جزاءً له على طاعته لربه في العزم على ذبح ولده الوحيد فقال تعالى: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ . وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الصافات: ١١٢- ١١٣].

هذه بشارة أخرى لإبراهيم ومكرمة له، وهي غير البشارة بالغلام الحليم، فإسحاق غير الغلام الحليم. وهذه البشارة هي التي ذكرت في القرآن في قوله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود:٧١]. وتسمية المبشر به إسحاق تحتمل أن الله عين له اسمًا يسميه به، وتحتمل أن المراد: بشرناه بولده الذي سمي إسحاق، وهو على الاحتمالين إشارة إلى أن الغلام المبشر به في الآية قبل هذه ليس هو الذي اسمه إسحاق فتعين أنه الذي سمي إسماعيل.[5]

ومعنى الآية: «ومن مظاهر تكريمنا لإبراهيم أننا بشرناه بولد آخر هو إسحاق، الذي جعلناه نبيًّا من أنبيائنا الصالحين لحمل رسالتنا، وأفضنا على إبراهيم وعلى إسحاق الكثير من بركاتنا الدينية والدنيوية، بأن جعلنا عددًا كبيرًا من الأنبياء من نسلهما. ومع ذلك فقد اقتضت حكمتنا أن نجعل من ذريتهما من هو محسن في قوله وعمله، ومن هو ظالم لنفسه بالكفر والمعاصى ظلمًا واضحًا بينًا، وسنجازي كل فريق بما يستحقه من ثواب أو عقاب».[6]

ورؤيا إبراهيم – عليه السلام – هذه كانت من الرؤى الظاهرة التي لا تحتاج إلى تعبير، بل هي مطابقة للواقع، وما فعله إبراهيم – عليه السلام – هو تأويل رؤياه، خلافًا لما زعمه ابن

---

[1] المختصر في التفسير (ص: ٤٥٠).
[2] المرجع السابق.
[3] تفسير السعدي (ص: ٧٠٦)
[4] المرجع السابق.
[5] انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ١٦١) بتصرف يسير.
[6] التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (١٢/ ١٠٣).

عربي الصوفي من أن تعبير رؤيا إبراهيم – عليه السلام – كان ذبح الكبش، وأن إبراهيم – عليه السلام – أخطأ تعبيرها ولم يعرفه حتى فداه الله بالذِّبْح العظيم.[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد لا تحتاج (أي الرؤيا) إلى تعبير، كما رأى إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ذبح ولده فأصبح يريد أن يذبحه حتى فداه الله، وهذا قول المسلمين واليهود والنصارى، خلاف ما يزعمه بعض الملاحدة – كصاحب الفصوص – من أن رؤياه كان تعبيرها ذبح الكبش، وأن إبراهيم غلط في ذلك، فلم يعرف تعبير الرؤيا حتى فداه ربه من وهم إبراهيم ما هو فداء في نفس الأمر، وأنه قال: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ} [الصافات: ١٠٦] أي الاختبار[2] المبين، أي الظاهر يعني الاختبار في العلم هل يعلم ما يقتضيه موطن الرؤيا من التعبير أم لا؟ لأنه يعلم أن موطن الخيال يطلب التعبير. قال: "فغفل إبراهيم فما وفى الموطن حقه".[3] ومعلوم عند كل مسلم أن هذا ليس من أقوال من يؤمن بالرسل ويقدر قدرهم، لا سيما إبراهيم الخليل خير البرية بعد محمد – صلى الله عليه وسلم – كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح أنه خير البرية ورواه مسلم في صحيحه[4]، وهو الأمة أي القدوة لجميع المؤمنين بعده، وهو الذي جعله للناس إمامًا، واتخذه خليلاً، وقد قال: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} [النساء: ١٢٥]».[5]

---

[1] انظر: فصوص الحكم لابن عربي الصوفي (ص: ٨٥) وما بعدها، ويأتي في كلام شيخ الإسلام نقل بعض عباراته.

[2] في المطبوع: "الاختيار" بالمثناة التحتية، والصواب: "الاختبار" بالموحدة، كما في الفصوص (ص: ٨٥) .

[3] انظر: فصوص الحكم لابن عربي الصوفي (ص: ٨٥– ٨٦).

[4] صحيح مسلم: كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٨٣٩ رقم: ٢٣٦٩) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا خير البرية! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك إبراهيم عليه السلام». قال النووي – رحمه الله – في شرحه على مسلم (١٥/ ١٢١): «قال العلماء: إنما قال – صلى الله عليه وسلم – هذا تواضعًا واحترامًا لإبراهيم – عليه السلام – لخُلَّته وأُبوَّته، وإلا فنبيُّنا – صلى الله عليه وسلم – أفضل، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أنا سيدُ ولد آدم». ولم يقصد به الافتخار ولا التطاول على من تقدمه، بل قاله بياناً لما أُمر ببيانه وتبليغه، ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم –: «ولا فخر» لينفي ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة».

[5] بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص: ٣١٧– ٣١٨).

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من رؤيا إبراهيم عليه السلام:

المسألة الأولى: رؤيا الأنبياء حق ووحي من الله، يدل على ذلك امتثال إبراهيم – عليه السلام – لِمَا رأى في منامه من ذبح ابنه البكر الوحيد، فعزم على ذلك واتخذ الأسباب المؤدية إليه، ففداه الله بذبح عظيم، ولولا أنها وحيٌ معصوم لما أقدم على ذلك، لأن قتل النفس المعصومة من كبائر الذنوب.

ويدل عليه كذلك قول إسماعيل – عليه السلام – لأبيه: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ} حيث اعتبر ما رآه أبوه في المنام أمرًا من الله تعالى يجب امتثاله.

وممن استدل بهذه الآية على أن رؤيا الأنبياء وحي؛ عبيد بن عمير[1] فيما رواه البخاري وغيره عن سفيان قال: قلنا لعمرو إن ناسًا يقولون: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تنام عينه ولا ينام قلبه! فقال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول: رؤيا الأنبياء وحي. ثم قرأ {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: ١٠٢].[2]

قال ابن العربي – رحمه الله – في أحكام القرآن[3]: «ورؤيا الأنبياء وحي، حسبما بيناه في كتب الأصول وشرح الحديث؛ لأن الأنبياء ليس للشيطان عليهم في التخييل سبيل، ولا للاختلاط عليهم دليل، وإنما قلوبهم صافية، وأفكارهم صقيلة، فما ألقي إليهم، ونفث به الملك في رُوعهم، وضرب المثل له عليهم؛ فهو حق، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «وما كنتُ أظن أنه ينزل فيَّ قرآن يتلى، ولكن رجوتُ أن يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رؤيا يبرئني الله بها»[4]». وقد تقدم مزيد تفصيل لهذه المسألة.

المسألة الثانية: ما أمر الله به فهو عبادة وطاعة، وإن كان في غير هذا الموضع الذي أمر به معصية، فإن قتل الابن من أكبر الكبائر، قال تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ

---

(١) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ثم الجندعي، أبو عاصم المكي، قاص أهل مكة، روى عن أبيه وعمر وعلي وأبي بن كعب وغيرهم، وعنه ابنه عبد الله – وقيل إنه لم يسمع منه – وعطاء ومجاهد وعبد العزيز بن رفيع وعمرو ابن دينار وغيرهم. قال مسلم: ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وعدَّه غيرُه من كبار التابعين، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر رضي الله عنهما. انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٦٣ رقم: ٤٥٤٤)، وتقريب التهذيب (١/ ٥٠٤ رقم: ٤٩٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء باب التخفيف في الوضوء (١/ ٦٤ رقم: ١٣٨).

(٣) (٤/ ٣٠).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (٢/ ٩٢٤ رقم: ٢٥١٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٤/ ٢١٢٩ رقم: ٢٧٧٠).

أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ١٥١]. وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – أيُّ الذنبِ أعظمُ عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني بحليلة جارك».[1]

ولكن إذا أمر الله به صار طاعة وعبادة من أفضل الطاعات والعبادات؛ لأن تنفيذه من أشق ما يكون على النفس، فإذا نفذه الإنسان مع قوة الداعي لمنعه كان ذلك أفضل وأكمل، ولهذا نظير، وهو سجود الملائكة لآدم – عليه السلام – امتثالاً لأمر الله – عز وجل – لهم بالسجود له، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٣٤] فالسجود لغير الله شرك، ولكن لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم صار السجود منهم له طاعة وعبادة؛ لأنه امتثال لأمر الله عز وجل، فالحاصل أن العبادة ما أمر الله به وإن كان جنسها قد يكون معصية في موضع آخر.[2]

المسألة الثالثة: إثبات المشيئة لله تعالى، وأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته عز وجل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وذلك في قوله: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}. [الصافات: ١٠٢].

«ومشيئة الله – جل وعلا – نافذة في كل شيء، لا تتخلف ولا تُرد، ولا معقب لها، ما شاء الله لا بد أن ينفذ ويقع وفقًا وطبقًا لما شاءه، لا يمكن أن يكون في الكون ذرة أو حركة أو سكون أو قيام أو قعود أو مرض أو صحة أو ضعف أو قوة أو إيمان أو كفر إلا بمشيئة الرب سبحانه وتعالى، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كلُّ شيء بقدر، حتى وضعك يدك على خدك». وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا} (٦/ ٢٧٣٤ رقم: ٧٠٨٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (١/ ٩٠ رقم: ٨٦).

[2] انظر: تفسير الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – لسورة الصافات (ص: ٢٥٠).

ما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن».[1]

وفي الآية تعليق الأمور بمشيئة الله، وتقديمها في كلِّ قول، فإسماعيل – عليه السلام – يعلم أنه لا حول ولا قدرة له على الصبر إلا إذا شاء الله له ذلك وأعانه عليه، فلهذا قال: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢]، وهذه الكلمة هي سبب التوفيق، حيث بها يتبرأ الإنسان من حوله وقوته، ويجعل الأمر لله وحده، وهذه هي سرها، ومن هنا كانت بركتها، ولذلك أرشد الله إليها نبيه – صلى الله عليه وسلم – حيث قال تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا . إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الكهف: ٢٣-٢٤].

ولأن مشيئة الله تعالى نافذة ولا تتخلف، بل إذا شاء الله –عز وجل – شيئًا فلا بد أن يقع؛ فهي بمعنى الإرادة الكونية القدرية التي لا بد من وقوعها، ولا تنقسم المشيئة إلى مشيئة شرعية دينية ومشيئة كونية قدرية، بخلاف الإرادة فهي تنقسم إلى إرادة شرعية دينية وإرادة كونية قدرية.[2]

والفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية فيما يلي[3]:

١- أن الإرادة الكونية لا بد من وقوعها لأنها تعلقت بمشيئة الله تعالى، ومشيئته نافذة، بينما الإرادة الشرعية لا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع.

٢- أن متعلَّق الإرادة الكونية لا يلزم أن يكون محبوبًا لله تعالى مرضيًّا له، لأنها تشمل المحبوبات من الطاعات ونحوها، وتشمل المكروهات من المعاصي ونحوها، بينما الإرادة الشرعية تختص بالمحبوبات.

---

[1] تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، للشيخ عبد الرزاق البدر (ص: ١٥١) والبيت الذي نسبه للإمام الشافعي موجود في ديوانه (ص: ١٤٣) إعداد محمد إبراهيم سليم، وتتمة الأبيات:

خلقت العباد على ما علمتَ ففي العلم يجري الفتى والمسن

على ذا مننتَ وهـذا خذلتَ وهـذا أعنتَ و ذا لم تـعـن

فمنهم شقي ومنهم سـعيـد ومنـهم قبيح ومنـهم حسـن

وأخرجها عنه البيهقي في الاعتقاد (ص: ١٦٢) وفي غيره من كتبه، وفي سنده «حمزة بن علي العطار» لم أقف له على ترجمة، وأخرجه أيضًا اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧٠٢ رقم: ١٣٠٤) ولم أجد تراجم رواته.

[2] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨٧/٨- ١٨٨ و ٤٤٠) (٢٦٥/١١) (١٣١/١٨)، ومنهاج السنة (٩٤/٣).

[3] انظر هذه الفوارق في المراجع التالية: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ١٨٨- ١٨٩) (١١/ ٢٦٦) (١٨/ ١٣١)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٩٤)، وشفاء العليل لابن القيم (ص: ٥٩٩).

٣- أن الإرادة الكونية تتحقق في حق المؤمن والكافر، والطائع والعاصي، إذ لا يقع إيمان ولا كفر ولا طاعة ولا معصية إلا بإرادة الله تعالى الكونية، بينما الإرادة الشرعية لا تتحقق إلا في حق المؤمن الطائع، فالمؤمن تجتمع فيه الإرادتان الكونية والشرعية؛ لأن إيمانه مراد لله – عز وجل – كونًا وشرعًا، وأما الكافر فانفردت في حقه الإرادة الكونية؛ لأن كفره مراد لله كونًا لا شرعًا، فإنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر.

٤- أن المراد في الإرادة الكونية هو فعل الله – تبارك وتعالى – من الخلق والرزق والهداية والإضلال والإبراء والإمراض وما إلى ذلك، فهي بمعنى المشيئة والخلق والقضاء والقدر، بينما المراد في الإرادة الشرعية فعل العبد من الإيمان والطاعة وما إلى ذلك، فهي بمعنى المحبة والرضا.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كلام نفيس في التفريق بين الإرادتين يقول فيه: «وإذا تبيّن أن الإرادة نوعان: منها ما هو بمقتضى الربوبية، وهي الإرادة الكونية، ومنها ما هو بمقتضى الإلهية، وهي الإرادة الدينية، فالأولى إرادة فاعلية، والثانية إرادة غائية، الأولى من اسمه الأول، والثانية من اسمه الآخر، الأولى يكون الرب بها مريدًا والعبد مرادًا إرادةَ تكوين وربوبية، ولذلك قد يكون مريدًا، والثانية يكون الربُّ بها مريدًا إرادةَ حبّ ورضًا وإلهيةٍ، والعبد أيضًا مريدًا إرادةَ عبادةٍ وديانةٍ وإنابةٍ وإرادةٍ وقصدٍ، وقد يكون بها مرادًا إرادةَ ربوبيةٍ إذا حصل ذلك».[1]

وهذا التفريق بين المشيئة والإرادة هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو العاصم من الضلال الذي وقع فيه المخالفون لأهل السنة والجماعة في هذا الباب.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «ومنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوبًا مرضيًّا. وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه. وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة».[2]

وقد خالف أهلَ السنةِ والجماعةِ في هذا الباب – أعني إثباتَ المشيئة لله تعالى وشموليتها – القدريةُ والمعتزلةُ.

---

[1] جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ٦٧).

[2] شرح الطحاوية (١/ ٣٢٤).

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله: «وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا: أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر. فروا إلى هذا لئلاَّ يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه! ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار! فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه! فإنه يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه - على قولهم - والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى!! وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل».[1]

ولما بين الإمام ابن القيم - رحمه الله - الفرق بين الإرادتين؛ قال: «وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة، هل هما متلازمان أم لا؟ فقالت القدرية: الأمر يستلزم الإرادة، واحتجوا بحجج لا تندفع. وقالت المثبتة: الأمر لا يستلزم الإرادة، واحتجوا بحجج لا تندفع. والصواب أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية، ولا يستلزم الإرادة الكونية؛ فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعًا ودينًا، وقد يأمر بما لا يريده كونًا وقدرًا».[2]

وقال في النونية:

«هـذا البيـانُ يزيلُ لبسًا طالما ... هلكت عليه الناس كل زمان

ويحل ما قد عقدوا بأصولهم ... وبحوثهم فافهمه فهم بيـان».[3]

المسألة الرابعة: إثبات الإرادة والاختيار والقدرة للمخلوق، لقوله تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات: ١٠٣]، حيث أسند الفعل إليهما، وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة، يسند الله تعالى فيها الأفعال إلى الذين قاموا بها من المخلوقين، كقوله تعالى: {فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} [القصص: ١٥]، وقوله عز وجل: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس: ٢٠]، بل هناك نصوص صريحة في إثبات الإرادة والاختيار للمخلوق، كقوله تعالى: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا} [النساء: ٢٧]، وفي هذه النصوص رد على الجبرية - من الجهمية ومن وافقهم - الذين ينفون عن المخلوق القدرة والإرادة والاختيار، «فالعبد عندهم كالريشة المعلقة في

---

[1] شرح الطحاوية (١/ ٣٢١).

[2] شفاء العليل (ص: ٦٠٠).

[3] نونية ابن القيم (ص: ٢٠٦).

الهواء، وتأثَّرَ بهم أيضًا الأشعرية، حيث قالوا: إن العبد غير مختار في فعله. وكسب الأشعرية معروف، لأنه جبر متطور، لأن معنى الكسب عندهم هو: أن العبد إذا صمم عزمه فالله تعالى يخلق الفعل عنده، والعزم أيضًا فعل يكون واقعًا بقدرة الله تعالى، فلا يكون للعبد في الفعل مدخل على سبيل التأثير، وإن كان له مدخل على سبيل الكسب، والحق أن الكسب عند الأشاعرة هو تعلق القدرة الحادثة بالمقدور في محلها من غير تأثير».[1]

المسألة الخامسة: الأنبياء أشدّ الناس بلاء، وقصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل – عليهما السلام – من أوضح الأمثلة على ذلك، ولهذا قال الله في شأنها: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصافات: ١٠٦]، وقد قرر النبي – صلى الله عليه وسلم – هذه المسألة حينما سئل: أيّ الناس أشدّ بلاء؟ فقال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينُه صلبًا اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[2].

والابتلاء سنة ماضية قدرها الله على عباده المؤمنين، من الأنبياء والصالحين فمن دونهم، إذ الإيمان ليس مجرد قول يقال باللسان فحسب، وإنما هو حقيقة ذات تكاليف؛ فلا يكفي أن يقول الناس: آمنَّا، وينتهى الأمر عند ذلك، بل إن لكل قول حقيقة، فلابد أن يتعرضوا للفتنة والابتلاء فيثبتوا عليه، ويخرجوا منه صافية عناصرهم خالصة قلوبهم.

كما قال تعالى: {أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يتركوٓاْ أَن يقولوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢– ٣].

فالحياة في هذه الدنيا لابد فيها من ابتلاء، لكن من رحمة الله على عباده أنه يبتلي كل عبد بما يطيقه ويتحمله إيمانه، فليس ابتلاء الأنبياء مثل ابتلاء من دونهم، بل يبتلى كلٌّ على قدر دينه وإيمانه.

ولا شك أن في ابتلاء الأنبياء منافع عظيمة لا تنحصر عليهم، بل تتعداهم إلى غيرهم، وهذه المنافع متنوعة، وأذكر منها هنا ما يتعلق بالجانب العقدي، فمنها:

---

[1] اعتقاد أهل السنة "شرح أصحاب الحديث" للدكتور محمد الخميس (ص: ٦٠).

[2] أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٦٠١ رقم: ٢٣٩٨) وقال: «حديث حسن صحيح». وابن ماجه في سننه (١٥٢/٥ رقم: ٤٠٢٣) من طريق عاصم ابن أبي النجود، فإسناده حسن عندهما، وقد تابعه العلاء بن المسيب عند الحاكم (١/ ٩٩ برقم ١٢٠) وغيره، وهذا إسناد صحيح، وقد صححه الألباني في الصحيحة (١/ ١٤٢ رقم: ١٤٣).

١- إثبات أن الأنبياء بشر تجري عليهم ما يجري على سائر البشر من السنن الكونية، وأنهم لا يختلفون عن غيرهم من البشر إلا فيما خصهم الله به من الوحي والرسالة، وما تحلَّوا به من الإيمان وكريم الخصال وجميل الأخلاق، فهم لا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - نفعًا ولا ضرًّا، ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

٢- أن الإيمان بالله ومحبته ليس مجرد أقوال ودعاوى، بل لا بد من إثبات ذلك في مواطن الابتلاء والامتحان، ففي هذه المواطن يتبين الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق.

٣- أن الابتلاء في النفس والمال والولد ليس علامة بغض وإهانة، كما أن السلامة في النفس والمال والولد ليست علامة حب وكرامة، فقد يبتلي الله عبده المؤمن ليغفر ذنبه، أو ليعلي شأنه، أو ليظهر قوة إيمانه وصدق يقينه، أو ليكون قدوة في الصبر والاحتساب والرضا بقضاء الله وقدره.

المسألة السادسة: إثبات صفة الكلام لله - عز وجل - على ما يليق بجلاله، لقوله تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ...} [الصافات: ١٠٤- ١٠٥] الآية. وأن كلامه تعالى بصوت مسموع لقوله: {وَنَادَيْنَاهُ}، وأنه بحرف مفهوم لقوله: {قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}. وأنه تعالى يتكلم بما شاء ومتى شاء.[١]

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وقد خالفهم في ذلك طوائف من المنتسبين إلى القبلة، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن أقوالهم في هذه المسألة تبلغ سبعة أقوال أو أكثر، وذكر منها ستة أقوال سادسها قول أهل السنة والجماعة، وكذلك تلميذه ابن القيم - رحمه الله - ذكر في المسألة سبعة مذاهب سابعها مذهب أهل السنة والجماعة فيما ذكره الموصلي في اختصاره للصواعق المرسلة[٢]، وأوصلها ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - إلى تسعة أقوال[٣].

سأقتصر هنا على ما ذكره ابن أبي العز لشموليته، قال رحمه الله:

«وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ١٧٣)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ١٧٤).

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٤٧٢- ٤٧٦)، وانظر القصيدة النونية مع شرحها توضيح المقاصد لأحمد بن إبراهيم بن عيسى (١/ ٢٦٢- ٣٠٩).

(٣) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ١٧٢- ١٧٤).

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.[١]

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، وهذا قول المعتزلة.[٢]

وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله[٣]، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره.[٤]

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل[٥]، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث[٦].

وخامسها: أنه حروف وأصوات[٧]، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا، وهذا قول الكرامية وغيرهم.[٨]

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب "المعتبر"[٩]، ويميل إليه الرازي في "المطالب العالية"[١٠].

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

---

[١] ومن وافقهم من متصوف ومتكلم كابن سينا وابن عربي الطائي وابن سبعين. انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٣).

[٢] وكذلك هو قول الجهمية ومن وافقهم، اتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في فروعه، انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٦٧)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٣)، ومختصر الصواعق المرسلة (٤٧٣- ٤٧٤).

[٣] «أزلاً وأبدًا، هو الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه، والخبر عن كل ما أخبر الله عنه». انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد ارحمن المحمود (٢/ ١١٣٢).

[٤] وانظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٥).

[٥] «ولها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم». انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٦).

[٦] وهذا قول السالمية ومن اتبعهم. انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٦).

[٧] «حادثة بذات الرب، بقدرته ومشيئته». انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٣).

[٨] كالهاشمية. انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٢).

[٩] هو أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا، الطبيب الفيلسوف، كان يهوديًّا فأسلم في أواخر عمره، وخدم المستنجد بالله، توفي بهمدان سنة نيف وخمسين وخمسمائة عن نحو ثمانين سنة. من تصانيفه: "المعتبر في الحكمة" في ثلاثة أجزاء وقد طبع في الهند في حيدرآباد سنة ١٣٧٥هـ، و"كتاب الأقراباذين"، ورسالة في "العقل وماهيته". انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤١٩)، وتاريخ الإسلام له (٣٨/ ٣٤١)، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (١٣/ ١٤٣)، والأعلام للزركلي (٨/ ٧٤).

[١٠] وهو كتاب في علم الكلام، اسمه كاملاً «المطالب العالية من العلم الإلهي»، طبع في دار الكتاب العربي ببيروت سنة ١٤٠٧هـ بتحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، في تسعة أجزاء.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة».[1]

المسألة السابعة: **إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى**، وأنه سبحانه لا يقدّر ولا يأمر ولا ينهى ولا يشرع إلا لحكمة قد نعلمها وقد لا نعلمها، وعدم علمنا بها ليس دليلاً على عدمها، وهنا في الآيات التي معنا أمر الله خليله إبراهيم – عليه السلام – بذبح ابنه، ثم نسخ ذلك قبل أن يتمكن من ذبحه، وفداه بذبح عظيم، ثم بين الحكمة من ذلك بقوله: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصافات: ١٠٦]، فالحكمة في هذا الأمر أن الله تعالى أراد أن يبتلي خليله إبراهيم – عليه السلام – في محبته له سبحانه وتقديمها على محبّته لابنه حتى تتم خلّته، فكان المقصود الابتلاء لا نفس الفعل؛ لأنّ الله – سبحانه وتعالى – لا يأمر بفعل لا مصلحة فيه ولا منفعة ولا حكمة، بل أوامره سبحانه ونواهيه وجميع شرائعه مبنية على حكم ومصالح ومنافع.

فالحكمة هنا ناشئة من نفس الأمر، والمصلحة حاصلة به، أما الفعل فلا مصلحة فيه البتة، لذلك كان المقصود من الأمر الحكمة منه وهي الابتلاء دون الفعل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والناس في هذا المقام – وهو مقام حكمة الأمر والنهي – على ثلاثة أصناف: فالمعتزلة القدرية يقولون: إن ما أمر به ونهى عنه كان حسنًا وقبيحًا قبل الأمر والنهي، والأمر والنهي كاشف عن صفته التي كان عليها لا يكسبه حسنًا ولا قبحًا، ولا يجوز عندهم أن يأمر وينهى لحكمة تنشأ من الأمر نفسه، ولهذا أنكروا جواز النسخ قبل التمكن من فعل العبادة كما في قصة الذبيح ...

والجهمية الجبرية يقولون: ليس للأمر حكمة تنشأ لا من نفس الأمر ولا من نفس المأمور به، ولا يخلق الله شيئًا لحكمة، ولكن نفس المشيئة أوجبت وقوعَ ما وقع، وتخصيصَ أحد المتماثلين بلا مخصص، وليست الحسنات سببًا للثواب، ولا السيئات سببًا للعقاب، ولا لواحد منهما صفة صار بها حسنة وسيئة، بل لا معنى للحسنة إلا مجرد تعلق الأمر بها، ولا معنى للسيئة إلا مجرد تعلق النهي بها، فيجوز أن يأمر بكل أمر حتى الكفر والفسوق

[1] انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ١٧٢– ١٧٤).

والعصيان، ويجوز أن ينهى عن كل أمر حتى عن التوحيد والصدق والعدل، وهو لو فعل لكان كما لو أمر بالتوحيد والصدق والعدل، ونهى عن الشرك والكذب والظلم. هكذا يقول بعضهم، وبعضهم يقول: يجوز الأمر بكل ما لا ينافي معرفة الأمر، بخلاف ما ينافي معرفته. وليس في الوجود عندهم سبب، ولكن إذا اقترن أحد الشيئين بالآخر خلقًا أو شرعًا صار علامة عليه، فالأعمال مجرد علامات محضة لا أسباب مقتضية ... فجهم - رأس الجبرية - وأتباعه في طرف والقدرية في الطرف الآخر .

وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة الإسلام كالفقهاء المشهورين وغيرهم ومن سلك سبيلهم من أهل الفقه والحديث والمتكلمين في أصول الدين وأصول الفقه فيقرون بالقدر ويقرون بالشرع ويقرون بالحكمة لله في خلقه وأمره - لكن قد يعرف أحدهم الحكمة وقد لا يعرفها - ويقرون بما جعله من الأسباب، وما في خلقه وأمره من المصالح التي جعلها رحمة بعباده، مع أنه خالقُ كلِّ شيءٍ وربُّه ومليكُه: أفعالِ العباد وغيرِ أفعال العباد، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل ما وقع من خلقه وأمره فعدل وحكمة، سواءٌ عرف العبد وجهَ ذلك أو لم يعرفه.

والحكمة الناشئة من الأمر ثلاثة أنواع:

أحدها: أن تكون في نفس الفعل - وإن لم يؤمر به - كما في الصدق والعدل ونحوهما من المصالح الحاصلة لمن فعل ذلك وإن لم يؤمر به، والله يأمر بالصلاح وينهى عن الفساد.

والنوع الثاني: أن ما أمر به ونهى عنه صار متصفًا بحسنٍ اكتسبه من الأمر وقبحٍ اكتسبه من النهي، كالخمر التي كانت لم تحرم ثم حرمت فصارت خبيثة، والصلاة إلى الصخرة[1] التي كانت حسنة فلما نهى عنها صارت قبيحة. فإن ما أمر به يحبه ويرضاه، وما نهى عنه يبغضه ويسخطه ...

والنوع الثالث: أن تكون الحكمة ناشئة من نفس الأمر وليس في الفعل البتة مصلحة، لكن المقصود ابتلاء العبد هل يطيع أو يعصي؟ فإذا اعتقد الوجوب وعزم على الفعل حصل المقصود بالأمر فينسخ حينئذ، كما جرى للخليل في قصة الذبح؛ فإنه لم يكن الذبح مصلحة، ولا كان هو مطلوب الرب في نفس الأمر، بل كان مراد الرب ابتلاء إبراهيم ليقدم طاعة ربه ومحبته على محبة الولد، ولا يبقى في قلبه التفات إلى غير الله، فإنه كان يحب الولد

---

[1] يقصد - رحمه الله - صخرة بيت المقدس. قارن بين قوله هنا وقوله في الصفدية (٢/ ٣٠٨): «وقد أمر أولاً باستقبال صخرة بيت المقدس ثم أمر ثانيًا باستقبال الكعبة».

محبة شديدة، وكان قد سأل الله أن يهبه إياه – وهو خليل الله –، فأراد تعالى تكميل خلته لله بأن لا يبقى في قلبه ما يزاحم به محبة ربه: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصافات: ١٠٣– ١٠٦]. ومثلُ هذا الحديثُ الذي في صحيح البخاري: حديثُ أبرص و أقرع وأعمى، كان المقصود ابتلاءهم لا نفس الفعل. وهذا الوجه والذي قبله مما خفي على المعتزلة، فلم يعرفوا وجه الحكمة الناشئة من الأمر، ولا من المأمور لتعلق الأمر به، بل لم يعرفوا إلا الأول. والذين أنكروا الحكمة عندهم الجميع سواء، لا يعتبرون حكمة ولا تخصيصَ فعلٍ بأمر، ولا غير ذلك، كما قد عُرِفَ من أصلهم».[1]

وقال ابن القيم – رحمه الله – في «مفتاح دار السعادة»[2]: «وهذا كأمر إبراهيم الخليل بذبح ولده، فإنّ المصلحة لم تكن في ذبحه، وإنّما كانت في استسلام الوالد والولد لأمر الله وعزمهما عليه وتوطينهما أنفسهما على امتثاله، فلمّا حصلت هذه المصلحة، بقي الذبح مفسدة في حقّهما، فنسخه الله ورفعه. و هذا هو الجواب الحقّ الشافي في المسألة، وبه تتبيّن الحكمة الباهرة في إثبات ما أثبته الله من الأحكام، ونسخ ما نسخه منها بعد وقوعه، ونسخ ما نسخ منها قبل إيقاعه، وأنّ له في ذلك كلّه من الحكم البالغة ما تشهد له بأنّه أحكم الحاكمين، وأنّه اللطيف الخبير الذي بهرت حكمته العقول، فتبارك الله رب العالمين».

وقال – رحمه الله – في «مدارج السالكين»[3]: «و" الخلة " هي المحبة التي تخللت روحَ المحب وقلبه، حتى لم يبق فيه موضعٌ لغير المحبوب، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني   ولذا سمي الخليل خليلا

وهذا هو السر الذي لأجله — والله أعلم – أُمِر الخليلُ بذبح ولده وثمرة فؤاده وفلذة كبده، لأنه لما سأل الولد فأعطيه؛ تعلقت به شعبة من قلبه، والخلة منصب لا يقبل الشركة والقسمة، فغار الخليل على خليله أن يكون في قلبه موضعٌ لغيره، فأمره بذبح الولد ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وطن نفسه على ذلك وعزم عليه عزمًا جازمًا حصل مقصود الأمر، فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة، فحال بينه وبينه، وفداه بالذبح العظيم، وقيل له:

---

[1] مجموع الفتاوى (١٧/ ١٩٨– ٢٠٣) باختصار.

[2] (٢/ ٤٠).

[3] (٤/ ٢٨٢٥– ٢٨٢٦).

{يَاإِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا} [الصافات: ١٠٤- ١٠٥] أي عملت عمل المصدِّق {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: ١٠٥] نجزي من بادر إلى طاعتنا فنُقرُّ عينه كما أقررنا عينك بامتثال أوامرنا، وإبقاء الولد وسلامته {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصافات: ١٠٦] وهو اختبار المحبوب لمحبه، وامتحانه إياه، ليؤثر مرضاته، فيتم عليه نعمه، فهو بلاء محنة ومنحة عليه معًا».

وقال الشنقيطي – رحمه الله – في «أضواء البيان»[(١)]:

«اعلم أن قصّة الذبيح هذه تؤيّد أحد القولين المشهورين عند أهل الأصول في حكمة التكليف: هل هي للامتثال فقط، أو هي متردّدة بين الامتثال والابتلاء؟

لأنه بيّن في هذه الآية الكريمة أن حكمة تكليفه لإبراهيم بذبحه ولده ليست هي امتثاله ذلك بالفعل، لأنه لم يرد ذبحه كونًا وقدرًا، وإنما حكمة تكليفه بذلك مجرّد الابتلاء والاختبار، هل يصمّم على امتثال ذلك أو لا؟ كما صرّح بذلك في قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}. [الصافات: ١٠٦- ١٠٧] فتبيّن بهذا أن التحقيق أن حكمة التكليف متردّدة بين الامتثال والابتلاء ... [و] شرط التمكّن من الفعل في التكليف مبني على الخلاف المذكور، فمن قال: إن الحكمة في التكليف هي الامتثال فقط؛ اشترط في التكليف التمكّن من الفعل، لأنه لا امتثال إلا مع التمكن من الفعل. ومن قال: إن الحكمة متردّدة بين الامتثال والابتلاء، لم يشترط التمكن من الفعل؛ لأن حكمة الابتلاء تتحقّق مع عدم التمكّن من الفعل، كما لا يخفى».

المسألة الثامنة: إثبات أنّ الذبيح هو إسماعيل، وليس إسحاق عليهما السلام.

وذلك أنّ الله تعالى ذكر في هذه القصة بشارتين: بشارة بغلام حليم، وأخرى بإسحاق نبيًّا من الصالحين، فلما ذكر البشارة الأولى بالغلام الحليم من ابني إبراهيم، وذكر قصّة الأمر بذبحه، واستوفى ذلك؛ عطف بذكر البشارة الثانية بالابن الثاني، وقد سمّاه إسحاق فقال: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١١٢]، وهذه البشارة الثانية كانت من الله تعالى لإبراهيم – عليه السلام – كرامة له على صبره على ما أُمِرَ به من ذبح ابنه، وهذا يدل على أنّ إسحاق المبشر به ثانيًا غير الغلام الحليم المبشر به أولًا الذي أمر بذبحه.

---

(١) (٦/ ٣١٨- ٣١٩) باختصار وتصرف.

وللعلماء في تعيين الذبيح قولان مشهوران، نُقِل كلٌّ منهما عن جماعة من السلف من الصحابة فمن بعدهم: الأول أنه إسماعيل عليه السلام، والثاني أنه إسحاق عليه السلام، وهناك من توقف، وعدَّ بعضهم هذا قولاً ثالثًا، وهناك من قال بتعدد القصة، وهذا قول رابع في المسألة.

فالقول الأول – وهو أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام – نسب إلى جماعة من الصحابة كعلي بن أبي طالب[١]، وأبي هريرة[٢]، وأبي الطفيل عامر بن واثلة[٣]، وعبد الله بن عمر[٤]، وابن عباس[٥]، وعبد الله بن سلام[٦]، ومعاوية ابن أبي سفيان[٧]، وخوات بن جبير[٨] رضي الله عنهم.

---

[١] نسبه إليه ابن أبي حاتم عن أبيه فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤)، وروى الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ٧٨- ٧٩) بسند فيه ضعف عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب خبرًا طويلاً في قصة إبراهيم – عليه السلام – وندائه بالحج وفيه: «ثم قيل له اذبح ما أمرت به، فدعا إسماعيل فقال: إني أمرت بذبحك. فقال له إسماعيل: امض على أمرت».

[٢] نسبه إليه ابن أبي حاتم عن أبيه فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤)، وعزاه في الدر المنثور (٧/ ١٠٦) لعبد بن حميد من طريق فرزدق الشاعر.

[٣] نسبه إليه ابن أبي حاتم عن أبيه فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤).

[٤] أخرجه: الطبري في تاريخه (١/ ١٦٠) وفي تفسيره (٢١/ ٨٢) والحاكم في مستدركه (٣/ ٤٢٤ رقم: ٤٠٨٩) من طريق ثوير ابن أبي فاختة عن مجاهد عن ابن عمر، وثوير هذا قال فيه الحافظ في التقريب (١/ ١٢٦ رقم: ٩٥٩): «ضعيف رمي بالرفض»، وقد تصحف في تفسير الطبري إلى «ثور» وكذلك هو في تفسير ابن كثير، وجاء على الصواب في تاريخ الطبري و مستدرك الحاكم.

[٥] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٤٣٦- ٤٣٨ رقم: ٢٧٠٧) من طريق أبي الطفيل عنه – رضي الله عنهما – بإسناد قال فيه محققو المسند: «رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي، فقد روى له أبو داود، وقال أبو حاتم: لا أعرف اسمه ولا أعرفه، ولا حدث عنه سوى حماد بن سلمة، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة، وقال الحافظ في "التقريب": مقبول. قلنا: ولمعظم هذا الحديث طرق وشواهد يتقوى بها».

وبنفس الإسناد أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ٧٨) وأخرجه من طرق أخرى، أصحها طريق الشعبي عنه (٢١/ ٨٢ و ٨٣) بإسناد صحيح، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٤٢٤ رقم: ٤٠٨٨) و(٣/ ٤٢٥ رقم: ٤٠٩٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم أيضًا في مستدركه (٣/ ٢١٣ رقم: ٣٦٦٤) من طريق مجاهد عنه بإسناد رجاله ثقات إلا أبا حذيفة موسى بن مسعود النهدي فإنه صدوق سيء الحفظ وكان يصحف كما في التقريب (٢/ ٧٨٨٩).

[٦] أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٤٢٧) من طريق الواقدي وهو متروك الحديث كما في التقريب (٢/ ٢٠٣ رقم: ٦٩٥١).

[٧] أخرجه: الطبري في تفسيره (٢١/ ٨٥) والحاكم في مستدركه (٣/ ٤٢٤ رقم: ٤٠٩٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٩٩ رقم: ٦٠٦٧) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٦/ ٢٠٠ رقم: ٧٠٩١) بإسناد ضعيف، قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٥): «هذا حديث غريب جدًّا». وقال الذهبي في تعليقه على الموضع السابق من المستدرك: «إسناده واه». وضعفه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٠٥) والألباني في السلسة الضعيفة (١/ ٥٠٢).

[٨] أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٤٢٦ رقم: ٤٠٩٤) من طريق الواقدي وهو متروك الحديث كما في التقريب (٢/ ٢٠٣ رقم: ٦٩٥١).

وإلى جماعة من التابعين منهم: سعيد بن المسيب[1]، وسعيد بن جبير[2]، والشعبي[3]، ومجاهد[4]، والحسن البصري[5]، ومحمد بن كعب القرظي[6]، وأبو صالح[7]، وأبو جعفر الباقر[8]، والربيع بن أنس[9]، والكلبي[10]. ومن الأئمة: الإمام أحمد بن حنبل[11]، وأبو حاتم الرازي[12]، وأبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي[13]، وابن عطية[14]، وابن تيمية[15]، ابن القيم[16]، وابن كثير[17]. ومن المتأخرين: الشنقيطي[18].

---

(1) نسبه إليه ابن أبي حاتم عن أبيه فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤)، و البغوي في تفسيره (٤/ ٣٦) وعزاه في الدر المنثور (٧/ ١٠٥) لعبد بن حميد، ولم أقف له على سند.

(2) نسبه إليه ابن أبي حاتم عن أبيه فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤)، وعزاه في الدر المنثور (٧/ ١٠٥) لعبد بن حميد، ولم أقف له على سند.

(3) أخرجه: الطبري في تفسيره (٢١/ ٨٤) بأربعة أسانيد عنه، رجال الإسناد الأول ثقات إلا شيخ الطبري إسحاق بن شاهين الواسطي فهو صدوق كما في التقريب (١/ ٧٠ رقم: ٤٠٥)، والإسناد الثاني رجاله كلهم ثقات، والثالث والرابع رجالهما ثقات إلا يحيى بن يمان الكوفي قال فيه الحافظ: «صدوق عابد يخطئ كثيرًا وقد تغير». التقريب (٢/ ٣٦٩ رقم: ٨٦٤٩).

(4) أخرجه: الطبري في تفسيره (٢١/ ٨٤) بإسناد رجاله ثقات إلا يحيى بن يمان كما سبق، وأخرجه أيضًا في (٢١/ ٨٦) بإسناد صحيح، ولفظه: عن مجاهد ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: «الذي فُدِيَ به إسماعيل، ويعني تعالى ذكره الكبش الذي فُدِيَ به إسحاق، والعرب تقول لكلّ ما أُعِدّ للذبح ذِبْح، وأما الذَّبح بفتح الذال فهو الفعل».

(5) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ١٦٢) وفي تفسيره (٢١/ ٨٤) بإسناد رجاله كلهم ثقات.

(6) أخرجه: الطبري في تفسيره (٢١/ ٨٤) قال: «حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي ...». وابن حميد هو: محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كما في التقريب (٢/ ١٦٥ رقم: ٦٥٤٣)، وسلمة: هو سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري صدوق كثير الخطأ كما في التقريب (١/ ٣٠٨ رقم: ٢٧٥٩). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٤٢٥ رقم: ٤٠٩٣) من طريق أحمد بن عبد الجبار - وهو العطاردي، ضعيف كما في التقريب (١/ ٣٨ رقم: ٧٥) - عن يونس بن بكير - وهو الشيباني يخطئ كما في التقريب (٢/ ٣٩٤ رقم: ٨٩١١) - عن ابن إسحاق به. وسكت عنه الحاكم والذهبي.

(7) نسبه إليه ابن أبي حاتم عن أبيه فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤).

(8) نسبه إليه ابن أبي حاتم عن أبيه فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤).

(9) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٤/ ٣٦).

(10) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٤/ ٣٦).

(11) كتاب الزهد للإمام أحمد (ص: ٣٦)، وانظر: تفسير بن كثير (٧/ ٣٤).

(12) نسبه إليه ابنه فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤).

(13) أخبار مكة (٥/ ٨٠).

(14) المحرر الوجيز (٣/ ١٩٠) و (٤/ ٢٠ و ٤٨٠).

(15) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣١- ٣٣٦)، ومنهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤٧).

(16) زاد المعاد (١/ ٧١- ٧٥).

(17) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٧ و ٣٥)، وقصص الأنبياء له (١/ ٢٦٥).

(18) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/ ٤٥١)، وأضواء البيان (٦/ ٤٤٦).

ومن أدلة القائلين بهذا القول:

أولاً: قول الله تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: ٧١]. وجه الدلالة: أن الله تعالى بشر امرأة إبراهيم – وهي سارة – بأمرين: بابنٍ اسمه: إسحاق، وبابنٍ من هذا الابن اسمه: يعقوب، وهذا يقتضي أن يعيش إسحاق ويولد له يعقوب، فلا يستقيم بعد هذا أن يقال: إن الذبيح هو إسحاق، لأن هذا يناقض البشارة المتقدمة، ولأنه يترتب عليه خلف الوعد، إذ كيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب؟! والله لا يخلف الميعاد.[1]

ثانيًا: قصة الذبيح المذكورة هنا في سورة الصافات.[2]

وهي تدل على أن الذبيح هو إسماعيل – عليه السلام – من عدة أوجه نذكر منها ما يلي:

الأول: أن سياق الآية يدل على أن هذا الغلام الحليم هو أول ولدٍ بُشِّر به إبراهيم عليه السلام، وهو نفسه الذي رأى في المنام أنه يذبحه، وقد اتفق المسلمون وأهل الكتاب على أن إسماعيل – عليه السلام – أكبر من إسحاق، وهذا يقتضي أن يكون الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.[3]

ويوضح ذلك الإمام الفراهي بقوله: «دعاء إبراهيم: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١٠٠] إنما كان حين لم يكن له ولد، وإلا قيل له: قد وهبنا لك من الصالحين ... فههنا ذكر الله الإجابة في عقب الدعاء ووصلهما بالفاء، فقال: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} [الصافات: ١٠١] فدل على أن ذلك ذكر الولد الذي أعطاه الله إجابة لدعائه حين لم يكن له

---

[1] وقد استدل بهذا الوجه جملة من المحققين منهم: ابن عطية في تفسيره (٣/ ١٩٠) و (٤/ ٢٠)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣٥)، وابن القيم في زاد المعاد (١/ ٧٢– ٧٣) وقال: «وهذا ظاهر الكلام وسياقه». وفي إغاثة اللهفان (٢/ ٣٥٥). وابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٣٤) وقال: «وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه». وفي قصص الأنبياء (١/ ٢٦٦)، والشنقيطي في أضواء البيان (٦/ ٤٤٦) وقال: «فهذه الآية أيضًا دليل واضح على ما ذكرنا، فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك»، والفراهي في الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح (ص: ٨٤) وقال: «والإخبار بأبوَّته أشد منعًا عن كونه ذبيحًا من الإخبار بنبوَّته، فبطل الفائدة التي تمنوها من تقدير البشارتين، وعاد الأمر إلى ما هو الظاهر، وهو أن البشارة به إنما كانت واحدة، وهي التي جاءت قبل ولادته، ولتضمنها الخبر عن نبوَّته مرة، وعن أبوَّته مرة أخرى؛ تمنع أن يكون هو المراد فى قوله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} [الصافات: ١٠١– ١٠٢] الآية»، وسبقهم جميعًا إلى هذا الاستدلال أبو عبد الله الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ٨٠).

[2] من الآية (٩٩) إلى الآية (١١٢).

[3] انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٧).

ولد، فلا بد أن يكون هذا الغلام الحليم هو أول مولود لإبراهيم عليه السلام، وصرّح بكونه ذبيحًا، فلا بد أن يكون إسماعيل الذي هو أول مولود لإبراهيم ذبيحًا».[1]

الثاني: أنه تعالى بشَّر نبيَّه إبراهيم – عليه السلام – أولاً بالغلام الحليم الذي أُمِرَ في المنام بذبحه، فلما استوفى الكلام في ذلك[2] قال: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١١٢] فدل على أنهما بشارتان: بشارة بالذبيح، وبشارة ثانية بإسحاق نبيًّا من الصالحين، وأن المبشَّر به في الأولى غير المبشَّر به في الثانية.

يقول الفراهي رحمه الله: «وهذا يتضح من النظر إلى الجملتين معًا، مثلاً تقول: قال إبراهيم عليه السلام: رب هب لي من الصالحين، فبشره الله بغلام حليم، وكان من أمره كذا وكذا، وبشره الله بإسحاق نبيًّا من الصالحين. وقد علمنا من غير خلاف بين أهل الكتاب والمسلمين أن غلامًا حليمًا قد ولد لإبراهيم – عليه السلام – قبل إسحاق، فما المحوِج إلى جعل المعطوفين واحدًا خلافًا لظاهر الكلام؟! وعلى هذا فالمذكور في البشارة الأولى – وهو الذبيح – غير المذكور في البشارة الثانية – وهو إسحاق –».[3]

ويقول الشنقيطي رحمه الله: «لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضًا: وبشرناه بإسحاق، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبشَّر به أولاً الذي فدي بالذِّبح العظيم، هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نصَّ الله عليها مستقلة بعد ذلك». ثم أيد كلامه بأمرين:

أحدهما: «أن المقرر في الأصول: أن النص من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – إذا احتمل التأسيس والتأكيد معًا وجب حمله على التأسيس، ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه».

وثانيهما: أن العطف يقتضي المغايرة.

---

[1] الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، للإمام عبد الحميد الفراهي (ص: ٧٩) وانظر ما بعدها فله كلام جميل، حيث قرر أن المراد بالنافلة في قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ} [الأنبياء: ٧٢] إسحاق ويعقوب كلاهما، لا يعقوب وحده.

[2] ومما يدل على استيفاء الكلام في الذبيح قبل البشارة بإسحاق – عليه السلام – من سياق القصة أن الله تعالى ختم الكلام في الذبيح بما ختم به سائر القصص الواردة في سورة الصافات، ثم ذكر البشارة بإسحاق – عليه السلام – تأمل هذه الآيات: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١٠٧ – ١١٢] وهذا ملحظ قوي. وانظر: الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، للفراهي (ص: ٨٧– ٨٨).

[3] الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، للإمام عبد الحميد الفراهي (ص: ٨٣).

ثم قال: «فآية الصافات هذه، دليلٌ واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق».[1]

الثالث: أن السياق الذي وردت فيه البشارة بالغلام الحليم – الذي هو الذبيح – مغاير للسياق الذي وردت فيه البشارة بالغلام العليم – الذي هو إسحاق –، وذلك من عدة نواحٍ:

أ- البشارة بالغلام الحليم (الذبيح) وردت في سياق اعتزال إبراهيم لقومه وهجرته من بلدته إلى بلاد الشام، مما يدل على تقدمها، بينما البشارة بالغلام العليم (إسحاق) وردت في سياق إرسال الملائكة لإهلاك قوم لوط، مما يدل على تأخرها، فإذا كانت هذه البشارة المتأخرة بالغلام العليم مرتبطة بإسحاق؛ وجب أن تكون البشارة المتقدمة بالغلام الحليم مرتبطة بإسماعيل عليهما السلام، فيكون هو الذبيح.[2]

ب- أن البشارة بالذبيح جاءت موصولة بالدعاء بقوله: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١٠٠] فهي كانت متوقَّعةً ومنتظَرة، ولهذا لم يحصل عندها تعجب واستغراب، بينما البشارة بإسحاق لم ترد موصولة بالدعاء، ولم تكن عن ترقُّبٍ وانتظار، بل كانت معجزة ودليلاً على قدرة الله، لأنها كانت على كبر سن وشيخوخة من إبراهيم وكانت امرأته عجوزًا، ولهذا حصل عندها تعجُّبٌ واستغراب، قال تعالى: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ . قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [هود: ٧١- ٧٣]، وقال عز وجل: {قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ . قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ . قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ} [الحجر: ٥٣ - ٥٥].[3]

ج- وُصِف الذبيحُ بالغلام الحليم، بينما وُصِف إسحاقُ بالغلام العليم[4]، والتخصيص لا بدَّ له من حكمة، ولا شك أن " الحلم " خلُقٌ جليٌّ يُرى فيمن أوتي الفهم والصبر

---

[1] أضواء البيان (٦/ ٤٤٨) واستدل بهذا الوجه إضافة إلى الفراهي والشنقيطي جملة من العلماء، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٤/ ٣٣٢- ٣٣٣)، وابن القيم في الزاد (١/ ٧٣) وقال: «وهذا ظاهر جدًّا في أن المبشَّر به غيرُ الأول، بل هو كالنص فيه». وفي إغاثة اللهفان (٢/ ٣٥٥)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٧) وفي قصص الأنبياء (١/ ٢٦٥)، ومن قبلهم أبو عبد الله الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ٨٠).

[2] وانظر كلامًا قريبًا من هذا للحافظ في الفتح (١٢/ ٣٩٥)، وللفراهي في الرأي الصحيح (ص: ٩٤).

[3] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٣٤)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣٥٥- ٣٥٦)، والرأي الصحيح للفراهي (ص: ٨٢)، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (٧/ ٢٤٤- ٢٤٥).

[4] وذلك في سورة الحجر في قوله تعالى: {قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الحجر: ٥٣]، وفي سورة الذاريات في قوله تعالى: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الذاريات: ٢٨].

ويظهر منذ الصغر، فلا يتعارض مع الأمر بذبحه، بخلاف " العلم " فإنه لا يظهر إلا بعد تجربة الأمور والتحنك، وعليه فيكون معنى قوله تعالى: {وبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الذاريات: ٢٨] أن هذا الغلام يشبُّ ويصير من العلماء، وهو نظير قوله تعالى: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١١٢] أي أنه يشبُّ ويكون من الأنبياء، وهذا لا يستقيم مع الأمر بذبحه قبل بلوغه هذا الوصف.[١]

وإضافةً إلى ذلك ذكرَ الله تعالى في هذه القصة للذبيح أوصافًا امتدح بها نبيَّه إسماعيل – عليه السلام – في مواضع أخرى من القرآن، ولم يُوصَف بها إسحاق – عليه السلام – مع كثرة ذكره، فمن ذلك وصفه بالصبر في قوله: {قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢]، وامتدح الله نبيَّه إسماعيل بالصبر في قوله تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الأنبياء: ٨٥]، ومن ذلك إخباره عن الذبيح بأنه وفى بوعده لأبيه بالصبر على الذبح، وقد وصف الله نبيَّه إسماعيل بقوله: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم: ٥٤].

يقول الفراهي رحمه الله: «فالمطابقة بين وصف إسماعيل والذبيح، وعدم تأويلٍ آخرَ لما وصف الله به إسماعيل، وعدم وصف إسحاق – عليه السلام – بما كان أجدر بالذكر لو كان هو الذبيح؛ كلٌّ ذلك لا يدع شكًّا في أن إسماعيل هو الذبيح».[٢]

الرابع: أن البشارة بالذبيح لم تذكر في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، وأما في سائر المواضع الأخرى[٣] ذكرت البشارة بإسحاق – عليه السلام – خاصة، ولم يذكر في شيء من هذه المواضع أنه هو الذبيح، بل حتى في المواضع التي امتن فيها على إبراهيم بهبة إسحاق وابنه يعقوب له لم يذكر أنه هو الذبيح مع أن السياق سياق مدح وامتنان، قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ} [الأنبياء: ٧٢]، وقال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [العنكبوت: ٢٧]. وهذا يدل على أن إسحاق ليس هو الذبيح.[٤]

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٣٤)، و زاد المعاد لابن القيم (١/ ٧٤)، والرأي الصحيح للفراهي (ص: ٨٤– ٨٥)، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (٧/ ٢٤٥– ٢٤٦).

[٢] الرأي الصحيح للفراهي (ص: ٨٦) وما قبلها، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٣٣– ٣٣٤)، وزاد المعاد لابن القيم (١/ ٧٤).

[٣] وهي بالترتيب: سورة هود الآية (٧١) {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}، وسورة الحجر الآية (٥٣) {قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}، وسورة الذاريات الآية (٢٨) {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}.

[٤] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٣٣).

الخامس: أن الله تعالى قال في شأن هذه القصة: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصافات: ١٠٦] ووجه كون ذلك بلاءً مبينًا هو أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً كما قال عز وجل: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]، والخلة – كما يقول ابن القيم رحمه الله[١] – منصب يقتضي توحيدَ المحبوب بالمحبة، ولا يقبل الشركة والقسمة، ولما سأل الخليل ربه أن يهب له الولد فوهبه إياه؛ تعلقت به شعبة من قلبه، فابتلاه الله – جل جلاله – بالأمر بذبح الولد، ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وطَّن نفسه على ذلك وتلَّ الولد للجبين؛ خلصت الخلة من شوائب المشاركة، وحصل مقصود الأمر، فلم يبق في الذبح مصلحة، فنُسخ الأمر، وفُدي الذبيحُ بذبح عظيم.

الشاهد أن المقصود بالأمر بالذبح أن لا يبقى في قلبه محبة لغير الله تعالى، وهذا إنما يتحقق إذا كان له ابن واحد، أما إذا صار له ابنان فإن المقصود لا يحصل إلا بذبحهما جميعًا.[٢]

يقول ابن القيم رحمه الله: «ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود، ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضي الأمر بذبحه، وهذا في غاية الظهور».[٣]

ثالثًا: أن قصة الذبيح إنما كانت بمكة على الصحيح، ويدل على ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما فتح مكة ودخل الكعبة رأى فيها قرني الكبش الذي فدى الله به الذبيح[٤]، فقال لسادن الكعبة وهو عثمان بن طلحة رضي الله عنه: «إني كنتُ رأيتُ قرني الكبش حين دخلتُ البيت، فنسيتُ أن آمرك أن تخمِّرهما، فخمِّرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي». قال سفيان: لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا.[٥]

ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه، وأن مشعر "منى" محلٌّ للنسك منذ عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما اللذان بنيا الكعبة بنص القرآن،

---

[١] انظر: زاد المعاد (٧٤/١)، ومدارج السالكين (٢٨٢٥/٤– ٢٨٢٦)، وإغاثة اللهفان (٣٥٦/٢) وكلها لابن القيم.

[٢] انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/ ٢٤٧).

[٣] انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٥).

[٤] احتفظ بهما قريش في الكعبة جيلاً بعد جيل.

[٥] أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٣٧٥ رقم: ٢٠٣٠)، والإمام أحمد في مسنده (٢٧/ ١٩٦ رقم: ١٦٦٣٧) واللفظ له، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح».

ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بمكة والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرًا لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله عز وجل، فالذبح متصل بالبيت الحرام مكانًا وزمانًا.[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة، لا من أهل الكتاب ولا غيرهم، لكن بعض المؤمنين من أهل الكتاب يزعمون أن قصة الذبح كانت بالشام فهذا افتراء؛ فإن هذا لو كان ببعض جبال الشام لعرف الجبل، وربما جعل منسكًا كما جعل المسجد الذي بناه إبراهيم وما حوله من المشاعر».[2]

وقال ابن القيم رحمه الله: «إبراهيم – عليه السلام – لم يَقْدُم بإسحاق إلى مكة البتة، ولم يفرق بينه وبين أمه. وكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته، فيذبحه بموضع ضرتها في بلدها، ويدع ابن ضرتها؟».[3]

وقال ابن كثير – رحمه الله – بعد نقله لحديث قرني الكبش: «وهذا وحده دليلٌ على أن الذبيح إسماعيل؛ لأنه كان هو المقيم بمكة، وإسحاق لا نعلم أنه قدمها في حال صغره، والله أعلم».[4]

وقال ابن حجر – رحمه الله – تعليقًا على حديث قرني الكبش: «وهذه الآثار من أقوى الحجج لمن قال: إن الذبيح إسماعيل».[5]

رابعًا: أن كون إسماعيل – عليه السلام – هو الذبيح دلت عليه التوراة التي بأيدي أهل الكتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة، وهو الذي تدل عليه التوراة التي بأيدي أهل

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٣٥)، وزاد المعاد (١/ ٧٣- ٧٤)، وإغاثة اللهفان (٢/ ٣٥٥ و ٣٥٦).

[2] مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٣٥- ٣٣٦).

[3] إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣٥٦).

[4] قصص الأنبياء (١/ ٢٦٥).

[5] فتح الباري (١٢/ ٣٩٥).

قلت: ما سبق في الدليل الأول والثاني هو من دلالة القرآن الكريم على أن الذبيح هو إسماعيل – عليه السلام – وما ذكر هنا في الدليل الثالث هو من دلالة السنة النبوية على المسألة، اقتصرت عليه لصحة الحديث الوارد فيه، وقد اشتهر عند كثير من العلماء الاستدلال في هذا الباب بحديث: «أنا ابن الذبيحين» أو قول الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم: «يابن الذبيحين» وإقراره إياه على ذلك، على أن الذبيح الأول إسماعيل عليه السلام، والثاني والده عبد الله بن عبد المطلب، لكن هذا الحديث لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فاللفظ الأول: «أنا ابن الذبيحين» لا أصل له، والثاني الذي هو من قول الأعرابي سبق تخريجه وبيان تضعيف العلماء له، وقد أجاب عنه أصحاب القول الثاني على فرض صحته بأنه يجوز أن يراد بالذبيح الأول إسحاق – عليه السلام – لورود إطلاق الأب على العم. قلت: أما إذا صح الحديث فيمكن رد ما أجاب به أصحاب القول الثاني إذ هو خلاف الأصل، ولا يسار إليه إلا بدليل.

الكتاب، وأيضًا فإن فيها أنه قال لإبراهيم: «اذبح ابنك وحيدك». وفي ترجمة أخرى: «بكرك». وإسماعيل هو الذي كان وحيده وبكره باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، لكن أهل الكتاب حرفوا فزادوا "إسحاق" فتلقى ذلك عنهم من تلقاه، وشاع عند بعض المسلمين أنه إسحاق، وأصله من تحريف أهل الكتاب».[1]

وأحسن من أثبت كون إسماعيل – عليه السلام – هو الذبيح من خلال التوراة التي بأيدي أهل الكتاب – فيما وقفت عليه – هو الإمام عبد الحميد الفراهي في كتابه القيم "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، حيث استدل بثلاثة عشر دليلاً من التوراة على إثبات أن إسماعيل – عليه السلام – هو الذبيح، مبينًا تلاعب أهل الكتاب بنصوص كتابهم وتحريفهم لها، وتناقضهم الدال على ذلك، ومن أوضح هذه الأدلة ما يلي:

أ- دلت التوراة على أن "بئر سبع" كانت مسكن إسماعيل وأمه، وأنها كانت بعيدة عن مسكن إسحاق وأمه، وأنها كانت مسكن إبراهيم الذي ذهب منه للتضحية ورجع إليها بعدها. وهذا يدل على أن الابن الذي أخذه إبراهيم – عليه السلام – ليقدمه قربانًا إنما هو إسماعيل الذي كان ساكنًا في "بئر سبع"، لا إسحاق الذي كان بعيدًا عنه مع زوجه سارة بكنعان.[2]

ب- دلت التوراة على أن إسماعيل – عليه السلام – كان وحيد أبيه، وأنه ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة[3]، وأن الله تعالى لما أمر إبراهيم – عليه السلام – بذبح ابنه قال له: «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه»[4]، فثبت من هذا أمران:

١- أنه لم يكن لإبراهيم – عليه السلام – وحيد إلا إسماعيل – عليه السلام – حتى ولد له إسحاق عليه السلام.

٢- أنه قرّب هذا الابن الوحيد قبل ولادة إسحاق عليه السلام، فإنه لم يبق وحيدًا بعد ولادة أخيه، وفي كلا الأمرين دليل مستقل على أن المقرّب (الذبيح) هو إسماعيل عليه السلام.[5]

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣٣١- ٣٣٢) قلت: وقد نبه على هذا جملة من أهل العلم منهم: ابن كثير في قصص الأنبياء (١/ ٢٦٥)، والفراهي في الرأي الصحيح (ص: ٤٨).

[2] الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح (ص: ٤٩- ٥٠)، وانظر: سفر التكوين (٢٢: ١- ١٨).

[3] انظر: سفر التكوين (١٦ : ١٦) و (٢١: ٥).

[4] انظر: سفر التكوين (٢٢ : ٢).

[5] الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح (ص: ٥١).

ج- أن البشارة بإسحاق – عليه السلام – تمنع أن يكون هو قربانًا، لأن الله تعالى بشّر ببركة نسله حين ولادته، بخلاف إسماعيل – عليه السلام – الذي بشّر ببركته بعد البشارة بإسحاق أو عندها.[١]

فهل يمكن بعد ما بشر الله إبراهيم بكثرة ذرية إسحاق عليهما السلام، أن يأمره بذبحه وهو صغير لم يتزوج بعد، فإنه إنما تزوج بعد ما كبر إبراهيم – عليه السلام – جدًّا[٢]، ورزق الولد إما بعد موت إبراهيم[٣] أو في آخر عمره، فقد جاء في كتابهم أن إسحاق ولد ولإبراهيم مائة سنة[٤]، وتوفي إبراهيم وعمره مائة وخمس وسبعون سنة[٥]، وولد يعقوب وعمر إسحاق ستون سنة[٦]، وعليه يكون يعقوب ولد قبل وفاة إبراهيم بخمس عشرة سنة.[٧]

خامسًا: دل إنجيل "برنابا"[٨] على أن المسيح – عليه السلام – صرح بأن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق عليهما السلام.

ففي الفصل الثالث عشر منه ورد النص التالي: «فخر يسوع على وجهه إلى الأرض قائلاً: " أيها الإله الرب العظيم ما أعظم رحمتك لي، وماذا أعطيك يا رب مقابل ما أحسنت به إلي؟" فأجاب الملاك جبريل: "انهض يا يسوع واذكر إبراهيم الذي كان يريد أن يقدم ابنه

---

[١] انظر: سفر التكوين (١٧ : ١٩ و ٢٠).

[٢] انظر: سفر التكوين الإصحاح (٢٤) كله في قصة زواجه.

[٣] انظر: سفر التكوين (٢٥: ١١).

[٤] انظر: سفر التكوين (٢١: ٥).

[٥] انظر: سفر التكوين (٢٥: ٧).

[٦] انظر: سفر التكوين (٢٥: ٢٦).

[٧] انظر: الرأي الصحيح (ص: ٦٣- ٦٤) وهذا أنموذج من تناقضاتهم الدالة على تلاعبهم وتحريفهم لكتابهم.

[٨] "برنابا" أحد دعاة النصرانية الأوائل يقال إنه من الحواريين، واسمه: يوسف، ويلقب بـ "ابن الوعظ"، وهو لاوي قبرصي الجنسية، وإنجيله لا يعتبر من الأناجيل القانونية لدى النصارى ولا يعترفون به، بل يحرمون مطالعته، وحين ظهر هذا الإنجيل أحدث دويًّا في الأوساط النصرانية لما فيه من المعلومات المضادة لعقائدهم، فحاولوا دفعه بوسائل كثيرة، والذي جعل النصارى يحملون على هذا الإنجيل حملتهم، ويتنصلون منه، هو مخالفته لأناجيلهم المعتمدة وعقيدتهم في أخطر وأهم نقاطها وهي باختصار: أولاً: تصريحه بأن المسيح – عليه السلام – إنسان وليس بإله ولا ابن إله. ثانيًا: نقل عن المسيح – عليه السلام – التصريح بأن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق كما هو زعم اليهود في كتابهم. ثالثًا: نقل عن المسيح التصريح بالبشارة بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – باسمه. رابعًا: التصرح بأن المسيح – عليه السلام – لم يصلب وإنما رفع إلى السماء، وأن الذي صلب هو يهوذا الأسخريوطي حيث أُلقِيَ عليه شبه المسيح عليه السلام. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف (ص: ٢٤٠- ٢٤٦) باختصار.

الوحيد إسماعيل ذبيحة لله ليتم كلمات الله"، فلما لم تقو المدية على ذبح ابنه قدم عملاً بكلمتي كبشًا، فعليك أن تفعل ذلك يا يسوع خادم الله».[1]

وفي الفصل الرابع والأربعين منه ورد النص التالي: «الحقَّ أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا، لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقاً، يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله، أجاب إبراهيم: هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله، فكلم اللهُ حينئذ إبراهيمَ قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟!».[2]

والقول الثاني في المسألة – وهو أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام – نسب أيضًا إلى جملة من الصحابة منهم: العباس بن عبد المطلب[3]، وعمر بن الخطاب[4]، وعلي بن أبي طالب[5]، وعبد الله بن مسعود[6]، وجابر بن عبد الله[7]، وعبد الله بن عباس[8]، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وأنس[9] رضي الله عنهم.

---

[1] انجيل برنابا (١٣: ١٣– ١٧) (ص: ١٠٣).

[2] انجيل برنابا (٤٤: ٥– ١١) (ص: ١٣٧).

[3] أخرجه: الطبري في تفسيره (٢١/ ٧٩) وفي إسناده مبارك بن فضالة، قال فيه الحافظ: «صدوق يدلس ويسوي». التقريب (٢/ ٢٣٥ رقم: ٧٢٨٨). وهو قد عنعن هنا، وكذلك شيخه الحسن البصري مع إمامته كان يرسل ويدلس وقد عنعن. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٥٠٣): «وهذا سند ضعيف، الحسن مدلس وقد عنعنه، والمبارك فيه ضعف كما تقدم مرارًا، وبه أعله الهيثمي فقال: رواه البزار وفيه مبارك بن فضالة وقد ضعفه الجمهور».

[4] أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ١٤٩) بسند فيه سنيد بن داود وهو ضعيف كما في التقريب (١/ ٣٢٢ رقم: ٢٩٢٥) وفيه من لم أقف له على ترجمة. ونسبه إليه بلا إسناد البغوي في تفسيره (٤/ ٣٦)، وابن الجوزي في تفسيره (ص: ١١٩١)، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ١٠٠).

[5] أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ١٥٠) بسند فيه حجاج بن أرطاة النخعي وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس كما في التقريب (١/ ١٥٥ رقم: ١٢٣٩) وقد عنعن، وفيه أيضًا أحمد بن عبد الجبار العطاردي وهو ضعيف كما في التقريب (١/ ٣٨ رقم: ٧٥)، ونسبه إليه بلا إسناد البغوي في تفسيره (٤/ ٣٦)، وابن الجوزي في تفسيره (ص: ١١٩١)، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ١٠٠) وقد سبق عَدُّه رضي الله عنه في أصحاب القول الأول.

[6] أخرجه: الطبري في في تاريخه (١/ ١٥٩) وفي تفسيره (٢١/ ٨٠)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٨٦ رقم: ٨٩١٦)، قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٢): «وهذا صحيح إلى ابن مسعود رضي الله عنه». وأقره على تصحيحه الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٥٠٨).

[7] نسبه إليه القرطبي في تفسيره (٤/ ٣٦) قال: وروى أبو الزبير عن جابر قال: الذبيح: إسحاق.

[8] أخرجه: ابن جرير الطبري في تاريخه (١/ ١٥٩) و في تفسيره (٢١/ ٧٩– ٨٠) من طريق عكرمة عنه بإسنادين صحيحين. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٢١ رقم: ١٨٢٣٣) من طريق سعيد بن جبير بإسناد حسن.

[9] نسبه إلى الثلاثة – أبي موسى الأشعري وأبي هريرة وأنس رضي الله عنهم – ابن الجوزي في تفسيره (ص: ١١٩١).

كما نسب إلى جمعٍ من التابعين منهم: كعب الأحبار[(١)]، ومسروق[(٢)]، وعبد الله ابن أبي الهذيل[(٣)]، وسعيد بن جبير[(٤)]، وعكرمة[(٥)]، وعطاء بن أبي رباح[(٦)]، وقتادة[(٧)]، والزهري[(٨)]، وعبيد بن عمير[(٩)]، والسدي[(١٠)]. ومن الأئمة: الإمام مالك بن أنس[(١١)]، وابن جرير الطبري[(١٢)]، وابن الجوزي[(١٣)]، وأبو عبد الله القرطبي[(١٤)]. وهو قول أهل الكتابين: اليهود والنصارى.[(١٥)]

---

(١) أخرجه: الطبري في تاريخه (١/ ١٥٩) وفي تفسيره (٢١/ ٨٠- ٨١) بإسنادين:

- الأول: من طريق شيخه محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كما سبق، وفيه إبراهيم بن المختار التيمي وهو صدوق ضعيف الحفظ كما في التقريب (١/ ٥٧- ٥٨ رقم: ٢٧٣)، وابن إسحاق وهو صدوق يدلس كما في التقريب (٢/ ١٥٣ رقم: ٦٤٢٤) وقد عنعن.
- الثاني: رجاله كلهم ثقات، إلا أنه من رواية يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري، وقد قال الحافظ في التقريب (٢/ ٣٩٦- ٣٩٧ رقم: ٨٩٣٥) في يزيد هذا: «ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهمًا قليلاً، وفي غير الزهري خطأً».

وبهذا الإسناد أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٤٣٠- ٤٣١ رقم: ٤٠٩٩) وقال: «هذا إسناد صحيح لا غبار عليه». وأقره الذهبي. قلت: ولكن كلام كعب الأحبار لا يؤخذ به في مثل هذا الموطن.

(٢) أخرجه: الطبري في تاريخه (١/ ١٦١) و في تفسيره (٢١/ ٨٠) وإسناده إليه صحيح، وتصحف «أبي إسحاق» إلى «ابن إسحاق» في التفسير، وجاء في التاريخ على الصواب .

(٣) أخرجه: الطبري في تاريخه (١/ ١٦٠) في تفسيره (٢١/ ٨١) ورجال إسناده ثقات عدا يحيى بن يمان فهو صدوق عابد يخطئ كثيرًا وقد تغير كما في التقريب (٢/ ٣٦٩ رقم: ٨٦٤٩).

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ١٥٠) بسند فيه موسى بن سعد مولى أبي بكر الصديق وهو مجهول كما في ديوان الضعفاء والمتروكين (ص: ٤٠١ رقم: ٤٢٨٠) وميزان الاعتدال (٤/ ٢٠٥ رقم: ٨٨٦٨) وكلاهما للذهبي.

(٥) أخرجه: الطبري في تفسيره (٢١/ ٧٢) من طريق شيخه محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كما سبق.

(٦) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٤/ ٣٦).

(٧) أخرجه: الطبري في تفسيره (٢١/ ٧٢- ٧٣) وإسناده إليه صحيح.

(٨) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٤/ ٣٦).

(٩) أخرجه: الطبري في تفسيره (٢١/ ٨٠) وفي إسناده يحيى بن يمان صدوق عابد يخطئ كثيرًا وقد تغير كما سبق بيانه، وباقي رجاله ثقات.

(١٠) أخرجه: الطبري في تفسيره (٢١/ ٧٤) وإسناده ليس بذاك.

(١١) نسبه إليه القرطبي في تفسيره (١٥/ ١٠٠)، والقرافي في الذخيرة (٤/ ١٦٠).

(١٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٦).

(١٣) تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي (ص: ٣٢٢) قال: «وهذا الذبيح إسحق أم إسماعيل؟ فيه قولان، أصحهما: إسحق». وانظر تفسيره زاد المسير (ص: ١١٩٢).

(١٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٠٠- ١٠١).

(١٥) انظر: سفر التكوين (٢٢ : ٢).

وحاول القائلون بهذا القول الإجابة عن أدلة أصحاب القول الأول، ومن ثَمّ الاستدلال على قولهم بعدة أدلة.

● فأجابوا عن الدليل الأول بما يلي:

١- أنه لا يلزم من قوله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: ٧١] أن تكون البشارة شاملة لإسحاق ويعقوب من بعده معًا، بل البشارة بإسحاق فقط، لأن قوله: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ} جملة تامة، وقوله: {وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} جملة أخرى خبرية مستأنفة، وليست في حيِّز البشارة، ولهذا رُفِعَ "يعقوبُ" في قراءة الجمهور، ونُصِبَ في قراءة حمزة وابن عامر ورواية حفص[(١)]، ولو كان "يعقوب" داخلاً في البشارة لكان مجرورًا عطفًا على إسحاق، ويجب حينئذٍ أن يعاد معه حرف الجر.[(٢)]

وقد ردَّ ابن القيم - رحمه الله - هذا الجواب وقال: «لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشرًا به؛ لأن البشارة قول مخصوص، وهي أول خبر سار صادق. وقوله تعالى: {وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوب} [هود: ٧١] جملة متضمنة لهذه القيود، فتكون بشارة، بل حقيقة البشارة هي الجملة الخبرية. ولما كانت البشارة قولاً كان موضع هذه الجملة نصبًا على الحكاية بالقول، كأن المعنى: وقلنا لها: من وراء إسحاق يعقوب، والقائل إذا قال: "بشرت فلانًا بقدوم أخيه وثقله في أثره" لم يعقل منه إلا بشارته بالأمرين جميعًا. هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه البتة».[(٣)]

٢- أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعي، وجائز أن يكون يعقوب ولد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه.[(٤)]

ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذا الجواب وقال: «ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب، بل إنما ولد يعقوب بعد موت إبراهيم عليه السلام، وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلا ريب».[(٥)]

---

(١) انظر: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع للشيخ عبد الفتاح القاضي (ص: ٢٩١- ٢٩٢).

(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم (١/ ٧٢)، وقصص الأنبياء لابن كثير (١/ ٢٦٦).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٢).

(٤) انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٦٣)، وتفسيره (٢١/ ٨٦)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٠١).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣٥).

وقد سبق أنه ورد في التوراة ما يدل على أن يعقوب ولد بعد وفاة إبراهيم – عليه السلام – أو قبلها بيسير[1]، والثاني هو الأرجح؛ لأن ظاهر قوله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: ٧١] يدل على أنه يولد في حياتهما فيتمتعا به ويسُرَّا به كما سُرَّا بأبيه من قبل.[2]

٣- أنه يجوز أن يؤمر بذبحه وقد علم أنه يولد له؛ لأنه يجوز أن يحييه الله – عز وجل – بعد ذلك.[3]

وهذا الجواب بعيد؛ لأنه إذا كان يعلم أنه لا يتحقق الذبح، أو يتحقق ثم يحييه الله – عز وجل – لم يكن في الأمر بذبحه ابتلاء، وقد قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصافات: ١٠٦].

وبهذا يسلم هذا الدليل لأصحاب القول الأول، وينتفي ما أثير حوله من انتقادات.

- وأجابوا عن الدليل الثاني بما يلي:

١- أن سياق الآيات في سورة الصافات يدل على أن الذبيح هو إسحاق، وذلك أن الذبيح هو ذلك الغلام الحليم الذي وهبه الله له إجابة لدعائه حينما فارق قومه وهاجر إلى بلاد الشام، وهو وقتئذ لم تكن معه إلا زوجه سارة، قبل أن يتزوج هاجر، وقبل أن يولد له إسماعيل، فهو يطلب الولد منها لا من غيرها.[4] وقد قال تعالى: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا} [مريم: ٤٩].

قلت: هذا الجواب قد يستقيم إذا أمكن أن تكون ولادة إسحاق قبل إسماعيل عليهما السلام، ولا خلاف في أن إسماعيل ولد قبل إسحاق بسنوات.

ولأنه – عليه السلام – قال في دعائه: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١٠٠] ولم يقل: (رب زدني من الصالحين) مما يعني أنه دعا بهذا الدعاء قبل أن يكون له ولد، وأن الله تعالى وهب له الذبيح إجابة لدعائه، فلابد أن يكون هذا الذبيح هو إسماعيل – عليه السلام – لأنه أول الصالحين من أولاده بلا شك.

---

[1] وانظر سفر التكوين (٢٥: ١١).

[2] انظر: قصص الأنبياء لابن كثير (١: ٢٧٢)، والعذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/ ٤٥٠).

[3] انظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٥٠).

[4] انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ١٠١).

٢- أن البشارة الأولى في قصة الذبيح كانت بولادة إسحاق حملاً لها على سائر البشارات التي هي في إسحاق قطعًا، والبشارة الثانية بنبوة إسحاق تكرمة له من الله تعالى على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح.[(١)]

ولأنه لا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوّته معًا، لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبيًّا.[(٢)]

قلت: قد سبق في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الفراهي والعلامة الشنقيطي وغيرهم - رحمهم الله - ما يُرَدُّ به على هذا الجواب، ونزيد هنا كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله - حيث أورد هذا الاعتراض ثم ردَّه بقوله: «البشارة وقعت على المجموع: على ذاته ووجوده، وأن يكون نبيًّا، ولهذا نصب " نبيًّا " على الحال المقدر، أي: مقدرًا نبوته، فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على الأصل، ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة، هذا محال من الكلام، بل إذا وقعت البشارة على نبوته فوقوعها على وجوده أولى وأحرى».[(٣)]

وأما تعليلهم بأنه لا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوّته معًا، لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبيًّا؛ فتعليل جيدٌ إلا أنه تعكِّر عليه آية هود المتقدمة {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: ٧١] حيث لا يستقيم الأمر بذبحه قبل أن يولد له يعقوب، وكذلك يعكِّر عليه ما ذكر من أدلة أخرى على أن الذبيح هو إسماعيل، ولأن سياق الآيات في سورة الصافات لا يؤيده، لأنه دلَّ على أن البشارة بإسحاق جاءت بعد البشارة بالذبيح واستيفاء الكلام عليها، كما سبق بيانه.

٣- وصف الغلام المبشر به مرة بالحليم وأخرى بالعليم لا يلزم منه التفريق بين الموصوفين أو تعدد الموصوف، إذ يجوز تعدد الأوصاف مع توحّد الذات الموصوفة، فلا مانع أن يكون الغلام العليم هو نفسه الغلام الحليم.

قلت: هذا الكلام صحيح في عمومه، ولكن أصحاب القول الأول لم يذكروا هذا الوجه على أنه دليل مستقل، وإنما ذكروه ضمن ما يستأنس به في هذا الباب، وهم لم

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٨٧).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٩).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٢).

يقولوا: إنه يلزم من تعدد الأوصاف تعدد الموصوف، وإنما قالوا: وصف الغلام بالحليم لا يتعارض مع الأمر بذبحه؛ لأن صفة الحلم قد تكون جبلية فتظهر منذ الصغر، بينما وصف الغلام بالعليم قد يتعارض مع الأمر بذبحه؛ لأن صفة العلم مكتسبة فلا يبلغ الإنسان مبلغًا يسمى فيه عليمًا إلا بعد عُمُرٍ من التجربة والتحنك، فإذا أُمِرَ بذبح الأول لا يقال: كيف ولمَّا يبلغْ حدّ الحليم؟! لكن إذا أُمِرَ بذبح الثاني فقد يقال: كيف ولمَّا يبلغْ حدّ العليم؟!

فتبين بما سبق ضعف هذه الإجابات عن الدليل الثاني، مع عدم شموليتها لجميع الأوجه المذكورة، وبذلك يسلم الدليل الثاني أيضًا لأصحاب القول الأول.

- وأجابوا عن الدليل الثالث بما يلي:

١- أن قصة الذبح وقعت لإسحاق - عليه السلام - بأرض الشام، وأن قرني الكبش نقل منها إلى مكة بعد ذلك.[١]

وهذا توجيه ضعيف جدًّا، بل قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في الرد عليه: «بعض المؤمنين من أهل الكتاب يزعمون أن قصة الذبح كانت بالشام فهذا افتراء؛ فإن هذا لو كان ببعض جبال الشام لعرف الجبل، وربما جعل منسكًا كما جعل المسجد الذي بناه إبراهيم وما حوله من المشاعر».[٢]

قلت: ومعروف عن أهل الكتاب اتخاذهم أمثال هذه المناسبات أعيادًا ومناسبات دينية يحتفون بها، فلو ثبت وقوع قصة الذبح في الشام، لاتخذوا ذلك الزمان والمكان والمناسبة عيدًا، ومن أوضح الأدلة على ذلك حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: أي آية؟ قال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]. قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قائم بعرفة يوم جمعة».[٣]

---

[١] تفسير الطبري (٢١/ ٨٧).

[٢] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣٣٥- ٣٣٦).

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه (١/ ٢٥ رقم: ٤٥)، ومسلم في صحيحه في الباب الأول من كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٢ رقم: ٣١٧).

وما حَفِظَ أهلُ مكة هذين القرنين في الكعبة وتوارثوها جيلاً بعد جيل إلا لعلاقتهما بأبيهم إسماعيل – عليه السلام – فهم بنو إسماعيل وليسوا بني إسحاق.

٢- وقال بعضهم بل وقعت قصة الذبح لإسحاق – عليه السلام – بمكة، حيث أتى به إبراهيم – عليه السلام – إليها راكبين البراق.

قلت: قد سبق الرد على هذا ضمن تقرير الدليل الثالث لأصحاب القول الأول، فقد نقلنا كلام الإمام ابن القيم – رحمه الله – أنه قال: «إبراهيم – عليه السلام – لم يَقْدُم بإسحاق إلى مكة البتة، ولم يفرق بينه وبين أمه. وكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته، فيذبحه بموضع ضرتها في بلدها، ويدع ابن ضرتها ؟!».[١]

وقال شيخه الإمام ابن تيمية رحمه الله: «ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة، لا من أهل الكتاب ولا غيرهم».[٢]

فصَحَّ لأصحاب القول الأول الاستدلال بهذا الدليل أيضًا.

● وأما الدليل الرابع فقد حاول البعض الإجابة عنه بما يلي:

١- أن التوراة صرحت باسم إسحاق عليه السلام.

وسبق بيان أن هذا من تحريف اليهود للتوراة وأنهم استبدلوا " إسماعيل " بـ "إسحاق"، أو أنهم أقحموا هنا اسم إسحاق، وذلك أنهم حسدوا بني إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويحتازوه لأنفسهم دون العرب.

ونبه على هذا المحققون من أهل العلم، وبينوا بأدلة من التوراة نفسها على أن إدخال اسم "إسحاق" هنا كذب وافتراء وتحريف، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، والإمام ابن القيم[٤]، والحافظ ابن كثير[٥]، والإمام عبد الحميد الفراهي[٦]، وغيرهم.

---

[١] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ٣٥٦).

[٢] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣٣٥- ٣٣٦).

[٣] مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣١- ٣٣٢)، .

[٤] زاد المعاد (١/ ٧١- ٧٢)، وإغاثة اللهفان (٢/ ٣٥٤- ٣٥٥).

[٥] تفسير ابن كثير (٧/ ٢٧)، وقصص الأنبياء له (١/ ٢٦٥).

[٦] الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح (ص: ٣٩- ٧١).

٢- أن إسحاق - عليه السلام - كان هو وحيدَ أبيه الذي أُمر بذبحه، لأنه هو الذي كان مع أبيه، أما إسماعيل - عليه السلام - فإنه كان بعيدًا عن أبيه، فصار إسحاق كأنه وحيد أبيه الذي ليس له غيره.

وقد رُدَّ هذا الجواب بعدة أوجه منها:

أ- أنه لا يصح إطلاق وصف " الوحيد " على إسحاق - عليه السلام - بمجرد أن أخاه الأكبر كان بعيدًا عنه وعن أبيه، فإن عبارة: "ابنك وحيدك" إنما يقال لمن لا ابن له غير ابن واحد.

ب-أنه لو سُلِّمَ - على سبيل التنزّل - صحة إطلاق "ابنك وحيدك" على من لديه أكثر من ولد؛ فإن إسماعيل - عليه السلام - أولى بأن يوصف بالوحيد من إسحاق عليه السلام؛ لكونه مبعدًا عن أبيه بزعمهم.[١]

ج- أنه نبه بعض العلماء على أن لفظ "وحيدك" أيضًا مما طالته أيدي التحريف، فإنه مُبْدَلٌ من لفظ "بكرك" القاضي بأنه إسماعيل عليه السلام، بل اطلع بعض أهل العلم على نسخة أخرى للتوراة أثبتت لفظ "بكرك" في هذا الموضع.[٢]

وهكذا سلم هذا الدليل أيضًا مما أُورِدَ عليه من الإيرادات.

- وأما الدليل الخامس فقد يُورد عليه بأنه مخالف للأناجيل الأربعة المشهورة، وأن هذا الإنجيل غير معترف به لدى النصارى.

فيقال: إن شأن هذا الإنجيل هو شأن سائر الأناجيل من حيث إنها من تأليف تلاميذ المسيح أو من أتى بعدهم، فما الذي جعل الأناجيل الأربعة مقبولة وهذا الإنجيل مردودًا ؟! ألأنه أقرب الأناجيل إلى الحق والصواب، سواء في هذه المسألة أو في غيرها مما خالف فيه الأناجيلَ الأربعة؟!

أما أدلة أصحاب القول الثاني، فإني لم أقف لهم على أدلة كثيرة، فأكثر ما ذكروه إنما هو على سبيل الاعتراض والرد على أدلة أصحاب القول الأول، وقد اتضح لنا حال هذه الإجابات، وزادوا على ذلك بعض الأدلة، نوردها مع الإجابة عنها في النقاط التالية:

١- أن الله تعالى لم يذكر في القرآن الكريم صراحة أنه بشر إبراهيم بإسماعيل، بينما صرح في مواطن عدة أنه بشره بإسحاق عليهم السلام، فيكون الذبيح المبشَّرُ به هو إسحاق،

---

(١) الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح (ص: ٥١- ٥٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣٢)، وزاد المعاد (١/ ٧٢)، وقصص الأنبياء (١/ ٢٦٥)، والرأي الصحيح (ص: ٥٢).

وتبشيره إياه بقوله {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} [الصافات: ١٠١] في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.[(١)]

قلت: هذا الاستدلال قد يستقيم إذا تجردت القصة عن سائر القرائن التي تؤيد كون إسماعيل – عليه السلام – هو الذبيح، أما مع وجود تلك القرائن التي سبق بيانها في أدلة أصحاب القول الأول فلا يمكن أن يستقيم، وأيضًا قد تقدَّم بيان أن سياق الآيات في قصة الذبيح يختلف عن سياق سائر الآيات التي فيها البشارة بإسحاق عليه السلام، أو بالغلام العليم، فلا يمكن حمل بعضها على بعض مع وجود اختلاف.

٢– أن الله تعالى قال في الذبيح: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} [الصافات: ١٠٢] أي أنه عاش مع أبيه وتربى في كنفه، وهذا الوصف ينطبق على إسحاق؛ لأنه كان مع أبيه في الشام، أما إسماعيل فعاش في كنف أمه في مكة، وإبراهيم – عليه السلام – إنما كان يجيء إلى مكة في أوقات متباعدة.[(٢)]

قلت: عامة المفسرين من السلف والخلف لم يفهموا من الآية الكريمة هذا الفهم، ولم يستنبطوا منها هذا الاستنباط، وإنما فهموا منها: أن هذا الغلام الحليم حينما بلغ مبلغًا يقدر فيه على السعي والعمل مع أبيه؛ امتحنه الله وأباه هذا الامتحان العظيم، ثم إن الصحبة والمعية قد تتحقق بأدنى من ذلك، وهل كان إبراهيم – عليه السلام – يُعنى بتربية إسحاق ويفرِّط في تربية إسماعيل؟! حاشاه.

وقد حاول بعض أهل الكتاب توجيه كلمة "ابنك وحيدك" في التوراة بأن إسحاق لما كان مع أبيه وفي قربٍ منه في الشام، وكان إسماعيل بعيدًا عنه في مكة؛ جاز أن يكون إسحاق هو وحيد أبيه.

فردَّ الإمام الفراهي هذا الزعم وأبطله من عدة أوجه، ومن هذه الأوجه أن التوراة دلت على أن إسحاق – عليه السلام – هو الذي كان بعيدًا عن أبيه، وأن إسماعيل – عليه السلام – كان ساكنًا مع أبيه وأمه في بئر سبع.[(٣)]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٨٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٥٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٨٦)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٥٢).

(٣) الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح (ص: ٥١– ٥٢).

وأما قولهم: إن إبراهيم – عليه السلام – لم يكن يجيء إلى مكة لزيارة إسماعيل – عليه السلام – إلا في أوقات متباعدة، فيأتي الرد عليه في مناقشة دليلهم التالي.

٣- أنه ورد في صحيح البخاري وغيره أن إبراهيم – عليه السلام – ترك زوجه هاجر وابنها إسماعيل – وهو رضيع – بمكة، ثم عاد وقد ماتت هاجر وتزوج إسماعيل، وأنه زار إسماعيل بعد موت أمه ثلاث مرات، مرتين لم يجد فيهما إسماعيل، وفي المرة الثالثة وجده فبنى وإياه الكعبة.

«وهذا يشعر بأن الذبيح إسحاق؛ لأن المأمور بذبحه كان عندما بلغ السعي، وقد قال في هذا الحديث: إن إبراهيم ترك إسماعيل رضيعًا وعاد إليه وهو متزوج. فلو كان هو المأمور بذبحه لذكر في الحديث أنه عاد إليه في خلال ذلك بين زمان الرضاع والتزويج».[١]

وأجيب عن هذا بأن الحديث لم ينفِ مجيئه خلال ذلك، فقد أورد الحافظ ابن حجر – رحمه الله – هذا القول عن ابن التين ثم قال:

«وتُعُقِّبَ بأنه ليس في الحديث نفي هذا المجيء، فيحتمل أن يكون جاء وأُمِرَ بالذبح ولم يذكر في الحديث، قلت: وقد جاء ذكر مجيئه بين الزمانين في خبر آخر، ففي حديث أبي جهم: "كان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق، يغدو غدوة فيأتي مكة، ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام".[٢] وروى الفاكهي من حديث علي بإسنادٍ حسن نحوه، وأن إبراهيم كان يزور إسماعيل وأمه على البراق[٣]، فعلى هذا فقوله: "فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل" أي بعد مجيئه قبل ذلك مرارًا، والله أعلم».[٤]

قلت: وكيف لخليل الله إبراهيم – عليه السلام – أن يترك زوجه وابنه الرضيع في هذا الوادي الذي لا زرع فيه ولا ماء ولا أنيس، ثم لا يزورهما ولا يطمئن عليهما إلى أن يشب الرضيع ويتزوج، وتموت الزوجة وتدفن؟!

---

[١] فتح الباري (٦/ ٤٦٥)، وعمدة القاري (١٥/ ٢٥٨) نقلاً عن ابن التين.

[٢] أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ٧٢) من طريق الواقدي وهو متروك مع سعة علمه (التقريب: ٢/ ٢٠٣ رقم: ٦٩٥١).

[٣] بحثت عن حديث لعلي – رضي الله عنه – بهذا المعنى في مظانه من أخبار مكة للفاكهي فلم أجده، فلعل ابن حجر اطلع على نسخة أخرى، أو أراد حديث حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه (٢/ ٦ رقم: ١٠٥٢) في قصة غيرة سارة مِن هاجر وترك إبراهيم – عليه السلام – لهاجر وابنه إسماعيل بمكة، وفيه أن إبراهيم جاءهما بعد نبع عين زمزم، ولم يذكر أن ذلك كان على البراق، وفي سنده عثمان بن ساج فيه ضعف (التقريب: ١٦/٢ رقم: ٥٠٧٤)، وشيخه محمد بن أبان بن صالح القرشي قد ضُعِّف (ميزان الاعتدال (٣/ ٤٥٣ رقم: ٧١٢٨).

[٤] فتح الباري (٦/ ٤٦٥)، وانظر: الكواكب الدراري للكرماني (١٤/ ٢٢)، وعمدة القاري للعيني (١٥/ ٢٥٨)، وشرح القسطلاني على البخاري (٥/ ٣٥٥).

فتبين أن الصواب في هذه المسألة هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من أنّ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وذلك لقوة أدلتهم.

وأما القول الثالث وهو التوقف وعدم القطع بأحد القولين السابقين، كما ذهب إليه الزجاج(١)، والشوكاني(٢)، ومحمد صديق خان(٣)؛ فهو مبني على تساوي أدلة القولين السابقين، وقد تبين أنهما غير متساويين، وأن الصواب هو القول الأول لقوة أدلته.

وقد ذكر بعض العلماء(٤) قولاً رابعًا في المسألة أراد به الجمع بين القولين وأدلتهما، فقال: «الذبيح عندي اثنان ... إسحاقُ – عليه الصلاة والسَّلام – قُرِّبَ به في بيت المقدس، وإسماعيلُ – عليه الصلاة والسلام – في مكة، فكانتا قِبْلَتَيْنِ: لبني إسرائيل، وبني إسماعيل».(٥)

وهذا القول مع افتقاره إلى الدليل على تعدد قصة الذبح، فإنه لا يحل الخلاف السابق، حيث يبقى الخلاف قائمًا في المعنيِّ بالذبيح في رؤيا إبراهيم – عليه السلام – المفديِّ بالذِّبح العظيم، ثم على هذا القول أيضًا يكون الذبيحُ الأولُ الذي حصل به البلاء المبين والفداء بالذِّبح العظيم هو إسماعيلَ عليه السلام؛ لأنه هو بكر أبيه ووحيده قبل ولادة أخيه إسحاق عليهم السلام، وقد تقدم في ثنايا أدلة أصحاب القول الأول ما يقضي بضعف هذا القول وعدم صحته.

وفي ختام هذه المسألة أودُّ التنبيه على سبب إطالتي فيها، وهو أن هذه المسألة كانت بحاجة إلى تحرير القول فيها، فإن الخلاف فيها كان قديمًا ولا زال، ولأن تحرير القول فيها تترتب عليه فوائد عقدية عدة منها ما يلي:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣١١) وقال: «والقول فيهما كثير، واللَّه أعلم أيهما كان الذبيح».

(٢) فتح القدير (٤/ ٥٧٣) وقال: «وبما سقناه من الاختلاف في الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل، وما استدل به المختلفون في ذلك تعلم أنه لم يكن في المقام ما يوجب القطع، أو يتعين رجحانه تعينًا ظاهرًا، وقد رجح كلَّ قولٍ طائفةٌ من المحققين المنصفين، كابن جرير فإنه رجح أنه إسحاق، ولكنه لم يستدل على ذلك إلا ببعض مما سقناه هاهنا، وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل، وجعل الأدلة على ذلك أقوى وأصح، وليس الأمر كما ذكره، فإنها إن لم تكن دون أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق لم تكن فوقها ولا أرجح منها، ولم يصح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ذلك شيء، وما روي عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جدًّا، ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وهي محتملة ولا تقوم حجة بمحتمل، فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته، وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح، ومن الاستدلال بما هو محتمل».

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١١/ ٤٠٩– ٤١٠).

(٤) وهو الشيخ محمد أنورشاه الكشميري صاحب فيض الباري على صحيح البخاري.

(٥) فيض الباري على صحيح البخاري، للشيخ محمد أنورشاه الكشميري (٤/ ٣٧٣) وانظر أيضًا (١/ ٢٠٨).

١- أن معرفة الذبيح على التعيين يحصل به الإيمان المفصل الذي هو أعلى درجةً من الإيمان المجمل، ويحصل به من زيادة الإيمان وقوته ما لا يحصل بالإيمان المجمل فقط، فإن الإيمان بالرسل – عليهم الصلاة والسلام – على ضربين: إيمان مجمل وهو الإيمان المطلق بسائر الأنبياء والرسل، وأنهم كلهم مبعوثون من عند الله عز وجل، صادقون في كل ما أخبروا به، وإيمان مفصل وهو الإيمان بتفاصيل ما أخبر الله ورسوله به من أسمائهم وأوصافهم وأخبارهم وأحوالهم ونحو ذلك.[1]

٢- أن معرفة الذبيح على التعيين يظهر به ما خص الله به النبيَّ إسماعيلَ – عليه السلام – من هذه الفضيلة العظيمة التي باتت مفخرة لبنيه من بعده، وحسدتهم عليها اليهود والنصارى.

٣- أن معرفة الذبيح على التعيين يكشف عن تلاعب أهل الكتاب بنصوص كتبهم وتحريفهم لها، وتغييرهم إياها بما يوافق هواهم، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ٤٦].

٤- أن من خلال تحرير مسألة الذبيح تبيّن ما حبا الله به هذه الأمة المحمدية من الاعتدال والانصاف وطلب الحق والتجرُّد وعدم التعصب، عملاً بقول الله عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

حيث نجد أئمة كأمثال ابن جرير الطبري وغيره ممن سبقت تسميتهم ينصرون القول بأن الذبيح هو إسحاق – عليه السلام – لرجحان أدلته عندهم، أو يتوقفون في ترجيح أحد القولين لتساوي الأدلة لديهم، ولم يحملهم بغضهم لليهود والنصارى، أو حبهم لأمتهم على مخالفة الحق الذي يعتقدونه، وذلك لأنهم يؤمنون بالأنبياء والرسل كلهم لا يفرقون بين أحد منهم كما قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥].

---

[1] انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية رحمه الله (ص: ٤٣)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٤٦٦)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص: ١٥٩- ١٦٢).

المسألة التاسعة: القرابة والنسب لا ينفع صاحبه، وإنّما ينفعه إيمانه وعمله.

فإسماعيل – عليه السلام – لم ينل ما نال من الكرامة والفضيلة بمجرد نسبه وقرابته، بل بإيمانه واستجابته لله ولرسوله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وقوله: {يا أبت افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢]، بينما ابن نوح – عليه السلام – حُرِمَ هذه الكرامة والفضيلة – مع نسبه وقرابته – لعدم إيمانه واستجابته لله ولرسوله نوح عليه السلام، ولم ينفعه نسبه وقرابته، قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ . وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ . قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [هود: ٤٢ – ٤٧].

وقد نبه الله تعالى على هذه المسألة في نهاية القصة فقال: {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وظالم لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الصافات: ١١٣]، أي: منهم من هو محسن في عمله بالإيمان والتوحيد، ومنهم من هو ظالم لنفسه بالكفر والشرك والمعاصي.

وهكذا اليهود والنصارى كانوا من ذرية الأنبياء؛ إسحاق ومن بعده، وربما افتخروا بذلك، وظنوا أن ذلك ينفعهم، إلا أن ذلك لم ينفعهم عند الله – عز وجل – لما لم يؤمنوا بنبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وحادوا عن دين الأنبياء، وارتكبوا الكفر والضلال، وكذلك العرب الذين هم من ذرية إسماعيل، من لم يؤمن منهم وارتكبوا الشرك؛ لم ينفعه هذا النسب.

وقد ضرب الله لنا أمثلة على ذلك في القرآن الكريم بآزر أبي إبراهيم، وبابن نوح وامرأته، وبامرأة لوط عليهم السلام، وبعمَّي النبي – صلى الله عليه وسلم – أبي طالب وأبي لهب.

قال تعالى: {وَما كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَما تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: ١١٤].

وقال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ . قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود: ٤٥- ٤٦].

وقال جل جلاله: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحريم: ١٠].

وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: ٥٦].

وقال عز وجل: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [المسد: ١- ٥].

ووضح ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – حينما نزل عليه قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] حيث جمع قبائل قريش وقال: «يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد! سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا».[1]

وقال صلى الله عليه وسلم: «ومن بَطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه».[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في منهاج السنة[3]: «ولهذا لم يثن الله على أحد في القرآن بنسبه أصلاً، لا على ولد نبي، ولا على أبي نبي، وإنما أثنى على الناس بإيمانهم وأعمالهم، وإذا ذكر صنفًا وأثنى عليهم فلِمَا فيهم من الإيمان والعمل، لا لمجرد النسب، ولما

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوصايا باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب (٣/ ١٠١٢ رقم: ٢٦٠٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] (١/ ١٣٣ رقم: ٥٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٤/ ٢٠٧٤ رقم: ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] (٨/ ١٥١) تحقيق محمد رشاد سالم.

ذكر الأنبياء ذكرهم في الأنعام – وهم ثمانية عشر – قال: {وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الأنعام: ٨٧]، فبهذا حصلت الفضيلة باجتبائه – سبحانه وتعالى – وهدايته إياهم إلى صراط مستقيم، لا بنفس القرابة[١]، وقد يوجب النسب حقوقًا، ويوجب لأجله حقوقًا، ويعلق فيه أحكامًا من الإيجاب والتحريم والإباحة، لكن الثواب والعقاب والوعد والوعيد على الأعمال لا على الأنساب، ولما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٣٣] وقال: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا} [النساء: ٥٤] كان هذا مدحًا لهذا المعدن الشريف لما فيهم من الإيمان والعمل الصالح، ومن لم يتصف بذلك منهم لم يدخل في المدح[٢]، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: ٢٦] وقال تعالى: {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الصافات: ١١٣]».

المسألة العاشرة: حسن العاقبة لأولياء الله تعالى، وحسن عاقبة الصبر على البلاء.

فهذا إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السلام – جعل الله لهما حسن العاقبة والذكر الطيب في العالمين، والقدوة في الخير، وجعل في ذريتهما النبوة. وكذلك عاقبةُ كل متقٍ حميدةٌ بإذن الله، بخلاف أولياء الشيطان فإن عاقبتهم سيئة ونهايتهم الخيبة والخسران، والذكر السيء.

كما أنّ عاقبة الصبر على البلاء محمودة، وذلك أنّ إبراهيم – عليه السلام – لما ابتلاه الله تعالى بالأمر بذبح ابنه، فامتثل أمر ربه، وصبر على بلائه؛ جزاه الله تعالى أن فداه بذِبْحٍ عظيم، وجعل له لسان ذكر في الآخرين، ورزقه غلامًا آخر من الصالحين.

---

[١] قلت: ولهذا قال في الآيات التي تليها: {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٨٨- ٩٠].

[٢] ولهذا قال في الآيات التالية لآية النساء السابقة: {فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً} [النساء: ٥٥- ٥٧].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ثم تأمّل حال أبينا الثالث[1] إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – إمام الحنفاء، وشيخ الأنبياء، وعمود العالم، وخليل ربّ العالمين من بني آدم، وتأمّل ما آلت إليه محنته وصبره وبذله نفسه لله! وتأمّل كيف آل به بذله لله نفسه ونصره دينه إلى أن اتخذه الله خليلًا لنفسه، وأمر رسوله وخليله محمدًا – صلى الله عليه وسلم – أن يتّبع ملّته. وأنبّهك على خصلة واحدة مما أكرمه الله به في محنته بذبح ولده، فإنّ الله – تبارك وتعالى – جازاه على تسليمه ولده لأمر الله بأن بارك في نسله وكثَّره حتى ملأ السهل والجبل، فإنّ الله – تبارك وتعالى – لا يتكرّم عليه أحد وهو أكرم الأكرمين، فمن ترك لوجهه أمرًا أو فعله لوجهه؛ بذل الله له أضعاف ما تركه من ذلك الأمر أضعافًا مضاعفة، وجازاه بأضعاف ما فعله لأجله أضعافًا مضاعفة، فلمّا أمر إبراهيمَ بذبح ولده، فبادر لأمر الله ووافق عليه الولدُ أباه رضاءً منهما وتسليمًا، وعلم الله منهما الصدق والوفاء؛ فداه بذبح عظيم، وأعطاهما ما أعطاهما من فضله، وكان من بعض عطاياه أن بارك في ذرّيّتهما حتى ملؤوا الأرض؛ فإنّ المقصود بالولد إنّما هو التناسل وتكثير الذرّيّة، ولهذا قال إبراهيم: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١٠٠]، وقال: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} [إبراهيم: ٤٠] فغاية ما كان يحذر ويخشى من ذبح ولده انقطاع نسله، فلمّا بذل ولده لله، وبذل الولدُ نفسَه؛ ضاعف الله له النسل، وبارك فيه وكثّر حتى ملؤوا الدنيا، وجعل النبوة والكتاب في ذرّيّته خاصة، وأخرج منهم محمدًا صلى الله عليه وسلم».

قال: «فجعل من نسله هاتين الأمّتين العظيمتين اللّتين لا يحصي عددهم إلا الله خالقُهم ورازقُهم، وهم بنو إسرائيل وبنو إسماعيل، هذا سوى ما أكرمه الله به من رفع الذكر والثناء الجميل على ألسنة جميع الأمم، وفي السموات بين الملائكة. فهذا من بعض ثمرة معاملته، فتبًّا لمن عرفه ثم عامل غيره! ما أخسر صفقته وما أعظم حسرته!».[2]

---

[1] يقصد – رحمه الله – بعد آدم – عليه السلام – الذي هو أبو البشر أجمعين، وبعد نوح – عليه السلام – الذي جعل الله ذريته هم الباقين بعد غرق أهل الأرض كلهم إلا من كان معه في السفينة ولم تكن لهم ذرية، قال تعالى: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ . وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} [الصافات: ٧٥– ٧٧].

[2] مفتاح دار السعادة (١/٣٠٠).

أختم هذا المبحث بكلام جميل لابن عاشور – رحمه الله – في «التحرير والتنوير»[1] يقول فيه: «وقد ضرب الله هذه القصة مثلاً لحال النبي – صلى الله عليه وسلم – في ثباته على إبطال الشرك وفيما لقي من المشركين، وإيماءً إلى أنه يهاجر من أرض الشرك، وأن الله يهديه في هجرته، ويهب له أمة عظيمة كما وهب إبراهيم أتباعًا، فقال: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل:١٢٠]. وفي قوله تعالى: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الصافات:١١٣] مثلٌ لحال النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين معه من أهل مكة ولحال المشركين من أهل مكة».

---

[1] (٢٣/ ٧٤).

المبحث الثاني

رؤية نبي الله يوسف عليه السلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها.

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من الرؤيا.

المبحث الثاني

رؤيا نبي الله يوسف عليه السلام

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها:

قال الله – عز وجل – مخبرًا عن رؤيا نبيه يوسف عليه السلام:

{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف: ٤- ٦].

وقال سبحانه وتعالى في شأن تأويل هذه الرؤيا:

{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: ١٠٠].

قصة «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام»[١] من أحسن القصص التي أخبر الله تعالى بها نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم – في القرآن الكريم، كما قال تعالى في صدر سورة يوسف: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: ٣].

وذلك لما اشتملت عليه من العبر والحِكَم والمواعظ والقواعد مما لا توجد مجتمعة في غيرها من قصص القرآن.[٢]

هذه القصة العظيمة ابتدأها الله – عز وجل – برؤيا يوسف – عليه السلام – وختمها بتأويل تلك الرؤيا، وتخللتهما أحداث عظام، وفصل بينهما زمن طويل[٣].

---

[١] هذا نص حديث أخرجه البخاري – رحمه الله – في صحيحه: كتاب الأنبياء، باب {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} (٣/ ١٢٣٧ رقم: ٣٢٠٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[٢] انظر لمعرفة سبب كون قصة يوسف – عليه السلام – من أحسن القصص: تفسير القرطبي (٩/ ١٢٠).

[٣] قيل: أربعون سنة، وقيل: ثمانون سنة. انظر أقوال العلماء في ذلك في تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٢٧١).

قال ابن عاشور رحمه الله: «وابتداء قصة يوسف – عليه السلام – بذكر رؤياه إشارة إلى أن الله هيأ نفسه للنبوءة، فابتدأه بالرؤيا الصادقة كما جاء في حديث عائشة: أن أول ما ابتدئ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من الوحي: الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.[1] وفي ذلك تمهيد للمقصود من القصة، وهو تقرير فضل يوسف – عليه السلام – من طهارة وزكاء نفس وصبر. فذكر هذه الرؤيا في صدر القصة كالمقدمة والتمهيد للقصة المقصودة. وجعل الله تلك الرؤيا تنبيهًا ليوسف – عليه السلام– بعلو شأنه، ليتذكرها كلما حلَّت به ضائقة فتطمئن بها نفسه أن عاقبته طيبة».[2]

فأخبر – سبحانه وتعالى – أن يوسف – عليه السلام – رأى رؤيا أخبر بها أباه يعقوب – عليه السلام – فقال: {يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: ٤] أي رأى ذلك في منامه.[3]

وقد اتفق المفسرون على أن المراد بالأحد عشر كوكبًا: إخوته الأحد عشر، وبالشمس والقمر: أبواه، مع اختلافهم في أيّ أبويه الشمس والآخر القمر؟ وهل هما أبوه وأمه، أو أبوه وخالته؟[4] والصواب أنهما أبوه وأمه؛ لأن هذا هو ظاهر القرآن، ولا يوجد دليل صحيح يصرفه عن ظاهره، قال تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا} [يوسف: ١٠٠].[5]

وظاهر الآية أنه رأى في منامه هذه الكواكب والشمس والقمر له ساجدين، وقيل: إنه رأى إخوته وأبويه له ساجدين فعبر عنهم بأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر، والأول هو الصحيح؛ إذ لا حاجة إلى صرف الآية عن ظاهرها.[6]

وخص الشمس والقمر بالذكر ولم يدرجهما في الكواكب مع أنهما منها؛ لإظهار مزيتهما ورفع شأنهما.[7]

---

(١) متفق عليه، تقدم تخريجه.

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٠٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٥٤ و٥٥٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٥٦- ٥٥٧)، والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٨)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٢١٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤١١- ٤١٢)، وقصص الأنبياء له (١/ ٤٠٢) قال فيه: «وقال ابن جرير وآخرون: بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه إلى يومئذ، فلا يعوّل على نقل أهل الكتاب فيما خالفه. وهذا قوي، والله أعلم».

(٦) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢١٩)، وتفسير الماوردى (٣/ ٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ٦٨٠).

(٧) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٣١٧).

وأعاد الفعل «رأيتُ» إما لأنه طال الكلام بين الرؤية والسجود فأعاد الفعل مع السجود؛ تطريةً له وتجديدًا لعهده، وليتصل أول الكلام بآخره اتصالاً جيدًا، فيكون ذلك أكشف للمعنى وأدل على التوكيد والبيان[1]، وإما لأنه في جواب سؤال مقدر، كأنه لما قال: رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر؛ قيل له: كيف رأيت؟ فقال: رأيتهم لي ساجدين[2]، قال ابن عاشور: «وجملة "رأيتهم" مؤكدة لجملة "رأيت أحد عشر كوكبًا"، جيء بها على الاستعمال في حكاية المرائي الحلمية، أن يعاد فعل الرؤية تأكيدًا لفظيًّا أو استئنافًا بيانيًّا، كأن سامع الرؤيا يستزيد الرائي أخبارًا عما رأى».[3]

وعبر عن الكواكب – وهي غير عاقلة – بما يعبر به عن العقلاء، فقال: {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} ولم يقل: رأيتها لي ساجدة؛ لأنه وصَفها بما يوصف به العقلاء وهو السجود، فعاملها كما لو أنها عاقلة، والعرب قد تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته، وإن كان خارجًا عن الأصل.[4] ولعل في ذلك إشارة لطيفة إلى تأويل الرؤيا وأن المراد بهذه الكواكب بشر عقلاء، والله تعالى أعلم.

وهل المراد بالسجود هنا السجود المعروف الذي يكون في الصلاة، أو أنه بمعنى الخضوع؟

قولان، كلاهما محتمل، والظاهر هو السجود المعروف، ولا مانع من رؤية الكواكب ساجدة في المنام.[5]

لما سمع يعقوب – عليه السلام – هذه الرؤيا من ابنه يوسف – عليه السلام – علم أنها رؤيا حق، وأنها مؤذنة برفعة ينالها يوسف عليه السلام، ومكانة يسمو بها على سائر إخوته، فخشي – إن علموا بهذه الرؤيا وتعبيرها – أن يتسبب ذلك في اشتداد غيرتهم منه وحسدهم إياه، فيبغوا له الغوائل، ويسعوا للإضرار به، فقال له محذِّرًا: {يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يوسف: ٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٩١)، والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٨)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٢٢٠)، ومقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن (ص: ٢٢٨)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/ ٢٢٥).

(٢) انظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٤٤٣)، وتفسير الرازي (١٨/ ٤١٨- ٤١٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٠٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٥٦)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٩٧)، والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٩)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٤٤٤)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٢٢).

(٥) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٧)، والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٩- ٢٠)، وتفسير الرازي (١٨/ ٤١٩).

أي لا تحكِ رؤياك هذه على إخوتك فيعلموا تعبيرها فيحسدوك على ما تدل عليه من رفعةٍ ومكانةٍ ستكون لك، فيحتالوا لك حيلةً عظيمةً يُرْدُونَك فيها، ويكون الحامل لهم على ذلك هو إغراء الشيطان إياهم بالكيد لك، لأن الشيطان عدو للإنسان عداوة واضحة بينة.

والتصغير في قوله: {يَابُنَيَّ} إما للشفقة أو لها ولصغر سنه، وقد دل سياق الآيات في هذه القصة على أنه – عليه السلام – كان حين رأى الرؤيا صغيرًا، ولهذا خاف عليه أبوه من إخوته، وقال إخوته لأبيهم: {يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ . أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [يوسف: ١١-١٢]، فهو في سنٍّ يرتع فيه ويلعب ويحتاج إلى من يحافظ عليه ويدفع عنه المخاطر، ولما لم يشأ أبوهم أن يرسله معهم تعلَّل بأنه يخاف أن يأكله الذئب في غفلة منهم، وما ذلك إلا لصغر سنه، ولأن وارد السيارة حينما أدلى دلوه تعلَّق فيه يوسف عليه السلام، فلما رآه قال: {يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ} [يوسف: ١٩]، ولأن الذي اشتراه من مصر قال لامرأته: {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف: ٢١]، ولأن الله تعالى قال بعد ذلك: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [يوسف: ٢٢] فدل أنه قبل ذلك لم يكن بلغ أشده، والله أعلم.[1]

ثم إن يعقوب – عليه السلام – أوضح لابنه يوسف – عليه السلام – ما تحمله له هذه الرؤيا من البشارة برفعة المنزلة وعلو المكانة وحسن المآل، فقال: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف: ٦].

أي: ومثل ذلك الاجتباء والاصطفاء الذي أُرِيتَه في منامك – من سجود تلك الكواكب والشمس والقمر لك – سيجتبيك ربك ويختارك من بين إخوتك، أو من بين كثير من خلقه،

---

[1] ذكر أهل التفسير والتاريخ بأنه – عليه السلام – كان ابن اثنتي عشرة سنة حين رأى الرؤيا، وليس في القرآن ولا في السنة الصحيحة المرفوعة ما ينص على ذلك، فلعلهم تلقوا ذلك عن أهل الكتاب أو عمن تلقى عنهم، قال الرازي في تفسيره (١٨/ ٤١٩) : «لا شك أنه رآها حال الصغر، فأما ذلك الزمان بعينه فلا يعلم إلا بالإخبار». وقال في (١٨/ ٤٢٤) من تفسيره معللاً كونه صغيرًا: «لأنه يبعد من مثل نبي الله تعالى يعقوب – عليه السلام – أن يبعث جماعة من الصبيان من غير أن يكون معهم إنسان عاقل يمنعهم من القبائح. وأيضًا أنهم قالوا: {وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ} وهذا يدل على أنهم قبل التوبة لا يكونون صالحين، وذلك ينافي كونهم من الصبيان». وقال ابن كثير – رحمه الله – في قصص الأنبياء (١/ ٣٦١) : «قال المفسرون وغيرهم: رأى يوسف – عليه السلام – وهو صغير قبل أن يحتلم ...».

فيخصك بمزيد فضل وعلو شأن، وأعظم ذلك الاصطفاء بالنبوة[١]، ويعلمك من تأويل الأحاديث، وهي تعبير الرؤى ومعرفة مآلاتها، وقيل: معرفة معاني أحاديث الأنبياء والأمم والكتب، وقيل: معرفة عواقب الأمور ومؤدّى الحوادث، وقيل: العلم والحكمة[٢]، ولا مانع من حملها على جميع ذلك، أي يعلمك من جميع ذلك ما لا يعلِّمُه غيرك.

ويتمُّ نعمته عليك بأن يجمع لك بين النبوة والعلم والعمل والتمكين في الأرض[٣]، ويتم نعمته كذلك على آل يعقوب بأن يجمع شملهم بك، ويُذهِبَ ما في صدور إخوتك عليك، فيقروا لك بالفضل والمنزلة، ويخروا جميعًا لك سُجَّدًا، تحيةً منهم لك وإكرامًا، مثل ما أتم نعمته من قبل ذلك على أبويك إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، إن ربك عليم بمواضع الفضل، ومَنْ هو أهلٌ للاجتباء والنعمة، حكيم في تدبيره خلقه.[٤]

واختلف في المراد بآل يعقوب وإتمام النعمة عليهم، وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف في إخوة يوسف – عليه السلام – هل كانوا أنبياء أو لم يكونوا ؟ وسيأتي تحرير المسألة إن شاء الله.

وما قاله يعقوب – عليه السلام – هنا في شأن رؤيا ابنه يوسف – عليه السلام – اعتبره بعض أهل العلم تعبيرًا وتفسيرًا لها[٥]، وذهب آخرون إلى أنه لم يفسرها له بل نبهه فقط على ما تحمل له هذه الرؤيا من البشارات العظيمة، وأن تأويلها وقع بعد ذلك بسنين طوال[٦].

---

[١] سيأتي ذكر الخلاف في نبوة إخوة يوسف، وبيان الراجح في ذلك، وقد ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع إطلاق "الاجتباء" في سياق الثناء على الأنبياء، من ذلك قوله تعالى: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [طه: ١٢١، ١٢٢]، وقوله: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل: ١٢٠- ١٢١]، وقوله في شأن جملة من الأنبياء: {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: ٨٧]، وقوله في شأن يونس عليه السلام: {فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [القلم: ٥٠]، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «يصطفيك بالنبوة»، نسبه إليه ابن الجوزي في تفسيره (ص: ٦٨١).

[٢] انظر هذه الأقوال في التفاسير التالية: تفسير الطبري (١٥/ ٥٦٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣١٦)، وتفسير الماوردي (٣/ ٨)، والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ٢٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ٦٨١)، وتفسير الرازي (١٨/ ٤٢٠)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٦/ ٢٣٩)، وأضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٩- ٤٠).

[٣] انظر تفسير السعدي (ص: ٣٩٣)، وقد اختلف المفسرون في المراد بإتمام النعمة على يوسف – عليه السلام – على أقوالٍ يجمعها ما أثبتناه هنا، ولمعرفة اختلاف المفسرين انظر: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ٦٨١)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٢٩).

[٤] جملة " إن ربك عليم بمواضع ... " الخ مقتبس من تفسير الطبري (١٥/ ٥٦١).

[٥] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٩٢)، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٣١٦)، والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ٢٥)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٩)، وفتح البيان لمحمد صديق خان (٦/ ٢٩١)، وتفسير السعدي (ص: ٣٩٣).

[٦] انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٩)، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (٦/ ١٢٣٥) .

والذي يظهر أن في ما قاله يعقوب – عليه السلام – تفسيرًا ضمنيًّا وإجماليًّا لرؤيا يوسف عليه السلام، وأن المراد بقول يوسف عليه السلام: {يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} [يوسف: ١٠٠] هو الإخبار عن تحقق رؤياه وما آلت إليه، وليس المراد أنه لم يكن يعلم تعبير رؤياه إلى تلك الساعة، كيف وهو الخبير بتعبير الرؤى، وقد عبر رؤيا الفتيين ورؤيا ملك مصر؟!

ثم إنه وقع ما كان يحذره يعقوب – عليه السلام – من ظهور حسد إخوة يوسف وكيدهم لأخيهم، وما نتج عن ذلك من إلقائه في غيابة الجب، ثم إخراج أصحاب القافلة إياه من الجب، ثم بيعه لعزيز مصر، ثم ما كان من أمر مراودة امرأة العزيز إياه عن نفسه وصموده أمام ذلك، ثم دخوله السجن وتعبيره لرؤيا الفتيين، ثم تعبيره لرؤيا ملك مصر، ثم ثبوت براءته وخروجه من السجن، ثم توليه شؤون مصر وحسن تصرفه فيها، ثم مجيء إخوته إليه في طلب الميرة ومعرفته إياهم دون أن يعرفوه هم، ثم تدبيره في جلب أخيه إليه وإيوائه لديه، ثم شدة حاجتهم إليه وتعرّفه إليهم، ثم استقدامه لأبويه وإخوته إلى مصر وإيوائهم إليه، ثم قال الله تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: ١٠٠].

أي أنه أجلس أبويه معه على سرير المُلك، إعزازًا وتكريمًا لهما، ووقعوا له ساجدين، وذلك من باب التحية والتكريم والإقرار له بالفضل والمكانة.

ولما حصل منهم ذلك علم يوسف – عليه السلام – أن هذا تأويل رؤياه التي رآها في صغره، حيث رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، فقال: {يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} أي: هذا ما آلت إليه رؤياي، قد حققها الله تعالى وجعلها واقعة كما رأيت.

ثم ذكر فضل الله عليه وإحسانه إليه فقال: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: ١٠٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي.

فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: أحسن بكم، بل قال: {أَحْسَنَ بِي} جعل الإحسان عائدًا إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. {مِنْ بَعْدِ أَنْ نزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} فلم يقل: نزغ الشيطان إخوتي، بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة.

{إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ} يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، {إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ} الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، {الْحَكِيمُ} في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها».[١]

---

[١] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٥- ٤٠٦) .

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من رؤيا يوسف عليه السلام:

المسألة الأولى: أحكام متعلقة بالرؤى والتعابير، دلت هذه الرؤيا وما يليها من الرؤى الواردة في القرآن الكريم على عدة أمور تتعلق بباب الرؤى والتعابير، وهي على النحو التالي:

- أن الرؤيا حق وثابت شرعًا وواقعًا، وأن تعبير الرؤيا مشروع مندوب إليه، فقد أثبت الله هنا رؤيا يوسف – عليه السلام – وتأويلها، وأثبت رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر ويوم الحديبية وتحققهما وتصديقهما في الواقع، وأثبت رؤيا الفتيين، ورؤيا ملك مصر وتعبير نبي الله يوسف – عليه السلام – لها، وامتن الله تعالى هنا على نبيه يوسف – عليه السلام – بتعليمه إياه من تأويل الأحاديث، وهي تعبير الرؤى ومعرفة مآلاتها.
- مشروعية طلب تعبير الرؤيا والسعي في معرفة تفسيرها، فهذا يوسف – عليه السلام – لما رأى الرؤيا طلب تعبيرها لدى والده وحرص على معرفة تفسيرها، وهذان الفتيان حينما رأى كل منهما رؤيا؛ طلبا تعبير رؤييهما لدى يوسف – عليه السلام – وحرصا على معرفة تفسيرهما ومآلهما، وهذا الملك حينما رأى الرؤيا؛ سعى في معرفة تعبيرها وحرص على معرفة تفسيرها ومآلها حتى فسرها له يوسف عليه السلام.
- لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح شفيق أو ذي رأي، فلهذا لم يقص يوسف – عليه السلام – رؤياه إلا على أبيه الشفيق الناصح نبي الله يعقوب – عليه السلام – وهو الخبير بتعبير الرؤى، وكان من توجيهات يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام: {يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يوسف: ٥]، قال القرطبي رحمه الله: «هذه الآية أصل في أن لا نقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها».[(١)] وكذلك الفتيان لم يقصا رؤييهما على يوسف – عليه السلام – إلا لِمَا رأيا فيه من العلم والنصح والشفقة والإحسان، ولهذا لما عرضا رؤييهما عليه قالا له: {نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٣٦].
- رؤيا الأنبياء – عليهم السلام – إن كانت بعد النبوة فهي وحي من الله عز وجل، وإن كانت قبل النبوة فهي من الإرهاصات ومن مقدمات النبوة. قال السعدي رحمه الله: «فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف – عليه السلام – من الارتفاع في الدنيا

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٢٦).

والآخرة. وهكذا إذا أراد الله أمرًا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئةً له، وتسهيلاً لأمره، واستعدادًا لما يَرِدُ على العبد من المشاق، لطفًا بعبده، وإحسانًا إليه».[1]

وأما كون رؤيا الأنبياء وحي من الله؛ فقد دلت عليه رؤيا إبراهيم – عليه السلام – كما تقدم، ودلت عليه أيضًا رؤيا نبينا – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر كما قال تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا} [الأنفال: ٤٣]، حيث دل أن الله تعالى هو الذي أراه هذه الرؤيا.

- لا يلزم من كون الرؤيا صادقة أن تتحقق قريبًا، بل قد لا تتحقق إلا بعد مدة طويلة، فقد ذكر العلماء أنه كان بين رؤيا يوسف – عليه السلام – وتحقُّقها أربعون سنة أو أكثر، وكذلك رؤيا نبينا – صلى الله عليه وسلم – قبل الحديبية لم تتحقق إلا بعد سنة من وقوعها.
- الرؤيا الصالحة نعمة من نعم الله تعالى التي ينبغي تذكرها وشكر الله – عز وجل – عليها، فإن معنى قوله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا} [الأنفال: ٤٣]: «واذكر يا محمد نعمة الله عليك إذ يريك المشركين في منامك – يعني: في نومك – قَلِيلًا».[2] وقد امتن الله تعالى بها على نبيه – صلى الله عليه وسلم – فقال في شأن رؤيا صلح الحديبية: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ...} الآية [الفتح: ٢٧].
- الرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى لأوليائه، ومن أغراضها نصرة المؤمنين والربط على قلوبهم، فإن رؤياه – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر حملت في طيَّاتها البشرى للمؤمنين بالنصر والغلبة على أعدائهم، وكذلك رؤياه قبيل الحديبية. ومن أغراضها أيضًا امتحان وابتلاء المؤمنين، كما حصل في قصة صلح الحديبية.
- هل يمكن أن تكون رؤيا الأنبياء – عليهم السلام – مخالفة لما في الواقع؟ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى المشركين يوم بدر في منامه قليلاً، والواقع أنهم كانوا أضعاف المسلمين.

قد سبق تقرير أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، وأنها من قبيل الرؤيا الصالحة، وأن نبينا محمدًا – صلى الله عليه وسلم – كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فلا يمكن أن تكون رؤيا الأنبياء مخالفة لما في الواقع، لا سيما إذا كانت تحمل بشارة أو نذارة أو حكمًا وأخبر بها الناس، كما هو الشأن هنا، فإذا تقرر هذا فكيف التوفيق بين ما في هذه الرؤيا وما كان في الواقع؟

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٣).
[2] تفسير الخازن (٢/ ٣١٥).

سيأتي بيان جواب أهل العلم على هذا الإشكال في شرح الرؤيا، وهو أن المراد بالقِلَّة هنا قلَّة القدر والبأس والنجدة، وأنهم مهزومون مصروعون، ولا يحمل على قلة العدد، أو يقال: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – رآهم قليلاً عددهم في المنام، فكان تأويل رؤياه في اليقظة انهزامهم، أي أنهم أوَّلوا الرؤيا بأن بلاءهم يكون قليلاً، وأن كيدهم يكون ضعيفًا، فتجرؤوا وقويت قلوبهم.[١]

– أن من الرؤى ما هو مرموز يحتاج إلى تعبير، أي أن لها رموزًا وإشاراتٍ يقتبس منها المعبر دلالات تفسيرها، كما سبق في رؤيا يوسف عليه السلام، وكما في رؤيا الفتيين، ورؤيا ملك مصر الآتيتين، وينبني التعبير في الغالب على المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة.

قال العلامة ابن سعدي – رحمه الله – في تفسيره: «ومن المناسبة في رؤيا الفتيين، أنه أوَّلَ رؤيا الذي رأى أنه يعصر خمرًا، أن الذي يعصر في العادة يكون خادمًا لغيره، والعصر يقصد لغيره، فلذلك أوَّله بما يؤول إليه، أنه يسقي ربه، وذلك متضمن لخروجه من السجن. وأوَّل الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه؛ بأن جلدة رأسه ولحمه وما في ذلك من المخ، أنه هو الذي يحمله، وأنه سيبرز للطيور بمحل تتمكن من الأكل من رأسه، فرأى من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته فيبرز للطيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل».[٢]

ومن الملاحظ أيضًا ارتباط هذه الرموز في الرؤيا بما يناسب البيئة التي يعيش فيها الرائي في عصره، فالرموز التي رآها يوسف – عليه السلام – في منامه من الكواكب والشمس والقمر والسجود؛ تناسب بيت النبوة الذي يعيش فيه، والرموز التي في رؤيا الفتيين تناسب ما اعتادا عليه من خدمة الملك، والرموز التي في رؤيا ملك مصر تناسب البيئة الاقتصادية في عصره، والتي كانت تعتمد في الأساس على القمح والثروة الحيوانية وعصر الثمار. وفي ذلك إشارة إلى أن محتوى الرؤى كثيرًا ما يكون مرتبطًا ببيئة الرائي، وما يعرفه، وما يألفه.

– أن تعبير الرؤيا باب من أبواب الدعوة إلى الله وإلى العقيدة الصحيحة، ينبغي للمعبر اغتنام ذلك في دعوة من يأتيه طالبًا تعبير رؤياه، وتصحيح ما لديه من انحرافات عقدية أو سلوكية، مقتديًا في ذلك بنبي الله يوسف عليه السلام.

---

[١] وانظر: آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني (٢/ ٢٧١).

[٢] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٨).

- أنه ينبغي للمعبر أن لا يغتر بما لديه من علم تعبير الرؤى، وأن ينسب الفضل في ذلك للمنعم به وهو الله عز وجل، وأن يبين ذلك للناس ليعلق قلوبهم بالله – جل جلاله – لا به هو، كما فعل يوسف – عليه السلام – حين قال للفتيين: {ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف: ٣٧].
- في قول يوسف عليه السلام: {ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي} [يوسف: ٣٧] إشارة ضمنية إلى أن تعبير الرؤى لا بد أن يكون مبنيًّا على العلم والفهم، ولا يكون بالتخرص والتخمين.
- أنه يجوز للمعبر أن يبهم ما يسوء الرائي من تعبير رؤياه، ولا يصرح له بما يحزنه ويسوؤه. قال البقاعي رحمه الله: «ولما كان في الجواب ما يسوء الخباز؛ أبهم ليجوّز كل واحد أنه الفائز، فإن ألجأه إلى التعيين كان ذلك عذرًا له في الخروج عن الأليق».[1]
- أن الرؤيا إذا عبرت وقعت، استنبط ذلك بعض العلماء من قول يوسف – عليه السلام – في نهاية تعبيره لرؤيا الفتيين: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف: ٤١]. وقد تقدم ذكر بعض ما ورد في ذلك من أحاديث، وسيأتي ما يفيد أن ذلك مقيد بما لو كان التعبير صحيحًا، أما إذا أخطأ المعبر فلا يلزم وقوع ما عبر به.
- أنه لا يشترط في الرؤيا الصادقة أن تكون صادرة عن مؤمن، فقد تصدر عن كافر أو فاسق، فإن الفتيين لم يكونا مؤمنين، ومع ذلك فقد صدقت رؤياهما، وكذلك الشأن في رؤيا ملك مصر كما سيأتي إن شاء الله، ولهذا بوب الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه في كتاب التعبير: «باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك» وأورد فيه الآيات في رؤيا الفتيين ورؤيا الملك.[2]

وقد استدل بعض أهل العلم بمثل هذه الرؤيا على جواز أن يرى الكافر رؤيا صادقة تتحقق في الواقع، وأن دينه الباطل ليس مانعًا من أن يرى في المنام أشياء صادقة، ومع ذلك فليست الرؤيا الصادقة في هذه الحالة تزكية لما هو عليه من الكفر، بل قد تأتيه لحكمة ما، كهدايته للإسلام، أو كمظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، أو كمظهر للعدل الإلهي، فربما تأتي الرؤيا لتبشر عموم الناس بشيء فيه خير، أو تحذرهم من ضُرٍّ يعمهم – كما هنا في رؤيا الملك – ، أو قد تأتي لتبشر مظلومًا بأنه سينتصر على ظالمه، أو مريضًا بأنه سيشفى، بل ربما يرى الكافر رؤيا تؤول لمصلحة شخص مسلم صالح كما رأى الملك رؤيا، فعبرها له يوسف عليه السلام، فكان ذلك في مصلحته بأن كانت الرؤيا وتعبيرها سببًا في خروجه من السجن، ونيله الملك على مصر.

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤/ ٤٣).

[2] انظر: صحيح البخاري (٦/ ٢٥٦٥).

– وفي هذه الرؤيا أيضًا دليل على أن الاهتمام بالرؤيا لا يقتصر على الأمم التي توحّد الله تعالى، بل تمتد إلى الأمم الوثنية أيضًا، وأن الاهتمام بالرؤى لا يقتصر على عامة الناس، بل يمتد إلى خاصتهم أيضًا، كالأنبياء عليهم السلام، والملوك، وهذا مظهر من مظاهر أهمية الرؤى والتعابير في حياة الناس.

– أن الرؤيا كما تتناول في غالبها الشؤون الخاصة والأمور الشخصية، كما مرَّ معنا في رؤيا إبراهيم ويوسف عليهما السلام، ورؤيا الفتيين؛ فإن من الرؤى ما تتناول الشأن العام للدولة، والذي يتعلق بحياة عامة الناس، كما هو الشأن في رؤيا ملك مصر.

– من الملاحظ في رؤيا ملك مصر أيضًا أن يوسف – عليه السلام – أدخل صيغة النصيحة في تعبيره للرؤيا، ولم يقتصر على مجرد الإخبار، كما يبدو ذلك جليًّا في قوله: {تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ} [يوسف: ٤٧]، وأسلوب النصيحة في التعبير من أفضل الأساليب التي يمكن أن يسلكها المعبر؛ لتؤدي الرؤيا دورًا إيجابيًّا في الدفع بالرائي إلى فعل الخير وصرفه عن الشر. فالنصيحة أسلوب فعال في صياغة تعبير الرؤى، يقوي من قيمتها في حياة الرائي، ويضفي عليها بُعدًا تربويًّا.

– أن الرؤيا ليست لأول عابر مطلقًا، استنبط ذلك بعض العلماء من قول الملأ في تعبير رؤيا الملك: {أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ} [يوسف: ٤٤] ثم تعبير يوسف لها، قال القرطبي رحمه الله: «في الآية دليل على بطلان قول من يقول: إن الرؤيا على أول ما تعبر، لأن القوم قالوا: "أضغاث أحلام" ولم تقع كذلك، فإن يوسف فسرها على سني الجدب والخصب، فكان كما عبر، وفيها دليل على فساد أن الرؤيا على رجل طائر، فإذا عبرت وقعت».[1]

قلت: أما كون الرؤيا ليست على أول ما تعبر مطلقًا، وإنما هي على أول ما تعبر تعبيرًا صحيحًا؛ فهو ما ذهب إليه جمهور العلماء، وإليه أشار البخاري – رحمه الله – في كتاب التعبير من صحيحه، حيث بوَّب فيه: «باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب».[2] وأورد فيه حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رجلاً أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل

---

[1] تفسير القرطبي (٩/ ٢٠١)، وانظر: التفسير المنير للزحيلي (١٢/ ٢٧٨).

[2] صحيح البخاري (٦/ ٢٥٨٢).

... الحديث، وفيه أن أبا بكر استأذن النبي – صلى الله عليه وسلم – في تعبير رؤيا هذا الرجل فأذن له، فلما انتهى قال: "فأخبرني يا رسول الله – بأبي أنت – أصبتُ أم أخطأتُ؟" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا». قال: "فوالله لتُحَدِّثَنِّي بالذي أخطأتُ". قال: «لا تقسم».[1]

قال الكرماني: «قوله: "العابر الأول" فقيل: ذلك إذا كان مصيبًا في وجه العبارة، أما إذا لم يصب فلا؛ إذ ليس المدار إلا على إصابة الصواب».[2]

وقال الحافظ ابن حجر: «فأشار البخاري إلى تخصيص ذلك بما إذا كان العابر مصيبًا في تعبيره، وأخذه من قوله – صلى الله عليه وسلم – لأبي بكر في حديث الباب: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا» فإنه يؤخذ منه أن الذي أخطأ فيه لو بيَّنَه له لكان الذي بيَّنَه له هو التعبيرَ الصحيحَ، ولا عبرة بالتعبير الأول».[3]

وقال الزمخشري: «وقوله: «والرؤيا لأوّل عَابِر» نحو قوله صلى الله عليه وسلم: «الرُّؤْيَا على رجل طَائِر مَا لم تعبَّر فإذا عُبِّرت [وقعت]، فلا تقصَّها إلا على وادٍّ أَو ذي رَأْي»[4]. وقيل: ليس المعنى أن كل من عبَّرها وقعت على ما عبَّر، ولكن إذا كان العابر الأول عالمًا بشروط العبارة فاجتهد وأدَّى شرائطها ووُفِّق للصَّواب، فهي واقعةٌ على ما قال دون غيره».[5]

وأما استدلاله بالآية على بطلان قول من قال: "إن الرؤيا على أول ما تعبر" فلم يظهر لي وجه ذلك، فإنه لم يقع من هؤلاء الملأ تعبيرٌ أصلاً حتى يصح القول بأنهم أول من عبر رؤيا الملك، بل أول من عبرها هو يوسف عليه السلام، فوقعت كما عبرها، أما الملأ فاعتذروا عن تأويلها بحجة أنها أضغاث أحلام، وأنهم لا علم لهم بتأويل الأحلام، وقولهم: "أضغاث أحلام" وصف للرؤيا وليس تعبيرًا لها.

وأما حكمه على حديث: «الرؤيا على رجل طائر، فإذا عبرت وقعت» بالفساد فقد خالفه غيره وحكم على الحديث بالقبول.[6]

---

(1) متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٥٦).

(2) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ١٣٦).

(3) فتح الباري (١٢/ ٤٥١).

(4) حديث حسن، تقدم تخريجه (ص: ٤٨).

(5) الفائق في غريب الحديث (٣/ ٢٨٠).

(6) فقد حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ٤٥٠).

وليس بين هذا الحديث وحديث: «والرؤيا لأوّل عَابِر» وبين قوله – صلى الله عليه وسلم – لأبي بكر رضي الله عنه: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا» تعارض فيما يظهر لي، فإن الحديثين الأولين محمولان على ما يصيب فيه العابر دون ما يخطئ فيه، فالرؤيا لأول عابر مصيب، وتقع الرؤيا إذا عبرت تعبيرًا صحيحًا.[1]

– ذهب كثير من أهل العلم إلى أن قول يوسف – عليه السلام – في نهاية تعبيره لرؤيا الملك: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف: ٤٩] ليس مستنبطًا من الرؤيا، بل هو زائدة عليها بوحي من الله – عز وجل – لإظهار فضل يوسف ولتكون علَمًا من أعلام نبوته، وعليه يمكن أن يستفاد من هذه الآية قاعدةٌ مهمة في تعبير الرؤى، وهي مشروعية تبشير من يرى رؤيا سيئة بالخير بعد الشر، وبالفرج بعد الشدة، وباليسر بعد العسر، لعموم قوله تعالى: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق: ٧]، كأن يرى أنه قد أصيب في نفسه أو ماله، فيبشره المعبر بالفرج من هذا البلاء اعتمادًا على هذه القاعدة مع إضفاء النصح والتوجيه على تعبيره، ولعل مما يدل على ذلك من السنة حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف، فكانت ترى رؤيا كلما غاب عنها زوجها، وقلَّما يغيب إلا تركها حاملاً، فتأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتقول: إن زوجى خرج تاجرًا وتركنى حاملاً، فرأيت فيما يرى النائم أن ساريةَ بيتى انكسرت وأني ولدتُ غلامًا أعور. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير، يرجع زوجك عليك – إن شاء الله تعالى – صالحًا، وتلدين غلامًا بَرًّا». فكانت تراها مرتين أو ثلاثًا، كلُّ ذلك تأتي رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فيقول ذلك لها، فيرجع زوجها وتلد غلامًا ... الحديث[2]، وسيأتي بتمامه إن شاء الله.

المسألة الثانية: هل كان أبناء يعقوب – عليه السلام – كلهم أنبياء؟

اختلف العلماء – رحمهم الله – في أبناء يعقوب – عليهم السلام – هل كانوا جميعًا أنبياء أو أن يوسف – عليه السلام – هو النبي من بينهم دون سائرهم ؟

---

[1] وللحافظ ابن حجر – رحمه الله – كلام قريب من هذا في الفتح (١٢/ ٤٥١).

[2] أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ١٣٨٠ رقم: ٢٢٠٩) وحسنه محققه حسين سليم، وقد حسنه ابن حجر في "الفتح" (١٢/ ٤٥١)، وكذلك الأرنؤوط في تحقيق زاد المعاد (٢/ ٤٥٩).

فذهب إلى الأول – وهو أنهم كانوا جميعًا أنبياء – جملة من العلماء منهم: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[1]، والبغوي[2].

واستدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة، وهي كالتالي:

١- أن يوسف – عليه السلام – قال: {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} [يوسف: ٤] وتأويله: أحد عشر نفسًا لهم فضل وكمال، ويستضيء بعلمهم ودينهم أهلُ الأرض، لأنه لا شيء أضوأ من الكواكب وبها يهتدى، وذلك يقتضي أن يكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلاً.[3]

٢- قوله تعالى: {وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف: ٦]، وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لآل يعقوب، والمراد من إتمام النعمة هو النبوة، لأن النعمة التامة في حق البشر ليست إلا النبوة، وكل ما سواها فهي ناقصة بالنسبة إليها، ويلزم حصولها لآل يعقوب ترك العمل به في حق من عدا أبناءه.[4]

٣- أن الله تعالى أمر في موضعين من كتابه بالإيمان بما أنزل على الأسباط:

الأول: قوله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ...} [البقرة: ١٣٦].

الثاني: قوله تعالى: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ...} [آل عمران: ٨٤].

ونص في موضع آخر أنه أوحى إليهم، وذلك في قوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [النساء: ١٦٣].

والمراد بالأسباط: أبناء يعقوب – عليه السلام – الاثنا عشر.

ووجه الدلالة من هذه الآيات: أن الله تعالى أخبر فيها بأنه أنزل عليهم وأوحى إليهم، و هذا إنما يكون لأنبياء.

---

[1] أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٧) وسنده إليه صحيح.

[2] تفسير البغوي (٤/ ٢١٤).

[3] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٩٢)، وتفسير الرازي (١٨/ ٤٢١)، وتفسير الزمخشري (٢/ ٤١٩).

[4] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٩٢)، وتفسير الرازي (١٨/ ٤٢١) .

وهناك وجه آخر وهو: أن الله تعالى ذكرهم في هذه المواضع في سياق ذكر الأنبياء، حيث إن مَن قبلهم أنبياءُ ومَن بعدهم أنبياء، إذن هم أيضًا أنبياء.

لكن هذه الأدلة ليست صريحة في نبوتهم، إذ لا يلزم من كون يوسف - عليه السلام - رآهم في المنام كواكبَ أن يكونوا أنبياء، وإلا لزم من ذلك أن تكون أم يوسف أيضًا نبية؛ لأنه رآها في منامه شمسًا، وهي بلا شك أشرف من الكواكب.

كما أن تفسير إتمام النعمة على آل يعقوب بالنبوة ليس تفسيرًا قطعيًّا متفقًا عليه، فقد فُسِّرَ بتفاسير أخرى[1]، وليس كلُّ إتمامِ نعمةٍ نبوةً، فقد قال الله تعالى ممتنًّا على هذه الأمة: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]. فهل يصح أن يقال: إن المخاطبين بهذه الآية كلهم أنبياء؟! وحتى بعض العلماء الذين فسروا إتمام النعمة هنا بالنبوة جعلوا «آل يعقوب» من العام الذي أريد به الخصوص، فقالوا: «المعنى: ويتم نعمته عليك وعلى المختصين من آل يعقوب بالنبوة».[2]

وكذلك تفسير الأسباط في المواضع المذكورة بأبناء يعقوب من صلبه ليس تفسيرًا قطعيًّا، بل رده المحققون من أهل العلم، وقالوا: ليس المراد بالأسباط أبناء يعقوب من صلبه، بل المراد ذريته، فقد كان في ذريته أنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من بني إسماعيل، والمراد من الآيات أنه تعالى أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل وأنزل عليهم الكتب، وإنما ذكرهم إجمالاً لأنهم كثيرون.[3]

ومما يدل على أن الأسباط هم القبائل والأمم من بني إسرائيل قوله تعالى: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ . وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ...} [الأعراف: ١٥٩- ١٦٠]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهذا صريح في أن الأسباط هم الأمم من بني إسرائيل، كل سبطة أمة، لا أنهم بنوه الاثنا عشر، بل لا معنى لتسميتهم قبل أن تنتشر عنهم الأولاد أسباطًا، فالحال أن السبط هم الجماعة من الناس، ومن قال: الأسباط أولاد يعقوب؛ لم يرد أنهم أولاده لصلبه، بل أراد ذريته، كما قال: "بنو إسرائيل" و"بنو آدم"، فتخصيص الآية ببنيه لصلبه غلط لا يدل عليه اللفظ ولا المعنى، ومن ادعاه فقد أخطأ خطأً بيِّنًا».[4]

---

[1] انظر: التفسير البسيط للواحدي (١٢/ ٢٤- ٢٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ٦٨١).

[2] التفسير البسيط للواحدي (١٢/ ٢٤- ٢٥).

[3] انظر: جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٩٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٢) .

[4] جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٩٧- ٢٩٨).

وتدل الآية السابقة أيضًا على أن مصطلح "الأسباط" إنما عرف من عهد موسى – عليه السلام – وليس قبله، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.[١]

وقال في خاتمة كلامه: «والحاصل أن الغلط في دعوى نبوتهم حصل مِن ظنِّ أنهم هم الأسباط، وليس كذلك، إنما الأسباط ذريتهم الذين قُطِّعُوا أسباطًا من عهد موسى، كل سبط أمة عظيمة، ولو كان المراد بالأسباط أبناء يعقوب لقال: "ويعقوب وبنيه"؛ فإنه أوجز وأبين، واختير لفظ "الأسباط" على لفظ "بني إسرائيل" للإشارة إلى أن النبوة إنما حصلت فيهم من حين تقطيعهم أسباطًا من عهد موسى، والله أعلم».[٢]

وبهذا تبين ضعف هذا القول وعدم استناده إلى دليل قوي، بل قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «إخوة يوسف – عليه السلام – لم يكونوا أنبياء، ولا جاء قط في أنهم أنبياء نص، لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من إجماع ولا من قول أحد من الصحابة رضي الله عنهم».[٣]

ولشيخ الإسلام – رحمه الله – كلام قريب من هذا.[٤]

وذهب جمهور العلماء سلفًا وخلفًا إلى أنه لم يكن من بين أبناء يعقوب – عليه السلام – لصُلبه نبيٌّ إلا يوسف عليه السلام.

---

[١] المرجع السابق، وسيأتي نص كلامه – إن شاء الله – في أدلة أصحاب القول الثاني.

[٢] المرجع السابق.

[٣] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٧).

[٤] المرجع السابق (٣/ ٢٩٧) وأودّ أن أنبه هنا إلى أن لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كلامًا في مواضع أخرى من مؤلفاته فيه تلميح إلى نبوة إخوة يوسف – عليه السلام – مثل قوله في منهاج السنة (٢/٢٣٧): «فإن من آمن وتاب حتى ظهر فضله وصلاحه ونبأه الله بعد ذلك – كما نبأ إخوة يوسف ونبأ لوطًا وشعيبًا وغيرهما – وأيده الله تعالى بما يدل على نبوته؛ فإنه يوثق فيما يبلغه كما يوثق بمن لم يفعل ذلك، وقد تكون الثقة به أعظم إذا كان بعد الإيمان والتوبة قد صار أفضل من غيره». وقوله أيضًا في منهاج السنة (٧/٩٨): «وقد أخبر الله عن إخوة يوسف بما أخبر ثم نبَّأهم بعد توبتهم، وهم الأسباط الذين أمرنا أن نؤمن بما أوتوا في [سورة البقرة] وآل عمران والنساء». وقال في موضع آخر منه (٨/ ١٤٩): «فإبراهيم النبي – صلى الله عليه وسلم – أكرم على الله من يوسف، وإن كان أبوه آزر وهذا أبوه يعقوب، وكذلك نوح أكرم على الله من إسرائيل، وإن كان هذا أولاده أنبياء وهذا أولاده ليسوا بأنبياء». وقال في الفتاوى (١٠/ ٣١٠): «وقد أخبر الله عن إخوة يوسف بما أخبر من ذنوبهم وهم الأسباط الذين نبَّأهم الله تعالى». ويظهر لي – والله أعلم – أن ما استقر عليه رأيه – رحمه الله – في المسألة هو القول بعدم نبوتهم؛ لأنه حرره واستدل عليه وناقش أدلة المثبتين وردَّها كعادته – رحمه الله – في اختياراته العلمية، ولأن كلامه في جامع المسائل جاء في خصوص جواب سؤال عن إخوة يوسف هل كانوا أنبياء؟ فأجاب بالنفي، بينما كلامه في المواضع التي أشرت إليها آنفًا ليس في خصوص هذه المسألة، بل هو نوع استطراد واستئناس، ولهذا جاء مجردًا من غير استدلال وتحرير.

قال الحافظ السيوطي رحمه الله: «والذي عليه الأكثرون سلفًا وخلفًا أنهم ليسوا بأنبياء، أما السلف فلم يُنقل عن أحد من الصحابة أنهم قالوا بنبوتهم، كذا قال ابن تيمية، ولا أحفظه عن أحد من التابعين، وأما أتباع التابعين فنقل عن ابن زيد أنه قال بنبوتهم، وتابعه على هذا فئة قليلة، وأنكر ذلك أكثر الأتباع فمن بعدهم، وأما الخلف فالمفسرون فِرَقٌ، منهم من قال بقول ابن زيد كالبغوي، ومنهم من بالغ في رده كالقرطبي[١] والإمام فخر الدين[٢] وابن كثير[٣]، ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزي[٤]، ومنهم من لم يتعرض للمسألة ولكن ذكر ما يدل على عدم كونهم أنبياء كتفسيره الأسباط بمن نُبِّئَ من بني إسرائيل والمنزل إليهم بالمنزل إلى أنبيائهم كأبي الليث السمرقندي[٥]، والواحدي[٦]، ومنهم من لم يذكر شيئًا من ذلك ولكن فسر الأسباط بأولاد يعقوب فحَسِبَه ناس قولاً بنبوتهم[٧]، وإنما أريد بهم ذريته لا بنوه لصلبه كما سيأتي تحرير ذلك».[٨]

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- استصحاب الأصل وهو عدم نبوتهم حتى يقوم الدليل على ثبوتها لهم، قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «ولا يحل لمسلم أن يُدخل في الأنبياء من لم يأت نصٌّ ولا إجماعٌ أو نقلُ كافة بصحة نبوته، ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيًّا وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم».[٩] ولهذا ردّ كثير من الأئمة القول بنبوتهم لعدم الدليل عليها.[١٠]

٢- أن ما ذكره الله تعالى عنهم من فِعالهم مع أبيهم - وهو من أنبياء الله - ومع أخيهم يوسف؛ لا يناسب النبوة.

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٢٧).

(٢) تفسير الرازي (١٨/ ٤٢٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٢).

(٤) لم أعثر على قوله في مظانه من "زاد المسير" ولا من "تذكرة الأريب".

(٥) تفسير السمرقندي - بحر العلوم (١/ ١٢٣ و ٣٨٢).

(٦) التفسير البسيط للواحدي (٣/ ٣٥٦).

(٧) مثل: ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١١٦) وفي تذكرة الأريب (ص: ٢٣)، وابن جزي في تفسيره (١/ ٣٥).

(٨) الحاوي للفتاوي للسيوطى (١/ ٢٩٨).

(٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٧).

(١٠) انظر: الفصل لابن حزم (٤/ ٧)، وجامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٩٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٢)، وقصص الأنبياء له (١/ ٣٦١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأيضًا فإن الله يذكر عن الأنبياء من المحامد والثناء ما يناسب النبوة، وإن كان قبل النبوة، كما قال عن موسى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [القصص: ١٤]، وقال في يوسف كذلك ... وهو تعالى لما قص قصة يوسف وما فعلوا معه؛ ذكر اعترافهم بالخطيئة وطلبهم الاستغفار من أبيهم، ولم يذكر من فضلهم ما يناسب النبوة، ولا شيئًا من خصائص الأنبياء، بل ولا ذكر عنهم توبة باهرة كما ذكر عن ذنبه دون ذنبهم، بل إنما حكى عنهم الاعتراف وطلب الاستغفار، ولا ذكر سبحانه عن أحد من الأنبياء - لا قبل النبوة ولا بعدها - أنه فعل مثل هذه الأمور العظيمة، من عقوق الوالد، وقطيعة الرحم، وإرقاق المسلم، وبيعه إلى بلاد الكفر، والكذب البين، وغير ذلك مما حكاه عنهم، ولم يَحْكِ شيئًا يناسب الاصطفاء والاختصاص الموجب لنبوتهم، بل الذي حكاه يخالف ذلك، بخلاف ما حكاه عن يوسف».[1]

وقد أجاب أصحاب القول الأول عن هذا الإيراد بأن هذه الفِعال إنما صدرت منهم قبل النبوة، وهذا الجواب أيضًا يفتقر إلى دليل، وإنما يصح إذا ثبتت نبوتهم، إذ لا فائدة من هذا الجواب إذا لم تثبت نبوتهم، وفي كلام شيخ الإسلام - رحمه الله - إشارة إلى أن هذه الفعال - سواء قلنا إنها قبل النبوة أو بعدها - لا تناسب الاصطفاء والاختصاص الموجب لنبوتهم.[2]

٣- قول يوسف - عليه السلام - في حقهم: {أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} [يوسف: ٧٧] بيَّن الإمام ابن حزم - رحمه الله - وجه الدلالة من هذه الآية فقال: «ولا يجوز البتة أن يقوله نبي من الأنبياء، نعم ولا لقوم صالحين؛ إذ توقير الأنبياء فرض على جميع الناس، لأن الصالحين ليسوا شرًّا مكانًا».[3]

---

[1] جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٩٨- ٢٩٩).

[2] وما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - هنا ليس من قبيل ما ذهب إليه بعض المبتدعة - كبعض فرق الرافضة - من القول بوجوب عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، فقد رد - رحمه الله - هذا القول في مواضع عديدة من مؤلفاته، وقرّر أن مذهب السلف في ذلك: أن الأنبياء معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته، وأما في غير ذلك فهم معصومون بعد النبوة من الكبائر دون الصغائر، ومن الإقرار على الذنوب مطلقًا، وأما قبل البعثة فليس في النبوة ما يستلزم عصمتهم من الكبائر والصغائر، لكنهم يبادرون إلى التوبة ولا يصرون على الذنب. [انظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٣١٩ و١٠/ ٢٨٩- ٢٩٣، ومنهاج السنة ٢/ ٢٣٣- ٢٣٧]. أما هنا فأراد - رحمه الله - أن يبين أن حال إخوة يوسف وما صدر منهم من الذنوب العظيمة لا يناسب حال من يصطفيه الله - عز وجل - بالنبوة والرسالة، حيث لم يذكر الله عن أحد من الأنبياء أنه فعل مثل هذه الأمور العظيمة قبل النبوة، كما لم يذكر عنهم توبة باهرة كما ذكر عن آدم ونوح ويونس عليهم السلام.

[3] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٧).

٤- أن ظاهر القرآن الكريم يدل على أنه لم يبعث لأهل مصر نبي قبل موسى سوى يوسف عليهما السلام، وذلك في قوله تعالى حاكيًا ما خاطب به الرجلُ المؤمنُ من آل فرعون قومَه حينما تآمروا على قتل موسى عليه السلام: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} [غافر: ٣٤] فدل على أنه لم يكن بين يوسف وموسى - عليهما السلام - نبي، ولو كان أحد من إخوة يوسف نبيًّا لكان قد دعا أهل مصر، ولظهرت أخبار نبوته، فلما لم يكن ذلك عُلم أنه لم يكن منهم نبي، لاسيما وقد ذكر أهل السير أن إخوة يوسف كلهم ماتوا بمصر.[١]

٥- أنه لا يعرف في الأسباط نبيٌّ قبل نبي الله موسى إلا يوسف عليهما السلام، ولهذا لما ذكر الله تعالى في سورة الأنعام الأنبياءَ من ذرية إبراهيم - عليه السلام - في قوله: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ...} [الأنعام: ٨٤]؛ ذكر يوسف - عليه السلام - ولم يذكر أحدًا من إخوته، وكل أنبياء بني إسرائيل بعثوا بعد موسى - عليه السلام - عدا يوسف عليه السلام، فلو كان إخوة يوسف نُبِّئُوا كما نُبِّئَ يوسف لذكروا معه. وهذا من الأوجه التي استدل بها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على عدم نبوة إخوة يوسف.[٢]

٦- حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام».[٣] وجه الدلالة من هذا الحديث هو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خص يوسف - عليه السلام - من بين إخوته بهذا الوصف وبهذه الفضيلة، فلو كانت إخوته أنبياء لكانوا قد شاركوه في هذا الكرم، ولم يكن لتخصيص النبي - صلى الله عليه وسلم - يوسفَ من بينهم بهذا الوصف معنى؛ إذ كان يصدق على كل واحد منهم أنه الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم.[٤]

وهذا القول هو الراجح - أو الصحيح - في هذه المسألة وذلك لموافقته للأصل وقوة أدلته وسلامتها.

[١] انظر: جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٩٩).
[٢] انظر: المرجع السابق (٣/ ٢٩٨).
[٣] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ١٨٨).
[٤] انظر: جامع المسائل (٣/ ٢٩٨)، وقصص الأنبياء لابن كثير (١/ ٣٦١).

المسألة الثالثة: حكم السجود للمخلوق.

رأى يوسف – عليه السلام – في المنام أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له، ثم بعد سنين طوال تحققت رؤياه حيث تولى خزائن مصر واستقدم أبويه وإخوته فخروا له سُجَّدًا. فما حكم هذا السجود؟

قبل الإجابة على هذا السؤال يحسن أن نقدم بمقدمتين ينبني عليهما فهم المسألة:

الأولى: في تعريف السجود لغة وشرعًا.

الثانية: في تحرير المراد بالسجود في هذه القصة.

المقدمة الأولى: أصل السجود في اللغة: التطامُن والتذلُّل[(١)] والخضوع[(٢)] والانقياد[(٣)]. قال ابن فارس: «السين والجيم والدال أصلٌ واحدٌ مطّرد يدلّ على تطامُن وذلّ. يقال: سجد، إذا تطَامَنَ. وكلُّ ما ذلَّ فقد سجد».[(٤)]

وهذا التطامن والتذلل والخضوع والانقياد يتم التعبير عنه بوسائل عدة مثل: الانحناء، وخفض الرأس، والميلان إلى الأرض، ووضع الجبهة على الأرض ونحو ذلك.[(٥)]

وأما السجود في الشرع فهو الخضوع لله بوضع الجبهة على الأرض[(٦)].

وقال ابن عاشور رحمه الله: «وحقيقة السجود طأطأة الجسد أو إيقاعه على الأرض بقصد التعظيم لمُشاهَدٍ بالعيان كالسجود للملك والسيد، والسجود للكواكب ... أو لمُشاهَدٍ بالتخيل والاستحضار وهو السجود لله».[(٧)]

وقال: «وهيئات السجود تختلف باختلاف العوائد، وهيئة سجود الصلاة مختلفة باختلاف الأديان، والسجود في صلاة الإسلام الخرور على الأرض بالجبهة واليدين والرجلين».[(٨)]

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٣٩٦).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٢/ ٤٨٣)، وكتاب الكليات لأبي البقاء الكفومي (ص: ٨١٢).

(٣) انظر: كتاب الكليات لأبي البقاء الكفومي (ص: ٨١٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة (ص: ٤٨٣).

(٥) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (١/ ٤٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٤٨٣)، والصحاح للجوهري (٢/ ٤٨٣).

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٢٤٢)، وكتاب الكليات لأبي البقاء الكفومي (ص: ٨١٢).

(٧) التحرير والتنوير (١/ ٤٢١- ٤٢٢).

(٨) المرجع السابق (١/ ٤٢٢).

المقدمة الثانية: اختلف العلماء في المراد بالسجود في قصة رؤيا يوسف – عليه السلام – وتأويلها، فذهب بعضهم إلى أن هذا السجود لم يكن ليوسف وإنما كان لله – عز وجل – شكرًا له على وجدان يوسف ولمِّ شمله بأبويه وإخوته، وأن الضمير في قوله تعالى: {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا} [يوسف: ١٠٠] عائد على الله عز وجل، والمعنى: وخروا لله سجدًا، وأن اللام في قوله: {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: ٤] بمعنى: من أجل، أي: رأيتهم من أجلي ساجدين[١]. وقال بعضهم: إن الضمير في قوله: {وَخَرُّوا لَهُ} عائد على يوسف، ولكن اللام هنا بمعنى "إلى"، والتقدير: وخروا إليه سجّدًا، فهم إنما سجدوا لله وجعلوا يوسف قبلتهم، كما تقول: صليت للكعبة، أي إليها[٢]. وهذان القولان ضعيفان لأن ظاهر الآيات لا يؤيدهما.[٣]

وذهب جمهور العلماء إلى أن هذا السجود كان ليوسف – عليه السلام – كما يدل عليه ظاهر الآيات[٤]، وأجمعوا على أن ذلك لم يكن منهم على وجه العبادة له، بل كان على وجه التحية والتكريم والاعتراف له بالفضل.[٥]

ثم اختلفوا في كيفية هذا السجود وهيئته، فذهب بعضهم إلى أنه كان بالإيماء بالرأس أو الانحناء أو بنحو الركوع وإظهار التواضع ونحو ذلك، ولم يكن على الصفة المعهودة وهي وضع الجبهة على الأرض، وهؤلاء فسروا كلمة {خَرُّوا} بمعنى: مرّوا، وقالوا: ليس المراد الوقوع والسقوط على الأرض، كقوله تعالى: {لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَعُمْياناً} [الفرقان: ٧٣] أي: لم يمرّوا كذلك[٦]. وذهب المحققون من العلماء إلى أن ذلك كان على الصفة المعهودة، كما هو ظاهر الآية الكريمة: {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا} [يوسف: ١٠٠] فإن لفظة: {وَخَرُّوا} تأبى القول

---

[١] انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٢٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ٣٠٢)، وتفسير الثعلبي (٥/٢٥٩)، وتفسير الرازي (١٨/ ٥١٠)، وتفسير ابن الجوزي (ص: ٧٢٠)، وعزا الثعلبي وابن الجوزي هذا القول لابن عباس رضي الله عنهما.

[٢] انظر: تفسير الثعلبي (٥/٢٥٩)، وتفسير الرازي (١٨/ ٥١١).

[٣] وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٥٨– ٣٥٩) القول بأن اللام في قوله تعالى: {اسْجُدُوا لآدَمَ} بمعنى "إلى" من عدة أوجه، فراجعه فإنه مفيد، وكذلك يقال هنا في قصة يوسف عليه السلام.

[٤] انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٩)، و التفسير البسيط للواحدي (١٢/ ٢٥٠) وعزاه لعامة المفسرين، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ٧٢٠) وعزاه للجمهور.

[٥] انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٦٥)، وسأبين بعد قليل – إن شاء الله – حكم هذا النوع من السجود.

[٦] انظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٢٥٩)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٨٠).

الأول[1]، وتأويلها بالمرور خروج بها عن أصل معناها، فإن الخرور في اللغة المقيد بالسجود لا يكون إلا بوضع الجبهة على الأرض[2]، حتى في قوله تعالى: { لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَعُمْياناً} [الفرقان: ٧٣] هي على أصل معناها، أي: «لم يقعوا عليها صمًّا لم يسمعوها، وعميًا لم يبصروها، ولكنهم سمعوا وأبصروا وانتفعوا بها».[3]

ثم بعد هاتين المقدمتين نشرع في بيان أصل المسألة وهو حكم السجود للمخلوق، فنقول وبالله التوفيق:

الأصل أن السجود نوع عبادة لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، وهو هيئة من هيئات الخضوع والتذلل والتعظيم لا تنبغي إلا لله عز وجل، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [فصلت: ٣٧]، فحصر السجود له سبحانه، فإن «وقوع قوله: {وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ} بعد النهي عن السجود للشمس والقمر يفيد مفاد الحصر؛ لأن النهي بمنزلة النفي، ووقوع الإثبات بعده بمنزلة مقابلة النفي بالإيجاب، فإنه بمنزلة النفي والاستثناء في إفادة الحصر ... فكأنه قيل: لا تسجدوا إلا لله».[4]

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف: ٢٠٦] وهذه الآية تدل على حصر السجود وإفراده لله عز وجل، لأن تقديم المعمول "له" على العامل "يسجدون" يفيد الحصر، فهي في قوة: لا يسجدون لأحد سواه.

وذلك لأن السجود يتضمن غاية الحب مع غاية الذل والخضوع للمسجود له، وهذا شأن العبادة التي لا تليق إلا بالله وحده، كما قال ابن القيم – رحمه الله – في النونية[5]:

«وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبانِ

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبانِ»

والسجود الذي هو بهذا الوصف صرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة، ولم يشرع الله قط صرف مثل هذا السجود لغيره في أية شريعة من الشرائع، ولا خلاف في هذا.

---

[1] البحر المحيط في التفسير (٦/ ٣٢٧).

[2] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة محمد صديق حسن خان (٦/ ٤٠٣).

[3] التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣٤٨).

[4] التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥/ ٦٤).

[5] متن القصيدة النونية لابن القيم (ص: ٣٥).

والسجود لغير الله لا ينفصل عن هذا المعنى ويختص بمعنى آخر كالتحية والتكريم والتوقير ونحو ذلك؛ إلا إذا كان بأمر من الله – جل وعلا – أو بإذن منه تعالى، أعني الأمر والإذن الشرعيين، وذلك كسجود الملائكة لآدم – عليه السلام – حيث كان بأمر من الله عز وجل، وكسجود أبوي يوسف وإخوته له حيث كان بإذن من الله جل شأنه، فهذان السجودان فُرِّعَا من المعنى الأصلي للسجود إلى معنى التحية والتكريم للمسجود له؛ لاقتران الأول منهما بالأمر والثاني بالإذن، فهما مخصوصان من عموم النهي عن السجود لغير الله جل جلاله، فلا يقاس عليهما غيرهما من السجود لغير الله، لأنه حينئذ يكون قياسًا للمنهي عنه على المأمور به والمأذون فيه، وهذا قياس فاسد.

ولهذا لم يثبت أنه تكرر سجود الملائكة لآدم أو لأحد بنيه، أو سجود أحدٍ غيرِ يعقوب وزوجه وبنيه ليوسفَ أو لغيرِه من الأنبياء، ومن هنا فإن القول بأن السجود المعهود – أي وضع الجبهة على الأرض – لأجل التحية والتكريم كان شرعًا عامًّا لمن قبلنا، أو أنه كان جائزًا على الإطلاق في شرع من قبلنا ثم نسخ أو منع في شرعنا؛ قولٌ يفتقر إلى دليل صحيح وصريح، لأنه خروج عن الأصل في السجود.

والاستدلال على جواز سجود التحية والتكريم مطلقًا في شرع من قبلنا بسجود الملائكة لآدم عليه السلام، أو بسجود أبوي يوسف وإخوته له؛ إنما يستقيم إذا جزمنا بأن علة جواز السجود لهما إنما هي مجرد التحية والتكريم، وتحديد العلة بذلك يحتاج إلى دليل، بينما دل القرآن على أن علة جواز السجود لآدم – عليه السلام – كان الأمر من الله تعالى به، وأن هذا الأمر كان موجهًا إلى الملائكة شاملاً إبليس، وأن المأمور بالسجود له هو آدم – عليه السلام – فقط، وأن الحكمة من هذا الأمر هو تكريم آدم – عليه السلام – وإظهار فضله، وأن ذلك وقع مرة واحدة فقط حينما سوَّى الله آدم ونفخ فيه من روحه، ولأن سجود الملائكة من عمل العالم العلوي وليس ذلك بداخل تحت تكاليف أهل الأرض، فكيف يستدل به على أن سجود التحية والتكريم كان سائغًا مطلقًا في شرع من قبلنا؟!.

قال تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} [ص: ٧١ – ٧٥].

وقال في سورة الأعراف: {مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الأعراف: ١٢].

وفي سورة الإسراء: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا . قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٦١ – ٦٢].

وعلة جواز السجود ليوسف – عليه السلام – كان الإذن منه – عز وجل – به، وهذا الإذن كان يخص يعقوب وزوجه وبنيه الأحد عشر، والمأذون بالسجود له هو يوسف – عليه السلام – فقط، والحكمة من ذلك تكريم يوسف – عليه السلام – وإظهار فضله، وأن ذلك وقع مرة واحدة فقط حينما دخلوا عليه مصر فآواهم إليه.

قال تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: ٤] فدل على تخصيص السجود بالأحد عشر إخوة والأبوين صدورًا منهم، وبيوسف – عليه السلام – وقوعًا له.

ولو كان هذا الأمر سائغًا في شرعهم معمولاً به على الدوام؛ لم يكن لتخصيص يوسف – عليه السلام – بالسجود له معنى أو فضيلة، كما لم يكن لتخصيص أبويه وإخوته بالسجود له معنى، إذ السجود مأذون فيه للجميع معمول به عندهم، فتأمل.

ودل على بيان الحكمة من الإذن بالسجود ليوسف – عليه السلام – قولُ يعقوب عليه السلام: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف: ٦].

ودل على عدم تكرار السجود منهم له قوله تعالى: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ . وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} [يوسف: ٩٩– ١٠٠].

ولولا أن هذا السجود كان بأمر من الله – عز وجل – أو إذن منه لما حسن بيوسف – عليه السلام – أن يرضى بسجود أبويه له، لأن عظم حقهما عليه وعلو منزلتهما عنده يمنع من ذلك، ونبي الله يوسف – عليه السلام – أولى الناس برعاية حقوق الوالدين ومعرفة فضلهما وعلو شأنهما واستحقاقهما كل تواضع من ابنهما، كيف ويعقوب – عليه السلام – مع ذلك نبي من أنبياء الله.[1]

---

[1] انظر كلامًا قريبًا من هذا للرازي في تفسيره (١٨/ ٥١٤) .

ويؤيد ذلك أن هذا السجود كان تحقيقًا للرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام، ورؤيا الأنبياء وحي كما سبق، وقد ثبت عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال عند هذه الآية: «كانت رؤيا الأنبياء وحيًا».(١)

وقد نقل الماوردي في تفسيره عن الحسن أنه قال: «بل أمرهم الله تعالى بالسجود له لتأويل الرؤيا».(٢)

حتى إن قيل: إن هذه الرؤيا رآها يوسف – عليه السلام – قبل النبوة فإن تأويلها وقع بعد النبوة قطعًا، ولأن نبي الله يعقوب – عليه السلام – أقرها وشهد بأنها رؤيا حق وأخبر عن نتائجها ومآلاتها.

وقول يوسف عليه السلام: {يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} [يوسف: ١٠٠] يشعر بأنه إنما تقبَّل هذا السجود من أبويه وإخوته لأنه وقع تأويلاً لرؤياه التي رآها من قبل، وأن الله – عز وجل – هو الذي جعله حقًّا.

هذا وقد ذكر كثير من العلماء أن السجود للملوك ونحوهم تحيةً وتكريمًا للمسجود له كان جائزًا في شرع من قبلنا(٣)، وقال بعضهم: إنه كان مشروعًا في الأمم قبلنا(٤)، وذكر القرطبي أن في ذلك خلافًا(٥)، وأطلق بعضهم أن ذلك كان تحية الملوك في ذلك الزمان أو تحية الناس عمومًا بعضهم لبعض دون أن ينسب ذلك إلى شريعتهم.(٦)

ولكني لم أقف لهم على دليل صحيح وصريح في ذلك، حتى سجود أبوي يوسف وإخوته له يبرره بعضهم بأن ذلك كان سائغًا في شرعهم، أو أنه لم يكن منهيًّا عنه في شرعهم، أي أنهم يستدلون له لا به.

---

(١) أثر حسن، تقدم تخريجه (ص: ١١٢).

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٨٢).

(٣) منهم: البغوي في تفسير (٤/ ٢٨٠)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٩٣)، و الآلوسي في روح المعاني (١٣/ ٥٨).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٣٢) وقصص الأنبياء له (١/ ٤٠٢). والفرق بين الجائز والمشروع: أن الجائز ما لم يمنع عنه، والمشروع ما ورد الأمر به إما على سبيل الإلزام فيكون واجبًا، أو على سبيل التخيير فيكون مندوبًا. وقد يقال: إنما قصد ابن كثير بالمشروع الجائز لا المأمور به.

(٥) تفسير القرطبي (١/ ٢٩٣) قال: «واختلف أيضًا هل كان ذلك السجود خاصًّا بآدم – عليه السلام – فلا يجوز السجود لغيره من جميع العالم إلا لله تعالى، أم كان جائزًا بعده إلى زمان يعقوب عليه السلام، لقوله تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً} [يوسف: ١٠٠] فكان آخر ما أبيح من السجود للمخلوقين؟ والذي عليه الأكثر أنه كان مباحًا إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أصحابه قالوا له حين سجدت له الشجرة والجمل: نحن أولى بالسجود لك من الشجرة والجمل الشارد. فقال لهم: "لا ينبغي أن يسجد لأحد إلا لله رب العالمين"».

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٩– ٢٧٠) سنده عن ابن إسحاق، وقتادة، وسفيان، وابن جريج، والضحاك.

وربما يُستدل لقولهم بحديث عبد الله ابن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: «ما هذا يا معاذ؟!» قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلا تفعلوا؛ فإني لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده! لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب[1] لم تمنعه».[2]

وجه الدلالة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم ينكر وقوع السجود للأساقفة والبطارقة في أهل الكتاب، ولو كان ذلك غير جائز فيهم لبينه النبي صلى الله عليه وسلم، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، وإنما منع أمته من مثل فعلهم.

لكن ليس في الحديث ما يدل على أن ذلك كان شرع من قبلنا، ومعروف أن أهل الكتاب قد بدلوا وحرفوا، وغاية ما فيه إخبار معاذ – رضي الله عنه – بما رآه من صنيع أهل الكتاب بأساقفتهم وبطارقتهم، دون الإشارة إلى أن ذلك كان سائغًا في شرعهم، فسكوت النبي – صلى الله عليه وسلم – إقرار بأن ذلك واقع فيهم، ولكن هل كان ذلك مأذونًا به في شرعهم؟ هذا ما لم يفصح به الحديث.

وليس في هذا تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ لأن البيان يكون للحكم الشرعي، وقد بينه – عليه الصلاة والسلام – بقوله: «لا تفعلوا؛ لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله؛ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها».

بل في الحديث إشارة إلى ما ذكرناه من أن إباحة السجود لغير الله متوقفة على أمر الشارع به، لقوله: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله؛ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها». لأن السجود حينئذ يتجرد من معنى التألُّه والتعبُّد للمسجود له، ويكون بمعنى الطاعة والعبادة لله – عز وجل – والتحية والتكريم للمسجود له.

---

[1] **القَتَب**: بالتحريك: رحْلٌ صغير على قدر السنام. والقَتَب للجَمل كالإكاف لغيره. ومعنى الحديث: الحثُّ لهنّ على مُطاوعة أزواجِهن، وأنه لا يَسعُهُنّ الامتناع في هذه الحال فكيف في غيرها. وقيل: إن نساء العرب كُنَّ إذا أَرَدْن الولادة جلسْنَ على قَتَب، ويقلن: إنه أسْلسُ لخرُوج الولد، فأرادت تلك الحالة. وقال أبو عبيد: كُنَّا نرى أن المعنى: وهي تَسِير على ظَهْر البعير، فجاء التفسير بغير ذلك. انظر: الصحاح للجوهري (١/ ١٩٨)، والنهاية لابن الأثير (٤/ ١١).

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه (٣/ ٥٩ رقم: ١٨٥٣) وقال الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٥٦) : «وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير القاسم هذا وهو ابن عوف الشيباني الكوفي، وهو صدوق يغرب كما في (التقريب) وروى له مسلم فرد حديث».

وقد جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث ما يدل على أن هذا السجود لم يكن مما جاءت به الأنبياء، بل هو من كَذِبِ أهل الكتاب على أنبيائهم، وذلك أن معاذًا - رضي الله عنه - لما رأى أهل الكتاب يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم سألهم: لأي شيء تصنعون هذا؟ قالوا: هذا كان تحية الأنبياء قبلنا. فقال: نحن أحق أن نصنع هذا بنبينا. فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرَّفوا كتابهم، إن الله - عز وجل - أبدلنا خيرًا من ذلك: السلامَ، تحيةَ أهل الجنة».[1]

فهذه الزيادة إذا صحت تكون كالنص في المسألة، إلا أن في سندها اضطرابًا.

وليس كل ما ثبت فعله عن الأمم قبلنا يكون شرعًا لهم أو جائزًا في شرعهم، فقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث كثيرة أنه أخبر أن من قبلنا كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ونهى أمته عن ذلك، كما في حديث جندب بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يموت بخمسٍ وهو يقول: «... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك».[2]

فلا يقال هنا: إن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد كان شرعَ من قبلنا أو سائغًا في شرعهم، ثم نسخ ذلك في شرعنا، ويدل على ذلك أنه - صلى الله عليه وسلم - لعنهم

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٢/ ١٤٩ رقم: ١٩٤٠٤) من طريق معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن القاسم بن عوف الشيباني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن معاذ، قال محققوه: «جيد دون قوله: إنهم كذبوا على أنبيائهم ...» إلى آخر الحديث، وهذا إسناد ضعيف لاضطرابه. وأخرجه البزار كما في كشف الأستار للهيثمي (٢/ ١٧٩ رقم: ١٤٧٠) والطبراني في الكبير (٨/ ٣١ رقم: ٧٢٩٤) من طريق النهاس بن قهم عن القاسم به، والنهاس ضعيف كما في التقريب (٢/ ٣١٢ رقم: ٨١٠٤). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٥/ ٢٤٠ رقم: ٧٤٠٥) من طريق معاذ بن هشام الدستوائي قال حدثني أبي حدثني القاسم بن عوف حدثنا معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أنه أتى الشام فرأى النصارى يسجدون لأساقفتهم وقسيسيهم وبطارقتهم، ورأى اليهود يسجدون لأحبارهم ورهبانهم وربانيهم وعلمائهم وفقهائهم، فقال: لأي شيء تفعلون هذا؟ قالوا: هذه تحية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قلت: فنحن أحق أن نصنع بنبينا، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرفوا كتابهم، لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظيم حقه عليها، ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب»، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. قال الألباني - رحمه الله - في إرواء الغليل (٧/ ٥٦): «كذا قالا! والقاسم لم يخرج له البخاري، ثم إن معاذ بن هشام الدستوائي فيه كلام من قبل حفظه، وفي التقريب: (صدوق ربما وهم). فأخشى أن يكون وهم في جعله من مسند معاذ نفسه، وفي تصريح القاسم بسماعه منه. والله أعلم».

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (١/ ٣٧٧ رقم: ٥٣٢).

على هذا الفعل[1]، ووسمهم بأنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة[2]، ولو كان هذا الفعل سائغًا في شرعهم لم يلعنهم عليه، ولم يكونوا شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

وبناءً على القول بأن سجود التحية والتكريم للمخلوق كان جائزًا في شرع من قبلنا ثم نسخ في شرعنا؛ ذهب القائلون به من العلماء إلى أن السجود للمخلوق إذا كان من باب التحية والتكريم فإنه لا يكون شركًا مخرجًا من الملة، بل هو معصية دون الشرك، ووسيلة إلى الشرك، لأن الشرك المخرج من الملة لم يبحه الله تعالى في أية شريعة من الشرائع، ولأن النسخ لا يتناول أصول المعتقدات.

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن السجود على هيئته المعهودة لم يكن مباحًا للمخلوق في أية شريعة من الشرائع، بل لم يزل ممنوعًا محظورًا، وما كان من أبوي يوسف وإخوته فحكم خاص بهم، ولم يكن على سبيل التشريع لأمتهم، وسبب انتفاء الشرك أو المعصية عنه ليس مجرد كونه تحية وتكريمًا، بل لأنه مأمورٌ به أو مأذونٌ فيه.

ولا يقال: إذا جاز لنبي الله يعقوب – عليه السلام – أن يسجد ليوسف – عليه السلام – تحيةً وتكريمًا؛ فغيره من باب أولى، لأن يعقوب – عليه السلام – ما سجد إلا امتثالاً لأمر الله، ولم يسجد إلا لمن أُذِنَ بالسجود له، وأنّى ذلك لغيره ؟!

فالسجود لمخلوقٍ لم يأذن الله بالسجود له شركٌ ولو ادعى فاعله بأنه قصد التحية والتكريم، فمن سجد للشمس أو للقمر أو لنجم أو لشجر أو لحجر أو لصنم أو لقبر أو لحيوان أو لميت أو لغائب؛ فقد وقع في الشرك، لأن الله تعالى لم يأذن بالسجود لهذه المخلوقات في شيء من شرائعه، ولا يتصور أن يكون السجود لها لمجرد التحية والتكريم دون اعتقاد نفع أو ضر فيها، وليس هذا مجال بحثنا.

---

(1) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (١/ ٤٦٨ رقم: ١٣٢٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (١/ ٣٧٦ رقم: ٥٢٩) واللفظ له.

(2) عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تيك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب الهجرة إلى الحبشة (٣/ ١٤٠٦ رقم: ٣٦٦٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (١/ ٣٧٥ رقم: ٥٢٨).

وأما السجود لإنسان حي حاضر أذن الله بالسجود له كسجود الملائكة لآدم أو سجود أبوي يوسف وإخوته له؛ فهو طاعة وقربة إلى الله عز وجل، وتشريف وتكريم للمسجود له، ولا يُتصوَّر أبدًا في هذه الحال أن يقع في قلب الساجد المأذون له تألُّهٌ وتعبُّدٌ للمسجود له، لأنه لولا إذن الله تعالى ونَدْبُهُ للسجود لهذا الإنسان ما سجد له، وهذا يشبه نوعًا ما تقبيلنا للحجر الأسود واستلامه، فإنا لا نُقبِّله ولا نستلمه لاعتقاد النفع والضر فيه، بل لأن الشارع ندبنا إلى ذلك، ولهذا لما أراد عمر – رضي الله عنه – تقبيل الحجر قال: «والله إني لأقبِّلك وإني أعلم أنك حجر، وأنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبَّلك ما قبَّلتك».[1]

وأما السجود للملوك والآباء وأهل الفضل تحيةً وتكريمًا فهذا ما ذكر بعض العلماء بأنه كان مأذونًا به في شرع من قبلنا، وأنه لم يزل كذلك حتى نسخ في شرعنا، مع اختلافهم في هيئة هذا السجود هل كان بوضع الجبهة على الأرض، أو بما دون ذلك من الركوع والانحناء والإيماء بالرأس؟

وقد ذكرتُ أني لم أقف لهم على دليل صحيح صريح يثبت كون هذا النوع من السجود شرعًا للأمم قبلنا أو مأذونًا به في شرعهم.

ولا خلاف في أن السجود أو الركوع أو حتى مجرد الانحناء للمخلوق منهيٌّ عنه في شرعنا، أيًّا كان هذا المخلوق، وبأيِّ قصد كان، فقد سبق معنا حديث معاذ – رضي الله عنه – وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – له: «لا تفعلوا؛ لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله؛ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها».[2]

وروى الآجري في كتابه "الشريعة"[3] بسنده إلى ثعلبة ابن أبي مالك قال: اشترى إنسان من بني سلمة بعيرًا ينضح عليه، فأدخله المربد[4] فحَرِبَ الجمل[5]، فلا يقدر أحد أن يدخل

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج باب ما ذكر في الحجر الأسود (٢/ ٥٧٩ رقم: ١٥٢٠) ومسلم في صحيحه: كتاب الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (٢/ ٩٢٥ رقم: ١٢٧٠).

[2] ص (٢١٤).

[3] (٤/ ١٥٨٩– ١٥٩٠) وأخرجه أيضًا أبو نعيم الأصفهاني في دلائل النبوة (١/ ٣٨٢ رقم:٢٨٢) وإسناده صحيح، غير أن صحابيه – وهو ثعلبة ابن أبي مالك – مختلف في صحبته، فمن رجح كونه صحابيًّا فالحديث عنده متصل، ومن رجح كونه تابعيًّا فالحديث عنده مرسل صحيح له شواهد متصلة، وممن رجح كونه صحابيًّا: ابن قانع في معجم الصحابة (١/ ١٢٣) والكلاباذي في الهداية والإرشاد (١/ ١٣٤) والمزي في تهذيب الكمال (٤/ ٣٩٧) والحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٤٠٧).

[4] **المِرْبَد**: الموضع الذي تُحْبَس فيه الإبل والغنم. النهاية لابن الأثير (٢/ ١٨٢).

[5] **حَرِبَ**: أي: غضب. يقال منه: حَرِبَ يَحْرَبُ حَرَبًا بالتحريك. النهاية لابن الأثير (١/ ٣٥٨).

عليه إلا تخبطه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر ذلك له، فقال: «افتحوا عنه» فقالوا: إنا نخشى عليك يا رسول الله منه. فقال: «افتحوا عنه» ففتحوا عنه، فلما رآه الجمل خر ساجدًا، فقال القوم: يا رسول الله! كنا أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة. قال: «كلا، لو انبغى لشيء من الخلق أن يسجد لشيء من دون الله عز وجل؛ لانبغى للمرأة أن تسجد لزوجها».

وعند الإمام أحمد من حديث أنس – رضي الله عنه – في قصة مماثلة أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها».(١)

وعن حنظلة السدوسي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله! الرجل منّا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: «لا». قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: «لا». قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: «نعم».(٢)

وكل ذلك سدًّا لذريعة الشرك، وحماية لجناب التوحيد، ونَأْيًا بهذه الأمة من الوقوع في الشرك كبيره وصغيره، ولكن النهي عن هذه الهيئات ليس في مستوى واحد، فليس الانحناء كالركوع ولا الركوع كالسجود، بل السجود للمخلوق أقبح من الركوع له، والركوع له أقبح من الانحناء الذي هو دون الركوع، وهذا ما دفع جملةً من العلماء إلى تفسير سجود الملائكة لآدم وسجود أبوي يوسف وإخوته له بالانحناء أو الركوع دون السجود الذي هو وضع الجبهة على الأرض، لأن السجود بوضع الجبهة على الأرض هيئة من التعظيم والخضوع والتذلل لا تليق إلا بالله العلي العظيم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر».

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٠/ ٦٤- ٦٥ رقم: ١٢٦١٤) وقال محققوه: «صحيح لغيره». وصححه الألباني – رحمه الله – في إرواء الغليل (٧/ ٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٧٥ رقم: ٢٧٢٨) وقال: «هذا حديث حسن». وابن ماجه في سننه (٤/ ٦٥٣- ٦٥٤ رقم: ٣٧٠٢)، وفي سنده حنظلة السدوسي وهو ضعيف كما في التقريب (١/ ٢٠٤ رقم: ١٧٣٣)، ومع ذلك حسنه الترمذي، ووافقه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٩٨) وقال: «وهو كما قال أو أعلا، فإن رجاله كلهم ثقات غير حنظلة هذا فإنهم ضعفوه، ولكنهم لم يتهموه، بل ذكر يحي القطان وغيره أنه اختلط، فمثله يستشهد به، ويقوى حديثه عند المتابعة، وقد وجدت له متابعين ثلاثة...». ثم ذكرهم. ولكن الشيخ شعيب الأرنؤوط لم يرتض هذا التحسين من الشيخ الألباني مقررًا أن متابعة هؤلاء الثلاثة لحنظلة لا تقوي الحديث؛ لأن أسانيدها ضعيفة لا تصلح للمتابعة. انظر تحقيق المسند (٣٠/ ٢٤٠- ٢٤١).

ولكن ظاهر القرآن أو صريحه على أن السجود لهما كان على الهيئة المعهودة وهي وضع الجبهة على الأرض، ولا إشكال في ذلك، لأن السجود لهما كان بأمر من الله كما سبق، فهو مستثنى من عموم النهي عن السجود للمخلوق.

المسألة الثالثة: مشروعية أخذ الحيطة والحذر في الأمور الهامة، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله عز وجل.

فهذا يعقوب يرشد ابنه يوسف – عليهما السلام – إلى الحذر من عرض رؤياه على إخوته، لئلاَّ يحسدوه ويكيدوا له كيدًا {قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يوسف: ٥].

وهذا الحذر هو من الأخذ بالأسباب، ولا يتنافى مع التوكل على الله، فإن الله تعالى كما أمر عباده بالتوكل عليه؛ أمرهم بأن يأخذوا بالأسباب.

ففي شأن التوكل قال الله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٢٢][(١)]، وقال: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود: ١٢٣]، وقال: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣].

وفي شأن الأخذ بالأسباب قال الله عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} [النساء: ٧١]، وقال: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: ١٠٢]، وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنفال: ٦٠، ٦١].

---

(١) تكررت هذه الجملة في سبعة مواضع من القرآن هذا أولها، والباقي كما يلي: آل عمران: ١٦٠، المائدة: ١١، التوبة: ٥١، إبراهيم: ١١، المجادلة: ١٠، التغابن: ١٣.

وعن عمرو بن أمية الضمري – رضي الله عنه – قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أُرسِلُ ناقتي وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل».[1]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان».[2]

قوله: «احرص على ما ينفعك» أمرٌ بالأخذ بالأسباب. وقوله: «واستعن بالله» أمرٌ بالتوكل على الله تعالى.

ونقل الإمام ابن القيم – رحمه الله – الإجماع على هذا الأمر، فقال: «وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكلٌ فاسد».[3]

ومما يدل على أنه لا منافاة بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ أن التوكل على الله في الحقيقة سببٌ من الأسباب، بل أعظمها.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل البتة؛ لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببًا في حصول المدعو به».[4]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن هنا يعرف أن السبب المأمور به أو المباح لا ينافي وجوب التوكل على الله في وجود السبب، بل الحاجة والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب؛ إذ ليس في المخلوقات ما هو وحده سبب تام لحصول المطلوب. ولهذا لا يجب أن تقترن الحوادث بما قد يجعل سببًا إلا بمشيئة الله تعالى، فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم

---

[1] أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٢١٥ رقم: ٩٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٧ رقم: ١١٥٩)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٥١٠ رقم: ٧٣١) وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان. وأخرجه الترمذي في سننه (٤/٦٦٨ رقم: ٢٥١٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث غريب من حديث أنس، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا». وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (ص: ٢٣ رقم: ٢٢).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٤/ ٢٠٥٢ رقم: ٢٦٦٤).

[3] مدارج السالكين (٣ / ١٧٤٥).

[4] المرجع السابق (٣ / ١٧٥٢).

يكن. فمن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل؛ فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل، وأخل بواجب التوحيد، ولهذا يخذل أمثال هؤلاء إذا اعتمدوا على الأسباب ... كما أن من أخذ يدخل في التوكل تاركًا لما أُمر به من الأسباب فهو أيضًا جاهل ظالم عاص لله بترك ما أمره، فإن فعل المأمور به عبادة لله، وقد قال تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣] ... فليس من فعل شيئًا[1] أمر به، وترك ما أمر به من التوكل بأعظم ذنبًا ممن فعل توكلاً أمر به وترك فعل ما أمر به من السبب، إذ كلاهما مخل ببعض ما وجب عليه، وهما مع اشتراكهما في جنس الذنب فقد يكون هذا ألوم، وقد يكون الآخر، مع أن التوكل في الحقيقة من جملة الأسباب».[2]

وقد ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – في موضع آخر أن فعل السبب الذي أُمر به العبد – أَمْرَ إيجاب أو أمرَ استحباب – عبادةٌ لله وطاعةٌ له ولرسوله، وأن الله فرض على عباده أن يجمعوا بين العبادة والتوكل فقال: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣].

وقال: «والمقصود: أن الله لم يأمر بالتوكل فقط، بل أمر مع التوكل بعبادته وتقواه التي تتضمن فعل ما أَمر وترك ما حَذر، فمن ظن أنه يُرضي ربَّه بالتوكل بدون فعل ما أمر به كان ضالاً، كما أن من ظن أنه يقوم بما يُرضي الله عليه دون التوكل كان ضالاً، بل فِعلُ العبادة التي أمر الله بها فرض. وإذا أطلق لفظ العبادة دخل فيها التوكل، وإذا قرن أحدهما بالآخر كان للتوكل اسم يخصه، كما في نظائر ذلك».[3]

وفي هذا ردٌّ على من زعم أن الأخذ بالسبب المأمور به – من الحذر والحيطة والعلاج وطلب الرزق ونحو ذلك – نقصٌ وقدحٌ في التوحيد والتوكل، وأن ترك ذلك من كمال التوحيد والتوكل.[4] فهل يُظَنُّ بيعقوب – عليه السلام – أنه يأمر ابنه بما هو نقص وقدح في التوحيد والتوكل على الله؟!

وكما لا يجوز ترك الأسباب المأمور بها؛ فإنه كذلك لا يجوز الاعتماد عليها والغفلة عن مسبِّبها، فكلا الأمرين غلط، وقد نبه شيخ الإسلام – رحمه الله – لهذا المعنى بكلام جميل،

---

[1] هكذا في المطبوع، ولعله: سببًا.

[2] الفتاوى الكبرى (١/ ١٠٧– ١٠٨) بشيء من الاختصار.

[3] مجموع الفتاوى (٨/ ٥٢٧).

[4] ومثل هذا المذهب مشهور عن الصوفية، انظر مثلاً كتاب منهاج العابدين لأبي حامد الغزالي (ص: ٢٢٩– ٢٣٦) وانظر رد شيخ الإسلام عليه في مجموع الفتاوى (٨/ ٥٢٤– ٥٣٩).

فقال: «فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدحٌ في الشرع؛ فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدًا على الله لا على سبب من الأسباب، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة، فإن كانت الأسباب مقدورة له وهو مأمور بها؛ فَعَلَها مع التوكل على الله، كما يؤدي الفرائض، وكما يجاهد العدو، ويحمل السلاح، ويلبس جنة الحرب، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد. ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرِّط مذموم».[1]

ولتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله – كلام نفيس أيضًا في هذا الباب، يقول فيه: «والذي يحقق التوكل: القيامُ بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه، فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنيًا، كما أن من عطلها يكون توكله عجزًا، وعجزه توكُّلاً. وسر التوكل وحقيقته هو: اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها، والركونِ إليها، كما لا ينفعه قولُه: "توكلت على الله" مع اعتماده على غيره، وركونه إليه، وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، و توبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء، فقول العبد: "توكلت على الله" مع اعتماد قلبه على غيره؛ مثل قوله: " تبت إلى الله " وهو مصر على معصيته، مرتكب لها».[2]

وقال في موضع آخر: «فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدمُ الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامُه بالله لا بها، وحال بدنه قيامُه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية».[3]

المسألة الرابعة: النبوة اصطفاء واجتباء من الله تعالى لمن شاء من عباده، وهي منحة ربانية لا تنال بالمجاهدة ولا بالتمني.

---

[1] مجموع الفتاوى (٨/ ٥٢٨- ٥٢٩).

[2] الفوائد (ص: ٨٧).

[3] مدارج السالكين (٣/ ١٧٥٦).

فسر جملة من المفسرين الاجتباء في قول يعقوب - عليه السلام - لابنه: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ} [يوسف: ٦] بالنبوة.[١]

وهذا يدل على أن النبوة اجتباء واصطفاء واختيار إلهي، يجتبي مِن عباده مَن يشاء للنبوة، ويصطفيه بالوحي والرسالة، فليست النبوة مكتسبة، وليس بإمكان أحد - مهما كان صلاحه وتقواه وزهده - أن يبلغ مقام النبوة بجدِّه واجتهاده ورياضته وعبقريته، كما يزعم ذلك بعض المتفلسفة كابن سينا وأمثاله، وبعض ملاحدة الصوفية كابن سبعين وغيره.[٢]

وقد دل القرآن الكريم على هذا المعنى في آيات كثيرة، من ذلك قوله تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: ٧٥]، وقوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٣٣]، وقوله جل جلاله: {وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: ٨٧]، وقوله جل وعلا: {قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: ١٤٤]، وقوله عز جاهه: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [البقرة: ١٣٠]، وقوله جل شأنه: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ} [ص: ٤٥ - ٤٧]، وقوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ، اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤]، وقوله سبحانه: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [إبراهيم: ١١]، وقوله: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} [النحل: ٢] وغير ذلك من الآيات.

---

[١] انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٧٩)، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٣١٦)، وتفسير الماوردى (٣/١٥٥)، والبحر المحيط في التفسير (٦/ ٢٣٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٧١)، وفتح القدير للشوكاني (٣/٨)، وروح المعاني للآلوسي (١٢/ ١٨٥) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/ ١٩).

[٢] وقد نسب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذا القول إلى هؤلاء في مواضع كثيرة من مؤلفاته، انظر: النبوات (٢/ ٧٠٣)، ومنهاج السنة النبوية (٥/ ٤٣٤- ٤٣٥)، وشرح الأصبهانية (ص: ٥٧٣- ٥٧٤)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩٩) و(٢/ ٧٣١)، والجواب الصحيح (٥/ ٣٤٤)، والرد على المنطقيين (٢/ ٥٤ و ٢١١)، والصفدية (١/ ٥)، والرد على الشاذلي (ص: ١٣٤- ١٣٥)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٣٩٨).

فهذه النصوص القرآنية تقضي بأن النبوة اصطفاء واجتباء ومنة محضة من الله جل وعلا، يمن بها على من يشاء من عباده، لا سبيل إليها بكثرة العبادة أو تهذيب النفس أو رياضتها أو تصفيتها وإخلائها عن الشواغل وما إلى ذلك من الجهد البشري.

ومنشأ ضلال الفلاسفة ومن وافقهم في هذا الباب، والذي جرَّهم إلى القول بأن النبوة مكتسبة، وجعل بعضهم يطلبها[1]؛ هو أنهم وضعوا من عند أنفسهم صفات وخصائص ومعايير للنبوة، وزعموا أن من وجدت فيه هذه المعايير فهو نبي، فقالوا: النبوة لها ثلاث خصائص من قامت به هذه الخصائص فهو نبي:

- الخصيصة الأولى: أن تكون له قوة قدسية، وهي قوة الحدس، بحيث يحصل له من العلم بسهولةٍ ما لا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة، أي أن يكون أذكى من غيره، وأن يكون العلم عليه أيسر منه على غيره.
- الخصيصة الثانية: أن تكون له قوة نفسانية يتصرف بها في هيولي العالم[2]، كما أن العائن له قوة نفسانية يؤثر بها في المعين، ويزعمون أن خوارق العادات التي للأنبياء والأولياء هي من هذا النمط.
- الخصيصة الثالثة: قوة التخييل والحس الباطن، بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه، فيراه ويسمعه، فيرى في نفسه صورًا نورانية هي عندهم ملائكة الله، ويسمع في نفسه أصواتًا هي عندهم كلام الله، من جنس ما يحصل للنائم في منامه، ويقولون: إن ما أخبرت به الرسل من أمور الربوبية واليوم الآخر إنما هو تخييل وأمثال مضروبة، لا أنه إخبار عن الحقائق على ما هي عليه.[3]

وقد تصدى للرد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في عدة مواضع من مصنفاته[4]، وقال: «النبوة لا تنال باكتساب الإنسان واستعداده كما تنال بذلك العلوم المكتسبة والدِّين المكتسب، فإن هؤلاء القوم ما قدروا الله حق قدره، ولا قدروا الأنبياء قدرهم، لما ظنوا أن الإنسان إذا كان فيه استعداد لكمال تزكية نفسه وإصلاحها؛ فاض عليه بسبب ذلك المعارف من العقل الفعال، كما يفيض الشعاع على المرآة المصقولة إذا جليت

---

[1] كالسهرودي المقتول، وابن سبعين وغيرهم. انظر: الصفدية (١/ ٥- ٧)، والرد على المنطقيين (١/٥٤ و ٢١١).

[2] قال الجرجاني في كتاب التعريفات (ص: ٣٢١) : «"**الهيولي**" لفظ يوناني بمعنى: الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين: الجسمية والنوعية».

[3] انظر: الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١/ ٥- ٧).

[4] أشرتُ إلى كثير منها في بداية هذه المسألة.

وحوذي بها الشمس، وأن حصول النبوة ليس هو أمرًا يحدثه الله بمشيئته وقدرته، وإنما حصول هذا الفيض على هذا المستعد كحصول الشعاع على هذا الجسم الصقيل؛ صار كثير منهم يطلب النبوة كما يحكى عن طائفة من قدماء اليونان، وكما يعرض ذلك لطائفة من الناس في أيام الإسلام ... بل لا بد في النبوة من إيحاء إلهي يختص الله به من يخصه بذلك من عباده بمشيئته وقدرته، وهو سبحانه عالم بذلك النبي، وبما يوحيه إليه من الوحي، وبقدرته؛ خصه بما خصه به من كراماته ... فهذا ونحوه مما يعلم بالاضطرار من دين الرسل أنه كفر وباطل من دينهم، فمن فهم القرآن وفهم كلام هؤلاء لزمه أحد أمرين: إما تكذيب القرآن، وإما تكذيب هؤلاء، وإلا فقولهم وما جاء به الرسول متناقض تناقضًا يعلمه كل من فهم كلامهم وكلام الأنبياء، ولا يتصور أن يقول هذا وأن يوافق على هذا الكلام إلا أحد رجلين: إما جاهل لا يعلم حقيقة ما جاءت به الرسل وحقيقة قول هؤلاء ... وإما منافق زنديق يعرف مناقضة هذا لهذا، لكنه يظهر الموافقة والائتلاف لاعتقاده أن النبوة من جنس حال هؤلاء، ويلبس ما يقوله على من لم يعرف حقائق الأمور».[(١)]

ومع كون النبوة منحة إلهية، ومنّة ربانية، واجتباء واصطفاء؛ إلا أن الله – عز وجل – لا يختار للنبوة إلا من هو أهل لها، ممن امتازوا عن غيرهم من البشر بخصائص ومميزات لا توجد في غيرهم من سائر البشر، فالأنبياء – عليهم السلام – هم «أكمل البشر خَلْقًا وخُلُقًا، وأرجحهم عقلاً، وأوفرهم ذكاءً، وأطهرهم قلبًا، وهذا هو شأن الرسل أجمعين».[(٢)]

المسألة الخامسة: إثبات اسمين من أسماء الله تعالى وهما: «العليم» و «الحكيم»، وذلك في قول يعقوب – عليه السلام – لابنه: {إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف: ٦].

ومذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء؛ أنهم يثبتون لله تعالى كل ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله – صلى الله عليه وسلم – فيما صح عنه من الأسماء، لا ينكرون منها شيئًا، كما أنهم لا يدخلون فيها ما لم يثبت كونه اسمًا لله – عز وجل – في الكتاب والسنة الصحيحة، إذ يرون أن أسماء الله تعالى كلها توقيفية.[(٣)]

كما أنهم يرون أن أسماء الله – عز وجل – كلها حسنى، أي بالغة في الحسن غايته، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠] ونحوها من الآيات، وليس في أسماء الله

---

(١) الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١/ ٢٢٩– ٢٣٢) باختصار.

(٢) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع للشيخ عبد الرءوف محمد عثمان (ص: ٢٢).

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٤٧)، والقواعد المثلى لابن عثيمين (ص: ١٣)، والقواعد والضوابط السلفية في أسماء وصفات رب البرية لأحمد محمد الصادق (ص: ٨٥).

تعالى ما ليس كذلك، وذلك لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول عليه وهو الله عز وجل، ولأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا.[1]

ويرون أن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، وذلك لأن أسماء الله – جل شأنه – لها نوعان من الدلالة: دلالة على الذات، ودلالة على المعاني.

فهي باعتبار دلالتها على ذات الله المقدسة أعلام، وتكون مترادفة بهذا الاعتبار؛ لأن مسماها واحد. قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإسراء: ١١٠]. فأسماء الله تعالى تدل كلها على مسمى واحد، وليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى يضاد دعاءه باسم آخر، بل كل اسم يدل على ذاته.

وهي باعتبار دلالة كل واحد منها على معنى من المعاني اللائقة بجلال الله – جل جلاله – أوصاف، وتكون متباينة بهذا الاعتبار؛ لأن كل اسم من هذه الأسماء يدل على معنى خاص غير المعنى الذي يدل عليه الاسم الآخر.[2]

فهذان الاسمان – العليم الحكيم – من أسماء الله الحسنى لثبوتهما في كتاب الله – عز وجل – في الآية التي معنا وفي غيرها من الآيات[3]، وهما مترادفان من حيث دلالتهما على ذات الله المقدسة، فالعليم الحكيم هو الله جل وعلا، ومتباينان من حيث دلالة كل واحد منهما على معنى خاص لا يدل عليه الاسم الآخر، فالعليم يدل على العلم، والحكيم يدل على الحكمة.

وقاعدة أهل السنة والجماعة بالنسبة للأسماء هي أنهم:

«أولاً: يؤمنون بأنها أسماء تسمى الله بها، فيدعون الله بها.

ثانياً: يؤمنون بما تضمنه الاسم من الصفة، لأن جميع أسماء الله مشتقة، والمشتق كما هو معروف يكون دالاً على المعنى الذي اشتق منه.

ثالثاً: يؤمنون بما تضمنه الاسم من الأثر إذا كان الاسم متعديًا كالعليم، والرحيم، والسميع، والبصير.

---

[1] انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٤٨)، والقواعد المثلى لابن عثيمين (ص: ٦)، والقواعد والضوابط السلفية في أسماء وصفات رب البرية لأحمد محمد الصادق (ص: ٩٧)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص: ١١٧).

[2] انظر: التدمرية لابن تيمية (ص: ١٠٠– ١٠١)، والفتاوى الكبرى له (٦/ ٥٦٩)، ودرء التعارض له (٤/ ٥٩٦)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٤٧)، والقواعد المثلى (ص: ٨)، والقواعد والضوابط السلفية لأحمد الصادق (ص: ١٠١).

[3] انظر: سورة البقرة (٣٢)، ويوسف (٨٣ و ١٠٠)، والزخرف (٨٤)، والذاريات (٣٠)، والتحريم (٢).

أما إذا كان الاسم مشتقًّا من مصدر لازم فإنه لا يتعدى مسماه، مثل الحياة، فالله تعالى من أسمائه: الحي، والحي دل على صفة الحياة، والحياة وصف للحي نفسه لا يتعدي إلى غيره».[1]

ويعتقدون بأن أسماء الله – عز وجل – أزلية غير مخلوقة[2]، وأنها – كما عبر القرآن والسنة – أسماءٌ لله جل وعلا[3]، فلا يقال: هي هو، ولا هي غيره[4]، بل لا بد من التفصيل في ذلك، «فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم؛ فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى».[5]

وأشهر المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذا الباب هم باختصار:

١- الجهمية ومن وافقهم من الباطنية والفلاسفة: ينفون عن الله تعالى جميع أسمائه وصفاته، ولا يثبتون منها شيئًا إلا على سبيل المجاز، ويقولون: إنها أسماءُ مخلوقاته، فأسماء الله تعالى عندهم هي غيره، فبالتالي هي عندهم مخلوقة محدثة.[6]

---

[1] انظر: أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها لابن عثيمين (ص: ١٤).

[2] روى ابن أبي حاتم في كتابه "آداب الشافعي ومناقبه" (ص: ١٤٨) بسند صحيح عن الإمام الشافعي – رحمه الله – أنه قال: «من حلف باسم من أسماء الله فحنث، فعليه الكفارة؛ لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة أو بالصفا والمروة، فليس عليه الكفارة؛ لأنه مخلوق، وذاك غير مخلوق». وروى الخلال في كتابه "السنة" (٦/ ١٧- ١٨) بسند صحيح عن الإمام أحمد – رحمه الله – أنه سئل: ما تقول فيمن قال: إن أسماء الله محدثة؟ فقال: «كافر» ثم قال: «"الله" من أسمائه، فمن قال إنها محدثة فقد زعم أن الله تعالى مخلوق». ولمزيد بيان راجع: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٨٥- ١٨٦)، والقواعد والضوابط السلفية لأحمد محمد الصادق (ص: ١٢١- ١٢٥).

[3] قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة». أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩١ رقم: ٦٩٥٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٣ رقم: ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٣٤٥)، والفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٨٥- ٢١٢)، وقد نبه ابن تيمية – رحمه الله – هنا أن كثيرًا من المنتسبين إلى السنة قالوا: الاسم هو المسمى، ردًّا على الجهمية القائلين بأنها غيره، لكنهم لم يريدوا بذلك أن الاسم هو عين المسمى، وأن اللفظ المؤلف من الحروف هو نفس الشخص المسمى به، فإن هذا لا يقوله عاقل، وإنما أرادوا أن اللفظ هو التسمية، والاسم ليس هو اللفظ بل هو المراد باللفظ، فإذا قلت: يا زيد! يا عمرو! .. فليس مرادك دعاء اللفظ، بل مرادك دعاء المسمى، وكذلك إذا أُخبِرَ عن الأشياء فذُكِرَت أسماؤها فالمراد مسمياتها، مثل: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ} {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} فليس المراد أن هذا اللفظ هو الرسول، وهو الذي كلمه الله، فهذا هو مقصودهم، وبهذا يظهر الفرق بين قول هؤلاء المنتسبين إلى السنة وقول الأشاعرة ومن وافقهم. انظر الموضع المشار إليه من مجموع الفتاوى، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية (ص: ٤١٧- ٤٢٤).

[5] شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ١٠٢).

[6] انظر: نقض أبي سعيد الدرامي على المريسي (١/ ١٥٨) وما بعدها، ودرء التعارض (٢/ ٢٥٥)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٣٥٥)، ومنهاج السنة (٢/ ٥٢٣- ٥٢٤)، والنبوات لابن تيمية (١/ ٥٧٨)، والنونية لابن القيم (ص: ١٥).

٢- المعتزلة ومن وافقهم: يثبتون أسماء الله تعالى في الجملة، ولكنها عندهم أعلام محضة مترادفة لا تدل إلا على العلمية، فجردوا أسماء الله تعالى عما تضمنته من المعاني والصفات، وبعضهم لا يطلق شيئًا من أسماء الله تعالى إلا مقرونًا بنفي ما تضمن من صفة، فيقولون مثلاً: هو عليم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وهكذا .. وهم أيضًا يجعلون إثبات كثير من الأسماء التي يثبتونها على سبيل المجاز، ويرون أن أسماء الله تعالى هي غيره، وأنها مخلوقة[١]، وذهب بعضهم إلى أن أسماء الله تعالى ليست توقيفية، بل يجوز إثباتها بالقياس العقلي.[٢]

٣- الكلابية ومن وافقهم من الأشاعرة والماتريدية: يثبتون أسماء الله تعالى الحسنى، ويثبتون معاني بعضها، ويؤولون معاني أكثرها بما يوافق مذهبهم في باب الصفات.

«فالكلابية وقدماء الأشاعرة ينفون صفات الأفعال الاختيارية، وبالتالي لا يثبتون الصفات التي تضمنتها الأسماء إذا كانت من هذا القبيل، كالخالق والرزاق ونحوها، ... وأما المتأخرون من الأشاعرة ومعهم الماتريدية، فإنهم لا يثبتون من الصفات سوى سبع صفات هي: العلم، القدرة، الحياة، السمع، البصر، الإرادة، الكلام. ويزيد بعض الماتريدية صفة ثامنة هي: التكوين. فالاسم عندهم إن دل على ما أثبتوه من الصفات، أثبتوا ما دل عليه من المعنى، وإن كان دالاً على خلاف ما أثبتوه صرفوه عن حقيقته وحرفوا معناه».[٣]

والأشاعرة يقولون: أسماء الله تعالى غير مخلوقة. وهذا الاطلاق منهم يوهم أنهم مخالفون للجهمية والمعتزلة، موافقون لأهل السنة والجماعة، ولكن الحقيقة - كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله[٤] - أنهم مخالفون للجهمية والمعتزلة في اللفظ موافقون لهم في المعنى، موافقون لأهل السنة في اللفظ مخالفون لهم في المعنى.

بيان ذلك: أن الجهمية والمعتزلة قالوا: «الاسمُ غيْرُ المسمَّى، فأسماءُ الله غيرُه، وكلُّ شَيْءٍ غيرُ الله مخْلوقٌ، فـ (الرَّحمن، الرَّحيم، الحَيّ، القيّوم ...) هذه الأسماءُ المؤلَّفةُ من

---

[١] انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٥٣)، واعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر الإسماعيلي (ص: ٥٢- ٥٤)، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني (٢/ ٦٠٦)، والنبوات لابن تيمية (١/٥٧٨).

[٢] انظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (ص: ١٨٣ و ٣٣٧).

[٣] العرش للذهبي بتحقيق محمد بن خليفة التميمي (١/ ٨٤- ٨٥) من كلام المحقق في قسم الدراسة الموضوعية، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (٢/ ٩٤٢- ٩٤٣).

[٤] انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٩٢).

الحُروفِ وغيرُها من الأسماءِ الحُسنى؛ مخلوقةٌ عندَهم. فأراد الأشعرية ومن على شاكلتهم إبطالَ قولهم، فقالوا: الاسْمُ هو المسمَّى، أي: عينُهُ، فاسْمُ الله هو الله، والله غيرُ مخلوق، فاسمه غيرُ مخلوق. وهذا في الحقيقة لا تُخالِفُ فيه الجهميةُ، فإنهم يعتقدون أن الله تعالى غيرُ مخلوق، وهم إنَّما قالوا بخَلْق الأسماء التي هي الأقوالُ الدَّالَّة على المسمَّى كـ (الرَّحمن، الرَّحيم)، وهذه عند الأشعريَّة تَسْمياتٌ، وهي ألفاظٌ مخلوقة. فأيّ فَرْقٍ بين اعتقاد الطائفتين من جِهَةِ الحقيقة والمعنى؟!».[١]

فهذان الاسمان – العليم الحكيم – من أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة، فيجب إثباتهما اسمين لله عز وجل، وهما يتضمنان صفتين من صفات الكمال وهما: العلم والحكمة، فيجب إثباتهما لله عز وجل، ولهاتين الصفتين الجليلتين آثار يجب أيضًا إثباتها والإيمان بها.

أما صفة العلم فالأدلة على إثباتها لله – عز وجل – في الكتاب والسنة لا تكاد تحصى كثرة، وأنه – سبحانه وتعالى – يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون[٢]، ويعلم الكلِّيات[٣] والجزئيات[٤] والموجودات والمعدومات والمقدَّرات[٥]، والواجبات[٦] والممكنات[٧] والممتنعات[٨].

---

[١] العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله الجديع (ص: ٤١٨– ٤١٩).

[٢] انظر: جامع الرسائل (١/ ١٨٣)، والرد على المنطقيين (٢/ ١٩٢– ١٩٣)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٢٨٦).

[٣] من أدلة ذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال: ٧٥].

[٤] من أدلة ذلك قوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: ٥٩] .

[٥] مثل المذكور في قوله تعالى: {بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: ٢٨].

[٦] مثل: علمه سبحانه بذاته الكريمة وأسمائه المقدسة وصفاته الجليلة، فإنها من الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها. انظر: التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص: ٤٦).

[٧] «وهي التي يجوز وجودها، وعدمها، ما وجد منها، وما لم يوجد، وما لم تقتض الحكمة إيجاده». التوضيح المبين للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص: ٤٦– ٤٧).

[٨] «يعلمها حال امتناعها، ويعلم ما يترتب عليها لو وجدت، كما قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون: ٩١]». التوضيح المبين للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص: ٤٦).

فعلمه – سبحانه – من أوسع الصفات تعلُّقًا إذ هو يتعلق بكل شيء، فهو محيط بجميع الأزمان حاضرها وماضيها ومستقبلها، ولعلمه – تعالى – عمومُ التعلق، سواءٌ ما تعلَّق بذاته المقدسة وأسمائه وصفاته وأفعاله، أو ما تعلَّق بمخلوقاته من أعيان وأوصاف وأفعال وأحوال وحركات وسكنات وأرزاق وآجال وعواقب.

والعلم بالنسبة لله – جل شأنه – صفة ذاتية ثبوتية أزلية أبدية[1]، وهو إحدى مراتب القدر التي لا يصح الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها جميعًا.[2]

وهو سبحانه يعلم الشيء بعلمه السابق قبل وجوده، أي يعلم أنه سيكون، ثم يعلمه كائنًا وموجودًا إذا وجد بعلم آخر، وهذا العلم الثاني لا يعارض العلم الأول، بل يؤيده ويصدقه، وإنما يختلف عنه في المتعلَّق، إذ الأول متعلق بالشيء قبل وجوده، والثاني متعلق بالشيء بعد وجوده، وليس علمه الثاني والأول واحدًا[3]، فالعقل والقرآن يدلان على أن علمه تعالى بالشيء بعد فعله قدْرٌ زائدٌ عن العلم الأول[4]، وتسمية ذلك تغيرًا أو حلولاً لا يمنع من القول به ما دام دالاًّ على الكمال لله تعالى من غير نقص، وما دامت أدلة الكتاب والسنة تعضده.[5]

إذن علم الله تعالى نوعان:

الأول: علم أزلي سابق على الأشياء قبل وجودها، وهو علم مطلق عام لا يخرج عنه شيء، وهو صفة ثابتة لله – عز وجل – لا يتجدد، ولا يطرأ عليه حدوث، ولا يسبقه جهل.

الثاني: علم مُتجدِّد متعلق بالأشياء بعد وجودها، وهو صفة راجعة إلى باب الصفات الاختيارية، لا يسبقه جهل، بل يسبقه علم أزلي، وهو لا يعارض الأول، بل هو مطابق له.

---

[1] **الصفات الذاتية**: هي التي لا تنفك عن الذات. **الصفات الثبوتية**: هي صفات تثبت لله تعالى الكمال المطلق. **الأزلية**: التي لا نهاية لأولها. **الأبدية**: التي لا نهاية لآخرها. قال شيخ الإسلام في درء التعارض (١/ ٥١٣): «فكما أن الأبد هو الدوام في المستقبل؛ فالأزل هو الدوام في الماضي، فكما أن الأبد لا يختص بوقت دون وقت؛ فالأزل لا يختص بوقت دون وقت، فالأزلي هو: الذي لم يزل كائنًا، والأبدي هو: الذي لا يزال كائنًا، وكونه لم يزل ولا يزال معناه: دوامه وبقاؤه الذي ليس له مبتدأ ولا منتهى».

[2] انظر: شفاء العليل لابن القيم (ص: ٧٧).

[3] انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (٢/ ٩٥٣).

[4] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٣٠٤).

[5] انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (٢/ ٩٥٤).

«وهو العلم الذي يترتب عليه المدح والذم والثواب والعقاب، والأول هو العلم بأنه سيكون، ومجرد ذلك العلم لا يترتب عليه مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب، فإن هذا إنما يكون بعد وجود الأفعال».[1]

وهذا النوع الثاني هو الذي يسميه العلماء بعلم الظهور والجزاء، سمي بعلم الظهور لظهور علم الله الأزلي بعد وقوعه، يعني ظهور حقيقة ما أخبر الله به أو علِمَ كونَه، وسمي بعلم الجزاء لترتب الجزاء – أي الثواب والعقاب – عليه.

ومن أبرز المخالفين لأهل السنة في هذه الصفة:

١- الفلاسفة: أثبتوا علم الله تعالى بالكليات وأنكروا علمه بالجزئيات، وهذا كلام متناقض لأن مضمونه: أنه يعلم ولا يعلم! ويستلزم أنه لم يخلق شيئًا ولا يعلم شيئًا من الموجودات. ثم الأدلة على علمه تستلزم علمه بالجزئيات، وليس لهؤلاء الفلاسفة ما يبطل ذلك إلا زعمهم أن ذلك يؤدي إلى تغير العلم، لكونه يعلم أن سيكون الشيء، ثم يعلم أنه قد كان، وهذا نقص في العلم، وتحول له بتحول المعلوم.

وزعمهم هذا باطل، لأن علمه أن سيكون الشيء، ثم علمه أنه قد كان؛ إنما هو علم للشيء على ما هو عليه، فإنه تعالى علمه معدومًا لما كان موجودًا، وعلم أنه سيوجد، ثم لما وجد علمه موجودًا، ثم إذا عدم بعد ذلك علم أن قد كان ثم عدم. فهذا هو العلم المطابق للمعلوم، وما سوى ذلك فهو جهل لا علم.[2]

٢- القدرية الغلاة: وهم القدرية الأولى الذين أنكروا علم الله السابق بالأمور، كانوا يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف، أي مستأنف لم يسبق لله تعالى فيه علم، وأن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها.[3] بحجة أن علمه تعالى بأفعال خلقه قبل وقوعها يفضي إلى الجبر. وقولهم هذا معلوم البطلان بالضرورة في جميع الأديان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا القول مهجور باطل، مما اتفق على بطلانه سلف الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين، بل كفَّروا مَن قاله، والكتاب والسنة مع الأدلة العقلية تبين فساده».[4]

---

[1] مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٩٦).

[2] انظر: درء التعارض لابن تيمية (٤/ ٥٦٢) وقد فصل الرد عليهم في هذا المصدر.

[3] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ١٥٢).

[4] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٩١).

وذكر أبو الحسن الأشعري أن كثيرًا من الروافض ينكرون أن يكون الباري لا يزال عالمًا قادرًا.[1] وهذا موافقة منهم للقدرية الأولى.

٣- المعتزلة: وهم القدرية الثانية، أو متأخرو القدرية، وقد سبق معنا أن المعتزلة يثبتون الأسماء في الجملة وينكرون الصفات، فهم هنا أيضًا يثبتون لله - عز وجل - اسم العالم أو العليم مع نفيهم صفة العلم، فيقول أكثرهم: إن الله عليم لا بعلم. وأطلقوا أن لله علمًا بمعنى أنه عالم، لا بمعنى أنه متصف بالعلم. ويقول بعضهم: إنه عالم بعلم هو ذاته، أي أن علم الله هو الله!. ويقول بعضهم: إن له علمًا بمعنى معلوم. ويقول بعضهم: معنى أن لله علمًا أنه ليس بجاهل، وكذلك يقولون في باقي الصفات: قادر بمعنى أنه ليس بعاجز، حي بمعنى أن ليس بميت، وهكذا، أي أنهم يصفونه بصفات السلب دون صفات الثبوت.[2]

٤- الجهمية: قالوا: إن علم الله محدَث، وإنه هو أحدثه فعلم به، وإن عِلْمَ الله غيرُ الله، وإنه لا يعلم ما يكون حتَّى يكون، وقد يجوز عندهم أن يكون الله عالماً بالأشياء كلها قبل وجودها بعلم يحدثه قبلها.[3]

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن المتكلمين كأبي المَعَالِي حَكَوا عن جهم أنَّه «ذهب إلى إثبات علوم حادثة لله تعالى، وقال: البارىء عالم لنَفسِه، وقد كان في الأزل عالماً بِنَفسِه وبما سيكون، فإذا خلق العالم وتجدَّدت المعلومات؛ أحدث لنفسه علومًا بها يعلم المعلومات الحادثة، ثمَّ العلوم تتعاقب حسب تعاقب المعلومات في وُقوعها، متقدّمةً عليها، أي العلوم متقدّمة على الحوادث، وذكروا أنه قال: إنها في غير مَحَل».[4]

٥- الكلابية والأشاعرة ومن وافقهم: قالوا: إن الله تعالى «يعلم المستقبلات بعلم قديم لازم لذاته، ولا يَتَجَدَّد له عند وجود المعلومات نعتٌ ولا صفة، وإنما يَتَجَدَّد مُجَرّد التعَلُّق بين العلم والمعلوم».[5]

---

[1] انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٨) و (٢/ ١٨١- ١٨٤)، وفصل آراءهم في العلم في الموضع الثاني.

[2] انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٤٤- ٢٤٧) و (٢/ ١٧٧- ١٨١)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ١١٤) و (ص: ١٢٧).

[3] انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨) و (٢/ ١٨٤- ١٨٥)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ١١٤) و (ص: ٢١١- ٢١٢)، والتبصير في الدين للإسفراييني (ص: ١٠٨).

[4] جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ١٧٩).

[5] المرجع السابق (١/ ١٧٧).

وقولهم هذا مبني على نفيهم لحلول الحوادث؛ لأنه يلزم من ذلك – عندهم – التغير في ذات الله.[1]

وأما صفة الحكمة فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إجماع المسلمين على أن الله تعالى موصوف بالحكمة وإن تنازعوا في تفسير ذلك.[2]

فله سبحانه «الحكمة العليا في خلقه وأمره، فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئًا سدًى ... والحكيم: الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات ... فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

وحكمته نوعان:

أحدهما: الحكمة في خلقه، فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق ...

الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجل من هذا، وأي فضل وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق ...

فالحكيم متعلقاته: المخلوقات والشرائع، وكلها في غاية الإحكام، فهو الحكيم في أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية».[3]

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أن الحكمة تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إلى الله عز وجل، فهو يحبها ويرضاها.

والثاني: حكمة تعود إلى عباده، فهي نعمة عليهم، يفرحون بها، ويلتذون بها، وهذا في المأمورات وفي المخلوقات.[4]

---

[1] انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٢/ ٩٥٢).

[2] انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ١٤١).

[3] انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ١٨٦– ١٨٨).

[4] انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥– ٣٦).

وقد سبق بيان أن أفعال الله تعالى كلها مبنية على الحكمة، قد نعلم بعضها إجمالاً وقد لا نعلمه، وأما تفصيل حكمة الله في خلقه وأمره فيعجز عن معرفتها عقول البشر، وليس على العباد أن يعلموا تفاصيل حكمة الله تعالى، بل يكفيهم العلم العام والإيمان التام.[1]

وتعددت أقوال المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة إلى أقوال ثلاثة، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى[2] فقال:

«ولأهل الكلام هنا ثلاثة أقوال لثلاث طوائف مشهورة ... :

القول الأول: قول من نفى الحكمة، وقالوا هذا يفضي إلى الحاجة؛ فقالوا: يفعل ما يشاء لا لحكمة، فأثبتوا له القدرة والمشيئة وأنه يفعل ما يشاء – وهذا تعظيم – ونفوا الحكمة لظنهم أنها تستلزم الحاجة. وهذا قول الأشعري وأصحابه ومن وافقهم ... وهذا القول في الأصل قول جهم بن صفوان ومن اتبعه من المجبرة ...

والقول الثاني ... : أنه يخلق ويأمر لحكمة تعود إلى العباد، وهو[3] نفعهم والإحسان إليهم، فلم يخلق ولم يأمر إلا لذلك. وهذا قول المعتزلة وغيرهم ...

والقول الثالث: قول من أثبت حكمة تعود إلى الرب، لكن بحسب علمه. فقالوا: خلقهم ليعبدوه ويحمدوه ويثنوا عليه ويمجدوه، وهم من خلقه لذلك، وهم من وجد منه ذلك فهو مخلوق لذلك، وهم المؤمنون. ومن لم يوجد منه ذلك فليس مخلوقًا له. قالوا: وهذه حكمة مقصودة وهي واقعة، بخلاف الحكمة التي أثبتتها المعتزلة، فإنهم أثبتوا حكمة هي نفع العباد ... قالوا: وقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] هو مخصوص بمن وقعت منه العبادة، وهذا قول طائفة من السلف والخلف ... فمن خلق للشقاء ولجهنم لم يخلق للعبادة. قلت: قول هؤلاء الكرامية ومن وافقهم، وإن كان أرجح من قول الجهمية والمعتزلة فيما أثبتوه من حكمة الله، وقولهم في تفسير الآية إن وافقوا فيه بعض السلف؛ فهو قول ضعيف مخالف لقول الجمهور ولما تدل عليه الآية، فإن قصد العموم ظاهر في الآية وبيِّنٌ بيانًا لا يحتمل النقيض، إذ لو كان المراد المؤمنين فقط لم يكن فرق بينهم وبين الملائكة؛ فإن

[1] انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣/ ١٧٧ و ١٩١).

[2] انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧- ٤١).

[3] هكذا في الأصل بالتذكير، ولعل الصواب: وهي. بالتأنيث أي الحكمة التي تعود إلى العباد.

الجميع قد فعلوا ما خلقوا له، ولم يذكر الإنس والجن عمومًا. ولم تذكر الملائكة مع أن الطاعة والعبادة وقعت من الملائكة دون كثير من الإنس والجن. وأيضًا فإن سياق الآية يقتضي أن هذا ذم وتوبيخ لمن لم يعبد الله منهم؛ لأن الله خلقه لشيء فلم يفعل ما خلق له».

المبحث الثالث

رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من الرؤيا

المبحث الثالث

رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها:

قال الله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [الأنفال: ٤٣، ٤٤].

إن غزوة بدر الكبرى هي أول لقاء مسلَّحٍ قاتَلَ فيه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – المشركين، وهي معركة عظيمة فرق الله بها بين الحق والباطل، وأعز بها الإسلام وأهله، وأذل الكفر وأهله، ولم يكن الجيشان متكافئين من حيثُ العَدَدُ والعُدَدُ والتأهُّب، فالمسلمون كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، معهم فَرَسان اثنان فقط، وسبعون بعيرًا يعتقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، ولم يتأهَّبوا للقتال ولم يتوقعوا حدوثه، بل خرجوا يريدون اعتراض عيرٍ لقريش قادمة من الشام، بينما كان جيش المشركين ألف مقاتل، معهم مائة فرس، وستمائة درع، وجِمالٌ كثيرة لا يُعرف عددها بالضبط، وقد خرجوا متأهبين للقتال حانقين على المسلمين عازمين على إبادتهم، ولكن الأمر كما قال الله عز وجل: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ} [آل عمران: ١٦٠]، وإذا أراد الله تعالى نصرة عباده هيأ لهم أسباب النصر، ومن هذه الأسباب في غزوة بدر تلك الرؤيا التي أراها الله – جل جلاله – نبيَّه صلى الله عليه وسلم، فرفع بها معنويات الجيش الإسلامي، وقوّى بها عزائمهم على القتال، حيث أرى نبيَّه المشركين في منامه قليلاً، فكان ذلك تثبيتًا لهم، وتشجيعًا لهم على حرب عدوهم.

قال تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا} وهذا اللفظ ظاهر في كون هذه الرؤيا منامية، وإليه ذهب جمهور المفسرين[1]، ويُنسب إلى الحسن البصري القولُ بأنها رؤيا بصرية،

[1] انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٩– ٥٧٠) فقد أسنده إلى مجاهد بسند صحيح وسيأتي، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٢٣) ونسبه إلى الجمهور، والتفسير البسيط للواحدي (١٠/ ١٧٤) ونسبه إلى مجاهد والكلبي ومقاتل وأكثر أهل التفسير.

وأن معنى قوله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ} أي في عينك التي تنام بها[1]، ونسبه الزجاج إلى كثير من النحويين، وقال: «ومعناه عندهم: إذ يريكهم الله في موضع منامك، أي بِعَيْنك ثم حذف الموضِع، وأقام المقام مكانه، وهذا مَذْهَبٌ حسن».[2]

ولعل الحامل لهم على القول بأنها رؤية عين هو كون رؤيا الأنبياء حقًّا ووحيًا، فلا بدَّ أن تكون موافقة للواقع، والواقع هنا مخالف للرؤيا؛ إذ كان عدد المشركين ضعفي عدد المسلمين أو يزيدون.

والصواب هو القول الأول، والقول الثاني ضعيف لعدة أوجه:

١- أن قوله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا}صريح في كون الرؤيا منامية، وتأويلها برؤية العين عدول عن ظاهر النص القرآني بلا حجة.

٢- أن الله تعالى ذكر هنا رؤيتين، قيد كل واحدة بما يميزها عن الأخرى، فقال في الأولى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا} قيدها بالمنام، وقال في الثانية: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا} قيدها بالأعين، فدل هذا على أن هذه رؤية الالتقاء، وأن تلك رؤية النوم.[3]

٣- أنه ورد في الآثار ما يؤيد كون الرؤيا هذه منامية، فقد روى الطبري وابن أبي حاتم بسند صحيح عن مجاهد - رحمهم الله - أنه قال في قوله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا}: «أراه الله إياهم في منامه قليلاً، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بذلك، فكان تثبيتًا لهم».[4]

فإن قيل: كيف صحّ أن يُرِيَ الله نبيَّه خلافَ الواقع ورؤيا الأنبياء حقٌّ ووحي؟

فقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة منها:

---

[1] أخرجه عنه: ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٠٩ رقم: ٩١١٩)، وفي سنده: سهل السراج، قال الحافظ في التقريب (١/ ٣٢٤ رقم: ٢٩٤٤): «صدوق له أفراد، كان القطان لا يرضاه». وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٩) وقال: «وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام هاهنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه». وذكره الزمخشري في تفسيره (٢/ ٢١٣) وقال: «وهذا تفسير فيه تعسف، وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن، وما يلائم علمَه بكلام العرب وفصاحته».

[2] معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤١٩) ومع استحسانه لهذا المذهب رجح القول الأول لدلالة السنة والعربية على رجحانه.

[3] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤١٩).

[4] انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٠٩ رقم: ٩١١٨).

١- أن المراد بالقلة هنا قلة القدر والبأس والنجدة، وأنهم مهزومون مصروعون، ولا يحمل على قلة العدد؛ لأن رؤياه - صلى الله عليه وسلم - حق، وقد كان علم أنهم ما بين التسعمائة إلى الألف، وأخبر بذلك أصحابه[١]، فلا يمكن حمل ذلك على قلة العدد.[٢]

٢- أنه - صلى الله عليه وسلم - رآهم قليلاً عددهم في المنام، فكان تأويل رؤياه في اليقظة انهزامهم.[٣]

قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «فإن قلتَ: كيف يصح مع هذا أن تكون رؤيا الأنبياء حق[٤]، وأنها ضرب من الوحي؟ قلتُ: قد تقدم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قدَّر عدد المشركين بألف، وأخبر أصحابه بذلك مع أن عددهم (٣١٣)، ولكنه أخبرهم مع هذا أنه رآهم في منامه قليلاً لا أنهم قليل في الواقع، فالظاهر أنهم أولوا الرؤيا بأن بلاءهم يكون قليلاً، وأن كيدهم يكون ضعيفًا، فتجرؤوا وقويت قلوبهم».[٥]

ثم بين الله تعالى الحكمة من إراءته المشركين قليلاً في منام نبيه - صلى الله عليه وسلم - فقال: {وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} [الأنفال: ٤٣]. أي: ولو أراك الله الأعداء في منامك كثيرًا فأخبرت بذلك أصحابك لتهيبتم الإقدام عليهم، ولجبنتم عن لقائهم، لكثرة عددهم، ولاختلفتم في أمر الإقدام عليهم والإحجام عنهم، فمنكم من يرى هذا ومنكم من يرى ذلك، ولكن الله - جلت قدرته - بفضله وإحسانه أنعم عليكم بالسلامة من الفشل والتنازع وتفرق الآراء في شأن القتال؛ حيث ربط على قلوبكم، ورزقكم الجرأة على أعدائكم وعدم المبالاة بهم بسبب رؤيا نبيكم صلى الله عليه وسلم، ثم ذيل الله - عز وجل - الآية الكريمة بقوله: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} للإشارة إلى شمول علمه سبحانه، أى: إنه - سبحانه - عليم بكل ما يحصل في القلوب وما يخطر بها من شجاعة وجبن.[٦]

---

[١] أخرجه: ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٥٦ رقم: ٣٦٦٧٩)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٩ رقم: ٩٤٨) من حديث علي رضي الله عنه، وقال محققوه: إسناده صحيح.

[٢] انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٥٣٥)، والبحر المحيط في التفسير لابن حيان (٥/ ٣٣٠).

[٣] انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٥٣٥).

[٤] كذا في الأصل، والصواب: حقًّا بالنصب خبرًا لـ "تكون".

[٥] تفسير المنار (١٠/ ١٨).

[٦] تفسير المنار (١٠/ ١٨).

ثم بين تعالى أنه صدّق رؤيا نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأن أرى المؤمنين أعداءَهم قليلاً رؤية عين، ليتشجعوا على قتالهم، كما أنه تعالى قلّل المؤمنين في أعين أعدائهم ليغريهم على خوض المعركة معتمدين على غرورهم وبطرهم وقلة المؤمنين في أعينهم، فيتركوا الاستعداد اللازم لقتال المؤمنين، فتكون الدائرة عليهم، ويكون ذلك آية للمشركين، ومنبهًا لهم على نفاذة قدرة الله تعالى[1].

قال تعالى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [الأنفال: ٤٤].

وفي شأن تقليل المشركين في أعين المؤمنين يُروى عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: «لقد قُلِّلُوا في أعيننا يوم بدر حتى قلتُ لصاحبٍ لي إلى جنبي: كم تراهم؟ تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة. حتى أخذنا منهم رجلاً فسألناه، فقال: كنا ألفًا».[2]

وفي شأن تقليل المؤمنين في أعين المشركين، واغترار المشركين؛ بذلك روى ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا جهل قال في غزوة بدر يقلِّل المسلمين: «وقد عَلِمَ (يعني عتبة ابن ربيعة) أن محمدًا وأصحابه أكلة جزور لو قد التقينا».[3]

وتقليل المسلمين في أعين المشركين كان في أول الأمر، فلما نشب القتال وحمي الوطيس، وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين؛ كثُر المسلمون في أعينهم، وصاروا يرونهم مثليهم، كما قال تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} [آل عمران: ١٣].[4]

---

[1] انظر: زاد المسير لابن الجوزي (ص: ٥٥٦).

[2] أخرجه: ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٦٠ رقم: ٣٦٦٩٨)، وإسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية للحافظ ابن حجر (١٧/ ٣١٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٤٠ رقم: ٦٦٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٤٧ رقم: ١٠٢٦٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٦٧) كلهم من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه به. قال الحافظ ابن حجر في الموضع المشار إليه من المطالب العالية: «هذا إسناد صحيح، إن كان أبو عبيدة سمعه من أبيه، فقد اختلف في سماعه منه».

[3] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٥٥ رقم: ٣٦٦٧٨) عن يزيد بن هارون عن جرير بن حازم عن أخيه يزيد بن حازم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس به، وهذا إسناد ظاهره الصحة؛ فإن رجاله كلهم ثقات سمع بعضهم من بعض، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٩٩) وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات».

[4] انظر: التفسير البسيط للواحدي (١٠/ ١٧٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٧٠).

وبين – سبحانه – الحكمة من هذه التدابير بقوله جل شأنه: {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} أي: أمرًا كائنًا وواقعًا لا محالة، وهو نصره – عز وجل – للمؤمنين، وزرع هيبتهم في قلوب أعدائهم، وخذلانه الكافرين وقتل قادتهم؛ ليشفي صدور قوم مؤمنين.

ثم ذيل الآية بقوله تعالى: {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}، قال ابن جرير رحمه الله: «يقول جل ثناؤه: مصير الأمور كلها إليه في الآخرة، فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم؛ المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته».[1]

---

[1] تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٣).

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر:

المسألة الأولى: سنة الله – جل شأنه – في نصرة أنبيائه ورسله والمؤمنين.

فقد نصر الله – عز وجل – في هذه المعركة الفاصلة رسوله محمدًا – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين مع قلتهم وكثرة أعدائهم، كما جرت بذلك سنته تعالى مع أنبيائه ورسله والمؤمنين من عباده، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: ١٧١- ١٧٣]، وقال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١]، وقال تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١].

«فهذا وعد من الله واقع لا محالة، وكلمة الله باقية إلى قيام الساعة، وهذا الوعد متحقق في كل دعوة أخلص فيها جندها وتجردوا من الشهوات، فلهم الغلبة والتمكين مهما رصدت قوى الشر من قوى الحديد والنار، أو قوى الدعاية والافتراء، أو قوى الحرب والمقاومة، فمهما وضعت في سبيلها العوائق، وقامت في طريقها العراقيل، فما هي إلا معارك تختلف نتائجها ثم تنتهي إلى الوعد الذي وعده الله لرسله وجنده، وهذا الوعد سنة ماضية كتعاقب الليل والنهار، ولا يقتصر هذا الوعد على صورة من صور النصر، بل هو شامل لجميع صوره، سواء كان ذلك بجهاد أعدائهم والقيام بأمر الله في قتالهم، أو كان بدحض شبهاتهم وكشف مفترياتهم، فالحق غلاّب والباطل خلاّب، ولقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة، ويريد الله صورة أخرى أكمل وأبقى، فيكون ما يريد الله».[١]

وهذا الوعد الإلهي يتحقق لأهل التوحيد كما أخبر بذلك في قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥].

قال الشنقيطي رحمه الله: «وقد حقق العلماء أن غلبة الأنبياء على قسمين: غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميعهم، وغلبة بالسيف والسنان، وهي ثابتة لخصوص الذين أمروا منهم

---

[١] التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات للدكتور محمد الهبدان (ص: ٦٦).

بالقتال في سبيل الله؛ لأن من لم يؤمر بالقتال ليس بغالب ولا مغلوب؛ لأنه لم يغالب في شيء، وتصريحه تعالى بأنه كتب: إن رسله غالبون؛ شامل لغلبتهم من غالبهم بالسيف، كما بينا أن ذلك هو معنى الغلبة في القرآن، وشامل أيضًا لغلبتهم بالحجة والبيان، فهو مبين أن نصر الرسل المذكور في قوله: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ...} الآية [غافر: ٥١]، وفي قوله: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} [الصافات: ١٧١- ١٧٢] أنه نصر غلبة بالسيف والسنان للذين أمروا منهم بالجهاد؛ لأن الغلبة التي بيّن أنها[1] كتبها لهم أخص من مطلق النصر؛ لأنها نصر خاص، والغلبة لغة: القهر، والنصر لغة: إعانة المظلوم، فيجب بيان هذا الأعم بذلك الأخص».[2]

المسألة الثانية: إثبات صفة العلم لله عز وجل، وأنه تعالى عليم بذات الصدور، وأن علمه - جل شأنه - شامل لما لم يكن لو كان كيف يكون، فإنه تعالى لم يُرِ نبيَّه المشركين في منامه كثيرًا، ومع ذلك علم لو أنه أراه إياهم في منامه كثيرًا لتسبَّبَ عن ذلك الفشلُ والتنازعُ في الأمر، فسلَّمهم من ذلك، كما قال تعالى: {وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الأنفال: ٤٣]. وقد سبق مزيد بيان لهذه المسألة.

المسألة الثالثة: أن أفعال الله تعالى مبنية على الحكمة، حتى في تقديره ما ظاهره مخالف للواقع، فإنه سبحانه أرى نبيَّه المشركين في منامه قليلاً، مع أنهم في الواقع أضعاف المسلمين، وذلك لحكمة بينها بقوله: {وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الأنفال: ٤٣]. وكذلك في اليقظة حيث قلل كل فريق في عين الآخر لحكمة {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [الأنفال: ٤٤].

قال ابن الوزير رحمه الله: «وقد دل السمع على أن إرادة الله وقوعَ[3] بعض الاعتقادات غير المطابقة لحكمة ومصلحة، كقوله تعالى: {إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال: ٤٤]».[4] وقد سبق مزيد بيان لهذه المسألة.

---

(١) هكذا في الأصل، وقد راجعتها على عدة نسخ مطبوعة، ويبدو لي أن الأولى التذكير (أنه).

(٢) أضواء البيان (١/ ٢٢٨).

(٣) منصوب؛ لأنه مفعول المصدر المضاف: (إرادة الله)، وخبر أنَّ: لحكمة.

(٤) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٦/ ٣٥١).

المسألة الرابعة: إثبات القضاء والقدر. وذلك في قوله جل وعلا: {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [الأنفال: ٤٤].

قال الشنقيطي – رحمه الله – معلقًا على هذه الآية: «{لِيَقْضِيَ اللَّهُ} بذلك {أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً} في علمه وأزله، منفَّذًا في وقته لا محالة؛ لأن الله – جل وعلا – يقضي ويقدّر، فيقدّر كل ما شاء ثم يقضيه مُنْجَزًا في أوْقَاتِهِ في أماكنه على هيئته وصوره التي سبق بها علمه جل وعلا، ولذا قال: {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً}».(١)

وقال تلميذه الشيخُ عطية بن محمد سالم رحمه الله: «وأهم ما في الأمر هو جري الأمور على مشيئة الله، وقد جاء موقفٌ عمليٌّ في قصة بدر، يوضح حقيقة القدر، ويظهر غاية العبر، في قوله تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الأنفال: ٤٣]. فهو تعالى الذي سلَّم من موجبات التنازع والفشل بمقتضى علمه بذات الصدور. ثم قال: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [الأنفال: ٤٤] فقد أجرى الأسباب على مقتضى إرادته، فقلَّل كلاًّ من الفريقين في أعين الآخر؛ ليقضي الله أمرًا كان في سابق علمه مفعولاً، ثم بين المنتهى: {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} والعلم عند الله تعالى».(٢)

والقضاء والقدر: «هو تقدير الله تعالى الأشياءَ في القِدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلْقُه لها».(٣)

والإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة المنصوص عليها في قوله – صلى الله عليه وسلم – لجبريل حين سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».(٤)

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٥/ ٧٣).

(٢) أضواء البيان (٨/ ٢١٢) من هذا الجزء الذي يبدأ بسورة الحشر إلى نهاية الكتاب هو من تتمة الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله؛ لأن شيخه محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – توفي قبل أن يتم تفسيره.

(٣) القضاء والقدر للدكتور عبد الرحمن المحمود (ص: ٣٩– ٤٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، وعلامة الساعة (١/ ٣٧ رقم: ٨).

وللإيمان بالقضاء والقدر ثمرات عظيمة وآثار كبيرة على الفرد والمجتمع[1]، منها أنه يبعث في القلوب الشجاعة على مواجهة الشدائد، وخوض الصعاب، ويقوي فيها العزائم، فتثبت في ساحات الجهاد ولا تخاف الموت؛ لأنها توقن أن الآجال محددة لا تتقدم ساعة ولا تتأخر، وأنه لن يصيبها إلا ما كتب الله لها، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروا أحدًا بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، رفعت الأقلام، وجفت الصحف بذلك.

ولما كانت هذه العقيدة راسخة في قلوب المؤمنين ثبتوا في ميادين القتال، وضربوا أروع الأمثلة في الثبات والصمود والبطولة ومواجهة الأعداء مهما كان عَدَدُهم وعُدَدُهم.

ولقد ظهر هذا الأمر جليًّا في غزوة بدر، فإن المؤمنين لم يقاتلوا فيها الكفار بعَدَدٍ ولا بعُدَّة، وإنما قاتلوهم بهذا الإيمان الراسخ وبهذه العقيدة الصامدة. قال تعالى في هذا الشأن: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: ١٧].

ومن تلك الثمار والآثار أيضًا: أنه يحمل النفوس على الرضا والطمأنية وتقبُّل المصائب والمحن دون جزع وسخط، لعلمها بأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن الله العليم الحكيم الرحيم الودود هو من قدَّر عليها ذلك، وهو أعلم بما يصلحها، وله في ذلك حكمة ربما تجهلها، وأن الخير فيما اختاره الله لها.

وهذا الأثر أيضًا ظاهر في غزوة بدر، فإن المؤمنين حينما واجهوا المشركين على غير موعد، ولا استعداد للقتال، وكانوا لا يودون القتال بهذا الوضع، حتى إن فريقًا منهم كرهوا القتال بهذه الحال، وصاروا يجادلون النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك، فلما تبين لهم أن هذا هو مراد الله وقضاؤه وقدره؛ استسلموا لأمر الله، ورضوا بقضائه وقدره، واطمأنوا لنصره، ورغبوا فيما عنده، وانشرحت صدورهم لقتال الكفار، وقويت عزائمهم، وعلموا أن الخير فيما اختاره الله تعالى لهم، وأنه مادام هذا هو ما يريده الله لهم فإنه تعالى لن يضيعهم ولن يخذلهم.

---

[1] انظر: القضاء والقدر للأشقر (ص: ١٠٩- ١١٢)، والقضاء والقدر للمحمود (ص: ٤٤٧- ٤٥٨).

المبحث الرابع

رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – قبل صلح الحديبية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها.

المطب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من الرؤيا.

المبحث الرابع

رؤيا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل صلح الحديبية

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها:

قال الله عز وجل: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ٢٧].

في شهر ذي القعدة[١] من السنة السادسة للهجرة النبوية[٢] خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - مع ألف وثلاثمائة[٣]، وقيل: وأربعمائة[٤]، وقيل: وخمسمائة[٥] من أصحابه، قاصدين بيت الله الحرام بالعمرة، وذلك إثر رؤيا رآها النبي - صلى الله عليه وسلم - وحدث بها أصحابه رضي الله عنهم، رأى أنه وأصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا واستبشروا[٦]، لعلمهم بأن رؤيا الأنبياء

---

[١] انظر: صحيح البخاري (٢/ ٦٣٠ رقم: ١٦٨٧)، وصحيح مسلم (٢/ ٩١٦ رقم: ١٢٥٣).

[٢] انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٥٥٨ رقم: ٨٧٠٧).

[٣] انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٥٢٦ رقم: ٣٩٢٤)، وصحيح مسلم (٣/ ١٤٨٥ رقم: ١٨٥٧).

[٤] انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٥٢٦ رقم: ٣٩٢٣)، وصحيح مسلم (٣/ ١٤٨٣ رقم: ١٨٥٦).

[٥] انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٥٢٦ رقم: ٣٩٢١)، وصحيح مسلم (٣/ ١٤٨٤ رقم: ١٨٥٦). قلت: الأشهر والذي عليه الأكثر: ألف وأربعمائة، وإليه مال ابن القيم في الزاد (٢٨٨/٣)، وسمعت شيخنا الإمام ابن باز - رحمه الله - في دروسه الصيفية بالطائف معلقًا على تفسير ابن كثير سورة الفتح الآية العاشرة يقول: الصواب أنهم كانوا بين الأربعمائة والخمسمائة بعد الألف، أي كانوا أربعمائة وكسرًا، فبعض أهل السير جبر الكسر فقال: خمسمائة، وبعضهم رفع الكسر فقال: أربعمائة. قلت: ويؤيد ما ذهب إليه شيخنا - رحمه الله - حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - في البخاري (١٥٢٥/٤ رقم: ٣٩٢٠) قال: كانوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة أو أكثر.

[٦] قال ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٢٥٧) حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعًا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: {الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ} قال: «أُرِيَ بالحُديبية أنه يدخل مكة و أصحابه محلقين، فقال أصحابه حين نحر بالحُديبية: أين رؤيا محمد صلى الله عليه وسلم؟!». قلت: وهذا إسناد لا يقل عن رتبة الحسن، فرجاله كلهم ثقات إلا محمد بن عمرو في الطريق الأولى، وهو العتكي أبو جعفر البصري فإنه صدوق كما في التقريب (٢/ ٢٠٤ رقم: ٦٩٦٤)، والحارث في الطريق الثانية، وهو ابن محمد ابن أبي أسامة التميمي صاحب المسند، ذكره الذهبي - رحمه الله - في ميزان الاعتدال (١٧٨/٢) ورمز له بـ [صح] وقال: «كان حافظًا عارفًا بالحديث، عالي الإسناد بالمرة، تكلم فيه بلا حجة. قال الدارقطني: قد اختلف فيه، وهو عندي صدوق. وقال ابن حزم: ضعيف. ولينه بعض البغاددة لكونه يأخذ على الرواية». =

حق ووحي كما أسلفنا، فخرجوا مُحْرِمين مُلَبِّين سائقين معهم الهدي قاصدين البيت الحرام، حتى بلغوا الحديبية فنزلوا بها، ثم أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يبلغ قريشًا أنهم إنما جاؤوا عُمّارًا ولم يأتوا مقاتلين، فأبت قريش أن يعتمر المسلمون في عامهم ذلك، فصالحهم النبي - صلى الله عليه وسلم - على أن يرجعوا هذه السنة ويعتمروا من السنة المقبلة، وأمر أصحابه بأن ينحروا ويحلقوا ويرجعوا[1]، فجاء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقال: أولستَ كنتَ تحدِّثُنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتُكَ أنكَ تأتيه العام؟». قال: لا. قال: «فإنكَ آتيه ومطَّوِّفٌ به».[2]

فلما رجعوا ولم يدخلوا مكة تكلَّم المنافقون وقالوا: أين رؤياه التي رأى؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[3]، فتيقن المؤمنون أنها رؤيا حق، وأن موعود الله تعالى فيها سيتحقق لا محالة، فكان أن دخلوها في العام المقبل آمنين، فطافوا بالبيت وسعوا وحلقوا وقصروا، وكانت هذه هي عمرة القضاء أو القضية[4]، وبذلك تحققت رؤياه صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ} [الفتح: ٢٧]. أي: لقد أرى الله سبحانه وتعالى رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصادقة التى لا تتخلف، ولا يحوم حولها ريب أو شك، وحقق له ما اشتملت عليه من بشارات.[5]

= وكذلك ورقاء في الطريق الثانية، وهو ابن عمر اليشكري فإنه صدوق كما في التقريب (٢/ ٣٣٦ رقم: ٨٣٣٧) وقد تابعه عيسى بن ميمون الجُرَشي في الطريق الأولى وهو ثقة كما في التقريب (٢/ ١٠٩ رقم: ٥٩٩٩). وأخرج أيضًا بسندين صحيحين عن قتادة نحوه، وهذه الآثار وإن كانت مرسلة إلا أنها تؤيدها آية الفتح، وحديث المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم الآتي في صحيح البخاري وفيه قول عمر رضي الله عنه: «أولستَ كنتَ تحدِّثُنا أنا سنأتي البيت ونطوف به». و في حديثهما عند الإمام أحمد (٣١/ ٢١٩ رقم: ١٨٩١٠): «وقد كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم» قال محققو المسند: إسناده حسن، محمد بن إسحاق وإن كان مدلسًا وقد عنعن، إلا أنه قد صرح بالتحديث في بعض فقرات هذا الحديث، فانتفت شبهة تدليسه.

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين (٢/ ٩٦١ رقم: ٢٥٥٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢/ ٩٧٤ رقم: ٢٥٨١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما.

[3] أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٢٥٨) بسند صحيح عن ابن زيد مرسلاً، ويؤيده ما ذكر من أحاديث.

[4] سبق تخريجه قريبًا من حديث ابن عمر عند البخاري.

[5] التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (١٣/ ٢٨٣) بشيء من التصرف.

ثم بين مضمون الرؤيا بقوله: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ} [الفتح: ٢٧]. وقد قيل في توجيه الاستثناء المذكور في الآية عدة أقوال، ويمكن اختصارها في قولين:

الأول: أن قوله تعالى: {إِنْ شَاءَ اللَّهُ} هنا من باب تحقيق الخبر وتوكيده، وليس من الاستثناء أو التعليق في شيء.(١)

الثاني: أنه استثناء، ثم اختلفوا في توجيهه على أقوال، أقربها ما يلي:

١- أن الله تعالى لما أخبر خبرًا مؤكدًا بالقسم واللام ونون التوكيد أنهم يدخلون المسجد الحرام آمنين؛ نبه بهذا الاستثناء أن ذلك لا يكون بقوتهم وإمكانياتهم المجردة، بل بمشيئة الله النافذة.(٢)

٢- أن المشركين لما منعوا المسلمين من دخول مكة عام الحديبية وصالحوهم على أن يعتمروا من العام المقبل؛ ربما يتوهمون أو يتشدقون بأن دخول المسلمين مكة عام القضاء لم يكن إلا بميشئتهم - مشيئة المشركين -، فأخبر تعالى أن ذلك ليس بمشيئة أحد بل بمشيئة الله الواحد الأحد.(٣)

٣- أن الله تعالى استثنى في وعده مع علمه بأن وعده لا يخلف، ليؤدب عباده ويعلمهم الاستثناء في وعودهم وأمورهم المستقبلة، متأدّبين بأدب الله، ومقتدين بسنته، على حد قوله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا . إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الكهف: ٢٣- ٢٤]، قال أبو العباس ثعلب: «استثنى الله فيما يعلم، ليستثني الخلق فيما لا يعلمون».(٤)

٤- أن هذا الاستثناء عائد إلى دخولهم كلهم أو بعضهم؛ لأنه تعالى علم أن بعضهم سيموت قبل تحقق هذا الوعد.(٥)

ثم بين الله تعالى الحكمة من تأخير تمكين المؤمنين من دخول مكة وما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة التي لم يكن المؤمنون يعلمونها، فقال جل ذكره: {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٥٦).

(٢) انظر: تفسير الرازي (٢٨/ ٨٧).

(٣) انظر: تفسير الرازي (٢٨/ ٨٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٥٣)، والتفسير البسيط للواحدي (٢٠/ ٣٢٣)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٨٦)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣٤٧)، والتسهيل لابن جزي (٢/ ٢٩١- ٢٩٢).

(٥) انظر: النكت والعيون للماوردي (٥/ ٣٢٢)، والكشاف للزمخشري (٣٤٧/٤)، والتسهيل لابن جزي (٢/ ٢٩٢).

فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ٢٧]. أي: علم الله تعالى ما في تأخير الدخول وعقد الصلح من الحكمة والصواب، والخير والمصلحة؛ ما لم تعلموه أنتم، فقدَّم بين يدي ذلك فتحًا قريبًا، توطئة له وتمهيدًا.[١]

وقيل: علم ما بمكة من الرجال والنساء المؤمنين، الذين لم يعلمهم المؤمنون، ولو دخلوها في ذلك العام لوطئوهم بالخيل والرَّجل، فأصابتهم منهم معرّة بغير علم، فردّهم الله عن مكة من أجل ذلك.[٢]

وقيل: علم أن دخولها إلى سنة، ولم تعلموه أنتم.[٣]

قلت: ولا مانع من أن يكون جميع ذلك داخلاً في معنى الآية، إذ لا تعارض بين هذه الأقوال، والآية تحتملها كلها.

والإشارة في قوله: {فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ} إلى دخول المسجد الحرام بالصفة المذكورة، أي: جعل من قبل دخولكم المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون: فتحًا قريبًا، واختلف في المراد بالفتح القريب هنا، فقيل: هو صلح الحديبية[٤]، وقيل: فتح خيبر[٥].

ولعل الراجح أن الآية شاملة لكل ذلك، كما صوبه ابن جرير رحمه الله.[٦]

---

[١] انظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٤٧)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٩١)، وزاد المعاد لابن القيم (٣/ ٣١٥)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٠).

[٢] تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ٢٥٨).

[٣] النكت والعيون للماوردي (٥/ ٣٢٢)، والتفسير البسيط للواحدي (٢٠/ ٣٢٤).

[٤] انظر: تفسير ابن جرير (٢٢/ ٢٥٩) وأخرجه بسنده إلى الزهري وابن إسحاق، وتفسير الثعلبي (٩/ ٦٤) وعزاه إلى أكثر المفسرين، وتفسير البغوي (٧/ ٣٢٣) وعزاه إلى الأكثرين، وتفسير ابن الجوزي (ص: ١٣٢٥) وعزاه إلى مجاهد والزهري وابن إسحاق، وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٠). وقال ابن جزي في تفسيره: (٢/ ٢٩٢) : «وهذا هو الأصح؛ لأن عمر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أفتح هو يا رسول الله؟ قال: نعم». قلت: والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجزية باب إثم من عاهد ثم غدر (٣/ ١١٦٢ رقم: ٣٠١١).

[٥] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٥٣)، وتفسير ابن جرير (٢٢/ ٢٥٩) وأخرجه بسنده إلى ابن زيد، وتفسير ابن الجوزي (ص: ١٣٢٥) وعزاه إلى ابن عباس من طريق أبي صالح وإلى عطاء وابن زيد ومقاتل.

[٦] انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ٢٥٩- ٢٦٠).

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – قبل صلح الحديبية:

المسألة الأولى: إثبات صفة المشيئة لله عز وجل، وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته جل وعلا، وذلك في قوله تعالى: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [الفتح: ٢٧]، وقد سبق تفصيل هذه المسألة.

المسألة الثانية: جواز قول: "إن شاء الله" في الأمور المتيقنة غير المشكوك فيها، بما في ذلك مسألة الإيمان، فقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على جواز الاستثناء في الإيمان، وأنه لا يلزم من ذلك الشك في الإيمان أو التردد فيه، إذ يجوز الاستثناء في الأمور المتيقنة غير المشكوك فيها.

وممن استدل بالآية على ذلك: الإمام الأوزاعي (١٥٧هـ)[١]، وعبد الله بن المبارك (١٨١هـ)[٢]، والإمام أحمد (٢٤١هـ)[٣]، وأبو بكر الآجري (٣٦٠هـ)[٤]، وابن بطة (٣٨٦هـ)[٥]، واللالكائي (٤١٨هـ)[٦]، ويحيى العمراني (٥٥٨هـ)[٧]، والحافظ عبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ)[٨]، وابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ)[٩]، ومحمد صديق خان (١٣٠٧هـ)[١٠]، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)[١١]، وغيرهم.

---

(١) أخرجه عنه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان (ص: ٣٨) من طريق محمد بن كثير وهو ابن عطاء الثقفي الصنعاني، وهو صدوق كثير الغلط كما في التقريب (٢/ ٢١١ رقم: ٧٠٣٧).

(٢) أخرجه عنه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٦٧٠) من طريق محمد بن أعين، وهو أبو الوزير المروزي خادم ابن المبارك، وهو ثقة كما في التقريب (٢/ ١٥٥ رقم: ٦٤٤٤).

(٣) أخرجه عنه الخلال في السنة (٣/ ٥٩٤ – ٥٩٦) بأسانيد صحيحة كما حكم عليها محققه الدكتور عطية الزهراني.

(٤) الشريعة (٢/ ٦٥٧).

(٥) الإبانة الكبرى (٢/ ٨٦٦).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٣٧).

(٧) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٣/ ٧٨٦).

(٨) عقيدة الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ص: ٩٢).

(٩) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٩٦).

(١٠) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص: ١٣٦).

(١١) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٤١٣).

ومسألة الاستثناء في الإيمان من المسائل المهمة التي انقسم الناس فيها إلى طرفين ووسط[1]:

الطرف الأول: هم الذين يحرّمون الاستثناء في الإيمان، وهم الجهمية والماتريدية ومن وافقهم، ممن جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا يعلمه الإنسان من نفسه، وهو التصديق والإقرار، وأن من استثنى كان شاكًّا في إيمانه، وأدَّى به ذلك إلى الكفر، لأن التصديق أمر معلوم لا تردد فيه عند تحقيقه.

ومذهبهم في هذه المسألة مبني على مذهبهم في حقيقة الإيمان، فهم يرون أن الإيمان شيء واحد[2] لا يتجزأ ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل فيه أهله، فإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز الاستثناء فيه. ولا شك أن ما بني على باطل فهو باطل، فقد دل الكتاب والسنة على تبعّض الإيمان إلى قول وعمل واعتقاد، وعلى زيادته ونقصانه وتفاضل أهله فيه، وليس هنا موضع بسط هذه الأدلة.[3]

الطرف الثاني: هم الذين يوجبون الاستثناء في الإيمان، وهم الكُلَّابية والأشاعرة ومن وافقهم، ممن قالوا: إن الإيمان هو ما يموت عليه صاحبه، وإن الإنسان إنما يكون عند الله مؤمنًا وكافرًا باعتبار الموافاة، وما قبل ذلك لا عبرة به، ولهم في ذلك مأخذان:

أحدهما: ما سبق من قولهم بأن الإيمان الحقيقي المنجي عند الله هو الإيمان الذي يوافي به العبد ربه، وذلك أمر غيبي مستقبلي لا يعلمه الإنسان؛ فلا يجوز له الجزم به، ويجب عليه الاستثناء.

وعلى هذا المعنى يحملون جميع ما ورد عن السلف من القول بالاستثناء في الإيمان ويزعمون أن هذا هو مرادهم، والحقيقة أن هذا ليس مراد السلف، ولم يستثن أحد منهم في

---

[1] استفدت هذا المبحث من الكتب التالية: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤٢٩- ٤٦٠)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٤٩٤- ٤٩٨)، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للدكتور الخميس (ص: ٤١٥- ٤٣١)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور المحمود، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر.

[2] إما المعرفة القلبية فقط كما هو مذهب الجهمية (مقالات الإسلاميين: ١/ ٢١٤ و٣٣٨)، وإما التصديق فقط كما هو مذهب الماتريدية (شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٥٩ و٤٦٢)، وإما تصديق القلب وقول اللسان كما هو مذهب المرجئة الفقهاء من أتباع الإمام أبي حنيفة رحمه الله وغيرهم (شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٥٩ و٤٦٢).

[3] انظر تفصيل الأدلة في كتاب زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر (ص: ٣٧- ٤٠) وما بعدها. وانظر أدلة أصحاب هذا القول ومناقشتها والرد عليها في: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للدكتور الخميس (ص: ٤١٥- ٤٢٧)، وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه (ص: ٥٢٤- ٥٣٢).

إيمانه لهذا الاعتبار، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد أن نقل الاستثناء في الإيمان عن جملة من السلف: «وهذا متواتر عنهم، لكن ليس في هؤلاء من قال: أنا أستثني لأجل الموافاة، وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافي به العبد ربه. بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى؛ فإن ذلك مما لا يعلمونه، وهو تزكية لأنفسهم بلا علم، كما سنذكر أقوالهم - إن شاء الله - في ذلك. وأما الموافاة؛ فما علمت أحدًا من السلف علل بها الاستثناء، ولكنْ كثير من المتأخرين يعلل بها من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم، كما يعلل بها نُظَّارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه، لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث».[1]

ودعوى أن الإيمان المعتبر عند الله هو ما يوافي عليه العبد ربه، وأنه لا عبرة به قبل ذلك؛ غير صحيحة، فإن طرد ذلك أن الكافر ليس بكافر في الحال إلا بشرط أن يموت على الكفر.[2]

ثانيهما: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظورات، وهذا لا يجزم به الإنسان من نفسه، ولو جزم لكان قد زكى نفسه، وشهد لها بأنه من المتقين الأبرار، وكان ينبغي على هذا أن يشهد لنفسه بأنه من أهل الجنة، وهذه لوازم ممتنعة.[3]

وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء بمعنى آخر كما يأتي.

والوسط: هم أهل السنة والجماعة، وهم الذين منعوا الاستثناء في الإيمان باعتبار، وأجازوه باعتبارات أخرى.

فمنعوه إذا أراد المستثني باستثنائه الشك في أصل إيمانه، وهذا لا خلاف فيه، وعليه يحمل ما ورد عن السلف من منع الاستثناء في الإيمان.

وأجازوه بالاعتبارات التالية[4]:

---

[1] مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٩).

[2] انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٩)، وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص: ٤٢٨).

[3] انظر: الإيمان لابن تيمية (ص: ١١٨)، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين (ص: ١٢٥- ١٢٦).

[4] انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر (ص:٤٦٢) وما بعدها.

١- أن الإيمان المطلق شامل لفعل كل ما أمر الله به والبعد عن كل ما نهى عنه، ولا يدعي أحد أنه جاء بذلك كله على التمام والكمال، وذلك لأن الإيمان قول وعمل، والقول كلٌّ يجزم بأنه أتى به، وأما العمل فلا، إذ الناس متفاوتون فيه تفاوتًا عظيمًا.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «إنما نصير الاستثناء على العمل لأن القول قد جئنا به».[١]

وقال الآجري رحمه الله: «هذا وطريق الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين لهم بإحسان، عندهم أن الاستثناء في الأعمال، لا يكون في القول والتصديق بالقلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان».[٢]

٢- أن الإيمان النافع هو المتقبل عند الله، وهذا أمر غيبي لا يمكن الجزم به.

قيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله: إن قومًا يقولون: إن سفيان الثوري حين كان يقول: "إن شاء الله" كان ذاك منه شك. فقال ابن المبارك: «أترى سفيان كان يسبقني في وحدانية الرب أو في محمد صلى الله عليه وسلم، إنما كان استثناؤه في قبول إيمانه وما هو عند الله».[٣]

وقد يقال: إن هذا المأخذ داخل في المأخذ الذي قبله؛ لترتب القبول على إتيان العمل على الوجه المأمور به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور، وهذا أظهر الوجوه في استثناء من استثنى منهم في الإيمان وفي أعمال الإيمان، كقول أحدهم: "أنا مؤمن إن شاء الله"، و "صليت إن شاء الله"؛ لخوف أن لا يكون أتى بالواجب على الوجه المأمور به لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق».[٤]

٣- البعد عن تزكية النفس، وليس هناك تزكية لها أعظم من التزكية بالإيمان، ولهذا قال الخليل النحوي رحمه الله: «إذا قلت: إني مؤمن، فأي شيء بقي؟!».[٥]

---

[١] السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ٣٠٩).

[٢] الشريعة للآجري (٢/ ٦٥٦).

[٣] مسند إسحاق بن راهويه (٣/ ٦٧٠).

[٤] مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩٦).

[٥] أخرجه عنه الخلال في السنة (٣/ ٥٦٨) بإسناد صحيح. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤٤٦).

وربما يدخل هذا المأخذ أيضًا في اللَّذَينِ قبله؛ فإن الإخبار عن النفس بالإيمان المطلق المقبول عند الله هو تزكية لها.

٤- أن الاستثناء يمكن أن يكون في الأمور المتيقنة غير المشكوك فيها كما جاء بذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ} [الفتح: ٢٧] فالاستثناء هنا ليس على سبيل الشك؛ لأنه سبحانه يعلم أنهم داخلون لا محالة على الصفة المذكورة، وأنه تعالى شاء دخولهم. وكان النبي – عليه الصلاة والسلام – إذا دخل المقبرة دعا للأموات وقال في دعائه: «وإنا – إن شاء الله – بكم لاحقون».[١] وهذا لا شك فيه، فإنه لا بد من اللحوق بهم.

٥- أن المرء المسلم لا يعلم بما يختم له، وكيف تكون خاتمته، فيستثني خوفًا من سوء الخاتمة، فإن «قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبه حيث يشاء».[٢]

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بما يُختم له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار؛ لأن ذلك مغيَّب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان؛ ولذلك يقولون: إنا مؤمنون إن شاء الله. أي: من المؤمنين الذين يختم لهم بخير إن شاء الله».[٣]

وعلى هذه الاعتبارات تحمل ما ورد عن السلف من جواز الاستثناء في الإيمان.

وذكر الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – تفصيلاً آخر لمسألة الاستثناء في الإيمان، فقال: «قول القائل: «أنا مؤمن إن شاء الله» يسمى عند العلماء (مسألة الاستثناء في الإيمان)، وفيه تفصيل:

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٢/ ٦٦٩ برقم: ٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها. وقد استدل غير واحد من أئمة السلف بهذه الآية والحديث على مسألة جواز الاستثناء في الإيمان، وقد سبق الإشارة إلى بعضهم. وانظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٧٤).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٤/ ٢٠٤٥ برقم: ٢٦٥٤).

[٣] عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ٢٨٦). وقد نبه الدكتور عبد الرزاق البدر على أنه لا علاقة بين ملحظ بعض السلف للعاقبة في استثنائهم في الإيمان وبين قول الموجبين للاستثناء باعتبار الموافاة، وذلك للأمور التالية:

١- أن الإيمان عند السلف حقيقة تتناول الاعتقاد والقول والعمل، وعند هؤلاء إنما هو التصديق فقط.

٢- أن هؤلاء جعلوا حد الإيمان الشرعي هو ما يوافي به العبد ربه، وهو قول محدث لم يقل به أحد من السلف.=

أولاً: إن كان الاستثناء صادرًا عن شك في وجود أصل الإيمان، فهذا محرم بل كفر؛ لأن الإيمان جزم والشك ينافيه.

ثانيًا: إن كان صادرًا عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولاً وعملاً واعتقادًا، فهذا واجب خوفًا من هذا المحذور.

ثالثًا: إن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة، أو بيان التعليل، وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله، فهذا جائز، والتعليق على هذا الوجه - أعني بيان التعليل - لا ينافي تحقق المعلق، فإنه قد ورد التعليق على هذا الوجه في الأمور المحققة كقوله تعالى: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ} [الفتح: ٢٧] والدعاء في زيارة القبور: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون». وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم على الاستثناء في الإيمان، بل لا بد من التفصيل السابق».[(١)]

ثم لا بد من التنبيه على أن أول من أثار مسألة الاستثناء هم المرجئة دعمًا لمذهبهم في حقيقة الإيمان بأنه التصديق وحده، وأن الأعمال خارجة عن مسمى الإيمان، بدليل أنك إذا سئلت: هل أنت مؤمن؟ فلا بد أن تقول: أنا مؤمن. وإلا شككت في إيمانك، والمتيقَّن هو التصديق دون الأعمال.

ولهذا كره السلف السؤال بقول: هل أنت مؤمن؟ وبدَّعوا من يسأل هذا السؤال، ووردت عنهم روايات كثيرة في ذلك.[(٢)]

من ذلك ما جاء عن إبراهيم النخعي - رحمه الله - أنه قال: «سؤال الرجلِ الرجلَ: أمؤمن أنت؟ بدعة».[(٣)] وسأله رجل: أمؤمن أنت؟ قال: «ما أشك في إيماني، وسؤالك إياي عن هذا بدعة».[(٤)]

٣- أن هؤلاء يعدّون الإيمان الذي يوافي به العبد ربه تامًّا؛ لأنه عندهم التصديق فقط، وليس هذا من قول السلف في شيء.

٤- أن هؤلاء عندهم لا يعلم أحدٌ أحدًا مؤمنًا إلا إذا علم أنه يموت على الإيمان، ولم يقل بهذا أحد من السلف.

٥- أن الإيمان عندهم لا يتفاضل ولا يُشك في الموجود منه، وإنما يُشك في المستقبل، وعند السلف الإيمان يتفاضل ويزيد وينقص، ولا يدّعي أحد منهم أن إيمانه الموجود تام كامل. (زيادة الإيمان ونقصانه: ص: ٥١٥).

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ٨٥).

(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٧- ٣٨٤)، والشريعة للآجري (٢/ ٦٦٧- ٦٧٣)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٧٧- ٨٨٣).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٢١ رقم: ٦٥٣)، والشريعة للآجري (٢/ ٦٧٠ رقم: ٢٩١)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٨٠ رقم: ١٢١٢) وفي إسناده مغيرة، وهو ابن مِقسم الضبي: ثقة متقن إلا أنه كان يدلس لا سيما عن إبراهيم النخعي (التقريب: ٢/ ٢٧٥ رقم: ٧٧١٢).

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٣٩ رقم: ٧١٣) وفي سنده: عمر بن عبيد الطنافسي وهو صدوق كما في التقريب (٢/ ٦٦ رقم: ٥٥٥٥).

وقال الأوزاعي – رحمه الله – في الرجل يسأل: أمؤمن أنت؟ فقال: إن المسألة عما سئل بدعة، والشهادة به تعمق لم نكلفه في ديننا ولم يشرعه نبينا، ليس لمن يسأل عن ذلك فيه إمام، القول به جدل، والمنازعة فيه حدث، ولعمري ما شهادتك لنفسك بالتي توجب لك تلك الحقيقة إن لم تكن كذلك، ولا تركك الشهادة لنفسك بها بالتي تخرجك من الإيمان، إن كنت كذلك، وإن الذي سألك عن إيمانك، ليس يشك في ذلك منك، ولكنه يريد أن ينازع الله – عز وجل – علمه في ذلك، حين يزعم أن علمه وعلم الله – عز وجل – في ذلك سواء، فاصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم ...».[(١)]

وقيل لسفيان بن عيينة رحمه الله: رجل يقول: مؤمن أنت؟ قال: «ما أشك في إيماني، وسؤالك إياي بدعة، ما أدري ما أنا عند الله عز وجل، شقي أو مقبول العمل أو لا؟».[(٢)]

المسألة الثالثة: من دلائل نبوة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وصدقه، وصدق ما جاء به، وأنه يخبر عن وحي من الله جل وعلا، فقد أخبر خبرًا مؤكَّدًا بأنه وأصحابه يدخلون المسجد الحرام – إن شاء الله – آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون، فوقع الأمر كما أخبر، فدخلوا المسجد الحرام بالصفة المذكورة.[(٣)]

المسألة الرابعة: إثبات صفة العلم لله جل جلاله، وذلك في قوله تعالى: {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ٢٧]، وقد سبق تفصيل هذه المسألة.

المسألة الخامسة: إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى وأن أفعاله – عز وجل – مبنية على العلم، وذلك في قوله سبحانه: {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ٢٧]. وقد سبق بيان هذه المسألة.

---

(١) الشريعة للآجري (٢/ ٦٦٧- ٦٧٣)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٨٢ رقم: ١٢١٦) وإسناده صحيح.

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٣٨ رقم: ٧١٢)، والشريعة للآجري (٢/ ٦٦٧ رقم: ٢٨٨)، وإسناده صحيح.

(٣) انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (ص: ١٨٥)، وقواعد العقائد لأبي حامد الغزالي (ص: ٢١٣- ٢١٥)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل لأبي البقاء الهاشمي (٢/ ٧٢٩)، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام لأبي عبد الله القرطبي (ص: ٣٣٧)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٦/ ٧٧)، وإظهار الحق للعلامة محمد رحمة الله الهندي (٣/ ٨٠٠).

المسألة السادسة: منقبة لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه – تتعلق بهذه الرؤيا، قال العلماء رحمهم الله: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما رأى هذه الرؤيا وأخبر بها أصحابه فخرجوا معه قاصدين بيت الله الحرام لأداء شعيرة العمرة عام ستة من الهجرة؛ ظنوا أن رؤيا النبي – صلى الله عليه وسلم – ستتحق في ذلك العام لا محالة، لعلمهم بأن رؤيا النبي – صلى الله عليه وسلم – حق ووحي، والله تعالى لا يخلف ما وعد به رسوله في منامه، فلما ردهم المشركون وصالحوا النبي – عليه الصلاة والسلام – على أن يرجع هذا العام ويعتمروا العام المقبل؛ أشكل ذلك على بعض المسلمين، ومنهم عمر – رضي الله عنه – مع قوة فهمه، فجاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال: أولستَ كنتَ تحدِّثُنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتُكَ أنكَ تأتيه العام؟». قال: لا. قال: «فإنكَ آتيه ومطَّوِّفٌ به». ثم جاء إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى. قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قال: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. قال: أليس كان يحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به.[(١)]

فأجابه بما أجاب به النبي – صلى الله عليه وسلم – من غير أن يسمع ذلك منه، وفهم من الرؤيا ما فهمه النبي – صلى الله عليه وسلم – من أنها لا تدل على تحقق ما فيها في العام نفسه، مع أن هذا الفهم خفي على عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم.[(٢)]

---

(١) أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٢٤٨).

(٢) وممن نبه على هذه المنقبة لأبي بكر رضي الله عنه: شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في منهاج السنة النبوية (٧/ ٥٠١)، وتلميذه ابن القيم كما في الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٥٠٧).

المبحث الخامس

رؤيا صاحبي يوسف – عليه السلام – في السجن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من الرؤيا

المبحث الخامس

رؤيا صاحبي يوسف – عليه السلام – في السجن

المطلب الأول: عرض الرؤيا وتعبيرها:

قال تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ . يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف: ٣٦- ٤١].

سبقت رؤيا يوسف – عليه السلام – وهو صغير، وتعبير أبيه لرؤياه، وكان مما قال له أبوه: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: ٦]، ومن تأويل الأحاديث التي علَّمه ربه: تعبير الرؤى ومعرفة مآلاتها، فكان – عليه السلام – أعبر الناس للرؤى، وقد ترتبت على رؤياه أحداث وأحداث، تناقل خلالها من كنف أبيه ورعايته، إلى قبضة إخوته، فألقوه في غيابة الجب، فجاءت سيّارة فأخرجوه وأسرّوه بضاعة، فاشتراه عزيز مصر، وقال لامرأته: {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف: ٢١]، وبقي في رعايته حتى بلغ أشدَّه وآتاه الله حكمًا وعلمًا، ثم افتتنت به امرأة العزيز فراودته عن نفسه فقال: {مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف: ٢٣]، فأصرت وألحت، وتوعّدته وهدّدته وقالت: {لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ} [يوسف: ٣٢]، عندها دعا ربه وقال: {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣]، فصرف الله عنه كيد أولاء النسوة بأن قدّر له دخول السجن.

فلما دخل السجن دخله معه فتيان، أي شابان أو مملوكان[1]، ذكر المفسرون أنهما كانا يخدمان الملك، أحدهما ساقيه وصاحب شرابه، والآخر خبازه وصاحب طعامه[2]، فقال أحدهما وهو الساقي: {إِنِّي أَرَانِي} أي: رأيت نفسي في المنام[3] {أَعْصِرُ خَمْرًا} أي عنبًا لأجعل منها خمرًا.

{وَقَالَ الْآخَرُ} وهو الخباز {إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ} فلما انتهيا من عرض رؤييهما طلبا منه تعبير ما رأيا فقالا: {نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ} أي: أخبرنا بتفسير ما رأيناه وما يؤول إليه أمر هاتين الرؤيين، فالضمير عائد إلى المرئي في المنامين لا إلى نفس الرؤيين[4]، ثم عللا طلبهما بقولهما: {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} وفي معنى هذه الجملة عدة أقوال[5]، يجمعها: إنا نراك من المحسنين في عبادتك لربك، وفي معاملتك لخلقه، وفي علمك عمومًا، وفي تأويل الرؤى خصوصًا. وقيل: إنا نراك محسنًا إن أنبأتنا بتأويله.[6]

فلما رأى يوسف – عليه السلام – حرصهما على معرفة تأويل رؤييهما وحسن ظنهما به؛ أراد أن يستغل حاجتهما في دعوتهما إلى الله تعالى وتوحيده، والتحذير من الشرك وبيان قبحه، فمهّد لذلك بأمور:

أولاً : وعدهما بأنه سينبئهما بتأويل ما رآياه ليبقيا مترقبين متعلقين بما ينبئهما به، وذلك في قوله: {لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا} [يوسف: ٣٧]، قال ابن عاشور: «أراد بهذا الجواب أن يفترض إقبالهما عليه وملازمة الحديث معه؛ إذ هما يترقبان تعبيره

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي (ص: ٦٩٦).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٩٤- ٩٥) وأخرجه بسند صحيح عن قتادة موقوفًا عليه، وتفسير الماوردى (٣/ ٣٥)، والتفسير البسيط للواحدي (١١١/١٢)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٤٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٨٧). قلت: هذه المسألة وإن لم يثبت فيها حديث مرفوع فإنه لا بأس بالاستئناس فيها بما نقل عن بعض الأئمة كقتادة رحمه الله، لا سيما وظاهر القرآن لا يعارضه.

(٣) «رأى» المنامية تجرى مجرى أفعال القلوب في جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متحدي المعنى، فأراني فيه ضمير الفاعل المستكن، وقد تعدى الفعل إلى الضمير المتصل الذي هو في محل نصب مفعول به، وكلا الضميرين مدلولهما واحد. انظر: البحر المحيط لابن حيان (٥/ ٣٠٨).

(٤) انظر: البحر المحيط لابن حيان (٥/ ٣٠٨).

(٥) انظر هذه الأقوال في: الكشف والبيان للثعلبي (٥/ ٢٢٣)، وتفسير الماوردى (٣/ ٣٦) وتفسير ابن الجوزي (ص: ٦٩٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٩٩)، وتفسير ابن الجوزي (ص: ٦٩٧).

الرؤيا، فيدمج في ذلك دعوتهما إلى الإيمان الصحيح مع الوعد بأنه يعبر لهما رؤياهما غير بعيد، وجعل لذلك وقتًا معلومًا لهم، وهو وقت إحضار طعام المساجين، إذ ليس لهم في السجن حوادث يوقِّتون بها، ولأن انطباق الأبواب وإحاطة الجدران يحول بينهم وبين رؤية الشمس، فليس لهم إلا حوادث أحوالهم من طعام أو نوم أو هبوب منه. ويظهر أن أمد إتيان الطعام حينئذ لم يكن بعيدًا كما دل عليه قوله: {قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا} من تعجيله لهما تأويل رؤياهما وأنه لا يتريث في ذلك. ووصْفُ الطعامِ بجملة: {تُرْزَقَانِهِ} تصريح بالضبط بأنه طعام معلوم الوقت، لا ترقب طعام يهدى لهما بحيث لا ينضبط حصوله». ثم قال: «وضمير {بِتَأْوِيلِهِ} عائد إلى ما عاد إليه ضمير: {بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: ٣٦] الأول، وهو المرئي أو المنام. ولا ينبغي أن يعود إلى {طَعَامٍ} إذ لا يحسن إطلاق التأويل عن الإنباء بأسماء أصناف الطعام خلافًا لما سلكه جمهور المفسرين».[(١)]

قلت: والمشهور في تفسير هذه الآية عند المفسرين قولان[(٢)]:

١- أن معناها: لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام إلا نبأتكما بتأويله في اليقظة من قبل أن يظهر لكما تأويله[(٣)]، وهذا القول يشبه القول الماضي من حيث إنه متعلق بتعبير المنام، ولكن الغرض منه إثبات أهليته في تعبير الرؤى، لتَعْظُمَ ثقتهما به، كأنه يقول لهما: على خبير بتعبير الرؤى وقعتما.

٢- أن معناها: لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا نبأتكما بتأويله، أي: بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه إليكما، من قبل أن يصل إليكما[(٤)]، والغرض من هذا

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٦١) وأشار إلى هذا القول أبو بكر الجرجاني في تفسيره درج الدرر في تفسير الآي والسور (٣/ ١٠٠١)، وأبو السعود في تفسيره (٤/ ٢٧٦)، و انظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٠٠) اقتصر على القول الأول ورواه عن مجاهد والسدي، وتفسير الثعلبي (٥/٢٢٣) ونسب القول الأول إلى أكثر المفسرين، وتفسير الماوردي (٣/ ٣٧)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٢٤٤) ومال إلى ترجيح القول الأول، وتفسير ابن الجوزي (ص: ٦٩٧).

(٣) وهذا القول نصره شيخ الإسلام ابن تيمية، ونسبه إلى أكثر المفسرين، وقال: «وهو الصواب». انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٠) و (١٥/ ١١٢- ١١٣) و (١٧/ ٣٦٥).

(٤) ضعف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذا القول وقال: «وهذا القول ليس بشيء؛ فإنه قال: {إلا نبأتكما بتأويله} وقد قال أحدهما: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ} فطلبا منه تأويل ما رأياه، وأخبرهما بتأويل ذاك، ولم يكن تأويل الطعام في اليقظة، ولا في القرآن أنه أخبرهما =

إعلامهما باطِّلاعه على بعض الغيب، أي عن طريق الوحي[1]، وذلك أيضًا لتَعْظُمَ ثقتهما به فيتقبلا منه الدعوة إلى الإيمان.

ثانيًا : لفت انتباههما إلى أن هذا التأويل الذي سينبئهما به هو بعض ما علَّمه ربُّه، ليتحقق بذلك أمران: أحدهما أن لديه علومًا أخرى سوى هذا العلم الذي به يُؤَوِّلُ رؤياهما، ليشوقهما لاستماع وطلب ما عنده من هذه العلوم. ثانيهما أنه لم يحصل على هذا العلم من تلقاء نفسه، ولا عن دراسة في مدرسة، أو لدى معلِّم من البشر، وإنما هو مما علّمه ربُّ البشر، وذلك ليهيئهما لقبول دعوته إياهما إلى الإيمان بهذا الرب العظيم، فقال: {ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف: ٣٧].

ثالثًا : بين السبب الذي من أجله نال هذه الكرامة من الله عز وجل، وهو ترك ملة الكافرين، والإيمان بالله واليوم الآخر، واتباع ملة آبائه المرسلين، المتمثلة في توحيد الله وعدم الإشراك به أدنى شرك[2]، فقال: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [يوسف: ٣٧- ٣٨]، ولا يلزم من ترك الشيء أن يكون مُتلبِّسًا به من قبل، فإن الترك كما يكون للداخل في شيء ثم ينتقل عنه، كذلك يكون لمن لم يدخل فيه أصلاً، فلا يقال: إن يوسف – عليه السلام – كان من قبل على غير ملة إبراهيم.[3]

وفي تسميته لآبائه إعلام لهما بأنه من سلسلة كريمة كلها أنبياء وأنه على ملتهم وطريقتهم، فحقه أن يستجاب له وتقبل دعوته.

= بما يرزقانه في اليقظة، فكيف يقول قولاً عامًّا: {لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ} وهذا الإخبار العام لا يقدر عليه إلا الله، والأنبياء يخبرون ببعض ذلك لا يخبرون بكل هذا. وأيضًا فصفة الطعام وقدره ليس تأويلاً له. وأيضًا فالله إنما أخبر أنه علمه تأويل الرؤيا، قال يعقوب عليه السلام: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: ٦]، وقال يوسف عليه السلام: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: ١٠١]، وقال: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ١٠٠]». انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٦٥- ٣٦٦).

[1] وقد دل القرآن على أنه نبيٌ قبل هذا الزمن، وذلك في قوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٢٢].

[2] انظر: تفسير أبي السعود (٤/ ٢٧٧)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣- ٣٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/ ٢٧١- ٢٧٢).

[3] انظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٨).

رابعًا : بين أن ملة التوحيد هذه من فضل الله ونعمته عليه وعلى آبائه المرسلين وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة بأن يقبلوها ويتبعوها، وفي هذا حث لهما على اعتناق ملة التوحيد واتباعها، فقال عليه السلام: {ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف: ٣٨].

ثم بعد هذا التمهيد والتهيئة شرع في دعوتهما إلى التوحيد بأسلوب رائع ومقنع، جلب فيه انتباههما بالنداء، واستعطفهما بقوله: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ} [يوسف: ٣٩]، وبدأ دعوته بهذه الحجة الواضحة: {أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: ٣٩]، أرباب مخلوقون متعددون متفرقون في ذواتهم وصفاتهم ما بين أشجار وأحجار وأموات وأضرحة وغير ذلك مما يعبده المشركون؛ أأرباب هذه صفتها خير أم الله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في ذلك، القهار الذي انقاد لقهره وسلطانه كل شيء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؟!.[1]

وهذا استفهام تقريري يقررهما فيه على كون الله الواحد القهار خير من أرباب متفرقين، فلما كانا مُقِرَّين بذلك، رتَّب عليه قوله: {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} [يوسف: ٤٠]، أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله ما هي إلا مجرد أسماء لا حقيقة وراءها، فأنتم وآباؤكم مَن سميتموها آلهة، وهي ليس لها من صفات الألوهية من شيء، ولا أنزل الله على صحتها من حجة ولا برهان، بل الحجج والبراهين قائمة على بطلانها وعدم أهليتها للعبادة.

فإذا كانت هذه هي حقيقة هذه الأرباب والآلهة؛ فإن الإله الحق هو الله وحده، ولهذا قال: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [يوسف: ٤٠]، أي: أن الآمر والناهي والمشرع هو الله وحده، وهو الذي أمركم أن لا تعبدوا إلا إياه.

ثم ختم دعوته بقوله: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٠]، أي: هذا التوحيد لله وإخلاص العبادة له ونبذ الشرك واعتقاد بطلان الآلهة التي تعبد من دون الله؛ هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وما عداه من الأديان معوجة غير مستقيمة، هذه هي الحقيقة ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك فهم في ضلالهم يعمهون.

---

[1] انظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٨).

قال السعدي رحمه الله: «فيوسف - عليه السلام - دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما استجابا وانقادا، فتمت عليهما النعمة، ويحتمل أنهما لم يزالا على شركهما، فقامت عليهما - بذلك - الحجة».[١]

ثم بعد أن فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤييهما فقال: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ} كرر النداء بهذا الوصف إشعارًا لهما بمزيد اهتمام وعناية، ولتجتمع أنفسهما لسماع التعبير، قال: {أَمَّا أَحَدُكُمَا} وهو الساقي الذي رأى في المنام أنه يعصر خمرًا، لم يعينّه لئلا يحزن الآخر {فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} أي: أنه ستثبت براءته ويخرج من السجن ويرجع لخدمة الملك فيسقيه خمرًا كما كان يفعل من قبل. {وَأَمَّا الْآخَرُ} وهو الخباز الذي رأى في المنام أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه {فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ} أي: أنه يؤخذ بتهمته ويحكم عليه بالإعدام، فيقتل ويصلب حتى تأكل الطير من لحم رأسه، ثم بعد أن فرغ من تعبير رؤييهما وبيان ما تَؤُولانِ إليه؛ قال لهما: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف: ٤١].

وفي معنى هذه الجملة قولان:

أحدهما: أن معناها: قُطِعَ الجواب الذي التمستماه من جهتي، فكأنه قال لهما: هذا عبارة ما سألتما، وتأويل ما قصصتما عندي، ولم يعن أن الذي تأوله واقع لا محالة، فلم يحتم بصحة هذا التأويل، والدليل على ذلك قوله بعد ذلك: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ} والظان شاك غير عالم.[٢]

ثانيهما: أن معناها: هذا التأويل الذي تأولتُه لكما واقع لا محالة، فقد فُرِغ منه وتم ووافق القدر، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به. والظن في قوله: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا} بمعنى اليقين، وهو كثير في القرآن الكريم، كقوله تعالى: {وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ} [القيامة: ٢٨] وقوله: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} [الحاقة: ٢٠].[٣]

والقول الثاني هو الذي عليه أكثر المفسرين وهو الأقرب[٤].

---

[١] تفسير السعدي (ص: ٣٩٨).

[٢] انظر: التفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٢١).

[٣] انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ١١١).

[٤] انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٠٧)، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٥) فقد نسبه إلى أكثر المفسرين وقال: إنه أولى وأشبه بحال الأنبياء. والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٢١)، وتفسير البغوي (٢/ ٤٩٣)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٢٤٦- ٢٤٧).

فإن قيل: كيف جعل يوسف – عليه السلام – تعبيره لهاتين الرؤيين وما تؤولان إليه حتمًا وواقعًا مع أن تأويل الرؤى مبني على الظن، فربما يصدق وربما لا يصدق؟

فقد أجاب العلماء – رحمهم الله – عن ذلك بأن قطع يوسف – عليه السلام – بحتمية تعبيره وترتُّب نتائجه كان لعدة أسباب:

أحدها: أن ذلك كان بالوحي من الله عز وجل، لأن سبيل المنام المكذوب فيه أن لا يقع تأويله، فلما قال: {قُضِيَ الأَمْرُ} دل على أنه بوحي.[1]

والثاني: لأنه نبي يقطع بتحقيق ما أنطقه الله تعالى وأجراه على لسانه، بخلاف من ليس بنبي.[2]

والثالث: أن الرؤيا إذا عُبِّرت وقعت[3]، وفي ذلك أحاديث، منها :

حديث أبي رَزِينٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الرُّؤيا على رِجْلِ طَائِرٍ، ما لم تُعْبَرَ، فإذا عُبِرَتْ وقَعَت». قال: وأحسِبُه قال: «ولا تَقُصَّها إلا على وادٍّ أو ذي رأيٍ».[4]

وحديث أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرؤيا تقع على ما تُعبَّر، ومَثَلُ ذلك مَثَلُ رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها، فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدِّث بها إلا ناصحًا أو عالمًا».[5]

ثم لما عبر يوسف – عليه السلام – رؤيا الفتيين في السجن، وعلم أن أحدهما ينجو ويطلق سراحه ويرجع لخدمة الملك، وأن الآخر يقتل ويصلب حتى تأكل الطير من رأسه؛ قال للذي ظنَّ أنه ناجٍ منهما – وهو ساقي الملك –: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: ٤٢]، أي: اذكر شأني وقصتي عند سيدك الملك، لعله يرقُّ لي فيخرجني مما أنا فيه[6]. لكن هذا الفتى ألهته فرحته بالنجاة والرجوع إلى خدمة الملك عن ذكر يوسف – عليه السلام – لدى سيده

---

[1] انظر: التفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٢٠- ١٢١)، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ٦٩٨).

[2] انظر: تفسير الماوردى (٣/ ٣٩).

[3] انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٠).

[4] أخرجه: أصحاب السنن الأربعة إلا النسائي وصححه الألباني، وسبق تخريجه في (ص: ٥٥).

[5] أخرجه الحاكم وصححه الألباني، وسبق تخريجه في (ص: ٥٥).

[6] انظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٩).

الملك[1]، فبقي يوسف – عليه السلام – في السجن بضع سنين قيل: سبع سنين، كما قال تعالى: {فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٢]، أي: أنسى الشيطان الفتى ذِكرَ يوسف عند سيده الملك فمكث في السجن عدة سنين، والبِضْعُ: ما بين الثلاث إلى العشرة.[2]

[1] هذا هو الصحيح في تفسير الآية، وهناك تفسير آخر لم أذكره لضعفه، قال ابن حيان في البحر المحيط (٦/ ٢٨٠): «وقيل: الضمير في {أَنسَاهُ} عائد على يوسف. ورتبوا على ذلك أخبارًا لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام». وقال محمد سيد طنطاوي في التفسير الوسيط (٧/ ٣٦٤): «والذي يبدو لنا أن التفسير الأول أقرب إلى الصواب، لأنه هو الظاهر من معنى الآية الكريمة، ولأن قوله – تعالى – بعد ذلك: {وَقَالَ الذي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} [يوسف: ٤٥] يدل دلالة واضحة على أن الضمير في قوله {فَأَنسَاهُ} يعود إلى ساقي الملك، وأن المراد بربه أي سيده». وانظر أيضًا : تفسير ابن كثير (٣٩١/٤)، وممن صوّب القول الأول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ١١٢– ١١٨) وله في ذلك كلام مفيد.

[2] انظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص: ١٢٩).

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من رؤيا صاحبي يوسف – عليه السلام – في السجن:

المسألة الأولى: أن الله تعالى قد يُطلع بعض أنبيائه على بعض الغيب، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} [الجن: ٢٦ – ٢٨].

وهذه المسألة أخذها بعض أهل العلم من قول يوسف – عليه السلام – للفتيين: {لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف: ٣٧] على أن تفسير الآية: لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا نبأتكما بتأويل ذلك الطعام قبل أن يأتيكما. وأن هذا مثل قول عيسى – عليه السلام – حين قال: {وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٤٩].

وإخبار الأنبياء – عليهم السلام – ببعض الغيب آية على صدق نبوتهم، حيث إنه لا يمكن لبشر أن يخبر عن الغيب إلا بوحي من الله عز وجل، وإنما يوحي الله إلى أنبيائه، كما قال تعالى: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} [هود: ٤٩].

ولهذا لا يجوز أن يوصف الأنبياء – عليهم السلام – بأنهم يعلمون الغيب المطلق، بل إن الله تعالى أمر أنبياءه بأن يعلنوا لأممهم أنهم لا يعلمون الغيب، فهذا أول الرسل نوح – عليه السلام – قال لقومه: {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} [هود: ٣١]. وهذا خاتمهم – صلى الله عليه وسلم – أمره ربه بقوله: {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: ٦٥]، وبقوله: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} [الأنعام: ٥٠]. وقال عن الرسل جميعًا: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة: ١٠٩].

بل نفى الله تعالى علم الغيب حتى عن الملائكة فقال جل شأنه: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} [البقرة: ٣١ - ٣٣].

ومع كثرة النصوص الدالة على تَفَرُّد الله تعالى بعلم الغيب إلا أن هناك من غلاة الرافضة والصوفية من خالف هذه النصوص فذهب إلى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأئمتهم وشيوخهم يعلمون الغيب، وأفصحوا عن هذا المعتقد في بعض كتبهم وأشعارهم.

فالرافضة تدعي لأئمتها علم الغيب المطلق الذي اختص الله – عز وجل – به، فهذا إمامهم الكليني بوّب في كتابه "أصول الكافي" بالأبواب التالية:

- باب أن الأئمة – عليهم السلام – يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام.(١)
- باب أن الأئمة – عليهم السلام – يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.(٢)
- باب أن الأئمة – عليهم السلام – يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنهم لا يخفى عليهم الشيء عليهم السلام.(٣)

وهذا علاّمتهم هاشم البحراني يقول في كتابه "ينابيع المعاجز": «الباب الخامس: أن عندهم – عليهم السلام – علم ما في السماء وما في الأرض، وعلم ما كان، وعلم ما يكون، وما يحدث بالليل والنهار، وساعة وساعة، وعندهم علم النبيين – عليهم السلام – وزيادة».(٤)

وقد شَحَنَا هذه الأبوابَ بروايات كثيرة مكذوبة على أئمة أهل البيت في إثبات كونهم يعلمون الغيب.

---

(١) الكافي – الأصول – للكليني (١/ ١٥١).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٥٣).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٥٥).

(٤) ينابيع المعاجز وأصول الدلائل للبحراني (ص: ٩١).

وكذلك غلاة الصوفية ادعوا مثل ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولبعض شيوخهم، يقول البوصيري في قصيدته المشهورة بالبردة، والتي يقرؤها الصوفية في احتفالاتهم بالمولد النبوي، مخاطبًا النبي صلى الله عليه وسلم:

«فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم»[1]

ويقول عبد الكريم الجيلي: «ومنهم من تجلى الله عليه بالصفة العلمية، وذلك لما تجلى عليه بالصفة الحياتية السارية في جميع الموجودات ذاق هذا العبد بقوة أحدية تلك الحياة جميع ما هي الممكنات، فحينئذ تجلت الذات عليه بالصفة العلمية، فعلم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد، وعلم كل شيء كيف كان؟ وكيف هو كائن؟ وكيف يكون؟ وعلم ما لم يكن، ولِمَ لا يكون ما لم يكن؟ ولو كان ما لم يكن كيف كان يكون؟ كل ذلك علمًا أصليًّا حكميًّا كشفيًّا ذوقيًّا من ذاته؛ لسريانه في المعلومات علمًا إجماليًّا تفصيليًّا كليًّا جزئيًّا مفصَّلاً في إجماله لكن في غيب الغيب، واللدنيِّ والذاتي متنزل من التفصيل من غيب الغيب إلى شهادة الشهادة، ويشهد تفصيل إجماله في الغيب، ويعلم الإجمالي الكلي في غيب الغيب، والصفاتي ليس له من العلم إلا وقوعه عليه في غيب الغيب، وهذا الكلام لا يفهمه إلا الغرباء، ولا يذوقه إلا الأمناء الأدباء».[2]

المسألة الثانية: **نسبة النعم إلى الله عز وجل**، وهذا من تحقيق التوحيد ومقتضياته، يقول شيخنا صالح الفوزان حفظه الله: «إن الاعتراف بفضل الله وإنعامه والقيام بشكره من صميم العقيدة؛ لأن من نسب النعمة إلى غير موليها، وهو الله سبحانه؛ فقد كفرها، وأشرك بالله بنسبتها إلى غيره».[3]

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: «فالواجب على العبد أن يعلم أن كل النعم من الله جل وعلا، وأن كمال التوحيد لا يكون إلا بإضافة كل نعمة إلى الله جل وعلا، وأن إضافة النعم إلى غير الله نقص في كمال التوحيد، ونوع شرك بالله جل وعلا».[4]

---

[1] هذا هو البيت الرابع والخمسون بعد المائة من قصيدة البردة. انظر: البردة شرحًا وإعرابًا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات (ص: ٢٠٩).

[2] الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم الجيلي (ص: ٦٨- ٦٩).

[3] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للفوزان (ص: ١١٣).

[4] التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٤٤).

وهذه المسألة أخذناها من قول يوسف – عليه السلام – للفتيين: {ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف: ٣٧]، حيث نسب ما تحلّى به من نعمة العلم إلى المنعم الحقيقي وهو الله عز وجل، وقد قال الله – جل وعلا – من قبلُ في يوسف: {وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: ٢١]، وقال يعقوب – عليه السلام – في تأويل رؤيا ابنه يوسف: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [يوسف: ٦].

وقال الله – جل شأنه – ممتنًّا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: ١١٣].

وقال تعالى ممتنًّا على الإنسانية جمعاء: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ١ - ٥].

وقال سبحانه مؤكدًا أن كل نعمة إنما هي من عنده جل جلاله: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣]. وأنكر الله – عز وجل – على الذين يجحدون نعمه، أو ينسبون شيئًا منها لغيره، فقال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل: ٨٣].

قال شيخنا صالح الفوزان حفظه الله: «المراد بإنكارها: جُحودُها، إما باللسان وإما بالقلب، بأن تُنسَب إلى غير مَن أنعم بها، إما أن تُنسب إلى الأسباب، وإما أن تُنسب إلى الأصنام والآلهة، وإما أن تُنسب إلى الآباء والأجداد، وإمّا أن تُنسب إلى كَدِّ العبد وكسبِه وحِذْقِه ومعرفته، وإما بصرفها في معصية الله».[1]

وأما حكم إضافة النعم إلى غير الله ففيه تفصيل، ويمكن تلخيصه في الأقسام التالية[2]:

القسم الأول: إضافة النعمة إلى سبب حقيقي، وهو ما ثبت كونه سببًا شرعًا أو قدرًا، مثل: العلاج سبب للشفاء، والتجارة سبب للرزق، والحراسة سبب لحفظ المال، ونحو ذلك. وهذا القسم على نوعين:

---

[1] إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٤٩).

[2] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٢/ ٣١٣- ٣١٥)، واستفدت كذلك من شرح شيخنا الدكتور عبد الرحيم بن صمايل السلمي حفظه الله لكتاب التوحيد في دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

النوع الأول: أن تكون إضافة النعمة إلى سببها الحقيقي من باب الحكاية والإخبار، أي أنه يخبر بترتب المسبَّب على السبب، مع اعتقاده بأن السبب وترتُّبَ المسبَّبِ عليه بفضل الله وعونه، فهذا لا بأس به، ومنه قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في عمه أبي طالب: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».[1]

النوع الثاني: أن تكون إضافة النعمة إلى سببها الحقيقي على سبيل تعظيم السبب والغفلة عن المسبِّب والمنعم الحقيقي، وهو الله تبارك وتعالى، فهذا النوع يخدش في كمال التوحيد، ويكدِّر صفوه.

القسم الثاني: إضافة النعم إلى سبب وهمي، وهو ما لم يثبت كونه سببًا لا شرعًا ولا قدرًا، مثل: إضافة نعمة الشفاء إلى تربة قبر الولي الفلاني، أو إلى التميمة ونحوها، مع اعتقاده بأن المنعم الحقيقي هو الله تعالى، فهذا شرك أصغر؛ لأنه أثبت سببًا لم يجعله الله سببًا لا شرعًا ولا قدرًا، فجعل نفسه مشاركًا لله في إثبات الأسباب.

القسم الثالث: إضافة النعم إلى معظَّم يَعتقد فيه التأثير بذاته، مثل: إضافة نعمة إلى ميت من الأنبياء أو الأولياء، أو إلى حجر أو شجر أو نحو ذلك، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن لهذه الأشياء تصرفًا في الكون مع الله عز وجل.

المسألة الثالثة: **فضل التوحيد وآثاره الطيبة في الدنيا والآخرة**، وأنه أكبر نعمة تفضَّل الله بها على عباده، فإن يوسف – عليه السلام – لما بيّن للفتيين ما منَّ الله به عليه من علم التأويل علل ذلك بقوله: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ} [يوسف: ٣٧ – ٣٨].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وفي هذا من الترغيب للطريق التي هو عليها ما لا يخفى، فإن الفتيين لما تقرر عنده أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال – وأنه محسن معلم – ذكر لهما أن هذه الحالة التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، حيث منَّ عليَّ بترك

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب قصة أبي طالب (٣/ ١٤٠٨ رقم: ٣٦٧٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١/ ١٩٤ رقم: ٣٥٧) من حديث العباس رضي الله عنه.

الشرك وباتباع ملة [آبائي]، فبهذا وصلتُ إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكتُ».[1]

وقال: «وبين لهما أولاً أن الذي أوصله إلى الحال التي رأياه فيها من الكمال والعلم؛ إيمانه وتوحيده، وتركه ملة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه، وحقيقة التوحيد وبرهن عليه».[2]

المسألة الرابعة: وجوب البراءة من الشرك والكفر وأهلهما، واعتناق دين التوحيد واتباع ملة الأنبياء والمرسلين، دل على ذلك قول يوسف عليه السلام: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف: ٣٧- ٣٨].

والحقيقة أن هذا هو مدلول «لا إله إلا الله» ومقتضاها، لأنها قائمة على ركنين عظيمين: نفي العبادة عن غير الله والبراءة من الكفر وأهله، وإثبات العبادة لله وحده والولاء للتوحيد وأهله، كما قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف: ٢٦ – ٢٨]. وقال تعالى ذِكرُه: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة: ٤].

وفي الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل».[3]

فقول يوسف عليه السلام: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [يوسف: ٣٧] تحقيق للركن الأول من ركني كلمة التوحيد، وهو النفي.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٨) وما بين المعكوفتين من تصرفي حيث كان الأصل: ملة آبائه. والسياق لا يؤيده.

[2] المرجع السابق (ص: ٤١٠).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٥٣ رقم: ٣٧).

وقوله عليه السلام: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ...} [يوسف: ٣٨] تحقيق للركن الثاني وهو الإثبات.

المسألة الخامسة: من أدلة بطلان الشرك وضلال المشركين، وحسن التوحيد وهداية الموحدين:

- أن المشركين يعبدون أربابًا متفرقين في ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم، ما بين أشجار وأحجار وأموات وأضرحة وغير ذلك مما يعبدونه من دون الله، وهذا التفرق والتعدد دليل ضعفهم وعجزهم[١]، بينما الموحد لا يعبد إلا إلهًا واحدًا، وهو الله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك، القهار الذي خضع لقهره كل شيء، فلا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

ولهذا نجد الموحد يعيش طمأنينة نفسية واستقرارًا ذهنيًّا لأنه لا يعبد إلا إلهًا واحدًا يعرف مراده وما يرضيه فيفعله، ويعرف ما يسخطه فيجتنبه، بخلاف من يعبد آلهة متعددة كل واحد منها له مراد غير مراد الآخر، وله تدبير غير تدبير الآخر.

ولقد مثَّل لنا القرآن الكريم حال الموحد وحال المشرك في قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٢٩].

وقال ابن القيم – رحمه الله – معلِّقًا على هذه الآية: «هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحون. والرجل المتشاكس: الضيِّقُ الخلق. فالمشركُ لما كان يعبد آلهة شتى شُبّه بعبدٍ يملكه جماعة متنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين.

والموحدُ لما كان يعبد الله وحده فمَثَلُه كمثَلِ عبدٍ لرجلٍ واحدٍ قد سلَّمَ له، وعلم مقاصدَه، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلَطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟

---

[١] يقول شيخنا صالح الفوزان حفظه الله: «ومثل تفرق المشركين الأولين في عباداتهم ومعبوداتهم تفرق القبوريين اليوم في عبادة القبور؛ فكل منهم له ضريح خاص يتقرب إليه بأنواع العبادة، وكل طريقة من الطرق الصوفية لها شيخ اتخذه مريدوه ربًّا من دون الله يشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله. وهكذا تلاعب الشيطان ببني آدم، ولا نجاة من شره ومكره إلا بتوحيد الله والاعتصام بكتابه وسنة رسوله». الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص: ٤٦).

وهذا من أبلغ الأمثال؛ فإن الخالص لمالكٍ واحدٍ يستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين. الحمد لله، بل أكثرهم لا يعلمون».[1]

- أن المشركين يعبدون أسماءً لا حقيقة لها، وألقابًا لا واقع لها، فإنهم هم وآباؤهم مَن سمَّوها بهذه الأسماء، فهم يسمّون معبوداتهم من الأصنام وغيرها آلهةً، وهي ليست آلهة على الحقيقة، ولا تملك من معاني الألوهية شيئًا، فهي ليست خالقة ولا رازقة، ولا تحيي، ولا تميت، ولا تملك شيئًا يؤهلها لأن تكون معبودة مألوهة، فالتسمية باطلة.

قال ابن القيم رحمه الله: «إنما عبدوا المسمَّيات، ولكن من أجل أنهم نحلوها أسماءً باطلة، كاللات والعزى، وهي مجرد أسماء كاذبة باطلة لا مسمى لها في الحقيقة؛ فإنهم سموها آلهة وعبدوها لاعتقادهم حقيقة الإلهية لها، وليس لها من الألوهية إلا مجرد الأسماء لا حقيقة المسمى، فما عبدوا إلا أسماء لا حقائق لمسمياتها، وهذا كمن سمى قشور البصل لحمًا وأكلها، فيقال: ما أكلت من اللحم إلا اسمه لا مسماه. وكمن سمى التراب خبزًا وأكله، يقالُ: ما أكلتَ إلا اسم الخبز. بل هذا النفي أبلغ في آلهتهم فإنه لا حقيقة لإلهيتها بوجه».[2]

والله سبحانه هو الإله الحق ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج: ٦٢].

المسألة السادسة: تفرُّد الله – عز وجل – بالحُكم، قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٠]، فالحكم لله وحده، هو الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع، ويسنّ الأحكام، ويحكم بين عباده، ولا معقِّبَ لحكمه، ومِن حكمه أنه أمر عبادَه أن لا يعبدوا إلا إياه، لأنه لا أحدَ يستحق العبادة سواه، هذا هو التوحيد الذي هو الدين القيم.

والله – سبحانه وتعالى – له الحكم القدري الذي لا يخرج عنه أحد، ولا ينازعه فيه أحد، وله الحكم الشرعي الذي يجب التسليم له، والرضا به، والتحاكم إليه، قال تعالى: {وَمَا

---

[1] إعلام الموقعين (١/ ١٨٧).

[2] بدائع الفوائد (١/ ١٩).

اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [الشورى: ١٠]، وله الحكم الجزائي يوم القيامة، قال تعالى: {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ . وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ٥٥- ٥٨]. وكل هذه الأنواع داخلة في قوله تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [يوسف: ٤٠]، وفي قوله عز وجل: {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: ٢٦].

واعتقاد أن الحكم لله وحده، وأنه هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا بالشرع الذي شرعه لهم، وأنه تعالى هو الذي يحكم بين عباده في الآخرة، فيحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم؛ داخل في توحيد الربوبية، لأن الحكم والتشريع من خصائص الرب تبارك وتعالى.

واعتقاد ذلك لغير الله – عز وجل – شرك في الربوبية، قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: ٢١].

يقول الشنقيطي رحمه الله: «ولما كان التشريع وجميع الأحكام – شرعية كانت أو كونية قدرية – من خصائص الربوبية كما دلت عليه الآيات المذكورة؛ كان كل من اتبع تشريعًا غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرِّع ربًّا، وأشركه مع الله».[١]

كما أن تحكيم شرع الله – جل وعلا – والتحاكم إليه داخل في توحيد الألوهية، لأن ذلك من فعل العبد، وهو امتثال لأمر الله جل شأنه: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [المائدة: ٤٩] وقوله: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى: ١٠].

وكذلك الحكم بغير ما شرع الله – جل جلاله – والتحاكم إليه شرك في الألوهية، وإخلال بكلمة التوحيد ومقتضاها، قال الله عز وجل: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ٦٠].

---

[١] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ١٠٩).

يقول الشنقيطي رحمه الله: «فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، قال في حكمه: {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: ٢٦]، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: {وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} بصيغة النهي. وقال في الإشراك به في عبادته: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠]، فالأمران سواء».[١]

والواجب هو التحاكم إلى شرع الله المتمثل بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – لا في المنازعات فقط، بل في جميع المجالات؛ في الخصومات، وفي أقوال المجتهدين، وفي الآراء العقدية، وفي المناهج الدعوية، وغير ذلك.[٢]

المسألة السابعة: حكم إطلاق اسم «رب» على غير الله عز وجل.

فقد تكرر إطلاق اسم «رب» على غير الله – عز وجل – في قصة يوسف – عليه السلام – في عدة مواضع، وهي على الترتيب:

١- {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف: ٢٣].[٣]

٢- {يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} [يوسف: ٤١].

٣- {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٢].

٤- {فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف: ٥٠].

ففي هذه المواضع أطلق اسم «رب» على غير الله مضافًا إلى ضمير المتكلم كما في الموضع الأول، وضمير الغائب كما في الموضع الثاني والثالث، وضمير المخاطب كما في الموضع الثالث والأخير، وهذه الضمائر كلها للعقلاء.

وقد ورد في السنة أيضًا مثل هذا الإطلاق، وهذه أمثلة لذلك:

---

[١] أضواء البيان (٧/ ١٠٤) و للشنقيطي – رحمه الله – هنا كلام نفيس حول هذه المسألة.

[٢] انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (٢/ ١١٨- ١٢٠).

[٣] اختلف العلماء – رحمهم الله – في مرجع الضمير من قوله: {إِنَّهُ رَبِّي} فقيل: إنه راجع إلى الله عز وجل، أي إن الله ربي، وقيل: إنه راجع إلى عزيز مصر الذي اشتراه وقال لامرأته: {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ}، وهذا هو الراجح، وهو قول أكثر المفسرين، كما ذكره الثعلبي في تفسيره (٥/ ٢٠٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٧١)، والبغوي في تفسيره (٢/ ٤٨٣)، وهو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ١١١).

١- ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في قصة سؤال جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام و الإيمان، وفيه: "قال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربَّها».[١]

٢- ما أخرجه الشيخان أيضًا من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم ربُّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي[٢]».[٣]

٣- ما أخرجه الشيخان أيضًا من حديث زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - أن رجلاً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن لقطة الإبل فقال: «ما لك ولها، معها سقاؤها، وحذاؤها ترد الماء، و تأكل الشجر حتى يلقاها ربُّها».[٤]

٤- ما أخرجه البخاري من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه استعمل مولىً له يدعى: هُنَيًّا على الحمى، فقال: "يا هنيُّ! اضمم جناحك عن المسلمين، واتق دعوة المظلوم؛ فإن دعوة المظلوم مستجابة، وأدخل رَبَّ الصُّرَيمة ورَبَّ الغُنَيمة، وإيَّايَ ونَعَمَ ابنِ عوف ونَعَمَ ابنِ عفان، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع، وإن رَبَّ الصُّرَيمة ورَبَّ الغُنَيمة إن تهلك ماشيتهما يأتني ببنيه ...".[٥]

٥- ما أخرجه الإمام أحمد من حديث مالك بن نضلة الجشمي - رضي الله عنه - قال: " أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فصَعَّدَ فِيَّ النظرَ وصَوَّب، وقال: «أرَبُّ إبلٍ أنتَ أو رَبُّ غنم؟» قال: مِن كلٍّ قد آتاني الله فأكثر وأطيب ...".[٦]

---

[١] صحيح البخاري: كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام والإيمان (١/ ٢٧ رقم: ٥٠)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (١/ ٣٩ رقم: ٩).

[٢] **لا أرب لي**: لا حاجة لي إليه. انظر: تهذيب اللغة للهروي (١٥/ ١٨٤).

[٣] صحيح البخاري: كتاب الزكاة باب الصدقة قبل الرد (٢/ ٥١٢ رقم: ١٣٤٦)، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها (٢/ ٧٠١ رقم: ١٥٧).

[٤] صحيح البخاري: كتاب المساقاة باب شرب الناس وسقي الدواب من الأنهار (٢/ ٨٣٦ رقم: ٢٢٤٣)، وصحيح مسلم: كتاب اللقطة باب (١) (٣/ ١٣٤٧ رقم: ١٧٢٢).

[٥] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لليهود: «أسلموا تسلموا». (٣/ ١١١٣ رقم: ٢٨٩٤).

[٦] مسند الإمام أحمد (٢٨/ ٤٦٤ رقم: ١٧٢٢٨) وقال محققوه: «إسناده صحيح».

٦- ما أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أن رجلاً من أهل فارس أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «إن ربي قد قتل ربَّك». يعني: كسرى.[١]

فالمثال الأول فيه إضافة اسم «رب» إلى ضمير العاقل الغائب، وفي الثاني إلى جماد، وفي الثالث إلى ضمير غير العاقل الغائب، وفي الرابع والخامس إلى الاسم الظاهر لغير العاقل، وفي الخامس إلى ضمير العاقل المخاطب.

وظاهر هذه النصوص يدل على جواز إطلاق اسم «رب» على غير الله على سبيل الإضافة، ولكن ورد في السنة ما يفيد النهي عن ذلك، وذلك فيما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لا يقل أحدكم: أطعِمْ ربَّك، وضِّئْ ربَّك، اسقِ ربَّك. وليقل: سيدي، مولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي. وليقل: فتايَ وفتاتي وغلامي». زاد مسلم: «ولا يقل أحدكم: ربي».[٢]

وعند أبي داود بلفظ: «لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي. ولا يقولن المملوك: ربي وربتي. وليقل المالك: فتاي وفتاتي. وليقل المملوك: سيدي وسيدتي؛ فإنكم المملوكون، والرب الله عز وجل».[٣]

فظاهر هذا الحديث يعارض النصوص السابقة، فما الجمع بينه وبينها؟

قبل الإجابة على هذا السؤال أرى من المناسِب التمهيدَ لها بالمقدمات التالية:

الأولى: معنى «الرب» في اللغة والشرع.

الربُّ في اللغة يطلق على معانٍ منها: المالك، والخالق، والسَّيِّد، والمُدَبِّر، والـمُرَبِّي، والـمُتَمِّم، والمصلح، والصاحب[٤]، والمعبود[٥].

---

[١] مسند الإمام أحمد (٣٤/ ٨٥ رقم: ٢٠٤٣٨) وقال محققوه: «حديث صحيح».

[٢] صحيح البخاري: كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله: "عبدي وأمتي". (٢/ ٩٠١ رقم: ٢٤١٤)، وصحيح مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب حكم إطلاق لفظة: العبد والأمة والمولى والسيد (٤/ ١٧٦٥ رقم: ٢٢٤٩).

[٣] سنن أبي داود: كتاب الأدب باب لا يقول المملوك: ربي وربتي (٧/ ٣٣١ رقم: ٤٩٧٥) وإسناده صحيح.

[٤] انظر: تهذيب اللغة للهروي (١٥/ ١٢٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٣٧٨)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٠٩)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ٣٩٩)، وتاج العروس للزبيدي (٢/ ٤٥٩).

[٥] قال ابن عطية في تفسيره (١/ ٦٧) : «والرب في اللغة: المعبود، والسيد المالك، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها، والملك، - تأتي اللفظة لهذه المعاني-. فمما جاء بمعنى المعبود قول الشاعر [غاوي بن عبد العزى]:

أربّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد هان من بالت عليه الثّعالب».

وانظر أيضًا: تفسير القرطبي (١/ ١٣٧)، واللباب في علوم الكتاب (١/ ١٧٩)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٢٥).

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: «الرَّبُّ في كلام العرب منصرفٌ على معان: فالسيد المطاع فيها يدعَى ربًّا، ومن ذلك قول لَبِيد بن ربيعة:

وأَهْلكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَة وابنَه ... ورَبَّ مَعدٍّ، بين خَبْتٍ وعَرْعَرِ

يعني بربِّ كندة: سيِّد كندة ... والرجل المصلح للشيء يُدعى ربًّا، ... ومن ذلك قيل: إن فلانًا يَرُبُّ صنيعتَه عند فلان؛ إذا كان يحاول إصلاحها وإدامتها، ... والمالك للشيء يدعى رَبَّه. وقد يتصرف أيضًا معنى "الرَّبّ" في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة.

فربّنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْه لهُ، ولا مثل في سُؤدده، والمصلحُ أمرَ خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر».[١]

وأرجع ابن الأنباري – رحمه الله – أيضًا معاني الرب في اللغة إلى هذه المعاني الثلاثة.[٢]

وهذه المعاني اللغوية لكلمة «رب» باقية على أصلها في الشرع، فلم تتحول عنه، إلا أنها إذا أضيفت إلى الله – جل شأنه – كانت حقيقية وتامة وكاملة، وإذا أضيفت إلى غيره كانت عرفية وعلى ما يليق به. وإلى هذا أشار الطبري – رحمه الله – في نهاية كلامه السابق.

والتعريف الشرعي لكلمة «الرب» هو ما ذكره الطبري – رحمه الله – بقوله: «فربّنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْه لهُ، ولا مثل في سُؤدده، والمصلحُ أمرَ خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر».[٣]

وقال ابن القيم رحمه الله: «اسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السموات والأرض عبدٌ له في قبضته، وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية، وافترقوا بصفة الإلهية، فألَّهه وحده السعداء، وأقروا له طوعًا بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية والتذلل والخضوع إلا له. وهنا افترق الناس، وصاروا فريقين: فريقًا مشركين في السعير، وفريقًا موحدين في الجنة. فالإلهية هي التي فرقتهم، كما أن الربوبية هي التي جمعتهم».[٤]

---

[١] تفسير الطبري (١/ ١٤١– ١٤٢) باختصار.

[٢] الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٦٧).

[٣] تفسير الطبري (١٤٢/١).

[٤] مدارج السالكين (١/ ٢٤٠).

الثانية: لا تطلق كلمة «رب» بالمعنى الشرعي إلا على الله عز وجل، وكذلك المعاني اللغوية لا تطلق على غير الله تعالى على الوجه الأكمل والأتم الذي لا يبلغه غيره، وكذلك ما كان منها لا يليق إلا بالله – عز وجل – لا يجوز إطلاقه على غيره تعالى، مثل: الخالق والمعبود.

وما ورد من إطلاق كلمة «رب» على غير الله تعالى في النصوص الشرعية؛ ليس شيء منها بهذه المعاني التي لا تليق إلا بالله عز وجل.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والسبب في النهي أن حقيقة الربوبية لله تعالى؛ لأن الرب هو المالك والقائم بالشيء، فلا توجد حقيقة ذلك إلا لله تعالى. قال الخطابي: سبب المنع أن الإنسان مربوبٌ متعبَّدٌ بإخلاص التوحيد لله وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة في الاسم؛ لئلا يدخل في معنى الشرك، ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد».[1]

الثالثة: «الرب» – بالتعريف بالألف واللام – اسم من أسماء الله الحسنى[2]، بل من العلماء من يرى أنه الاسم الأعظم[3]، ونص العلماء – رحمهم الله – على أنه لا يطلق اسم «الرب» معرفًا بالألف واللام إلا على الله وحده[4]، بل ذكر الراغب الأصفهاني – رحمه الله – أنه «لا يقال: "الرب" مطلقًا (أي: غير مقيَّدٍ بالإضافة أو التعريف، أي: ربٌّ) إلا لله تعالى المتكفِّل بمصلحة الموجودات، نحو: {بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ: ١٥]».[5]

---

[1] انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ١٧٩).

[2] ورد في القرآن الكريم إطلاق هذا الاسم على الله تعالى مجردًا من الألف واللام مثل: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس: ٥٨] و{بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ: ١٥]، ومضافًا مثل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢] و{وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة: ١٢٩]، ومنادًى مثل: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا} [البقرة: ١٢٦] و {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} [آل عمران: ٣٨]، ولم يرد معرفًا بالألف واللام في القرآن، ولكنه ورد معرَّفًا بالألف واللام في الأحاديث الصحيحة، من ذلك حديث أبي هريرة الذي سبق معنا وفيه: «... والرب الله عز وجل». وحديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «... فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل». أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٤٨ رقم: ٤٧٩)، وحديث عمرو بن عبسة – رضي الله عنه – مرفوعًا: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٦٩ رقم: ٣٥٧٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٧٣).

[3] انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٣١)، وفتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ٢٢٥).

[4] انظر: تهذيب اللغة للهروي (١٥/ ١٢٨)، وتفسير الثعلبي (١/ ١١٠– ١١١)، وتفسير الماوردي (١/ ٥٤)، والأذكار للنووي (ص: ٥٥٩)، وتفسير القرطبي (١/ ١٣٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣١)، واللباب في علوم الكتاب (١/ ١٨٠).

[5] مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٣٣٦).

وإنما اختص اسم «الرب» بالله تعالى لأن التعريف بالألف واللام يفيد العموم، فيكون المعنى: رب كل شيء. ولا يصح هذا المعنى إلا لله وحده. قال ابن قتيبة رحمه الله: «ولا يقال لمخلوق: هذا الرب، معرفًا بالألف واللام كما يقال لله، إنما يقال: رب كذا، فيعرف بالإضافة، لأن الله مالك كل شيء، فإذا قيل: «الرب» دلت الألف واللام على معنى العموم، وإذا قيل لمخلوق: رب كذا ورب كذا، نسب إلى شيء خاص؛ لأنه لا يملك شيئًا غيره».(1)

إذن لا يطلق هذا الاسم على غير الله تعالى إلا مضافًا محدَّدًا بأن يقال: ربُّ كذا، نحو: ربُّ الدار، وربُّ الإبل. وهذا أيضًا مقيدٌ بما سأذكره في المقدمة التالية.

الرابعة: إذا أضيف «رب» إلى ما لا يمكن دخوله في ملك مخلوق أو تصرفه، أو ما من شأنه أن لا يقال إلا في الباري تعالى؛ فإنه يختص بالله – عز وجل – ولا يطلق على غيره، مثل: رب العالمين، رب جبريل وميكائيل، رب السموات والأرض، رب كل شيء، ونحو ذلك.

الخامسة: إذا أضيف «رب» إلى غير المكلفين مما لا يتعبَّدُ التعبُّدَ التكليفيَّ الشرعيَّ من سائر الحيوانات والجمادات؛ فلا بأس بإطلاقه على غير الله، مثل: رب الدار، رب المال، رب الإبل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فلا يكون شيء من المخلوقات ربًّا لشيء من المخلوقات ربوبية مطلقة أصلاً، إذ رب الشيء من يربُّه مطلقًا من جميع جهاته، وليس هذا إلا لله رب العالمين. ولهذا منع في شريعتنا من إضافة الرب إلى المكلفين، كما قال صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم: اسق ربك، أطعم ربك».(2)

بخلاف إضافته إلى غير المكلفين، كقول النبي – صلى الله عليه وسلم – لمالك بن عوف الجشمي: «أربُّ إبلٍ أنت أم ربُّ شاء؟»(3) وقولهم: رب الثوب والدار. فإنه ليس في هذه الإضافة ما يقتضي عبادة هذه الأمور لغير الله، فإن هذا لا يمكن فيها، فإن الله فطرها على أمر لا يتغير، بخلاف المكلفين، فإنهم يمكن أن يعبدوا غير الله، كما عبد المشركون به من الجن والإنس غيره، فمنع من الإضافة في حقهم تحقيقًا للتوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه».(4)

---

(1) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٩).

(2) متفق عليه، وقد سبق تخريجه (ص: ٢٧٩).

(3) أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح، وقد سبق تخريجه (ص: ٢٧٨).

(4) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٣٨٩- ٣٩٠)، و انظر: الأذكار للنووي (ص: ٥٦٠)، وفتح الباري لابن حجر (٥/ ١٧٩)، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٥٦٧).

ثم بعد هذه المقدمات نذكر الجمع والتوفيق بين حديث: «لا يقل أحدكم: أطعِمْ ربَّك، وضِّئْ ربَّك، اسقِ ربَّك» «ولا يقل أحدكم: ربي»، وبين النصوص التي فيها إطلاق اسم «رب» على المخلوق، فنقول: أما النصوص التي فيها إضافة اسم «رب» إلى غير المكلفين من الحيوانات والجمادات مثل: «رَبَّ الصُّرَيمة ورَبَّ الغُنَيمة» «أرَبُّ إبلٍ أنتَ أو رَبُّ غنم؟» «ربُّ المال» فقد تقدم الجواب عنها في المقدمة الخامسة.

وأما الآيات التي في سورة يوسف – عليه السلام – فقد أجاب عنها العلماء بما يلي:

١– أن يوسف – عليه السلام – خاطبهم بما هو متعارف عندهم، فإنهم كانوا يطلقون ذلك على الملوك والسادة[1]، وأنه جاز له ذلك للضرورة، كما قال موسى – عليه السلام – للسامري: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا} [طه: ٩٧]، أي الذي اتخذته إلهًا.[2]

لكن يَرِدُ على هذا الجواب أنه حتى لو كان هذا هو المتعارف عندهم فإن يوسف – عليه السلام – كان متقيدًا بشرع الله عز وجل، فلا يمكن أن يقول ما ليس مأذونًا له فيه، فلو كان مثل هذا القول غير جائز في شرعه لما تلفظ به يوسف – عليه السلام – مرارًا، لاسيما في قوله: {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} [يوسف: ٢٣]، حيث أطلق هذا الاسم على عزيز مصر مضافًا إياه إلى نفسه.

٢– أن هذا شرعُ مَنْ قَبْلَنَا، وشرعُ من قبلنا لا يكون شرعًا لنا إذا ورد شرعُنا بخلافه، كما هو الشأن هنا.[3]

وهذا جواب جيد يحل الإشكال بين ما ورد في القرآن في قصة يوسف – عليه السلام – وبين قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم: أطعِمْ ربَّك، وضِّئْ ربَّك، اسقِ ربَّك» «ولا يقل أحدكم: ربي».

لكن يبقى الإشكال بين هذا الحديث وبين قوله – صلى الله عليه وسلم – في أشراط الساعة: «إذا ولدت الأمة ربَّها»[4]، وقوله – صلى الله عليه وسلم – للرجل الفارسي: «إن ربي قد قتل ربَّك».[5]

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٩).

[2] انظر: الأذكار للنووي (ص: ٥٦٠).

[3] انظر: الأذكار للنووي (ص: ٥٦٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ١١٨).

[4] متفق عليه، وقد سبق تخريجه (ص: ٢٧٨).

[5] أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح، وقد سبق تخريجه (ص: ٢٧٩).

والجواب عن قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا ولدت الأمة ربَّها» أنه ورد مضافًا إلى ضمير الغائب، وهذا لا بأس به، ولا إشكال فيه، إذ لم يَرِد النهي عنه، ولا يوهم معنى فاسدًا بالنسبة لكلمة «رب»، ولا يشعر العبد أو الأمة بالذل، بخلاف المضاف إلى ضمير المخاطب أو المتكلم[1]، ثم هو وصف محض ليس فيه دعاء ولا تسمية.

وقد أجاب الإمام النووي – رحمه الله – عن هذا الإشكال الوارد في حديث النهي وحديث: «أن تلد الأمة ربَّها» من وجهين:

أحدهما: أن الحديث الثاني لبيان الجواز، وأن النهي في الأول للأدب وكراهة التنزيه لا للتحريم.

والثاني: أن المراد النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة واتخاذها عادة شائعة، ولم ينه عن إطلاقها في نادر من الأحوال.[2]

وزاد الحافظ ابن حجر – رحمه الله – أجوبة أخرى وهي أن اللفظ في حديث: «أن تلد الأمة ربَّها» خرج على سبيل المبالغة، أو أن النهي عنه متأخر، أو أن النهي مختص بغير الرسول صلى الله عليه وسلم.[3]

وأما قوله – صلى الله عليه وسلم – للرجل الفارسي: «إن ربي قد قتل ربَّك» فقد خرج مخرج التهكم والتوبيخ لهؤلاء الذين كانوا يرون في كسرى ربًّا لهم، وهذا أشبه بقول موسى – عليه السلام – للسامري متهكمًا: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} [طه: ٩٧].[4]

فالخلاصة أن إطلاق اسم الرب على غير الله – عز وجل – لا يجوز إذا قصد به كمال وتمام معانيه التي لا تليق إلا بالله جل شأنه، أو كان معرفًا بالألف واللام، أو كان مضافًا إلى ما لا يمكن دخوله في ملك مخلوق أو تصرفه، أو ما من شأنه أن لا يقال إلا في الباري تعالى، وكذلك يكره إطلاقه مضافًا إلى ضمير المتكلم أو المخاطب من المخلوقين؛ لصراحة النهي عن

---

[1] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٣/ ٩٨).

[2] انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٩)، وكذلك: تفسير القرطبي (٩/ ١٩٥)، وفتح الباري (٥/ ١٧٩).

[3] انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٢٣) و (٥/ ١٧٩).

[4] انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/ ٢٩٩).

ذلك في الحديث[1]، ولا بأس بإطلاقه مضافًا إلى ضمير الغائب، أو إلى غير المكلفين مما لا يتعبَّدُ التعبُّدَ التكليفي الشرعي من سائر الحيوانات والجمادات؛ لانتفاء المحذور في ذلك.

[1] حمل بعض أهل العلم النهي الوارد في الحديث على التحريم؛ لأن ذلك هو الأصل في النهي، وبعضهم حمله على التنزيه؛ لورود استعمال الشارع له، والثاني هو الذي جزم به غير واحد من أهل العلم، قال ابن مفلح في الفروع (٦/ ١١٥): "وظاهر النهي التحريم، وقد يحتمل أنه للكراهة، وجزم به غير واحد من العلماء". وسبق نقل كلام النووي، وهذا الذي يظهر من صنيع البخاري - رحمه الله - حيث أورد الحديث في باب "كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي ... و{اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ} عند سيدك".

المبحث السادس

رؤيا ملك مصر في عهد يوسف عليه السلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عرض الرؤيا و تعبيرها.

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من الرؤيا.

المبحث السادس

رؤيا ملك مصر في عهد يوسف عليه السلام

المطلب الأول: عرض الرؤيا و تعبيرها:

قال الله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ . قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ . وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ . يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ . قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف: ٤٣ - ٤٩].

بعد تلك السنين التي قضاها يوسف - عليه السلام - في السجن قدّر الله تعالى له الخروج من السجن معزَّزًا مكرَّمًا، فهيأ لذلك أسبابه، فرأى ملك مصر رؤيا عجيبة هالته وأقلقته، فطلب أشرافَ دولته وأعيان جلسائه فعرض عليهم رؤياه فقال: {إِنِّي أَرَى} أي في المنام {سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ} أي: يأكلهن سبع بقرات هزيلات. قال السعدي رحمه الله: «وهذا من العجب، أن السبع العجاف الهزيلات اللاتي سقطت قوتهن، يأكلن السبع السمان التي كنَّ نهاية في القوة».[١] {وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ} أي: وأرى سبعَ سنبلات - جمع سنبلة - خضر «قد انعقد حبها، وسبعًا أُخَرَ يابسات قد استحصدت، والْتَوَتِ اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها»[٢] ثم قال: {يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣] أي: «فسروا لي رؤياي، وبينوا لي حكمها ومآلها، إن كنتم لجنس الرؤيا تعرفون تفسيرها».[٣]

---

[١] تفسير السعدي (ص: ٣٩٩).

[٢] التفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٢٦).

[٣] التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٤/ ٣٣١).

لم يتمكن هؤلاء الملأ من تعبير رؤيا الملك، ولم يعرفوا لها تأويلاً، فاعتذروا له قائلين: {أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ} [يوسف: ٤٤] أي: رؤياك هذه أخلاط أحلام ومنامات باطلة لا تأويل لها، ولا علم لنا بتأويل أحلامٍ هذا شأنها.(١)

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «وهذا جزم منهم بما لا يعلمون، وتعذر منهم بما ليس بعذر». وقال رحمه الله: «فجمعوا بين الجهل والجزم بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا، وهذا أيضًا من لطف الله بيوسف عليه السلام؛ فإنه لو عبرها ابتداءً – قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها – لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتمًّا لها غاية، فعبرها يوسف؛ وقعت عندهم موقعًا عظيمًا».(٢)

ولما سمع الذي نجا من الفتيين السجينين برؤيا الملك وعَجْزِ الملأ عن تعبيرها، وتذكر بعد مدة طويلة يوسفَ – عليه السلام – وتأويلَه لرؤياه ورؤيا صاحبه، وما وصّاه به من ذكره لدى الملك؛ قال: {أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} [يوسف: ٤٥] الخطاب هنا يحتمل أن يكون للملك وملئه، ويحتمل أن يكون للملك فقط بصيغة الجمع للتعظيم، والتذكير في قوله: {بِتَأْوِيلِهِ} عائد على ما رآه الملك في منامه، وقوله: {فَأَرْسِلُونِ} أصله: فأرسلوني، حذفت الياء لتناسق رؤوس الآي، أي: أرسلوني إلى من أجد عنده تأويل هذه الرؤيا، وهو يوسف عليه السلام، ولم يسمه لهم لأنه أراد أن يفاجئهم بخبر يوسف – عليه السلام – بعد حصول تعبيره ليكون أوقع، إذ ليس مثله مظنة أن يكون بين المساجين.(٣)

فأرسلوه، فلما وصل إلى يوسف – عليه السلام – قال: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٦].

---

(١) وفي قولهم: {أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ} [يوسف: ٤٤] إشارة لطيفة إلى الفرق بين الرؤى والأحلام، حيث إن الغالب في الرؤى أن تكون صحيحة ومفهومة المعنى، بينما الغالب في الأحلام أن تكون على العكس من ذلك، ولهذا لما لم يهتدوا لمعرفة تأويل هذه الرؤيا؛ عبَّروا بالأحلام دون الرؤى، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي قتادة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان». وقد تقدم تخريجه.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٩٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/ ٧١).

وصفَه بالصدِّيق – وهو الذي صار الصدق دأبه وشيمته في كل أحواله – لأنه جرَّب منه الصدق التام أيامَ أن كان معه في السجن.[1]

وفي قوله: {أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ ...} مع ما سبق من قول الملك: {أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ} وقول يوسف عليه السلام قبلهما: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف: ٤١]؛ دلالة على خطورة تعبير الرؤى وأنه في معنى الفتوى التي لا يجوز اقتحامها إلا لمن كان من أهلها.

وقوله: {لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ} يقصد الملكَ وملأه، ومعنى قوله: {لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} أي: يعلمون تأويل الرؤيا التي أهمَّتْهم، وبالتالي يعلمون فضلك ومكانتك فيتسبب عن ذلك خلاصك من السجن.

لم يعنف يوسف – عليه السلام – الفتى على نسيانه ما وصَّاه به، ولم يشترط في مقابل تأويله الرؤيا شيئًا[2]، وإنما شرع في تعبيرها دون شيء من ذلك، ولم يقتصر على مجرد التعبير بل قرنه بالنصح والإرشاد إلى ما يجب عمله في مثل هذه الأحوال، فقال عليه السلام:

{تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا} هذا خبر بمعنى الأمر مع ما تفيده صيغة المضارعة من الإخبار عن الغيب والمبالغة في التعبير عن امتثالهم لهذا الأمر، أي: ازرعوا سبع سنين متتابعات على عادتكم في المزارعة[3] {فَمَا حَصَدْتُمْ} في كل سنة من هذه السنين السبع {فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ}. هذه مشورة عظيمة أشار بها يوسف – عليه السلام – على القوم استبقاءً لطعامهم لسني الجدب. أمرهم أن يتركوا ما يحصدونه من الزروع في سنبله لأن ذلك أبقى له وأدوم، وأبعد من الفساد ومن الالتفات إليه[4]، وأمرهم أيضًا أن يقتصدوا في أكلهم في هذه السنين المخصبة ليكثر ما يدخرونه للسنين المجدبة.

ثم أخبرهم بما يكون بعد هذه السنين السبع المخصبة فقال: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ} أي سبع سنين شديدة الجدب والقحط {يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ} أي: يأكل الناس فيهن كل ما حصدتم وادّخرتم لهن في السنين المخصبة إلا شيئًا يسيرًا مما تحفظونه من البذور.

---

[1] انظر: التفسير الوسيط للعلامة محمد سيد طنطاوي (٧/ ٣٧٠).

[2] «وكان بإمكانه – عليه السلام – أن يشترط في مقابل ذلك خروجَه من السجن، أو يشترط مالاً، أو إعلان براءته، وغير ذلك. وكل ذلك وأكثر قد جاءه من غير طلب ولا اشتراط، وهذا شأن أصحاب المروءات ومن يقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة». أفاد به شيخنا الدكتور عثمان بن علي حسن حفظه الله.

[3] انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٤٧)، والبحر المحيط لابن حيان (٦/ ٢٨٥)، والتفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (٧/ ٣٧٠).

[4] انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٤٧)، وتفسير السعدي (ص: ٣٩٩).

قال ابن عاشور رحمه الله: «عبر الرؤيا بجميع ما دلت عليه، فالبقرات لسنين الزراعة[1]، لأن البقرة تتخذ للإثمار، والسِّمَن رمزٌ للخصب، والعجف رمزٌ للقحط، والسنبلات رمزٌ للأقوات؛ فالسنبلات الخضر رمزٌ لطعام ينتفع به، وكونها سبعًا رمزٌ للانتفاع به في السبع السنين، فكل سنبلة رمزٌ لطعام سنة، فذلك يقتاتونه في تلك السنين جديدًا. والسنبلات اليابسات رمزٌ لما يُدَّخر، وكونها سبعًا رمزٌ لادخارها في سبع سنين، لأن البقرات العجاف أكلت البقرات السمان، وتأويل ذلك: أن سني الجدب أتت على ما أثمرته سنو الخصب».[2]

ثم بشرهم بأنه بعد هذه السنين السبع الشداد يأتي عام خير وبركة {فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ} يحتمل أن يكون مأخوذًا من «الغوث» وهو الفرج، يقال: «أغاثهم الله» أي: فرج عنهم، ويحتمل أن يكون من «الغيث» يقال: «غيثت البلاد» إذا أمطرت[3]، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا ...».[4] ولا مانع من إرادة المعنيين؛ فإن الثاني داخل في الأول وسبيل إليه.

قال: {وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} قيل: يعصرون العنب خمرًا، والسمسم دهنًا والزيتون زيتًا، وكل ما يحتاج إلى العصر من الثمار. وقيل: يحلبون المواشي من خصب المراعي. وقيل: يحسنون إلى غيرهم ويفضلون لسعة عيشهم. وقيل غير ذلك.[5]

وكل هذه الأقوال محتملة، والمشهور الأول وعليه أكثر المفسرين.

واختلف العلماء في هذه الجملة الأخيرة التي قالها يوسف – عليه السلام – في شأن العام الذي فيه يغاث الناس، هل هي داخلة في تعبير الرؤيا أو أنها خارجة عنه؟

فذهب أكثرهم إلى أنها خارجة عن تعبير الرؤيا زائدة عليه، لا مقابل لها فيها، وإنما كانت إخبارًا بالغيب عن طريق الوحي، ليكون ذلك علمًا من أعلام نبوته.[6]

---

(1) هكذا في عدة نسخ، ولم يظهر لي وجه إثبات نون "سنين" مع إضافتها إلى الزراعة، والمعروف حذفها مع الإضافة، فيقال: لسني الزراعة، كما قال في نهاية كلامه: سني الجدب.

(2) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٦).

(3) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٤٥)، والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٣٩)، والبحر المحيط لابن حيان (٦/ ٢٨٥).

(4) أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٣٧٠- ٣٧١ رقم: ١١٦٩) وقال الألباني – رحمه الله – في صحيح سنن أبي داود (٣٣٣/٤): «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(5) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ١٢٩- ١٣٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٥/ ٢٢٨)، والنكت والعيون للماوردي (٣/ ٤٥)، والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٣٩- ١٤٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ٧٠١).

(6) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ١٢٨) وأخرج بسند صحيح عن قتادة قال: «ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها»، وتفسير الثعلبي (٥/ ٢٢٧)، وتفسير الماوردي (٣/ ٤٥)، والتفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٣٨)، والبحر المحيط لابن حيان (٦/ ٢٨٦).

وذهب البعض إلى أنها داخلة في تعبير الرؤيا، وأن الرؤيا دلت على مجيء هذا العام بعد تلك السنين السبع الشداد. قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «ولعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك، لأنه فهم من التقدير بالسبع الشداد أن العام الذي يليها يزول به شدتها، ومن المعلوم أنه لا يزول الجدب المستمر سبع سنين متواليات إلا بعام مخصب جدًّا، وإلا لما كان للتقدير فائدة».(١)

وسواء قلنا بالأول أو الثاني فإن تعبير الأنبياء وحي؛ لأنه إخبار عن غيب، وأخبار الأنبياء معصومة عن الكذب والخطأ.

وإلى هنا انتهى تعبير يوسف لرؤيا الملك، وقد عبرها تعبيرًا صحيحًا حكيمًا مقرونًا بالنصح والإرشاد، ترتب عليه خير عظيم للبلاد والعباد.

وكان من نتائج ذلك تعلُّق الملك بيوسف - عليه السلام - واهتمامه بشأنه، وتحريه فيما رمي به، وإثبات براءة يوسف، واعتراف امرأة العزيز، وتولي يوسف شؤون مصر، وحسن تدبيره في ذلك، واحتياج إخوته إليه، ولمّ شمله بأبويه وإخوته، وظهور مكانته وعلو شأنه، وتحقق رؤياه بسجود أبويه وإخوته له.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٩٩).

المطلب الثاني: المسائل العقدية المستنبطة من رؤيا ملك مصر:

المسألة الأولى: تسمية المخلوق بالمَلِك، و وصفه بالمُلْك.

قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: ١٨٠] ومن هذه الأسماء الحسنى: المَلِك، كما في قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ...} [الحشر: ٢٣، ٢٤].

كما أن الله تعالى وصف نفسه بالمُلْك في آيات كثيرة منها قوله عز وجل: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ١، ٢]، وقال جل شأنه: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك: ١].

وكذلك سمى الله – جل وعلا – بعض عباده بالمَلِك، كما في الآية التي معنا، وهي قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ} [يوسف: ٤٣] وقد تكرر ذلك في هذه السورة[١]، وقال تعالى في سورة الكهف: {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف: ٧٩].

كما أنه تعالى وصف بعض عباده بالمُلْك، وأثبت له ملكًا، كما في قول تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٤٧، ٢٤٨]، وقال: {وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ} [البقرة: ٢٥١]، وقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} [البقرة: ٢٥٨].

فكيف التوفيق بين هذه الآيات؟

---

(١) انظر الآيات التالية من سورة يوسف: ٥٠، ٥٤، ٧٢، ٧٦.

إن أسماء الله الحسنى مختصة به وحده لا شريك له، لائقة بكماله وجلاله وعظمته، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠]، وهذه الإضافة تفيد اختصاصه تعالى بها، «ولهذا سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به لا يشركه فيها غيره، ولا ندَّ له فيها ولا نظير ولا سميَّ ولا مثيل، وقد سمى الله تبارك وتعالى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم، وإضافتها إليهم تدل على اختصاصهم بها، وأنها تليق بحالهم ونقصهم وضعفهم، وقد جاءت هذه الأسماء موافقة لتلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولا يلزم من اتفاق تلك الأسماء اتفاق الحقائق والمسميات».[1]

فما أطلق منها على الخالق – جل جلاله – فإنه يليق بكماله وجلاله وعظمته، وما أطلق منها على المخلوق فإنه يليق بنقصه وضعفه وعجزه.

فمثلاً سمى الله – عز وجل – نفسه الكريمة بالحي، كما في قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥]، وسمى أيضًا بعض مخلوقاته بالحي، كما في قوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} [الروم: ١٩]، لكن ليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ فإن الأول اسم للخالق سبحانه مختص به لائق بكماله وعظمته، والثاني اسم للمخلوق الحي مختص به لائق بنقصه وضعفه، وهما متفقان في معنى «الحياة» الكلي المعلوم في الوضع، وهو ضد الموت، ولا يلزم من هذا الاتفاق في الاسم والمعنى الكلي؛ أن تكون حقيقة كلٍّ منهما هي عين حقيقة الآخر، بل لكل منهما حقيقته الخاصة اللائقة به، فإن حياة الخالق – جل شأنه – تليق بكماله وعظمته، إذ هي حياة كاملة لا نقص فيها البتة، فلم يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء، ولا يعتريها نقص أو ضعف، ولا يتخللها سنة ولا نوم. وحياة المخلوق تليق بنقصه وضعفه، إذ هي حياة ناقصة سبقها عدم، ويلحقها فناء، ويعتريها ضعف ومرض، ويتخللها سنة ونوم.

وقل مثل ذلك في سائر الأسماء التي تسمى الله تعالى بها وسمى بعض مخلوقاته أيضًا بها، كالسميع البصير، والملك، والعزيز الحكيم، والكريم ونحو ذلك.

فنقول في المسألة التي معنا: إن الله تعالى سمى نفسه: المَلِكَ، ووصف نفسه بالمُلْكِ، وسمى أيضًا بعضَ خَلْقه: المَلِكَ، ووصفه بالمُلْكِ، وهذان الاسمان – وإن اتفقا في المعنى

[1] فقه الأسماء الحسنى للشيخ الدكتور عبد الرزاق البدر (ص: ٥٤).

الكلي – إلا أن ذلك لا يعني أن حقيقة اسم الله المَلِك هي حقيقة اسم المخلوق المَلِك، بل كلٌّ له حقيقته الخاصة اللائقة به، فإن ملك الله – عز وجل – يليق بكماله وعظمته، وهو ملك تام مطلق عام شامل لجميع الكائنات يتصرف فيه بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، بينما ملك المخلوق ملك قاصر فلا يملك إلا ما تحت يده، مقيدٌ بما أُذن له بالتصرف فيه شرعًا وقدَرًا، فليس له مثلاً أن يحرق ماله أو يعذِّب دابته؛ لأنه لم يؤذن له بذلك شرعًا، كما أنه لا يستطيع أن يقول لمملوكه المريض: ابرأ، فيبرأ؛ لأنه لا يملك فيه من الناحية القدرية شيئًا، ثم هو وما تحت يده ملكٌ لله جل وعلا، وبهذا يتبين لنا الفرق بين الاسمين والصفتين.[١]

أما تسمية المخلوق بأسماء الله – عز وجل – فنقول: إن أسماء الله – جل شأنه – على نوعين:

الأول: ما كان من أسماء الله تعالى عَلَمَ شخصٍ كاسم «الله» امتنع تسمية غير الله به؛ لأن مسماه معين لا يقبل الشركة، وكذا ما كان من أسمائه في معناه في عدم قبول الشركة كالخالق والبارئ، فإن الخالق من يوجد الشيء على غير مثال سابق، والبارئ من يوجد الشيء بريئًا من العيب، وذلك لا يكون إلا من الله وحده، فلا يسمى به إلا اللَّه تعالى.[٢]

وكذلك لا يجوز تسمية المخلوق بالقيوم؛ لأن القيوم هو المستغني بنفسه عن غيره، المفتقر إليه كل ما سواه، وذلك مختص بالله لا يشركه فيه غيره.[٣]

وكذا لا يسمى المخلوق بالرحمن؛ لأنه بكثرة استعماله اسمًا لله تعالى صار علمًا بالغلبة عليه، مختصًّا به، كلفظ الجلالة، فلا يجوز تسمية غيره به.[٤]

الثاني: ما كان من الأسماء الحسنى له معنى كلِّيٌّ يتفاوت الحكم فيه بين أفراده كالمَلِك، والعزيز، والعلي، والكبير، والرحيم، والكريم، والحكيم، والسميع، والبصير .. وأمثالها.

فهذه الأسماء وأمثالها تُطلق على الخالق وعلى المخلوق، ولكلٍّ حُكمه ومعناه، فيجوز التسمِّي به، فقد سمى الله نفسه بهذه الأسماء، وسمّى بعض عباده بها، ولا يلزم من ذلك التماثل، لاختصاص كل مسمى بسمات تميزه عن غيره، وبهذا يعرف الفرق بين تسمية الله بلفظ الجلالة، وتسميته بأسماء لها معانٍ كلية تشترك أفرادها فيها، فلا تقاس على لفظ الجلالة.[٥]

---

[١] انظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (١/ ٢٣- ٢٤).

[٢] شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة للشيخ سعيد بن وهف القحطاني (ص: ٢٥٥).

[٣] المرجع السابق (ص: ٢٥٦).

[٤] المرجع السابق (ص: ٢٥٧).

[٥] انظر: المرجع السابق (ص: ٢٥٥)، .

وقد ذكر بعض أهل العلم تفصيلاً للنوع الثاني، فقد سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - عن حكم التسمي بأسماء الله تعالى مثل: الرحيم والحكيم؟

فأجاب بقوله: «يجوز أن يسمى الإنسان بهذه الأسماء بشرط أن لا يلاحظ فيها المعنى الذي اشتقت منه، بأن تكون مجرد علَمٍ فقط، ومن أسماء الصحابة: "الحكم" و"حكيم بن حزام"، وكذلك اشتهر بين الناس اسم: "عادل" وليس بمنكر، أما إذا لوحظ فيه المعنى الذي اشتقت منه هذه الأسماء، فإن الظاهر أنه لا يجوز؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - غير اسم أبي الحكم الذي تكنى به؛ لكون قومه يتحاكمون إليه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله هو الحَكَم، وإليه الحُكم» ثم كنّاه بأكبر أولاده: شريح، وقال له: «أنت أبو شريح»[1]. وذلك أن هذه الكنية التي تكنى بها هذا الرجل لوحظ فيها معنى الاسم، فكان هذا مماثلاً لأسماء الله سبحانه وتعالى؛ لأن أسماء الله - عز وجل - ليست مجرد أعلام، بل هي أعلام من حيث دلالتها على ذات الله سبحانه وتعالى، وأوصاف من حيث دلالتها على المعنى الذي تتضمنه، وأما أسماء غيره سبحانه وتعالى، فإنها مجرد أعلام، إلا أسماء النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنها أعلام وأوصاف، وكذلك أسماء كتب الله - عز وجل - فهي أعلام وأوصاف أيضًا».[2]

وتجدر هنا الإشارة إلى أمور:

١- أن هذه الأسماء التي تسمى الله تعالى بها وسمى بها بعض عباده ليس إطلاقها على الله - عز وجل - وعلى المخلوق من باب المشترك اللفظي[3]، لأن ذلك يقتضي التباين بين هذه الأسماء في المعنى والمدلول بحيث لا يجمع بينها معنى مشترك مع صدق اللفظ عليها.

فمثلاً: إذا قيل: إن الله سميع، والمخلوق سميع، واعتبرنا "السميع" هنا من باب المشترك اللفظي، ونحن نفهم معنى "السميع" بالنسبة للمخلوق؛ فإن "السميع" بالنسبة لله سبحانه وتعالى يكون له معنى آخر بعيدٌ جدًّا عن معناه بالنسبة للمخلوق، كالبُعد

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٣٠٩ رقم: ٤٩٥٥)، والنسائي في سننه (٨/ ٢٢٦ رقم: ٥٣٨٧)، وصححه الألباني كما في إرواء الغليل (٨/ ٢٣٧ رقم: ٢٦١٥).

[2] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ٩٥- ٩٦).

[3] المشترك اللفظي هو: اللفظ الواحد الذي يطلق على أشياء مختلفة بالحد والحقيقة إطلاقًا متساويًا، كلفظة: "العين" فإنها تطلق على: آلة البصر، والينبوع، والجاسوس، وقرص الشمس، وليس بين هذه الأشياء أيُّ معنى يجمعها غير لفظ "عين" الذي يطلق على كل منها. انظر: معيار العلم للغزالي (ص: ٨١) المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/٣٧٦).

الذي بين "العين" التي بمعنى آلة البصر و"العين" التي بمعنى الينبوع، ولا شك أن هذا يؤدي إلى تعطيل أسماء الله وصفاته عن معانيها اللائقة به.[1]

إذن هذا التوافق بين أسماء الله تعالى وصفاته وأسماء المخلوقين وصفاتهم ليس من باب المشترك اللفظي، كما ذهب إلى ذلك الشهرستاني والرازي – في أحد قوليهما – والآمدي مع توقفه أحيانًا[2]، وإنما هو من باب اللفظ المتواطئ[3] أو المشكك[4]، لأن هناك معنى كليًّا مفهومًا من مطلق هذه الأسماء والصفات، وإن كانت هذه الأسماء والصفات بالنسبة لله تعالى مختصة به لا يشاركه فيها أحد من الخلق، كما أنها بالنسبة للمخلوق مختصة به، وليس فيما أطلق على المخلوق تشبيه بما أطلق على الخالق سبحانه وتعالى، وإن اتفقت مسمّيات هذه الصفات؛ لأن هذا المعنى الكلي الذي تتفق فيه هذه الأسماء إنما هو في الأذهان لا في الأعيان، فليس في الموجودات الخارجية اثنان اشتركا في شيء، فضلاً عن أن يكون الخالق تعالى مشاركًا لغيره في شيء من الأشياء، سبحانه وتعالى.[5]

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هذا الأصل في مواطن كثيرة من كتبه.[6]

---

[1] انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (٢/ ٩٦٥– ٩٦٦).

[2] انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/ ٥٨١).

[3] **اللفظ المتواطئ** هو: الذي يدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها، كدلالة اسم "الإنسان" على زيد وعمرو. أي أنه المعنى الكلي الذي يشترك فيه أعيان متعددة، لكن هذا المعنى الكلي الذي يجمعهم لا يعني أن حقيقة كل فرد منهم هي حقيقة الآخر، بل كل له حقيقته الخاصة. انظر: معيار العلم في فن المنطق للغزالي (ص: ٨١)، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٣٣٤)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٢/ ٩٦٦).

[4] **اللفظ المشكك** هو: اللفظ الموضوع لأمر عام مشترك بين الأفراد، لا على السواء، بل على التفاوت. أو هو: المعنى الكلي الذي لم يتساو صدقه على أفراده، بل كان حصوله في بعضها أولى أو أقدم أو أشد من البعض الآخر، كالوجود فإنه في الواجب أولى وأقدم وأشد مما في الممكن. والفرق بين المتواطئ والمشكك: أن المشكك جزء من التواطؤ العام، لأنه يدل على أشياء متعددة لأمر عام مشترك بين أفرادها، لكنه في بعضها أقوى أو أشد. انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٢٧٦)، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (ص: ٣٧٨)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٩٦٦).

[5] انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٦٢١).

[6] انظر على سبيل المثال: منهاج السنة (٢/ ٢٨١– ٢٩٨)، ودرء التعارض (٢/ ٤٧٦– ٤٨٠) (٣/ ٨٢– ٨٣)، والرد على المنطقيين (١٦٢/١– ١٦٣)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٠٠– ٢١٧) والتدمرية (ص: ١٠٥– ١١١).

٢- ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تنازع الناس في الأسماء التي تطلق على الله تعالى وعلى العباد، فقسمهم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: طائفة قالت: إنها حقيقة في الرب - عز وجل - مجاز في المخلوق، وممن ذهب إلى هذا: أبو العباس الناشئ[(١)].

الثاني: طائفة قالت عكس الأولى: إنها مجاز في الرب - عز وجل - حقيقة في المخلوق، وهذا قول طائفة من غلاة الجهمية والباطنية والفلاسفة.

الثالث: جماهير الطوائف من المعتزلة والأشعرية والكرامية والفقهاء وأهل الحديث والصوفية - وهو قول الفلاسفة - قالوا: هي حقيقة فيهما.

لكن كثيرًا من هؤلاء يتناقض، فيقرُّ في بعضها بأنها حقيقة، كاسم الموجود والنفس والذات والحقيقة ونحو ذلك، وينازع في بعضها لشبه نفاة الجميع، والقول فيما نفاه نظير القول فيما أثبته، ولكن هو لقصوره فرّق بين المتماثلين، ونَفْيُ الجميع يمتنع أن يكون موجودًا.[(٢)]

المسألة الثانية: حكم وصف الزمان بالشدة ونحوها

قال يوسف - عليه السلام - في تعبير رؤيا الملك: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ} [يوسف: ٤٨] وورد نحو ذلك في مواضع أخرى من القرآن، ومن ذلك: قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} [هود: ٧٧]، وقوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [فصلت: ١٦]، وقوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ} [القمر: ١٩]، وقوله تعالى: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ

---

(١) هو: أبو العباس عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الناشئ الأنباري، كان يقال له: ابن شرشير، وكان متكلمًا نحويًّا شاعرًا مترسلاً، ترجم له الذهبي في السير وقال: من كبار المتكلمين، وأعيان الشعراء، ورؤوس المنطق. له التصانيف. وكان قوي العربية والعروض، أدخل على قواعد الخليل شبهًا، ومثلها بغير أمثلة الخليل، وصنف في المنطق، وله قصيدة في عدة فنون، نحو أربعة آلاف بيت، وكان من أذكياء العالم، سكن مصر ومات بها سنة (٢٩٣هـ). وعدَّه ابن المرتضى في الطبقة الثامنة من طبقات المعتزلة. انظر: تاريخ بغداد وذيوله (١٠/ ٩٢ رقم الترجمة: ٥٢١٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠- ٤١)، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى (ص: ٩٢).

(٢) انظر: الرد على المنطقيين (١/١٦٢- ١٦٣)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ٢٩٤)، منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٨٢- ٢٨٣).

أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى} [الحاقة: ٧]، وقوله تعالى: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج: ٥٥] على قول من فسّر {يَوْمٍ عَقِيمٍ} بأنه يوم بدر.[(١)]

فهذه الآيات كلها ليس في شيء منها سب الدهر المنهي عنه في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»، وفي لفظ: «لا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر»، وفي لفظ: «قال الله عز وجل: "يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر! فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر؛ فإني أنا الدهرُ، أقلب ليله ونهاره، فإذا شئتُ قبضتهما"».[(٢)]

---

(١) وهو مروي عن ابن عباس وأبيّ بن كعب - رضي الله عنهما - وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي، وابن جريج، وعزاه البغوي إلى الأكثرين، واختاره ابن جرير الطبري والواحدي وصوبه الثعلبي، وعللوا ذلك بأن يوم القيامة سبق ذكره في قوله تعالى: {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً} فلو فسر يوم العقيم أيضًا بيوم القيامة كان في ذلك تكرار، وسمي يوم بدر بيوم عقيم لأنه لم يكن فيه للكفار خير، أو لأنه يوم لا مثل له في عظم أمره فكأن الدهر عقيم عن مثل ذلك اليوم، أو لأن الكفار الذين قتلوا فيه لم يروا بعد ذلك اليوم ليلاً ولا نهارًا إذ لم يُنْظَرُوا إلى الليل بل قتلوا في الصباح، أو لأن أولاد النساء يقتلون في يوم الحرب فيصرن كأنهن عقم لم يلدن. وقال عكرمة والضحاك: هو يوم القيامة، وينسب أيضًا إلى الحسن البصري، واختاره الرازي وابن كثير وقال: «هذا القول هو الصحيح» واختاره كذلك أبو السعود والشنقيطي والسعدي. لأنه لا يجوز أن يقول الله تعالى: {وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا} ويكون المراد يوم بدر، لأن من المعلوم أنهم في مرية بعد يوم بدر، ولا يلزم من ذلك التكرار؛ لأن المراد بالساعة مقدّمات القيامة، واليوم العقيم يوم القيامة نفسه. ويحتمل أن يكون المراد بالساعة: وقت موت كل أحد، وبعذاب يوم عقيم: القيامة، ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم: يوم القيامة، وكأنه قيل: حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها، فوضع يَوْمٍ عَقِيمٍ موضع الضمير. ومن الأدلة على أن المراد يوم القيامة: قوله تعالى بعده: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} [الحج: ٥٦] لأن تخصيصَ الملك والتَّصرفِ الكُليِّ فيه بالله - عز وجل - ثم بيانَ ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الأُخرويين؛ يقضي بأن المرادَ به يومُ القيامة قضاءً بيِّنًا لا ريبَ فيه. وسبب تسميته بيوم عقيم هو أنه يوم لا ليلة له، أو لأنه يوم لا فرج للمشركين فيه ولا خير. واختاره الرازي وقال ابن عطية: «و"الساعة": قالت فرقة: أراد يوم القيامة، "واليوم العقيم": يوم بدر، وقالت فرقة: "السَّاعَةُ": موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر ونحوه، و "اليوم العقيم": يوم القيامة، وهذان القولان جيدان لأنهما أحرزا التقسيم بـ "أَوْ" ومن جعل السَّاعة و اليوم العقيم: يوم القيامة، فقد أفسد رتبة "أَوْ"». انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٧١- ٦٧٣)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٣١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ١٦٦)، وتفسير ابن عطية (٤/ ١٣٠)، والتفسير البسيط للواحدي (١٥/ ٤٧٧)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٤٨)، وزاد المسير (ص: ٩٦٣)، وتفسير الرازي (٢٣/ ٢٤٢)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٤٦)، وتفسير أبي السعود (٦/ ١١٥)، وأضواء البيان (٥/ ٥٠٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٤٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وهذه ألفاظ مسلم، فقد أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير باب سورة حم الجاثية (٤/ ١٨٢٥ رقم: ٤٥٤٩)، وكتاب الأدب باب "لا تسبوا الدهر" (٥/ ٢٢٨٦ رقم: ٥٨٢٧ و ٢٢٨٧)، وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى {يريدون أن يبدلوا كلام الله} (٦/ ٢٧٢٢ رقم: ٧٠٥٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهي عن سب الدهر (٤/ ١٧٦٢- ١٧٦٣ رقم: ٢٢٤٦).

وإنما هو وصف للدهر أو الزمان باعتبار ما حدث أو يحدث فيه، فهو خبر محض ليس فيه لوم أو ذم له، وليس فيه أيضًا نسبة الحوادث إلى الدهر باعتباره فاعلاً لها.

إذن هناك فرق كبير بين سب الدهر وبين وصفه، فالأول: يراد به العيب والعتب، والثاني: لا يراد به إلا البيان والخبر.

وساب الدهر لا يخلو من أحد أمرين:

الأول: أن يسب الدهر على أنه فاعل الحوادث، فهذا شرك أكبر، ومنه قول الله – عز وجل – في ذم المشركين: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية: ٢٤].

الثاني: أن يسب الدهر؛ لأنه وقعت فيه أمور مكروهة مع اعتقاد أن الله هو الفاعل، فهذا من المحرمات المنقصة لتوحيد العبد.

ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار بعض الشعراء كزهير ابن أبي سلمى[١] والمتنبي[٢] وغيرهما، وفي معنى ذلك قول بعض الناس: أبادهم الزمان، ومزقتهم الأيام، وخانتهم الليالي ونحو ذلك.

وفي سب الدهر مفاسد أشار إليها ابن القيم – رحمه الله – فقال: «في هذا ثلاث مفاسد عظيمة:

إحداها: سَبُّه من ليس بأهلٍ أن يُسَب، فإن الدهر خلق مُسخَّر من خلق الله، منقاد لأمره مذلَّلٌ لتسخيره، فسابُّه أولى بالذم والسَّبِّ منه.

الثانية: أن سبَّه متضمِّنٌ للشرك، فإنه إنما سبَّه لظنِّه أنه يَضُرُّ ويَنفع، وأنه مع ذلك ظالمٌ قد ضرَّ من لا يستحقُّ الضَّرر، وأعطى من لا يستحقُّ العطاء، ورفع من لا يستحقُّ الرِّفعة، وحَرَمَ من لا يستحقُّ الحِرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظَّلَمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبِّه كثيرة جدًّا، وكثيرٌ من الجهال يُصَرِّحُ بلعْنِه وتقبيحِه.

---

(١) من ذلك قوله في ديوانه (ص: ١٢٣):

يـا دهرُ قـد أكثرتَ فَجْعَتَنـا *** بِسَراتِنا وقرَعْتَ في العَظْمِ

وسَلَبْتَنـا مـا لستُ مُعْـقِبَـه *** يا دهرُ ما أنصفتَ في الحُكمِ

أجْلَتْ صُروفُكَ عن أخي ثقةً *** حامي الذِّمَارِ مُخالِطِ الحَزْمِ

(٢) من ذلك قوله في ديوانه (ص: ٣٧٦):

قُبحًا لوجهكَ يا زمانُ فإنَّهُ *** وَجـهٌ لـه من كـل قُبحٍ بُرقُـعُ

أيموتُ مثلُ أبي شُجاعٍ فاتِكٍ *** ويَعيشُ حاسِدُه الخَصِيُّ الأوكَعُ.

الثالثة: أن السبَّ منهم إنما يقَعُ على من فعلَ هذه الأفعالَ التي لو اتَّبَعَ الحقُّ فيها أهواءَهم؛ لفسدت السماوات والأرض، وإذا وقعت أهواؤهم حَمِدُوا الدَّهرَ وأثنَوا عليه. وفي حقيقة الأمر، فرَبُّ الدهر تعالى هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمَسَبَّتُهم للدهر مسبَّةٌ لله عز وجل، ولهذا كانت مؤذيةً للربِّ تعالى، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر»[1] فسابُّ الدهرِ دائرٌ بين أمرين لا بدَّ له من أحدهما: إما سَبُّه لله، أو الشركُ به؛ فإنه إذا اعتقد أن الدهرَ فاعلٌ مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسبُّ من فعله فقد سب الله».[2]

وأما وصف الزمان بما يقع فيه مما يقدره الله من الخير والشر، فلا يدخل ذلك في سب الدهر والأيام، لأنه خبر محض عمَّا جرى فيه من قدر الله، أما ما يحتمل السب والإخبار عما جرى فيه من المكروه كقول بعض الناس: "هذا يوم أسود"، فينبغي اجتنابه.

---

[1] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٠).

[2] زاد المعاد (٢/ ٣٥٤- ٣٥٥).

الفصل الثالث

الدلالات العقدية للرؤى والتعابير في السنة النبوية الصحيحة

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالله عز وجل.

المبحث الثاني: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالملائكة.

المبحث الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالكتب.

المبحث الرابع: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالرسل.

المبحث الخامس: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان باليوم الآخر.

المبحث السادس: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالقدر.

المبحث السابع: دلالات الرؤى والتعابير في باب الصحابة.

المبحث الثامن: دلالات الرؤى والتعابير في أبواب متفرقة من العقيدة.

المبحث الأول

دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالله عز وجل

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بربوبية الله تعالى.

المطلب الثاني: الإيمان بألوهية الله تعالى.

المطلب الثالث: الإيمان بأسماء الله وصفاته.

المطلب الرابع: الشرك في الألفاظ.

المبحث الأول

دلالات الرؤى والتعابير في السنة النبوية في باب الإيمان بالله عز وجل.

◄ المطلب الأول: الإيمان بربوبية الله:

الربوبية: مصدر رَبَّ يَرُبُّ رِبَابَةً ورُبُوبِيَّةً وتَرْبِيَةً[1]، والألفاظ المشتقة من هذا الفعل يختص منها لفظان بالله – عزوجل – لا يطلقان على غيره، وهما:

١- الاسم: «الرب» فهذا الاسم لا يطلق – هكذا مطلقًا معرفًا بالألف واللام – إلا على الله عز وجل، وقد سبق بيان هذا مفصلاً في المسائل العقدية المستنبطة من رؤيا الفتيين في السجن، وذكرنا هناك معنى «الرب» لغة وشرعًا.[2]

٢- المصدر: «الربوبية» فهذا المصدر لا يطلق إلا على الله جل وعز، وأما غيره فيستعمل في حقه المصادر الأخرى، مثل: الربابة والتربية.[3]

وربوبية الله تعالى على خلقه نوعان:

١- ربوبية عامة: وهي لجميع خلقه، إنسهم وجنِّهم، مؤمنهم وكافرهم، برِّهم وفاجرهم، وهي بمعنى الخلق والملك والتدبير.

٢- ربوبية خاصة: وهي عنايته – جل وعلا – بأوليائه بالهداية والتوفيق والنصر والتأييد والقبول والتشريف.

والمراد بالإيمان بربوبية الله: الإيمان بأن الله تعالى متفرد بالخلق والملك والتدبير، لا يشركه فيها أحد. وهذه الأوصاف الثلاثة هي الأصول التي تجتمع فيها ربوبية الله عز وجل.

والمراد بالخلق الذي تفرد الله تعالى به ولا يشركه فيه أحد: هو إيجاد الأشياء من العدم، وهو خلق شامل، فلا يعارضه ما ورد من إضافة الخلق لغير الله في بعض النصوص، لأن الخلق الذي أضيف لغير الله ليس إيجادًا من عدم، ولا إحياءً لميت، بل هو تغيير وتحويل للشيء من حال إلى حال، وأيضًا ليس شاملاً، بل هو محصور بدائرة ضيقة وبما يتمكن الإنسان منه.

---

[1] انظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص: ٣٣٧)، تاج العروس لمرتضى الزبيدي (٢/ ٤٦٠)، لسان العرب لابن منظور (١/ ٣٩٩).

[2] انظر (ص: ٢٧٩- ٢٨٥).

[3] انظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص: ٣٣٧).

وكذلك المُلك الذي تفرد الله تعالى به هو المُلك المطلق العام الشامل لكل شيء، فلا يعارضه ما ورد من وصف بعض المخلوقين بالمُلك، لأن المُلك الذي وُصف به المخلوق مُلكٌ مقيَّدٌ وقاصر، مقيَّدٌ من حيث العموم والشمول، فلا يملك الإنسان إلا ما تحت يده، ولا يملك ما تحت يد غيره، ومقيَّدٌ من حيث التصرف، فلا يملك التصرفَ في ملكه إلا على الوجه المأذون له فيه كونًا وشرعًا.

وكذلك التدبير الذي تفرد الله – جل وعلا – به هو تدبير مطلق وشامل لا يحول دونه شيء، ولا يعارضه شيء، فلا يشكل على ذلك ما ورد من إثبات بعض التصرف للمخلوق، لأنه تدبير مقيَّدٌ ومحدود.[1]

وتوحيد الربوبية أحد أنواع التوحيد الثلاثة، وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وبين هذه الأنواع الثلاثة علاقة قوية، وارتباط وثيق، بحيث لا ينفع الإقرار ببعضها دون البعض الآخر، بل لا بد من الإقرار بها جميعًا، ولهذا لم ينفع المشركين إقرارُهم بالربوبية مع شركهم في الألوهية.

فأقسام التوحيد الثلاثة تشكل بمجموعها جانب الإيمان بالله عز وجل، فلا يكمل لأحد إيمانه ولا يصح إلا بالإيمان بهذه الأنواع الثلاثة مجتمعة، فهي متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضًا، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح ولا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أي نوع منها هو خلل في التوحيد كله.

والعلاقة بين أنواع التوحيد هي علاقة تلازم وتضمن وشمول، وذلك لأن توحيد الربوبية متضمن لتوحيد الأسماء والصفات[2]، وهما مستلزمان لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية

---

[1] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/ ٥– ٧)، وفتاوى أركان الإسلام له (ص: ١٠– ١٢)، وشرح العقيدة الواسطية له (١/ ٢٣– ٢٤).

[2] انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣/ ٤٠).

متضمن لهما[1]، كما أن توحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين الآخرين من حيث الدلالة.[2]

والإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي لدخول المرء في الإسلام، لأنه لا يتضمن الإقرار بتوحيد الألوهية، بخلاف الإقرار بتوحيد الألوهية فإنه يدخل به المرء في الإسلام، لأنه متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، فمن اعتقد تفرد الله تعالى بالألوهية وأفرده بالعبادة فلابد أن يكون قد اعتقد بأنه الخالق المالك المدبر وحده ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأما من أقرَّ بربوبية الله تعالى وببعض أسمائه وصفاته فإن ذلك لا يتضمن إفراده بالعبادة، وإنما يلزمه مع ذلك إفراد الله – عز وجل – بالعبادة، ولكنه قد يلتزم ذلك فيكون مسلمًا موحدًا، وقد لا يلتزم فلا يدخل أصلاً في الإسلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والإلهية هي العلة الغائية، والربوبية هي العلة الفاعلية، والغائية هي المقصودة، وهي علة فاعلية للعلة الفاعلية، ولهذا قدم قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} على قوله: {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٤] وتوحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية؛ فإنه من لم يعبد إلا الله يندرج في ذلك أنه لم يقر بربوبية غيره، بخلاف توحيد الربوبية فإنه قد أقر به عامة المشركين في توحيد الإلهية كما قال تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: ١٠٦] ذكر البخاري في صحيحه عن عكرمة وغيره: تسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله. وهم مع هذا يعبدون غيره».[3]

ومما يوضح ذلك أيضًا أن توحيد الربوبية والأسماء والصفات توحيدٌ علميٌّ خبريٌّ اعتقادي، بينما توحيد الألوهية توحيدٌ عمليٌّ طلبيٌّ، والعملي متضمنٌ للعلمي.

ومن أقر لله تعالى بالربوبية اقتضى منه هذا الإقرار أمورًا لابد من أن يلتزم بها وإلا ما نفعه إقراره، وهذه الأمور هي:

١– إثبات ربٍّ مباينٍ للعالم، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن الربوبية المحضة تقتضي مباينة الرب للعالم بالذات كما باينهم بالربوبية وبالصفات والأفعال، فمن لم يثبت

---

[1] انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٥٤)، ودرء التعارض له (٤/ ٣٩١)، ومنهاج السنة له (٣/ ٢٨٩– ٢٩٠)، والقول السديد في شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص: ١٧).

[2] وانظر: الكواشف الجلية للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان (ص: ٤٢١– ٤٢٢)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة التميمي (ص: ٤٠)، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور عثمان جمعة ضميرية (ص: ٢٢٤).

[3] بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٥٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٧).

ربًّا مباينًا للعالم فما أثبت ربًّا، فإنه إذا نفى المباينة لزمه أحد أمرين لزومًا لا انفكاك له عنه البتة: إما أن يكون هو نفس هذا العالم، وحينئذ يصح قوله، فإن العالم لا يباين ذاته ونفسه، ومن هاهنا دخل أهل الوحدة، وكانوا معطلة أولاً واتحادية ثانيًا. وإما أن يقول: ما ثَمَّ ربٌّ يكون مباينًا ولا محايثًا[1]، ولا داخلاً ولا خارجًا، كما قالته الدهرية المعطلة للصانع».[2]

٢- اعتقاد تفرد الله تعالى بالتدبير والتصرف في الكون، بأن لا يعتقد العبد نفعًا ولا ضرًّا، ولا حركةً ولا سكونًا، ولا بسطًا ولا خفضًا ولا رفعًا، ولا إعطاءً ولا منعًا، ولا إحياءً ولا إماتةً، ولا تدبيرًا ولا تصريفًا؛ إلا والله سبحانه وتعالى هو فاعله وخالقه لا يشركه في ذلك أحد، ولا يملك واحد منه شيئًا. وهذا داخل في الإيمان بالقضاء والقدر.

٣- توصّل العبد بالإقرار بالربوبية إلى الإقرار بالألوهية، وهذا أهم ما ينبغي الالتزام به لمن أقر بربوبية الله جل وعلا، أن يفرد الله عز وجل بالألوهية والعبادة كما أفرده بالربوبية.

وقد سجل القرآن الكريم اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية في الجملة في مواضع عديدة، واحتج عليهم بتوحيد الله في الربوبية على توحيده في الألوهية، من ذلك قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [يونس: ٣١، ٣٢].

وقوله عز وجل: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

ومع أن توحيد الربوبية أمر فطري ضروري، لا ينكره إلا مكابر أو معاند، كما أخبر الله تعالى عن فرعون أنه قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٤]، وأخبر أن ذلك منه مكابرة وليس عن يقين وقناعة، فقال على لسانه نبيه موسى عليه السلام: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ

---

[1] قوله: (محايثًا) هو مقابل لقوله: (مباينًا) فمعناه: مداخلاً.

[2] مدراج السالكين (١/ ٣٠١).

هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء: ١٠٢]، وقال عز وجل: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل: ١٤]، ومع كثرة الأدلة الدالة على وجود الله – عز وجل – وتفرده بصفات الربوبية – أدلة عقلية وحسية ونقلية –؛ إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر هذا الانحراف فيما يلي[1]:

١– جحد ربوبية الله أصلاً، وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤].

ومن ذلك أيضًا جحد فرعون لربوبية الله تعالى ظاهرًا كما سبق، ولهذا قال منكرًا على موسى عليه السلام: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٢٣]، وقال مكذبًا له: {يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [القصص: ٣٨].

وربما يدخل في هذا النوع شرك أهل وحدة الوجود؛ كابن عربي، وابن سبعين، وغيرهم من الذين يقولون: إن الخالق عين المخلوق؛ فعطلوا الله – عز وجل – عن أن يكون رب العالمين، ولم يفرقوا بين رب وعبد.[2]

٢– جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيته، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

مثل المنكرين للبعث من المشركين الذين أخبر الله عنهم في كتابه، قال تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: ٧].

٣– إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقد وجود متصرف مع الله – عز وجل – في أي شيء من تدبير الكون، من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية؛ فهو مشرك بالله العظيم.

مثل: عبدة الأصنام من مشركي العرب ممن كانوا يعتقدون في أصنامهم أنها تنفع وتضر، فكانوا يتقربون إليها وينذرون لها ويتبركون بها.[3]

---

[1] وانظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص: ١٩).

[2] انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٩٩– ٣٠٠).

[3] ومن هنا نعلم أن إقرار المشركين بربوبية الله تعالى إنما كان في الجملة ولم يكن على وجه الكمال والتمام، وإلا لالتزموا إفراد الله تعالى بالعبادة.

وكذلك غلاة الصوفية الذين يعتقدون في أليائهم وأقطابهم أنهم يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب ويغيثون المستغيثين.

وكذلك غلاة الروافض الذين يعتقدون في أئمتهم أنهم يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب ولا يموتون إلا باختيارهم وأن حساب الخلائق إليهم ... إلى غير ذلك من الطوام.

وكذلك الذين يشرعون القوانين الوضعية ويحكمون الناس بها، فإن التشريع من صفات الربوبية التي تفرد الله تعالى بها.

وقد دلت الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية على إثبات الربوبية لله عز وجل، وذلك من أوجه متعددة منها:

١- أن وقوع هذه الرؤى وتعددها واختلافها ودلالاتها ومآلاتها تدل على أن هناك من يتصرف في الرؤى ويوقعها، وهو الله سبحانه القادر على كل شيء، المتصرف في كل شيء، العالم بكل شيء.

٢- أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، والوحي من أفعال الله الدالة على ربوبيته، ففي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا هريرة - رضي الله عنه - أخبره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأُوحِيَ إليَّ في المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي». فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة.[1]

٣- أن رؤيا الأنبياء وغيرهم من الصالحين نوع عناية من الله بهم وتربية لهم، وهذا من معاني الربوبية، ولهذا جعل الله تعالى الرؤيا الصالحة من إرهاصات النبوة ومقدماتها، ومهَّد بها للنبوة، كما جعلها الله - عز وجل - بشرى لعباده المؤمنين، يربط بها على قلوبهم، ويثبت بها أقدامهم، كما مر معنا في رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر.

٤- أنه ورد في نصوص الرؤى والتعابير المروية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ألفاظ دالة على ربوبية الله عز وجل، ومن ذلك ما يلي:

أ- التصريح بربوبية الله - عز وجل - بلفظ الربوبية، ومن أمثلته:

---

[1] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ١٠٧).

- حديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال: احتبس عنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعًا فثُوِّبَ بالصلاة[1]، فصلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتَجَوَّزَ في صلاته[2]، فلما سلم دعا بصوته قال لنا: «على مصافكم كما أنتم» ثم انفتل إلينا[3]، ثم قال: «أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت، وصليت ما قُدِّرَ لي، فنعستُ في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي – تبارك وتعالى – في أحسن صورة، فقال: يا محمد! قلت: لبيك رب! قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري – قالها ثلاثًا – قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت. فقال: يا محمد! قلت: لبيك رب! قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات. قال: ثم فيم! قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردتَ فتنةَ قومٍ فتوفَّني غيرَ مفتون، أسألك حبَّكَ، وحبَّ من يحبُّك، وحبَّ عملٍ يقرِّبُ إلى حبِّك». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها حق، فادرسوها، ثم تعلموها».[4]

---

[1] **ثُوِّبَ بالصلاة:** أي: دُعِيَ إلى إقامتها. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٢٦)، والمعجم الوسيط (١/ ١٠٢).

[2] **تَجَوَّزَ في صلاته:** أي: خففها. انظر: مختار الصحاح (ص: ٦٤).

[3] **انفتل إلينا:** أي: توجه إلينا وأقبل علينا. انظر: مرعاة المفاتيح للمباركفوري (٢/ ٤٦١).

[4] أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن باب سورة ص (٥/ ٣٦٨ رقم: ٣٢٣٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٤٧ رقم: ٦٨٤) والسلسلة الصحيحة (٧/ ٥٠٢ رقم: ٣١٦٩). قلت: وقد حاول حسن السقاف إثبات أن هذا الحديث موضوع في رسالة له أسماها: "أقوال الحفاظ المنثورة في وضع حديث: «رأيت ربي في أحسن صورة»"، وقد رد عليه الشيخ الألباني – رحمه الله – في الموضع المشار إليه من السلسلة الصحيحة، وألف في الرد عليه الشيخ سليمان العلوان رسالة قيمة بعنوان: "القول المبين في إثبات الصورة لرب العالمين".

- حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول: إنه سمع عمر – رضي الله عنه – يقول: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلة آت من ربي فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة».[1]
- عن جابر – رضي الله عنه – قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمكة فقال: يا رسول الله هلم إلى حصن وعدد وعدة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمعَكَ مَن وراءَك؟» قال: لا أدري. فأعرض عنه، فلما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينةَ قدِمَ الطفيل بن عمرو مهاجرًا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه رجل من رهطه، فحُمَّ ذلك الرجلُ حمَّى شديدة، فجزع، فأخذ شفرة فقطع بها رواجِبَه[2]، فتَشَخَّبَتْ[3] حتى مات، فدُفن، ثم إنه جاء فيما يرى النائمُ من الليل إلى الطفيل بن عمرو في شارة حسنة[4] وهو مخمِّرٌ يدَه، فقال له الطفيل: أفُلان! قال: نعم. قال: كيف فعلتَ؟ قال: صنع بي ربي خيرًا، غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. قال: فما فعلتْ يداك؟ قال: قال لي ربي: لن نصلحَ منك ما أفسدتَ من نفسك. قال: فقَصَّ الطفيلُ رؤياه على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فرفَعَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يديه: «اللهم وليديه فاغفر، اللهم وليديه فاغفر، اللهم وليديه فاغفر».[5]

ب- ذكر أوصاف الربوبية، أي الأفعال الدالة على ربوبية الله عز وجل، ومن أمثلته:

- إجابة الدعوة، والعافية، والشفاء، كما في حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: سحر رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – رجلٌ من بني زريق يقال له: "لبيد بن

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «العقيق واد مبارك» (٢/ ٥٥٦ رقم: ١٤٦١)، ومسلم في صحيحه: كتاب الحج باب التعريس بذى الحليفة والصلاة بها إذا صدر من الحج أو العمرة (٢/ ٩٨١ رقم: ١٣٤٦).

[2] **الرَّوَاجِب**: هي ما بين عُقَدِ الأصابع من داخل، واحدها راجبة. النهاية لابن الأثير (٢/ ١٩٧).

[3] **تَشَخَّبَتْ**: أي سالت، والشَّخْبُ: السيلان. وأصله: ما يخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة لضرع الشاة. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٥٠).

[4] **الشَّارة**: الهيئة. انظر: تاج العروس للزبيدي (١٢/ ٢٥٤).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر (١/ ١٠٨ رقم: ١٨٤)، وهذا اللفظ لابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٨٧ رقم: ٣٠١٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

الأعصم"، حتى كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُخَيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم – أو ذات ليلة – وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة! أشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان». فأتاها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «يا عائشة! كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين». قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًّا». فأمر بها فدفنت.[1]

وفي لفظ: «أما والله فقد شفاني الله وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا».[2]

- مغفرة الذنوب، كما مرَّ في حديث جابر – رضي الله عنه – في قصة قدوم الطفيل بن عمرو وفيه: فقال له الطفيل: أفلان! قال: نعم. قال: كيف فعلت؟ قال: صنع بي ربي خيرًا، غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. قال: فما فعلت يداك؟ قال: قال لي ربي: لن نصلح منك ما أفسدت من نفسك.[3]
- إيتاء الملك لمن يشاء، كما في حديث أبي بكرة – رضي الله عنه – أنه قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعجبه الرؤيا الصالحة ويسأل عنها، فقال ذات يوم: «أيكم رأى رؤيا؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله، رأيت كأن ميزانًا دلي من السماء، فوزنتَ أنتَ بأبي بكر فرجحتَ بأبي بكر، ثم وُزِنَ أبو بكر بعمر، فرجح أبو بكر بعمر، ثم وُزِنَ عمر بعثمان، فرجح عمر بعثمان، ثم رفع الميزان، فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء».[4]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب السحر (٥/٢١٧٤ رقم: ٥٤٣٠)، ومسلم كتاب السلام باب السحر (٤/ ١٧١٩ رقم: ٢١٨٤)، وفي لفظ عند أحمد في مسنده (٦/ ٦٣ رقم: ٢٤٣٩٢): «... فاستيقظ النبي – صلى الله عليه وسلم – من نومه فقال: أي عائشة! ألم ترين أن الله أفتاني فيم استفتيته ...». وإسناده صحيح.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب هل يستخرج السحر (٥/٢١٧٥ رقم: ٥٤٣٢).

[3] أخرجه مسلم، سبق تخريجه (ص: ٣١٠).

[4] أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٣٥ رقم: ٤٦٣٥)، والإمام أحمد في مسنده (٣٤/ ٩٥ رقم: ٢٠٤٤٥) وفي إسناده علي بن زيد بن جُدعان وهو ضعيف كما في التقريب (٢/ ٤٣ رقم: ٥٣١٦)، لكن له طريق أخرى يتقوى بها، وهي عند أبي داود في الموضع السابق من سننه برقم (٤٦٣٥) والترمذي في سننه (٤/ ٥٤٠ رقم: ٢٢٨٧) وقال: =

- إعطاء العلم لمن يشاء، كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت كأني أعطيت عسًّا مملوءًا لبنًا، فشربت منه حتى تملأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم، ففضلتْ منها فضلة فأعطيتها أبا بكر». قالوا: يا رسول الله هذا علم أعطاكه الله، حتى إذا تملأتَ منه فضلتْ فضلة فأعطيتها أبا بكر. فقال صلى الله عليه وسلم: «قد أصبتم».[1]

هذا حديث حسن صحيح. قالا: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا الأشعث، عن الحسن عن أبي بكرة به، إلا أنه لم يذكر فيه تأويل النبي - صلى الله عليه وسلم - للرؤيا الذي هو محل الشاهد عندنا هنا. لكن أخرجه البزار في مسنده (٩/ ١٠٨ رقم: ٣٨٢٩) بهذا الإسناد وفيه تأويل النبي صلى الله عليه وسلم: «خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء». ويشهد له حديث سفينة مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند البزار (٩/ ٢٨١ رقم: ٣٨٢٩) بنفس اللفظ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٧٨ رقم: ٨٩١٧) وقال: «رواه البزار، وفيه مؤمل بن إسماعيل، وثقه ابن معين، وابن حبان، وضعفه البخاري وغيره، وبقية رجاله ثقات». قلت: ومثله صالح للاستشهاد. وأخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٤٣ رقم: ٤٦٤٧) مقتصرًا على آخره ولفظه: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك -أو ملكه- من يشاء». وحسنه الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود، ونقل عن الإمام أحمد تصحيحه له. وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٨٢٠- ٨٢٧ رقم ٤٥٩) وقال: «وجملة القول أن الحديث حسن من طريق سعيد بن جمهان، صحيح بهذين الشاهدين» ثم نقل عن تسعة من الأئمة تقويتهم للحديث. والحديث الذي معنا حسنه الأرنؤوط أيضًا لطرقه وشواهده في تحقيقه للمسند (٣٤/ ٩٥).

[1] أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٦٩ رقم: ٦٨٥٤) قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين». وانظر (ص: ٥٧٢) من هذا البحث.

المطلب الثاني: الإيمان بألوهية الله تعالى

الألوهية: مصدر أَلَهَ بمعنى: عَبَدَ، يقال: أَلَهَ إلاهَةً وأُلُوهَةً وأُلُوهِيَّةً، أي: عَبَدَ عبادةً.[1] ومنه قرأ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: {ويَذَرَكَ وَإِلاَهَتَكَ} بكسر الهمزة، قال: أَي عِبَادَتَك. وكان يقول: إن فرعون يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ.[2]

فالألوهية هي العبادة، ولهذا يقال لتوحيد الألوهية: توحيد العبادة.

وألوهية الله تعالى هي: «مجموع عبادته على مراده نفيًا وإثباتًا، علمًا وعملاً، جملةً وتفصيلاً».[3]

والمراد بالإيمان بألوهية الله تعالى هو: الإقرار الجازم «بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين لله وحده».[4]

وتوحيد الألوهية متضمن للنوعين الآخرين من التوحيد؛ «لأن الألوهية – التي هي صفة – تَعُمُّ أوصافَ الكمال وجميعَ أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحُّدُه تعالى بصفات الكمال وتفرُّدُه بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحدٌ سواه».[5]

والإيمان بتفرد الله – عز وجل – بالألوهية هو الغاية التي خلق الله من أجلها الجن والإنس {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، وبعث الله بها الرسل {وَمَا

---

[1] انظر: لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٤٦٨)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ١٢٤٢)، وتاج العروس للزبيدي (٣٦/ ٣٢٠)، والمعجم الوسيط (١/ ٢٥).

[2] أخرجه عنه: أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٣٠٠) بإسناد صحيح، وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ١٢٣- ١٢٤) و (١٣/ ٣٩- ٤٠) بأسانيد فيها شيخه سفيان بن وكيع بن الجراح وقد أسقطوا حديثه لأجل وراقه (التقريب: ١/ ٣٠٣ رقم: ٢٧٠٥) ولكن تابعه عنده شيخه الآخر سعيد بن الربيع الرازي، ولم أقف له على ترجمة، وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (٥/ ١٥٠): سعيد بن الربيع الرازي شيخ الطبري: لم نجد له ترجمة بعد طول البحث. وانظر: معجم شيوخ الطبري لأكرم الفالوجي (ص: ٢٥٣). ونسب ابن جني هذه القراءة في كتابه "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" (١/ ٢٥٦) إلى كل من: علي ابن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وعلقمة، والجحدري، والتيمي، وأبي طالوت، وأبي رجاء. وانظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٦٧)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٥/ ٤٢٤).

[3] الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ١٧٤).

[4] القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي (ص: ١٧).

[5] المرجع السابق.

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، وأنزل من أجلها الكتب {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ . أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} [هود: ١- ٢]، وهو الذي وقع فيه النزاع بين الأنبياء وأممهم قال تعالى عن موقف قوم نوح من نبيهم: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأعراف: ٧٠]، وقال عن ثمود: {قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [هود: ٦٢] وقال عن مشركي العرب: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: ٤- ٥]، وتفرق فيه الناس في الدنيا إلى مؤمنين وكفار {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [النحل: ٣٦]، وفي الآخرة إلى أهل الجنة وأهل النار كما في حديث جابر - رضي الله عنه - قال: أتى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - رجلٌ فقال: يا رسول الله! ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»[١]، وهو أول ما يجب الدعوة إليه، وأول ما يجب الالتزام به كما في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى - وفي لفظ: عبادة الله عز وجل - فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس».[٢]

هذا وقد احتاط الشارع الحكيم لهذا النوع من التوحيد أعظم الحيطة، فمنع كل قول وفعل وقصد يكون شركًا أو وسيلة إلى الشرك، كالرياء، والحلف بغير الله، والطيرة، وتعليق التمائم، وبناء المساجد على القبور، والعكوف عندها، وما إلى ذلك.

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار (١/ ٩٤ رقم: ١٥٠).

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٦/ ٢٦٨٥ رقم: ٦٩٣٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥١ رقم: ٣١).

وكذلك الألفاظ التي توهم النِّدِّيَّةَ بين الله وبين بعض خلقه كقول القائل: "ما شاء الله وشاء فلان"، و "لولا الله وفلان"، و نحو ذلك.[1]

وعامة شرك الأمم قديمًا وحديثًا، وجلُّ انحرافهم كان في هذا النوع من التوحيد، تشهد بذلك النصوص الشرعية والحوادث التاريخية والمشاهد الواقعية.

ومع هذه العناية الفائقة والاهتمام البليغ بهذا النوع من التوحيد في نصوص الوحيين إلا أننا نجد المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة ومن وافقهم لم يُعنَوا به في كتبهم ومصنفاتهم، ولم يفرقوا بينه وبين توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وخلطوا بين مفهوم الألوهية ومفهوم الربوبية، فمن انحرافهم في هذا الباب زعمهم أن أول واجب على المكلف هو النظر[2]، أو القصد إلى النظر[3]، أو معرفة الله[4]، أو الشك[5]، وكل هذا زعم باطل، والحق أن أول واجب هو الشهادتان المتضمنتان توحيد الله تعالى و إفراده بالألوهية والعبادة[6]، و حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – في قصة بعث معاذ – رضي الله عنه – إلى اليمن نصٌّ في هذه المسألة، وفي بعض ألفاظه: «فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».[7]

---

[1] انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للدكتور محمد الخميس (ص: ٢٤٨) وقد عني شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – بهذا النوع من التوحيد عناية كبيرة في مؤلفاته لا سيما في كتابه القيم: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

[2] كما صرح بذلك القاضي عبد الجبار في كتاب الأصول الخمسة (ص: ٦٥)، وقال القاضي أبو يعلى في كتابه المعتمد في أصول الدين (ص: ٢١): «وأول ما أوجب الله تعالى على خلقه العقلاء النظر والاستدلال المؤديين [هكذا] إلى معرفة الله سبحانه وتعالى».

[3] كما صرح بذلك الجويني في كتابه الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص: ٣) فقال: «أول ما يجب على العاقل البالغ ... القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم».

[4] نسب البيجوري هذا القول إلى الإمام الأشعري في حاشيته على جوهرة التوحيد (ص: ٨٢) وذكر في المسألة اثني عشرة قولاً ثم قال: «والأصح أن أول واجب مقصدًا: المعرفة، وأول واجب وسيلة قريبة: النظر، ووسيلة بعيدة: القصد إلى النظر، وبهذا يجمع بين الأقوال الثلاثة».

[5] نسب البيجوري هذا القول إلى أبي هاشم وطائفة من المعتزلة وغيرهم في حاشيته على جوهرة التوحيد (ص: ٨٢).

[6] وقد تصدى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – للرد على المتكلمين في هذه المسألة وبيان المذهب الحق فيها في مواضع كثيرة من مؤلفاته، انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٤٦٠- ٤٦٦ و ٥٣٣- ٥٤٢)، مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٨- ٣٣٢).

[7] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣١٤).

ومن انحرافهم في هذا الباب – كما ذكرنا – عدم تفريقهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، بل عدم إدخالهم توحيد الألوهية ضمن تعريفهم للتوحيد وتقسيمهم إياه[1]، وجعلهم توحيد الربوبية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأنه هو المقصود بشهادة أن لا إله إلا الله، والألوهية عندهم هي القدرة على الاختراع والخلق[2]، فمعنى «لا إله إلا الله» عندهم هو: لا خالق إلا الله، والسبب في هذا الغلط أنهم جعلوا «الإله» بمعنى: الآلِه، أي القادر على الاختراع، والحق أنه بمعنى: المألوه، أي المعبود حبًّا وتعظيمًا.[3]

ولما كان غالب اهتمام هؤلاء هو العناية بتقرير توحيد الربوبية غفلوا عن تقرير توحيد الألوهية، وبيان ما يضاده من الشرك، ونتج عن ذلك وقوع بعضهم في ضلال مبين من جانبين:

أحدهما: وقوع هذا البعض في أنواع من الشرك، ظنًّا منه أن ذلك لا يناقض التوحيد، يقول شيخ الإسلام – بعد رده على الأشاعرة بسبب إهمالهم لتوحيد الألوهية وعنايتهم بتوحيد الربوبية –: «ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدتُ أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك، فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله، وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه».[4]

الثاني: الغلو في توحيد الربوبية إلى حد ما يسميه الصوفية بالفناء، يقول شيخ الإسلام: «وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار، أهل الإثبات للقدر، المنتسبون إلى السنة إنما هو توحيد الربوبية، وأن الله رب كل شيء، ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون،

---

(1) فإن التوحيد أو الواحد عند الأشاعرة يشمل ثلاثة أمور ليس فيها توحيد الألوهية، يقول الشهرستاني في الملل والنحل (ص: ٣٧): «وأما التوحيد فقد قال أهل السنة (يقصد الأشاعرة)، وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له». وانظر: مجرد مقالات الأشعري لابن فورك (ص: ٥٥).

(2) انظر: مجرد مقالات الأشعري (ص: ٤٨) فإنه قال: «واختار (أي الأشعري) من ذلك أن معنى وَصْفِنا له بأنه إله: أن له الإلهية، وفسر الإلهية بأنها هي قدرته على اختراع الجواهر والأعراض، وذكر أن ذلك أسد الأقاويل المقولة في معنى الإله».

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٣٢)، والرسالة التدمرية (ص: ١٧٩)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (٢/ ٨٧٦).

(4) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٣٣).

فكذلك طوائف من أهل التصوف المنتسبين إلى المعرفة والتحقيق والتوحيد، غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد، وهو أن يشهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، لاسيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فناء توحيد الربوبية، بحيث يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل، فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها، ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد. ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلمًا، فضلاً عن أن يكون وليًّا لله أو من سادات الأولياء».[1]

هذا وقد دلت الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية على تقرير ألوهية الله، وإفراده – عز وجل – بالألوهية والعبادة، ومن ذلك ما يلي:

١- توحيد الله تعالى بالألوهية، وذلك بذكر لُبِّ معناه، وهو مضمون كلمة الإخلاص والعروة الوثقى: «لا إله إلا الله»، ومعناها: لا معبودَ حقٌّ إلا الله، وهي مشتملة على نفي وإثبات، نفي العبادة عن غير الله تعالى والبراءة الفعلية من كل ما يُعبد من دون الله، وإثبات العبادة لله وحده وإفراده تعالى بالعبادة، كما في رؤيا الأذان عن عبد الله بن زيد – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد هَمَّ بالبُوق[2]، وأمر بالنَّاقُوس[3] فنُحِت. فأُرِيَ عبد الله بن زيد في المنام. قال: رأيت رجلاً عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسًا، فقلت له: يا عبد الله تبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: أنادي به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلُّكَ على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول: "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله". قال: فخرج عبد الله بن زيد حتى أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبره بما رأى، قال: يا رسول الله! رأيت رجلاً عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسًا ... فقص عليه الخبر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن صاحبكم قد

---

[1] الرسالة التدمرية (ص: ١٨٦- ١٨٧). وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (٢/ ٨٧٩- ٨٨١) باختصار.

[2] **البوق**: أداة مجوفة ينفخ فيها ويزمر. المعجم الوسيط (١/ ٧٧).

[3] **الناقوس**: مِضْرابُ النصارى الذي يضربونه إيذانًا بحلول وقت الصلاة، وهو خشبة كبيرة طويلة، وأخرى قصيرة، واسمها: الوبيل. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٩٤٦)، والقاموس المحيط (ص: ٥٧٨).

رأى رؤيا، فاخرج مع بلال إلى المسجد، فألقها عليه، وَلْيُنادِ بلال؛ فإنه أندى صوتًا منك». قال: فخرجت مع بلال إلى المسجد، فجعلت ألقيها عليه وهو ينادي بها. قال: فسمع عمر بن الخطاب بالصوت فخرج، فقال: يا رسول الله! والله لقد رأيت مثل الذي رأى.[١]

٢- فضيلة إفراد الله - جل وعلا - بالألوهية، الذي هو مدلول كلمة «لا إله إلا الله»، التي هي العروة الوثقى، التي قال الله عنها: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦]، وقال جل وعلا: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [لقمان: ٢٢]، فجاءت الرؤيا حاثّةً على التمسك بها، مُبَيِّنةً فضل من ثبت عليها إلى الممات، فعن قيس بن عباد - رحمه الله - قال: كنت جالسًا في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة. فصلى ركعتين تجوَّزَ فيهما، ثم خرج وتبعتُه، فقلتُ: إنك حين دخلتَ المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة. قال: والله لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، و سأحدِّثك لم ذاك، رأيت رؤيا على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقصصتها عليه، ورأيت كأني في روضة - ذكر من سعتها وخضرتها - وسطها عمود من حديد، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة[٢]، فقيل لي: ارقه. قلت: لا أستطيع. فأتاني مِنْصَفٌ[٣] فرفع ثيابي من خلفي، فرقيت حتى كنت في أعلاها، فأخذت بالعروة، فقيل لي: استمسك. فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي - صلى الله عليه

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه (١/ ٣٧١ رقم: ٤٩٩)، وابن ماجه في سننه (١/ ٤٥١ رقم: ٧٠٦)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١/ ٢٦٥ رقم: ٢٤٦) وقال: «وقد صححه جماعة من الأئمة كالبخارى والذهبى والنووى وغيرهم»، وهذا اللفظ لابن ماجه، ورواية أبي داود فيها زيادة الإقامة، وأخرجه الترمذي في سننه (١/ ٣٥٨ رقم: ١٨٩) مختصرًا، وقال: «حديث عبد الله بن زيد حديث حسن صحيح».

[٢] **العُرْوَةُ**: ما يتعلّق به من عُرَاهُ، أي: ناحيته. مفردات غريب القرآن للأصبهاني (ص: ٥٦٣)، وقال الهروي رحمه الله: «العروة من دِقّ الشّجر: مَا له أصل بَاقٍ فِي الأَرْض، مثل العَرْفَج والنَصِيّ وأجناس الخُلَّة والحَمْض، فَإِذا أمحل النَّاس عصمت العروةُ الْمَاشِيَةَ فتبلّغت بهَا، ضربهَا الله مثلاً لما يُعتصم بِهِ من الدّين فِي قَوْله: {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}». تهذيب اللغة للهروي (٣/ ١٠١).

[٣] **الْمِنْصَفُ**: بكسر الميم: الخادِم. وقد تُفْتَح. يقال: نَصَفْتُ الرَّجلَ، نِصَافَةً، إذَا خَدَمْتَه. النهاية لابن الأثير (٥/ ٦٦).

وسلم – قال: «تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموت». وذلك الرجل عبد الله بن سلام.(١)

٣- صرف أنواع من العبادة لله عز وجل، وهذا مقتضى توحيده – جل جلاله – في الألوهية، مثل: الصلاة والسجود والتلاوة والدعاء والاستعاذة وطلب المغفرة، فقد روى ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كنت عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فأتاه رجل فقال: إني رأيت البارحة فيما يرى النائم كأني أصلي إلى أصل شجرة، فقرأتُ السجدةَ فسجدتُ، فسجدت الشجرةُ لسجودي، فسمعتها تقول: اللهم احطط عني بها وزرًا، واكتب لي بها أجرًا، واجعل لي عندك ذخرًا. قال ابن عباس: فرأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – قرأ السجدة فسجد، فسمعته يقول في سجوده مثل الذي أخبره الرجل عن قول الشجرة.(٢)

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: رأيت فيما يرى النائم كأني تحت شجرة، وكأن الشجرة تقرأ «ص»، فلما أتت على السجدة سجدت، فقالت في سجودها: "اللهم اغفر لي بها، اللهم حط عني بها وزرًا، وأحدث لي بها شكرًا، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته". فغدوت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته فقال: «سجدتَ أنت يا أبا سعيد؟»، قلت: لا. قال: «فأنت أحق بالسجود من الشجرة»، ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سورة «ص» ثم أتى على السجدة، وقال في سجوده ما قالت الشجرة في سجودها.(٣)

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٢/ ٥٤٤ رقم: ١٤٢٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه (٤/ ١٩٣٠ رقم: ٢٤٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢/ ٤٧٢ رقم: ٥٧٩) وقال: «هذا حديث [حسن] غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٦٥ رقم: ١٠٥٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٨٢ رقم: ٥٦٢)، ومن طريقه ابن حبان في صحيحه (٦/ ٤٧٣ قم: ٢٧٦٨) وقال الأعظمي: إسناده صحيح، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧٩ رقم: ٨٣٠) وقال: «هذا حديث صحيح رواته مكيون لم يذكر واحد منهم بجرح وهو من شرط الصحيح ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، والمقدسي في المختارة (١١/ ١٧٠ رقم: ١٥٧) وحسنه محققه الدكتور ابن دهيش، وحسنه النووي في الأذكار (ص: ١٢٢)، والألباني في صحيح موارد الظمآن (١/ ٣١٢)، وانظر السلسلة الصحيحة (٦/ ٤٧٠) فما بعدها. قلت: ويشهد له حديث أبي سعيد المذكور بعده.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٣٣٠ رقم: ١٠٦٩)، والدولابي في الكنى والأسماء (٣/ ١١٠٠ رقم: ١٩٢٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٩٣ رقم: ٤٧٦٨)، من طريق اليمان بن نصر صاحب الدقيق قال: نا عبد الله بن سعد المدني قال: نا محمد بن المنكدر قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي سعيد الخدري به. حسنه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٤٧٠ رقم: ٢٧١٠) ويشهد له ما قبله.

الشاهد أن في هذه الرؤيا صرف الصلاة والسجود وتلاوة القرآن لله عز وجل.

وعن جابر – رضي الله عنه – في قصة قدوم الطفيل بن عمرو الدوسي وقد سبق وفيه: فرفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يديه: «اللهم وليديه فاغفر، اللهم وليديه فاغفر، اللهم وليديه فاغفر».[1]

وتقدم حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: سَحَر رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يهوديٌّ من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: «يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ ...» الحديث.[2]

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: إن رجالاً من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقصونها على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقول فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما شاء الله، وأنا غلام حديث السن، وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خيرٌ لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعت ليلة قلتُ: اللهم إن كنت تعلم فيَّ خيرًا فأرني رؤيا. فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان، في يد كل واحد منهما مِقْمَعَةٌ[3] من حديد، يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنم! ... الحديث.[4]

---

[1] أخرجه مسلم، وهذا اللفظ لابن حبان، وتقدم تخريجه (ص: ٣١٠).

[2] أخرجه البخاري، وقد تقدم تخريجه (ص: ٣١١).

[3] **مِقْمَعَة**: واحدةُ المقامع، وهي سياط تعمل من حديد، رءوسها معوجة. يقال: قَمَعْتُ الرجلَ أقمَعه قَمْعاً، إذا ضربت رأسَه فانقمع، أَي فذلّ. وكل ما ضربتَ به الرأسَ فهو مِقْمَعَة. وفي القرآن الكريم قوله تعالى في وصف أهل النار: {وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} [الحج: ٢١] انظر: جمهرة اللغة للأزدي (٢/ ٩٤١)، والنهاية لابن الأثير (٤/ ١٠٩– ١١٠).

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير باب الأمن وذهاب الروع (٦/ ٢٥٧٨ رقم: ٦٦٢٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنه (٤/ ١٩٢٧ رقم: ٢٤٧٩)، وسيأتي بتمامه – إن شاء الله – في مبحث الإيمان بالملائكة والإيمان باليوم الآخر.

وفي لفظ: «فرأيت في النوم كأنّ ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطويَّة كطَيِّ البئر[١]، وإذا لها قرنان كقرني البئر[٢]، وإذا فيها ناس قد عَرَفْتُهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار! أعوذ بالله من النار! أعوذ بالله من النار!. قال: فلقيهما ملك فقال لي: لم تُرَع[٣]».[٤]

الشاهد أن في هذه الرؤى دعاء الله والاستعاذة به وطلب المغفرة منه عز وجل.

---

[١] **مَطوِيَّة كطَيِّ البئر**: يعني: مبنية الجوانب، فإن لم تبن فهي القليب. التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ٢٧).

[٢] **قَرْنا البئر**: منارتان عن جانبي البئر، تجعل عليهما الخشبة التي تعلق عليها البكرة. المرجع السابق.

[٣] **لم تُرَع**: أي لا فزَعَ ولا خوف. يُقال: راعَه الشيءُ رُؤوعًا ورُوُوعًا، ورَوْعةً: أفزَعَه بكثرته أو جماله. وقولهم: "لا تُرَعْ" أي: لا تخف ولا يَلْحَقْك خوفٌ. انظر: لسان العرب لابن منظور: (٨/ ١٣٦).

[٤] صحيح البخاري: كتاب التهجد باب فضل من تعارّ من الليل فصلى (١/ ٣٨٨ رقم: ١١٠٥)، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنه (٤/ ١٩٢٧ رقم: ٢٤٧٩) واللفظ له.

المطلب الثالث: الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته

المراد بالإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – من الأسماء والصفات على ما يليق بعظمته وجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وهذا هو توحيد الأسماء والصفات، أحد أنواع التوحيد الثلاثة، وهو في الحقيقة داخل في توحيد الربوبية لكن لما كثر منكروه، وروَّجُوا الشبه حوله؛ أُفرد بالبحث، وجُعل قسمًا مستقلاً، وألفت فيه المؤلفات الكثيرة.[1]

وقد سبق بيان جملة من القواعد والمسائل المتعلقة بباب الأسماء والصفات، فلا نكررها هنا، وقد جاءت الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية بإثبات جملة من هذه الأسماء والصفات، وهي: الإتيان، البركة والتبارك، العلو والتعالي، الصورة، القول أي الكلام، اليد ووصفها بالبرودة، الكف، الأنامل ووصفها بالبرودة، المغفرة، الرحمة، الإرادة، المشيئة، نفي الابن عن الله، تنزيه الله عن النقائص. كما ورد فيها إثبات رؤية الله تعالى في الدنيا في المنام. وأدلتها كما يلي:

١– حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني الليلة ربي – تبارك وتعالى – في أحسن صورة – قال أحسبه في المنام – فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا. قال: فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي – أو قال في نحري – فعلمت ما في السموات وما في الأرض ...».[2]

وفي حديث معاذ – رضي الله عنه – مرفوعًا: «قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت[3]». وفيه: «قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر

---

[1] انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (ص: ١٤٢– ١٤٣).

[2] أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٣٦٦ رقم: ٣٢٣٣) وقال: «وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلاً، وقد رواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس». ثم أخرجه كذلك، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٤٧ رقم: ٦٨٤) والسلسلة الصحيحة (٧/ ٥٠٢ رقم: ٣١٦٩).

[3] ليس معنى هذه الجملة أنه – صلى الله عليه وسلم – يعلم الغيب المطلق كما يأتي بيانه في مبحث الإيمان بالرسل.

لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها[1] حق فادرسوها ثم تعلموها».[2]

فالحديث فيه إثبات جملة من الصفات وهي: الإتيان، البركة والتبارك، العلو والتعالي، الصورة، القول أي الكلام، اليد ووصفها بالبرودة، الكف، الأنامل ووصفها بالبرودة، المغفرة، الرحمة، الإرادة، المشيئة.

كما فيه نفي الابن عن الله، وتنزيه الله عن النقائص.

كما فيه إثبات رؤية الله تعالى في الدنيا في المنام.

٢- حديث طفيل بن سخبرة - أخي عائشة لأمها - أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مرَّ برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرًا ابن الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مرَّ برهط من النصارى فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى. فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وما شاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره، فقال: «هل أخبرت بها أحدًا؟» قال: نعم. فلما صلَّوا خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها» قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد».[3]

وهذا الحديث فيه: نفي الولد عن الله عز وجل، وإثبات المشيئة لله تعالى، وحمد الله - جل وعلا - والثناء عليه.

---

[1] الضمير هنا إما يعود على الرؤيا، أي: هذه الرؤيا حق، أو يعود على كلمات الدعاء، فادرسوها، أي: فاحفظوا ألفاظها التي ذكرتها لكم، وتعلموا ما اشتملت عليه من علم. وانظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٢/ ٦٢٧).

[2] أخرجه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب سورة ص (٥/ ٣٦٨ رقم: ٣٢٣٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٤٧ رقم: ٦٨٤) والسلسلة الصحيحة (٧/ ٥٠٢ رقم: ٣١٦٩).

[3] أخرجه أحمد في مسنده (٣٤/ ٢٩٦ رقم: ٢٠٦٩٤)، وقال محققوه: حديث صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٦٥ رقم: ١٣٨).

٣- حديث سمرة - رضي الله عنه - الطويل في الرؤيا، وفيه: «قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟».[1] وهذا الحديث فيه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

٤- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربًا فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريًّا من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن».[2] وفي لفظ: «والله - تبارك وتعالى - يغفر له».

وهذا الحديث فيه إثبات صفة المشيئة والمغفرة والبركة والتبارك والعلو والتعالي لله عز وجل.

٥- حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم: «أيكم رأى رؤيا؟» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوُزِنتَ أنت وأبو بكر، فرجحتَ أنت بأبي بكر، ووُزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووُزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان. فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وزاد في طريق أخرى: فقال: «خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء».[3]

والحديث فيه إثبات صفة المشيئة لله عز وجل.

وقد تقدم الكلام على صفة الكلام، وصفة الإرادة والمشيئة، وسأتحدث عن باقي هذه الصفات بشيء من التفصيل:

١- صفة الإتيان: مأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم: «**أتاني** الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة»، وهي صفة فعلية خبرية[4]، متعلقة بمشيئته جل وعلا، فإنه يأتي متى شاء وكيف شاء، وهذه الصفة أثبتها الله - عز وجل - لنفسه في كتابه العزيز، ووردت

---

[1] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٣٦).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٣/١٣٤٠ رقم: ٣٤٦٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر (٧/ ١١٢ رقم: ٦٣٤٣).

[3] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣١١).

[4] الصفة الفعلية: هي المتعلقة بالمشيئة، والخبرية: ما كان الدليل عليها مجرد الخبر من القرآن والسنة دون استناد إلى نظر عقلي كالاستواء والنزول والمجيء وغير ذلك، وتسمى أيضًا الصفات النقلية أو السمعية. انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية للشيخ محمد أمان جامي (ص: ٢٠٧)، والقواعد المثلى لابن عثيمين (ص: ٢٥).

فيها أحاديث نبوية صحيحة تلقاها علماء السلف بالقبول، ونقلوها إلى من بعدهم كما فهموها. ومن أدلة الكتاب على هذه الصفة:

- قوله عز وجل: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [البقرة: ٢١٠].

قال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: «ثم اختلف في صفة إتيان الرب - تبارك وتعالى - الذي ذكره في قوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ} فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصَف به نفسه - عز وجل - من المجيء والإتيان والنزول، وغيرُ جائز تكلُّف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله، أو من رسول مرسل. فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغيرُ جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا».[1]

وقال القاسمي رحمه الله: «وصفه تعالى نفسه بالإتيان في ظلل من الغمام كوصفه بالمجيء في آيات أخر ونحوهما مما وصف به نفسه في كتابه أو صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقول في جميع ذلك من جنس واحد، وهو مذهب سلف الأمّة وأئمتها: أنهم يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله».[2]

- وقوله جل شأنه: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [الأنعام: ١٥٨].

وهذه الآية أبلغ في الدلالة من آية البقرة السابقة، وذلك أنها لا تحتمل التأويل، إذ قال الله فيها: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} فذكر إتيان الملائكة، وإتيان الرب جل وعلا، وإتيان بعض آيات الرب تبارك وتعالى، فلا يقال: إن المراد بإتيان الرب - عز وجل - إتيان الملك أو

---

[1] تفسير الطبري (٤/ ٢٦٥).

[2] محاسن التأويل (٢/ ٨٨).

إتيان أمره؛ لأنه تعالى ذكر هذه الثلاثة كلها وفرق بينها بحرف العطف الدال على المغايرة، ولهذا قال أبو بكر الجرجاني - وهو أشعري يؤول الصفات - عند هذه الآية: «{أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} دليل أن إتيان الرب صفة له لا يجوز حملها على إتيان الأمر إذ الشيء لا يعطف على نفسه».[1]

ولقد أوضح الإمام ابن القيم - رحمه الله - ذلك في أبيات جميلة من نونيته فقال:

هذا وحاديها وعشرون[2] الذي ... قد جاء في الأخبار والقرآن

إتيان رب العرش جل جلاله ... و مجيئه للفصل بالميزان

انظر إلى التقسيم والتنويع في الـ ... قرآن تلفيه صريح بيان

إن المجيء لذاته لا أمره ... كلا و لا مَلَك عظيم الشان

إذ ذانك الأمران قد ذكرا وبيـ ... ـنهما مجيء الرب ذي الغفران

والله ما احتمل المجيء سوى مجي ... ء الذات بعد تبين البرهان[3]

ومن أدلة السنة على هذه الصفة:

- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».[4]
- حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - مرفوعًا: « ... فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فلا يكلمه إلا الأنبياء ... ».[5]

---

(1) درج الدرر في تفسير الآي والسور (٢/ ٧٤٠).

(2) يقصد الطريقة الحادية والعشرون من الطرق النقلية الدالة على علو الله جل جلاله.

(3) القصيدة النونية لابن القيم (ص: ١٦٠).

(4) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} (٦/ ٢٦٩٤ رقم: ٦٩٧٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله عز وجل (٤/ ٢٠٦١ رقم: ٢٦٧٥).

(5) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى باب قول الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٦/ ٢٧٠٦ رقم: ٧٠٠١)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧ رقم: ١٨٣) واللفظ للبخاري.

وفي معنى هذه الصفة صفة المجيء الواردة أيضًا في الكتاب والسنة، قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: ٢٢]، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الله قال: إذا تلقاني عبدي بشبر، تلقيته بذراع، وإذا تلقاني بذراع، تلقيته بباع، وإذا تلقاني بباع جئته أتيته بأسرع».[١]

ومذهب أهل السنة والجماعة في هذا الإتيان المنسوب إلى الله – جل جلاله – في النصوص السابقة أنه صفة حقيقية ثابتة لله تعالى، لائقة به لا تشبه صفات المخلوقين[٢]، وأنه تعالى يأتي بنفسه هو[٣]، لأن الله تعالى ذكر ذلك عن نفسه، وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً من غيره وأحسن حديثاً، فكلامه مشتمل على أكمل العلم والصدق والبيان والإرادة، فالله – عز وجل – يريد أن يبين لنا الحق وهو أعلم وأصدق وأحسن حديثاً[٤]، ولأنه لا يَصف اللهَ أعلمُ بالله من الله {أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ} [البقرة: ١٤٠]، ولا يَصف اللهَ بعد الله أعلمُ بالله من رسول الله الذي قال الله فيه: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣- ٤].[٥]

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن أبي عمر الطلمنكي[٦] إجماع أهل السنة والجماعة على إثبات هذه الصفة.[٧]

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله عز وجل (٤/ ٢٠٦١ رقم: ٢٦٧٥). قال النووي – رحمه الله – في شرحه على مسلم (١٧/ ٦): «قوله تعالى في رواية محمد بن جعفر: "وإذا تلقاني بباع جئته أتيته" هكذا هو في أكثر النسخ "جئته أتيته"، وفي بعضها "جئته بأسرع" فقط، وفي بعضها "أتيته"، وهاتان ظاهرتان، والأول صحيح أيضًا، والجمع بينهما للتوكيد، وهو حسن لا سيما عند اختلاف اللفظ، والله أعلم».

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٤٠٩ و ٤١٩).

[٣] انظر: النقض على المريسي للإمام أبي سعيد الدارمي (١/ ٣٤٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٤١٠).

[٤] انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٧٩).

[٥] انظر: العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٢/ ٥٦٤).

[٦] هو الحافظ الإمام المقرئ المحدث: أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله ابن أبي عيسى المعافري الأندلسي الطَّلَمَنْكي، نسبة إلى طَلَمَنْكة من ثغور الأندلس. حدث عن: أبي عيسى يحيى بن عبد الله الليثي، وأبي بكر الزبيدي، وأبي الحسن بن بشر الأنطاكي وغيرهم. وحدث عنه: أبو عمر ابن عبد البر، وأبو محمد ابن حزم، وعبد الله بن سهل المقرئ وغيرهم. صنف كتبًا كثيرة في السنة يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للأثر. كان سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع، قامعًا لهم، غيورًا على الشريعة، شديدًا في ذات الله، توفي سنة ٤٢٩هـ. انظر السير للذهبي (١٧/ ٥٦٦- ٥٦٩)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٧).

[٧] انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٧٧- ٥٧٨).

هذا وقد أوَّلَ أهل الكلام المجيء والإتيان هنا بأنه مجيء وإتيان أمره أو عذابه أو ملك من ملائكته ونحو ذلك، وهذا تأويل باطل؛ لأنه في مقابلة النص، وكل ما يعود على النص بالإبطال فهو باطل[1]، ولأن الأصل فيما أضافه الله – جل وعلا – لنفسه من الأفعال أنه له حتى يدل الدليل على أنه لغيره.

وقد بين الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – بطلان هذا التأويل من أوجه متعددة، فقال: «قيل: هو من مجاز الحذف تقديره: وجاء أمر ربك. وهذا باطل من وجوه:

أحدها: أنه إضمار ما لا يدل عليه بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم، وادعاء حذف ما لا دليل عليه يرجع لوثوقه من الخطاب، ويطرق كل مبطل على ادعاء إضمار ما يصح[2] باطله.

الثاني: أن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار، فإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز.

الثالث: أنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف كان تعيينه قولاً على المتكلم بلا علم، وإخبارًا عنه بإرادة ما لم يقم به دليل على إرادته، وكذلك كذب عليه.

الرابع: أن في السياق ما يبطل هذا التقدير، وهو قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ} [الفجر: ٢٢] فعطفُ مجيءِ الملَكِ على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيئين، وأن مجيئه سبحانه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك، وكذلك قوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام: ١٥٨] ففرَّقَ بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات ربك، فقسَّمَ ونَوَّع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدًا فتأمله.

الخامس: أنه لو صرح بهذا المحذوف المقدر لم يحسن، وكان كلامًا ركيكًا؛ فادعاء صدق[3] ما يكون النطق به مشتركًا باطل، فإنه لو قال: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ملك ربك أو أمر ربك أو يأتي بعض آيات ربك كان مستهجنًا.

السادس: أن اطراد نسبة المجيء والإتيان إليه سبحانه دليل الحقيقة، وقد صرحتم بأن من علامات الحقيقة الاطراد، فكيف كان هذا المطرد مجازًا.

---

[1] انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٨٠).

[2] هكذا في الأصل المطبوع، ولعله: يصحح.

[3] في الأصل المطبوع: صديق. والصواب ما أثبتناه.

السابع: أنه لو كان المجيء والإتيان مستحيلاً عليه لكان كالأكل والشرب والنوم والغفلة ... فإن قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ} [الفجر: ٢٢] وأتى ويأتي عندكم في الاستحالة، مثل نام وأكل وشرب، والله سبحانه لا يطلق على نفسه هذه الأفعال ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، لا بقرينة ولا مطلقة، فضلاً عن [أن][١] تَطَّرِدَ نسبتها إليه، وقد اطرد نسبة المجيء والإتيان، والنزول والاستواء إليه مطلقًا من غير قرينة تدل على أن الذي نسب إليه ذلك غيره من مخلوقاته، فكيف تسوغ دعوى المجاز فيه؟!.

الثامن: أن المجاز لو كان ثابتًا فإنما يصار إليه عند تعذر الحمل على الحقيقة، إذ هي الأصل، فما الذي أحال حمل ذلك على حقيقته من عقل أو نقل أو اتفاقِ مَن اتفاقُهم حجة؟! ...».[٢]

٢- صفة البركة والتبارُك:

والبركة في اللغة: النماء والزيادة[٣]. وحقيقتها: الثبوت واللزوم والاستقرار[٤]. والتبريك: الدعاء بذلك[٥]. ويقال: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه، وبارك له[٦]. والمبارك: الذي قد باركه الله سبحانه وتعالى، كالأنبياء[٧] والكتب المنزلة[٨].

والتبارُك: مصدر تبارَكَ، وهو تفاعل من البركة[٩]، على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوهما، فهو دال على كمال بركته وعظمها وسعتها[١٠]، ولهذا هو مما يختص

---

[١] ما بين المعكوفتين زيادة مني لاقتضاء السياق لها.

[٢] مختصر الصواعق المرسلة لابن الموصلي (ص: ٣٥٧- ٣٥٩) بشيء من الاختصار، وانظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول للشيخ حافظ الحكمي (١/ ٣٦٠).

[٣] انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٩٥)، ومختار الصحاح (ص: ٣٣).

[٤] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ١٠٨)، والنهاية لابن الأثير (١/ ١٢٠)، ومختار الصحاح (ص: ٣٣)، وجلاء الأفهام لابن القيم (ص: ٤٣١).

[٥] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ١٠٩)، ومختار الصحاح (ص: ٣٣).

[٦] انظر: مختار الصحاح (ص: ٣٣).

[٧] كما قال المسيح عليه السلام: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ} [مريم: ٣١].

[٨] كما قال سبحانه في وصف كتابه: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ} [ص: ٢٩].

[٩] قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٧) وقال: «كذلك يقول أهلُ اللغة، وكذلك رُوِيَ عن ابن عباس». وسبقه إلى ذلك ابن قتيبة في غريب القرآن (ص: ١٠)، ورجحه كثير من المحققين، انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٣٣)، وجلاء الأفهام لابن القيم (ص: ٤٣٢)، وأضواء البيان للشنقيطي (٦/ ١٧٧).

[١٠] انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ١٥٩).

به الله تعالى، فلا يقال لغيره: تبارَكَ[1]، ومعناه: تكاثرت البركات والخيرات من قبله، وهذا يستلزم عظمته وتقدُّسَه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.[2]

وقد أخذنا هذه الصفة من قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث اختصام الملأ الأعلى: «أتاني الليلة ربي **تبارك** وتعالى في أحسن صورة»، ومن قوله في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: «قال: قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك. قال: فسما بصري صعدًا، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قال: قالا لي: هذاك منزلك. قال: قلت لهما: **بارك الله** فيكما، ذراني فأدخله. قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله».[3] وهي صفة ذاتية وفعلية لله عز وجل، ثابتة بالكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب عليها قوله تعالى: {رَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ} [هود: ٧٣]. وقوله عز وجل: {تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤]، وقوله جل جلاله: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١][4]، وقوله عز شأنه: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} [فصلت: ١٠].

ومن أدلة السنة عليها هذا الحديث الذي معنا، وأحاديث السلام[5]، وأحاديث التشهد[6]، وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

[1] وقد نبه على ذلك كثير من أهل اللغة فضلاً عن علماء العقيدة، انظر: جمهرة اللغة للأزدي (١/ ٣٢٥)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٧/ ٢٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٠ /٣٩٥)، وتاج العروس للزبيدي (٢٧/ ٥٩).

[2] انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٦/ ١٧٧).

[3] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٣٦).

[4] تكررت لفظة {تَبَارَكَ} في مواضع أخرى من القرآن الكريم، انظر: المؤمنون (١٤)، والفرقان (١٠ و ٦١)، وغافر (٦٤)، والزخرف (٨٥)، والرحمن (٧٨).

[5] مثل: حديث عمران بن حصين – رضي الله عنهما – قال: جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: السلام عليكم، فرد عليه السلام، ثم جلس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عشر» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فجلس، فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه، فجلس، فقال: «ثلاثون». أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٤٩١ رقم: ٥١٩٥)، والترمذي في سننه (٥/ ٥٢ رقم: ٢٦٨٩) وقال: حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٠ رقم: ٢٧١٠).

[6] مثل: حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – في التشهد وفيه: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته». أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب صفة الصلاة باب التشهد في الآخرة (١/ ٢٨٦ رقم: ٧٩٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة (١/ ٣٠١ رقم: ٤٠١).

قال: «بينما أيوب يغتسل عريانًا خَرَّ عليه رِجْلُ جَرادٍ[1] من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فنادى ربُّه: يا أيوب! ألم أكن أغنيتك عما ترى؟! قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك».[2] وقوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث ثوبان – رضي الله عنه – عند انصرافه من الصلاة: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»[3]، وفي حديث النزول: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ...».[4]

وللإمام ابن القيم – رحمه الله – كلام نفيس جدًّا حول هذه الصفة في عدة مواضع من مؤلفاته[5]، سأقتطف بعضها هنا، قال رحمه الله:

«وأما البركة فكذلك نوعان أيضًا:

أحدهما: بركة هي فعله تبارك وتعالى، والفعل منها: بارَكَ، ويتعدى بنفسه تارة، وبأداة "على" تارة، وبأداة "في" تارة، والمفعول منها: مُبارَك، وهو ما جُعل كذلك فكان مباركًا بجعله تعالى.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعلُ منها: تَبارَك. ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له عز وجل، فهو سبحانه المبارِك، وعبده ورسوله [المبارَك]، كما قال المسيح عليه السلام: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ} [مريم: ٣١] فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارَك. وأما صفته: "تبارك" فمختصة به تعالى، كما أطلقها على نفسه بقوله: {تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤] {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك: ١] ... أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه، مختصة به، لا تطلق على غيره».[6]

---

[1] **رِجْلُ جَرَاد**: أي جماعة من جراد، وهذا من أسماء الجماعات التي لا واحد لها من لفظها، يقال: رجل من جراد، وسرب من ظباء، وخيط من نعام، وعانة من حمير. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣/ ٥٢٨).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ} [الفتح: ١٥] (٦/ ٢٧٢٣ رقم: ٧٠٥٥).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (١/ ٤١٤ رقم: ٥٩١).

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١/ ٣٨٤ رقم: ١٠٩٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه (١/ ٥٢١ رقم: ٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] انظر: جلاء الأفهام (ص: ٤٣١- ٤٣٧)، وبدائع الفوائد (٢/ ١٥٩- ١٦١).

[6] بدائع الفوائد (٢/ ١٥٩).

«وحقيقة اللفظة: أن البركة كثرةُ الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفًا وفعلاً منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين، وهما متلازمان، لكن الأليق باللفظة معنى الوصف لا الفعل؛ فإنه فعل لازم مثل: تعالى وتقدس وتعاظم، ومثل هذه الألفاظ ليس معناها أنه جعل غيره عاليًا ولا قدوسًا ولا عظيمًا، هذا مما لا يحتمله اللفظ بوجه، وإنما معناها في نفس من نسبت إليه، فهو المتعالي المتقدس، فكذلك تبارك لا يصح أن يكون معناها بارك في غيره، وأين أحدهما من الآخر لفظًا ومعنًى؟! هذا لازم وهذا متعد، فعلمت أن من فسر تبارك بمعنى ألقى البركة وبارك في غيره لم يصب معناها، وإن كان هذا من لوازم كونه متباركًا».[1]

«وقال الحسين بن الفضل: "تبارك في ذاته وبارك من شاء من خلقه". وهذا أحسن الأقوال، فتباركه سبحانه وصف ذات له وصفة فعل، كما قال الحسين بن الفضل. والذي يدل على ذلك أيضًا أنه سبحانه يضيف التبارك إلى اسمه، كما قال تعالى: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٧٨]».[2]

٣- صفة العلو والتعالي:

والعلو في اللغة معروف، فإنّ «العين واللام والحرف المعتل - ياءً كان أو واوًا أو ألفًا - أصل واحد يدل على السمو والارتفاع، لا يشذّ عنه».[3]

وتعالى: تفاعل من العلو[4]، فهو على بناء السعة والمبالغة، الدال على كمال العلو ونهايته[5]، وقال في المصباح: «وتَعالى تَعالِيًا من الارتفاع»[6]. واسم الفاعل منه: المتعالي، كما قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد: ٩].

وقد أخذنا هذه الصفة من قوله صلى الله عليه وسلم: «أتاني الليلة ربي تبارك **وتعالى** في أحسن صورة»، والعلو من صفات الذات التي دل الكتاب والسنة والعقل والفطرة على إثباتها لله - عز وجل - كما يليق بجلاله وعظمته، وأدلة هذه الصفة لا

---

[1] بدائع الفوائد (٢/ ١٦٠).

[2] جلاء الأفهام (ص: ٤٣٤- ٤٣٥).

[3] معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٦٦٤).

[4] انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٠)، وتفسير الرازي (٢٢/ ١٠٤).

[5] انظر: جلاء الأفهام (ص: ٤٣٢)، بدائع الفوائد (٢/ ١٥٩).

[6] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٢٨).

تكاد تحصر، حتى قال بعض أهل العلم: إنها بلغت الألف أو أزيد[1]، وقد ألفت فيها مؤلفات مستقلة[2]، وتنوعت دلالات النصوص الشرعية عليها، فتارة تصرح بأنه العلي الأعلى المتعالي وأنه تعالى، وتارة تخبر بأنه فوق خلقه، وتارة تخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه، وتارة تخبر بنزولها منه أو من عنده، وتارة تخبر بأنه في السماء، وتارة تخبر بأنه على العرش استوى، وأمثلة ذلك من الكتاب والسنة أشهر من أن تذكر، وأما أقوال السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من الأئمة الأعلام فلا يأتي عليها حصر[3]، وأما دلالة العقل عليها فكثيرة، ذكر جملة طيبة منها الإمام ابن القيم - رحمه الله - في الصواعق المرسلة[4]، ومنها: «أنه قد ثبت بصريح العقل أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص فإن الله سبحانه يوصف بالكمال منهما دون النقص، ولهذا لما تقابل الموت والحياة وصف بالحياة دون الموت، ولما تقابل العلم والجهل وصف بالعلم دون الجهل، وكذلك العجز والقدرة والكلام والخرس والبصر والعمى والسمع والصمم والغنى والفقر، ولما تقابلت المباينة للعالم والمداخلة له وصف بالمباينة دون المداخلة، وإذا كانت المباينة تستلزم علوه على العالم أو سفوله عنه، وتقابل العلو والسفول؛ وصف بالعلو دون السفول، وإذا كان مباينًا للعالم كان من لوازم مباينته أن يكون فوق العالم، ولما كان العلو صفة كمال كان ذلك من لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود العالم إلا عاليًا عليه ضرورة، ولا يكون سبحانه إلا فوق المخلوقات كلها، ولا تكون المخلوقات محيطة به أصلاً».[5]

وأما دلالة الفطر عليها فظاهرة جدًّا، ومن ذلك ما ذكره محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مرة والأستاذ أبو المعالي الجويني يقول على المنبر: "كان الله ولا عرش". فقال: يا أستاذ دعنا من ذكر العرش - يعني: لأن ذلك إنما جاء في السمع -

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ١٢١)، الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٢٧٩) بل قال: «وقال بعض من تتبع النصوص النبوية في ذلك والآثار السلفية: إنه وجدها تزيد على ألف، وقال غيره: إنها تزيد على مائة ألف. ولا تنافي بينهما؛ فإن الأول أراد ما يدل على نصوص العلو والاستواء، والثاني أراد ما يدل على المباينة، وأن الله سبحانه بائن من خلقه».

[2] من هذه المؤلفات المستقلة: العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة (٢٩٧هـ)، وإثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، والعرش، والعلو للعلي الغفار وكلاهما للذهبي (٧٤٨هـ)، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم (٧٥١هـ)، وإثبات علو الله ومباينته لخلقه للشيخ حمود بن عبد الله التويجري (١٤١٣هـ).

[3] وتجدها في مظانها من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع مما سبق ذكر بعضها.

[4] (٤/ ١٢٧٩) وما بعدها من الصفحات.

[5] الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٠٧).

أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: "يا الله" إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو، لا تلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه وقال: حيرني الهمداني! حيرني الهمداني! ونزل.[(١)]

والله – جل وعلا – له العلو المطلق من كل جهة، وهذا هو مقتضى كماله وجلاله، وعليه دلَّ السمع والعقل والفطرة كما سبق، فعلوُّه سبحانه شامل لأنواع العلو الثلاثة: علو القدر والشأن، وعلو القهر والسلطان، وعلو الذات والمكان، وقد أجمع المسلمون على النوعين الأولين، وخالفت الجهمية المعطلة ومن وافقهم في القسم الثالث فلم يثبتوه.

وقد افترق الناس في هذه المسألة أربع فرق كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[(٢)]:

١- فرقة تنكر العلو مطلقًا، وتقول: إنه ليس داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت. فلا يقرون بعلو الله ولا بفوقيته، ويؤولون ما ورد في ذلك من نصوص الوحيين، وليس لهم فيما ذهبوا إليه أي نص شرعي يعتمدون عليه. وهذا قول الجهمية والمعتزلة وطوائف من متأخري الأشعرية، والفلاسفة النفاة، والقرامطة الباطنية وغيرهم.

٢- فرقة تنكر العلو أيضًا، إلا أنها تقول: إنه بذاته في كل مكان، وهذا قول النجارية وكثير من عباد الجهمية وصوفيتهم وعوامهم من أهل الحلول والاتحاد. وهم يحتجون بنصوص المعية والقرب، ويؤولون نصوص العلو والاستواء.

٣- فرقة تقول: هو فوق العرش، وفي نفس الوقت هو في كل مكان. وتزعم أنها بذلك تجمع بين نصوص العلو والاستواء ونصوص المعية والقرب، وأنها لا تصرف شيئًا منها عن ظاهره. وهذا قول طوائف ذكرهم الأشعري في المقالات الإسلامية[(٣)]، وهو موجود في كلام طائفة من السالمية والصوفية.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٤ و ٦١) وعلق – رحمه الله – قائلاً: «فهذا الشيخ تكلم بلسان جميع بني آدم، فأخبر أن العرش والعلم باستواء الله عليه إنما أخذ من جهة الشرع وخبر الكتاب والسنة، بخلاف الإقرار بعلو الله على الخلق من غير تعيين عرش ولا استواء، فإن هذا أمر فطري ضروري نجده في قلوبنا نحن وجميع من يدعو الله تعالى، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٢٧- ٢٣١)، ودرء التعارض (٤/ ٦٣٢).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٢٨٨ و ٣٥١).

٤- سلف هذه الأمة وأئمتها: يثبتون أن الله تعالى فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، وهم بائنون منه، وهو أيضًا مع العباد بعلمه، ومع أوليائه وأنبيائه بالنصر والتأييد. وبذلك آمنوا بجميع النصوص الواردة في الباب.

٤- صفة الصورة:

والصُّورة في اللغة: الشكلُ والهَيْئةُ والحقيقةُ، وتستعمل بمعنى النوع والصِّفة[١]، قال ابن الأثير رحمه الله: «الصورة تَرِدُ في كلامِ العرب على ظاهرِها، وعلى معنى حقيقةِ الشيء وهَيْئَتِهِ وعلى معنى صفته. يقال صورةُ الفعْل كذا وكذا: أي هيْئَتُه. وصورة الأمرِ كذا وكذا: أي صِفتُه».[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الصورة هي الصورة الموجودة في الخارج، ولفظ: (ص و ر) يدل على ذلك، وما من موجود من الموجودات إلا له صورة في الخارج، وما يكون من الوقائع يشتمل على أمور كثيرة لها صورة موجودة، وكذلك المسؤول عنه من الحوادث وغيرها له صورة موجودة في الخارج، ثم تكون الصورة الموجودة ترتسم في النفس وقد تسمى صورة ذهنية».[٣]

وقد أخذنا هذه الصفة من قوله صلى الله عليه وسلم: «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن **صورة**» وهي صفة ذاتية ثابتة بالسنة النبوية الصحيحة، ومن ذلك هذا الحديث الذي معنا، وحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - الطويل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وفيه: «فيأتيهم الله في صورته التي رأوه فيها أوَّلَ مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا ...».[٤] ويدل على إثبات هذه الصفة كذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته».[٥] على الصحيح

---

[١] انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ٥٤٨)، وتاج العروس للزبيدي (١٢/ ٢٥٧- ٣٥٨).

[٢] النهاية في غريب الأثر (٣/ ٥٨- ٥٩).

[٣] بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤٦٠- ٤٦١).

[٤] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٦).

[٥] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاستئذان باب البدء بالسلام (٥/ ٢٢٩٩ رقم: ٥٨٧٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن ضرب الوجه (٤/ ٢٠١٧ رقم: ٢٦١٢) واللفظ له.

من عود الضمير على اسم الجلالة «الله»، كما بين ذلك المحققون من أهل العلم[1]، وقد ورد لفظ صريح في ذلك من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – وهو: «لا تقبحوا الوجه، فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن تعالى» لكن بعض أهل العلم ذكر في سنده مقالاً.[2]

---

(1) استشكل بعض العلماء قوله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله آدم على صورته»، وظنوا أن القول بإعادة الضمير على الله تعالى في هذا الحديث يلزم منه التشبيه – تشبيه صورة آدم بصورة الله تعالى–، فلجؤوا إلى تأويله، فاختلفوا في متعلق الضمير، وجملة الخلاف يعود إلى أربعة أقوال هي كما يلي: الأول: أن الضمير عائد على غير الله وهو المضروب، وممن ذهب إلى هذا الإمام ابن خزيمة كما في كتاب التوحيد (١/ ٨٥). الثاني: أن الضمير عائد على غير الله وهو آدم نفسه، نسبه ابن قتيبة إلى قوم من أصحاب الكلام (تأويل مختلف الحديث ص: ٢٠١) وممن ذهب إلى هذا من المتأخرين الإمام الألباني رحمه الله (انظر تعليقه على الحديث في صحيح الأدب المفرد ص: ٨٦ و ٣٧٤). الثالث: أن الضمير عائد على الله – عز وجل – ولكن إضافة الصورة هنا إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، وممن ذهب إلى هذا أيضًا الإمام ابن خزيمة فيما لو صح حديث «خلق آدم على صورة الرحمن» (١/ ٨٦). الرابع: أن الضمير عائد على الله – عز وجل – وأن الإضافة هنا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وهذا ما عليه جمهور أهل السنة والجماعة، بل قال ابن تيمية – رحمه الله – في بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٧٣– ٣٧٧): «هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك ... ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائدًا إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم، كأبي ثور وابن خزيمة وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة». انتهى بتصرف. هذا وقد تولى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – الرد على الأقوال الأخرى من أوجه كثيرة وبأدلة دامغة في المرجع السابق. وانظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: ١٥٤).

(2) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٨ رقم: ٥١٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٦٨ رقم: ٤٩٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٨٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٣٠ رقم: ١٣٥٨٠)، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٥٢ رقم: ٧٢٥)، والدارقطني في كتاب الصفات (ص: ٣٦ رقم: ٤٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٢٤٤ رقم: ١٨٥) و (٧/ ٢٦٠ رقم: ١٩٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٦٤ رقم: ٦٤٠) كلهم من طريق جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن عطاء ابن أبي رباح، عن ابن عمر مرفوعًا به، وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات من رجال الشيخين، إلا أن كلاً من حبيب والأعمش وصفا بالتدليس وقد عنعنا، وبه أعل ابن خزيمة الحديث، وزاد بأن الثوري خالف فيه الأعمش فرواه عن حبيب عن عطاء مرسلاً (التوحيد ١/ ٨٦) وبهذه العلل ضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة (٣/ ٣١٦ رقم: ١١٧٦) وزاد علة رابعة وهي أن جرير بن عبد الحميد نسب في آخر عمره لسوء الحفظ، ورأى أن هذه الرواية مما ساء فيها حفظه!. قلت: لكنه لم يتفرد به بل تابعه محاضر بن المورِّع كما في الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٢٦٢ رقم: ١٩٣) وهو صدوق له أوهام كما في التقريب (٢/ ٢٣٨ رقم: ٧٣١٧)، وبهذا يظهر خطأ ما ذكره الإمام الدارقطني – رحمه الله – في الغرائب والأفراد كما في أطرافه لابن القيسراني (٣/ ٤١٠ رقم: ٣٠٨٦) من أن جرير بن عبد الحميد تفرد بهذا الحديث، والحديث له شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٣٠ رقم: ٥٢١) =

قال القاضي أبو يعلى الفراء – رحمه الله – معلقًا على حديث: «رأيت ربي في أحسن صورة»: «اعلم أن الكلام في هذا الخبر يتعلق به فصول: أحدها جواز إطلاق الصُّورة عليه».[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لفظ الصورة في هذا الحديث[2] كسائر ما ورد من الأسماء والصفات التي قد يُسمَّى المخلوق بها على وجه التقييد، وإذا أطلقت على الله [تكون] مختصة به، مثل: العليم والقدير والرحيم والسميع والبصير، ومثل: خلقه بيديه واستوائه على العرش ونحو ذلك».[3]

والدارقطني في الصفات (ص: ٣٧ رقم: ٤٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٢٦٠ رقم: ١٨٩)، ورجال إسناده ثقات إلا أن فيه ابن لهيعة، ومثله قد يتقوى به الحديث، لكن الألباني – رحمه الله – قال في الضعيفة (٣/ ٣١٨): «قد كان يمكن ذلك لولا أن الحديث بهذا اللفظ منكر كما سبق بيانه آنفًا، فلا يصح حينئذ أن يكون شاهدًا لهذا الحديث». قلت: لكن نُقل تصحيح الحديث عن جملة من الأئمة، كالإمام أحمد وإسحاق بن راهويه [ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٩٦)، وفتح الباري لابن حجر (٥/ ١٨٣)] وابن تيمية [بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤٤٣)] والذهبي [سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٥٠)] والحافظ ابن حجر [فتح الباري (٥/ ١٨٣)]، وبضم الحديثين: حديث ابن عمر وحديث أبي هريرة؛ يتقوى الحديث فلا يقل عن درجة الحسن إن شاء الله. وقد ألف عدد من العلماء رسائل في الرد على الألباني – رحمه الله – وأجابوا عما استند إليه في تضعيف الحديث، ومن هؤلاء: الشيخ حمود بن عبد الله التويجري في كتابه: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، والشيخ عبد الله بن محمد الدويش في كتابه: دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن، وهما كتابان قيمان في بابهما. وأود هنا أن أنبه عدة تنبيهات: الأول: أن صفة الصورة ثابتة لله – عز وجل – في أحاديث صحيحة غير هذين الحديثين لم يختلف علماء أهل السنة في ثبوتها ودلالتها، كالأحاديث التي ذكرناها هنا. الثاني: أن حديث «خلق الله آدم على صورته» حديث صحيح متفق عليه لم يختلف العلماء في ثبوته، وإنما اختلفوا في تفسيره. الثالث: أن سبب اختلافهم في تفسير الحديث هو ما قد يتوهم من التشبيه، ولكن هذا التوهم غير وارد على مذهب السلف. الرابع: أنه بعد اتفاق السلف على أن الضمير في «خلق الله آدم على صورته» عائد على الله – جل جلاله – لا يترتب عندهم على تصحيح أو تضعيف حديث: «فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن تعالى» كبير أثر؛ إذ الحديث إذا صح فإنه يقوي ما ذهبوا إليه، وإذا لم يصح لا يؤثر على مذهبهم، بينما يترتب على تصحيحه وتضعيفه لدى المخالفين للسلف أثر كبير؛ إذ الحديث إذا صح فإنه يهدم ما ذهبوا إليه، ولهذا نجدهم يجزمون بضعف الحديث، ولو أنهم رأوا رأي السلف في مرجع الضمير من قوله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله آدم على صورته» لحكموا على حديث «فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن تعالى» بالصحة؛ ذلك لأن الحديث الأول – وهو في الصحيحين – يكون أصلاً لهذا الحديث.

[1] إبطال التأويلات (ص: ١٢٦).

[2] يريد – رحمه الله – حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – الطويل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وفيه: «فيأتيهم الله في صورته التي رأوه فيها أوَّلَ مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا ...» وهو متفق عليه، وقد سبق تخريجه (ص: ٣٢٦).

[3] بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ١٣١) وما بين المعكوفتين زيادة مني لاقتضاء الكلام له.

وقد فسر بعض أهل العلم الصورة في حديث خلق آدم على صورة الرحمن بالصفة، وقال: صورة الله هي صفته، ومعنى «خلق الله آدم على صورته» أو «إن آدم خلق على صورة الرحمن» أي: على صفة الله عز وجل[١]، ولا يلزم من كون الشيء على صفة شيء أن يكون مماثلاً له من كل وجه، والدليل على ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبر بأن أول زمرة تدخل الجنة تكون على صورة القمر ليلة البدر[٢]، ومعلوم أنها ليست على صورة القمر من كل وجه، فليس في القمر عين ولا أنف ولا فم، ومن دخل الجنة فهو له عين وأنف وفم، فهذا يدل على أنه لا يلزم من كون الشيء على صورة الشيء أن يكون مماثلاً لذلك الشيء.[٣]

ومعنى خلق الله آدم على صورته: أن الله – عز وجل – له وجه وجعل لآدم وجهًا، وله سمع وجعل لآدم سمعًا، وله بصر وجعل لآدم بصرًا، وله أصابع وجعل لآدم أصابع، وله قدمان وجعل لآدم قدمين، وله – سبحانه وتعالى – ساق وجعل لآدم ساقًا ... الخ.

فالله – سبحانه وتعالى – جعل لآدم من الصفات مثل الصفات التي ذكرنا، سواء كانت الصفات الذاتية أو الفعلية كالغضب والرضا والكلام.

فهذا اشتراك في الصفة، والاشتراك في الصفة لا يعني الاشتراك في الكيفية، ولا في غاية الصفة، وإنما هو اشتراك في جنس الصفة في أصل معناها، فإن «على» في قوله: «خلق الله آدم على صورته» لا تفيد المماثلة والمشابهة من كل وجه، وإنما هي في اللغة

---

[١] انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣) حيث قال: «والمراد بالصورة: الصفة، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء». وكذلك فسرها بالصفة الشيخ ابن عثيمين في شرحه على العقيدة السفارينية (١/ ٢٥٣)، والشيخ صالح آل الشيخ في شرحه على الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٢٨٤) وفي جواب له أثناء شرحه للطحاوية إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (٢/ ١٠٦٢).

[٢] وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ...» أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} (٣/ ١٢١٠ رقم: ٣١٤٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر (٤/ ٢١٧٨ رقم: ٢٨٣٤).

[٣] انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١/ ٢٥٣).

للاشتراك، وهذا الاشتراك حاصل بدلالة النصوص، فما فُصِّل في هذا الموضع مما ينقله العلماء أُجْمِلَ في قوله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله آدم على صورته».[1]

ويجدر التنبيه هنا إلى أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لم يرتض تأويل الصورة في حديث: «خلق الله آدم على صورته» بالصفة، إذا اقتُصِرَ بمفهوم الصفة على القول الذي يوصف به الشيء أو المعاني القائمة بالموصوف دون الصورة الموجودة في الخارج والقائمة بنفسها[2]، وهذا لا يتعارض مع قول من سبق من أهل العلم ممن فسر الصورة هنا بالصفة، لأنهم لم يقتصروا بمفهوم الصفة على صفات المعاني من العلم والقدرة ونحوهما، بل مثلوا لها بصفات الذات من الوجه والعينين واليدين والأصابع ونحوها.

ويقول ابن قتيبة - رحمه الله - في "تأويل مختلف الحديث"[3]: «والَّذي عندي - والله تعالى أعلم - أنَّ الصُّورة ليست بأعْجَب من اليدَين والأصابع والعين، وإنَّما وقَع الإِلْف لتلك؛ لِمَجيئها في القرآن، ووقعَت الوَحْشة من هذه؛ لأنَّها لم تأتِ في القرآن، ونحن نؤْمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدٍّ».

وقال الشيخ عبد الرحمن البراك - حفظه الله - في تعليقاته على المخالفات العقدية في فتح الباري[4]: «وما ذهب إليه ابن قتيبة - رحمه الله تعالى - من إثبات الصورة لله عز وجل، وأنها ليست كصورة أحد من الخلق ... هو مذهب جميع أهل السنة المثبتين لكل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، فكما يقولون: له وجه لا كوجوه المخلوقين، يقولون: له صورة لا كصور المخلوقين، وقد دل على إثبات الصورة لله - عز وجل - قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الطويل: «وتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها»[5]، وهو نص صريح لا يحتمل التأويل، فلهذا لم يخالف أحد من أهل السنة في دلالته.

وأما حديث: «فإن الله خلق آدم على صورته» فقد استدل به أكثر أهل السنة على إثبات الصورة أيضًا، وردوا الضمير إلى الله تعالى، وأيدوا ذلك برواية من رواياته بلفظ:

---

(1) انظر: شرح الفتوى الحموية الكبرى للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٢٧٩- ٢٨٥).

(2) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤٧٤).

(3) ص: (٢٠٣).

(4) وهي مطبوعة بحاشية فتح الباري طبعة دار طيبة، وهذا النقل من حاشية الطبعة المشار إليها (٥/ ١٨٣).

(5) هو حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - المتفق عليه وقد تقدم تخريجه (ص: ٣٢٦).

«على صورة الرحمن». ومن رد الضمير إلى آدم – عليه السلام – أو إلى المقاتل وقصده نفي الصورة عن الله تعالى؛ فهو جهمي كما قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

ونفي الصورة هو مذهب الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الأشاعرة والماتريدية، ومنشأ ذلك هو توهم التشبيه في صفات الله تعالى، فزعموا أن إثبات الصورة أو الوجه أو اليدين ونحو ذلك يستلزم التشبيه بالمخلوقات، وهي حجة داحضة، وطردها يستلزم نفي وجود الله سبحانه وتعالى.

ومن رد من أهل السنة الضمير إلى آدم – عليه السلام – وضعَّف رواية: «على صورة الرحمن» فليس مقصوده التوصل إلى نفي الصورة عن الله عز وجل، وليس من مذهبه ذلك، بل رأى لفظ هذا الحديث «خلق الله آدم على صورته» محتملاً، فترجح عنده عود الضمير إلى آدم أو إلى المقاتل. وهو منازع في تضعيفه لتلك الرواية وفي هذا الترجيح.

وبهذا يتبين أن إثبات الصورة لله – عز وجل – لا يتوقف على دلالة حديث «خلق الله آدم على صورته»».

٥- **صفة اليد ووصفها بالبرودة:** وهي مأخوذة من قوله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث: «فوضع **يده** بين كتفي حتى وجدت **بردها** بين ثديي».

واليد صفة ذاتية خبرية ثابتة لله تعالى بنص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فمن أدلة الكتاب على هذه الصفة:

- قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤].
- وقوله تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} [ص: ٧٥].
- وقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الملك: ١].

ومن أدلة السنة عليها:

- حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعًا: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار». وقال: «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده». وقال: «وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع».[١]

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (٦/ ٢٦٩٧ رقم: ٦٩٧٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة باب الحث على النفقة (٢/ ٦٩١ رقم: ٩٩٣) واللفظ للبخاري.

- وحديث عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «يأخذ الله - عز وجل - سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله - ويقبض أصابعه ويبسطها - أنا الملك».[1]
- وحديث أنس - رضي الله عنه - في الشفاعة وفيه: «فيأتون آدم - صلى الله عليه وسلم - فيقولون: أنت آدم، أبو الخلق، خلقك الله بيده».[2]

وقد نقل جملة من أهل العلم إجماع سلف الأمة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل، ومنهم:

- الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) - رحمه الله - في "رسالة إلى أهل الثغر" حيث قال فيها: «وأجمعوا على أنه - عز وجل - يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين».[3]
- وابن أبي زيد القيرواني المالكي (٣٨٦هـ) - رحمه الله - حيث قال: «فمما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة ... وأن يديه مبسوطتان، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه».[4]
- الإمام البغوي (٥١٦هـ) - رحمه الله — في شرح السنة.[5]
- الإمام أبو الحسن ابن القطان (٦٢٨هـ) - رحمه الله - حيث قال: «وأجمعوا أن لله يدين مبسوطتين. وأجمعوا أن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه من غير أن تكون جوارح. وأجمعوا أن يديه تعالى غير نعمتيه».[6]

وهما يدان حقيقتان تليقان به - جل وعلا - ولا تماثلان أيدي المخلوقين، كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/ ٢١٤٨ رقم: ٢٧٨٨).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] (٦/ ٢٦٩٥ رقم: ٦٩٧٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٠ رقم: ١٩٣) واللفظ له.

[3] (ص: ١٢٧).

[4] الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ (ص: ١٠٧).

[5] (١/ ١٧٠- ١٧١).

[6] الإقناع في مسائل الإجماع (١/ ٤٤).

وقد أنكرت المبتدعة من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشاعرة صفةَ اليدين لله تعالى على الحقيقة، وأولوها بالقدرة والنعمة ونحوهما من المعاني، زعمًا منهم أن إثبات يدين لله تعالى على الحقيقة يلزم منه التجسيم وتشبيه الخالق بالمخلوق.

وقد تصدى علماء أهل السنة والجماعة للرد عليهم وبيان بطلان مذهبهم، وأكتف هنا بذكر كلام نفيس للإمام ابن القيم – رحمه الله – في الرد على المؤولين لهذه الصفة وبيان أنها صفة ذاتية ثابتة لله تعالى على الحقيقة، فبعد أن أبطل – رحمه الله – مذهبهم من عشرين وجهًا قال في خاتمة كلامه:

«ورد لفظ "اليد" في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرّفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك[1]، والطي والقبض[2]، والبسط[3]، والمصافحة[4]، والحثيات[5]، والنضح باليد[6]، والخلق

---

[1] قال تعالى: { إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا } [فاطر:٤١] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم! إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: "أنا الملك، أنا الملك". فرأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ {وما قدروا الله حق قدره}. متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩٧ رقم: ٦٩٧٩) ومسلم (٤/ ٢١٤٧ رقم: ٢٧٨٦).

[2] قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧] وقال صلى الله عليه وسلم: «يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض». متفق عليه: أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٢ رقم: ٤٥٣٤) ومسلم (٤/ ٢١٤٨ رقم: ٢٧٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] قال تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤] وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها». أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٣ رقم: ٢٧٥٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

[4] يُروى في ذلك حديث: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه». ويروى مرفوعًا من حديث جابر رضي الله عنه، وموقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما، ولا يصح وإن كان الوقف أشبه، وانظر تخريجه والحكم عليه في السلسلة الضعيفة والموضوعة (١/ ٣٩٠ رقم: ٢٢٣).

[5] عن أبي أمامة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب، مع كل ألفٍ سبعين ألفًا وثلاثَ حثيات من حثيات ربي». أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٦٢٦ رقم: ٢٤٣٧) وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه في سننه (٥/ ٣٤٨ رقم: ٤٢٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٩٦ رقم: ٧١١١) وفي ظلال الجنة (١/ ٢٦٠– ٢٦١).

[6] جاء في حديث طويل عن لقيط بن صبرة – رضي الله عنه – مرفوعًا: «فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح به قبلكم، فلعمر إلهك ما تخطيء وجه أحدكم قطرة ...». أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٨٦– ٢٨٩ رقم: ٦٣٦)، والإمام أحمد في مسنده (٢٦/ ١٢١ رقم: ١٦٢٠٦) وغيرهما، وهو حديث ضعيف، ضعفه الألباني في ظلال السنة (١/ ٢٨٩) والأرنؤوط في الموضع السابق من المسند.

باليدين[1]، والمباشرة بهما[2]، وكتب التوراة بيده[3]، وغرس جنة عدن بيده[4]، وتخمير طينة آدم بيده[5]، ووقوف العبد بين يديه[6] ... وأخذ الصدقة بيمينه يربيها لصاحبها[7]، وكتابه بيده على نفسه أن رحمته تغلب غضبه[8]، وأنه مسح ظهر آدم بيده ثم قال له ويداه مفتوحتان: اختر، فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة[9]،

---

(1) قال تعالى: {قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] وسبق حديث أنس - رضي الله عنه - في الشفاعة وفيه: «فيأتون آدم - صلى الله عليه وسلم - فيقولون: أنت آدم، أبو الخلق، خلقك الله بيده».

(2) قال ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٧٢): «وفي قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "إن الله لم يباشر بيده، أو لم يخلق بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده"». وقد بحثت كثيرًا عن لفظة «لم يباشر بيده» فلم أجدها في الكتب المسندة عن ابن عمر ولا عن غيره.

(3) أخرج البخاري (٦/ ٢٤٣٩ رقم: ٦٢٤٠) ومسلم (٤/ ٢٠٤٢ رقم: ٢٦٥٢) في صحيحيهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟». فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى». قال مسلم: وفي حديث ابن أبي عمر وابن عبدة، قال أحدهما: «خط» وقال الآخر: «كتب لك التوراة بيده».

(4) ورد ذلك في عدة أحاديث مرفوعة كلها فيها مقال، أجودها - فيما وقفت عليه - حديث عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله - عز وجل - ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم عليه السلام بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده». وسيأتي تخريجه. وصح موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١١٨٢ رقم: ٧٥٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢/ ٥٧٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٣٠٠ رقم: ٢٢٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٩ رقم: ٣٢٤٤) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٢٦ رقم: ٦٩٣).

(5) ورد ذلك من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي - رضي الله عنهما - موقوفًا، أخرجه أبو سعيد الدارمي في نقضه على المريسي (١/ ٢٧٤)، والفريابي في القدر (ص: ٣٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٧ رقم: ٦٨٢٠)، والآجري في الشريعة (٢/ ٨٥٤ رقم: ٤٣١ و٤٣٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠ رقم: ٧١٦) وإسناده صحيح.

(6) ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها حديث عدي بن حاتم - رضي الله عنه - مرفوعًا: « ... ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ...» . متفق عليه: أخرجه البخاري (٢/ ٥١٢ رقم: ١٣٤٧) ومسلم (٢/ ٧٠٤ رقم: ١٠١٦) في صحيحيهما، واللفظ للبخاري.

(7) سيذكر - رحمه الله - الحديث الدال على ذلك بعد قليل.

(8) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٤٩ رقم: ٣٥٤٣) وقال: حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه في سننه (٥/ ٣٥٣ رقم: ٤٢٩٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٧١ رقم: ١٦٢٩) وكذلك الأرنؤوط في الموضع المشار إليه من تحقيقه لسنن ابن ماجه.

(9) لم أقف على حديث بهذا اللفظ وتمامه بعد بحث وتحرّ، ولكن يشهد للجملة الأولى منه وهي «مسح ظهر آدم بيده» حديث مسلم بن يسار أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سئل عن هذه الآية: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ} [الأعراف: ١٧٢] فقال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عنها، فقال: «إن الله عز وجل خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية ...». أخرجه أبو داود (٧/ ٨٩- ٩٠ رقم: ٤٧٠٣) والترمذي (٥/ ٢٦٦ رقم: ٣٠٧٥) في سننهما، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار =

وأن يمينه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وبيده الأخرى القسط يرفع ويخفض[1]، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض[2]، وأنه يطوي السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الأرض باليد الأخرى[3] ... وقوله: «الأيدي ثلاثة، فيد الله العليا ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى».[4] فهل يصح في عقل أو لغة أو عرف أن يقال: قدرة الله أو نعمته العليا، ويد المعطي التي تليها؟! فهل يحتمل هذا التركيب غير يد الذات بوجه ما؟! وهل يصح أن يراد به غير ذلك؟! وكذلك قوله: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة»[5]. فضم هذا إلى قوله: «الأيدي ثلاثة، فيد الله العليا، ويد المعطي هي التي تليها». وإلى قوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤]؛ تقطع بالضرورة أن المراد يد الذات لا يد القدرة والنعمة، فإن التركيب والقصد والسياق لا يحتمله البتة ... وكذلك قوله: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب – ولا يقبل الله إلا

لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً». وضعفه الألباني في ظلال السنة (١/ ٨٧ رقم: ١٩٦) والسلسلة الضعيفة (٧/ ٧١ رقم: ٣٠٧١).

وأما باقي الحديث فأخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٤٥٣ رقم: ٣٣٦٨) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩١ رقم: ٢٠٦)، والبزار في مسنده (١٥/ ١٥٠ رقم: ٨٤٧٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٦١)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٠ رقم: ٦١٦٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤٠ رقم: ٢٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في ظلال السنة (١/ ٩١ رقم: ٢٠٦) وصححه في صحيح الجامع (٢/ ٩٢٥ رقم: ٥٢٠٩). إلا أن لفظه عندهم: «ويداه مقبوضتان». وأما لفظ: «ويداه مفتوحتان» فلم أجده في الكتب المسندة، وقد ذكره الذهبي في كتاب الأربعين في صفات رب العالمين (ص: ٧٩ رقم: ٧٥) بدون إسناد وقال: «وثبت عن أبي هريرة قال: قال الله لآدم ويداه مفتوحتان: اختر أيها شئت. فقال: اخترت يمين ربي ... الحديث».

(١) متفق عليه، وقد سبق تخريجه (ص: ٣٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٧/ ٧٨ رقم: ٤٦٩٣)، والترمذي (٥/ ٢٠٤ رقم: ٢٩٥٥) في سننهما، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٧٢ رقم: ١٦٣٠).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير باب سورة الزمر (٤/ ١٨١٢ رقم: ٤٥٣٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/ ٢١٤٨ رقم: ٢٧٨٨)، وأبو داود في سننه (٧/ ١١٤ رقم: ٤٧٣٢) واللفظ له من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٨٧ رقم: ١٦٤٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٤٠ رقم: ٢٧٩٤) من حديث مالك بن نضلة رضي الله عنه.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (٢/ ٥١٩ رقم: ١٣٦٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة باب اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة (٢/ ٧١٧ رقم: ١٠٣٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل».[1] فهل يحتمل هذا الكلام غير الحقيقة؟ وهب أن اليد تستعمل في النعمة، أفسمعتم أن اليمين والكف يستعملان في النعمة في غير الوضع الجديد الذي اخترعتموه وحملتم عليه كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؟!. وكذلك «وبيده الأخرى القسط».[2] هل يصح أن يكون المعنى وبقدرته الأخرى؟! وهل يصح في قوله: «إن المقسطين عن يمين الرحمن».[3] أنه عن قدرته في لغة من اللغات؟! وهل سمعتم باستعمال اليمين في النعمة والكف في النعمة؟! وكيف يحتمل قوله: «إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره، ثم أفاض بهم في كفه».[4] كف النعمة والقدرة؟! وهذا لم تعهدوا أنتم ولا أسلافكم به استعمالاً البتة سوى الوضع الجديد الذي اخترعتموه ... وهل يصح في قوله: «والخير كله في يديك».[5] أن يكون: في نعمتيك أو في قدرتيك؟! وقال عبد الله بن الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده».[6] أفيصح أن يخص الثلاث بقدرته؟! ولا سيما

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب (٢/ ٥١١ رقم: ١٣٤٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة باب باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٢/ ٧٠٢ رقم: ١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه بهذا اللفظ ابن منده في التوحيد (٢/ ١٩١ رقم: ٣٣٧)، والمقدسي في التوحيد (ص: ٣٦ رقم: ٧) وإسنادهما صحيح، وأصله في الصحيحين: البخاري (٦/ ٢٦٩٧ رقم: ٦٩٧٦) بلفظ: «وبيده الأخرى الميزان». و (٦/ ٢٦٩٩ رقم: ٦٩٨٣) بلفظ: «وبيده الأخرى الفيض أو القبض». ومسلم (٢/ ٦٩١ رقم: ٩٩٣) بلفظ: «وبيده الأخرى القبض».

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٣/ ١٤٥٨ رقم: ١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(4) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٣- ٧٤ رقم: ١٦٨ و١٦٩)، وابن جرير في تفسيره (١٣/ ٢٤٤ رقم: ١٥٣٧٧)، والآجري في الشريعة (٢/ ٧٤٨ رقم: ٣٣٠)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٦٨ رقم: ٤٣٤)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص: ٤١)، وصححه الألباني في ظلال السنة (١/ ٧٤ رقم: ١٦٨) من حديث هشام ابن حكيم بن حزام رضي الله عنهما.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٣٤ رقم: ٧٧١) ضمن حديث طويل لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

(6) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص: ١٩٨ رقم: ٤١٠) وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٥/ ١٥٥٥)، والدراقطني في الصفات (ص: ٢٦ رقم: ٢٨)، وأبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (١/ ٤٨ رقم: ٢٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٢٥ رقم: ٦٩٢). وأعل بالإرسال؛ لأن راويه عبد الله بن الحارث بن نوفل وإن كان ولد في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا أنه ليس له صحبة، قال العلائي في جامع التحصيل (ص: ٢٠٨): «ذكره ابن عبد البر في الصحابة كذلك، ولا صحبة له، بل ولا رؤية، وحديثه مرسل قطعًا».

لفظ الحديث: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء».[1] أفيصح أن توضع النعمة والقدرة موضع اليد هاهنا؟!».[2]

٦- **صفة الكف**، وهي مأخوذة من قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث: «فرأيته وضع **كفه** بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت».[3]

والكف صفة ذاتية خبرية ثابتة لله - عز وجل - بالأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تلك الأحاديث:

- حديث اختصام الملأ الأعلى الذي معنا.
- وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في **كف الرحمن** حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله».[4]
- وحديث عتبة بن عبدٍ السلمي - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفًا بغير حساب، ثم يتبع كل ألف بسبعين ألفًا، ثم يحثي بكفيه ثلاث حثيات».[5]

والكلام في هذه الصفة فرع عن الكلام في صفة اليدين التي تقدمت.

٧- **صفة الأنامل ووصفها بالبرودة**، وهي مأخوذة من قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث: «فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد **أنامله** بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت».

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٢ رقم: ١٩٥٢) بسنده إلى قتادة عن كعب الأحبار، والديلمي في الفردوس (١/ ١٨١ رقم: ٦٧٥) عن علي بن أبي طالب بدون إسناد.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٤٠٥- ٤٠٧).

(٣) حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٣).

(٤) متفق عليه، وسبق تخريجه (ص: ٣٤٥).

(٥) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٤١)، وأبو سعيد الدارمي في نقضه على المريسي (١/ ٢٧٦- ٢٧٧)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٢٦ رقم: ٣١٢) والأوسط (١/ ١٢٦ رقم: ٤٠٢)، والبيهقي في البعث والنشور (ص: ١٨٦ رقم: ٢٧٤)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢٣١ رقم: ٧٢٤٧) وقال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره. وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ٢٩٩ رقم: ٧٢٠٣): حسن أو صحيح.

وهي صفة ذاتية خبرية ثابتة لله – جل وعلا – بهذا الحديث، ودلالة الحديث عليها واضحة لا تقبل التأويل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في سياق رده على تأويلات الرازي للصفات الواردة في هذا الحديث:

«وأيضًا فقوله: "وجدت برد أنامله معناه: وجدت أثر تلك العناية". يقال له: أثر تلك العناية كان حاصلاً على ظهره وفي فؤاده وصدره، فتخصيص أثر العناية بالصدر لا يجوز؛ إذ عنده لم يوضع بين الكتفين شيء قط، وإنما المعنى أنه صرف الرب عنايته إليه، فكان يجب أن يبين أن أثر تلك العناية متعلق بما يعمُّ، أو بأشرف الأعضاء، وما بين الثديين كذلك، بخلاف ما إذا أقر الحديث على وجهه، فإنه إذا وضعت الكف على ظهره نَفَذَ بردها إلى الناحية الأخرى، وهو الصدر، ومثل هذا يعلمه الناس بالإحساس، وأيضًا فقول القائل: "وضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي" نص لا يحتمل التأويل، والتعبير بمثل هذا اللفظ عن مجرد الاعتناء أمر يُعلم بطلانه بالضرورة من اللغة، وهو من غث كلام القرامطة والسوفسطائية».[١]

والكلام في هذه الصفة أيضًا فرع عن الكلام في صفة اليدين التي سبقت، فتفصيل مذهب أهل السنة والجماعة ومذاهب المخالفين في هذه الصفة وصفة الكف هو ما سبق بيانه في صفة اليدين.

٨– صفة المغفرة:

والمغفرة في اللغة: الستر والتغطية، يقال: "غفر الله ذنوبه" أي سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ. وكل شيء سترته فقد غفرته، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس: مِغْفَر. وتقول العرب: "اصبغ ثوبك بالسواد فهو أَغْفَرُ لوسخه" أي: أَحْمَلُ له وأغطى له. وقال ابن سيده: غَفَرَ المتَاعَ في الوِعَاءِ يَغْفِرُه غَفْراً: أدخله وستره وأوعاه.[٢]

وأما المغفرة في الشرع: فقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بأنها: «وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب».[٣]

وبين – رحمه الله – بأن تفسير المغفرة بالستر فقط تقصير في فهم معناها، فقال: «ومن الناس من يقول: "الغفر: الستر"، ويقول: إنما سمي المغفرة والغفار لما فيه من

---

[١] بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٢٨٨).

[٢] انظر: تهذيب اللغة للهروي (٨/ ١١٢)، و لسان العرب (٥/ ٢٥)، وتاج العروس (١٣/ ٢٤٦).

[٣] مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١٧).

معنى الستر، وتفسير اسم الله الغفار بأنه الستار، وهذا تقصير في معنى الغفر؛ فإن المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب، فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه. وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطنًا أو ظاهرًا فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب».[١]

وقال – رحمه الله – في بيان الفرق بين العفو والمغفرة: «والمغفرة متضمنة لوقايتهم شر ذنوبهم وإقباله عليهم ورضاه عنهم؛ بخلاف العفو المجرد؛ فإن العافي قد يعفو ولا يقبل على من عفا عنه ولا يرضى عنه، فالعفو ترك محض، والمغفرة إحسان وفضل وجود».[٢]

وعرفها تلميذه ابن القيم – رحمه الله – بأنها: «محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره».[٣]

ثم قال: «لا كما ظنه بعض الناس أنها الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم. وحقيقتها وقاية شر الذنب، ومنه المغفر، لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مغفرًا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية».[٤]

وقال – رحمه الله – مبينًا فائدة المغفرة وغايتها: «وكل من غفر له دخل الجنة ولا بد، وليس فائدة المغفرة إلا الفوز بالجنة والنجاة من النار».[٥]

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: «والمغفرة في الأصل: الستر، ويراد بها التجاوز عن الذنب وعدم المؤاخذة به، وأضاف بعضهم: إما بترك التوبيخ والعقاب رأسًا، أو بعد التقرير به فيما بين العبد وربه».[٦]

---

(١) المرجع السابق، وقال – رحمه الله – كما في المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٢٢): «مغفرة الله لعبده مقتضاها ألا يعذبه بعد الموت، وهو سبحانه يعلم الأشياء على ما هي عليه فإذا علم من العبد أنه سيتوب أو يعمل حسنات ماحية غفر له في نفس الأمر، إذ لا فرق بين من يحكم له بالمغفرة أو بدخوله الجنة».

(٢) المرجع السابق (١٤/ ١٤٠).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٧٨٨).

(٤) المرجع السابق.

(٥) طريق الهجرتين (ص: ٦٣٠)، وانظر: مفتاح دار السعادة (١/ ١٠٣).

(٦) الموسوعة الكويتية (٤/ ٣٤).

وقد أخذنا هذه الصفة من قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث اختصام الملأ الأعلى: «وأن **تغفر** لي وترحمني»، وفي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله **يغفر** له ضعفه».[1]

وهي صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة، فمن أدلة الكتاب عليها:

- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥].
- وقوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٨].
- وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنفال: ٧٠].
- وقوله جل شأنه: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].
- وقوله جل جلاله: {إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} [فصلت: ٤٣].

ومن أدلة السنة عليها إضافة إلى أحاديث الرؤيا التي معنا:

- حديث أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علمني الدعاء أدعو به في صلاتي. قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم».[2]

---

(١) متفق عليه، سبق تخريجه (ص: ٣٢٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب صفة الصلاة باب الدعاء قبل السلام (١/ ٢٨٦ رقم: ٧٩٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤/ ٢٠٧٨ رقم: ٢٧٠٥).

- وحديث عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلي صلاة إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها».[1]
- وحديث أبي ذر – رضي الله عنه – القدسي وفيه: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم».[2]
- حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يحكي عن ربه عز وجل، قال: «أذنب عبد ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك».[3]

ومن أسمائه تعالى: «الغفور» كما مر معنا في الآيات والأحاديث التي أوردناها، و «الغفار» كما في قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} [ص: ٦٦]، و «غافر الذنب» كما في قوله تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر: ٣]. ومعلوم أن كل اسم لله تعالى متضمن لصفة من صفاته، فهذه الأسماء متضمنة لصفة المغفرة.

وهذه المغفرة التي اتصف الله تعالى بها هي مغفرة واسعة وشاملة لجميع الذنوب، كما قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم: ٣٢]، وقال: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣]، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم».[4]

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا (١/ ٧١ رقم: ١٥٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب الطهارة باب فضل الوضوء والصلاة عقبه (١/ ٢٠٥ رقم: ٢٢٧).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٤ رقم: ٢٥٧٧).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ} [الفتح: ١٥] (٦/ ٢٧٢٥ رقم: ٧٠٦٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٤/ ٢١١٢ رقم: ٢٧٥٨) واللفظ له.

[4] أخرجه مسلم، تقدم تخريجه في هذه الصفحة.

وبين ابن تيمية – رحمه الله – أن هذه المغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان[1]:

النوع الأول: المغفرة لمن تاب، فكل من تاب من ذنب غفر الله له ذنبه، أيًّا كان ذنبه، الشرك فما دونه من الذنوب، وهذا ما يدل عليه سياق آيات سورة الزمر {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ...} [الزمر: ٥٣- ٥٤] وسبب نزولها، فإن المعنى أن لا ييأس مذنب من مغفرة الله ولو كانت ذنوبه ما كانت، فإن الله سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لعبده التائب.

وقال رحمه الله: «ومما يبين أن المغفرة العامة في الزمر هي للتائبين؛ أنه قال في سورة النساء: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]. فقيد المغفرة بما دون الشرك، وعلقها على المشيئة، وهناك أطلق وعمم، فدل هذا التقييد والتعليق على أن هذا في حق غير التائب، ولهذا استدل أهل السنة بهذه الآية على جواز المغفرة لأهل الكبائر في الجملة، خلافًا لمن أوجب نفوذ الوعيد بهم من الخوارج والمعتزلة، وإن كان المخالفون لهم قد أسرف فريق منهم من المرجئة حتى توقفوا في لحوق الوعيد بأحد من أهل القبلة، كما يذكر عن غلاتهم أنهم نفوه مطلقًا، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، ونصوص الكتاب والسنة مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها متطابقة على أن من أهل الكبائر من يعذب، وأنه لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان».[2]

وبين مذاهب المخالفين لأهل السنة في هذا الباب في موضع آخر فقال: «وقد ذكرنا في غير موضع أن هذه كما ترد على الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فهي ترد أيضًا على المرجئة الواقفية الذين يقولون: يجوز أن يعذب كل فاسق فلا يغفر لأحد، ويجوز أن يغفر للجميع؛ فإنه قد قال: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} فأثبت أن ما دون ذلك هو مغفور لكن لمن يشاء، فلو كان لا يغفره لأحد بطل قوله: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

---

[1] مجموع الفتاوى (١٨/ ١٨٥- ١٩٢).

[2] المرجع السابق (١٨/ ١٩١- ١٩٢) وقال – رحمه الله – في موضع آخر من فتاويه (١٠/ ٣١٦- ٣١٧): «الموجب للغفران مع التوحيد هو التوبة المأمور بها؛ فإن الشرك لا يغفره الله إلا بتوبة؛ كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} في موضعين من القرآن، وما دون الشرك فهو مع التوبة مغفور، وبدون التوبة معلق بالمشيئة. كما قال تعالى: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}. فهذا في حق التائبين ولهذا عمم وأطلق وحتم أنه يغفر الذنوب جميعًا، وقال في تلك الآية: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} فخص ما دون الشرك وعلقه بالمشيئة».

ذَلِكَ}، ولو كان يغفره لكل أحد بطل قوله: {لِمَنْ يَشَاءُ}، فلما أثبت أنه يغفر ما دون ذلك، وأن المغفرة هي لمن يشاء؛ دل ذلك على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك، لكنها لبعض الناس. وحينئذ فمن غفر له لم يعذب، ومن لم يغفر له عذب، وهذا مذهب الصحابة والسلف والأئمة، وهو القطع بأن بعض عصاة الأمة يدخل النار وبعضهم يغفر له، لكن هل ذلك على وجه الموازنة والحكمة أو لا اعتبار بالموازنة؟ فيه قولان للمنتسبين إلى السنة من أصحابنا وغيرهم بناء على أصل الأفعال الإلهية هل يعتبر فيها الحكمة والعدل».[1]

النوع الثاني: المغفرة بمعنى تخفيف العذاب، أو بمعنى تأخيره إلى أجل مسمى، وهذا عام مطلقًا؛ ولهذا شفع النبي – صلى الله عليه وسلم – في أبي طالب مع موته على الشرك، فنُقِلَ من غمرة من نار حتى جعل في ضحضاح من نار[2]، في قدميه نعلان من نار يغلي منهما دماغه، وقال: «ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».[3]

وعلى هذا المعنى دل قوله سبحانه: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} [فاطر: ٤٥] وقوله: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل: ٦١] وقول: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠].

وينبغي أن يعلم أن الله تعالى وحده هو أهل المغفرة، ولا يغفر الذنوب غيره، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ١٣٥]، وكما في حديث سيد الاستغفار: «وأبوء لك بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».[4] وكما مر

---

[1] المرجع السابق (١٦/ ١٩).

[2] **الضَّحْضَاح**: في الأصل: ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار. النهاية لابن الأثير (٣/ ٧٥).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب قصة أبي طالب (٣/ ١٤٠٨ رقم: ٣٦٧٠) ، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١/ ١٩٤ رقم: ٢٠٩) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات باب فضل الاستغفار (٥/ ٢٣٢٣ رقم: ٥٩٤٧) من حديث شداد ابن أوس رضي الله عنه.

معنا في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم».[1]

فلا يجوز طلب مغفرة الذنوب إلا من الله وحده، وطلبها من غيره شرك أكبر في الألوهية، لأنه صرف نوع من العبادة لغير الله تعالى، كما أن اعتقاد أهلية غير الله تعالى لمغفرة الذنوب شرك أكبر في الربوبية، لأنه صرف وصف من أوصاف الربوبية لغير الله جل وعلا.

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي معلقًا على قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا يغفر الذنوب إلا أنت»[2]: «هذا من خصائص الله - تبارك وتعالى - قال سبحانه: {وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ١٣٥] فلا يقدر أحد على مغفرة الذنوب إلا الله سبحانه، سواء كان نبيًّا أو ملكًا أو إنسيًّا أو جنيًّا، ومن هذا يتبين بطلان ما يقع فيه بعض الطوائف من الشرك بالله تعالى حينما يسألون غيره المغفرة، كالنصارى حينما يتوب أحدهم يذهب إلى القسيس؛ ليغفر له ذنبه، ويعطيه صك الغفران، وكالرافضة الشيعة الذين يتوبون إلى مشايخهم، من دون الله تعالى. وقد جاء في مسند الإمام أحمد - رحمه الله - أنه أُتي بأسير للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "اللهم إني أتوب إليك، ولا أتوب لمحمد". فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عرف الحق لأهله".[3] فالله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة، فدل على أنه لا يقدر أحد على مغفرة الذنوب، ولا تفريج الكروب وإزالة العيوب إلا الله تعالى».[4]

٩- صفة الرحمة، وهي مأخوذة من قوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث اختصام الملأ الأعلى: «وأن تغفر لي **وترحمني**».

وهي صفة ثابتة لله تعالى حقيقة بنص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وقد تعددت النصوص الدالة عليها من الكتاب والسنة وتنوعت، ووردت على صيغ الماضي والمضارع والمصدر واسم الفاعل وصيغ المبالغة والتفضيل، فمن أدلة الكتاب عليها ما يلي:

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٤ رقم: ٢٥٧٧).

[2] وذلك في حديث أبي بكر - رضي الله عنه - المتقدم في (ص: ٣٤٩).

[3] مسند أحمد (٢٤/ ٣٥٣ رقم: ١٥٥٨٧) من حديث الأسود بن سَريع رضي الله عنه، وإسناده ضعيف، انظر: السلسلة الضعيفة (٨/ ٣٢٣ رقم: ٣٨٦٢).

[4] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد العزيز الراجحي (ص: ٢٠).

- قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الدخان: ٤٢].
- وقوله عز وجل: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} [الإسراء: ٥٤].
- وقوله جل شأنه: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ١٥٦].
- {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: ١٤٧].
- {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: ٣].
- {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأعراف: ١٥١].

ومن دلالة السنة عليها ما يلي:

- حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا: «رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر». وفي لفظ مسلم: «يرحم الله موسى».[١]
- وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».[٢]
- وحديث عمر - رضي الله عنه - في المرأة التي أضاعت صبيها ثم وجدها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟!». قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها».[٣]
- وحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في الشفاعة وفيه: «فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ...».[٤]

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الخمس باب ما كان للنبي صلى الله عليه و سلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (٣/ ١١٤٨ رقم: ٢٩٨١)، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (٢/ ٧٣٩ رقم: ١٠٦٢).

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧] (٣/ ١١٦٦ رقم: ٣٠٢٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/ ٢١٠٨ رقم: ٢٧٥١).

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥/ ٢٢٣٥ رقم: ٥٦٥٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/ ٢١٠٩ رقم: ٢٧٥٤).

[٤] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٦).

- وحديث عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء».[1]

وقد اختلف العلماء في هذه الصفة هل هي من صفات الذات أو صفات الأفعال؟ والذي يظهر أنها صفة ذات باعتبار كونه - جل وعلا - لم يزل متصفًا بها، وصفة فعل باعتبار تعلقها بإرادته ومشيئته كما قال تعالى: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} [العنكبوت: ٢١] وقال سبحانه: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} [الإسراء: ٥٤] فالرحمة العامة ملازمة لذاته تعالى وإن كان أفرادها تتجدد، كما هو الشأن في صفة الكلام.

وإلى ذلك أشار الإمام ابن القيم - رحمه الله - بقوله: «"الرحمن" دال على الصفة القائمة به سبحانه: و "الرحيم" دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته. وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣] {إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١١٧] ولم يجئ قط: رحمنٌ بهم. فعلم أن "الرحمن" هو الموصوف بالرحمة، و "رحيمٌ" هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها».[2]

وقال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: «والرحمة المضافة إلى الله تعالى نوعان: صفة ذاتية، وصفة فعلية، ولا ريب أن الرحمة الذاتية سابقة للغضب في الزمان؛ لأنه سبحانه موصوف بها في الأزل، فيصح أن يقال: لم يزل رحيمًا. وأما الغضب فهو صفة فعلية، فهو تابع لمشيئته، والأظهر أن الرحمة التي تسبق وتغلب الغضب هي الرحمة الفعلية التي تكون بمشيئته سبحانه».[3]

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٢٩٧- ٢٩٨ رقم: ٤٩٤١)، والترمذي في سننه (٤/ ٣٢٣ رقم: ١٩٢٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٩٤ رقم: ٩٢٥) و صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٦٦١ رقم: ٣٥٢٢).

[2] بدائع الفوائد (١/ ٢٣- ٢٤). وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٤١)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٢)، وشرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية للمصلح (ص: ٥٧).

[3] تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري (١٣/ ٤٤١) والترقيم للفتح طبعة دار طيبة.

وتنقسم الرحمة المضافة إلى الله –عز وجل– باعتبار العموم والخصوص إلى قسمين:

١– رحمة عامة تشمل جميع المخلوقات العقلاء وغير العقلاء، المؤمن منهم والكافر، والبر والفاجر، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: ١٥٦]. وقوله: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} [غافر: ٧]. يقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – معلقًا على هذه الآية الكريمة: «وقوله: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} يدل على أن كل شيء وصله علم الله – وهو واصل لكل شيء – فإن رحمته وصلت إليه، لأن الله قرن بينهما في الحكم {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار، لأن الله قرن الرحمة هذه مع العلم ... فكما يعلم الكافر، يرحم الكافر أيضًا».[١]

والرحمة العامة هي مدلول اسمه تعالى: «الرحمن» ومما يدل على ذلك قوله عز وجل: {قُل مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَل هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء:٤٢] قال البيضاوي في تفسير الآية: «وفي لفظ "الرحمن" تنبيه على أن لا كالئ غير رحمته العامة».[٢] ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن: ١ – ٤]. يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: «هذه السورة الكريمة الجليلة، افتتحها باسمه "الرَّحْمَنُ" الدال على سعة رحمته، وعموم إحسانه، وجزيل بره، وواسع فضله، ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم الدينية والدنيوية والأخروية، وبعد كل جنس ونوع من نعمه ينبه الثقلين لشكره، ويقول: {فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.[٣]

وقد أشار الله – جل شأنه – إلى رحمته العامة في آيات من كتابه، ومن ذلك قوله تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: ٧٣]، وقوله: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا} [يونس: ٢١].

---

[١] شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٢٤٨– ٢٤٩).

[٢] تفسير البيضاوي (٤/ ٥٢).

[٣] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٢٨).

٢- رحمة خاصة بالمؤمنين، كما قال تعالى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣]، وهذه الرحمة أخص وأعظم من الرحمة الأولى؛ لأنها رحمة دينية دنيوية متصلة برحمة الآخرة، ولهذا اختصت بالمؤمنين فلا ينالها الكفار، بخلاف الأولى فإنها رحمة بدنية دنيوية قاصرة غاية القصور بالنسبة لرحمة المؤمن.[١]

وهذه الرحمة الخاصة بالمؤمنين هي مدلول اسمه تعالى: «الرحيم» ومما يدل على ذلك الآية التي ذكرتها آنفًا، وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: ٢٨].

وتنقسم الرحمة المضافة إلى الله - عز وجل - باعتبار المضاف إلى قسمين:

١- رحمة هي صفة من صفات الله تعالى قائمة بذاته تليق بجلاله وعظمته، وإضافتها إلى الله - جل وعلا - من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وهي ما سبق بيانه من الرحمة العامة والخاصة، الذاتية والفعلية، وسبقت أمثلتها.

٢- رحمة مخلوقة هي أثر من آثار رحمته التي اتصف بها ورحم بها، وإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، وهي الواردة في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار».[٢]

وفي لفظ: «جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه».[٣]

---

[١] انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٢٤٩- ٢٥١).

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق باب الرجاء مع الخوف (٥/ ٢٣٧٤ رقم: ٦١٠٤) ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/ ٢١٠٨ رقم: ٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب باب جعل الله الرحمة في مائة جزء (٥/ ٢٢٣٦ رقم: ٥٦٥٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/ ٢١٠٨ رقم: ٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولـه – صلى الله عليه وسلم – في حديث احتجاج الجنة والنار: «قال الله – تبارك وتعالى – للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي».[1]

فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الرحمة، وتفصيلها عندهم، وأما المخالفون لأهل السنة والجماعة من الأشاعرة وغيرهم من أهل التعطيل فقد أنكروا أن يكون الله – جل وعلا – متصفًا بالرحمة صفة قائمة بذاته على الحقيقة، وأولوا الرحمة الواردة في نصوص الكتاب والسنة بالإحسان والإنعام[2]، أو بإرادة الإحسان وإرادة الإنعام[3]، وعللوا ذلك بأن العقل لم يدل عليها[4]، ولأن الرحمة رقة وضعف وخور وتألم على المرحوم وهذا لايليق بالله عز وجل[5].

وخلاصة الرد عليهم في النقاط التالية:

١- على فرض أن العقل لم يدل عليها، فإن السمع قد دل عليها، وانتفاء الدليل المعيَّن لا يقتضي انتفاء المدلول، فهب أن ما سلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فإنه لا ينفيه، وليس لك أن تنفيه بغير دليل، لأن النافي عليه الدليل، كما على المثبت. والسمع قد دل عليه، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي، فيجب إثبات ما أثبته الدليلُ السالمُ عن المعارِض المقاوم. وأنتم تثبتون بعض الصفات بالسمع، مثل: السمع والبصر[6]، فلماذا لا تثبتون هذه الصفة بالسمع أيضًا؟!.[7]

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير باب سورة ق (٤/ ١٨٣٦ رقم: ٤٥٦٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٨٦ رقم: ٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] انظر: الكشاف للزمخشري (١/ ٥١)، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للرازي (ص: ١١٦- ١١٧)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٥٧).

[3] انظر: الإنصاف للباقلاني (ص: ٣٩)، والمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي (ص: ٨٢ و ١٥٨)، لوامع البينات للرازي (ص: ١١٦)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٥٧).

[4] انظر: شرح الأصبهانية لابن تيمية (ص: ٣٧) وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٥٧).

[5] انظر: المقصد الأسنى للغزالي (ص: ٨٢)، والكشاف للزمخشري (١/ ٥١)، شرح الأصبهانية لابن تيمية (ص: ٣٦)، ومجموع الفتاوى له (٦/ ١١٧)، ومختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٤١)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٥٧).

[6] قال أبو عبد الله الأصبهاني الأشعري في عقيدته المختصرة التي شرحها شيخ الإسلام ابن تيمية: «والدليل على كونه سميعًا بصيرًا السمعيات». انظر: شرح الأصبهانية (ص: ٧).

[7] انظر: شرح الأصبهانية لابن تيمية (ص: ٣٧)، والتدمرية له (ص: ٣٣- ٣٤)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٥٧).

٢- لا نسلم بأن العقل لم يدل على اتصاف الله تعالى بالرحمة، بل دلالة العقل على ذلك أوضح وأجلى وأقرب من دلالته على الإرادة التي تثبتونها مستدلين عليها بدليل التخصيص[١]، فإن هذه النعم المشهودة والمسموعة، وهذه النقم المدفوعة، سببها الرحمة بلا شك، ولو كان الله لا يرحم العباد، ما أعطاهم النعم، ولا دفع عنهم النقم! وهذا أمر مشهود، يشهد به الخاص والعام.[٢]

يقول ابن القيم رحمه الله: «إن ظهور آثار هذه الصفة في الوجود كظهور أثر صفة الربوبية والملك والقدرة، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، كما أن الموجودات كلها شاهدة له بالربوبية التامة الكاملة، وما في العالم من آثار التدبير والتصريف الإلهي شاهد بملكه سبحانه، فجَعْلُ صفةِ الرحمة واسم الرحمة مجازًا كجعل صفة الملك والربوبية مجازًا، ولا فرق بينهما في شرع ولا عقل ولا لغة».[٣]

٣- أن يقال: يمكن إثبات هذه الصفة بنظير ما أثبتَّ به ما تثبت من العقليات، فيقال: نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على المشيئة.[٤]

٤- وأما قولهم: "الرحمة رقة وضعف وخور وتألم على المرحوم وهذا لايليق بالله عز وجل". فباطل مردود لما يلي:

أ- أنا لا نسلم بأن الرحمة ضعف وخور مطلقًا، لأنها قد تكون من القوي القادر تجاه الضعيف العاجز، فالملك يرحم رعيته، والسيد يرحم مملوكه، والأب يرحم ابنه، وليس ذلك ناشئًا عن ضعف وخور، بل تكون مع غاية العزة والقدرة[٥]، ولأن الضعف والخور أمر مذموم منهي عنه شرعًا، بينما الرحمة أمر محمود مأمور به شرعًا، وفي الحديث: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي».[٦] ومحال أن يكون المعنى: لا ينزع الضعف

---

[١] قال أبو عبد الله الأصبهاني الأشعري في عقيدته المختصرة التي شرحها شيخ الإسلام ابن تيمية: «والدليل على إرادته تخصيصه الأشياء بخصوصيات، واستحالة التخصيص من غير مخصص». انظر: شرح الأصبهانية (ص: ٧).

[٢] انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٥٧- ٢٥٨).

[٣] مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٤٨- ٣٤٩). وانظر بقية كلامه النفيس هناك.

[٤] انظر: التدمرية (ص: ٣٤).

[٥] انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٠٦).

[٦] أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٢٩٨ رقم: ٤٩٤٢) والترمذي في سننه (٤/ ٣٢٣ رقم: ١٩٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث حسن». وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/ ١١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٤٣ رقم: ٧٤٦٧).

والخور إلا من شقي. ولكن لما كانت الرحمة تقارن في حق كثير من الناس الضعف والخور - كما في رحمة النساء ونحو ذلك - ظن الغالط أنها كذلك مطلقًا.[1]

ب- إذا كانت الرحمة في المخلوق تقتضي رقة وتألُّمًا للمرحوم فذلك راجع لما يتصف به المخلوق من النقص والضعف والحاجة، ولا يلزم أن تكون رحمة الخالق - جل وعلا - كذلك، لأن الله - عز وجل - منزه عن النقص والضعف والحاجة، يوضح ذلك الإمام ابن القيم - رحمه الله - فيقول:

«قولهم: "الرحمة رقة القلب". تريدون رحمة المخلوق، أم رحمة الخالق، أم كل ما سمي رحمة، شاهدًا أو غائبًا؟ فإن قلتم بالأول صدقتم ولم ينفعكم ذلك شيئًا، وإن قلتم بالثاني والثالث كنتم قائلين غير الحق، فإن الرحمة صفة الرحيم وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيوانًا له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه، وإن كان ملَكًا فرحمته تناسب ذاته، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة، لم يلزم أن تكون رحمته من جنس [رحمة] المخلوق لمخلوق، وهذا يطرد في سائر الصفات كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة إلزامًا وجوابًا».[2]

ج- إذا كنتم لا تجيزون اتصاف الله تعالى بالرحمة حقيقة لأنها تستلزم رقة القلب والتألم للمرحوم في حق المخلوقين؛ فيجب أن لا تصفوه بالإرادة كذلك، لأنها تستلزم في المخلوقين ميل القلب إلى جلب منفعة أو دفع مضرة.

فإن قلتم: هذه إرادة المخلوق، وإرادة الخالق ليست كذلك. قلنا: وتلك رحمة المخلوق ورحمة الخالق ليست كذلك.[3]

د- «أن أسماء الله تعالى حسنى لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، وصفاته عليا عن النقص أيضًا، والله تعالى قد تمدح بهذه الأسماء والصفات لأنها تدل على الكمال، فمن المحال أن يلحقها ما يلحق رحمة المخلوق».[4]

هـ- «أن هذا النقص اللازم للصفة ليس هو من موضوعها ولا مسمى لفظها، وإنما هو من خصوص الإضافة، فالقدر الممدوح الذي[5] هو موضوع الصفة، والنقص

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١١٧).

[2] مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٤٤) وما بين المعكوفتين زيادة مني للتوضيح. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١١٨).

[3] انظر: التدمرية (ص: ٣٢)، مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٤٣).

[4] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢٦٢).

[5] هكذا في الأصل المطبوع، والذي يظهر لي أن كلمة «الذي» هنا مقحمة ولا حاجة إليها.

اللازم غير داخل في موضوعها، وكذلك لا دلالة في لفظها على العدم، والوجود غاية الكمال الذي لا كمال فوقه، وإنما ذلك من لوازم إضافتها ونسبتها إلى الرب سبحانه، فإذًا موضوع لفظها مطلق المعنى الممدوح، وخصوص الإضافة غير داخل في اللفظ المطلق، وعلى هذا فإذا استعملت في حق الرب تعالى كانت حقيقة، وإذا استعملت للعبد كانت حقيقة».[1]

٥- «نحن نعلم بالاضطرار أنا إذا فرضنا موجودين أحدهما يرحم غيره فيجلب له المنفعة ويدفع عنه المضرة، والآخر قد استوى عنده هذا وهذا وليس عنده ما يقتضي جلب منفعة ولا دفع مضرة؛ كان الأول أكمل».[2]

٦- «أنه من أعظم المحال أن تكون رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء مجازًا، ورحمة العبد الضعيفة القاصرة المخلوقة المستعارة من ربه التي هي من آثار رحمته حقيقةً، وهل في قلب الحقائق أكثر من هذا؟! فالعباد إنما حصلت لهم هذه الصفات التي هي كمال في حقهم، من آثار صفات الرب تعالى، فكيف تكون لهم حقيقة، وله مجاز؟!».[3]

كانت هذه جملة من الصفات الثبوتية التي دلت عليها الرؤى الرواردة في السنة النبوية الصحيحة، وكلها صفات كمال تليق بكمال الله تعالى وجلاله، وأهل السنة والجماعة يثبتونها لله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

١٠- تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به: وإلى جانب وصفه تعالى بهذه الصفات؛ جاء في الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية تنزيهه - عز وجل - عما لا يليق به من النقائص، وذلك على وجهين:

الوجه الأول: تنزيه عام عن كل ما لا يليق به تبارك وتعالى، وذلك في نحو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سمرة - رضي الله عنه - الطويل في الرؤيا، وفيه: «قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟».[4]

---

[1] مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٤٦).

[2] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١١٨).

[3] مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٤٤) وابن القيم - رحمه الله - رد عليهم بأسلوبه الشيق المحكم من عشرين وجهًا، فانظر إن شئت بقية الأوجه في المرجع السابق (ص: ٣٤١- ٣٥١).

[4] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٣٦).

الشاهد قوله: «سبحان الله». فهي كلمة التسبيح، وتتضمن أصلاً عظيمًا من أصول التوحيد، وركنًا أساسيًّا من أركان الإيمان بالله عز وجل، وهو تنزيهه – سبحانه وتعالى – عن العيب والنقص والأوهام الفاسدة والظنون الكاذبة.

قال أهل اللغة: «سُبْحان اللهِ»: تنزيه لله عن كلِّ ما لا ينبغي أن يُوصَف به.(1)

وبهذا المعنى جاء السياق القرآني، قال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون:٩١]، وقال عز وجل: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الصافات: ١٥٨-١٥٩]، وقال سبحانه: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر: ٢٣].

وهذه الكلمة العظيمة لا تقتصر دلالتها على النفي المحض، بل تتضمن إثبات ضد ما نفته من النقائص، لأن النفي المحض لا يكون مدحًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقوله: (سُبْحَانَك) يتضمن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم وغيره من النقائص؛ فإن التسبيح وإن كان يقال: يتضمن نفي النقائص ... فالنفي لا يكون مدحًا إلا إذا تضمن ثبوتًا، وإلا فالنفي المحض لا مدح فيه، ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله، ولله الأسماء الحسنى. وهكذا عامة ما يأتي به القرآن في نفي السوء والنقص عنه يتضمن إثبات محاسنه وكماله».(2)

وقال أيضًا: «والأمر بتسبيحه يقتضي أيضًا تنزيهه عن كل عيب وسوء وإثبات صفات الكمال له؛ فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ثنا ابن نفيل الحراني ثنا النضر ابن عربي قال: سأل رجل ميمون بن مهران عن (سبحان الله). فقال: "اسم يعظم الله به، ويحاشى به من السوء"(3) ... ونفي النقائص يقتضي ثبوت صفات الكمال، وفيها التعظيم كما قال ميمون بن مهران».(4)

---

(1) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٣/ ١٥١)، و تهذيب اللغة للهروي (٤/ ١٩٦)، ولسان العرب لابن منظور (٢/ ٤٧٠).

(2) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٠).

(3) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨١ رقم: ٣٤٤) وإسناده حسن.

(4) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٢٥- ١٢٦).

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: «و (السلام) يتضمن سلامة أفعاله من العبث والظلم وخلاف الحكمة، وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوقين، وسلامة ذاته من كل نقص وعيب، وسلامة أسمائه من كل ذم، فاسم (السلام) يتضمن إثبات جميع الكمالات له وسلب جميع النقائص عنه، وهذا معنى: (سبحان الله والحمد لله)».[1]

وقد جاءت في الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية جمل أخرى تفيد التنزيه العام، مثل: «تعالى»، و «تبارك وتعالى».

الوجه الثاني: تنزيه خاص عن بعض ما لا يليق بالله جل جلاله، وهو تنزيهه – سبحانه وتعالى – عن الولد، كما في رؤيا طفيل بن سخبرة – رضي الله عنه – أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرًا ابن الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى. فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وما شاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبره، فقال: «هل أخبرت بها أحدًا؟» قال: نعم. فلما صلَّوا خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها» قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد».[2]

والشاهد من الرؤيا هو الإنكار على اليهود والنصارى نسبتَهم الولدَ إلى الله جل وعلا، وقد أنكر عليهم القرآن ذلك أيضًا كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}[3] [التوبة: ٣٠]. وقال عز وجل: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا

---

[1] أحكام أهل الذمة (١/ ٤١٤)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦).

[2] حديث صحيح، تقدم (ص: ٣٤٧).

[3] ذكر المفسرون عدة أقوال في تفسير قوله تعالى: {يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} فقيل معناه: ضاهت النصارى قول اليهود من قبل، فقالت: المسيح ابن الله، كما قالت اليهود: عزير ابن الله. وقيل معناه: ضاهت اليهود والنصارى قول المشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله. وقيل معناه: ضاهت اليهود والنصارى المعاصرين للنبي – صلى الله عليه وسلم – قول أسلافهم ومن سبقهم من أهل ملتهم. قال الشيخ رشيد رضا – رحمه الله – في تفسير المنار (١٠/ ٢٩٨): «والراجح المختار أن المراد بكلٍّ من اليهود والنصارى في الآية: الجنس، وهو يصدق بوقوع ذلك من بعضهم في أي عصر كان، والمختار في مضاهأتهم للذين كفروا من قبلهم يصدق في كل من وقع =

تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ١٧١].

وقد شارك المشركون العربُ أهلَ الكتاب في هذا الأمر الشنيع، وادعوا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، وأخبر الله عنهم بذلك فقال: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} [النحل:٥٧]، وقال: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ . أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ . وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الصافات: ١٤٩- ١٥٢].

وبين الله – سبحانه وتعالى – أن هذا كذب وافتراء وقول على الله بلا علم، ولا حجة عليه، وحكم على المفترين هذا الكذب بالكفر، وتوعدهم بعدم الفلاح وبالعذاب الشديد، فقال تعالى: {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ . مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} [يونس: ٦٨- ٧٠]. وقال: {وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} [الكهف: ٤- ٥].

واتخاذ الولد يقتضي اتخاذ الصاحبة، والمشركون كانوا ينسبون إليه الولد وينزهونه عن الصاحبة، فأنكر الله هذا التناقض وبين أنه – جل وعلا – منزه عن الصاحبة والولد جميعًا[1]، ناهيك عن الوالد، فقال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ . بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنعام: ١٠٠- ١٠١].

وقد نفى الله – جل شأنه – عن نفسه هذا النقص وبين أنه لا يليق بذاته العلية، فقال: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا

ذلك منهم، والله أعلم بهم، وقد علمنا من تاريخ قدماء الوثنيين في الشرق والغرب أن عقيدة الابن لله، والحلول، والتثليث، كانت معروفة عند البراهمة في الهند والبوذيين فيها وفي الصين واليابان وقدماء الفرس والمصريين واليونان والرومان». وانظر أقوال المفسرين في المراجع التالية: تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٥- ٢٠٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٥٣)، والتفسير البسيط للواحدي (١٠/ ٣٧٩).

[1] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٢٧٢).

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون: ٩١- ٩٢]. وقال: {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [مريم: ٣٥].

وحمد الله تعالى نفسه الشريفة وأثنى عليها ومجّدها بانتفاء مثل هذه النقائص عنه، فقال عز من قائل: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: ١١١].

وبين سبحانه وتعالى شناعة هذا الجرم وفداحته فقال: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} [مريم: ٨٨ - ٩٢].

وأمر نبينه - صلى الله عليه وسلم - بتحدي المشركين على أن الله تعالى ليس له ولد، ولا يمكن أن يكون له ولد، وأنه إن كان له ولد - كما يزعمون - لكان هو أول عابديه بذلك من بينهم، ولكنه تعالى منزه عن ذلك غاية التنزيه[1]، قال عز وجل: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ . سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الزخرف: ٨١- ٨٢].

وأنزل الله تعالى سورة كاملة في حسم هذا الأمر فقال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ١- ٤]. [2]

ومما ورد في السنة النبوية في هذا الباب:

حديث أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ليس أحد - أو ليس شيءٌ - أصبر على أذًى سمعه من الله؛ إنهم ليدَّعون له ولدًا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم». [3]

---

[1] ذكر الإمام الطبري - رحمه الله - في تفسير هذه الآية خمسة أقوال، ثم رجح هذا القول الذي ذكرناه وبين وجه ترجيحه، انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٦٤٨- ٦٥١)، واختاره ابن جزي في تفسيره (٢/ ٢٦٤) وقال: «هو احتجاج ورد على الكفار على تقدير قولهم» وقال عن هذا القول: «هو الصحيح؛ لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة». واختاره أيضًا ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٤٣)، والشوكاني في فتح القدير (٤/ ٦٤٨) وقال: «وفيه نفي للولد على أبلغ وجه، وأتم عبارة، وأحسن أسلوب، وهذا هو الظاهر من النظم القرآني، ومن هذا القبيل قوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [سبأ: ٢٤]». إلا أن الشنقيطي - رحمه الله - رد هذا القول في تفسيره (٧/ ١٩٠- ٢٠٤) وجزم بكونه غلطًا، وأطال التفصيل والاستدلال على بطلانه، وبين أن ما يتعين المصير إليه في معنى الآية هو القول بأن «إن» نافية وليست شرطية، واستدل عليه من أربعة أوجه.

[2] انظر للفائدة: مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله (١٧/ ٢٤٠- ٢٤١).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى (٥/ ٢٢٦٢ رقم: ٥٧٤٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل (٤/ ٢١٦٠ رقم: ٢٨٠٤).

وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه و سلم – قال: «قال الله: كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني. وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا. وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفأ أحد».[١]

١١– مسألة رؤية الله تعالى في المنام:

أجمع سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من الأئمة المتبوعين على أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة رؤية عين بأبصارهم[٢]، كما أنهم أجمعوا على أنه ليس أحد يرى الله تعالى في دار الدنيا رؤية عين ببصره يقظة[٣]، ولم يختلفوا إلا في النبي – صلى الله عليه وسلم –[٤] هل رأى ربه بعين رأسه في الدنيا يقظة أو لا؟[٥]

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب سورة الإخلاص (٤/ ١٩٠٣ رقم: ٤٦٩٠).

[٢] لدلالة الكتاب والسنة على ذلك، قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وروى الشيخان عن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: كنا جلوسا عند النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته». صحيح البخاري (٦/ ٢٧٠٣ رقم: ٦٩٩٧)، وصحيح مسلم (١/ ٤٣٩ رقم: ٦٣٣). والأحاديث في ذلك متواترة تواترًا معنويًّا.

[٣] لدلالة الكتاب والسنة على ذلك، قال تعالى لنبيه موسى – عليه السلام – لما سأله رؤيته: {لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]، وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٤٥ رقم: ١٦٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال يوم حذر الناس الدجال: «إنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن»، وقال: «تعلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه – عز وجل – حتى يموت».

[٤] نقل هذا الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –كما في مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).

[٥] للحافظ ابن حجر – رحمه الله – رسالة نفيسة في هذا الباب عنوانها: "الغنية في مسألة الرؤية". وهي مطبوعة بدار الآثار بالقاهرة، بتحقيق: أبي بلال العدني. ذكر فيها اختلاف الصحابة – رضي الله عنهم – ومن بعدهم في رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – ربه ليلة المعراج، من أثبتها، ومن نفاها، ومن توسط فأثبت الرؤية بالفؤاد ونفى الرؤية بالعين، ومن قال من المتأخرين بأن رؤية العين كان في المنام، ورؤية الفؤاد في اليقظة، بناءً على أن الإسراء وقع مرتين؛ مرة في المنام ومرة في اليقظة. فذكر في المسألة أربعة أقوال:

الأول: أنه – صلى الله عليه وسلم – رأى ربه ليلة المعراج بعين رأسه، ونسبه إلى ابن عباس في المشهور عنه وأنس وأبي هريرة رضي الله عنهم، وطائفة من التابعين، وأكثر أهل السنة ممن بعدهم، والآجري – رحمه الله – في الشريعة.

الثاني: أنه – صلى الله عليه وسلم – رأى ربه بفؤاده، قال: «وهو رواية عن ابن عباس، وهو قول أبي ذر، وعبد الله ابن عبد الله بن الحارث، وإبراهيم التيمي، وجماعة». =

وأما رؤية الله – عز وجل – في المنام فقد ثبتت لنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – في حديث اختصام الملأ الأعلى الذي معنا، وقد رواه جملة من الصحابة – رضي الله عنهم – عن النبي صلى الله عليه وسلم، منهم: معاذ بن جبل[(١)]، وعبد الله بن عباس[(٢)]، وعبد الرحمن بن عائش الحضرمي[(٣)]، وجابر بن سمرة[(٤)] وغيرهم رضي الله عنهم.[(٥)]

الثالث: أنه – صلى الله عليه وسلم – رأى ربه مرتين: مرة بقلبه ومرة بعينه، قال: وهي الرواية الثالثة عن ابن عباس وهي الجامعة بين الاختلاف عليه.

الرابع: أنه – صلى الله عليه وسلم – لم ير ربه في الدنيا أصلاً، وأنه لم يثبت رؤية الفؤاد إلا في خبر لا يحتج بسنده، وأنه اشتد إنكار عائشة – رضي الله عنها – على من أطلق أن محمدًا رأى ربه، حتى قالت: من قال ذلك فقد أعظم على الله الفرية.

وكأن الحافظ – رحمه الله – مال في نهاية تحقيقه لهذه المسألة إلى قول ابن عباس – رضي الله عنهما – وهو أنه – صلى الله عليه وسلم – رأى ربه رؤية عين. مع أنه قال في الفتح (٨/ ٦٠٨): «قلت: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها، فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضًا من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: "أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد؟!" ... ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} قال: "رأى ربه بفؤاده مرتين". وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال: "رآه بقلبه". وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضًا عن ابن عباس قال: "لم يره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعينه، إنما رآه بقلبه". وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب».

قلت: وبهذا الجمع بين الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبينها وبين حديث عائشة رضي الله عنها؛ قال جملة من الأئمة المحققين، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الفتاوى (٢/ ٣٣٥- ٣٣٦) و (٦/ ٥٠٩- ٥١٠)، بل نقل عنه تلميذه ابن القيم – رحمه الله – في الزاد (٣/ ٣٧) ما يفيد أنه لا تناقض بين هذه الروايات أصلاً. وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٣٩)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٥٤- ٢٥٥).

(١) حديث صحيح تقدم تخريجه (ص: ٣٢٣).

(٢) حديث صحيح تقدم تخريجه (ص: ٣٢٢).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ١٣٦٥ رقم: ٢١٩٥) بإسناد صحيح فيه عبد الرحمن بن عائش بالسماع من النبي – صلى الله عليه وسلم – مما يؤيد ثبوت صحبته، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٣ رقم: ٤٦٧) والذي بعده وصححه الألباني لغيره، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ١٠٢ و ١٧٥) وهذا أيضًا تأييد منه لصحبته، والدراقطني في الرؤية (ص: ٣١٦- ٣٢٥) وصححه محققاه، وابن منده في الرد على الجهمية (ص: ٢٢٦ رقم: ٧٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٧٣)، والبغوي شرح السنة (٤/ ٣٥ رقم: ٩٢٤) وقال: هذا حديث حسن. وانظر تحقيق الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في إثبات صحبة عبد الرحمن بن عائش – رضي الله عنه – في الإصابة (٤/ ٣٢٠- ٣٢٤) فإنه نفيس.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٣ رقم: ٤٦٥) وحسن إسناده الألباني.

(٥) قال ابن منده – رحمه الله – في كتابه الرد على الجهمية (ص: ٢٢٧): «وروى هذا الحديث عشرة من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ونقلها عنهم أئمة البلاد من أهل الشرق والغرب». وقد خرّجه الإمام الدارقطني عن تسعة من الصحابة في كتاب الرؤية (٣٠٨- ٣٤٢)، وذكره الدكتور جاسم الفهيد الدوسري عن اثني عشرة صحابيًّا في تخريجه وتحقيقه لكتاب اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٣٤- ٣٦).

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: «وإذا علم أن رؤيا النبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام وحي وحق؛ فليعلم أيضًا أنه يجب الإيمان بما أخبر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من رؤيته لربه – تبارك وتعالى – في المنام في أحسن صورة، وأنه وضع كفه – وفي رواية: يده – بين كتفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى وجد بردها بين ثدييه. ويجب أيضًا إمرار ما جاء في ذلك من الأحاديث التي تقدم ذكرها كما جاء من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وقد تلقاها الصحابة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وقابلوها بالقبول والتسليم وأمروها كما جاءت، ثم تلقاها من رواها عنهم من التابعين، وكذلك أتباع التابعين من بعدهم، وقابلوها بالقبول والتسليم، وأمروها كما جاءت، ثم خرجها من جاء بعدهم من أكابر المحدثين الذين تقدم ذكرهم، وقابلوها بالقبول والتسليم، وأمروها كما جاءت. وهذه الطريقة هي طريقة السلف في آيات الصفات وأحاديث الصفات، وهي أسلم وأحكم من طريقة الخَلَف الذين خاضوا في تأويل آيات الصفات وأحاديثها، وصرفوها عن ظاهرها بما سنح لهم من الاحتمالات والتأويلات الباطلة، حتى آل بهم ذلك إلى التعطيل».[١]

وأما رؤية المؤمنين ربَّهم – تبارك تعالى – في المنام فهي جائزة، ولا مانع منها شرعًا ولا عقلاً، ونقل بعض العلماء اتفاق العلماء على ذلك.[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «رؤية الله تعالى في المنام جائزة بلا نزاع بين أهل الإثبات، وإنما أنكرها طائفة من الجهمية، وكأنهم جعلوا ذلك باطلاً[٣]، وإلاَّ فما يمكنهم إنكار وقوع ذلك».[٤]

وقال رحمه الله: «فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حق في الرؤيا ... وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلاً ينكر ذلك، فإن وجود هذا

---

[١] كتاب الرؤيا (ص: ٣٩).

[٢] قال القاضي عياض – رحمه الله – في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢٢٠): «ولم يختلف العلماء فى جواز صحة رؤية الله في المنام». وانظر شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٨٧).

[٣] يقصد – رحمه الله – أن الجهمية ومن وافقهم في إنكار رؤية الله في المنام لا يمكنهم إنكار وقوع ذلك لكثير من الناس، وإنما يقولون: هذه الرؤيا من قبيل الرؤى الباطلة، أي أنها أضغاث أحلام لا حقيقة لها. وسيأتي ما يوضح ذلك من قوله رحمه الله.

[٤] بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٣٩٠)، ونقل أبو شامة الشافعي في كتابه ضوء الساري في معرفة رؤية الباري (ص: ١٧٩) مثل هذا عن أبي الحسن الأشعري.

مما لا يمكن دفعه؛ إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره، وهذه مسألة معروفة، وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين، وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم إنكار رؤية الله، والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام، ولكن لعلهم قالوا: لا يجوز أن يعتقد أنه رأى ربه في المنام، فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام، ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة، كسائر ما يرى في المنام. فهذا مما يقوله المتجهمة، وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم».[1]

وقال: «فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا، وأن أحدًا لا يراه في الدنيا بعينه؛ لكن يُرى في المنام ويحصل للقلوب - من المكاشفات والمشاهدات - ما يناسب حالها».[2]

وقال الإمام أبو سعيد الدارمي رحمه الله: «وفي المنام يمكن رؤية الله تعالى على كل حال وفي كل صورة».[3]

وعلماء أهل السنة والجماعة حينما قالوا بجواز رؤية الله تعالى في المنام نبهوا على أمور مهمة ينبغي مراعاتها في هذا الباب، ومن ذلك ما يلي:

١- أنه لا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام؛ فإن كلَّ ما يُرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلاً، ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه، فإن كان إيمانه واعتقاده حقًّا، أُتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس[4]، ولهذا رآه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحسن صورة.[5]

فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور؛ أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها، بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسبًا مشابهًا لها؛ فالله تعالى أجل وأعظم.[6]

---

[1] بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٦- ٣٢٧).

[2] مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٦).

[3] النقض على المريسي (٢/ ٧٣٨).

[4] بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٦).

[5] مجموع الفتاوى (٥/ ٢٥١).

[6] بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٧- ٣٢٨).

٢- أنه ليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى، وإنما ذلك بحسب حال الرائي، وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه، كما سبق.[١]

٣- أن رؤيا المنام لها حكمٌ غيرُ رؤية الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل، لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق.[٢]

٤- أنه لا يمكن الجزم بأن فلانًا رأى ربه في المنام قطعًا؛ لأنه قد تكون تلك الرؤيا من الشيطان، وإذا رأى من يأمره بمعصية، أو يسقط عنه واجبًا شرعيًّا، أو يحرم حلالاً، أو يحل حرامًا؛ فإنه شيطان.

٥- أن رؤية المؤمن ربَّه - جل وعلا - في المنام يُستأنس بها ويُستبشر، ولكن لا يؤخذ منها حكمٌ شرعيٌّ، وإنما العبرة بما ورد في الكتاب والسنة.

---

[١] المرجع السابق (١/ ٣٢٧).

[٢] مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠).

المطلب الرابع: الشرك في الألفاظ:

الشرك في اللغة كما ذكر ابن فارس رحمه الله: يدلُّ على مقارنَة وخِلافِ انفراد، وهو أن يكون الشيءُ بين اثنين لا ينفردُ به أحدهما. يقال: شاركتُ فلانًا في الشيء: إذا صِرْتَ شريكه. وأشركْتُ فلانًا: إذا جعلتَه شريكًا لك.[1]

وفي الاصطلاح: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله تعالى؛ من الأسماء أو الصفات أو الألوهية أو الربوبية.[2]

ولقد بعث الله تعالى نبيَّه محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بتحقيق التوحيد وإخلاصه وتجريده، ونفي الشرك كبيره وصغيره بكل وجهٍ حتى في الألفاظ.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب: أن تجريد التوحيد: أن لا يُعطى المخلوقُ شيئًا من حق الخالق وخصائصه؛ فلا يُعبد، ولا يُصلى له ولا يُسجد، ولا يُحلف باسمه، ولا يُنذر له، ولا يُتوكل عليه، ولا يُؤلَّه، ولا يُقسم به على الله، ولا يُعبد ليُقرِّبَ إلى الله زلفى، ولا يُساوى برب العالمين في قول القائل: ما شاء الله وشئت، وهذا منك ومن الله، وأنا بالله وبك، وأنا متوكل على الله وعليك ... فإذا هَضَمَ المخلوقَ خصائصَ الربوبية، وأنزله منزلةَ العبد المحض الذي لا يملك لنفسه - فضلاً عن غيره - ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؛ لم يكن هذا تنقُّصًا له، ولا حَطًّا من مرتبته، ولو رغم المشركون، وقد صح عن سيد ولد آدم - صلوات الله وسلامه عليه - أنه قال: «لا تُطروني كما أطْرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله»[3]. وقال: «أيها الناس! ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي»[4]».[5]

---

[1] انظر: معجم مقاييس اللغة (ص: ٥٣٥).

[2] انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص: ١٥)، والملخص في شرح كتاب التوحيد للفوزان (ص: ١٥)، وعقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة للدكتور سعيد بن وهف القحطاني (٢/ ٨٠٨)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٥٨).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: ١٦] (٣/ ١٢٧١ رقم: ٣٢٦١).

[4] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٠/ ٢٣ رقم: ١٢٥٥١)، والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٠٣ رقم: ١٠٠٠٦). وإسناده صحيح على شرط مسلم كما قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٨٨ رقم: ١٠٩٧).

[5] الروح (٢/ ٧٦٦- ٧٦٧).

وقد ورد في الرؤى والتعابير النبوية النهي عن بعض هذه الألفاظ، وذلك في الأحاديث التالية:

١- عن طفيل بن سخبرة - أخي عائشة لأمها - أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مَرَّ برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرًا ابن الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مَرَّ برهط من النصارى فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى. فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وما شاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم — فأخبره، فقال: «هل أخبرتَ بها أحدًا؟» قال: نعم. فلما صلَّوا خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها» قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد».(١)

وفي رواية للطبراني: «إن أخاكم رأى رؤيا قد حدَّثكم بما رأى، إنما كان يمنعني أن أنهاكم من ذلك الحياء، فإذا قلتم فقولوا: ما شاء الله وحده».(٢)

٢- عن حذيفة قال: أتى رجلٌ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني رأيتُ في المنام أني لقيتُ بعضَ أهل الكتاب، فقال: نِعْمَ القومُ أنتم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد كنت أكرهها منكم، فقولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد».(٣)

وفي لفظ: «أن رجلاً من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلاً من أهل الكتاب، فقال: نِعْمَ القومُ أنتم لولا أنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. وذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أما والله، إن كنت لأعرفها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد».(٤)

وعند النسائي عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: رأيتُ في النوم كأن رجلاً من اليهود يقول: تزعمون أنا نشرك بالله، وأنتم تشركون، ما شاء الله وشاء محمد؟

---

(١) حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٤٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٢٥ رقم: ٨٢١٥) وإسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ٣٦٤ رقم: ٢٣٣٣٩) وصححه محققوه.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣/ ٢٥٢ رقم: ٢١١٨) وصححه الأرنؤوط.

فأتيت النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – فأخبرتُه فقال: «أما إني كنتُ أكرهها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شئت».[1]

في هاتين الرؤيين النهي عن قول: (ما شاء الله وشاء فلان)، وتسميته شركًا؛ لإقرار النبي – صلى الله عليه وسلم – اليهود على قولهم: إنكم تشركون.

ووجه كون ذلك شركًا هو أن العطف بالواو يقتضي مطلق المشاركة والتسوية بين المعطوف والمعطوف عليه، ومعلومٌ أنه لا أحد يشارك الله – سبحانه وتعالى – ويساويه في أمر من الأمور، بخلاف العطف بـ (ثم)، فإنه يقتضي الترتيب والتبعية، فتكون مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله – سبحانه وتعالى – وحاصلة بعدها، وليست مشاركة ولا مساوية لها.

يقول الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله: «وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساويًا للمعطوف عليه، لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا. وتسوية المخلوق بالخالق شركٌ، إن كان في الأصغر- مثل هذا – فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر، كما قال الله تعالى عنهم في الدار الآخرة: {تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٩٧- ٩٨] بخلاف المعطوف بـ (ثم)؛ فإن المعطوف بها يكون مُتراخيًا عن المعطوف عليه بمهلة، فلا محذور لكونه صار تابعًا».[2]

ولما نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن هذا القول لما فيه من محذور؛ أرشد أمته إلى البديل الصالح والصحيح، وهو أن يقولوا: (ما شاء الله وحده) وهذا أعلى المراتب وأولاها وأخلصها، وإن أبوا إلا أن يذكروا مشيئة المخلوق فليقولوا: (ما شاء الله ثم شاء فلان) لخلوه من المحذور.

قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله: «وهذا الحديث والذي قبله أمرهم فيه أن يقولوا: (ما شاء الله وحده). ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص، وأبعد عن الشرك من أن يقولوا: (ثم شاء فلان)؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد في كل وجه. فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص».[3]

---

[1] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٦١ رقم: ١٠٧٥٤) وإسناده صحيح.

[2] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٥).

[3] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٢٥).

وأما عدم إنكاره – صلى الله عليه وسلم – عليهم هذا القولَ، وحياؤه من ذلك؛ فلم يكن من قبيل الحياء من إنكار الباطل، بل كان – عليه الصلاة والسلام – يكره هذا القول ويتأذى به، ولكن منعه الحياء من أن ينهى عنه دون أن يأمره الله بذلك، هذا الذي يجب أن تحمل عليه هذه اللفظة؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم – لا يستحي من الحق، ولكن منعه الحياء من أن ينكر شيئًا درج على الألسنة وألفه الناس قبل أن يؤمر بإنكاره، فلما لم يؤمر بالنهي عنه سكت، ولما حصل التنبيه على ذلك بإنكار هؤلاء اليهود والنصارى؛ رأى – صلى الله عليه وسلم – أنه لا بد من إنكاره؛ لدخول اللوم على المسلمين بالنطق به.[1]

وفي ذلك دليل على أن هذا القول من الشرك الأصغر، إذ لو كان من الشرك الأكبر لأنكره من أول مرة قالوه.[2]

---

[1] انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ (ص: ٥٢٥)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٢٣٤).

[2] انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ (ص: ٥٢٥).

المبحث الثاني

دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالملائكة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالملائكة

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة إجمالاً وتفصيلاً

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالملائكة

المبحث الثاني

دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالملائكة

المطلب الأول: التعريف بالملائكة

الملائكة في اللغة: جمع مَلَك بفتح اللام، وأصل الملَك: مَأْلَك، ثم قدمت اللام فقيل: ملْأَك، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام فقيل: مَلَاك، ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال فقيل: مَلَك، فلما جمعوه ردُّوه إلى أصله (مَلْأَك ومَلْأَكة[1]) فقالوا: ملائك وملائكة.[2]

والمَلْأَكُ: مأخوذ من الأَلُوك، وهو الرسالة، قال ابن فارس رحمه الله: «أَلِكَ: الهمزة واللام والكاف أصل واحد، وهو: تحمّل الرسالة».[3]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والملَك في اللغة: هو حامل الألوكة؛ وهي الرسالة».[4]

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: «ولفظ "الملك" يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره».[5]

ويؤيده قوله تعالى: {جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ} [فاطر: ١] وقوله: {اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاس} [الحج: ٧٥].

وسُمِّيت الرسالة «أَلُوكًا» لأنّها تؤلك في الفم، من قولهم: " يَأْلُكُ الفرسُ اللِّجام " أي: يَعْلُكُهُ ويمضغه. ويقولون: "جاءَ فلانٌ وَقد اسْتَأْلَكَ مأْلُكَتَه" أَي حَمَلَ رسالَتَه.[6]

إذن الملائكة في اللغة: هم حملة الرسالة؛ لأنهم سفراء الله تعالى إلى خلقه، ورسله في تبليغ وحيه وشرائعه، قال الإمام الطبري رحمه الله: «فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه، ومن أرسلت إليه من عباده».[7]

---

[1] قال الشاعر: « فلستَ لإنسيٍّ ولكن لملأك = تنزَّلَ من جَوِّ السّماءِ يَصُوبُ». تهذيب اللغة للهروي (١٠/ ٣٥٤).

[2] انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٥/ ٣٨٠)، وتهذيب اللغة للهروي (١٠/ ٢٠٢)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٦١١)، وتاج العروس للزبيدي (٢٧/ ٥٠- ٥١ و ٣١٧ و ٣٥٤)، وتفسير الطبري (١/ ٤٤٤- ٤٤٦).

[3] معجم مقاييس اللغة (ص: ٧١).

[4] النبوات (٢/ ٧٢٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٠).

[5] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٢٧).

[6] انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٥/ ٣٨٠)، وتهذيب اللغة للهروي (١٠/ ٢٠٢).

[7] تفسير الطبري (١/ ٤٤٧).

وأما الملائكة في الشرع فهم: عالم غيبي، ذوو أجسام لطيفة، قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، مسكنها السموات، خلقهم الله من نور، ومنحهم الانقياد التامَّ لأمره، والقوة على تنفيذه، فهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يملون ولا يتعبون، ولا يتناكحون، ولا يعلم عددهم إلا الله جل وعلا، وليس لهم من خصائص الربوبية أو الألوهية شيء.[1]

وعناصر التعريف هذه كلها ثابتة في نصوص الكتاب والسنة[2]، وذكر هذه النصوص يطول به البحث، ولكن نشير إلى بعضها، فمن ذلك:

- قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧] يدل على قدرتهم على التشكل والتمثل.
- قصة ضيف إبراهيم – عليه السلام –[3] تدل على قدرتهم على التشكل وأنهم لا يأكلون.
- قوله جل شأنه: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم: ٢٦] يدل على أن مسكنهم السموات.
- قوله عز وجل: {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦] يدل على انقيادهم التام لأمر الله وعدم عصيانهم له.
- قوله سبحانه: {وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ١٩- ٢٠] يدل على أنهم لا يملون ولا يتعبون.
- قوله صلى الله عليه وسلم: «خلقت الملائكة من نور».[4] يدل على أصل مادتهم.

وغير ذلك من النصوص.

---

[1] انظر: تفسير البيضاوي (١/ ٦٧)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٠٦)، والتعريفات للجرجاني (ص: ٢٢٩)، ونبذة في العقيدة الإسلامية لابن عثيمين (ص: ٤٢)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص: ١٢٣).

[2] انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١٢٥- ١٣٢)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص: ١٢٣- ١٥٣)، ودليل المعلم لشرح ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ عبد العزيز الداخل (ص: ٢٤٨- ٢٥٠).

[3] انظر: سورة هود (٦٩- ٧٠)، وسورة الذاريات (٢٤- ٢٨).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق باب في أحاديث متفرقة (٤/ ٢٢٩٤ رقم: ٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة إجمالاً وتفصيلاً:

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة التي دل عليها الكتاب والسنة، فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: ١٧٧]، ومن أدلة السنة قوله – صلى الله عليه وسلم – لما سئل عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».[(١)]

فلا يكتمل إيمان العبد ولا يصح إلا بالإيمان بالملائكة، والإقرار بوجودهم، وبما أخبر الله عنهم في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ولهذا حكم الله تعالى بالكفر والضلال على من لم يؤمن بالملائكة، قال تعالى: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٩٨] وقال: {وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦].

والإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب، وهو مرتبتان:

الأولى: الإيمان المجمل، وهو الإيمان بأن لله تعالى ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم كما وصفهم ربهم عباد مكرمون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها.[(٢)]

الثانية: الإيمان المفصل، وهو الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من تفاصيل في شأن الملائكة، من أسمائهم وصفاتهم وأفعالهم وفضائلهم، وأنهم حق وصدق.

وأشار إلى ذلك البيهقي – رحمه الله – في كتابه «شعب الإيمان»[(٣)] حيث قال: «والإيمان بالملائكة ينتظم معاني: أحدها: التصديق بوجودهم. الثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجن، مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكنّ الله تعالى جعل لهم أمدًا بعيدًا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب معرفة الإسلام والإيمان والقدر وعلامة الساعة (١/ ٣٦ رقم: ٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان (ص: ٥٨).

(٣) (١/ ١٦٣).

يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جدُّه، ولا يُدعون آلهة كما دعتهم الأوائل. الثالث: الاعتراف بأن منهم رسلاً يرسلهم الله إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافّون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره».

وما ذكره من المعنى الأول والثاني داخل في الإيمان المجمل، والمعنى الأخير داخل في الإيمان المفصل. وقد قسم كثير من العلماء الإيمان بالملائكة إلى مجمل ومفصل.[1]

والمتأمل لنصوص الكتاب والسنة يقف على جملة كبيرة من تلك التفاصيل، وقد عُني بعض العلماء بذكرها في مؤلفات مستقلة[2]، أو ضمن مؤلفاتهم العامة[3].

قال ابن القيم رحمه الله: «والقرآن مملوء بذكر الملائكة، وأصنافهم، وأعمالهم، ومراتبهم ... بل لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحًا أو تلويحًا أو إشارةً، وأما ذكرهم في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر».[4]

---

(1) انظر: تيسير اللطيف المنان لابن سعدي (١/ ٤٦)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان (ص: ٥٨- ٥٩)، وتذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي للشيخ عبد الرزاق البدر (ص: ٣٣١).

(2) مثل: الإمام السيوطي في كتابه "الحبائك في أخبار الملائكة"، والدكتور عمر سليمان الأشقر في كتابه "عالم الملائكة الأبرار".

(3) مثل: الإمام البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٩٧- ٣٢٥)، وابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٥- ١٣٢) وكلامه نفيس جدًّا رحمه الله، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص: ١٢٣- ١٥٣).

(4) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٣١).

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالملائكة

لقد تكرر ذكر الملائكة في الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية الصحيحة، سواء على سبيل الإجمال أو التفصيل، مما يدل على وجودهم وأنهم حق، وتفصيل ذلك في النقاط التالية:

١- **ذكرهم إجمالاً**، وذلك في عدة رؤى، منها:

- حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - السابق في اختصام الملأ الأعلى وفيه: «قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟».[١] والمراد بالملأ الأعلى: الملائكة، وصفوا بذلك إما اعتبارًا بمكانهم، وإما اعتبارًا بمكانتهم.[٢]
- حديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «بينا أنا في منامي، أتتني الملائكة فحملت عمود الكتاب من تحت وسادتي، فعمدت به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام».[٣]
- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة».[٤]

٢- **ذكر جملة من أسمائهم**، مثل: جبريل، وميكائيل، ومالك خازن النار، وذلك في الرؤى الواردة في الأحاديث التالية:

- حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟». قال فإن

---

[١] وهو حديث صحيح، سبق تخريجه (ص: ٣٢٢).

[٢] الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (١/ ٢١٠)، وانظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب (ص: ٤٢).

[٣] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٩/ ٣١٠ رقم: ١٧٧٧٥) وقال محققوه: «صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد العزيز بن عبيد الله». وأخرجه الحارث في مسنده كما في بغية الباحث (٢/ ٩٤٤ رقم: ١٠٤١) وإسناده صحيح، ويشهد له حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي (ص: ١٣ رقم: ٢٢) وصححه الألباني في تخريجه له (ص: ٣١)، وحديث أبي الدرداء في المسند (٣٦/ ٦٢ رقم: ٢١٧٣٣) وإسناده صحيح.

[٤] أخرجه الترمذي (٥/ ٦٥٤ رقم: ٣٧٦٣) وقال: "هذا حديث غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن جعفر، وقد ضعفه يحيى بن معين وغيره، وعبد الله بن جعفر هو والد علي بن المديني". وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣ / ٢٢٦ رقم: ١٢٢٦) بشواهده، وقال: «حديث صحيح، جاء من طرق عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس وعلي بن أبي طالب وأبي عامر والبراء». ثم ذكرها.

رأى أحد قصها، فيقول: «ما شاء الله». فسألنا يومًا فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟». قلنا: لا. قال: «لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ...» وذكر الرؤيا إلى قولهما: «والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل ...».[1]

- حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – السابق: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصحابه: اضرب له مثلاً ...». وسيأتي بتمامه[2].

٣– ذكر جملة من أوصافهم، ومن ذلك:

- أنهم ذوو أجنحة يطيرون[3] كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة».[4]
  وفي لفظ عند ابن حبان: «أريت جعفرًا ملكًا يطير بجناحيه في الجنة».[5]
- وأنهم الملأ الأعلى، وأنهم يختصمون فيما بينهم، أي: يتراجعون القول في الأعمال التي تقرّب بني آدم إلى الله – عز وجل – وتكفِّر بها عنهم خطاياهم.[6] كما في حديث اختصام الملأ الأعلى وفيه: «قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الدرجات والكفارات، وفي نقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. ومن يحافظ عليهن عاش بخير ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه».[7] ووصفوا بالملأ الأعلى إما لعلو مكانهم في السموات، وإما لرفعة مكانتهم عند ربهم عز وجل.

---

[1] متفق عليه، سبق تخريجه (ص: ٤٩).

[2] في ذكر أفعال الملائكة، وسنذكر تخريجه هناك إن شاء الله.

[3] وورد تأييد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر: ١].

[4] حديث صحيح سبق تخريجه (ص: ٣٨٠).

[5] صحيح ابن حبان (١٥/ ٥٢١ رقم: ٧٠٤٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

[6] انظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب (ص: ٤٢). وورد وصفهم بذلك في القرآن الكريم أيضًا، قال تعالى: {مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [ص: ٦٩].

[7] وهو حديث صحيح سبق تخريجه (ص: ٣٢٢).

- وأن لديهم القدرة على التشكل والظهور في صور مختلفة، كظهورهم في صورة رجل كما في حديث سمرة أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: «لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ...» وذكر الرؤيا إلى أن قال: «فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت راء رجلاً مرآة، فإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها» إلى قولهما: «والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا مكائيل ...».[1]

وحديث ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: إن رجالاً من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقصونها على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقول فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما شاء الله، وأنا غلام حديث السن، وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعت ليلةً قلتُ: اللهم إن كنت تعلم فيَّ خيرًا فأرني رؤيا. فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان، في يد كل واحد منهما مِقْمَعَةٌ من حديد، يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنم! ثم أراني لقيني ملك في يده مِقْمَعَةٌ من حديد، فقال: لم ترع، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة. فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مِقْمَعَةٌ من حديد، و أرى فيها رجالاً معلقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عبد الله رجل صالح». فقال نافع: لم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة.[2]

---

[1] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٩).

[2] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٠).

ووصْفُ الملائكة بهذه الأوصاف دليل على أنهم أرواح في أجسام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة[1]، وفي ذلك رد على القائلين بأنهم مجرد أرواح أو عقول أو قوى نفسانية.[2]

٤- ذكر جملة من أفعالهم، مثل:

- ورودهم في الرؤى الصالحة، كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُريتُكِ قبل أن أتزوجكِ مرتين؛ رأيتُ الملَكَ يحملكِ في سَرَقَةٍ[3] من حرير، فقلت له: اكشف. فكشف فإذا هي أنت، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضه. ثم أُريتُكِ يحملك في سَرَقَةٍ من حرير، فقلت: اكشف. فكشف فإذا هي أنت، فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه».[4]

  وحديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - مرفوعًا: «بينا أنا في منامي، أتتني الملائكة فحملت عمود الكتاب من تحت وسادتي، فعمدت به إلى الشام، ألا فالإيمان حيث تقع الفتن بالشام».[5]
- وتعبيرهم للرؤى، كما في حديث أبي بكر - رضي الله عنه - مرفوعًا: «إني رأيت في المنام غنمًا سودًا يتبعها غنمٌ صُفْرٌ حتى غمرتها. يا أبا بكر اعبر». قال: قلت: هي العرب تتبعك ثم العجم. قال: «كذلك عبرها الملك بسحر».[6]

---

[1] انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٠٦)، وشرح القسطلاني لصحيح البخاري (٥/ ٢٦٢)، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٣/ ٥٢)، وشرح ثلاثة الأصول له (ص: ٩٣- ٩٤) وذكر أدلة ذلك من الكتاب والسنة ثم قال: «وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون».

[2] الباطنية قالوا: «الملائكة: الأرواح الخفية الدقيقة البسيطة وليست بأجسام» وأنكروا بهذا أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - قد رأى جبريل؛ لأنه في زعمهم شيء خفي دقيق من الروح اللطيف. انظر: بيان مذاهب الباطنية وبطلانه للديلمي. والمراغي في تفسيره (١/ ٨٦) يرى أن الملائكة والشياطين أرواح لها اتصال بأرواح الناس.

[3] **سَرَقَة**: هي القطعة من السَّرَق، وهو الجيد من الحرير. انظر أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٦٨٤).

[4] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٥).

[5] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٨٠).

[6] أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (١/ ١٧ رقم: ٤٦)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٨)، وأخرج له شاهدًا من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت في المنام كأني وردت عليَّ غنمٌ سود، ثم وردت غنمٌ بيض حتى لم يصب من السود منها» قال: فقال له أبو بكر: يا رسول الله، هذه العرب يسلمون فيكثرون، ثم تسلم العجم حتى لا تستبين فيهم العرب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «صدقت، كذلك عبرها الملك». وصححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (٣/ ١٤ رقم: ١٠١٨).

- وضربهم الأمثال في الرؤى، كما حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – المتقدم قال: خرج علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومًا فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصحابه: اضرب له مثلاً. فقال: اسمع سمعَتْ أذنُك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارًا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».[1]
- وقيامهم بالدلالة والإرشاد لصاحب الرؤيا، كما في حديث عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سحر رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – رجلٌ من بني زريق يقال له: "لبيد بن الأعصم"، حتى كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم – أو ذات ليلة – وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة! أشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الأمثال باب مثل الله لعباده (١٤٥/٥ رقم: ٢٨٦٠). وقال: وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – بإسناد أصح من هذا. وقال: هذا حديث مرسل، سعيد ابن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله. قلت: قد وصله الحاكم – رحمه الله – في المستدرك (٣/ ٧٥ رقم: ٣٣٥٢) عن شيخه أبي الطيب طاهر بن يحيى البيهقي حدثنا الفضل بن محمد البيهقي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال قال: سمعت أبا جعفر محمد بن على بن الحسين وتلا هذه الآية: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يونس: ٢٥] فقال: حدثني جابر بن عبد الله ... وذكره، ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٧٠)، وأخرجه الحاكم أيضًا في المستدرك (٥/ ٥٦١ رقم: ٨٢٤٩) عن شيخه إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني ثنا جدي ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث عن خالد ابن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن عطاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما به. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. إلا أن الألباني – رحمه الله – يرى في السلسلة الصحيحة (٧/ ١٥٧٦ رقم: ٣٥٩٥) أن الأصح في هذا الحديث هو الإرسال كما أخرجه الترمذي وغيره، وعلى كلٍّ فالحديث صحيح؛ فإن أصله في صحيح البخاري (٦/ ٢٦٥٥ رقم: ٦٨٥٢) من طريق سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – يقول: جاءت ملائكة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو نائم ... الحديث، وسيأتي بتمامه في مبحث الإيمان بالرسل.

لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان». فأتاها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «يا عائشة! كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين». قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًّا». فأمر بها فدفنت.[1]

وفي لفظ: «فأتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه ...».[2]

وفي لفظ عند الإمام أحمد: «... فاستيقظ النبي – صلى الله عليه وسلم – من نومه فقال: أي عائشة! ألم ترين أن الله أفتاني فيم استفتيته ...».[3]

ففي هذا الحديث قيام الملكَين بدلالة النبي – صلى الله عليه وسلم – وإرشاده إلى مكان السحر.

---

[1] متفق عليه، وقد تقدم تخريجه (ص: ٣١١).

[2] مسند أحمد (٤٠/ ٤٠٥ رقم: ٢٤٣٤٧)، ومسند إسحاق بن راهويه (٢/ ٢٢٩ رقم: ٧٣٧)، وإسناده صحيح.

[3] المسند (٦/ ٦٣ رقم: ٢٤٣٩٢) وإسناده صحيح.

المبحث الثالث

دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالكتب الإلهية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالكتب

المطلب الثاني: الإيمان بالكتب إجمالاً وتفصيلاً

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالكتب الإلهية

المطلب الأول: التعريف بالكتب الإلهية

الكُتُب في اللغة: جمع كتاب، والكتاب اسم لما كتب مجموعًا[1]، وهو في الأصل مصدر: كَتَبَ يَكْتُبُ، ثم سمي به المكتوب تسمية للمفعول باسم المصدر على التوسع الشائع.[2]

ومادة «كتب» تدور حول الجمع والضم، فالكاتب سمي كاتباً؛ لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض.

قال ابن فارس رحمه الله: «الكاف والتاء والباء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ. من ذلك: الكِتَابُ والكتابة. يقال: كتبت الكتابَ أَكْتبه كَتْبًا. ويقولون: كتبتُ البَغلَة، إذا جمعتُ شُفرَي رَحِمها بحَلْقة».[3]

وقال الراغب الأصبهاني رحمه الله: «الْكَتْبُ: ضمّ أديم إلى أديم بالخياطة، يقال: كَتَبْتُ السّقاء، وكَتَبْتُ البغلة: جمعت بين شفريها بحلقة. وفي التّعارف: ضمّ الحروف بعضها إلى بعض بالخطّ، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللّفظ، فالأصل في الْكِتَابَةِ: النّظم بالخطّ لكن يستعار كلّ واحد للآخر، ولهذا سمّي كلام الله – وإن لم يُكْتَبْ- كِتَابًا كقوله: {الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ} [البقرة: ١- ٢] ، وقوله: {قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتابَ} [مريم: ٣٠]. والكِتاب في الأصل مصدر، ثم سمّي المكتوب فيه كتابًا، والْكِتَابُ في الأصل اسم للصّحيفة مع المكتوب فيها، وفي قوله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتابًا مِنَ السَّماءِ} [النساء: ١٥٣] فإنه يعني صحيفة فيها كِتَابَةٌ».[4]

والمراد بالكتب الإلهية في الشرع: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلُوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، متضمنة أوامره ونواهيه، وشرائعه وأحكامه وأخباره.[5]

---

[1] لسان العرب لابن منظور (١/ ٦٩٨).

[2] كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوى (ص: ١٢٢٤).

[3] معجم مقاييس اللغة (ص: ٨٨٥).

[4] المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٩٩).

[5] انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية لابن عثيمين (ص: ٤٦)، وعقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة للدكتور سعيد بن مسفر القحطاني (ص: ٢٧٩).

المطلب الثاني: الإيمان بالكتب إجمالاً وتفصيلاً

أنزل الله تعالى على رسله كتبًا كثيرة في أماكن متعددة وبلغات مختلفة، محتوية على الشرائع والأحكام التي توافق أحوالهم وأزمنتهم ومصالحهم، قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} [البقرة: ٢١٣]، وقال جل وعز: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥]، وقال سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ} [إبراهيم: ٤]، وقال: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨].

والإيمان بهذه الكتب كلِّها ركن عظيم من أركان الإيمان، وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به، فقد أمر الله تعالى المؤمنين بالإيمان بها، وحكم بالكفر والضلال البعيد على من لم يؤمن بها، قال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: ١٧٧]. وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لما سئل عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».[١]

والإيمان بالكتب مرتبتان:

الأولى: الإيمان المجمل بجميع الكتب، والمراد به:

١- الإقرار والتصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله عز وجل، وأنها كلامه تعالى لا كلام غيره، تكلّم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد. قال تعالى: {وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ} [الشورى: ١٥].

٢- الإيمان بأنها كلها دعت إلى عبادة الله وحده، وجاءت بالخير والهدى والنور والضياء.

٣- الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا، فلا تناقض بينها ولا تعارض، كما قال تعالى في شأن القرآن: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨]، وفي شأن الإنجيل: {وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ

---

[١] أخرجه مسلم وتقدم تخريجه (ص: ٣٧٨).

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ} [المائدة : ٤٦]. وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق، وكلام الله عن كلام الخلق؛ فإن كتب المخلوقين عرضة للنقص والخلل والتعارض كما قال تعالى في وصف القرآن {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢].(١)

الثانية: الإيمان المفصل بجميع الكتب، والمراد به: الإقرار والتصديق الجازم بكل ما أخبر الله ورسوله به من تفاصيل تتعلق بالكتب التي أنزلها الله جل وعلا؛ من أسمائها، وأسماء من أنزلت عليهم من الأنبياء، وكيفية إنزالها، وما تتضمنه من أحكام وأخبار، وما إلى ذلك.

(١) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص: ١٦٥- ١٦٩).

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالكتب الإلهية:

وقد دلت الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية الصحيحة على إثبات هذه الكتب السماوية، ونص على أسماء بعضها، وذلك في الرؤى والتعابير الواردة في الأحاديث التالية:

- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أنه قال: رأيت فيما يرى النائم لكأنَّ في إحدى أصبعي سمنًا وفي الأخرى عسلاً فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «تقرأ الكتابين: التوراة والفرقان» فكان يقرؤهما.[1]

ففي هذا التعبير النبوي إثبات لكتابين من الكتب المنزلة وهما: التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، والفرقان وهو القرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

- حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – الطويل في رؤيا النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيه: «أمَّا الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة».[2]

في هذه الرؤيا النبوية إثبات للكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن الكريم، وبيان عقوبة من يأخذ القرآن فيرفضه، قال ابن بطال رحمه الله: «يعنى يترك حفظ حروفه والعمل بمعانيه، فأما إذا ترك حفظ حروفه وعمل بمعانيه فليس برافضٍ له».[3] قلت: يوضحه اللفظ الآخر للبخاري: «والذي رأيتَه يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة».[4]

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده (١١/ ٦٣٨ رقم: ٧٠٦٧)، وقال محققوه: إسناده حسن، أحاديث قتيبة عن ابن لهيعة حسان، وباقي رجاله ثقات. وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٦/ ٤٨٢ رقم: ٧٠٦٧)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨٦)، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ١٥٢ رقم: ٦٧٢) من طريق أخرى وكلتا الطريقين رجالهما كلهم ثقات عدا عبد الله بن لهيعة وهو صدوق، لكنه اختلط بعد احتراق كتبه كما في التقريب (١/ ٤١٧ رقم: ٣٩٤٥)، إلا أن رواية قتيبة عنه قوية، فقد ذكر المزي في تهذيب الكمال (١٥/ ٤٩٤) عن الآجري أنه قال: سمعت أبا داود يقول: سمعت قتيبة يقول: كنا لا نكتب حديث ابن لهيعة إلا من كتب ابن أخيه، أو كتب ابن وهب، إلا ماكان من حديث الأعرج. وذكر عن جعفر بن محمد الفريابي أنه قال: سمعت بعض أصحابنا يذكر أنه سمع قتيبة يقول: قال لي أحمد بن حنبل: أحاديثك عن ابن لهيعة صحاح. قال: قلت: لأنا كنا نكتب من كتاب عبد الله بن وهب ثم نسمعه من ابن لهيعة.

[2] متفق عليه، وقد سبق تخريجه (ص: ٣٦).

[3] شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ١٣٥).

[4] صحيح البخاري: كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين (١/ ٤٦٥ رقم: ١٣٢٠).

- حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رجلاً أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظُلَّةً[(١)] تَنطِفُ[(٢)] السمن والعسل، فأرى الناس يَتَكَفَّفُون منها[(٣)]، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب[(٤)] واصل من الأرض إلى السماء، فأراكَ أخذتَ به فعَلَوتَ، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكر: يا رسول الله – بأبي أنت – والله لتدعَنِّي فأعبرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعبرها». قال: أما الظُّلَّة فالإسلام، وأما الذي يَنطِفُ من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تَنطِف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيُعْلِيَكَ الله، ثم يأخذ به رجلٌ من بعدِك فيَعْلُو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فيَعْلُو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فينقطع به، ثم يوصل له فيَعْلُو به. فأخبِرْني يا رسولَ الله – بأبي أنت – أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا». قال: فوالله لتُحَدِّثَنِّي بالذي أخطأتُ. قال: «لا تُقسِم».[(٥)]

في هذا التقرير النبوي لتعبير أبي بكر – رضي الله عنه – لهذه الرؤيا إثبات للقرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن من أخذ به فإن الله تعالى يرفعه به ويعلي شأنه.

---

(١) **ظُلَّة**: الظُّلَّة: السحابة، وكل ما أظلك من فوقك من سقيفة ونحوها فهو ظلَّة. أعلام الحديث للخطابي (٤/ ٢٣٢٦).

(٢) **تَنْطِفُ**: يعني: تقطر. المرجع السابق.

(٣) **يَتَكَفَّفُون**: يعني أنهم يأخذون منه بأكفهم. المرجع السابق.

(٤) **سَبَبٌ**: يعني: حبلٌ. المرجع السابق.

(٥) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه: (ص: ٤٩).

المبحث الرابع

دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالرسل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالرسل

المطلب الثاني: الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالرسل.

المطلب الأول: التعريف بالرسل

المراد بالرسل هنا ما يعم الأنبياء والمرسلين، فإن الإيمان بهم جميعًا ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، ولأن كلاً من الأنبياء والرسل مرسلون من قبل الله عز وجل، إذ يشملهم مطلق الإرسال، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج: ٥٢]، ولأن هذين المصطلحين الشرعيين كمثيلاتهما إذا اجتمعا في نصٍّ تفرقا في المدلول؛ فأريد بكل واحد منهما غير الآخر، وإذا ذكر كل منهما بمفرده دخل فيه الآخر.

وعليه نعرِّفُ هنا بالنبي والرسول، ونذكر الفرق بينهما، فنقول وبالله التوفيق:

النبي في اللغة: إما مشتق من «النبأ» أو «الإنباء» بمعنى الخبر أو الإخبار[(١)]، فهو منبَّأٌ أي مخبَرٌ من الله، ومُنْبِئٌ أي مخبِر عن الله عز وجل. وهذا ما عليه أكثر أهل اللغة.[(٢)]

وإما مشتق من «النَّبْوة» أو «النباوة» بمعنى الارتفاع، سمي بذلك لارتفاع منزلته.[(٣)]

وإما مشتق من «النَّبِي» بمعنى الطريق، سمي بذلك لأنه الطريق الموصل إلى الله عز وجل.[(٤)]

وكل هذه المعاني تصدق في النبي الذي اصطفاه الله واجتباه؛ فإن الله - عز وجل - نبَّأه بالوحي، وهو ينبئ عن ربه، ويكون بذلك الطريقَ الموصلَ إليه، وينال بذلك المنزلة العالية والرتبة الرفيعة عند ربه.

وأما النبي في الشرع فهو: إنسانٌ ذكرٌ حرٌّ[(٥)]، اصطفاه الله - عز وجل - بالوحي إليه، وأنبأه بأمره ونهيه وخبره، وهو يُنبئ المؤمنين به ما أنبأه الله به من الخبر والأمر والنهي.[(٦)]

---

(١) ويقول الراغب الأصبهاني في غريب القرآن (ص: ٧٨٨- ٧٨٩): «النَّبَأُ: خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غَلَبَة ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل: " نَبَأٌ " حتى يتضمّن هذه الأشياء الثّلاثة».

(٢) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٨/ ٣٨٢)، وتهذيب اللغة للهروي (١٥/ ٣٤٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٩٧٣)، والصحاح للجوهري (١/ ٧٤)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني (ص: ٧٨٩)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ١٦٢)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ٥٣).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٩٧٣)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٧٩٠)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ١٦٢).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٩٧٣).

(٥) انظر: الفتح المبين بشرح الأربعين للهيتمي (ص: ٧٥)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (١/ ٩)، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي (١/ ٣٤)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ٥٢)، وتبسيط العقائد الإسلامية لحسن محمد أيوب (ص: ١١٥)، والإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان للشيخ بكر أبو زيد (ص: ٨٠)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (ص: ١٧٩).

(٦) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٧).

والرسول في اللغة: فَعُولٌ بمعنى: مُفْعَل، أي: مرسَل.

قال ابن فارس رحمه الله: «الراء والسين واللام أصلٌ واحدٌ مطّردٌ مُنْقاس، يدلُّ على الانبعاث والامتداد. فالرَّسْل: السَّير السَّهل ... وشَعْرٌ رَسْلٌ: إذا كان مُسترسلاً. والرَّسَل: ما أُرسِل من الغَنَم إلى الرَّعي. والرِّسْل: اللَّبَن؛ وقياسُه ما ذكرناه، لأنَّه يترسَّل من الضَّرْع».[١]

وقال أبو بكر ابن الأنباري رحمه الله: «الرسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار الذي بعثه. أُخِذ من قول العرب: " قد جاءت الإبلُ رَسَلاً " إذا جاءت متتابعة».[٢]

وسمِّي الرسول رسولاً لأنه ذو رَسول، أَي: ذُو رِسَالَة، وَالرَّسُول اسمٌ مِن " أَرسلْتُ "، وكذلك الرسالة.[٣]

والإِرْسالُ: التوجيه، وبه فُسِّرَ إِرْسالُ الله – عز وجل – أنبياءه عليهم السلام، كأنَّه وَجَّهَ إِليهم أن أنذروا عبادي.[٤]

والرسالة: انبعاثُ أمرٍ من المرسِل إلى المرسَل إليه.[٥]

أما الرسول في الشرع فهو: إنسانٌ ذكرٌ حرٌّ، اصطفاه الله – عز وجل – بالوحي إليه، وأرسله إلى قوم مخالفين ليبلغهم رسالة من الله جل جلاله.[٦]

ولكل قيد من القيود المذكورة في التعريف ما يدل عليه من نصوص الكتاب والسنة.[٧]

وقد اتفق جمهور العلماء على أن هناك فرقًا بين النبي والرسول، وليسا مترادفين، خلافًا لبعض المعتزلة[٨] ...

---

[١] معجم مقاييس اللغة (ص: ٣٨٢).

[٢] الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٤).

[٣] تهذيب اللغة للهروي (١٢/ ٢٧٢).

[٤] تاج العروس للزبيدي (٢٩/ ٧٢).

[٥] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ١٧٧).

[٦] انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٤ و ٧١٧).

[٧] انظر تفصيل ذلك مع أدلته من الكتاب والسنة في كتاب: تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول للشيخ محمد ابن عبد الله الإمام (ص: ٨– ١٠).

[٨] منهم القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة (٥٦٧– ٥٦٨) فقد قال: «فاعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين النبي والرسول، وقد خالف في ذلك بعضهم ... والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو أنهما يثبتان معًا ويزولان معًا في الاستعمال، حتى لو أثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو أمارة كلتي اللفظين المتفقين في الفائدة». وعزاه الرازي في تفسيره (٢٣/ ٢٣٦) لعموم المعتزلة، والظاهر أن بعضهم لا يقول به؛ فإن الزمخشري – وهو منهم – فرق بينهما كما في تفسيره الكشاف (٣/ ١٦٤).

ومن وافقهم[1]، ثم اختلفوا في بيان ضابط التفريق بين النبي والرسول إلى أقوال عدَّة[2]، مع اتفاقهم على أن الرسول أعلى منزلة من النبي، وأن كلَّ رسولٍ نبيٌّ وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً.

وأشهر هذه الأقوال هو: أن النبيَّ من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإذا أمر بالتبليغ فهو رسول.[3]

---

(1) كالطبرسي من الشيعة في تفسيره مجمع البيان (٧/ ١١٩)، والقول بالترادف هو ظاهر كلام الجويني في الإرشاد (ص: ٣٥٥)، والآمدي في غاية المرام (ص: ٣١٧)، والإيجي في المواقف (٣/ ٣٣٢)، وذكر الملا علي القاري في شرحه للفقه الأكبر (ص: ٥٥) أنه ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - واختيار ابن الهمام، ومال إليه الماوردي كما في أعلام النبوة (ص: ٥١)، ونصره من المتأخرين وجزم به الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود في كتابه: إتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء (ص: ٣- ٥) ورد عليه العلماء منهم: الشيخ الألباني في الصحيحة (٦/ ٣٦٥- ٣٦٩)، والشيخ حمود التويجري في رسالة قيمة بعنوان "فتح المعبود في الرد على ابن محمود" (ص: ١١٩) فما بعدها.

(2) انظر أبرز هذه الأقوال مع مناقشتها في المراجع التالية: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للخميس (ص: ٤٦٧- ٤٧٥)، ودليل المعلم لشرح ثلاثة الأصول للشيخ عبد العزيز الداخل (ص: ٣٢٢- ٣٢٧)، ومعايير التفريق بين النبي والرسول للدكتور يوسف الزيوت (ص: ٤٢٢- ٤٣٣) وهو بحث علمي نشر في مجلة جامعة دمشق.

(3) ذهب إلى هذا القول: الإمام الخطابي في أعلام الحديث (١/ ٢٩٨)، والحليمي في المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٣٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٨٠)، وابن الأثير في جامع الأصول (٤/ ٢٦١)، والقرطبي شارح مسلم في المفهم (٧/ ٤٠)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص: ١٥٥)، وابن حجر في الفتح (١١/ ١١٢)، وأبو يحيى زكريا الأنصاري في منحة الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ٦٨)، والهيتمي في الفتح المبين بشرح الأربعين (ص: ٧٥)، والقاري في مرقاة المفاتيح (١/ ٩)، والسفاريني في لوامع الأنوار (١/ ٤٩ و ٢٥٨)، وحافظ الحكمي في معارج القبول (١/ ٧٤)، وابن قاسم في حاشية ثلاثة الأصول (ص: ١٦)، والهراس في شرح العقيدة الواسطية (ص: ٥٢)، وابن عثيمين في شرح العقيدة السفارينية (١/ ٥٢٧ و ٥٦٨) ونسبه إلى الجمهور، وعبد العزيز السلمان في مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص: ٧)، وشيخنا الدكتور صالح الفوزان في إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٣١١/١) وبين - حفظه الله - أن المراد بالتبليغ الذي أمر به الرسول هو الجهاد والإلزام، بأن يلزم الناس باتباعه ويجاهدهم على ذلك، أما التبليغ الذي معناه التعليم والإفتاء، وبيان الحلال والحرام والحق من الباطل، فهذا مأمور به كل من عنده علم، فالمراد بالتبليغ هنا: التبليغ الخاص الذي هو الإلزام، والجهاد على ذلك. والنبي أيضًا يجاهد، لكنه يجاهد على شرع من قبله.

وقد اعترض بعض أهل العلم على هذا التفريق بأنه يفهم منه نفي مطلق التبليغ والإرسال عن النبي، مع وجود نصوص تثبت إرساله وإلزامه بالتبليغ أيضًا [انظر: روح المعاني للألوسي (١٧/ ١٧٣)، والسلسلة الصحيحة للألباني (٦/ ٣٦٨)، والرسل والرسالات للأشقر (ص: ١٤)، وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للخميس (ص: ٤٧٢)، وشرح العقيدة الطحاوية للبراك (ص: ٨٧)، وقطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص: ١١٠) لعبد المحسن البدر، والأديان والفرق للشيخ عبد القادر شيبة الحمد (ص: ٥- ٦)، ومعايير التفريق بين النبي والرسول للدكتور يوسف الزيوت (ص: ٤٢٨- ٤٣٠)] والذي يظهر أنه ليس المراد من قولهم: «ولم يؤمر بتبليغه» نفي مطلق التبليغ والإرسال، بل المراد به نفي مقتضى ما تختص به منزلة الرسالة عن منزلة النبوة؛ إذ منزلة الرسالة تقتضي تميز الرسول برسالة لا يشترك معه فيها النبي، وهذا هو القدر المنفي عن النبي في قول هؤلاء العلماء، ولم يريدوا نفي التبليغ والإرسال عنه جملة، فإنهم أجل شأنًا من أن تخفى عليهم جميعًا هذه النصوص. وانظر: دليل المعلم لشرح ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ عبد العزيز الداخل (ص: ٣٢٢- ٣٢٣).

وأسلمها من الاعتراضات هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – من أن: النبي هو من ينبئه الله تعالى بأمره ونهيه وخبره، وهو ينبئ بما أنبأه الله به من الأمر والنهي والخبر، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف الله – عز وجل – ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول.[١]

وعند استعراضنا لأقوال أهل العلم في هذا الباب نجد أن ثمة فروقًا بين النبي والرسول لا يختلفون فيها، كما أن هناك فروقًا هي من باب التغليب لأحد الجانبين، وبيان ذلك كما يلي:

١- اتفقوا على أن الرسول أعلى منزلة وأفضل مكانة من النبي[٢]، بل نقل بعضهم الإجماع على ذلك.[٣]

٢- اتفقوا على أن الرسول أخص من النبي، إذ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.[٤]

٣- أن الرسول يرسل إلى قوم كافرين كما قال تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [المؤمنون: ٤٤]، بخلاف النبي فإنه يرسل في الغالب إلى قوم مؤمنين[٥] كما قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} [المائدة: ٤٤]، وفي الحديث: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي».[٦]

---

[١] انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٤ و ٧١٧) وقد اختار هذا القول جملة من الباحثين، منهم: الدكتور محمد عبد الرحمن الخميس في أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص: ٤٧٣)، والدكتور يوسف الزيوت في معايير التفريق بين النبي والرسول (ص: ٤٣٢)، والشيخ صالح آل الشيخ في إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (١/ ٤٤٨).

[٢] انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٣)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص: ١٠)، والصفدية له (١/ ٢٥٢) ونص فيه على اتفاق العلماء على ذلك، وزاد المعاد لابن القيم (١/ ٤٤- ٤٥)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٨٧)، والتقرير والتحبير لابن أمير حاج الحنفي (١/ ٧)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٨٧٤)، وروح البيان للخلوتي (٧/ ١٨٧)، ولوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٤٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣/ ٧)، والإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان للشيخ بكر أبو زيد (ص: ٨٣).

[٣] لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩).

[٤] انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ابن أبي طالب (٧/ ٤٩١٦) ونسبه لأكثر الناس، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٤٧)، والشفا للقاضي عياض (١/ ٢٥١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/ ٤)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٨٠)، وجامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٢٠٩)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨)، وعمدة القاري للعيني (١/ ١٩)، والتقرير والتحبير لابن أمير حاج الحنفي (١/ ٧).

[٥] انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٧).

[٦] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣/ ١٢٧٣ رقم: ٣٢٦٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٣/ ١٤٧١ رقم: ١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤- أن الرسول في الغالب يأتي بشريعة جديدة، وشرائع الرسل تختلف في الغالب، كما قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُم} [المائدة: ٤٨]، بخلاف النبي فهو في الغالب يتبع شريعة من سبقه كما في آية المائدة السابقة[١].

٥- أن الرسول - نتيجة لما سبق - يواجَهُ من قومه بالتكذيب[٢]، وقد ذكر الله تعالى تكذيب الأقوام لرسلهم جملة كما في آية المؤمنون السابقة، وتفصيلاً كما في سورة الشعراء بدءًا بقوله: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٠٥] إلى آخر من ذكر من الأنبياء، بينما الغالب أن النبي لا يحصل له ذلك كما في حديث أنبياء بني إسرائيل السابق، لأنه غالبًا يبعث في قوم موافقين يحكم فيهم بشريعة من سبقه.

٦- أن الرسول يستمر في دعوة قومه إلى دين الله حتى يؤمنوا أو يحكم الله بينه وبينهم بأن ينجيه الله ويهلكهم[٣]، ولهذا لم يَرِد أن أحدًا من الرسل قتل، وإنما الذين قتلوا على أيدي أقوامهم هم بعض الأنبياء دون الرسل.

ففي شأن وجوب استمرار الرسول في دعوة قومه يقول تعالى على لسان شعيب عليه السلام: {وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [الأعراف: ٨٧]. وقال مخاطبًا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يونس: ١٠٩].

وفي شأن إنجاء الرسل وإهلاك أقوامهم يقول تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ . وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ} [إبراهيم: ١٣- ١٦]. وقال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ . وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ} [هود: ٥٨- ٦٠]. وقال مثل ذلك في صالح وشعيب ولوط عليهم السلام.

---

[١] انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٤).

[٢] انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٧).

[٣] انظر: النبوات لابن تيمية (١/ ٢٠٥) وما بعدها.

وفي شأن قتل بعض الأنبياء على أيدي أقوامهم يقول تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [آل عمران: ١٨١]. ويقول جل شأنه: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران: ٢١]. ونحو ذلك من الآيات.[١]

[١] انظر هذه الفروق وغيرها مفصلاً في كتاب " تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول " للشيخ محمد عبد الله الإمام (ص: ١٤- ٢٦).

المطلب الثاني: الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل أصل أصيل من أصول الدين، وركن ركين من أركان الإيمان، لا يصح إيمان العبد ولا يتم إلا به، وقد دل على وجوب الإيمان بالرسل وكفر من لم يؤمن بهم؛ الكتابُ والسنة، فمن أدلة الكتاب على ذلك:

- قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: ١٧٧].
- وقوله جل وعز: {ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥].
- وقوله جل ذكره: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦].
- وقوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ١٥٠- ١٥٢].

ومن أدلة السنة على ذلك:

- حديث جبريل – عليه السلام – المشهور، وفيه: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».[1]
- حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن – إلى قوله – أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – حق، والساعة حق ...».[2]

---

[1] أخرجه مسلم، وتقدم تخريجه (ص: ٤٠٣).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ} [الاسراء: ٧٩] (١/ ٣٧٧ رقم: ١٠٦٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٣٢ رقم: ٧٦٩) واللفظ للبخاري.

والإيمان بالرسل مرتبتان[1]:

الأولى: الإيمان المجمل بجميع الرسل، وهو واجب على كل مسلم، وهو: التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً منهم، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدَّقون، بارون راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا، ولم يغيروا، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه، وأنهم كلهم على الحق المبين[2]، وأنهم بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء[3]، وأن من أجابهم فاز بالسعادة في الدنيا والآخرة، ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة، وأن خاتمهم وأفضلهم هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.[4]

الثانية: الإيمان المفصل بكل ما ورد في شأن الرسل من التفاصيل، كذكر أسمائهم وصفاتهم، وأخلاقهم وأخبارهم، وفضائلهم وخصائصهم، وما جرى بينهم وبين أقوامهم.[5]

وهذا واجب على كل مسلم بقدر ما بلغه من هذه التفاصيل، فلهذا هم يتفاوتون في هذا النوع من الإيمان بحسب ما أوتوا من علم، وهذه المرتبة أعلى من الأولى.

والإيمان برسل الله – عز وجل – متلازم، بحيث يجب الإيمان بهم جميعًا دون تفريق بين أحد منهم، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام، كما مرَّ معنا في آية النساء: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ١٥٠ – ١٥٢].[6]

---

[1] انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها للشيخ ابن باز (ص: ١٦)، وتبسيط العقائد الإسلامية للشيخ حسن محمد أيوب (ص: ١١٥)، وشرح العقيدة الطحاوية للبراك (ص: ٢٠٤)، وإتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للشيخ صالح آل الشيخ (١/ ٤٤٨)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص: ٢٠٤)، وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسنة للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص: ٢١).

[2] انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي (ص: ٤٨).

[3] انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص: ٢٠٦).

[4] انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها لابن باز (ص: ١٦).

[5] انظر: المرجع السابق (ص: ٢٠٧– ٢١١).

[6] انظر: معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (٢/ ٦٧٦)، والرسل والرسالات للأشقر (ص: ١٦).

وقد اتفقت دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين، وهو توحيد الله – عز وجل – بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفي ما يضاد ذلك أو ينافي كماله.

وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف شرائعهم؛ فيفرض على بعضهم ما لا يفرض على غيرهم، ويخفف عن هؤلاء ما شدد على أولئك، ويحرم على أمة ما يحل للأخرى، وبالعكس؛ لحكمة بالغة، وغاية محمودة قضاها ربنا عز وجل.[1]

---

[1] انظر: معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (٢/ ٦٧٧).

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالرسل:

وقد دلت الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية الصحيحة على إثبات الرسل، وعلى بعض تفاصيل متعلقة بهم، فيجب الإيمان بهم وبما ورد في شأنهم، وسأقسم ما ورد في هذا الباب إلى قسمين: ما ورد في الأنبياء والرسل – عليهم السلام – عمومًا، وما ورد في نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – خصوصًا.

القسم الأول: ما ورد في الأنبياء والرسل – عليهم السلام – **عمومًا:**

١- حديث طفيل بن سخبرة – أخي عائشة لأمها – أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مرَّ برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرًا ابن الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مرَّ برهط من النصارى فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى. فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وما شاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبره، فقال: «هل أخبرت بها أحدًا؟» قال: نعم. فلما صلَّوا خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها» قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد».[(١)]

فهذه الرؤيا فيها ذكر للمسيح وهو عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو أحد أولي العزم من الرسل، وآخر أنبياء بني إسرائيل، فليس بينه وبين نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – نبي، وأنزل الله عليه الإنجيل، ورفعه الله إليه لما همَّت يهود بقتله، فهو حي في السماء، وسينزل في آخر الزمان حكمًا مقسطًا وإمامًا عادلاً متبعًا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فيَقتُلُ الدجالَ، ويمكث في الأرض ما شاء الله، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه.

وفيها أيضًا بيانُ عقيدة النصارى الفاسدة في نبيهم عيسى عليه السلام، وهو زعمهم أنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وقد سبق الرد على هذه الفرية.

---

(١) حديث صحيح، تقديم تخريجه (ص: ٣٢٣).

كما فيها ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو سيد الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، وفيها بيان ما وقع فيه بعض أتباعه من استخدام عبارة توهم إشراكه مع الله – جل وعلا – في المشيئة، وهي قولهم: ما شاء الله وشاء محمد.

لكنْ هناك بونٌ شاسعٌ بين المخالفتين؛ مخالفة اليهود والنصارى في ادِّعائهم الولد لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، والتي هي كفر وشرك أكبر لا تجتمع والإيمانَ، وهي من البشاعة والشناعة والقبح ما سبق بيانه، ومخالفة بعض المسلمين في استخدامهم لهذه العبارة الموهمة للإشراك في المشيئة، والتي لا تعدو كونها شركًا أصغرَ في الألفاظ، اللهم إلا إذا اعتقد قائلها تسوية النبي – صلى الله عليه وسلم – لربه في المشيئة، وهو بعيد.

ومن الفوارق بين المخالفتين: أن مخالفة اليهود والنصارى أضحَتْ عقيدةً راسخةً، وأصلاً أصيلاً من أصول دينهم المنحرف، بحيث عرفوا بها، وأقرُّوا بها، وصارت علمًا عليهم، بخلاف هذه المخالفة التي وقع فيها بعض المسلمين، فإنها ما عُرِفتْ إلا بكونها مخالفةً عقديةً يجب اجتنابها وإنكارها، وجاءت الشريعة الإسلامية بالنهي عنها، والهداية إلى البديل الصالح في هذا الباب، ففي الحديث الذي معنا: «لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد». وفي حديث حذيفة – رضي الله عنه – قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله إن كنت لأعرفها[1] لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد».[2]

إلا أن سبب المخالفتين واحد، وهو الغلو في الأنبياء والصالحين.

وفي هذه الرؤيا أيضًا ذكر عُزَير، وأن اليهود زعمت فيه أنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وقد اختلف العلماء فيه هل كان نبيًّا أو لم يكن، فذهب بعضهم إلى أنه كان نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل[3]، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

أ- قوله تعالى: {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} [آل عمران: ٨٠]، قالوا: هذا خطاب لليهود والنصارى، مشعرٌ بأنهم يتخذون النبيين أربابًا، واليهود عبدت

---

[1] أي: عبارة «ما شاء الله وشاء محمد». وفي لفظ عند الإمام أحمد (٣٨/ ٣٦٤ رقم: ٢٣٣٣٩): «قد كنت أكرهها منكم».

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه (٣/ ٢٥٢ رقم: ٢١١٨)، وأحمد في مسنده (٣٨/ ٣٦٤ رقم: ٢٣٣٣٩)، وقال محققوه: حديث صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٦٤).

[3] منهم ابن خمير في تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء (ص: ١٠٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٥٤).

عُزَيْرًا بنص الكتاب، قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: ٣٠].[١]

لكن الاستدلال بهذه الآية على نبوة عُزَير لا يستقيم، لأنها لم تحصر اتخاذ الأرباب في النبيين، حتى يقال: إن اليهود والنصارى لم يتخذوا أربابًا إلا النبيين، فتكون النتيجة: أن كل من اتخذه اليهود والنصارى ربًّا فهو نبي. بل دلَّ القرآن على أنهم اتخذوا أربابًا من غير النبيين أيضًا، قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١].

ب- أن الله تعالى ذكَرَه مع الأنبياء في معرض الفضيلة والإكرام في موطنين من كتابه:

ذكره مع إبراهيم – عليه السلام – في إحياء الموتى لهما، فقال تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ...} [البقرة: ٢٥٩] الآية. ثم قال: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ ...} [البقرة: ٢٦٠] الآية.

وذكره مع عيسى – عليه السلام – في من عُبد من دون الله، قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ...} [التوبة: ٣٠] الآية.[٢]

وهذا الاستدلال أيضًا لا يستقيم، وذلك لما يلي:

١-أن آية البقرة ليس فيها التصريح بأن الذي مرَّ على القرية هو عُزَير، ولم يثبت ذلك في خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يجمع عليه المفسرون من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، بل اختلفوا فيه إلى أقوال متعارضة، فقال

---

[١] انظر: تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لابن خمير (ص: ١٠٤).

[٢] انظر: المرجع السابق.

بعضهم: إنه عُزَير[١]. وقال بعضهم: إنه النبيُّ أورميا بن حلقيا[٢]. وقال بعضهم: إنه الخضر[٣]، وقيل: أورميا هو الخضر[٤]. وقال بعضهم: إنه رجل من بني إسرائيل من غير تعيين[٥]. وقال: بعضهم: إنه رجل كافر منكر للبعث[٦].

فكيف يمكن – بعد هذا الاختلاف – الجزمُ بأنه عُزَير؟![٧].

٢–أن آية التوبة في سياق بيان كفر وقبح اليهود والنصارى، وأنه بلغ بهم الكفر والجرأة على الله مبلغًا ادعوا فيه أن لله تعالى ابنًا، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، فذِكرُ عُزَيرٍ هنا مع المسيح ابن مريم – عليه السلام – لمناسبة اشتراكهما في أن كلَّ واحدٍ منهما ادَّعى قومُه أنه ابنٌ لله سبحانه، ولا يظهر أنه في معرض الفضيلة والإكرام.

---

(١) نقله ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٤٣٩– ٤٤٠) عن: عن ابن عباس رضي الله عنهما، وناجية بن كعب، وسليمان بن بريدة، وقتادة، والربيع، وعكرمة، والسدي، والضحاك. وزاد ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٠٠): علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن البصري. وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٨٧): «وهذا القول هو المشهور».

(٢) نقله ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٤٤٠– ٤٤١) عن: وهب بن منبه، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وبكر بن مضر.

(٣) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور لأبي بكر الجرجاني (١/ ٤٣٣).

(٤) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٤٤٠) عن محمد بن إسحاق. وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٧).

(٥) نقله ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٠٠) عن مجاهد ووهب بن منبه، وقال ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٤٤١– ٤٤٢): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره عجب نبيه – صلى الله عليه وسلم – ممن قال – إذ رأى قرية خاوية على عروشها– : " أنى يحيي هذه الله بعد موتها"، مع علمه أنه ابتدأ خلقها من غير شيء، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها حتى قال: أنى يحييها الله بعد موتها! ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قِبَلِهِ البيان على اسم قائل ذلك. وجائز أن يكون ذلك عزيرًا، وجائز أن يكون أورميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت ... وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهراني مهاجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من يهود بني إسرائيل، بإطلاعه نبيَّه محمدًا – صلى الله عليه وسلم – على ما يزيل شكهم في نبوته، ويقطع عذرهم في رسالته ... ولو كان المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك، لكانت الدلالة منصوبة عليه نصبًا يقطع العذر ويزيل الشك، ولكن القصد كان إلى ذم قِيله، فأبان – تعالى ذكره – ذلك لخلقه».

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢/ ٢٤٢)، والواحدي في التفسير البسيط (٤/ ٣٨٠) عن مجاهد. وجزم به الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٠٦) واستدل عليه بأوجه من الآية نفسها، واختاره السعدي في تفسيره (ص: ٩٥٥).

(٧) قال الرازي في تفسيره (٧/ ٢٨): «لم يجر في هذه الآية ذكر هذا النبي، وليس في هذه القصة حالة مشعرة بوجود النبي أصلاً، فلو كان المقصود من إظهار هذه الأشياء إكرام ذلك النبي وتأييد رسالته بالمعجزة؛ لكان ترك ذكر ذلك الرسول إهمالاً لما هو الغرض الأصلي من الكلام، وإنه لا يجوز».

وذهب آخرون إلى أن عُزَيرًا لم يكن نبيًّا، وأنه كان رجلاً صالحًا، أو حَبرًا من أحبار اليهود[١]، واستدلّوا على ذلك بأنه لم يَرِد نصٌّ صحيح صريح يدل على نبوته، والأصل عدم اتصافه بالنبوة حتى يدل الدليل على ذلك، فإن النبوة منصب شرعي لا يضاف إليه أحدٌ إلا بنص صحيح صريح.

ومن العلماء من يرى أن عزيرًا هو الذي حرّف التوراة وبدّلها.[٢]

وربما توقَّف بعضهم في شأنه، فلم يجزم بنبوته، ولم ينفها عنه، ويُروى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «وما أدري أعُزَيرٌ نبيٌّ هو أم لا؟».[٣]

وإذا صح هذا الحديث فإن الواجب هو الأخذ به، وعدم الجزم بنبوة عُزَير أو نفيها، وإلا فالقول بعدم نبوته هو الذي يترجح، والله تعالى أعلم.

٣– حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – الطويل في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأما الوِلْدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة».[٤]

في هذه الرؤيا ذكر إبراهيم عليه السلام، وهو أبو الأنبياء، وأحد أولي العزم من الرسل، وأحد الخليلين، وأفضل الأنبياء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وجاء فيها وصفه بالطول: «الرجل الطويل»، وأنه يكفل أطفال المسلمين.

فيجب الإيمان بذلك كله.

٤– حديث أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه – الطويل وفيه: «ثم شرفني شرفًا آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة، قلت: من هؤلاء؟ قال: هذا إبراهيم وموسى وعيسى. وهم ينظروني».[٥]

---

[١] انظر: تفسير السمرقندي (١/ ١٧٢)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٢٣٢).

[٢] انظر: الفصل لابن حزم (١/ ١٤٨ و١٥٦) و (٢/ ٨– ٩)، وهداية الحيارى لابن القيم (٢/ ٤٢١– ٤٢٢).

[٣] أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٦٤– ٦٥ رقم: ٤٦٧٤) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – بإسنادٍ رجاله ثقات، وظاهره الصحة والاتصال، إلا أن بعض العلماء رجح كونه مرسلاً، وأن عبد الرزاق الصنعاني تفرد بوصله، وغيره أرسله. انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٥١– ٢٥٣ رقم: ٢٢١٧)، وتعليق الأرنؤوط على الحديث في الموضع المشار إليه من سنن أبي داود.

[٤] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٥٢).

[٥] أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٢٣٧ رقم: ١٩٨٦) قال الأعظمي: إسناده صحيح. ومن طريقه ابن حبان في صحيحه (٥٣٦/١٦ رقم: ٧٤٩١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ١٦٧٠ رقم: ٣٩٥١)، وسيأتي بتمامه في مبحث الإيمان باليوم الآخر.

وفي لفظ: «قال: ثم رفعتُ رأسي، فإذا ثلاثة نفر تحت العرش، قلت: ما هؤلاء؟ قال: ذاك أبوك إبراهيم، وموسى، وعيسى، وهم ينتظرونك صلى الله عليهم أجمعين».[1]

في هذه الرؤيا ذكرٌ لثلاثة من أولي العزم من الرسل، وهم: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وموسى - عليه السلام - هو أعظم أنبياء بني إسرائيل، أنزل الله عليه التوراة، وكلمه تكليمًا، وهو أكثر الأنبياء ذكرًا في القرآن، وأكثرهم تابعًا يوم القيامة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء الثلاثة هم أفضل الأنبياء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وترتيبهم في الفضل كذلك، فالأنبياء أفضل الخلق، وأفضل الأنبياء أولو العزم من الرسل، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - على الراجح من أقوال أهل العلم، وأفضلهم على الإطلاق محمد - صلى الله عليه وسلم - إجماعًا، ثم الخليل إبراهيم عليه السلام، ثم موسى الكليم - عليه السلام - على المشهور، ثم عيسى ونوح عليهما السلام.[2]

وفي هذه الرؤيا ما يدل على علو شأن هؤلاء الرسل الثلاثة وهو تخصيصهم بالذكر دون غيرهم، وأيضًا كونهم تحت العرش.

وفيها إثبات كون النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذرية إبراهيم عليه السلام، وذلك في قول الملك له: «هذا أبوك إبراهيم».

---

[1] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٥٥ رقم: ٧٦٦٦) قال: حدثنا بكر بن سهل، ثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية، عن سليم بن عامر، أنه حدثه أن أبا أمامة الباهلي حدثه ... فذكره. قلت: عبد الله بن صالح هو أبو صالح المصري كاتب الليث، قال الحافظ في التقريب (١/ ٤٠٠ رقم: ٣٧٥٢): «صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة». وشيخه بكر بن سهل هو الدمياطي المفسر المقرئ ترجم له الذهبي في الميزان (٢/ ٦١ رقم: ١٢٨٦). وقال: «حمل الناس عنه، وهو مقارب الحال. قال النسائي: ضعيف». وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة (١٠/ ٧٤ رقم: ٤٥٦٩) و (١١/ ٦٥٩ رقم: ٥٣٩٥). قلت: ذكر له الذهبي في كتابه العلو (ص: ١٠٥ رقم: ٢٥٧) متابعًا وهو أبو إسماعيل الترمذي، حيث أورد الحديث من طريق أبي صالح كاتب الليث، ثم قال: «إسناده جيد، رواه أبو إسماعيل الترمذي عن كاتب الليث، وهو مليٌّ بمعرفته إن شاء الله». وأبو إسماعيل الترمذي هو محمد بن إسماعيل بن يوسف السلمي، وهو ثقة حافظ كما في التقريب (٢/ ١٥٥ رقم: ٦٤٣٨). وأورد الهيثمي الحديث في مجمع الزوائد (١/ ٢٤٦) وقال: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح». والذي يظهر لي أن الحديث بالإسناد الذي ذكره الذهبي في العلو لا يقل عن درجة الحسن، والله تعالى أعلم.

[2] انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨٨)، وإتمام الدراية لقراء النقاية للسيوطي (ص: ١٧)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٤٦٤)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٣٠٠)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥/ ٧٣)، ومباحث المفاضلة في العقيدة للشظيفي (ص: ١٣٦- ١٤١).

٥- حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لا والله ما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعيسى أحمر، ولكن قال: «بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر، يهادى بين رجلين، ينطف رأسه ماء، أو يُهراق رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم. فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال، وأقرب الناس به شبهًا ابن قطن». قال الزهري: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية.[1]

وفي لفظ: «وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدمُ كأحسن ما يرى من أُدْم الرجال، تضرب لِمَّتُه بين منكبيه، رَجِلُ الشعر، يقطر رأسه ماءً، واضعًا يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم».[2]

وهذه الرؤيا فيها ذكرُ نبيِّ الله عيسى ابن مريم عليه السلام، وبيانٌ لبعض أوصافه، وهي:

- أنه «آدم، كأحسن ما يرى من أُدْم الرجال[3]» أي: أسمر، والأدمة في الناس السمرة الشديدة.[4] وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يحلف على ذلك، وينكر على من يروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال عن عيسى عليه السلام: أحمر، وهو ابن عباس[5] ..

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} (٣/ ١٢٧٠ رقم: ٣٢٥٧) ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١/ ١٥٦ رقم: ١٦٩).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} (٣/ ١٢٦٩ رقم: ٣٢٥٦) ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١/ ١٥٦ رقم: ١٦٩).

[3] **أُدْم**: جمع آدم، مثل: حُمْر: جمع أحمر. انظر: والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ٣٢).

[4] انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول (١/ ٢٢٤)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٣٢).

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق باب باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (٣/ ١١٨٢ رقم: ٣٠٦٧). ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات (١/ ١٥١رقم: ١٦٥). ولكنه في رؤيته ليلة الإسراء، وفيه: «ورأيت عيسى رجلاً مربوعًا - مربوع الخلق - إلى الحمرة والبياض».

وأما ما أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٦٩ رقم: ٣٢٥٥) من طريق مجاهد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط، كأنه من رجال الزط». فقد نبَّه العلماء - رحمه الله - أنه وهم، وأن الراجح كون هذا الحديث من مسند ابن عباس لا ابن عمر رضي الله عنهم. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٩/ ٥٦٠)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٨٥).

ووافقه أبو هريرة[1] رضي الله عنهم، وقد أجاب العلماء عن هذا الإشكال بعدة أجوبة:

١- أن رواية ابن عمر التي وصفت عيسى - عليه السلام - بأنه: «آدم» أثبت، وهذا ما ذهب إليه الداودي[2] وأقره عليه ابن الملقن[3]، واستغربه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بقوله: «لا أدري من أين وقع له ذلك مع اتفاق أبي هريرة وابن عباس على مخالفة ابن عمر؟! وقد وقع في رواية عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة في نعت عيسى: إنه مربوع إلى الحمرة والبياض».[4]

٢- أنه لا تعارض بين الوصفين، ويمكن الجمع بينهما بأحد الأوجه التالية:

أ- بأنه احمَرَّ لونه بسببٍ كالتعب، وهو في الأصل أسمر. قاله الحافظ ابن حجر في الفتح.[5]

ب- بأن المراد أنه لم يكن أبيض نقعًا، بل بياض مشرب بالحمرة، وهذه هي الأُدْمة، فإنها لون فوق السُّمرة ودون السُّحْمة[6]، وكأن الأدمة يسير سوادٍ يضرب إلى الحمرة، وهو غالب ألوان العرب. وبنحو ذلك قال جملة من العلماء[7]، ويؤيده

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} (٣/ ١٢٦٩ رقم: ٣٢٥٤) ولكنه في رؤيته بليلة الإسراء وفيه: «ولقيت عيسى ربعة أحمر».

[2] الداودي: هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب، والمتسمين في العلم، المجيدين للتأليف، أصله من المسيلة، وقيل من بسكرة. كان بطرابلس ثم انتقل إلى تلمسان، وكان فقيهاً فاضلاً متفنناً مؤلفاً مجيداً، له حفظ من اللسان والحديث والنظر، من مؤلفاته: النامي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، والنصيحة في شرح البخاري، والإيضاح في الرد على البكرية، وكتاب الأصول، وكتاب البيان، وكتاب الأموال، وغير ذلك، كان درسه وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل الى ما وصل بإدراكه، أخذ عنه أبو عبد الله البوني، وأبو بكر ابن الشيخ أبي محمد ابن أبي زيد، وأبو علي ابن الوفاء وغيرهم توفي سنة (٤٠٢هـ). قلت: ولقد أكثر الحافظ ابن حجر وكذلك العيني - رحمهما الله - النقل عنه في شرحيهما للبخاري، ويعتبر أول شارح للبخاري بعد الإمام الخطابي، وهو ثاني شارح للموطأ بعد ابن سحنون القيرواني، ولديه تأويلات في باب الصفات. انظر ترجمته في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٧/ ١٠٢- ١٠٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٤١)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (١/ ١٦٥- ١٦٦).

[3] التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٩/ ٥٦١).

[4] فتح الباري (٦/ ٤٨٦).

[5] فتح الباري (٦/ ٤٨٦).

[6] **السُّحْمة**: السواد. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٤٨٦).

[7] انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/ ٤٠٠)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٤٠١)، والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني (١٤/ ٨٤)، والكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري للكوراني (١٠/ ٤٩٦)، وشرح الشفا للقاري (١/ ٣٢٨)، .

حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – مرفوعًا وفيه: «ورأيت عيسى رجلاً مربوعًا، مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس».[1] وهو المناسب لقوله: «فإذا رجل آدمُ كأحسن ما يرى من أُدْم الرجال».[2]

– أنه «سبط الشعر» أي: منبسط الشعر مسترسله، ليس فيه تكسر.[3] وفي اللفظ الآخر: «رَجِلُ الشعر» قال القرطبي شارح مسلم: «الرَّجِلُ: فوق السبط ودون الجعد، وهو الذي فيه يسير تَكَسُّر».[4]

ولا يشكل على ذلك ما ورد في الحديث الآخر: «فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر»[5]؛ لأن كلمة: «جعد» هنا ليست وصفًا لشعره، وإنما هو وصف لجسمه، والمراد بذلك اجتماعه واكتنازه[6]، ولهذا جاءت مطلقة، بينما في الرواية التي معنا قال: «سبط الشعر» فقيده بالشعر.

– أن «لِمَّته تضرب بين منكبيه» أي: أن شعر رأسه تكاد تصل إلى منكبيه، فإن اللِّمَّة بكسر اللام: الشعر إذا جاوز شحمة الأذنين، كأنَّه سمِّي بذلك لأنّه شامَّ المِنكِبَين وقارَبَهما، فإذا بلغ المنكبين سُمِّي جُمَّة.[7]

– أنه «ينطف رأسه ماءً، أو يهراق ماءً» أي: يقطر ويسيل ماءً[8].

قال القاضي عياض رحمه الله: «يحتمل أن يكون على ظاهره، أي: يقطر بالماء الذي رجّلها به لقرب ترجيله إياه، وإلى هذا نحا القاضى الباجى وقال: لعله نبه بذلك على أن ذلك مشروع لطواف الورود. ومعناه عندي: أن يكون ذلك عبارةً عن نضارته وحُسْنِه وترجيله واستعارة لجماله».[9]

---

(١) متفق عليه، سبق تخريجه (ص: ٤٠٨).

(٢) متفق عليه، سبق تخريجه (ص: ٤٠٨).

(٣) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول (٥/ ٤٤٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/ ٣٣٤).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٠٠).

(٥) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وتقدم تخريجه (ص: ٤٠٨)، ونبهنا هناك أن الصحيح في هذا الحديث أنه من مسند ابن عباس وليس ابن عمر رضي الله عنهم.

(٦) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني (١٤/ ٨٣)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٨٦)، وشرح القسطلاني على صحيح البخاري (٥/ ٤١٥).

(٧) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٨٩٩)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ٢٧٣).

(٨) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول (٤/ ١٥٣)، والنهاية لابن الأثير (٥/ ٧٥).

(٩) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٢١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «المراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه، حتى كأنه كان في موضع كَنٍّ فخرج منه وهو عرقان، وسيأتي في رواية ابن عمر بعد هذا "ينطف رأسه ماء" وهو محتمل لأن يراد الحقيقة وأنه عرق حتى قطر الماء من رأسه، ويحتمل أن يكون كناية عن مزيد نضارة وجهه، ويؤيده أن في رواية عبد الرحمن ابن آدم عن أبي هريرة عند أحمد وأبي داود[(١)]: "يقطر رأسه ماء وإن لم يصبه بلل"».[(٢)]

– أنه عليه السلام يلقب بـ «المسيح»، وللعلماء في بيان سبب تلقيبه بذلك عدة أقوال[(٣)]، أشهرها ما يلي:

١- أنه – عليه السلام – كان لا يمسح ذا عاهة إلا ويبرأ بإذن الله، ويُروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، ويؤيده ما جاء في القرآن الكريم من وصف عيسى – عليه السلام – بأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: {وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} [آل عمران: ٤٩].

٢- أنه – عليه السلام – كان يمسح الأرض – أي يقطعها – سياحة.

٣- أنه – عليه السلام – كان على وجهه مسحة من جمال.

٤- لأنه – عليه السلام – كان أمسح الرِّجْل، أي: لا أخمص لقدمه، وهو ما يتجافى عن الأرض من وسطها.

فهذه جملة من أوصاف نبي الله عيسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – ذكرت في الرؤى الواردة في السنة النبوية، نؤمن بها ونثبتها ونعتقد صحتها، لأن رؤى الأنبياء حق.

وأما الجزئية التي تتعلق بالدجال فسيأتي الحديث عنها في مبحث الإيمان باليوم الآخر إن شاء الله.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥/ ١٥٣ رقم: ٩٢٧٠)، وأبو داود في سننه (٦/ ٣٧٨ رقم: ٤٣٢٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٢١٤ رقم: ٢١٨٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٨٤).

(٣) انظر هذه الأقوال مجتمعة في: التمهيد لابن عبد البر (١٤/ ١٨٧- ١٨٨)، ومشكلات موطأ مالك بن أنس للبطليوسي (ص: ٩٨)، المعلم بفوائد مسلم للمازري (١/ ٣٣٢)، والقبس في شرح موطأ ابن أنس لابن العربي (٤/ ٢٧٤- ٢٧٥)، إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١/ ٥١٩).

القسم الثاني: ما ورد في نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – **خاصة:**

لقد امتاز نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – عن سائر الأنبياء بأنه أكثر من حفظ له وعنه وفيه من الرؤى والتعابير، وفي هذا المطلب نستعرض ما ورد في السنة الصحيحة من الرؤى والتعابير في خصوص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونستبين ما فيها من دلالات عقدية.

فمن تلك الرؤى والتعابير ما يلي:

١– حديث بريدة – رضي الله عنه – قال: أصبح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فدعا بلالاً فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلتُ الجنة قطُّ إلا سمعتُ خَشْخَشَتَكَ[1] أمامي، دخلتُ البارحة الجنة فسمعتُ خَشْخَشَتَكَ أمامي، فأتيتُ على قصرٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل من العرب. فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. قلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد. قلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب».[2]

هذه الرؤيا فيها بيان اسم نبينا – صلى الله عليه وسلم – واسم قبيلته وعِرْقه، وأنه محمد القرشي العربي، وسيأتي ما يدل على أن العرب من ذرية إبراهيم عليه السلام، وقد ذُكر نبينا – صلى الله عليه وسلم – باسمه محمد في أربعة مواضع من القرآن[3]، وهو أشهر أسمائه، وفي حديث واثلة بن الأسقع – رضي الله عنه – أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».[4]

٢– حديث سعيد ابن أبي هلال عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: خرج علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومًا فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصحابه: اضرب له مثلاً. فقال: اسمع

---

[1] **الخشخشة:** حركة لها صوت كصوت السلاح. النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٣).

[2] أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٦٢٠ رقم: ٣٦٨٩) وقال: «هذا حديث صحيح غريب، ومعنى هذا الحديث (أني دخلت البارحة الجنة) يعني: رأيتُ في المنام كأني دخلت الجنة. هكذا روي في بعض الحديث، ويروى عن ابن عباس أنه قال: رؤيا الأنبياء وحي». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٠٧ رقم: ٧٨٩٤). وسيأتي بتمامه في مبحث الصحابة.

[3] وهي على الترتيب: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران: ١٤٤]، {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} [الأحزاب: ٤٠]، {وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ} [محمد: ٢]، {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} [الفتح: ٢٩].

[4] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي – صلى الله عليه وسلم – وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٤/ ١٧٨٢ رقم: ٢٢٧٦).

سمِعَتْ أذنُك، واعقل عقل قلبُك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل مَلِكٍ اتخذ دارًا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».[1]

٣– حديث سعيد بن ميناء قال: سمعت جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – يقول: جاءت ملائكة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثَلاً فاضربوا له مثَلاً. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مثَله كمثَل رجل بنى دارًا، وجعل فيها مأدُبة، وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أوِّلوها له يفقهها. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أطاع محمدًا – صلى الله عليه وسلم – فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا – صلى الله عليه وسلم – فقد عصى الله، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – فَرْقٌ بين الناس.[2]

في هذه الرؤيا النبوية دلالات عقدية فيما يتعلق بخصوص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي كما يلي:

أ– إثبات رسالة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – والنص عليها، حيث جاء في هذه الرؤيا قوله: «وأنت يا محمدُ رسولٌ»، وهذا في الدلالة مثل قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} [الفتح: ٢٩].

ب– وجوب طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – واتباع سنته، وأن من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وترتُّبُ النجاة والهلاك على ذلك، وافتراق الناس بسببه إلى أهل الجنة وأهل النار.

---

[1] حديث صحيح بالذي بعده، وسبق تخريجه (ص: ٣٦).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦/ ٢٦٥٥ رقم: ٦٨٥٢) وقال: «تابعه قتيبة عن ليث عن خالد عن سعيد ابن أبي هلال عن جابر " خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم ..."». قال العيني في عمدة القاري (٢٥/ ٢٩): «قيل: فائدة إيراد البخاري هذه المتابعة لرفع توهم من يظن أن طريق سعيد بن ميناء موقوف؛ لأنه لم يصرح برفع ذلك إلى النبي، وذكر هذه المتابعة لتصريحها بالرفع».

فإن طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – تترتب عليها طاعة الله عز وجل؛ لقوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: ٨٠] ولما جاء هنا من قوله: «فمن أطاع محمدًا – صلى الله عليه وسلم – فقد أطاع الله»، ويترتب على طاعة الله وطاعة رسوله الدخولُ في الإسلام، كما جاء هنا في قوله: «وأنت يا محمد رسول، فمن أجابك دخل الإسلام»، ومن دخل في الإسلام والتزم بأحكامه ومات عليه دخل الجنة وتمتع بنعيمها، كما قال: «ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».

فالملائكة في هذه الرؤيا ضربوا للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولأمته مثلاً يوضح للناس أهمية الإيمان به واتباعه، والثواب المترتب على ذلك، وذكروا في المثل أربعة أمور: مَلِكًا اتخذ دارًا، وبيتًا مبنيًّا في تلك الدار، ومأدبة، وداعيًا يدعو الناس إلى الدخول في تلك الدار ومِن ثَمَّ البيت، والتناول من تلك المأدبة.

فالمِلِكُ: الله تبارك وتعالى، والدار: الإسلام، والبيتُ: الجنة، والمأدبة: نعيمها، والدّاعي: نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فمن آمن بالنبي – صلى الله عليه وسلم – واتبع ما جاء به فقد أجاب الدعوة، ودخل في الإسلام، واستحق دخول الجنة والتمتع في نعيمها. وأما من لم يؤمن بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وخالف أمره، ولم يستجب لما جاء به؛ فذلك الذي لم يستجب لدعوته، فحُرِمَ من الدخول في الدار التي هي الإسلام، وبالتالي يُمنع من دخول البيت الذي هو الجنة، ويُحرم من الأكل من المأدبة التي هي النعيم الدائم في الجنة.[1]

ج- أن النبي – صلى الله عليه وسلم – تنام عيناه ولا ينام قلبه، ولهذا قالت الملائكة هنا: «إن العين نائمة والقلب يقظان»، ولما قالت له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! أتنام قبل أن توتر؟ قال لها: «يا عائشة! إن عيني تنامان ولا ينام قلبي».[2]

وهذا مما اختص به جميع الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – عن سائر الناس، ومما يدل على أن هذه الخصيصة تعم جميع الأنبياء ما ورد في حديث الإسراء عن أنس – رضي الله عنه – وفيه: «والنبي – صلى الله عليه وسلم – نائمة عيناه ولا ينام قلبه،

---

[1] انظر: حقوق النبي – صلى الله عليه وسلم – على أمته في ضوء الكتاب والسنة للتميمي (١/ ١٩٣).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب كان النبي – صلى الله عليه وسلم – تنام عيناه ولا ينام قلبه (٣/ ١٣٠٧ رقم: ٣٣٧٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسارين وقصرها باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي – صلى الله عليه وسلم – في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة (١/ ٥٠٩ رقم: ٧٣٨).

وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم».[1] وهذا وإن كان موقوفًا على أنس – رضي الله عنه – إلا أن له حكم الرفع؛ إذ مثله لا يقال بالرأي[2]، وقد ورد مرفوعًا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – لكنه مرسل.[3]

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: «والذي كانت عليه جبلَّتُه وعادته – صلى الله عليه وسلم – أن لا يخامر النوم قلبه، ولا يخالط نفسه، وإنما كانت تنام عينه، وقد ثبت عنه أنه قال: " إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي "، وهذا على العموم؛ لأنه جاء عنه – صلى الله عليه وسلم – : " إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا "، ولا يجوز أن يكون مخصوصًا بذلك؛ لأنها خصلة لم يعدَّها في الست التي أوتيها ولم يؤتها أحد قبله من الأنبياء».[4]

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب كان النبي – صلى الله عليه وسلم – تنام عيناه ولا ينام قلبه (٣/ ١٣٠٨ رقم: ٣٣٧٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى السموات وفرض الصلوات (١/ ١٤٨ رقم: ١٦٢) واللفظ للبخاري.

[2] كما بين ذلك الحافظ – رحمه الله – في الفتح (٦/ ٥٧٩).

[3] أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٣٦) قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا». وأورده الألباني – رحمه الله – في السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٨١ رقم: ١٧٠٥) وقال: «وهذا إسناد ضعيف مرسل، لكن يشهد له حديث أنس بن مالك في الإسراء... وللحديث شواهد سيأتي أحدها في الحديث (١٨٧٢)». قلت: يقصد – رحمه الله – حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – عند الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٨٤– ٢٨٥ رقم: ٢٤٨٣) وغيره بإسناد حسن أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك. فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه، إذ قالوا: الله على ما نقول وكيل. قال: «هاتوا». قالوا: أخبرنا عن علامة النبي. قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه» ... الحديث.

[4] التمهيد (٥/ ٢٠٨). قلت: تعليله – رحمه الله – عدم جواز اختصاص النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذه الخصلة دون سائر الأنبياء بأن ذلك لم يعدَّ ضمن الخصال الست التي أوتيها ولم يؤتها أحد من الأنبياء قبله؛ ليس بقوي، ذلك لأن ما اختص به النبي – صلى الله عليه وسلم – عن سائر إخوانه الأنبياء غير منحصرة في هذه الست كما حرر ذلك الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في الفتح (١/ ٤٣٩) فإنه جمع الروايات الواردة في الباب واستخلص منها سبع عشرة خصلة ثم قال: «فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة، ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع، وقد تقدم طريق الجمع بين هذه الروايات وأنه لا تعارض فيها، وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب "شرف المصطفى" أن عدد الذي اختص به نبينا – صلى الله عليه وسلم – عن الأنبياء ستون خصلة». وسبقه إلى ذلك الإمام ابن حبان – رحمه الله – في صحيحه (١٤/ ٣١١) حيث بوّب فيه بابًا بقوله: «ذكر البيان بأن هذا العدد المذكور في خبر حذيفة لم يرد به النفي عما وراءه». ولكن إذا صح حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – الذي سبق أن أشرت إليه في التعليق السابق في سؤال اليهودِ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – عن علامة النبي وأنه أجابهم بقوله: «تنام عيناه ولا ينام قلبه» فهو دليل قوي على أن هذه الخصلة تعم جميع الأنبياء؛ إذ كانت علامة تميز النبي عن غيره. والحديث قال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٤٩٣): «حسن على أقل الدرجات». وحسنه كذلك محققو المسند (٤/ ٢٨٤ رقم: ٢٤٨٣).

وذكر بعض العلماء أن كون الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم هو السبب في كون رؤياهم وحيًا[1]، كما سبق في مبحث علاقة الرؤيا بالوحي.

د- أن نبينا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - فرقانٌ فرّق الله به بين الحق والباطل، وهو - عليه الصلاة والسلام - فَرْقٌ بين الناس مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن الناجي يوم القيامة هو من آمن به واتبعه، والكافر الهالك يوم القيامة من كفر به وخالفه، كما ذكر هنا في هذه الرؤيا: «ومحمد - صلى الله عليه وسلم - فَرْقٌ بين الناس».

قال التُّورْبِشْتي رحمه الله: «فإن كانت الراء مشددة من التفريق، فالمعنى: أنه ميز بينهم؛ فتبين به المطيع عن العاصي، والعاصي عن المطيع، وإن كانت الراء ساكنة فالفَرْقُ بمعنى الفارق، وهو في الأصل مصدر، فوصف به كالعدل».[2]

وقال الطيبي رحمه الله: «" محمد فرق بين الناس " كالتذييل للكلام السابق، لأنه مشتمل على معناه ومؤكد له».[3]

٤- حديث اختصام الملأ الأعلى، وقد رواه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - جملة من الصحابة رضوان الله عليهم، منهم ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة - قال أحسبه في المنام - فقال: يا محمد! هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا. قال: فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال في نحري - فعلمت ما في السموات وما في الأرض. قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم. قال: في الكفارات. والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره. ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال: يا محمد! إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون. قال: والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام».[4]

---

[1] انظر: تفسير الموطأ للقنازعي (١/ ١٧٦)، والاستذكار لابن عبد البر (٢/ ١٠١)، والتمهيد له (٢١/ ٧٣)، وشرح السنة للبغوي (٤/ ٦).

[2] الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (١/ ٧٧).

[3] شرح المشكاة للطيبي (٢/ ٦٠٨).

[4] حديث صحيح، وقد سبق تخريجه (ص: ٣٢٢).

وفي حديث معاذ رضي الله عنه: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني».[1]

في هذه الرؤيا دلالات عقدية عدة فيما يتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي:

أ- عناية الله – عز وجل – بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتكريمه إياه، وذلك أنه – سبحانه وتعالى – أتاه في منامه، وأنه – صلى الله عليه وسلم – رأى ربه في المنام في أحسن صورة، وأنه تعالى خاطب نبيه وناداه باسمه المشهور محمد، وعلمه من لدنه علمًا عظيمًا، بعد أن وضع يده الشريفة بين كتفيه، وأرشده إلى طاعات عظيمة يتخاصم في شأنها الملأ الأعلى، وإلى دعوات مباركات يدعوه بها، ولقد صدق الله – جل شأنه – إذ يقول لنبيه: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: ١١٣].

ب- أن نبينا محمدًا – صلى الله عليه وسلم – لا يعلم الغيب المطلق، فإنه لم يدر فيم يختص الملأ الأعلى إلا بعد أن أطلعه الله تعالى على ذلك، وذلك لأنه {لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} [الجن: ٢٦ – ٢٨].

واستدل بعض الغلاة من الصوفية بقوله – صلى الله عليه وسلم – هنا: «فعلمت ما في السموات وما في الأرض» وفي بعض ألفاظه: «فعلمت ما بين المشرق والمغرب»[2]، وفي لفظ: «فتجلى لي كل شيء، وعرفت»[3]؛ على أنه – صلى الله عليه وسلم – يعلم الغيب مطلقًا، وهذا استدلال باطل؛ لأن معنى الحديث: أن الله سبحانه كشف له عن الأعيان الموجودة إذ ذاك، حيث كان السؤال عن اختصام الملأ الأعلى، فأجاب – صلى الله عليه وسلم – بعدم العلم، ثم بعد أن علّمه الله أجاب

---

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه (ص: ٣٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٣٦٧ رقم: ٣٢٣٤) وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه».

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٣٦٨ رقم: ٣٢٣٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح».

عن الدرجات والكفارات، فهذا السؤال كان عما هو موجود من ذلك الاختصام، والتعليم أيضًا كان عما هو موجود منه، فليس فيه معنى كشف وقت الساعة، ولا علم ما سيكون كليًّا، وإلا تعارض الحديث مع النصوص الكثيرة المتواترة – من جهة الدلالة – التي فيها عدم علمه – عليه الصلاة والسلام – بالغيب وبما في الصدور.

وأيضًا على فرض حمل حديث الاختصام على الغيب المستقبلي؛ فما أطلعه النبي – صلى الله عليه وسلم – من أمر ما سيكون إلى قيام الساعة إنما هو على سبيل الإجمال وليس التفصيل، لذلك تجد بيان عائشة – رضي الله عنها – في ردّها على من زعم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – يعلم ما في غد[1]، حيث قالت رضي الله عنها: «ومن زعم أنه – تعني: محمدًا – يخبر بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: ٦٥]».[2]

قال العلامة أبا بطين رحمه الله: «وليس في ذلك ما يدل على أنه – صلى الله عليه وسلم – علم على ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ، ولا أنه علم مفاتيح الغيب. قال غير واحد ممن شرح الحديث: يحمل ذلك على أن الله سبحانه كشف له عن الأعيان الموجودة إذ ذاك. وهذا هو الظاهر، وهو صريح رواية: " فعلمت ما في السماء والأرض " ورواية: " فعلمت ما بين المشرق والمغرب ". و "ما" موصولة، أي: فعلمت الذي بين المشرق والمغرب، أي الموجود بينهما، يوضح ذلك لو قلت: " دخلت دار فلان فعلمت ما فيها " إنما يتناول علمك الموجود فيها من الأشياء حين دخولك، لا ما يوجد فيها بعد ذلك، والله أعلم».[3]

وقال العلامة أبو الحسن المباركفوري رحمه الله: «وقد تمسك به بعض القبوريين على أنه – صلى الله عليه وسلم – كان عالمًا بجميع ما كان وما يكون من المغيبات علمًا كليًّا تفصيليًّا محيطًا، بناءً على أن لفظ الكل من ألفاظ العموم

---

[1] انظر: التوضيح الرشيد في شرح التوحيد لأبي عبد الله الحقوي (ص: ٥٦٧).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} [الجن: ٢٦] (٦/ ٢٦٨٧ رقم: ٦٩٤٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: {وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣] وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء (١/ ١٥٩ رقم: ١٧٧).

[3] تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس (ص: ٣٩- ٤٠).

والاستغراق وإحاطة الأفراد. ولا متمسك لهم فيه؛ لأن لفظ الكل لا يراد به الاستغراق دائمًا كما في قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: ١٨٥] وقد أطلق لفظ النفس على ذاته تعالى في قوله: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة: ١١٦] ... وكما في قوله تعالى: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [الأحقاف: ٢٥] وقوله تعالى: {يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ} [القصص: ٥٧] وقوله تعالى: {وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج: ٢٧] ... وغير ذلك من الآيات والأحاديث. ولا يخفى على من له أدنى شيء من العقل والفهم أن لفظ الكل في هذه الآيات والأحاديث ليس لاستغراق وإحاطة الأفراد؛ لفساد المعنى في بعضها ولزوم الاستحالة في بعضها، مع ذلك إن حمل على العموم والاستغراق فعلم بذلك أن لفظ الكل لا يكون دائمًا للاستغراق الحقيقي التام، ولذلك اتفق العلماء على جواز تخصيص ألفاظ العموم ... وإذا كان الأمر كذلك جاز، بل وجب أن يقال: إن لفظ الكل في حديث معاذ بن جبل هذا ليس للاستغراق وعموم الأفراد؛ لقيام القرائن القوية والدلائل الواضحة على ذلك ... وإذا كان كذلك بطل استدلالهم به على ما ابتدعوه. ومما يدل على عدم إرادة الاستغراق في الحديث، الآيات والأحاديث الصريحة الدالة على نفى علمه - صلى الله عليه وسلم - ببعض المغيبات من الممكنات ... ومما يدل على ذلك أيضًا سياق هذا الحديث، فإنه يدل على أن المراد بقوله: " تجلى لي كل شيء " أي: ظهر وانكشف لي كل شيء مما يتعلق باختصام الملأ الأعلى، لا جميع ما كان وما يكون كما لا يخفى على المتأمل».[1]

ج- أن نبينا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - لا يعمل شيئًا من تلقاء نفسه، وإنما يتبع ما يوحى إليه من ربه، كما قال تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الأحقاف: ٩]، وقال جل شأنه: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ١ - ٤]، وشاهِدُ ذلك من هذه الرؤيا هو هذه الإرشادات الربانية لنبينا صلى الله عليه وسلم، كقوله عز وجل: «يا محمد! إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات ...».

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٤٦٢ - ٤٦٣).

د- حاجة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى مغفرة الله تعالى ورحمته وعونه، وإلى أن يقيه الله الفتن، ولهذا أرشده ربه – عز وجل – إلى أن يسأل ربه ذلك كله.

٥- حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم رأيتُني أُتِيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي». قال أبو هريرة: فقد ذهب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنتم تلغثونها أو ترغثونها أو كلمة تشبهها. وفي لفظ: تنتثلونها.[١]

٦- حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أيضًا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب، فكبرا عليّ، فأوحي إلي أن انفخهما، فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة».[٢]

٧- حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعتُه. وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله[٣]، وإني لأراك الذي أُريتُ فيك ما رأيت». فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأُوحي إليَّ في المنام

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بعثت بجوامع الكلم» (٦/ ٢٦٥٤ رقم: ٦٨٤٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا (١/٣٧٠ رقم: ٥٢٣). **تلغثونها**: أي تأكلونها، من " اللَّغيث " وهو طعام يُغَشُّ – يخلط – بالشعير. **ترغثونها**: أي ترضعونها، من قولهم: رغث الجدي أمه، إذا رضعها. **تنتثلونها**: أي تستخرجونها، يقال: انتثل ما في كنانته، أي استخرج ما فيها من السهام. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/ ٢٣٨) و (٤/ ٢٥٦) و (٥/ ١٦)، ومجمع بحار الأنوار للصديقي (٢/ ٣٤٥) و (٤/ ٤٩٢ و ٦٥٨).

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال (٤/ ١٥٩١ رقم: ٤١١٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤى باب رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٧٨١ برقم: ٢٢٧٤).

[٣] أي: ليُهلِكَنَّك الله، وأصلُ العَقْر: ضَرْب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم. النهاية لابن الأثير (٣/ ٢٧١).

أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي». فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة.[1]

وفي لفظ للبخاري: «بينا أنا نائم أُريتُ أنه وضع في يدي سواران من ذهب، ففظعتهما وكرهتهما، فأذن لي فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان». فقال عبيد الله: أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن، والآخر مسيلمة الكذاب.[2]

٨- حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات غداة فقال: «رأيت آنفًا أني أعطيت الموازين والمقاليد، فأما المقاليد فهذه المفاتيح، وأما الموازين فهي التي تَزِنُونَ بها، فوُضِعتُ في كِفَّة ووُضعَتْ أمتي في كِفَّة فرجَحتُ بهم، فجيء بأبي بكر فرَجَح، ثم جيء بعمر فرَجَح، ثم جيء بعثمان فرَجَح». ثم قال: «رُفِعَتْ»، قال: فقال له رجل: فأين نحن؟ قال: «حيث جعلتم أنفسكم».[3]

---

(1) متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٩٦).

(2) صحيح البخاري: كتاب المغازي باب قصة الأسود العنسي (٤/ ١٥٩١ رقم: ٤١١٨).

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٧٦ رقم ٣٠٤٨٤)، وأحمد في مسنده (٩/ ٣٣٨ رقم: ٥٤٦٩)، وعبد ابن حميد في مسنده (٢/ ٥٨ رقم: ٨٤٨). وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٢٥ رقم: ١١٣٨)، والآجري في الشريعة (٤/ ١٨٦٥ رقم: ١٣٣٣)، والطبراني في المعجم الكبير بتحقيق فريق من الباحثين للجزئين: ١٣، ١٤ (١/ ٦٦ رقم: ١٣٦٩٥) وغيرهم، كلهم من طريق: أبي داود عمر بن سعد الحَفَري عن بدر بن عثمان عن عبيد الله بن مروان ثنا أبو عائشة عن ابن عمر به. قال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ٣٥٥ رقم: ٦٠١٣): «هذا إسناد صحيح». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٩ رقم: ١٤٣٨٦): «رجاله ثقات». وصححه الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٥٢٥ رقم: ١١٣٨) وقال: «حديث صحيح، ورجال إسناده ثقات رجال مسلم، غير عبيد الله بن مروان لا يعرف إلا من رواية بدر بن عثمان، ومع ذلك وثقه ابن حبان، وأبو عائشة الظاهر أنه مسروق بن الأجدع ابن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة». ولكنه ضعفه في السلسة الضعيفة (٢٤/ ١٠٩٧- ١٠٩٩ رقم: ٦٤٨٦). قلت: علة هذا الإسناد عند من ضعفه: عبيد الله بن مروان وشيخه أبو عائشة، أما أبو عائشة في هذا الإسناد فقال عنه علي ابن المديني كما في تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧/ ١١٦): «لا نعرفه». وقال البخاري في الكنى (ص: ٦٠): «كان رجل صدق». وهذا يعني أنه لا يراه مسروقَ بن الأجدع، وقال أبو القاسم الطبراني في الموضع المشار إليه آنفًا من المعجم الكبير: «أبو عائشة عندي: مسروقُ بن الأَجْدَع، واللهُ أعلم». وتقدم قول الألباني: «وأبو عائشة الظاهر أنه مسروق بن الأجدع». وأما عبيد الله فهو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٤٠٠ رقم: ١٢٩١)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/ ٣٣٤ رقم: ١٥٧٩) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ١٥١ رقم: ٩٤٢٣)، وكذلك ابن قُطْلُوبُغا في الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٧/ ٤٠ رقم: ٧٤٩١)، وتوثيقه هو ظاهر صنيع البوصيري والهيثمي كما تقدم، إلا أنه لا يعرف بالرواية إلا في هذا الحديث، ولم يرو عنه إلا بدر بن عثمان، فيكون مجهول الحال. وعلى كل فإن الحديث - فيما يظهر لي - له شواهد يتقوى بها، فالجزء الأول منه يشهد له ما ذكرته هنا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والجزء الأخير أيضًا له شواهد ستأتي معنا في مبحث الصحابة إن شاء الله.

هذه الرؤى وتعابيرها سردتها جميعًا هنا لأنها قريبة الدلالة والمعاني، وتشتمل على دلالات عقدية فيما يتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، نذكرها فيما يلي:

أ- **ذكر خِصِّيصَتَين من الخصائص التي فُضِّل بها نبينا محمد** - صلى الله عليه وسلم - **على سائر إخوانه الأنبياء**، وهما:

١- أنه - عليه الصلاة - أعطي مفاتيح خزائن الأرض، دلَّ على ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الأول وفيه: «وبينا أنا نائم رأيتُني أُتِيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي»، ذكر ذلك في سياق تعديد بعض ما فضله الله به على سائر الأنبياء، حيث ذكر قبله: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب ...». وكذلك دلّ عليه حديثه الثاني ولفظه: «بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض ...»، ودلَّ عليه أيضًا حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - ولفظه: «رأيت آنفًا أني أعطيت الموازين والمقاليد، فأما المقاليد فهذه المفاتيح، وأما الموازين فهي التي تَزِنُونَ بها ...».

وقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يؤكد أن هذه الخصلة اختص بها نبينا - صلى الله عليه وسلم - عن سائر الأنبياء، وذلك في حديث علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - مرفوعًا: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء» فقلنا: يا رسول الله! ما هو؟ قال: «نُصرت بالرعب، وأُعطيت مفاتيح الأرض، وسُمِّيت أحمد، وجُعل التراب لي طهورًا، وجُعلت أمتي خير الأمم».[1]

وعن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: «أتيت بمفاتح خزائن الأرض فوضعت في يدي» يقول الإمام الخطابي رحمه الله: «يحتمل أن يكون هذا القول إشارة إلى ما فتح لأمته من الممالك، فغنموا أموالها، واستباحوا خزائن ملوكها المدخرة، كخزائن كسرى وقيصر وغيرهما من الملوك. ويحتمل أن يكون المراد به معادن الأرض، التي فيها الذهب والفضة وأنواع الفلز، جُعلتْ في يده بمعنى العِدَةِ أنْ ستفتح تلك

[1] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٠٤ رقم: ٣١٦٤٧)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٥٦ رقم: ٧٦٣) و (٢/ ٤٦٠ رقم: ١٣٦١)، وضياء المقدسي في المختارة (٢/ ٣٤٨ و ٣٤٩ رقم: ٧٢٨ و ٧٢٩)، وفي إسناده: عبد الله بن محمد بن عقيل، قال عنه الحافظ في التقريب (١/ ٤٢٠ رقم: ٣٩٧٨): «صدوق، في حديثه لين، ويقال: تغير بآخره». ولذلك هذا الإسناد حسن، ولكن الحديث صحيح بشواهده، كما بين ذلك الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧/ ١٦٤٣- ١٦٤٥ رقم: ٣٩٣٩)، وهذا هو ما استقر عليه رأيه، وكان من قبل يضعف هذا الإسناد كما في الإرواء (١/ ٣١٧) وضعيف الجامع (ص: ١٣٥ رقم: ٩٥٢).

البلدان التي فيها هذه المعادن والخزائن فتكون لأمته، ولذلك يقول أبو هريرة: "فقد ذهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنتم تنتثلونها". أي: تثيرونها من مواضعها وتستخرجونها». [١]

وقال النووي رحمه الله: «قال العلماء: هذا محمول على سلطانها وملكها وفتح بلادها وأخذ خزائن أموالها، وقد وقع ذلك كله ولله الحمد، وهو من المعجزات». [٢]

٢- أنه - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين فلا نبي بعده، فكل من ادعى النبوة بعد نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو كذاب، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: ٤٠].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي». [٣]

وعن سعد ابن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». [٤]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون». [٥] وهذا صريح في اختصاصه - صلى الله عليه وسلم - بهذه الخصلة.

وفي حديث الشفاعة: «فيأتوني فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ اشفع لنا إلى ربك». [٦]

---

[١] أعلام الحديث (٢/ ١٤٢٢). وانظر: شرح السنة (١٣/ ١٩٩).

[٢] شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣٦)، و لعل الإمام النووي – رحمه الله - نقل هذا الكلام عن القاضي عياض - رحمه الله - في إكمال المعلم (٧/ ٢٣٤) دون العزو إليه.

[٣] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٩٦).

[٤] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي باب غزوة تبزك وهي غزوة العسرة (٤/ ١٦٠٢ رقم: ٤١٥٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤/ ١٨٧٠ رقم: ٢٤٠٤).

[٥] أخرجه مسلم صحيحه: كتاب المساجد باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا (١/ ٣٧١ رقم: ٥٢٣).

[٦] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير باب سورة بني إسرائيل الإسراء (٤/ ١٧٢٥ رقم: ٤٤٣٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٤ رقم: ١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأوضح النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا الأمر توضيحًا جليًّا حيث ضرب له مثلاً واضحًا مبينًا فقال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي؛ كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاَّ وضعت هذه اللبنة؟! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين».[1]

والشاهد على هذه الخصيصة من الرؤيا التي معنا: ما ورد في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – من قوله صلى الله عليه وسلم: «بينا أنا نائم أُتيتُ بخزائن الأرض، فوُضع في كفَّيَّ سواران من ذهب، فكبرا عليّ، فأوحي إلي أن انفخهما، فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذَّابَيْنِ اللَّذَين أنا بينهما: صاحبَ صنعاء، وصاحبَ اليمامة».

ولفظ حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «فأولتهما كذّابين يخرجان من بعدي».

قال الراوي: فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة.

قوله: «أُتيت بخزائن الأرض فوُضع في كفَّيَّ سواران من ذهب» أي: عُرِضَ عليَّ الكنوزُ وأنواعُ المال فوُضعَ منها سِوَارانِ في كفي.[2]

قال ابن بطال رحمه الله: «قال المهلب: هذه الرؤيا ليست على وجهها، وإنما هي على ضرب المثل، وإنما أولهما النبي بالكذابين؛ لأن الكذب إنما هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به، ووضعه في غير موضعه، فلما رآهما في ذراعيه وليسا موضعًا للسوارين، لأنهما ليسا من حلية الرجال؛ علم أنه سيقضي على يدي النبي – يعني على أوامره ونواهيه – من يدعي ما ليس له، كما وضعا حيث ليس لهما، وكونهما من ذهب، والذهب منهي عنه في الدين؛ دليل على الكذب من وجوه: أحدها: وضع الشيء غير موضعه. والثاني: كون الذهب مستعملاً في الرجال، وهو منهي عنه، والذهب مشتق منه الذهاب، فعلم أنه شيء يذهب عنه ولا يبقى، ثم وكد له الأمر فأذن له في نفخهما فطارا، عُبارُه[3] أنهما لا يثبت لهما أمر، وأن كلامه – عليه السلام – بالوحي الذي جاءه به يزيلهما ... والنفخ دليل على الكلام».[4]

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم (٣/ ١٣٠٠ رقم: ٣٣٤٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (٤/ ١٧٩١ رقم: ٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (٥/ ١٠٩).

(3) أي: تعبيره.

(4) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٥٤٨- ٥٤٩).

قوله: «فكبرا عليّ» أي: ثقلا وعظما علي.[١] وفي لفظ: «فأهمني شأنهما» أي: أحزنني أمرهما.[٢] وفي لفظ: «ففظعتهما وكرهتهما» أي: اشتد علي أمرهما وكرهي لهما.[٣]

قال ابن هبيرة رحمه الله: «وأما اهتمام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما رأى في يديه من السوارين، فإنما أهمه ذلك من أجل أن ذلك مما يلبسه النساء، فإذا لبسه الرجال دل على وهن في الحال؛ لأن المرأة ذات وهن، فلما نفخهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فطارا فاستدل بذلك على أنهما كذّابان يحلان في غير محلهما، من جهة أن السوار من حلي النساء، فإذا دلا[٤] في يدي رجل فقد كذبا عن المحل الذي عرفا به، فلما طارا بالنفخ – وهو أسهل ما يكون من الآدمي – أوَّلَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه كذب هادر، لا يؤثر في دينه، وأن نفخه أطارهما، فكان ما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من كلامه الحقِّ، ووصاياه الصدقِ؛ هي التي اعتمد عليها المسلمون، وتمسك بها المؤمنون حتى قتلوا مسيلمة، وهذا لأن النفخ من حديث[٥] يخرج الكلام، فكان هذا التأويل موافقًا لما جرى».[٦]

وعقيدة ختم النبوة بنبوة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – من أهم مسائل الاعتقاد بل من أصولها، يقول الأستاذ الدكتور أحمد بن سعد آل حمدان الغامدي رحمه الله: «إن عقيدة ختم النبوة المحمدية هي إحدى أهم العقائد الأساسية في الإسلام، والتي لا يكمل إيمان المسلم بدونها، وهي السياج المنيع للأمة الإسلامية من كل وارد غريب، أو متسلل مريب يريد أن يمزق الأمة أو يصرفها عن دينها، وذلك لأن عقيدة الختم تعني استمرارية القيادة المحمدية للأمة الإسلامية إلى قيام الساعة وانتهاء العالم، ولم يعد هناك مجال لظهور قيادات أخرى تحل محله – صلى الله عليه وسلم – أو تنافسه في ذلك».[٧]

---

[١] انظر: المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (٥/ ١٠٩)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/ ٢٣٦).

[٢] انظر: عمدة القاري للعيني (١٦/ ١٥٢).

[٣] انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٩٣).

[٤] هكذا في المطبوع، ولعله: حَلاَّ.

[٥] هكذا في المطبوع، ولعله: حيثُ.

[٦] الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٤٤).

[٧] عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية (ص: ٥).

وهذه العقيدة رغم كونها إحدى العقائد المعروفة من الدين بالضرورة، ورغم وضوح أدلتها من الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ إلا أن هناك من خالفها وانحرف فيها قديمًا وحديثًا، وهناك من ناقض هذه العقيدة بأن ادعى النبوة بعد نبينا – صلى الله عليه وسلم – لنفسه أو لغيره.

فمن المخالفين لهذه العقيدة قديمًا بعض المتفلسفة كابن سينا وأمثاله، وبعض ملاحدة الصوفية كالسهروردي وابن سبعين وغيرهما، ممن ذهبوا إلى أن النبوة مكتسبة، وأن الإنسان يستطيع البلوغ إلى مرتبة النبوة بما فيه من استعداد لكمال تزكية النفس وإصلاحها، وقد سبق الرد على هذه الدعوى في حديثنا عن دلالات رؤيا يوسف عليه السلام.

يقول السفاريني – رحمه الله – مبينًا وجه مخالفة هذا المذهب لعقيدة ختم النبوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله؛ لأنه يقتضي كلامه واعتقاده أن لا تنقطع، وهو مخالف للنص القرآني، والأحاديث المتواترة بأن نبينا – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين عليهم السلام».[1]

ومن المنحرفين في هذا الباب ابن عربي الشيخ الأكبر للصوفية، حيث زعم أن النبوة سارية ولم تنقطع، وأن الذي انقطع هو نبوة التشريع فقط، قال: «فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق، وإن كان التشريع قد انقطع، فالتشريع جزء من أجزاء النبوة، فإنه يستحيل أن ينقطع خبر الله وأخباره من العالم، إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده».[2]

ثم هو طرحَ سؤالاً وأجاب عنه بما يفيد أن النبوة عنده مكتسبة وأنها مستمرة، فقال: «ما النبوة؟ الجواب: النبوة منزلة يُعَيِّنها رفيع الدرجات ذو العرش، يُنزلها العبدُ بأخلاق صالحة وأعمال مشكورة حسنة في العامة، تعرفها القلوب ولا تنكرها النفوس، وتدل عليها العقول، وتوافق الأغراض، وتزيل الأمراض، فإذا وصلوا إلى هذه المنزلة فتلك منزلة الإنباء الإلهي المطلق لكل من حصل في تلك المنزلة من رفيع الدرجات ذي العرش. فإن نظر الحق من هذا الواصل إلى تلك المنزلة نظر استنابة وخلافة ألقى الروح بالأنباء من أمره على قلب ذلك الخليفة المعتنى به، فتلك نبوة التشريع ... وأما النبوة العامة فأجزاؤها لا تنحصر، ولا يضبطها عدد، فإنها غير

---

(1) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٨).

(2) الفتوحات المكية لابن عربي (٢/ ٩٠).

مؤقتة، لها الاستمرار دائمًا دنيًا وآخرة، وهذه مسألة أغفلها أهل طريقنا، فلا أدري عن قصد منهم كان ذلك أو لم يُوقِفْهم اللّٰه عليها، أو ذكروها وما وصل ذلك الذكر إلينا؟! واللّٰه أعلم بما هو الأمر عليه».[1]

ويقول: «إن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما هي نبوة التشريع لا مقامها، فلا شرع يكون ناسخًا لشرعه صلى الله عليه وسلم، ولا يزيد في حكمه شرعًا آخر، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الرسالة والنبوة انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي"[2]، أي: لا نبيّ بعدي يكون على شرع يكون مخالفًا لشرعي، بل إذا كان، يكون تحت حكم شريعتي. "ولا رسول" أي: لا رسول بعدي إلى أحد من خلق اللّٰه بشرع يدعوهم إليه، فهذا هو الذي انقطع وسدّ بابه، لا مقام النبوة».[3]

ثم استدل على هذا التأويل الفاسد بنزول عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان، وبرَّرَ به قول القائلين بأن النبوة مكتسبة، فقال: «فإنه لا خلاف أن عيسى - عليه السلام - نبي ورسول، وأنه لا خلاف أنه ينزل في آخر الزمان حكمًا مقسطًا عدلاً بشرعنا لا بشرع آخر، ولا بشرعه الذي تعبَّدَ اللّٰهُ به بني إسرائيل ... فهذا نبي ورسول قد ظهر بعده - صلى اللّٰه عليه وسلم - وهو الصادق في قوله: إنه لا نبي بعده. فعلمنا قطعًا أنه يريد التشريع خاصة، وهو المعبَّر عنه عند أهل النظر بالاختصاص، وهو المراد بقولهم: إن النبوة غير مكتسبة. وأما القائلون باكتساب النبوة فإنهم يريدون بذلك حصول المنزلة عند اللّٰه المختصة، من غير تشريع، لا في حق أنفسهم ولا في حق غيرهم، فمن لم يعقل النبوة سوى عين الشرع ونصب الأحكام قال بالاختصاص، ومنع الكسب، فإذا وقفتم على كلام أحد من أهل اللّٰه أصحاب الكشف يشير بكلامه إلى الاكتساب، كأبي حامد الغزالي وغيره؛ فليس مرادهم سوى ما ذكرناه».[4]

وهذا استدلال باطل، فليس الجمع بين الحديث وبين نزول عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان هو ما ذهب إليه، بل المراد بالحديث هو نفي إنشاء نبوة

---

[1] المرجع السابق.

[2] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ١٠٧).

[3] الفتوحات المكية لابن عربي (٢/ ٣).

[4] المرجع السابق.

جديدة بعد نبوته صلى الله عليه وسلم، أما نبوة عيسى – عليه السلام – فهي سابقة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، ومستمرة إلى أن يتوفاه الله في آخر الزمان، فلا يتعارض مع الحديث المذكور.

ولأن شريعة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – خاتمة الشرائع، وهي شريعة محكمة ثابتة راسخة لا تقبل النسخ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولأن مصدرها الذي هو الكتاب والسنة باق ومحفوظ إلى قيام الساعة، ولأن طائفة من هذه الأمة المحمدية لا تزال باقية قائمة على الحق منصورين إلى قيام الساعة؛ ينزل عيسى – عليه السلام – حَكَمًا مقسِطًا عدلاً يحكم بين الناس بشريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – متبعًا لها، حتى إنه لا يرضى أن يتقدم إمامًا في الصلاة دفعًا لأي شبهة حول عقيدة ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم.[١]

قال ابن الجوزي رحمه الله: «لو تقدم عيسى إمامًا لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أتراه تقدَّم نائبًا أو مبتدئًا شرعًا؟! فصلى مأمومًا لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجهُ قولِه: "لا نبي بعدي"».[٢]

فالنبوة والرسالة قد انقطعتا بموت نبينا صلى الله عليه وسلم، فلا نبوة ولا رسالة تنشأ بعده، لا نبوة تشريع ولا نبوة عامة كما يزعم ابن عربي، وأما عيسى – عليه السلام – فنبوته ورسالته سابقة لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولا ينزل بنبوة جديدة ولا برسالة ناسخة.

ومما يوضح ذلك حديث أنس – رضي الله عنه – المتقدم: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي» قال: فشق ذلك على الناس، فقال: «لكن المبشرات» قالوا: يا رسول الله! وما المبشرات؟ قال: «رؤيا المسلم».[٣]

---

[١] أخرج الحديث في ذلك البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (١٢٧٢/٣ رقم: ٣٢٦٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١/ ١٣٦ رقم: ١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١/ ١٣٧ رقم: ١٥٦) عن جابر رضي الله عنه.

[٢] فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٩٤).

[٣] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ١٠٧).

ومن انحرفوا في هذا الباب انحرافًا بعيدًا: الفرقة القاديانية أو الأحمدية أتباع المتنبئ الكذاب ميرزا غلام أحمد، حيث زعموا أن النبوة مستمرة ولم تنقطع، وأن المراد بالخاتم في قوله تعالى: {وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠] هو الزينة والجمال والكمال والفضل، وأن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبوة، تشبيهًا له بالخاتم الذي يلبس بالأصبع، فهو - عليه الصلاة والسلام - في الأنبياء الأجمل والأكمل والأفضل، فلا يعني الوصف بـ(خاتم النبوّة) كونه آخرهم.[١]

وهذا منهم جهلٌ باللغة العربية، وتجاهلٌ للنصوص الشرعية، وإعراضٌ عن أقوال المفسرين، أما جهلهم باللغة العربية فمن حيث إنه لم يقل أحد من أهل اللغة في معنى "خاتَم النبيين": أجمل النبيين وأكملهم. بل قالوا: "خاتَم النبيين" يعني: آخرهم.[٢] بل قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «لا وجه للختم في كلام العرب إلا الطبع والفراغ». بل إن ابن فارس - رحمه الله - جعل أصله واحدًا وهو بلوغ آخر الشيء، ورد إليه كل مشتقاته.[٣]

وأما تجاهلهم للنصوص الشرعية فلأن هناك نصوصًا شرعية كثيرة تنص على أن نبينا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - آخر الأنبياء فلا نبي بعده، وأن من ادعى النبوة بعده فهو كذاب دجال، تقدم بعضها وسيأتي بعضها، وهم يتجاهلون هذه النصوص ولا يأخذون بها.

ثم إذا أمكنهم تأويل قراءة {خَاتَمَ} - بفتح التاء - بهذا المعنى العجيب، فكيف يصنعون بقراءة {خَاتِمَ} - بكسر التاء - وهي قراءة جمهور القراء[٤]، فإنها لا تحتمل هذا التأويل الفاسد، فإن {خَاتِمَ} اسم فاعل من "خَتَمَ الشَّيءَ" إذا بلغ

---

[١] انظر: القول الصريح في ظهور المهدي والمسيح لنذير أحمد القادياني (ص: ١٥٧- ١٥٩)، والقاديانية دراسات وتحليل لإحسان إلهي ظهير (ص: ٢٧٥- ٢٧٩)، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب العواجي (٢/ ٦٢٧- ٦٢٨).

[٢] انظر مثلاً: جمهرة اللغة لابن ديد الأزدي (١/ ٣٨٩)، وتهذيب اللغة للهروي (٧/ ١٣٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٣٢٤)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٠٨)، ومفردات ألفاظ القرآن للأصبهاني (ص: ٢٧٥)، ومختار الصحاح لزين الدين الرازي (ص: ٨٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/ ١٦٤).

[٣] انظر: معجم مقاييس اللغة (ص: ٣٢٤).

[٤] انظر: الوافي في شرح الشاطبية للقراءات السبع للقاضي (ص: ٣٤٥).

آخره.[1] قال القرطبي – رحمه الله – في تفسيره: «وخاتم: قرأ عاصم وحده بفتح التاء، بمعنى أنهم به ختموا، فهو كالخاتَم والطابع لهم. وقرأ الجمهور بكسر التاء، بمعنى أنه ختَمَهم، أي جاء آخرَهم. وقيل: الخاتَم والخاتِم لغتان، مثل طابَع وطابِع، ودانَق ودانِق».[2]

ولهم تأويلات أخرى سخيفة، يطول المقام بذكرها والرد عليها[3]، وكلها مردودة بهذه القاعدة العظيمة، وهي أن النبوة ختمت بنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – فلا نبي بعده، وأن كلَّ من ادعى النبوة بعده فهو كذاب دجال.

ب- **ذكر علَمٍ من أعلام نبوة نبينا محمد** صلى الله عليه وسلم، **وهو إخباره بأخبار مستقبلية وقعت كما أخبر**، ولذلك أمثلة كثيرة، ذُكر هنا مثالان اثنان:

١- إخباره بأنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض، وتقدَّم بأن المراد بها ما يفتح لأمته من الممالك، فيغنمون أموالها، ويستبيحون خزائن ملوكها المدخرة، كخزائن كسرى وقيصر وغيرهما من الملوك. أو المراد بها معادن الأرض من الذهب والفضة وأنواع الفِلِزّات التي تكون لهذه الأمة بعد فتح البلدان التي فيها هذه المعادن والخزائن، فيستخرجونها.

وقد وقع هذا الأمر كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال أبو هريرة – رضي الله عنه – بعد روايته لهذا الحديث: «فقد ذهب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنتم تنتثلونها».[4] أي: تثيرونها من مواضعها وتستخرجونها.

وقال النووي رحمه الله: «قال العلماء: هذا محمول على سلطانها وملكها وفتح بلادها وأخذ خزائن أموالها، وقد وقع ذلك كله ولله الحمد، وهو من المعجزات».[5]

---

[1] انظر: ما تقدمت الإشارة إليه من كتب اللغة.

[2] تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٦).

[3] انظر بعض هذه التأولات في القول الصريح في ظهور المهدي والمسيح لنذير أحمد القادياني (ص: ١٥٤- ١٨٠)، والقاديانية دراسات وتحليل لإحسان إلهي ظهير (ص: ٢٧٥- ٢٧٩)، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب العواجي (٢/ ٦٢٧- ٦٢٨).

[4] سبق تخريجه (ص: ٤٢٠).

[5] شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣٦)، و لعل الإمام النووي – رحمه الله – نقل هذا الكلام عن القاضي عياض – رحمه الله – في إكمال المعلم (٧/ ٢٣٤) دون العزو إليه.

والفتوحات الإسلامية عبر التاريخ، واغتنام المسلمين ما بأيدي الكفار من الكنوز والأموال، وما فتح الله به على الأمة الإسلامية من الخيرات؛ أكبر شاهد على تحقق هذا الوعد النبوي.

٢- ما أخبر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من ظهور المتنبئين الدجالين، الذين يدعون النبوة من بعده، ولقد سمّى من بينهم اثنين ظهرا في آخر حياته، وهما: صاحب صنعاء وهو الأسود العنسي، وصاحب اليمامة وهو مسليمة الكذاب.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: (اللذين أنا بينهما) ظاهر في أنهما كانا حين قص الرؤيا موجودين، وهو كذلك، لكن وقع في رواية ابن عباس: (يخرجان بعدي)، والجمع بينهما: أن المراد بخروجهما بعده ظهور شوكتهما ومحاربتهما ودعواهما النبوة، نقله النووي عن العلماء[1]. وفيه نظر؛ لأن ذلك كله ظهر للأسود بصنعاء في حياته صلى الله عليه وسلم، فادعى النبوة، وعظمت شوكته، وحارب المسلمين وفتك فيهم، وغلب على البلد، وآل أمره إلى أن قُتِلَ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قدمت ذلك واضحًا في أواخر المغازي، وأما مسيلمة فكان ادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لم تعظم شوكته، ولم تقع محاربته إلا في عهد أبي بكر، فإما أن يحمل ذلك على التغليب، وإما أن يكون المراد بقوله بعدي أي بعد نبوتي».[2]

وقد أخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أحاديث عن ظهور الكذابِين المدّعين للنبوة، وأنهم ثلاثون أو قريبٌ من ثلاثين كذّابًا، وأن آخرهم الأعور الدجال، وأن من بينهم أربع نسوة، وهذا كله من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعًا: «لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجّالون كذابون قريبٌ من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله».[3]

---

[1] انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣٤)، ولعل من هؤلاء العلماء الذين قصدهم النووي القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢٣٤).

[2] فتح الباري (١٢/ ٤٢٤).

[3] صحيح البخاري: كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣٢٠ رقم: ٣٤١٣)، وصحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٤/ ٢٢٣٩ رقم: ١٥٧).

وعن ثوبان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبيّ، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي».[(١)]

وعن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – مرفوعًا: «لن تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجّالاً كذَّابًا كلهم يكذب على الله – عز وجل – ورسوله صلى الله عليه وسلم، آخرهم الأعور الدجال».[(٢)]

وعن حذيفة – رضي الله عنه – أن نبي الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي».[(٣)]

والظاهر أن هذا العدد الذي أخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم – ليس المراد به كل من ادعى النبوة مطلقًا، وإنما المراد به من كانت له شوكة وأتباع، لأننا إذا تتبعنا جميع الذين ادعوا النبوة نجدهم لا يحصون كثرة، وإن كان أكثرهم من الحمقى والمجانين.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا؛ فإنهم لا يحصون كثرة، لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء[(٤)]، وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدت له شبهة ... وآخرهم الدجال الأكبر».[(٥)]

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٦/ ٣٠٥ رقم: ٤٢٥٢)، والترمذي في سننه (٤/ ٤٩٩ رقم: ٢٢١٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٦ رقم: ٣٧٥١٣)، وأحمد في مسنده (٣٣/ ٣٤٦- ٣٤٩ رقم: ٢٠١٧٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٣٢٥ رقم: ١٣٩٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٩٨ قم: ٢٩٥٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٨٩ رقم: ٦٧٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٤٥ رقم: ١٢٧٠) وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وإسناده يدور على ثعلبة بن عِبَاد العبدي، لم يرو عنه إلا الأسود بن قيس، ذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٩٨ رقم: ١٩٩٤)، وقال ابن حجر في التقريب (١/ ١٢٤ رقم: ٩٤٠): «مقبول». وباقي رجاله ثقات من رجال الشيخين. وانظر: السلسلة الصحيحة (٧/ ١٦٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨/ ٣٨٠ رقم: ٢٣٣٥٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٩٧ رقم: ٢٩٥٣)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٦٩ رقم: ٣٠٢٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٦٥٤-٦٥٥ رقم: ١٩٩٩) وقال: «وفي الحديث رد صريح على القاديانية وابن عربي قبلهم، القائلين ببقاء النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن نبيهم المزعوم ميرزا غلام أحمد القادياني كذاب ودجال من أولئك الدجاجلة».

(٤) **السوداء**: أحد الأخلاط الأربعة التي زعم الأقدمون أن الجسم مهيأ عليها، بها قوامه، ومنها صلاحه وفساده، وهي: الصفراء والدم والبلغم والسوداء. المعجم الوسيط (١/ ٤٦١).

(٥) فتح الباري (٦/ ٦١٧).

ومن ظهر من هؤلاء الثلاثين الكذابين: الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، وسجاح بنت الحارث التميمية ببني تميم، وطليحة بن خويلد الأسدي، والمختار ابن أبي عبيد الثقفي، والحارث بن سعيد الكذاب بدمشق[1]، وفي العصر الحديث ميرزا غلام أحمد القادياني بالهند.

ج- **أن نبينا** - صلى الله عليه وسلم - **كان يوحى إليه في المنام**، كما مر معنا في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا: «بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب، فكبرا عليّ، فأوحي إلي أن انفخهما، فنفختهما فذهبا».[2]

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «فأُوحي إليَّ في المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا».[3]

قال القسطلاني رحمه الله: «(فأُوحي إليَّ في المنام): وحي إلهام أو بواسطة الملك».[4]

وهذا ليس خاصًّا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم مرارًا تقرير أن رؤيا الأنبياء - عليه السلام - وحي.

د- **إظهار فضل نبينا محمد** - صلى الله عليه وسلم - **على جميع أمته،** ففي حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا: «رأيت آنفًا أني أعطيت الموازين والمقاليد، فأما المقاليد فهذه المفاتيح، وأما الموازين فهي التي تَزِنُونَ بها، فوُضِعتُ في كِفَّة ووُضعَتْ أمتي في كِفَّة فرجَحتُ بهم».[5]

وتقدم معنا حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوُزِنتَ أنت وأبو بكر فرجحتَ أنت بأبي بكر، ووُزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووُزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان. فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.[6] وسيتكرر معنا في مبحث الصحابة.

---

(1) انظر ترجمته وطرفًا من سيرته في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١١/ ٤٢٧- ٤٣١ رقم: ١١٣٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٣٨٦)، البداية والنهاية ط إحياء التراث (٩/ ٣٤).

(2) متفق عليه، سبق تخريجه (ص: ٤٢٠).

(3) متفق عليه، سبق تخريجه (ص: ٤٢١).

(4) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٦/ ٤٣٤).

(5) صحيح بشواهده، سبق تخريجه (ص: ٤٢١).

(6) حديث صحيح، سبق تخريجه (ص: ٣١١).

وفيما يلي أذكر جملة من الرؤى والتعابير فيها أمثلة عديدة من علامات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها بأمور غيبية مستقبلية فوقعت كما أخبر بها، وهي على النحو التالي:

٩– حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه[١]، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه[٢]، فنام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر[٣] ملوكًا على الأسرة – أو – مثل الملوك على الأسرة». قالت: فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال" «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله ...». كما قال في الأول. قالت: فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنتِ من الأولين». فركبتِ البحرَ في زمان معاوية ابن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها[٤] حين خرجت من البحر فهلكت.[٥]

ففي هذه الرؤيا وتعبيرها إخباره – عليه الصلاة والسلام – ببقاء أمته من بعده أصحابَ شوكة وقوة، وأنهم يغزون في سبيل الله، وأنهم يركبون البحر غزاة مثل الملوك على الأسرة، وضحكه – صلى الله عليه وسلم – فيها دليلٌ على أن الله يفتح لهم ويغنمهم، وأن أم حرام

---

[١] أم حرام بنت ملحان – رضي الله عنها – هي: أخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك رضي الله عنه، وستأتي ترجمتها.

[٢] **تَفْلِي رأسَه**: تفتش القمل من رأسه وتقتله. الكواكب الدراري للكرماني (١٢/ ٩٧).

[٣] **ثَبَجَ البحر**: ظهره، وقيل: وسطه، وقيل: هوله. والراجح الأول لوروده في بعض ألفاظ الحديث كما في صحيح مسلم (٣/ ١٥١٩ رقم: ١٩١٢) : «أريت قوما من أمتي يركبون ظهر البحر كالملوك على الأسرة». انظر: الصحاح للجوهري (١/ ٣٠١)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٢٠٦)، والفتح لابن حجر (١١/ ٧٤).

[٤] **صُرِعَتْ عن دابتها**: أي سقطت عن ظهر مركبها حين خرجت من البحر، فهلكت أي: ماتت. انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٢٤)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٧/ ٥٧).

[٥] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء (١٠٢٧/٣ رقم: ٢٦٣٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة باب فضل الغزو في البحر (٣/ ١٥١٨ رقم: ١٩١٢).

- رضي الله عنها - تعيش إلى ذلك الزمن، وأنها تكون منهم، وكون هؤلاء الغزاة أولين وآخرين، كما ذكر من ركوب أم حرام في الأولين، ولم يجعلها في الآخرين، ولا دعا لها بذلك لأنها ماتت قبل.[1]

وقد وقع جميع ما أخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذه الرؤيا وتعبيرها كما أخبر، حيث بقيت أمته من بعده أصحاب شوكة، وغزا المسلمون البلدان الكافرة، وتوسعت الفتوحات الإسلامية في خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما، وغزا المسلمون الرومَ لأول مرة عن طريق البحر بقيادة معاوية ابن أبي سفيان - رضي الله عنهما - في عهد عثمان رضي الله عنه، وشاركت أم حرام وزوجها عبادة بن الصامت - رضي الله عنهما - في هذه الغزوة، وتوفيت فيها، ثم وقعت الغزوة الثانية لفتح القسطنطينية في عهد معاوية - رضي الله عنها - بقيادة ابنه يزيد.

قال ابن كثير رحمه الله: «وفيه من دلائل النبوة ثلاث: إحداها الإخبار عن الغزوة الأولى في البحر، وقد كانت في سنة سبع وعشرين مع معاوية ابن أبي سفيان، حين غزا قبرص، وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان، وكانت معهم أم حرام بنت ملحان هذه صحبةَ زوجها عبادة بن الصامت، أحد النقباء ليلة العقبة، فتوفيت مرجعهم من الغزو، قيل: بالشام كما تقدم في الرواية عند البخاري، وقال ابن زيد: توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين. والغزوة الثانية غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها، وكان أميرها يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان، وذلك في سنة ثنتين وخمسين، وكان معهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، فمات هنالك رضي الله عنه وأرضاه، ولم تكن هذه المرأة معهم، لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك في الغزوة الأولى، فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة: الإخبار عن الغزوتين، والإخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين، وكذلك وقع صلوات الله وسلامه عليه».[2]

١٠- حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنه قال: رأيت فيما يرى النائم لكأنَّ في إحدى أصبعي سمنًا وفي الأخرى عسلاً فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «تقرأ الكتابين: التوراة والفرقان». فكان يقرؤهما.[3]

---

[1] انظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (٥/ ١٠- ١١)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٦/ ٣٤٠)، والكواكب الدراري للكرماني (١٢/ ٩٨)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٧٧).

[2] البداية والنهاية (٦/ ٢٤٩).

[3] حديث حسن، سبق تخريجه (ص: ٣٩٠).

وفي تعبير هذه الرؤيا إخباره – صلى الله عليه وسلم – عبدَ الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – بأنه يقرأ الكتابين: التوراة والفرقان، فكان يقرؤهما.

ومما يدل على تحقُّق هذا الخبر ما رواه البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في التوراة. قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥]. وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيْتُك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب[1] في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا.[2]

١١– حديث أم الفضل – رضي الله عنها – قالت: قلت: يا رسول الله! رأيت كأنَّ في بيتي عضوًا من أعضائك. قال: «خيرًا رأيت، تلد فاطمة غلامًا فترضعيه» فولدَتْ حسينًا أو حسنًا فأرضعته بلبن قُثَم.[3]

وفي لفظ: رأيتُ كأنَّ في بيتي عضوًا من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فجزعت من ذلك، فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكرت ذلك له، فقال: «خيرًا رأيتِ، تلد فاطمة غلامًا، فتَكْفَلِينه بلبنِ ابنك قثم» قالت: فولدَتْ حسنًا، فأُعطِيتُه، فأرضعتُه حتى تحرك أو فطمته.[4]

وفي تعبيره – صلى الله عليه وسلم – لهذه الرؤيا إخباره أمَّ الفضل – وهي زوجة عمه العباس بن عبد المطلب – بأن ابنته فاطمة – رضي الله عنها – تلد غلامًا، وأنها ترضعه بلبن ابنها قُثَم، فولدَتْ فاطمةُ حسنًا – رضي الله عنهما – فأرضعته أم الفضل بلبن ابنها قُثَم.

١٢– حديث أبي موسى – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه و سلم – قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وَهَلِي[5] إلى أنها اليمامة

---

[1] **السخاب**: من السَّخَب وهو الصياح، ويروى بالصاد المهملة، والسَّخَبُ والصَّخَب: بِمَعْنَى الصِياح. والصادُ والسينُ يجوز في كلِّ كلمة فيها خاء. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٤٩) ولسان العرب لابن منظور (١/ ٤٦٢).

[2] صحيح البخاري: كتاب البيوع باب كراهية السخب في الأسواق (٢/ ٧٤٧ رقم: ٢٠١٨).

[3] أخرجه ابن ماجه في سننه (٥/ ٧٦ رقم: ٣٩٢٣). قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

[4] أخرجه أحمد في مسنده (٤٤/ ٤٤٥- ٤٤٦ رقم: ٢٦٨٧٥) وإسناده صحيح.

[5] **وَهَلِي**: أي: وهمي وظني، يقال: وهَل إلى الشيء يَهِلُ وهْلاً: إذا ذهب وهمه إليه. انظر: النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٣٣).

أو هجر[1]، فإذا هي المدينة يثرب. ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته بأخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين. ورأيت فيها بقرًا والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر».[2]

وفي هذه الرؤيا وتعبيرها إخباره - صلى الله عليه وسلم - بأنه سيهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، أي: المدينة، فوقع الأمر كما أخبر.

وتردد النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الرؤيا في شأن الأرض التي يهاجر إليها؛ لأنه أُريها بصفة تجمع المدينةَ وغيرَها، وهي كونها ذات نخل، ثم أُري الصفة المختصة بالمدينة فتعيَّنت[3]، كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال للمسلمين: «إني أُريتُ دارَ هجرتكم ذاتَ نخل بين لابتين». وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة.[4]

وباقي الرؤيا تشبه ما ورد في الحديث التالي:

١٣- حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: تنفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيفه ذا الفقار يوم بدر[5]، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، فقال: «رأيت

---

[1] **اليَمَامة**: - بفتح الياء والميم - مدينة بقرب اليمن، على أربع مراحل من مكة ومرحلتين من الطائف، وهي معدودة من نجد، وقاعدتها حجر، وتسمى: جوّا والعَروض، بفتح العين، وكان اسمها قديمًا جوّا فسميت اليمامة، قيل: سميت باسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، فقيل: هو أبصر من زرقاء اليمامة، فسميت اليمامة لكثرة ما أضيف إليها، والنسبة إليها: يمامي. انظر: معجم البلدان للياقوتي (٥/ ٤٤٢)، والتوضيح لابن الملقن (٢٠/ ٢٠٤).
هَجَر: - بفتح الهاء والجيم -، ويقال أيضًا: "الهجر" بالألف واللام، وهي مدينة باليمن، وهي قاعدة البحرين، بينها وبين البحرين عشر مراحل. وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب، سميت باسم هجر بنت المكفف وكانت من العرب المتعرّبة، والنسبة إليها: هاجريّ. انظر: معجم البلدان للياقوتي (٥/ ٣٩٣)، والتوضيح لابن الملقن (٢٠/ ٢٠٤).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣٢٦ رقم: ٣٤٢٥) ، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤى باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٧٧٩ رقم: ٢٢٧٢).

[3] انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٤).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة (١٤١٧/٣ رقم: ٣٦٩٢).

[5] **تَنَفَّل سيفَه**: أي: أخذه زيادة على السهم لنفسه، والمراد منه أنه اصطفاه لنفسه من بين الغنائم. وسمي سيفه: **(ذا الفَقار)** لأنه كان في شفرته حزوز شبهت بفقار الظهر، وكان لمنبه بن الحجاج، فتنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: شرح مصابيح السنة للتوربشتي (٣/ ٩٢٣)، وشرح المشكاة للطيبي (٩/ ٢٧٧٢).

في سيفي ذي الفقار فلاً، فأوَّلته فلاً يكون فيكم[1]، ورأيت أني مردف كبشًا، فأوَّلتُه كبش الكتيبة[2]، ورأيت أني في درع حصينة فأوَّلتُها المدينة، ورأيت بقرًا تذبح، فبقرٌ والله خير، فبقرٌ والله خير». فكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3]

وفي هذه الرؤيا إخباره - صلى الله عليه وسلم - بما يصيب المسلمين في غزوة أحد من هزيمة مؤقتة، وما يحدث فيها من مقتل بعض أصحابه - رضوان الله عليهم - والمثلة بهم، وما يترتب على ذلك من خير لهم في الدنيا والآخرة، وكذلك ما يكون فيها من مصرع بعض الكفار، وكذلك الإشارة إلى أن بقاءهم في المدينة وتحصنهم بها خير لهم، لأنها لهم بمثابة درع حصينة، وكذلك الإخبار ببعض ما يكون بعد ذلك من الفتح واجتماع المؤمنين وانتصارهم، وهذا مدلول رؤياه - صلى الله عليه وسلم - في حديث أبي موسى وابن عباس رضي الله عنهم، وقد وقعت هذه الأحداث كلها كما أخبر بها النبي - صلى الله عليه وسلم - من خلال هذه الرؤيا وتعبيرها، وإلى ذلك أشار ابن عباس - رضي الله عنهما - في نهاية حديثه بقوله: فكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن مَلَكٍ الكرماني[4] رحمه الله: «إنما أوَّل - صلى الله عليه وسلم - السيفَ بالمؤمنين[5]؛ لأنهم أنصارُه، وكان - صلى الله عليه وسلم - يصولُ بهم كما يصولُ الرجلُ بسيفه، وأَوَّلَ انقطاعَ صَدْرِهِ بما استشهدَ يومَ أُحُدٍ معظَمُ عَسْكَرِهِ كحمزة وغيرِه، الذين كانوا كالصَّدْر في

---

[1] **الفَلُّ**: الثلم في السيف، وأصله الكسر والضرب. ومنه الفَلُّ: للقوم المنهزمين. يقال: فَلّ الجيشَ يَفُلُّه فلاً: إذا هزمه فهو مفلول، والمعنى: فأوّلته انهزامًا يكون فيكم، وكان ذلك في غزوة أحد. انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٧٢)، ولسان العرب لابن منظور (١١/ ٥٣٠).

[2] **الكَبْشُ**: فحل الضأن في أي سنٍّ كان. **وكبش الكتيبة**: قائدها، والمقصود هنا: حامل لواء المشركين، كما سيأتي. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٥/ ٢٩٨)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٧٤).

[3] أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٥٩ رقم: ٢٤٤٥) وقال محققوه: إسناده حسن. والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٦ رقم: ٢٦٣٤) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. ويشهد له حديث أبي موسى الذي قبله، وله شاهد آخر من حديث أبي الزبير عن جابر - رضي الله عنه - عند الإمام أحمد في المسند (٢٣/ ٩٩ رقم: ١٤٧٨٧) وإسناده على شرط مسلم، إلا أن فيه عنعنة أبي الزبير وهو مدلس. وانظر: السلسلة الصحيحة (٣/ ٩٠- ٩١ رقم: ١١٠٠).

[4] هو محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز ابن فَرِشْته (وهو المَلَك بالفارسية)، المعروف بابن ملَك الرومي الكرماني، فقيه حنفي، له كتب منها: شرح الوقاية، وشرح مصابيح السنة للبغوي، توفي سنة ٨٥٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢١٧).

[5] يعني في حديث أبي موسى - رضي الله عنه - المذكور قبل هذا الحديث.

جيشِه، وهَزُّه - صلى الله عليه وسلم - هو حَثُّهم على الجهاد. " ثم هَزَزْتُه أُخْرَى " وفيه إشارةٌ إلى أنه - صلى الله عليه وسلم - حملَهم على الجِهَاد على ذلك اليومِ مرةً أخرى».[1]

وفسر بعض العلماء الفتح المذكور في الرؤيا بفتح مكة، وبعضهم عممه.[2]

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «رأيت في سيفي ذي الفقار فلاًّ، فأوَّلته فلاًّ يكون فيكم».[3] والمعنى: فأوّلته ثُلْمًا وانكسارًا وانهزامًا يكون فيكم في غزوة أحد.

ثم قال: «ورأيت بقرًا تذبح، فبقرٌ والله خير، فبقرٌ والله خير». أي أنه - صلى الله عليه وسلم - رأى في هذه الرؤيا بَقَرًا تذبح، فأوّل ذلك بمقتل بعض أصحابه، ولهذا قال في حديث أبي موسى رضي الله عنه: «فإذا هم المؤمنون يوم أحد».

وظاهر الرؤيا الأخيرة في حديث أبي موسى - رضي الله عنه - أنه - صلى الله عليه وسلم - رأى شيئين: رأى بقرًا، ورأى خيرًا، أو سمع من يقول: والله خير، ففسر الأول بقوله: «فإذا هم المؤمنون يوم أحد». أي: ما أصابهم يوم أحد من القتل والمثلة. وفسر الثاني بقوله: «وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «المرادُ بما بعدَ بدرٍ: فتحُ خيبر، ثم مكة، ووقع في رواية: (بعدُ) بالضم، أي: بعدَ أحد، ونصب (يومَ) أي: ما جاء الله به بعدَ بدرٍ الثانية من تثبيت قلوب المؤمنين ... قلت: وفي هذا السياق إشعار بأن قوله في الخبر: (والله خير) من جملة الرؤيا، والذي يظهر لي أن لفظه لم يتحرر إيراده، وأن رواية ابن إسحاق هي المحررة، وأنه رأى بقرًا، ورأى خيرًا، فأوَّل البقرَ على من قُتل من الصحابة يوم أحد، وأوَّل الخيرَ على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال، والصبر على الجهاد يوم بدر وما بعده إلى فتح مكة، والمراد بالبعدية على هذا لا يختص بما بين بدر وأحد، نبَّه عليه ابن بطال، ويحتمل أن يريد ببدرٍ بدرَ الموعِد، لا الوقعة المشهورة السابقة على أحد، فإن بدر الموعد كانت بعد أحد، ولم يقع فيها قتال، وكان المشركون لما رجعوا من أحد قالوا: موعدُكم العامَ المقبلَ بدرٌ، فخرج النبي - صلى

---

[1] شرح المصابيح لابن الملك (٥/ ١٤٠- ١٤١)، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢٣٠- ٢٣١).

[2] الكواكب الدراري للكرماني (١٤/ ١٨٣)، واللامع الصبيح للبرماوي (١٠/ ١٩٧)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٦/ ٦٧).

[3] تقدم تخريجه (ص: ٤٣٨).

الله عليه وسلم – ومن انتدب معه إلى بدر، فلم يحضر المشركون، فسمِّيت بدرَ الموعد، فأشار بالصدق إلى أنهم صدقوا الوعد ولم يخلفوه، فأثابهم الله تعالى على ذلك بما فتح عليهم بعد ذلك من قريظة وخيبر وما بعدها».[1]

وفي قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «فبَقْرٌ والله خير». إشارة إلى ما حصل لشهداء أحد – رضي الله عنهم – من المُثْلة، حيث إن المشركين اعتدوا على قتلى المسلمين، فقطعوا آذانهم وأنوفهم، وبقروا بطونهم.[2]

والبَقْرُ بفتح الباء وسكون القاف: شق البطن ونحوها، والتوسع في الشيء وفتحه، يقال: ناقة بقيرٌ: شُقَّ بطنها عن ولدها.[3]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ورأيت أني مردف كبشًا، فأوَّلتُه كبش الكتيبة». فيه إخبار بأن كبش كتيبة المشركين سيقتل في هذه المعركة، وكان كما أخبر، فإن كبش كتيبة المشركين وهو حامل لوائها كان طلحة ابن أبي طلحة، دعا للمبارزة فبارزه علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – فقتله، فسُرَّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.[4]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ورأيت أني في درع حصينة فأوَّلتُها المدينة». فيه إشارة إلى أن بقاءهم بالمدينة وتحصنهم بها وقتالهم فيها خير لهم، ولهذا فضل النبي – صلى الله عليه وسلم – البقاء بالمدينة وأشار بذلك على الصحابة، لكن ألح عليه بعض الصحابة الذين لم يشاركوا في بدر بالخروج، فنزل النبي – صلى الله عليه وسلم – عند رأيهم.[5]

١٤– حديث خَرَشَة بن الحُر في رؤيا عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – وفيه: «أما الطرُقُ التي رأيتَ عن يسارِكَ فهي طرُقُ أصحابِ الشمال، قال: وأما الطرُقُ التي رأيتَ عن يمينِكَ فهي طرُقُ أصحابِ اليمين، وأما الجبلُ فهو منزلُ الشهداء، ولن تنالَه...».[6]

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٢٢– ٤٢٣).

(٢) انظر سنن الترمذي (٥/ ٢٩٩ رقم: ٣١٢٩) .

(٣) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٥/ ١٥٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٧٧)، ولسان العرب لابن منظور (٤/ ٧٤).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ١٣٤)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (٢/ ١٨)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي (٤/ ١٩٤).

(٥) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده (٢٣/ ٩٩ رقم: ١٤٧٨٧)، والدارمي في سننه (٢/ ١٣٧٨ رقم: ٢٢٠٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١١٥ رقم: ٧٦٠٠) من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه. وهو حديث صحيح بشواهده.

(٦) أخرجه مسلم، وسيأتي بتمامه مع تخريجه (ص: ٥٨٢).

وفي تعبيره – صلى الله عليه وسلم – هذه الرؤيا إخباره عبدَ الله بنَ سلام – رضي الله عنه – بأنه لا يموت شهيدًا، فكان الأمر كما أخبر. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفيه من أعلام النبوة: أن عبد الله بن سلام لا يموت شهيدًا، فوقع كذلك، مات على فراشه في أول خلافة معاوية بالمدينة».[1]

١٥– حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: اعتكف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عشر الأول من رمضان، واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك. فاعتكف العشر الأوسط، فاعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك. قام النبي – صلى الله عليه وسلم – خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «من كان اعتكف مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فليرجع فإني أريت ليلة القدر، وإني نسيتها، وإنها في العشر الأواخر، وفي وتر، وإني رأيت كأني أسجد في طينٍ وماء». وكان سقف المسجد جريد النخل، وما نرى في السماء شيئًا، فجاءت قزعة فأمطرنا، فصلى بنا النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأرنبته تصديق رؤياه.[2]

وفي هذه الرؤيا إخباره – صلى الله عليه وسلم – بأنه يسجد صبيحة ليلة القدر في طين وماء، فوقع الأمر كما أخبر.

وفي هذا الحديث أيضًا من الفوائد فيما يتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: التأكيد على بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال بيان أمرين:

١– أنه لا يعلم الغيب، إذ لم يعلم موعد ليلة القدر مع شدة تحريه له، وما أخبر به من أمور ماضية أو مستقبلة فإنما هو عن طريق الوحي، وقد سبق بيان هذه المسألة في حديث اختصام الملأ الأعلى.

٢– أنه – صلى الله عليه وسلم – ينسى، لقوله: «فإني أريت ليلة القدر، وإني نسيتها». والنسيان طبيعة بشرية، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنما سمي الإنسان إنسانًا

---

[1] فتح الباري (١٢/ ٣٩٩).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب صفة الصلاة باب السجود على الأنف والسجود على الطين (١/ ٢٨٠ رقم: ٧٨٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها (٢/ ٨٢٤ رقم: ١١٨٦).

لأنه عهد إليه فنسي».[1] وفي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعًا في قصة هبة آدم من عمره أربعين سنة لابنه داود – عليهما السلام – ثم نسيان آدم لذلك، وفيه: «ونسي آدم فنسيت ذريته».[2] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون».[3]

وفي مسألة قوع النسيان من النبي – صلى الله عليه وسلم – تفصيل، نوجزه فيما يلي:

قوع النسيان من النبي – صلى الله عليه وسلم – له صورتان:

الأولى: وقوع النسيان منه – صلى الله عليه وسلم – فيما ليس طريقه البلاغ مطلقًا، مثل الأمور العادية والحياتية، فهذا جائز مطلقًا؛ لما جبل عليه من الطبيعة البشرية.

الثانية: وقوع النسيان منه – صلى الله عليه وسلم – فيما طريقه البلاغ، مثل: الآيات القرآنية، والسنة القولية والفعلية، وهذا جائز بشرطين:

الشرط الأول: أن يقع منه النسيان بعد ما يقع منه تبليغه، وأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلاً.

الشرط الثاني: أن لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكُّره إما بنفسه، وإما بغيره.

واشترط بعض العلماء في هذا الشرط الأخير – وهو تذكُّره لما نسيه – أن يكون على الفور، وذهب آخرون إلى عدم اشتراط ذلك.[4]

---

(1) أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٧٨ رقم: ١٨٣٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٦)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٤٠ رقم: ٩٢٥)، وأبو الشيخ الأصبهاني العظمة (٥/ ١٥٤٥)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص: ٢٢) كلهم من طريق الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وهذا إسناد صحيح، غير أن فيه عنعنة الأعمش وهو مدلس كما في مراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر (ص: ٣٣ رقم: ٥٥)، لكنه لم ينفرد به، فقد أخرجه الفريابي في القدر (ص: ٢٣ رقم: ٥) من طريق إبراهيم بن نافع عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير به، وابن منده في التوحيد (ص: ٢١٠ رقم: ٧٤) من طريق إسرائيل بن يونس عن أبي حصين عن سعيد بن جبير به، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٣٥- ١٣٦ رقم: ٣٤٨٨) من طريق إبراهيم بن نافع قال: سمعت الحسن بن مسلم يقول: سمعت سعيد بن جبير به، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وإسناده صحيح. فالأثر صحيح إن شاء الله.

(2) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٢٦٧ رقم: ٣٠٧٦) وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه». وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩٢٤ رقم: ٥٢٠٨).

(3) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة حيث كان (١/ ١٥٦ رقم: ٣٩٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب السهو في الصلاة والسجود له (١/ ٤٠٠ رقم: ٥٧٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(4) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٢/ ٥١٣- ٥١٥) و (٣/ ١٥٣)، والفتح لابن حجر (٩/ ٨٦).

ونقل الحافظ ابن حجر عن الإسماعيلي – رحمهما الله – تفصيلاً في الصورة الثانية فقال: «النسيان من النبي – صلى الله عليه وسلم – لشيء من القرآن يكون على قسمين:

أحدهما: نسيانه الذي يتذكره عن قرب، وذلك قائم بالطباع البشرية، وعليه يدل قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث ابن مسعود في السهو: "إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون".

والثاني: أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته، وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأعلى: ٦- ٧].

قال: فأما القسم الأول فعارض سريع الزوال لظاهر قوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]. وأما الثاني فداخل في قوله تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا} [البقرة: ١٠٦]».[١]

ونسب القاضي عياض – رحمه الله – القول بجواز النسيان فيما طريقه البلاغ من الأفعال وأحكام الشرع – بالشروط التي ذكرناه – إلى مذهب عامة العلماء والأئمة والنظار وظاهر القرآن والأحاديث، ثم قال: «ومنعت طائفةٌ من العلماء والنظار السهوَ عليه في الأفعال البلاغية والعبادات الشرعية، كما منعوه اتفاقًا فى الأقوال البلاغية، واعتذروا عن الظواهر الواردة فى ذلك باعتذارات، وإليه مال الأستاذ أبو إسحاق. وشذت الباطنية وطائفة من أرباب علم القلوب[٢] فقالوا: النسيان لا يجوز عليه جملة، وإنما ينسى قصدًا، ويتعمد صورة النسيان لِيَسُن، ونحى إلى قولهم عظيم من أئمة التحقيق، وهو أبو المظفر الإسفرايينى في كتاب الأوسط، وهذا منحى غير سديد، وجمع الضد مع ضده مستحيل بعيد، والقول الأول هو الصحيح؛ فإن السهو في الأفعال غير مناقض للنبوة، ولا موجب للتشكيك في الرسالة، ولا قادح في الشريعة، بل هو سبب لتقرير شرع وإفادة حكم».[٣]

وقال أيضًا: «وأما جواز السهو عليه في الاعتقادات في أمور الدنيا فغير نكير. وأما ما يتعلق من ذلك بالعلم بالله وصفاته والإيمان به؛ فلا يصح فيه طروء سهو، ولا غلط ولا ما يضاده عليه؛ لأن ضد ذلك كله كفر، وهو محال في حقه عليه السلام».[٤]

---

[١] فتح الباري لابن حجر (٩/ ٨٦).

[٢] يقصد بهم الصوفية، كما قال في (٣/ ١٥٣): «وقول من ذهب من المتصوفة ومن توهَّم إلى أن النسيان لا يجوز عليه جملة، لا فيما طريقه البلاغ، ولا فيما ليس طريقه البلاغ، وإنما يقع منه صورته عمدًا ليسن، وهذا تناقض وصورة لا تتصور، وهو قول مردود، ولا أعلم مقتدًى به وملتفَتًا إلى معرفته، استحسنه وأشار إلى تصويبه إلا الأستاذ أبا المظفر الإسفرايينى من شيوخنا، فإنه على تحقيقه وتدقيقه مال إلى هذا القول ورجحه على تناقضه وتباغضه».

[٣] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٥١٤).

[٤] المرجع السابق.

وإن مما يدل على بشرية النبي – صلى الله عليه وسلم – عُرضَتُه لما يتعرض له سائر البشر من المرض والتأثر به، ومن ذلك ما أصابه نتيجةَ سحر اليهود له، وهو ما يوضحه الحديث التالي:

١٦– حديث عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سَحَرَ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – رجلٌ من بني زريق يقال له: "لبيد بن الأعصم"، حتى كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم – أو ذات ليلة – وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة! أشَعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب[١]. قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة[٢]، وجُفُّ طَلْعِ نخلةٍ ذَكَر[٣]. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان[٤]». فأتاها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «يا عائشة! كأن ماءها نُقاعة الحِنّاء[٥]، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين[٦]». قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته[٧]؟ قال: «قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًّا». فأمر بها فدفنت.[٨]

---

[١] **مطبوب**: أي مسحور، كنَّوا بالطب عن السحر، تفاؤلاً بالبُرء. النهاية لابن الأثير (٣/ ١١٠).

[٢] **المشط**: معروف، وهو الآلة التي يسرح بها الشعر. **والمشاطة**: هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط. انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٣٤)، والقاموس المحيط (ص: ٦٨٧).

[٣] **الجُفُّ**: وعاء الطلْع، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. ويطلق الطلع على الذكر والأنثى، فلهذا قيده في الحديث بقوله: «طلع نخلة ذكر». انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٧٨)، وشرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٧).

[٤] **بئر ذروان**: ويقال أيضًا: ذي أروان، وكلاهما صحيح وردت بهما الروايات، وقال النووي عن الثاني: أجود وأصح. وهو بئر بالمدينة في بستان بني زريق، على مسيرة ساعة من المدينة، وفيه بني مسجد الضرار. انظر: الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (٤/ ١٢٨٦)، وشرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٧).

[٥] **النُّقَاعَةُ**: الماء الذي يُنْقَعُ فيه الحِنَّاء. انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٧).

[٦] أي: في كونها وحشة المنظر سمجة الأشكال، وهو مثل في استقباح الصورة. الكواكب الدراري للكرماني (٢١/٣٨).

[٧] أي: أفلا أخرجته ليراه الناس، ولتتلفه بالحرق ونحوه؟ وهذا لا يعارض قوله في اللفظ الآخر: «حتى استخرجه» فإن المقصود أنه استخرجه ورآه وتعرّف على محتوياته، وأبطله، ثم أمر به فدفن، ولم يخرجه ليراه الناس. قال ابن القيم رحمه الله في البدائع (٢/ ١٩٠– ١٩١): «ولا تنافي بينهما؛ فإنه استخرجه من البئر حتى رآه وعلمه، ثم دفنه بعد أن شفي، وقول عائشة رضي الله عنها: " هلا استخرجته؟ " أي: هلا أخرجته للناس حتى يروه ويعاينوه؟ فأخبرها بالمانع له من ذلك، وهو أن المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك، فيقع الإنكار، ويغضب للساحر قومه، فيحدث الشر، وقد حصل المقصود بالشفاء والمعافاة، فأمر بها فدفنت، ولم يستخرجها للناس. فالاستخراج الواقع غير الذي سألت عنه عائشة، والذي يدل عليه أنه – صلى الله عليه وسلم – إنما جاء إلى البئر ليستخرجها منه، ولم يجيء إليه لينظر إليها ثم ينصرف؛ إذ لا غرض له في ذلك. والله أعلم». وانظر: الروض الأنف للسهيلي (٤/ ٢٠١– ٢٠٢).

[٨] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣١١).

وفي لفظ للبخاري: «أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي» وفيه: «أما أنا فقد شفاني الله، وخشيتُ أن يثير ذلك على الناس شرًّا».[1]

وفي لفظ له: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سُحِرَ حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا.

وفيه: قالت: فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – البئر حتى استخرجه، فقال: «هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نُقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين». قال: فاستخرج. قالت: فقلت: أفلا؟ – أي تنشَّرْتَ[2] – فقال: «أما والله فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا».[3]

وفي لفظ له: مكث النبي – صلى الله عليه وسلم – كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي .. وفيه: «قال: في جف طلعة ذكر، في مشط ومشاقة[4]، تحت رعوفة[5] في بئر ذروان». وفيه: فأمر به النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخرج. وفيه: قالت: ولبيد ابن أعصم رجل من بني زريق حليف ليهود.[6]

وفي لفظ لمسلم: قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقته؟ قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله ...».[7]

هذا الحديث متفق على صحته، وخرجه الأئمة في كتبهم[8] ..

---

(1) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٣/ ١١٩٢ رقم: ٣٠٩٥).

(2) **تنشَّرْتَ**: من النُّشْرة، وهي ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مسًّا من الجن. سميت نشرة لأنه يُنشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال. النهاية لابن الأثير (٥/ ٥٤).

(3) صحيح البخاري: كتاب الطب باب هل يستخرج السحر (٥/ ٢١٧٥ رقم: ٥٤٣٢).

(4) **ومشاقة**: هي المشاطة التي تقدم معناها. النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٣٤).

(5) **رعوفة**: هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها. وقيل هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليه . النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٣٥).

(6) صحيح البخاري: كتاب الأدب باب قول الله تعالى {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...} [النحل: ٩٠] (٥/ ٢٢٥٢ رقم: ٥٧١٦).

(7) صحيح مسلم: كتاب السلام باب السحر (٤/ ١٧١٩ رقم: ٢١٨٤).

(8) سبق تخريجه للإمام أحمد والبخاري ومسلم، وأخرجه أيضًا: الإمام الشافعي في مسنده (٢/ ١٧٦ رقم: ٢٨٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٤١ رقم: ٢٣٥١٩)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٢٢٩ رقم: ٧٣٧)، وابن ماجه في سننه (٤/ ٥٦٥ رقم: ٣٥٤٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٠٠ رقم: ٧٥٦٩)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٢٩٠ رقم: ٤٨٨٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥/ ١٨٠ رقم: ٥٩٣٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ١٠١ رقم: ٥٩٢٦)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٤٥ رقم: ٦٥٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٢ رقم: ١٦٤٩٤)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٨٥ رقم: ٣٢٦٠).

واشتهر لدى المحدثين والمفسرين[1] والفقهاء[2] والمؤرخين[3] وتناقلوها، فلا غبار عليه من حيث الثبوت، وأما من حيث الدلالة فإنه يدل على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بحكم كونه من البشر يعتريه ما يعتري سائر البشر من الأوجاع والأمراض، وتعدي الخَلْق عليه وظلمهم إياه، وأمثال ذلك؛ أصيب بالسحر، فتأثر به ومرض، وكان من آثار ذلك أنه كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، وأنه – صلى الله عليه وسلم – كان لا يعلم سبب ذلك حتى أعلمه ربه، وأنه افتقر إلى ربه وألحَّ عليه في الدعاء حتى استجاب له فكشف ما به من ضر، وأرشده إلى مكانه، وأن هذا السحر كان نتيجة كيد اليهود – قتلة الأنبياء – له، وأنه لم يقتل الرجل الذي سحره ولم يعاقبه.

وهذا الذي أصاب النبي – صلى الله عليه وسلم – من السحر لا يعدو كونه مرضًا من الأمراض التي يصاب بها جميع البشر، الأنبياء وغيرهم، وقد كان أمرًا عارضًا شفاه الله منه، وليس في ذلك نقص لمقام النبوة، ولا عيبٌ بوجه من الوجوه؛ فإن المرض جائز على الأنبياء، وكذلك الإغماء فقد أغمي عليه – صلى الله عليه وسلم – في مرضه[4]، وإصابته بالسم حيث قدمت له يهودية ذراعًا مسمومة فأكل منها[5]، وما أصيب به يوم أحد من الإصابات[6]، وكلُّ هذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته، وأشد

---

(1) انظر مثلاً: تفسير الطبري (٢/ ٤٣٧)، وتفسير الماوردي (١/ ١٦٧) و (٦/ ٢٧٦)، الوجيز للواحدي (ص: ١٢٤٢)، وتفسير البغوي (٥/ ٣٣٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ١٦٠٤)، وتفسير القرطبي (٢/ ٤٦) و (٢٠/ ٢٥٣)، والبحر المحيط لابن حيان (١/ ٥٢٥)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٧)، وأضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٥٧).

(2) خذ مثالاً واحدًا من كل مذهب: فمن الأحناف الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٧٩٤)، ومن المالكية الإمام ابن عبد البر في الاستذكار (٨/ ١٥٩)، ومن الشافعية أبو إسحاق الشيرازي في المهذب (٣/ ٢٦٠)، ومن الحنابلة ابن قدامة المقدسي في المغني (٩/ ٣٣).

(3) انظر مثلاً: سيرة ابن هشام (٢/ ٥١٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٩٦)، والمعرفة والتاريخ للفسوي (٣/ ٢٨٩)، وشرف المصطفى للخركوشي (٤/ ٥٣٩)، والأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي (ص: ١٨١)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ١٨٠)، والروض الأنف للسهيلي (٤/ ٢٠٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٤٤)، والمقتفى من سيرة المصطفى للحلبي (ص: ٢٣٨)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي (١٢/ ٤– ٦)، والسيرة الحلبية (٢/ ١٤٦).

(4) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجماعة والإمامة باب إنما جعل الأمة ليؤتم به (١/ ٢٤٣ رقم: ٦٥٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (١/ ٣١١ رقم: ٤١٨).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب باب ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم (٥/ ٢١٧٨ رقم: ٥٤٤١).

(6) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير باب لبس البيضة (٣/ ١٠٦٦ رقم: ٢٧٥٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد (٣/ ١٤١٦ رقم: ١٧٩٠).

الناس بلاء هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[1]، فقد ابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس، فليس ببدعٍ أن يبتلى النبي – صلى الله عليه وسلم – من بعض أعدائه بنوع من السحر، كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلى وهو ساجد[2]، وغير ذلك.[3]

قال القاضي عياض رحمه الله: «اعلم – وفقنا الله وإياك – أن هذا الحديث صحيح متفق عليه، وقد طعنت فيه الملحدة، وتدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع، وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسًا، وإنما السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله؛ فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طُرُوُّه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان، وأيضًا فقد فسر هذا الفَصْلَ الحديثُ الآخر من قوله: "حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن". وقد قال سفيان: "هذا أشد ما يكون من السحر". ولم يأت في خبر منها أنه نُقل عنه في ذلك قولٌ بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخييلات. وقد قيل: إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيءَ أنه فعله وما فعله، لكنه تخييل لا يعتقد صحته، فتكون اعتقاداته كلها على السداد، وأقواله على الصحة، هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة».

وقال ابن القيم رحمه الله: «وكان غايةُ هذا السِّحر فيه إنما هو في جسده، وظاهِر جوارحه، لا على عقلِه وقلبِه، ولذلك لم يكن يعتقدُ صحة ما يُخَيَّل إليه من إتيان النساء، بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له، ومثلُ هذا قد يَحدُثُ من بعض الأمراض.. والله أعلم».[4]

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٦٠١ رقم: ٢٣٩٨) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في سننه (٥/ ١٥٢ رقم: ٤٠٢٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٧٣ رقم: ١٤٣).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته (١/ ٩٤ رقم: ٢٣٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – من أذى المشركين والمنافقين (٣/ ١٤١٨ رقم: ١٧٩٤).

[3] بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ١٩٢).

[4] زاد المعاد (٤/ ١٢٦).

ومما يدل على أن ما أصاب النبي – صلى الله عليه وسلم – من جرّاء هذا السحر كان مرضًا؛ أنه – صلى الله عليه وسلم – طلب الشفاء منه، وأخبر أن الله شفاه منه، فقال: «أشعرتِ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي». وقال: «أما أنا فقد شفاني الله».[1]

ومما يدل على أن تأثير السحر عليه إنما كان في بدنه وظاهر جوارحه، لا على عقله وقلبه؛ أنه – صلى الله عليه وسلم – دعا ودعا، واستفتى ربه، وعقل ما قاله الملكان، وأرشد أصحابه إلى مكان السحر ... إلى آخر ما ورد في الحديث.

«فغير بعيد أن يصاب بمرضٍ أو اعتداءٍ أحد عليه بسحر ونحوه، يخيل إليه بسببه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، كأن يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وهو لم يطأهن، أو أنه يقوى على وطئهن حتى إذا جاء إحداهن فتر ولم يقو على ذلك، لكن الإصابة أو المرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلى تلقي الوحي عن الله تعالى، ولا إلى البلاغ عن ربه إلى العالمين؛ لقيام الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على عصمته – صلى الله عليه وسلم – في تلقي الوحي وبلاغه وسائر ما يتعلق بشؤون الدين».[2]

وقد أنكرت المعتزلة وطوائف من أهل البدع ومن تأثر بهم من بعض المتأخرين أن يكون النبي – صلى الله عليه وسلم – قد سُحر، زعمًا منهم أن ذلك يتنافى مع عصمته، أو أن ذلك يلزم منه الطعن في شريعته، وهؤلاء على فريقين:

الفريق الأول: هم الذين أنكروا حقيقة السحر وأثره بشكل عام، وجعلوا السحر كله نوعًا واحدًا، وهو سحر التخييل والتمويه، والقائلون بهذا هم المعتزلة ومن وافقهم، وسيأتي الرد عليهم في موضعه إن شاء الله.

الفريق الثاني: هم الذين أنكروا جواز وقوع السحر على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بحجة أن ذلك يحط من منصب النبوة ويشكك فيه.

وقد استدل هؤلاء بأدلة ظنوا أنها تؤيد ما ذهبوا إليه من عدم جواز وقوع السحر على النبي صلى الله عليه وسلم، نستعرض هنا أشهر هذه الأدلة ونجيب عليها باختصار:

الدليل الأول: طعنهم في ثبوت الحديث، فتارة يقولون: «مثل هذه الأخبار من وضع الملحدين».[3]
وتارة يقولون: تفردت به عائشة – رضي الله عنها – عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتارة

---

[1] صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٣/ ١١٩٢ رقم: ٣٠٩٥).

[2] فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥٦٩).

[3] أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٩)، وانظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٣٦٨).

يقولون: تفرد به هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وربما طعنوا في ضبط هشام بن عروة رحمه الله، وبعضهم لما رأى أن ذلك كله لا يجدي شيئًا قال: «الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون».[١]

وهذه الدعاوي كلها فارغة، ليس لها من التحقيق العلمي أدنى حظ ولا نصيب، والحامل عليها هو التعصب للرأي والمذهب، وإلا فكيف يقال في مثل هذا الحديث الذي اتفق الأئمة على تخريجه وتصحيحه: إنه من وضع الملحدين؟! فيا تُرى من هو الملحد الذي وضع هذا الحديث، وخفي أمره على جميع هؤلاء الأئمة الأفذاذ، ولم يكتشفه إلا هذا المدعي؟!

وما يضير تفرد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - وهي هي - بهذا الحديث، إذا صح الإسناد إليها، ولم يخالفها أحد من الصحابة رضوان الله عليهم؟!

كيف إذا كان لهذا الأمر تعلق بها أكثر من غيرها؟!

بل هذه الدعوى ساقطة من أصلها، إذ لم تنفرد عائشة - رضي الله عنها - بهذا الحديث، بل شاركها غيرها من الصحابة، فقد خرّج الأئمة هذا الحديث أيضًا من مسند زيد بن أرقم رضي الله عنه[٢]، ويُروى أيضًا من مسند ابن عباس رضي الله عنهما.[٣]

وكذلك لا يضر تفرد هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بهذا الحديث، فإن هذا الإسناد عُدَّ من أصح الأسانيد عن عائشة - رضي الله عنها - وأشهرها[٤]، فعروة بن الزبير من أعلم

---

[١] الأعمال الكاملة للأستاذ محمد عبده- تفسير القرآن (٥/ ٥٤٤).

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٤٠ رقم: ٢٣٥١٨)، وأحمد في مسنده (٣٢/ ١٤ رقم: ١٩٢٦٧)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٢٨ رقم: ٢٧١)، والنسائي في سننه (٧/ ١١٢ رقم: ٤٠٨٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥/ ١٨٠ رقم: ٥٩٣٥)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٨٠ رقم: ٥٠١٦)، والبغوي في تفسيره (٥/ ٣٣٣- ٣٣٤) كلهم من طريق الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم، وأخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ١٧٩ رقم: ٥٠١١)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٥١٦ رقم: ٨١٣٨) والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣١٩) من طريق الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم، وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». وعلق عليه الذهبي بقوله: «لم يخرجا لثمامة شيئًا وهو صدوق». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٦١٥- ٦١٩ رقم: ٢٧٦١).

[٣] أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ١٥٣) وفي إسناده جويبر الأزدي وهو ضعيف جدًّا كما في التقريب (١/ ١٣٩ رقم: ١٠٨٩).

[٤] انظر: توريق المنة لحفاظ الأسانيد والسنة للشيخ ذياب الغامدي (ص: ٤٩).

الناس بحديث خالته عائشة رضي الله عنها، وقد استوعبه قبل موتها[(١)]، وابنه هشام ثقة فقيه[(٢)] معروف بالرواية عن أبيه، إلا أنهم أخذوا عليه ما ذُكر من إرساله عن أبيه بعد ما صار إلى العراق[(٣)]، ولكن ذلك لا يضر هنا في هذا الحديث، ولا يتوجه انتقاد منكري حديث السحر إياه بذلك، وذلك لأمرين:

الأول: أنه صرح بسماعه هذا الحديث عن أبيه في بعض الروايات، من ذلك ما أخرجه البخاري وغيره عن يحيى بن سعيد القطان قال: حدثنا هشام قال: حدثني أبي عن عائشة به[(٤)]، بل أكد سماعه لهذا الحديث بما لا مجال للشك فيه، فقد روى عنه الليث بن سعيد فقال: كتب إليَّ هشام أنه سمعه ووعاه عن أبيه عن عائشة قالت: سُحر النبي صلى الله عليه وسلم ... الحديث[(٥)].

الثاني: ليس جميع من روى هذا الحديث عن هشام من أهل العراق فقط، بل رواه عنه أساطين المحدثين وأئمتهم من أقطار شتى، منهم البصري[(٦)]، والكوفي[(٧)]، والمكي[(٨)]، والمدني[(٩)]، والمصري[(١٠)]، ومنهم من وصف بأمير المؤمنين في الحديث، وعرف عنه التشدد في رواية الحديث[(١١)]، فهل بعد ذلك يُطعن في مثل هذا الحديث؟

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ١٦٠).

(٢) انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٢٥ رقم: ٨٢٢١).

(٣) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٤٦).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجزية باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر (٣/ ١١٥٩ رقم: ٣٠٠٤)، ومسند أحمد (٤٠/ ٢٨٤ رقم: ٢٤٢٣٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقًا مجزومًا به: كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٣/ ١١٩٢ رقم: ٣٠٩٥)، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٣/ ٥١٢).

(٦) مثل: يحيى بن سعيد القطان عند البخاري (٣/ ١١٥٩ رقم: ٣٠٠٤) وغيره.

(٧) مثل: عيسى بن يونس ابن أبي إسحاق السبيعي عند البخاري (٥/ ٢١٧٤ رقم: ٥٤٣٠) وغيره.

(٨) مثل: سفيان بن عيينة فإنه قضى خمسًا وثلاثين سنة من آخر عمره بمكة، وروايته عند البخاري (٥/ ٢٢٥٢ رقم: ٥٧١٦) وغيره.

(٩) مثل: أنس بن عياض المدني عند البخاري (٥/ ٢٣٤٧ رقم: ٦٠٢٨) وغيره.

(١٠) مثل: الليث بن سعيد عند البخاري (٣/ ١١٩٢ رقم: ٣٠٩٥) معلقًا بالجزم، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٣/ ٥١٢).

(١١) مثل: يحيى بن سعيد القطان انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ١٧٥ و ١٨٣).

وأما ردهم الحديث بحجة أنه خبر آحاد، وأن الآحاد لا يعمل بها في باب العقائد؛ فتلك دعوى تفتقر إلى دليل، وكفانا الرد عليهم الإمامُ ابن القيم - رحمه الله - فيما ذَكَرَ عنه الموصليُّ في اختصاره للصواعق المرسلة[1]. وللألباني - رحمه الله - رسالة نفيسة في الباب، قال في صدرها: «إنَّ هذا القول قول مُبتدَع مُحْدَث، لا أصل له في الشريعة الإسلامية الغراء، وهو غريب عن هدي الكتاب وتوجيهات السنة، لم يعرفه السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولم ينقل عن أحد منهم، ولا خطر لهم على بال، ومن المعلوم المقرر في الدين الحنيف أن كل أمر مبتدع من أمور الدين باطل مردود لا يجوز قبوله بحال ... وإنما قال هذه المقالة جماعة من علماء الكلام، وبعض من تأثَّر بهم من علماء الأصول من المتأخرين، وتلقَّاه عنهم بعض الكتاب المُعاصرين بالتسليم دون مناقشة أو برهان، وما هكذا شأن العقيدة، وخاصة عند من يشترط لها القطعية في الدلالة والثبوت».[2]

الدليل الثاني: ادعاؤهم بأن هذا الحديث معارَض بآيات من القرآن الكريم، ومن هذه الآيات:

أ- قوله تعالى: {وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} [الفرقان: ٨]، قالوا: إن هذه الآية تدل على بطلان الروايات الواردة في سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الكفار كانوا يعيِّرون النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى، ولَمَا ذمهم الله تعالى على قولهم هذا، ولحصل فيه - عليه الصلاة والسلام - ذلك العيب، ومعلوم أن ذلك غير جائز.[3]

أجاب العلماء - رحمهم الله - عن هذا الاستدلال بأنه لا مناسبة بين الآية والحديث، إذ ليس السحر الذي جاء في الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أصيب به هو السحر الذي رماه به المشركون في الآية، فإن المشركين أرادوا بكونه مسحورًا أنه سُحِرَ حتى جُنَّ، أي أنه مجنون أزيل عقله بواسطة السحر، بحيث لا يدري ما يقول. وأما ما أصيب به النبي - صلى الله عليه وسلم - من السحر الذي أثر في جسده وظاهر جوارحه ولم يبلغ عقله وقلبه واعتقاده؛ فذلك مما لا ينكره أحد.[4]

---

[1] انظر: مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٥٢٣) إلى نهاية الكتاب. وانظر: «خبر الواحد وحجيته» لأحمد بن محمود الشنقيطي.

[2] وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين للألباني (ص: ٥- ٦).

[3] انظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٣٦٨)، وفي ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٤٠٠٨).

[4] انظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٣٦٨)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ١٩٣).

ويوضح ذلك أن هذه الآية جاءت في سياق بيان اتهامات المشركين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن ما يدَّعيه من الوحي إنما هو ضرب من الجنون والهذيان، فاتهموه بأنه رجل مسحور، أي أن به مسًّا من جنون، بحيث ذهب عقله فلا يدري ما الذي يقوله، وأنه مغلوب على عقله يهذي ولا يدري، أو أنه مسحور بمعنى مخدوع، وهكذا ضربوا لنبينا – صلى الله عليه وسلم – الأمثال، وأرادوا بذلك التشكيك بمصدر الرسالة، وأنها آتية من رجل مجنون لا يعقل، ولينفروا الناس عنه فلا يتبعوه ولا يصغوا إلى ما يتلوه من القرآن.

فلا علاقة لما حدث من سحر النبي – صلى الله عليه وسلم – بما ذُكر من قول المشركين، كما لا دلالة في الآية لنفي التأثيرات العرضية التي لا علاقة لها بتلقي الوحي وتبليغ الرسالة.[1]

وسبب إنكار الذين أنكروا هذا الحديث أنهم لم يفرقوا بين ما جاء فيه وما جاء في الآية الكريمة، فظنوا أن بينهما تناقضًا، ولهذا يقول محمد عبده: «ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه – عليه السلام – حتى يصل إلى أن يظن أنه يفعل شيئًا وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية، بل هو ماس بالعقل، آخذ بالروح، وهو مما يصدق قول المشركين فيه: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُورًا} [الفرقان: ٨]، وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله، وخيل له أن شيئًا يقع وهو لا يقع، فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه».[2]

ب- قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]، قالوا: هذه الآية تدل على أن الله تعالى يعصم نبيه – صلى الله عليه وسلم – من الناس أن يصلوا إليه بضر، وحديث السحر ينافي هذه الآية، ويطعن في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقالوا: «هذه الروايات تخالف أصل العصمة النبوية في الفعل والتبليغ، ولا تستقيم مع الاعتقاد بأن كل فعل من أفعاله – صلى الله عليه وسلم – وكل قول من أقواله سنة وشريعة».[3]

---

[1] انظر: كتاب السحر بين الحقيقة والخيال للدكتور أحمد الحمد (ص: ١٢٧).

[2] الأعمال الكاملة للأستاذ محمد عبده- تفسير القرآن (٥/ ٥٤٣).

[3] في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٤٠٠٨).

وهذا أيضًا منهم فهم خاطئ لمفهوم العصمة في الآية الكريمة، فإن المراد بالعصمة هنا: عصمة جسمه – صلى الله عليه وسلم – من القتل أو الإهلاك أو الأسر، فضلاً عن عصمة نفسه من الغواية والهوى والضلال والوقوع فى المعاصى والمنكرات، وعصمة دعوته من أن يحول دون نجاحها حائل، ولذلك لم يصل إليه أحد بقتل ولا أسر ولا إغواء، مع قصد الأعداء له مغالبة واغتيالاً وإغواءً.

ولا يدخل في العصمة هنا عصمته – صلى الله عليه وسلم – من الأمراض، بل الأنبياء جميعًا غير معصومين من المرض غير المنفر، فهم جميعًا تجري عليهم كل النواميس المعتادة التي أودعها الله في ولد آدم، وعلى ذلك فالآية ليست على عمومها، ولو كانت على عمومها ما استطاع أحد أن يخطئ في حقه – صلى الله عليه وسلم – ولا أن يناله بأذى، والواقع أنهم أخطؤوا في حقه – صلى الله عليه وسلم – كثيرًا، وذلك بوصفه بالجنون والكهانة والسحر، والنَّيل منه في المعارك بكسر رباعيته وشج رأسه، وهذا يدل على أن الآية في عصمته مما ذكرنا، ولا تعارض بينها وبين ما تعرّض له – صلى الله عليه وسلم – من بأساء وضراء وسُمٍّ وسحرٍ وأذى بدني، وغير ذلك من الابتلاء الذي فيه رفعة لدرجاته، ليكون بذلك أسوة لأمته في الصبر والتحمل والاحتساب.[١]

يقول القاضي عياض رحمه الله: «قد قدمنا أنه – صلى الله عليه وسلم – وسائر الأنبياء والرسل من البشر، وأن جسمه وظاهره خالص للبشر، يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتجرُّع كأسِ الحِمَام[٢] ما يجوز على البشر، وهذا كله ليس بنقيصة فيه؛ لأن الشيء إنما يسمى ناقصًا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه، وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون،

---

[١] انظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٢١٨)، وتفسير ابن الجوزي (ص: ٣٩٧)، تفسير الرازي (١٢/ ٤٠١)، والبحر المحيط لابن حيان (٤/ ٣٢٣– ٣٢٤)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (٤/ ٢٢٥)، والروض الأنف للسهيلي (٤/ ٢٠١)، و رد شبهات حول عصمة النبي صلى الله عليه وسلم لعماد السيد الشربينى (ص: ٣٥٢).

[٢] **كأس الحِمَام**: الحِمَامُ: الموتُ. أو قضاءُ الموت وقدرُه، من قولهم: «حُمّ هَذَا الأمرُ» إذا قُضِي قضاؤهُ. ومنه قول عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه – بغزوة مؤتة شعرًا: يا نَفسُ إلّا تُقْتَلِى تَمُوتِى = هذَا حِمامُ الموتِ قد صَلِيتِ. انظر: تهذيب اللغة للهروي (٤/ ١١)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٠٦)، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (١/ ٥٠٢)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٤٤٦).

وخلق جميع البشر بمَدْرَجَةِ الغِيَر[1]، فقد مرض - صلى الله عليه وسلم - واشتكى، وأصابه الحر والقر، وأدركه الجوع والعطش، ولحقه الغضب والضجر، وناله الإعياء والتعب، ومسه الضعف والكِبَر، وسقط فجُحِشَ شِقُّه، وشَجَّه الكفار وكسروا رباعيته، وسُقي السمَّ وسُحر، وتداوى واحتجم، وتنشَّر وتعوَّذ، ثم قضى نحبَه فتُوفِّيَ صلى الله عليه وسلم، ولحق بالرفيق الأعلى، وتخلص من دار الامتحان والبلوى، وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها، وأصاب غيرَه من الأنبياء ما هو أعظمُ؛ فقتلوا قتلاً، ورُمُوا في النار، ونُشِرُوا بالمناشير، ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات، ومنهم من عصَمَه كما عَصَم بعدُ نبيَّنا من الناس. فلئن لم يَكْفِ نبيَّنا ربُّه يَدَ ابنِ قمئة يومَ أُحد، ولا حَجَبه عن عيون عِداه عند دعوته أهل الطائف؛ فلقد أَخَذ على عيون قريشٍ عند خروجه إلى ثور، وأمسك عنه سيفَ غَوْرَث[2]، وحجَرَ أبي جهل، وفرسَ سراقة. ولئن لم يَقِهِ من سِحر ابنِ الأعصم؛ فلقد وقاه ما هو أعظمُ: مِن سُمِّ اليهودية. وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى، وذلك من تمام حكمته؛ ليُظهِرَ شرفَهم في هذه المقامات، ويُبيِّنَ أمرَهم، ويُتِمَّ كلمتَه فيهم، وليُحقِّقَ بامتحانهم بشريَّتَهم، ويرتفع الالتباسُ عن أهل الضعف فيهم؛ لئلاَّ يَضِلُّوا بما يَظهَرُ من العجائب على أيديهم ضَلالَ النصاري بعيسى ابن مريم، وليكونَ في مِحَنِهم تسليةٌ لأممهم، ووُفُورٌ لأجورهم عند ربهم، تمامًا على الذي أحسن إليهم».[3]

ج- قوله تعالى: {إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٩]، قالوا: القول بمقتضى حديث السحر ينافي هذه الآية، ويعني أن الساحر أفلح في سحر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى صار يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى الضرر لجميع الأنبياء والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم، وكل ذلك باطل.[4]

---

[1] **مُدْرَجَةُ الغِيَر**: المَدْرَجة: الموضع الذي يُدْرَجُ فيه، أي: الطريق التي يمشى فيها، وفي حديث الرجل الذي زار أخًا له في الله: «فأرصد الله له على مدرجته ملَكًا». والغِيَر: تغيُّر الحال وانتقالها من وضْعٍ إلى آخر. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ١١١) و (٣/ ٤٠١)، والمعجم الوسيط (١/ ٢٧٨) و (٢/ ٦٦٨).

[2] هو غورَث بن الحارث الأعرابي، وقصته في الصحيحين: صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة (٣/ ١٠٦٥ رقم: ٢٧٥٣)، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها وباب صلاة الخوف (١/ ٥٧٦ رقم: ٨٤٣). وانظر: مسند أحمد (٢٣/ ١٩٣ رقم: ١٤٩٢٩).

[3] الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٧٨- ١٧٩). وانظر بقية كلامه - رحمه الله - فإنه نفيس جدًّا.

[4] انظر: تفسير الرازي (٣/ ٦٢٦) و (٣٢/ ٣٦٨).

والجواب: أنه لا تعارض بين الآية والحديث، ولم يفلح الساحر في سحر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله تعالى أبطل سحره، وشفى نبيَّه صلى الله عليه وسلم، وتأثيره عليه كان قاصرًا ومؤقتًا، فلم يتجاوز بصره وجسمه، ولم يستمر، ولله في ذلك حكم عظيمة، عَلِمَها من عَلِمَها، وجَهِلَها من جَهِلَها.

وليس معنى الآية كما توهموا، وإلا وجب إنكار السحر من أصله، ويقال لهم: إن كنتم ترون أن تأثير سحر اليهودي على النبي - صلى الله عليه وسلم - معناه أن الساحر أفلح، وأن ذلك معارض للآية؛ فماذا تصنعون بالآيات التي أثبت تأثير سحر سحرة فرعون على موسى - عليه السلام - حتى كان يخيَّل إليه من سحرهم أن عِصِيَّهم تسعى؟!

وقال أكثر المفسرين في معنى الآية الكريمة: إن الساحر لا يسعد أينما كان، وهو يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل: معناها: لا يأمن حيثما وجد، بل يقتل[(١)]، وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم.[(٢)]

واستدل بعض العلماء بالآية على أن عمل الساحر لا يثبت، بل يبطل كما قال تعالى: {مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٨١].[(٣)]

د- قوله تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: ٩٩- ١٠٠]، وقوله عز وجل: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الحجر: ٤٢].

قالوا: إن السحر من عمل الشيطان، وهذه الآيات تدل على أن من تحصَّن بالإيمان وتوكل على ربه؛ فليس للشيطان عليه سلطان، والأنبياء - عليهم السلام - في المقام الأعلى من الإيمان والتوكل، فمقتضى ذلك أن لا يتسلط عليهم الشيطان بالسحر ونحوه.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٦٧)، والتفسير البسيط للواحدي (١٤/ ٤٦١)، تفسير البغوي (٣/ ٢٦٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (ص: ٩١٢)، وتفسير القرطبي (١١/ ٢٢٤)، والبحر المحيط لابن حيان (٧/ ٣٥٧)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٢٧ رقم: ١٣٤٧٨) عن أبيه ثنا محمد بن موسي الشيباني ثنا حماد بن خالد ثنا ابن معاذ - أحسبه الصائغ - عن الحسن عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أخذتم - يعني الساحر - فاقتلوه» ثم قرأ: {وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} قال: «لا يؤمن به حيث وجد».

(٣) انظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ حامد بن محمد (ص: ٣١٣).

وهذا الاستدلال أيضًا مردود بما ورد في القرآن الكريم من آيات تثبت تعرُّض الشيطان للأنبياء – عليهم السلام – بأنواع من الإفساد والإغواء، ومع ذلك عصمهم الله – عز وجل – بعدم تمكنه من إغوائهم، أو إلحاق ضرر بهم يضر بتلقيهم الوحي أو تبليغهم الرسالة، كقوله تعالى في شأن آدم وزوجه عليهما السلام: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [البقرة: ٣٦]، وقال في قصة يوسف عليه السلام: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٢]، وقال في حق أيوب عليه السلام: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص: ٤١]، وقال تعالى مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم: {وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨]، وقال: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: ٢٠٠]، وتأمل هذه الآيات الكريمات: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج: ٥٢ – ٥٥]، ومن هنا نعلم أنه لا يلزم من وقوع السحر في حق الأنبياء إضلالهم وإغواؤهم، أو التنقص من مقامهم، أو الخلل في تلقيهم الوحي أو تبليغهم الرسالة؛ فإن ذلك ظن فاسد.

ولنتأمل قول الله تعالى في شأن ما دار بين نبيه موسى – عليه السلام – وسحرة فرعون، ثم لنقارن بينه وبين ما حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم؛ لنعلم أن مثل هذا السحر لا يرجع على النبوة والرسالة بنقص ولا عيب: {قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى . قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى . فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى . قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى . وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٥– ٦٩]

فقد صرحت الآيات بأن سحر أولئك السحرة قد أوقع نبي الله موسى في التخييل، حتى تغيرت أمامه الحقائق، فحسب الحبالَ حيّاتٍ، والساكناتِ متحركاتٍ، وعندما أوجس في نفسه من ذلك خيفة؛ كانت عصمة ربه له بالوحي إليه بعدم الخوف؛ لأنه رسول الله حقًّا، وأمره بأن يلقي عصاه التي بيمينه، فإذا هي تبتلع ما صنعوه من السحر، لأن ما صنعوه ليس إلا كيدًا سحريًّا، ولا يفلح الساحر حيث أتى.

فتأمل ما في الآيات من إثبات وقوع السحر على الأنبياء مع عصمتهم من آثاره المضرة بدعوتهم.[(١)]

الدليل الثالث: جملة من الافتراضات العقلية، ومن ذلك:

أ- قولهم: إن القول بتأثير السحر على الرسول - صلى الله عليه وسلم - يؤدي إلى انتفاء الثقة بكل ما جاء به من عند الله تعالى؛ «فإنه إذا خولط النبي - صلى الله عليه وسلم - في عقله - كما زعموا - جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئًا وهو لم يبلغه، أو أن شيئًا نزل عليه وهو لم ينزل عليه».[(٢)]

والرد عليهم يتلخص في النقاط التالية:

١- «أن الشك لا يدور حول شخصٍ إلا إذا خَفِيَ أمرُه، أو عُرِفَ منه وأُنكر، أما من دلَّ الدليل القطعيُّ على صدقه فاحتمال الشك غير وارد على أيِّ أمرٍ من الأمور التي يأتي بها، وإلا لانقلبت الحقائق».[(٣)]

٢- أنه يجب التقيد بما ورد في نص الحديث، لا سيما إذا كان مبيَّنًا، وعدم الزيادة عليه باحتمالات وافتراضات لا تحتملها، فإن تأثير هذا السحر على النبي - صلى الله عليه وسلم - جاء في بعض الروايات مجملاً، وهو قوله: «كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله»، وجاء بيانه في الروايات الأخرى، وهو قوله: «كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»، وبينته الرواية الأخرى أكثر وهي قوله: «يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي».[(٤)]

[(١)] انظر: رد شبهات حول عصمة النبي صلى الله عليه وسلم لعماد السيد الشربيني (ص: ٣٥٤).

[(٢)] الأعمال الكاملة لمحمد عبده- تفسير القرآن (٥/ ٥٤٤).

[(٣)] كتاب بين السحر والخيال للدكتور أحمد الحمد (ص: ١٣٢).

[(٤)] جميع هذه الروايات في الصحيح وقد تقدم تخريجها (ص: ٤٤٤- ٤٤٥).

فيجب التقيّد بهذا البيان في فهم هذا الحديث، وقصر تأثير السحر بما ورد فيه، ولا يجوز حمله ما لا يحتمله، من قولهم: إن القول بمقتضى الحديث يلزم منه أن يجوز عليه أن يظن أنه بلّغ شيئًا وهو لم يبلغه، أو أن شيئًا نزل عليه وهو لم ينزل عليه.

٣- أن ما حصل للرسول - صلى الله عليه وسلم - من ضرر السحر لم يتجاوز الجسد إلى الاعتقاد، بدليل كونه - صلى الله عليه وسلم - سعى لعلاج نفسه، والتجأ إلى ربه، واستفتاه، وألحَّ عليه في الدعاء .. ومثل هذا لا يتأتّى من مختلّ الاعتقاد، ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - يخيّل إليه أنه فعل الشيء مع يقينه بأنه لم يفعله، فلم يلتبس عليه الأمر بحيث يعتقد عدم الفعل فعلاً، إنما كانت أُخْذة السحر تؤثِّر عليه بذلك الشعور مع يقينه بأن الواقع على خلافه، ولهذا لم يُنقَل أنه - صلى الله عليه وسلم - في المدة التي كان متأثرًا فيها بالسحر أناب أحدًا عنه في الصلاة بالناس أو في تولي شؤونهم، فمثل هذا الوضع لا تنتفي معه الثقة بشيءٍ مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فضلاً أن تنتفي معه الثقة بكل ما جاء به.[1]

٤- أن مشكلة أهل البدع هو الحكم على بعض النصوص بعيدًا عن بعضها الآخر، ومِن ثَمَّ يتوهمون التعارض بينها، ويرون أنه يمكن للنقل الصحيح أن يعارض العقل الصريح، وليس الأمر كذلك، فلو أنهم جمعوا بين هذا الحديث وبين النصوص الأخرى التي تؤكد عصمةَ النبي صلى الله عليه وسلم، وعصمةَ ما جاء به من القرآن والسنة؛ لتيقنوا أن هذا السحر لا يمكن أن يبلغ تأثيره مبلغًا يخدش في عصمته وعصمة ما جاء به، ولا مانع أن يكون تأثيره دون ذلك، وحينئذٍ لا يقال: إن القول بتأثير السحر على الرسول - صلى الله عليه وسلم - يؤدي إلى انتفاء الثقة بكل ما جاء به من عند الله تعالى.

ولهذا لم ينقل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - في تلك المدة قال قولاً وأنكره، أو حدث بما لا يقصده، أو فعل فعلاً رآه الناسُ عليه ثم ادعى أنه لم يفعله، بل غاية ما حصل أنه ربّما تخيَّل أنه يأتي أهله ولم يأت، وليس في هذا ما

---

[1] وانظر: كتاب بين السحر والخيال للدكتور أحمد الحمد (ص: ١٣٢- ١٣٣).

يتعلق بالتبليغ أو التشريع، فلم يقل ما يؤخذ عنه، ولم يفعل ما يتَّبعُ عليه مما لا يقصده ولا يريده، ذلك لأن سنته وشريعته معصومة محفوظة بحفظ الله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].[١]

ب- أن الأخذ بمقتضى هذا الحديث وإقراره وعدم دفعه يفتح الباب أمام أعداء الدين للطعن فيه.

والرد عليهم في النقاط التالية:

١- أنه إذا أخذ الحديث بمفهومكم أنتم له فإنه فعلاً يفتح بابًا وثغرة يدخل منها الأعداء للطعن في الدين، لأنكم تزعمون أن مقتضى الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خولط في عقله، وأنه يجوز عليه أن يظن أنه بلغ شيئًا وهو لم يبلغه، أو أن شيئًا نزل عليه وهو لم ينزل عليه.

أما إذا أخذ الحديث بالمفهوم الذي بيناه فلن يُفتح بابٌ أمام الأعداء، بل يكون صدًّا منيعًا أمام كل مغرض، وحصنًا حصينًا أمام كل مبتغٍ طعنًا في دين الله عز وجل، بل إذا تأمل المنصف في هذا التقدير الإلهي، والتمس الحِكَم التي من أجلها قدّر الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - هذا الأمر؛ لتيقَّن أنه خيرٌ ومصلحة، وأنه من محاسن هذا الدين، وفيه دلائل على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولعلي أشير إشارة سريعة إلى بعض هذه الحكم، فمنها:

- التأكيد على بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كغيره من البشر يتأثر كما يتأثر البشر، ويمرض كما يمرض البشر، بل إنه يسحر كما يسحر البشر، وفي كل ذلك يعصمه الله تعالى مما يعود على رسالته ودعوته بسوء، وفي هذا رد على الغلاة في حقه الذين يرفعونه فوق طبقة البشر، و يخالفون بذلك ما أرشد - صلى الله عليه وسلم - إليه بقوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».[٢]

---

[١] وانظر: المرجع السابق (ص: ١٣٤).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: ١٦] (٣/ ١٢٧١ رقم: ٣٢٦١) من حديث عمر رضي الله عنه.

- إثبات أن السحر حق وله تأثير.
- بيان شدة عداوة اليهود لأنبياء الله، وما يكنونه في صدورهم من بغض وحقد وغل نحوهم، وأنهم ذهبوا في عداوتهم للأنبياء كل مذهب، ولم يتركوا طريقًا للأذى بهم إلا سلكوه، ومن ذلك السحر.
- إظهار عناية الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم، وحفظه له، وإكرامه إياه، وإثبات فضله ومكانته، فهو - صلى الله عليه وسلم - سُحِرَ ولكنه لم يخرج عن دائرة الصواب، بل كان في أعلى درجات الاستقامة والهداية، وهذا يدل على أن السحر لم يؤثر في قواه العقلية، ولا في درجته الإيمانية، وإنما كان مؤثرًا في بعض الأداء الجسمي، وهذا لا علاقة له بالرسالة والوحي والعصمة، ومع ذلك فإن الرعاية الإلهية قد شملته، وتولاه الله بالحفظ، وسلّمه سبحانه وشفاه، وأنزل ملكين يعرِّفانه بطبيعة ما أصابه، وبمن كان وراء ذلك، ويرشدانه إلى مكان السحر، فذهب إلى حيث طوى الرجل أمشاطه، وأسباب سحره، فأبطل كل ذلك، وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.[١]
- التشريع للأمة، وبيان ما ينبغي فعله فيما لو أصيب أحدهم بالسحر، من الصبر والاحتساب، والالتجاء إلى الله، والإلحاح عليه في الدعاء، والأخذ بالأسباب المشروعة من السعي لمعرفة مكان السحر، وإخراجه وإبطاله بالرقية والتعويذات الشرعية.
- أن في ذلك امتحانًا وتمحيصًا للناس؛ ليتبين المؤمن الصادق من المنافق المتردد، كما قال تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥]، وقال عز وجل: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: ١٧٩]، ففي مثل هذا الموطن يتجلى صدق الإيمان من كذبه، فالمؤمن الصادق يزداد إيمانًا بصدق نبيه صلى الله عليه وسلم، والمنافق يرجع القهقرى ويقول: لو كان نبيًّا لما ابتلاه الله بالسحر ولعصمه منه.

٢- أن صنيع المنكرين لهذا الحديث، من الطعن في مصادر الدين، والنيل من رجالاته، وادعاء تلاعب الأعداء بمصادره؛ هو الذي يفتح بابًا يصعب غلقه،

---

[١] وانظر: رد شبهات حول عصمة النبي صلى الله عليه وسلم لعماد السيد الشربيني (ص: ٣٥٨).

وثغرة يصعب سدها أمام أعداء الدين؛ ليلجوا منها إلى الطعن في مصادر الدين، فإن الكتاب والسنة قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا يمكن الاكتفاء بأحدهما دون الآخر، والطعن في أحدهما طعن في الآخر، وإن ما صنعه المنكرون لهذا الحديث بحجة الدفاع عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعن القرآن؛ لهو أكبر دليل لأعداء الدين، وأوسع مجال يدخلون من خلاله للنيل من هذه الشريعة والتشكيك فيها، حيث وجدوا من المنتسبين لها من هتك حرمة مصادرها، وخرق سياجها، ومهَّد لهم الطريق.

إذن حديث سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث صحيح في أعلى مراتب الصحة، يجب تصديق ما ورد فيه، وكونه خبر آحاد لا يبرر رده، وهو لا يتعارض مع شيء من آيات القرآن الكريم، ولا مع عصمته صلى الله عليه وسلم، ولا يصدِّقُ ما رمى به المشركون النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه كان رجلاً مسحورًا، فإنهم أرادوا شيئًا غير الذي دل عليه الحديث، وتأثير هذا السحر على النبي - صلى الله عليه وسلم - كان تأثيرًا جسمانيًّا، لم يخالط عقلَه، ولم يُخلَّ باعتقاده، وإنما كان يرى أنه يأتي أهله ولم يأتهم، مع يقينه بأنه لم يفعل، ولا يجوز تجاوز ذلك إلى افتراضات واحتمالات لا يحتمله، ومثل هذا التأثير لا يحط من منصب النبوة، ولا يشكك في الرسالة، بل فيه من الحِكَم ما يجعله خيرًا ومصلحة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وللأمة جميعًا.

١٧- حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - الطويل في الرؤيا، وفيه أن الملَكين قالا للنبي صلى الله عليه وسلم: «هذه جنة عدن، وهذاك منزلك. قال: فسما بصري صُعُدًا[١]، فإذا قصرٌ مِثلُ الرَّبَابة البيضاء[٢]. قال: قالا لي: هذاك منزلُك[٣]. قال: قلت لهما: بارك الله فيكما، ذَرَانِي[٤] فأدخله. قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله».[٥]

---

[١] **فسما بصري**: أي: نظر إلى فوق. **صُعُدًا**: أي: ارتفع كثيرًا. انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٤٤).

[٢] **الرَّبَابَة**: السحابة التي ركب بعضها على بعض. وجاءت مفسرة في الرواية الأخرى. انظر: أعلام الحديث (٤/ ٢٣٢٣).

[٣] **هذاك**: للإشارة إلى البعيد، واستعماله هنا للإشارة إلى علو المنزلة، وبُعد الوصول إلى تلك المرتبة، كما قيل مثل هذا في قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ} [البقرة: ١]. انظر: مرقاة المفاتيح للملا علي القاري (٧/ ٢٩٢٨).

[٤] **ذَرَانِي**: أي: اتركاني. المرجع السابق.

[٥] أخرجه البخاري، سبق تخريجه (ص: ٣٦).

وفي لفظ: «فرفعت رأسي فإذا فوقي مِثلُ السحاب. قالا: ذاك منزلُك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملتَ أتيتَ منزلَك».[1]

وهذه الرؤيا فيها – إضافة إلى إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم – بيانُ منزله في الجنة، وطرفٍ مما أعده الله له في الدار الآخرة، وأن منزله – صلى الله عليه وسلم – في جنة عدن، في قصر عظيم مثل السحابة البيضاء، في مكان مرتفع جدًّا، لا يبلغه غيره.

وقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا علي، فإنه من صلَّى علي صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سَلُوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنة، لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حَلَّتْ له الشفاعة».[2]

وهذا من إكرام الله – عز وجل – لنبيه صلى الله عليه وسلم، حيث أراه منزلته في الجنة وهو لم يزل على قيد الحياة في الدنيا، مما يزيد شوقه إلى لقاء ربه، وسعيه في بلوغ منزلته العلية في الجنة، وقد طمع – صلى الله عليه وسلم – في أن يدخل ذلك القصر ليرى تفصيل ما أعدَّ له فيه، ولكن حيل بينه وبين ذلك؛ لأنه لم يزل في هذه الحياة الدنيا يستكمل ما بقي له من عمُر، ووُعِدَ بأنه سيدخله لا محالة، وذلك إذا استكمل أجله في الحياة وارتحل إلى دار الآخرة.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وثبتنا على دينه، وأمِتْنا على سنته، واحشرنا في زمرته، وبلغنا شفاعته، وارزقنا في الجنة مرافقته، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

١٨– حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيتُ ذات ليلة فيما يرى النائم كأنَّا في دار عقبة بن رافع[3]، فأُتِينا برُطَبٍ من رُطَب ابن طاب[4]، فأوَّلْتُ أنَّ الرِّفعةَ لنا في الدنيا، والعاقبةَ في الآخرة، وأنَّ ديننا قد طاب».[5]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين (١/ ٤٦٥ رقم: ١٣٢٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يسأل له الوسيلة (١/ ٢٨٨ رقم: ٣٨٤).

(٣) **عقبة بن رافع**: رجل من الأنصار ترجم له ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٥٠ رقم: ٣٧٠٧)، وقال: «عقبة بن رافع، وقيل: ابن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري. شهد فتح مصر، وولي الإمرة على المغرب، واستشهد بإفريقية، قاله أبو نعيم. وقال أبو موسى: عقبة بن رافع، جمع أبو نعيم بينه وبين عقبة بن نافع، والظاهر أنهما اثنان. و ترجم له أيضًا الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/ ٥١٩ رقم: ٥٦٠١) ترجمة مختصرة، وقال: «عقبة بن رافع الأنصاري له ذكر ورواية». ثم ذكر الحديث الذي معنا، وذكر له رواية.

(٤) **رطب ابن طاب**: نوع من الرطب معروف، يقال له رطب ابن طاب، وتمر ابن طاب، وعذب ابن طاب، وعرجون ابن طاب، وهي مضاف إلى ابن طاب رجل من أهل المدينة. شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣٣).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرؤى باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (٧/ ٥٦ رقم: ٦٠٧٠).

وهذه الرؤيا فيها البشارة برفعة دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكماله وحسنه، وأن الرفعة لأتباعه في هذه الدنيا، والعاقبة الحسنة لهم في الآخرة.

وهي مبنية على الفأل بالأسماء الحسنة، حيث إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أوّل الرؤيا، فأخذ الرفعة له ولأتباعه من اسم: رافع، وأخذ العاقبة الحسنة لهم من اسم: عقبة، وأخذ كمال الدين وطيبه من اسم: طاب.

وقد جاء من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة».[١]

قال ابن هبيرة رحمه الله: «في هذا الحديث من الفقه أن يستفاد تعلم عَبْر الرؤيا من هذا الأسلوب، وهو أسلوب من أساليب عبر الرؤيا واستخراجها من النطق والتسمية، وهو أن يذكر العاقبة بعقبة، والرفعة بذكر رافع، والطيبة بذكر طاب، وعلى هذا في كل الأسماء، إلا أن هذا مهما عبر الإنسان به الرؤيا فيما يكون بشرى وإيذان بالخير فهو في موضعه، فأما إن عبره بما يكون محزنًا لقلوب المؤمنين، أو ذاهبًا إلى طيرة أو إنذار بسوء؛ فلا يقطعن به، فإن ذلك من الشيطان، ويدفع بذكر الله والصلاة».[٢]

١٩– عن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قال: فيقص عليه من شاء، وإنه قال ذات غداة: «إنه أتاني الليلة اثنان ملكان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: اضرب مثلَ هذا ومثلَ أمته. فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سَفْرٍ[٣] انتهوا إلى رأس مَفازة[٤]، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل مُرَجَّل[٥] في

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب لا عدوى (٥/ ٢١٧٨ رقم: ٥٤٤٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (٤/ ١٧٤٦ رقم: ٢٢٢٤).

[٢] الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٧٢).

[٣] **سَفْر**: قومٌ مسافِرون. كتاب العين للخليل بن أحمد (٧/ ٢٤٦).

[٤] **مَفَازَة**: المفازة: البرية القفر والفلاة التي لا ماء فيها، إذا كانت ليلتين أو أكثر، وأما الليلة واليوم فلا تعد مفازة. وأصل المفازة مهلكة فتفاءلوا، وقالوا: مفازة؛ لأن من خرج منها وقطعها فاز انظر: تهذيب اللغة للهروي (١٣/ ١٨٠- ١٨١).

[٥] **مُرَجَّل**: لعلَّه مأخوذ من الترجيل، وهو تسريح الشعر ودهنه، والمعنى: رجلٌ مسرَّحٌ شعرُه، والله أعلم. انظر: الفتح لابن حجر (١٠/ ٢٦١).

حُلَّة حِبَرَة[1]، فقال: أرأيتم إن وَرَدْتُ بكم رياضًا مُعْشِبَة[2] وحِياضًا رَواءً[3] أتتبعوني؟ فقالوا: نعم. فانطلق بهم فأوردهم رياضًا مُعْشِبَة وحياضًا رَواءً، فأكلوا وشربوا وسمنوا، فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فقلت لكم: إن وردتُ بكم رياضًا مُعْشِبة وحِياضًا رَواءً أتتبعوني؟ فقالوا: بلى. فقال: إن بين أيديكم رياضًا أعْشَبَ من هذا وحياضًا أرْوَى من هذه فاتبعوني. فقالت طائفة: صدق والله لنتبعُنّ. وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه».[4]

وهذه الرؤيا ضرَبَ فيها الملكان مثلاً للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولأمته، وذلك لتقريب المعنى وتوضيحه، والذي يظهر أن المراد بأمته هنا أمة الإجابة، حيث إنهم جميعًا اتبعوه في المرحلة الأولى، ثم انقسموا إلى طائفتين في المرحلة الثانية: متبعين ومتخلفين، فالمتبعون هم المؤمنون الصادقون، والمتخلفون هم المنافقون، والله تعالى أعلم.

فهذه الرؤيا فيها تنويهٌ بفضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفضل اتباعه وطاعته.

---

(1) **حُلَّة حِبَرَة**: الحُلَّة: إزار ورداء، ولا يقال لها: حُلَّة حتى تكون ثوبين. وحِبَرَة: مَوْشيٌّ ومخطط. انظر: كتاب العين (٣/ ٢٨ و ٢١٦)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٣٢٨).

(2) **رياض معشبة**: الرياض: جمع روضة، وهي: الأرض ذات الخضرة والبستان الحسن. ومعشبة: كثيرة العشب. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٨٢)، وكتاب العين (١/ ٢٦٢).

(3) **حِياض رَوَاء**: الحِيَاض: جمع حوض، وهو مجتمع الماء. رَوَاء: كثير الماء الكثير عذبه الذي فيه للواردين رِيٌّ. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٠٧)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٢٧٩).

(4) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥/ ٥٦٦ رقم: ٨٢٦١) فقال: «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني ثنا يحيى بن محمد الذهلي ثنا مسدد ثنا المعتمر بن سليمان عن عوف ثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب». فذكره، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. قلت: هذا إسناد ظاهره الصحة؛ فرواته كلهم أئمة ثقات، لكني لم أجد هذا الحديث بهذا الإسناد إلا عند الحاكم، وقد روى غيره بهذا الإسناد حديثَ الرؤيا الطويل الذي ذكرنا جزءًا منه قبل هذا الحديث، وسيأتي بتمامه في مبحث الإيمان باليوم الآخر، وهو مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق عن عوف عن أبي رجاء عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، فقد روى جملة من الرواة عن عوف – وهو ابن أبي جميلة – بهذا السند حديثَ الرؤيا المشار إليه، حتى المعتمر بن سليمان الذي روى عنه مسددٌ الحديث الذي معنا؛ روى عنه محمد بن عبد الأعلى عند النسائي في السنن الكبرى (١١١٦٢) حديث الرؤيا، فلا أدري هل حصل وهمٌ من أحد الرواة الذين جاؤوا بعد المعتمر بن سليمان، أو أنهم ضبطوا السند والمتن. ومما يزيد الإشكال أن هذا الحديث الذي معنا رواه غير الحاكم فجعلوه من مسند ابن عباس رضي الله عنهما، فقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٢٧ رقم: ٢٤٠٢)، وعبد بن حميد في مسنده (ص: ٢٢٢ رقم: ٦٦٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢١٩ رقم: ١٢٩٤٠) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتاه ملكان ... الحديث، وإسناده ضعيف لأجل علي بن زيد بن جدعان. والله أعلم.

المبحث الخامس

دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان باليوم الآخر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف باليوم الآخر

المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر إجمالاً وتفصيلاً

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان باليوم الآخر

المبحث الخامس

دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الأول: التعريف باليوم الآخر

اليوم: معروفٌ، يعبَّر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها، وقد يعبَّر به عن مدَّة من الزمان أيَّ مدة كانت، من غير تقيُّدٍ بليل أو نهار، وجمعه: أيام.[1] إلا أنَّ اليومَ الآخرَ على خلاف هذه الأيام؛ لأن اليوم في اللغة هو ما يعقبه الليل، وليس في يوم القيامة ليل ولا نهار[2]، بل هو يوم واحد، ولكنه ليس كأيام الدنيا.

اليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلائق للحساب والجزاء، وسمي بذلك إما لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة، وإما لأنه آخر يوم فلا يومَ بعده سواه، وإما لأنه متأخر عن الدنيا وواقع بعدها.[3]

«وعلى هذا فالمراد باليوم الآخر أمران:

الأول: فناء هذه العوالم كلها، وانتهاء هذه الحياة بكاملها.

الثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها.

فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة، وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة».[4]

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «فإن قال قائل: وكيف لا يكون بعده يوم، ولا انقطاعَ للآخرة ولا فناء ولا زوال؟

قيل: إن اليومَ عند العرب إنما سُمي يومًا بليلته التي قبله، فإذا لم يتقدم النهارَ ليلٌ لم يسمَّ يومًا. فيوم القيامة يوم لا ليلَ بعده، سوى الليلة التي قامت في صبيحتها القيامة، فذلك اليوم

---

[1] انظر: مفردات غريب القرآن للأصبهاني (ص: ٨٩٤)، والنهاية لابن الأثير (٥/ ٣٠٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/ ٦٤٩).

[2] انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٧١).

[3] انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٧١)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (ص: ٢٥٢)، واليوم الآخر للشيخ محمد إبراهيم التويجري (ص: ٦).

[4] عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري (ص: ٣١١).

هو آخر الأيام. ولذلك سمّاه الله جل ثناؤه: "اليوم الآخر"، ونعتَه بالعَقِيم. ووصفه بأنه يوم عَقيم، لأنه لا ليل بعده».[1]

وأوله – بالنسبة لكل فرد – يبدأ من الموت، لحديث هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان – رضي الله عنه – إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا ؟! قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إنّ القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه».[2]

وأخرج الشيخان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي – صلى الله عليه وسلم – فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «إن يَعِشْ هذا لا يدركه الهرمُ حتى تقوم عليكم ساعتكم». قال هشام: يعني موتَهم.[3]

وصلى علقمة – رحمه الله – على جنازة، فقال: أما هذا فقد قامت قيامته.[4]

وبالنسبة لجميع الخلق يبدأ يوم الآخر من النشر، وهو الخروج من القبور. وآخره: دخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وإنما قيل لتلك الدار: الدارُ الآخرة؛ لأنها هي آخر المنازل، فلا انتقال عنها البتة إلى دار أخرى. والإنسان قبل الوصول إليها ينتقل من محل إلى محل. فأول ابتدائه من التراب، ثم انتقل من أصل التراب إلى أصل النطفة، ثم إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم إلى العظام، ثم كسا الله العظام لحمًا، وأنشأها خلقًا آخر، وأخرجه للعالم في هذه الدار، ثم ينتقل إلى القبر، ثم إلى المحشر، ثم يتفرقون: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} [الزلزلة: ٦]، فسالِكٌ ذاتَ اليمين إلى الجنة، وسالِكٌ ذاتَ الشمال إلى

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٧١– ٢٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٥٣ رقم: ٢٣٠٨) وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث هشام بن يوسف». وابن ماجه في سننه (٥/ ٣٣٣ رقم: ٤٢٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٤٧ رقم: ١٦٨٤).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الرقاق باب سكرة الموت (٥/ ٢٣٨٧ رقم: ٦١٤٦)، وصحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة باب قرب الساعة (٤/ ٢٢٦٩ رقم: ٢٩٥٢).

(٤) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (٣/ ٩٣٠ رقم: ١٦٢٦)، وابن جرير الطبري في تهذيب الآثار– مسند عمر بن الخطاب (٢/ ٥٤٨ رقم: ٧٩٧) بإسناد حسن.

النار ... فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ فعند ذلك تُلقى عصا التِّسْيار، ويذبح الموت، ويقال: "يا أهل الجنة! خلود فلا موت. ويا أهل النار! خلود فلا موت". ويبقى ذلك دائمًا لا انقطاع له، ولا تحول عنه إلى محل آخر. فهذا معنى وصفها بالآخرة».[1]

---

[1] أضواء البيان (٢/ ٣٧٠- ٣٧١).

المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر إجمالاً وتفصيلاً

الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الدين، وركن من أركان الإيمان، وجزء أساس من أجزاء العقيدة، بل هو العنصر المهم الذي يلي الإيمان بالله مباشرة، ولا يصح إيمان أحد حتى يؤمن باليوم الآخر، ومن أنكره فهو كافر.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة متضافرة تدل على وجوب الإيمان باليوم الآخر، فمن دلالة الكتاب على ذلك قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: ١٧٧]، وقوله عز وجل: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦]، وقوله – سبحانه – متوعِّدًا المكذبين بالساعة: {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا} [الفرقان: ١١]. ومن أدلة السنة حديث جبريل – عليه السلام – المشهور، وفيه: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».[(١)]

وقد قرن الله بينهما في كثير من آيات القرآن الكريم، لأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالخالق الذي خلق الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود.

وعلى ضوء المعرفة بالخالق والمصير، يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم غايته، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف، ويبلغ به الغاية، ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة، فإن حياته سوف تبقى لا هدف لها، ولا غاية منها.

وحينئذ يفقد الإنسان سموه الروحي، وفضائله العليا، ويعيش كما تعيش الأنعام، تسيِّرها غرائزها الطبيعية، واستعداداتها الفطرية، وهذا هو الانحطاط الروحي المدمر لشخصية الإنسان.[(٢)]

وقد اهتمت النصوص الشرعية بمسألة الإيمان باليوم الآخر اهتمامًا بالغًا، وقد ظهر هذا الاهتمام في صور عديدة، منها:

١- الاقتران بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر في كثير من النصوص، كقوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...} [البقرة: ١٧٧]، وقوله: {ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ٢٣٢]، وقوله: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

---

(١) أخرجه مسلم، وتقدم تخريجه (ص: ٣٧٨).

(٢) انظر: العقائد الإسلامية لسيد سابق (ص: ٢٥٩).

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩]، وقد تكرر في أكثر من عشرين موضعًا من القرآن، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».[1]، وقوله: «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر».[2]

٢- كثرة ذكر اليوم الآخر في النصوص الشرعية، فالقرآن الكريم أفاض بذكره بأساليب متنوعة، وأوجه مختلفة، ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر هذا اليوم، بل هناك سور سميت بأسماء اليوم الآخر؛ مثل: الواقعة، الحاقة، القيامة، الغاشية، الزلزلة، والقارعة. وأما ذكره في السنة النبوية فيصعب حصره. وهذا دليل واضح على اهتمام الشارع بهذا اليوم العظيم.

٣- كثرة أسماء هذا اليوم، وهذا أسلوب معروف من أساليب الاهتمام بالشيء وبيان أهميته، وكل اسم من أسمائه يدل على بعض ما يحدث فيه من الأهوال، ولقد اهتم بعض العلماء بسرد هذه الأسماء، والاستدلال لها، وبيان ما تحمل من مَعان.[3]

٤- أمر الله - عز وجل - نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - بالإقسام على وقوع البعث وأنه حق لا مرية فيه، وذلك في عدة مواضع من القرآن العظيم، قال تعالى: {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ[4] قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [يونس: ٥٣]، وقال جل شأنه: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} [سبأ: ٣]، وقال سبحانه: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: ٧]. فهذه ثلاث آيات في القرآن يأمر الله - عز وجل - فيهن نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد ووجوده وأنه حق؛ لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد.[5]

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه (٥/ ٢٢٧٣ رقم: ٥٧٨٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (١/ ٦٨ رقم: ٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي - رضي الله عنهم - من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق (١/ ٨٦ رقم: ٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] منهم: الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٥١٦- ٥١٧)، والإمام القرطبي في التذكرة (ص: ٥٤٤- ٥٧٩)، والدكتور غالب العواجي في الحياة الآخرة (١/ ٤٥- ٥٥) .

[4] قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره (٤/ ٢٧٤): «أي: المعاد والقيامة من الأجداث بعد صيرورة الأجسام ترابا».

[5] انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٤) و (٦/ ٤٩٥) و (٨/ ١٣٦).

وللإيمان باليوم الآخر صورتان: إيمان مجمل، وإيمان مفصل.

والمراد بالإيمان المجمل: أن يؤمن العبد ويوقن ويُصَدِّق بأنَّ هناك يومًا يبعث الله تعالى فيه العباد، فيجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وأن الجنة والنار وكل ما أخبر الله ورسوله به مما يكون بعد الموت حق، يقر بذلك على وجه الإجمال، ولو لم يدرك معناه، ولو لم يبلغه تفصيله.[1]

وهذا القدر من الإيمان واجب على كل مسلم، ولا يعذر أحد بتركه، وأما التفصيل فيختلف باختلاف أحوال الناس.

والمراد بالإيمان المفصل: هو الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك بأن جميع ما أخبر الله به في كتابه، وجميع ما أخبر به رسوله – صلى الله عليه وسلم – في سنته من قضايا الآخرة حق وصدق وواقع، بَدْءًا بالموت وما يكون بعده من أحوال البرزخ، والنفخ في الصور، والبعث والنشور، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وما يكون قبل ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها، وما بلغه وعلم به من تفاصيل ذلك كله.[2]

وهذا النوع من الإيمان واجب على كل مسلم بحسبه، فما يجب على العالم من الإيمان المفصل قد لا يجب على من دونه في العلم.

وقد ذكر العلماء – رحمهم الله – جملة من المسائل التي تدخل في الإيمان باليوم الآخر، فيجب الإيمان بها إجمالاً فيما أُجمل، وتفصيلاً فيما فُصّل. وهذه المسائل هي: الإيمان بالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والإيمان بأشراط الساعة الصغرى والكبرى، والإيمان بالصُّور والنفخ فيه وما يترتب على ذلك، والإيمان بالبعث والنشور والحشر وجمع الخلائق في الموقف وأحوالهم فيه، والإيمان بلقاء الله عز وجل، وبالعَرْض والحساب، والمجيء بالكتاب والأشهاد، وشهادة الأعضاء والجوارح، والإيمان بنشر صحائف الأعمال، وأخذ أهلها إياها باليمين والشِّمال، والإيمان بالميزان والصراط، والاقتصاص من الظالم للمظلوم، والإيمان بالجنة والنار، وبما جاء في شأن الكوثر وحوض النبي صلى الله عليه وسلم، وأن له لواءَ الحمد يوم القيامة، والإيمان بالشفاعة وأحاديثها والمَقام المحمود، وغير ذلك.[3]

---

[1] انظر: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٦١١).

[2] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٤٥)، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان (ص: ١١٠)، وعقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور سعيد بن مسفر القحطاني (ص: ٣١١)، وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للدكتور محمد الخميس (ص: ٤٩٥).

[3] انظر تفاصيل هذه المسائل مبسوطة في معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (٢/ ٨٧- ٢٧٤).

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان باليوم الآخر

وقد وردت في الرؤى والتعابير النبوية الصحيحة جملة من هذه المسائل المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر، نعرض أحاديث هذه الرؤى والتعابير ثم نستخرج منها المسائل المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر:

١- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لا والله ما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعيسى: أحمر، ولكن قال: «بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجلٌ آدَمُ سَبْط الشعر، يُهادَى بين رجلين، يَنطِفُ رأسُه ماءً، أو يُهراق رأسُه ماءً، فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم. فذهبتُ ألتفتُ فإذا رجلٌ أحمرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرأسِ أعورُ عينُه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال، وأقربُ الناس به شبهًا ابن قَطَن». قال الزهري: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية.[١]

٢- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم مُسَيلِمةُ الكذاب على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يقول: إن جعَلَ لي محمدٌ الأمرَ مِن بعده تبعتُه. وقدمها في بشرٍ كثيرٍ من قومه، فأقبل إليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه ثابتُ بن قَيس بن شَمَّاس، وفي يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قطعةُ جَريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتُكها، ولن تعدوَ أمرَ الله فيك، ولئن أدبرتَ ليَعْقِرَنَّكَ الله، وإني لأراك الذي أريتُ فيكَ ما رأيتُ». فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «بينما أنا نائم رأيتُ في يدي سوارين من ذهب، فأهمَّني شأنُهما، فأُوحِيَ إلي في المنام: أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي». فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة.[٢]

هذان الحديثان فيهما إثبات بعض أشراط الساعة، وهي مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر؛ لأنها أمارات وعلامات لقرب الساعة، وهذه الأشراط هي:

أ- نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - في آخر الزمان، ولم يصرح في الرؤيا بنزوله في آخر الزمان، وإنما ذكر أوصافه التي بها يُعرَفُ إذا نزل، ونزوله في آخر الزمان مما تواترت

---

[١] متفق عليه، وقد تقدم تخريجه (ص: ٤٠٨).

[٢] متفق عليه، وقد تقدم تخريجه (ص: ٤٢١).

به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم[1]، كما دل عليه القرآن الكريم أيضًا، وذلك في آيتين من كتاب الله تعالى:

الأولى: قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء: ١٥٩]، فإن معنى الآية على الراجح من أقوال أهل العلم: «وما من أحد من أهل الكتاب إلا سيؤمن بعيسى - عليه السلام - بعد نزوله آخر الزمان وقبل موته، ويوم القيامة يكون عيسى - عليه السلام - شاهدًا على أعمالهم».[2]

الثانية: قوله عز وجل: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف: ٥٧] إلى قوله: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف: ٦١]،

---

[1] وممن قال بتواتر أحاديث نزول عيسى - عليه السلام - ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤٥٨)، وابن عطية في تفسيره (١/ ٤٤٤)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٣٦) وفي (٢/ ٤٥٥- ٤٦٤) ذكر جملة من هذه الأحاديث، ثم قال: «فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان ابن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع بن جارية، وأبي سريحة، وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم». ونقله الحافظ ابن حجر عن أبي الحسن الخسعي كما في الفتح (٦/ ٤٩٣- ٤٩٤)، ومحمد صديق خان في الإذاعة (ص: ١٩٨)، والعظيم آبادي في عون المعبود (١١/ ٣٠٧)، والكتاني في نظم المتناثر (ص: ٢٢٩)، والغماري في عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام (ص: ١١)، والشنقيطي في أضواء البيان (٧/ ١٧٣)، وأحمد محمد شاكر كما في تحقيقه لتفسير الطبري (٦/ ٤٥٩)، والألباني في تمام المنة (ص: ٧٩) وفي تخريجه لشرح العقيدة الطحاوية (ص: ٥٦٥)، والتويجري في إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ٩٧)، والأشقر في القيامة الصغرى (ص: ٢٦٦)، وقد جمع هذه الأحاديث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في كتابه: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، حيث ذكر أكثر من سبعين حديثًا.

[2] المختصر فى التفسير (ص: ١٠٣)، وأخرج ابن جرير الطبري هذا القول في تفسيره (٩/ ٣٨٠- ٣٨٦) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وأبي مالك والحسن البصري وقتادة وابن زيد رحمهم الله، ثم ذكر القولين الآخرين في تفسير الآية، ثم قال: «وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى». قلت: وهو ظاهر قول أبي هريرة - رضي الله عنه -كما يأتي، وهو كذلك اختيار ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره (٢/ ٤٥٣- ٤٥٤) وعلل ذلك بقوله: «لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة - التي سنوردها إن شاء الله قريبًا - فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية - يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف -، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم، ولهذا قال: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} أي: قبل موت عيسى، الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب». واختاره كذلك الشنقيطي - رحمه الله - في الأضواء (٧/ ١٧٢- ١٧٤) وقال: «يجب المصير إليه دون القول الآخر؛ لأنه أرجح منه من أربعة أوجه» ثم ذكر هذه الأوجه، وهي أوجه قوية.

فالضمير في قوله: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} عائد على عيسى – عليه السلام – على الأرجح، والمعنى: إن نزول عيسى – عليه السلام – قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة.[1]

قال الشنقيطي رحمه الله: «التحقيق أن الضمير في قوله: {وَإِنَّهُ} راجع إلى عيسى، لا إلى القرآن، ولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ومعنى قوله: {لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة؛ هو أن نزول عيسى في آخر الزمان حيًّا علم للساعة، أي علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها».[2]

ومن أدلة السنة على نزول عيسى – عليه السلام – في آخر الزمان:

حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشِكنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حكَمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها». ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء: ١٥٩].[3]

وأهل السنة والجماعة قاطبة يؤمنون بنزول عيسى – عليه السلام – في آخر الزمان حكَمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويقتل المسيح الدجال[4]، ولم يخالف في ذلك إلا الفلاسفة الملاحدة، ومن وافقهم ممن لا يعتد بخلافهم، من بعض المعتزلة والجهمية، ومن تأثر برأيهم من بعض المعاصرين.[5]

---

[1] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤١٧)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/ ١٩١)، وتفسير الثعلبي (٨/ ٣٤١)، والتفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٧٩)، وتفسير البغوي (٤/ ١٦٦)، والبحر المحيط لابن حيان (٩/ ٣٨٦)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٦)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٦٤٣)، وتفسير السعدي (ص: ٧٦٨).

[2] أضواء البيان (٧/ ١٧١).

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (٣/ ١٢٧٢ رقم: ٣٢٦٤)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١/ ١٣٥ رقم: ١٥٥).

[4] انظر: أشراط الساعة لعبد الملك القرطبي (٤/ ١٣٥)، ورسالة إلى أهل الثغر للأشعري (ص: ١٦٦)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ١٩٢)، وتفسير ابن عطية (١/ ٤٤٤)، والاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص: ١٩١)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٩٤)، وإكفار الملحدين للكشميري (ص: ١١)، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للتويجري (٣/ ١٣١)، وتعليق الشيخ ابن عثيمين على لمعة الاعتقاد (ص: ١٠٦).

[5] انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٩٤)، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للتويجري (٣/ ١٢٨– ١٤٨)، وذكر أن من المنكرين لحياة عيسى – عليه السلام – الآن، ونزوله في آخر الزمان؛ الشيخ محمود شلتوت، من علماء الأزهر (١٣٨٣هـ)، وردّ عليه ردًّا مفصلاً. وانظر كتابه الآخر: إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان.

قال القاضي عياض رحمه الله: «ونزول عيسى المسيح وقتله الدجال حق صحيح عند أهل السنة؛ لصحيح الآثار الواردة في ذلك؛ ولأنه لم يرد ما يبطله ويضعفه، خلافًا لبعض المعتزلة والجهمية، ومن رأى رأيهم من إنكار ذلك، وزعمهم أن قول الله تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم: {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا نبي بعدي». وإجماع المسلمين على ذلك، وعلى أن شريعة الإسلام باقية غير منسوخة إلى يوم القيامة؛ يرد هذه الأحاديث. وليس كما زعموه؛ فإنه لم يرد في هذه الأحاديث أنه يأتي بنسخ شريعة، ولا تجديد أمر نبوة ورسالة، بل جاءت بأنه حكم مقسط، يجيء بما يجدد ما تغير من الإسلام، وبصلاح الأمور والعدل، وكسر الصليب، وقتل الخنزير، وأن إمام المسلمين منهم كما قال عليه السلام».[١]

ب- خروج المسيح الدجال، ولم يصرح أيضًا بخروجه في هذه الرؤيا، وإنما ذُكِرَ بعض أوصافه التي بها يعرف إذا خرج، حتى لا يفتن به المؤمنون، وذلك في قوله: «رجُلٌ أحمرُ، جَسيمٌ، جَعْدُ الرأس[٢]، أعور عينُه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية[٣] ... أقرب الناس به شبهًا ابن قطن[٤]».[٥]

---

[١] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٤٩٣).

[٢] **جعد الرأس**: يقال: جَعُدَ الشَّعْرُ – بِضَمِّ العين وكسرها – جُعُودَةً؛ إذا كان فيه الْتِوَاءٌ وَتَقَبُّضٌ، فهو جَعْدٌ، وذلك خلاف المُسْتَرْسِلِ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (١/ ١٠٢).

[٣] **عنبة طافية**: أي العنبة التي خرجت عن حدِّ بنية أخواتها فَعَلَتْ ونتأت وظهرت. يقال: طفا الشيء إذا علا وظهر، ومنه الطافي من السمك. قال عيسى بن دينار: شبّهها بحبّة عِنَب قد فضحت فذهب ماؤها فصارت طافئة، أي ممتلئة تكاد تتفقأ، وكذلك عينه قد ظهرت كما يظهر الشّيء فوق الماء. انظر: التوضيح لابن الملقن (٣٢/ ٤١٣). والمسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي (٧/ ٣٢٠).

[٤] **ابن قطن**: هو عبد العزى بن قَطَن بن عمرو بن حبيب بن سعيد بن عائذ بن مالك بن جذيمة وهو المصطلق، أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد. قال الزهري: رجل من خزاعة هلك في الجاهلية. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٩/ ٥٦٤).

[٥] وقد جمع الدكتور يوسف الوابل صفاته في كتابه أشراط الساعة (ص: ٢٧٧- ٢٨٣) ولخصها بقوله: «الدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يفتنون به ... ومن هذه الصفات: أنه رجل، شابٌّ، أحمر، قصيرٌ، أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة، ولا جحراء، كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، ومكتوبٌ بين عينيه: (ك ف ر)، بالحروف المقطعة، أو: (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له». ثم ذكر شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة.

وقد تواترت الأحاديث بخروج المسيح الدجال في آخر الزمان وفتنته، وأن ذلك من أشراط الساعة الكبرى[1]، وخروجه متقدم على نزول عيسى عليه السلام، ومن تلك الأحاديث:

حديث حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماءً؛ فنارٌ تُحرق، وأما الذي يراه الناس نارًا؛ فماءٌ باردٌ عَذْبٌ، فمن أدرك ذلك منكم، فليقع في الذي يراه نارًا، فإنه ماءٌ عذبٌ طيب».[2]

وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم عن الدجال حديثًا ما حدَّثه نبيٌّ قومَه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه».[3]

وحديث النواس بن سمعان – رضي الله عنه – وهو حديث طويل في وصف الدجال ومدة بقائه وما معه من الفتن، قال: ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع[4]، حتى ظنناه في طائفة النخل[5]، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضتَ فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم؛ فأنا حجيجه دونكم[6]، وإن يخرج ولستُ فيكم؛ فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل

---

(1) انظر المراجع التي أشرنا إليها في بيان تواتر خبر نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام.

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣/ ١٢٧٢ رقم: ٣٢٦٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٥٠ رقم: ٢٩٣٥).

(3) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [نوح: ١] (٣/ ١٢١٥ رقم: ٣١٦٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٥٠ رقم: ٢٩٣٦).

(4) يحتمل أن يكون المعنى: أنه – صلى الله عليه وسلم – من كثرة ما تكلم في أمر الدجال؛ خفض صوته مرة لطول الكلام وراحة تعبه، ورفع مرة لتبليغ مَن يأبى عنه وإسماع من بَعُد. ويحتمل أن يكون المعنى: أنه – صلى الله عليه وسلم – خفض من أمر الدجال وشأنه، وهوَّنه على الله، ليتبين حاله وعقبى دعواه وفضيحته، واضمحلال أمره، ورفع من شأن فتنته وعظيم المحنة به، والتخويف من أمره، كما قال: «ما من نبي إلا وقد أنذر قومه». انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٨/ ٤٨٢)، ومطالع الأنوار لابن قرقول (٢/ ٤٧٢).

(5) أي: ناحيته وجانبه. انظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٤١٣).

(6) أي: أحاجه وأخاصمه بالحجة. الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (٤/ ١١٦٤).

مسلم، إنه شابٌّ قطط[1]، عينه طافئة[2]، كأني أُشَبِّهُه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خَلَّةً بين الشأم والعراق[3]، فعاث[4] يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا» الحديث.[5]

والإيمان بموجب هذه الأحاديث هو مذهب أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة وأئمتها، قال القاضي عياض رحمه الله: «وهذه الأحاديث التي أدخلها مسلم في قصة الدجال حجة أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص معين، ابتلى الله [به] عباده، وأقدره على أشياء من قدرته[6] ليتميز الخبيث من الطيب؛ من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب الذي معه، وجنته وناره، ونَهرَيه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت، فيكون ذلك كله بقدر الله ومشيئته، ثم يعجزه الله بعد ذلك كما قال: "ولن يسلط على غيره"، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ثانية، ولا على غيره، ويبطل أمره بعد، ويقتله عيسى - عليه السلام - ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة وجماعة أهل الفقة والحديث ونظارهم، خلافًا لمن أنكر أمره وأبطله من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة. وخلافًا للجبائي من المعتزلة ومن وافقه على إثباته من الجهمية وغيرهم، ولكن زعموا أن ما عنده مخارق وحيل لا حقائق، ولدعواهم أن أمره لو كان صحيحًا كان قدحًا في النبوة، وقد وهم جميعهم؛ فإنه لم يأت بدعوى النبوة فيكون ما جاء به كالتصديق له، ولأنه لو صح منه لم يفرق بين النبي والمتنبئ فيطعن ذلك على النبوة، وإنما جاء بدعوى الإلهية، وهو في نفس دعواه لها مكذب لدعواه بصورة حاله ونقص خلقه، وظهور سمات الحدث به، وشهادة كذبه وكفره المكتتبة بين عينيه، وعجزه عن

---

[1] **قَطَط**: أي شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٦٩).

[2] **عينه طافئة**: بالهمز، أي: ذهب نورها. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٦٥).

[3] **خَلَّة بين الشأم والعراق**: أي من طريق بينهما. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٧٣).

[4] **فَعَاثَ**: أي أفسد، من العيث، وهو الفساد، أو أشد الفساد، والإسراع فيه. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٦٥).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٥٠ رقم: ٢٩٣٧).

[6] هكذا في الأصل المطبوع، وقد نقل النووي في شرحه على مسلم (١٨/ ٢٦٣) كلام القاضي وقال هنا: «وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى». وهذا أوضح.

تحسين صورته، وإزالة العور والشَّين عن نفسه. فلم يَرْتَبْ مؤمن في أمره، وإنما اتبعه من اتبعه للضرورة والحاجة، وشدة الزمان عليه أو لكفره، قيل: كيهود أصبهان وغيرهم وكالترك الكفرة، أو تقية منه وخوفًا، أو لأن فتنة ما جاء به عظيمة تدهش العقول وتحير الألباب لأول وهلة، وأن أمره لا تطول مدته، وسرعة سيره في الأرض، فإنما هو كما قال في الحديث: "كالغيث استدبرته الريح". فيصدقه من يصدقه، وقد سُلبَ نظره، ودله عقله لفُجاءةِ أمره؛ ولهذا حذرته الأنبياء قومها، وشجعتهم ببيان حاله ونقصه؛ ليتقدم لهم العلم بذلك فيثبتوا، ومن يَثبُتْ فيه وأيَّده الله؛ كذَّبَه، ألا ترى قول الذي قتله ثم أحياه له: «ما كنتُ أشدَّ بصيرةً فيكَ مِنِّي الآن».[١]

وتبيَّن من كلام القاضي عياض – رحمه الله – أن المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذا الباب على ضربين:

الأول: من أنكروا خروج الدجال وأبطلوا أمره بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه، وهم الجهمية، والخوارج[٢]، وبعض المعتزلة. قلت: ووافقهم بعض العصريين.[٣]

الثاني: من أثبتوا أمر الدجال، ولكن ذهبوا إلى أن ما عنده حِيَلٌ ومخارق وخيالات، لا حقيقة لها، ومن هؤلاء الجبائي من المعتزلة[٤]، ومن وافقه.

وذكر ابن كثير – رحمه الله – أن ممن ذهب إلى هذا الرأي الثاني: الطحاوي[٥] وابن حزم[٦] رحمهما الله.[٧]

---

[١] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٤٧٤– ٤٧٧).

[٢] ونسب هذا القول إلى الخوارج أيضًا: الإمام ابن حزم في الفصل (١/ ٨٩) وسمى منهم ضرار بن عمر.

[٣] مثل: الأستاذ محمد عبده الذي اعتبر المسيح الدجال رمزًا للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها، والأخذ بأحكامها وأسرارها. انظر: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده– الجزء الخامس (ص: ٣٣). وهذا القول إنكار لحقيقة الدجال ولقتل عيسى – عليه السلام – إياه. وقد تبعه على ذلك محمد أبو عبية في تحقيقه للنهاية في الفتن والملاحم (١/ ١١٨– ١١٩ و ١٥٢) فزعم أن الدجال رمز إلى الشر واستعلائه وصولة جبروته، ورمز للبهتان والإفك. وأما الشيخ رشيد رضا فأنكر أن يكون مع الدجال خوارق، وزعم أن ذلك مخالف لسنن الله في خلقه. انظر: تفسير المنار (٩/ ٤٠٨– ٤٠٩).

[٤] نقل قوله الحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٦٤).

[٥] انظر: شرح مشكل الآثار (٢/ ٢٤٢) و (١٤/ ٣٧٩– ٣٨١).

[٦] انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٨٩) و (٢/ ٤١)، والمحلى (١/ ٧٠).

[٧] انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٦٤).

أما الفريق الأول فبطلان قولهم أوضح من أن يُرَدَّ عليه، فإنه معارَض بالأحاديث الصحيحة المتواترة، وهي مخرجة في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة، فلا قيمة لما تشبثوا به من ادِّعاء أنها أحاديث ضعيفة مضطربة، أو أنها أحاديث آحاد لا تثبت بها العقائد.

وكذلك قولهم: لو أن الدجال حقيقة، وخروجه من أشراط الساعة؛ لجاء ذكره في القرآن، فقد ذُكر فيه ما هو أقل شأنًا منه.

فإن الإيمان بالكتاب دون السنة ضلال كبير، وانحراف عريض، بل هو مخالفة صريحة للقرآن، وذلك لأن القرآن أمر باتباع السنة كما أمر باتباع القرآن، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد: ٣٣]، وقال جل شأنه: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: ٨٠]، وقال عز وجل: {وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧].

والسنة وحدها تكفي دليلاً لإثبات الدجال وأنه خارج في آخر الزمان؛ لأنها حجة بنفسها، فهي وحي من الله عز وجل، وبيان لكتابه العزيز.

ومع ذلك فإن جمعًا من العلماء والمفسرين أكدوا على أن القرآن الكريم أشار إلى الدجال، وإن لم يصرح بذكره، وذلك من وجوه عدة[1]:

١- أنه مذكور ضمن الآيات التي ذكرت في قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [الأنعام: ١٥٨]، فقد روى مسلم وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض».[2]

٢- أن القرآن الكريم ذكر نزول عيسى عليه السلام، كما سبق، وعيسى هو الذي يقتل الدجال، فاكتفى بذكر مسيح الهدى عن ذكر مسيح الضلالة، وعادة العرب أنها تكتفي بذكر أحد الضدين دون الآخر.

---

[1] انظر: أشراط الساعة للوابل (ص: ٣٣٠- ٣٣١).

[2] صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/ ١٣٧ رقم: ١٥٨)، و سنن الترمذي (٥/ ٢٦٤ رقم: ٣٠٧٢) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

والدجال ليس رمزًا للشر أو للخرافات كما زعم بعضهم، بل هو رجل من بني آدم كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة.[1]

وما معه من الخوارق ليس مخالفًا لسنن الله تعالى في خلقه كما يزعم البعض[2]، فإن من سنة الله تعالى في خلقه أن يمكن لبعض الطغاة في الأرض؛ ليمتحن قلوب عباده، ثم يأخذه بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، فتتجلى حينئذ حقيقته للناس، ويظهر زيفه وعواره، ومع ذلك فإن سنة الله تعالى في خلقه تأبى أن يُعطي الكذاب الخوارقَ التي تؤيد دعواه الباطلة دون أن يقرنها بما يكشف حقيقتها وكذبه فيها، أما أن يعطي بعض الكفار والدجالين شيئًا من ذلك مع إظهار الدلائل على كذبهم ودجلهم؛ فليس في ذلك ما يخالف سنة الله تعالى في خلقه، وفي التاريخ شواهد على ذلك، وهذا ما سيفعله الله تعالى بالمسيح الدجال، فيعطيه بعض الخوارق التي تؤيد دعواه، ولكن يظهر عليه من الدلائل والأمارات ما يجلِّي كذبَه وبطلانَ دعواه، فهو أعور العين، مكتوب بين عينيه: "كافر"، يقرؤه كل مؤمن، وقد أحاط به النقصان من كل جانب، ويعجز عن إزالة العور عن عينه، ومحو الشاهد بكفره المكتوب بين عينه، ومع ذلك يدعي الألوهية! فيظهر دجله جليًّا لكل مؤمن. [3]

ثم إن هذه الخوارق لا تستمر بل تزول، ويُعجزه الله تعالى فلا يقدر على قتل ذلك الشاب الذي قتله أولاً، ولا على قتل غيره، ويبطل أمره، ويقتله نبي الله عيسى عليه السلام، ويثبت الله الذين آمنوا.

وأما الفريق الثاني فهم يؤمنون بحقيقة الدجال وأنه خارج في آخر الزمان، لكنهم يعتبرون ما معه من الخوارق من قبيل الحيل والشعوذة والسحر، ولهم فيما ذهبوا إليه ظواهر نصوص يتمسكون بها، منها:

حديث المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – قال: ما سأل أحدٌ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – عن الدجال أكثر مما سألت، قال: «وما ينصبك منه؟ إنه لا يضرك» قال: قلت: يا رسول الله إنهم يقولون: إن معه الطعام والأنهار، قال: «هو أهون على الله من ذلك».[4]

---

[1] كحديث ابن عمر – رضي الله عنهما – الذي معنا حيث وصفه بأنه رجل جسيم أحمر، وأنه جعد الرأس، أعور العين، كأن عينه عنبة طافية، وأن أقرب الناس شبهًا به ابن قطن، وكحديث النواس بن سمعان – رضي الله عنه – الذي سبق أيضًا، وفيه: إنه شاب قطط، عينه طافية.

[2] انظر: تفسير المنار (٩/ ٤٠٨– ٤٠٩).

[3] انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٦/ ٤١٨– ٤١٩).

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٦/ ٢٦٠٦ رقم: ٦٧٠٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل (٤/ ٢٢٥٧ رقم: ٢٩٣٩).

وحديث حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – مرفوعًا: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماءً؛ فنار تَحرِق، وأما الذي يراه الناس نارًا؛ فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارًا، فإنه ماء عذب طيب».[(١)]

وحديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – مرفوعًا: «... ومعه فتنة عظيمة، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسًا ثم يحييها فيما يرى الناس، لا يسلط على غيرها من الناس، ويقول: أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب؟!».[(٢)]

قالوا: هذه الأحاديث تدل على أن ما مع الدجال من الخوارق ليست على الحقيقة، فإنه أهون على الله من أن تظهر على يديه الحقائق، بل هي فيما يرى الناس ويُخَيَّل إليهم بسحره أنها حقائق، وليست بحقائق.[(٣)]

والذي حمل بعض العلماء على هذا القول هو ظنهم أن هذه الأمور إن كانت على الحقيقة فإنها تضاهي معجزات الأنبياء، وبالتالي يشتبه على الناس أمر النبوة، ولم يوثق بمعجزات الأنبياء.

ويُرَدُّ عليهم بأن خوارق الدجال حقيقية، وهي أمور أقدره الله تعالى عليها فتنةً وابتلاءً للعباد، وليست بمخرفة، بل هي حقيقة امتحن الله بها عباده في ذلك الزمان، فيضل بها كثيرًا ويهدي بها كثيرًا، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددتُ فيك إلا بصيرة.

والدجال لا يمكن أن يشتبه حاله بحال الأنبياء؛ لأنه لم يثبت أنه يدعي النبوة حال ظهور الخوارق على يديه، بل يدعي الربوبية.

وليس فيما تمسكوا به من نصوصٍ ما يؤيد قولهم، فإن معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث المغيرة رضي الله عنه: «هو أهون على الله من ذلك»؛ أي: هو أهون على الله من أن يجعل ما يخلقه على يديه من الخوارق مُضِلاًّ للمؤمنين الصادقين، ومشكِّكًا لقلوبهم، بل ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض، ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين، وليس معناه: أنه ليس شيء من تلك الخوارق معه، أو أنها ليست على الحقيقة، بل المراد أنه أهون من أن يجعل شيئًا من ذلك آيةً على صدقه.

---

(١) متفق عليه، سبق تخريجه (ص: ٤٧٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣/ ٢١١ رقم: ١٤٩٥٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤/ ٣٨١-٣٨٢ رقم: ٥٦٩٤) قال الأرنؤوط في الموضعين: إسناده على شرط مسلم.

(٣) انظر: شرح مشكل الآثار للطحاوي (١٤/ ٣٨٠- ٣٨٣).

وأما قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث حذيفة رضي الله عنه: «... فأما الذي يراه الناس ماءً؛ فنارٌ تَحرِق، وأما الذي يراه الناس نارًا؛ فماءٌ باردٌ عذب ... »، وقوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث جابر رضي الله عنه: «يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسًا ثم يحييها فيما يرى الناس»؛ فلا يعني أن هذه الأشياء خرافة وشعوذة وليست حقيقة، أو أنها من قبيل سحر سحرة فرعون، وأنه يخيِّلُ للناس أن لديه هذه الخوارق وليس لديه شيء، بل معناه أن هذه خوارق حقيقية يراها الناس رأي العين[1]، ويوضح ذلك اللفظُ الآخر لحديث حذيفة رضي الله عنه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماءٌ أبيض، والآخر رأي العين نارٌ تأجج، فإما أدركنَّ أحدٌ؛ فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض، ثم ليُطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد».[2]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: "فناره ماء، وماؤه نار" ... وهذا كله يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الرائي، فإما أن يكون الدجال ساحرًا فيخيل الشيء بصورة عكسه، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التي يسخرها الدجال نارًا وباطن النار جنة، وهذا الراجح، وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة، وعن المحنة والنقمة بالنار، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته يؤول أمره إلى دخول نار الآخرة وبالعكس، ويحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة، فيرى الناظر إلى ذلك من دهشته النار فيظنها جنة وبالعكس».[3]

٣– حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا». قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما

---

[1] ولمزيد من التفصيل في الرد على هذه الشبه يرجع إلى المصادر التالية: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨/ ٤٧٤– ٤٧٨)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٦٣– ٢٦٦)، والنبوات لابن تيمية (٢/ ٨٥٥– ٨٥٩)، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١٦٣– ١٦٦)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٣٢/ ٤٠٨– ٤١١)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٩٩)، وأشراط الساعة ليوسف الوابل (ص: ٣٢٠– ٣٢٥)، وانظر: الرد على الطعن في أحاديث المسيح الدجال، بموقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام، على الرابط التالي: http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=03-02-0074#_ednref8 .

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٤٩ رقم: ٢٩٣٤).

[3] فتح الباري (١٣/ ٩٩).

ابتعثاني[1]، وإنهما قالا لي: انطلق. وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه[2]، فيَتَدَهْدَهُ الحجر[3] هاهنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصحَّ رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق. قال: فانطلقنا فأتينا على رجل مُسْتَلْقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكَلُّوبٍ[4] من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه[5] إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق. فانطلقنا فأتينا على مثل التَّنُّور، فإذا فيه لغط وأصوات، قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عُراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا[6]، قال: قلت لهما: ما هؤلاء؟! قال: قالا لي: انطلق انطلق. قال: فانطلقنا فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه[7] فيلقمه حجرًا، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا. قال: قلت لهما: ما هذان؟! قال: قالا لي: انطلق انطلق. قال: فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة[8]

---

[1] **ابتعثاني**: أي أرسلاني. يقال: بعثته وابتعثته بمعنى أي: أرسلته. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/ ٢٦٢).

[2] **يَثْلَغُ رأسَه**: أي يشدخه. والثَّلْغُ: هَشْمُ الرأس، وثَلَغْتُ رأسَه ثَلْغًا: شَدَخْتُه. انظر: كتاب العين (٤/ ٤٠١).

[3] **يَتَدَهْدَهُ الحجرُ**: أي يتدحرج. يقال: دَهْدَهْتُ الحجَرَ فتَدَهْدَه: دَحْرَجْتُه فتَدَحْرَج. انظر الصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٣١).

[4] **كَلُّوب**: حديدة له شعب يعلق بها اللحم، وجمعه كلاليب. انظر: مجمع بحار الأنوار للكجراتي (٤/ ٤٢٧).

[5] **يُشَرْشِرُ شِدْقَه**: أي: يشق جانب فمه ويقطعه. والشرشرة: أخذ السَّبُع الشاة بفيه، ونفضه إياها حتى تتناثر وتتقطع قطعًا. انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول (٦/ ٣٩).

[6] **ضَوْضَوْا**: يعني ضَجُّوا وصاحُوا. انظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢/ ٢٦).

[7] **فيَفْغَرُ فاه**: يعني يفتحه. انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨٢).

[8] **كريه المِرْآة**: أي كريه المنظر. انظر: مطالع الأنوار لابن قرقول (٣/ ١٠٠).

كأكره ما أنت راء رجلاً مرآة، فإذا عنده نار يَحُشُّها[1] ويسعى حولها. قال: قلت لهما: ما هذا؟! قال: قالا لي: انطلق انطلق. فانطلقنا فأتينا على رَوضةٍ مُعْتَمَّة[2] فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهْرَي الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر وِلْدانٍ رأيتهم قط. قال: قلت لهما: ما هذا؟! ما هؤلاء؟! قال: قالا لي: انطلق انطلق. قال: فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لي: ارقَ فيها. قال: فارْتقَينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلَبِنِ ذهَبٍ ولَبِنِ فضَّة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا، ففتح لنا فدخلناها، فتلقانا فيها رجال شطرٌ من خَلْقهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطرٌ كأقبح ما أنت راءٍ، قال: قالا لهم: اذهبوا فقَعُوا في ذلك النهر. قال: وإذا نهر معترض يجري[3]، كأن ماءه المحض[4] في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة. قال: قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك. قال: فسما بصري صعدًا، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قال: قالا لي: هذاك منزلك. قال: قلت لهما: بارك الله فيكما، ذراني فأدخله. قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله. قال: قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجبًا! فما هذا الذي رأيت؟ قال: قالا لي: أمَا إنا سنخبرك، أمَّا الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه يُشَرْشَرُ شِدْقُه إلى قفاه، ومِنْخَرُه إلى قفاه، وعينُه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكَذْبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العُراة الذين في مثل بناء التنُّور، فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيتَ عليه يَسْبَحُ في النهر ويُلْقَم الحجارة، فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يَحُشُّها ويَسعى حولها، فإنه مالِكٌ خازنُ جهنم، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأما الوِلْدان الذين حوله

---

[1] **يَحُشُّها**: يعني أنه يُحرك نارها لتَتَّقِد. انظر: أعلام الحديث للخطابي (٤/ ٢٣٢٣).

[2] **روضة مُعْتَمَّة**: يعني وافية النبات، والعَميم: الطويل من النبات. وقال الداودي: أي: غَطَّاها الخِصْبُ والكلأ كالعِمامَةِ على الرأس. انظر: أعلام الحديث للخطابي (٤/ ٢٣٢٣). ومصابيح الجامع للدماميني (١٠/ ٧٤).

[3] **نهر مُعتَرِض**: أي يجري عرضًا. انظر فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٤٤).

[4] **المَحْض**: اللبن الخالص الذي لا يشوبه شيء من الماء. انظر: أعلام الحديث للخطابي (٤/ ٢٣٢٣).

فكل مولودٍ مات على الفطرة». قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله! وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأولاد المشركين. وأما القوم الذين كانوا شطرًا منهم حسن وشطرًا منهم قبيح، فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم».[1]

وفي لفظ: «فرفعت رأسي فإذا فوقي مِثلُ السحاب. قالا: ذاك منزلُك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عمُرٌ لم تستكمله، فلو استكملتَ أتيتَ منزلَك».[2]

٤- حديث أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «بَيْنا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بِضَبْعَيَّ[3]، فأتيا بي جبلاً وعْرًا[4] فقالا: اصعد. فقلت: إني لا أطيقه. فقالا: إنا سنُسَهِّله لك. فصعدت حتى إذا كنتُ في سواء الجبل[5] إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار. ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم[6]، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم[7]. فقال: خابت اليهود والنصارى - فقال سليمان: ما أدري أسمعه أبو أمامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيء من رأيه؟ - ثم انطلق فإذا بقوم أشد شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، وأسوأه منظرًا، فقلت: من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء قتلى الكفار. ثم انطلق بي فإذا بقوم أشد شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، كأن ريحهم المراحيض، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني. ثم انطلق بي فإذا أنا بنساء تَنْهَشُ[8] ثديَهن الحيات، قلت: ما بال هؤلاء؟ قال: هؤلاء يمنعن أولادهن ألبانهن. ثم انطلق بي فإذا أنا بالغلمان

---

[1] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٦).

[2] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٤٦٢).

[3] **ضَبْعَيَّ**: أي عَضُدَيَّ، والضَّبْعة: اللَّحْم الذي تحت العضُدِ مما يلي الإبط. انظر: كتاب العين (١/ ٢٨٤).

[4] **جبلاً وَعْرًا**: أي غليظًا حَزْنًا يصعب الصُّعودُ إليه. انظر: النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٠٦).

[5] **سواء الجبل**: أي وسطه. انظر: مجمع بحار الأنوار (٣/ ١٥٦).

[6] **عَراقِيبهم**: جمع عَرْقُوب، وهو الوَتَر الذي خلفَ الكَعْبَين بين مَفْصِل القَدَم والسَّاق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فُوَيْقَ العَقِب. انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٢٢١)

[7] **قبل تَحِلَّةِ صومِهم**: أي قبل حلول وقت إفطارهم من الصوم، أي قبل غروب الشمس. انظر: صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١/ ٢٤٣).

[8] **تَنْهَشُ**: أي تَعَضُّ، يقال: نهشَتْه الحيَّةُ ونَهَسَتْه إذا عَضّته. انظر: تهذيب اللغة للهروي (٦/ ٥٤).

يلعبون بين نهرين، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذراري المؤمنين. ثم شَرَف شَرَفًا[1] فإذا أنا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جعفر وزيد وابن رواحة. ثم شرفني شرفًا آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة، قلت: من هؤلاء؟ قال: هذا إبراهيم وموسى وعيسى. وهم ينظروني[2]».[3]

وفي لفظ: «إني رأيت رؤيا هي حق فاعقلوها، أتاني رجل فأخذ بيدي، فاستَتْبَعَني حتى أتى بي جبلاً وعرًا طويلاً، فقال لي: ارقه. فقلت: إني لا أستطيع، فقال: إني سأسَهِّله لك، فجعلت كلما رقيت قدمي وضعتها على درجة، حتى استوينا على سواء الجبل، فانطلقنا، فإذا نحن برجال ونساء مشققة أشداقهم، فقلت: من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يقولون ما لا يعلمون. ثم انطلقنا، فإذا نحن برجال ونساء مُسَمَّرَةٌ أعينُهم وآذانُهم[4]. فقلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يُرُونَ أعينهم ما لا يَرَون، ويُسمِعُون آذانهم ما لا يسمعون، ثم انطلقنا، فإذا نحن بنساء معلقات بعراقيبهن مُصَوَّبةٌ رءوسُهُن[5]، تنهش ثداهن الحيات، قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يمنعون أولادهن من ألبانهن. ثم انطلقنا، فإذا نحن برجال ونساء معلقات بعراقيبهن مُصَوَّبةٌ رءوسُهُن، يلحسن من ماء قليلٍ وحمإٍ[6]، فقلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يصومون ويفطرون قبل تحلة صومهم. ثم انطلقنا، فإذا نحن برجال ونساء أقبح شيء منظرًا، وأقبحه لَبُوسًا، وأنتنه ريحًا، كأنما ريحُهم المراحيض. قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزناة. ثم انطلقنا، فإذا نحن بموتى أشد شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء موتى الكفار. ثم انطلقنا، وإذا نحن نرى دخانًا، ونسمع عواءً، قلت: ما هذا؟ قال: هذه جهنم، فدَعْها. ثم انطلقنا، فإذا نحن برجال نيام تحت ظلال الشجر، قلت: ما

---

(1) **شَرَفَ شَرَفًا**: وفي لفظ عند البيهقي في إثبات عذاب القبر (ص: ٧٨): «شَرَفَ بي شَرَفًا» أي ارتفع بي مرتفعًا. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٦٣)، المعجم الوسيط (١/ ٤٧٩- ٤٨٠).

(2) **ينظروني**: أي ينتظروني. كما وضحته الروايات الأخرى.

(3) حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤٠٦).

(4) **مُسَمَّرَةٌ**: أي مكحلة بمسامير محماة بالنار. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٩٩)، والمصباح المنير للفيومي (١/ ٢٨٨).

(5) **مُصَوَّبةٌ**: مخفوضة، يقال: صَوَّب رأسه، أي خفضه. انظر: الصحاح للجوهري (١/ ١٦٥).

(6) **حَمَإٍ**: الحَمْأَةُ والحَمَأُ: طين أسود منتن. انظر: مفردات غريب القرآن للأصفهاني (ص: ٢٥٩).

هؤلاء؟ قال: موتى المسلمين. ثم انطلقنا، فإذا نحن بغلمان وجوار يلعبون بين نهرين، قلت: ما هؤلاء؟ قال: ذرية المؤمنين. ثم انطلقنا، فإذا نحن برجال أحسن شيء وجهًا، وأحسنه لَبُوسًا، وأطيبه ريحًا، كأن وجوههم القراطيس، قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الصدِّيقون والشهداء والصالحون. ثم انطلقنا، فإذا نحن بثلاثة نفر يشربون خمرًا لهم، ويتغنون، فقلت: ما هؤلاء؟ قال: ذلك زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة. فملت قِبَلَهم فقالوا: قد نَالَك، قد نَالَك. قال: ثم رفعتُ رأسي، فإذا ثلاثةُ نفرٍ تحتَ العرش، قلت: ما هؤلاء؟ قال: ذاك أبوك إبراهيم، وموسى، وعيسى، وهم ينتظرونك صلى الله عليهم أجمعين».[1]

هذان الحديثان العظيمان دلاَّ على عدة مسائل متعلقة بالإيمان باليوم الآخر:

المسألة الأولى: الموت، وأنه حق، وأنه يصيب كل مخلوق، حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنه لن يموت أحدٌ حتى يستكمل أجلَه، وأن دخول الجنة والتنعم فيها لا يكون إلا بعد الموت واستكمال الأجل، والشاهد على هذا من الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: «فرفعت رأسي فإذا فوقي مِثلُ السحاب. قالا: ذاك منزلُك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملتَ أتيتَ منزلَك».

وشواهد هذه المسألة في كتاب الله – عز وجل – كثيرة جدًّا، ومنها: قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُون} [العنكبوت: ٥٧]، وقوله عز وجل: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء: ٧٨]، وقوله تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق: ١٩]، وقوله سبحانه: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا} [آل عمران: ١٤٥]، وقوله تعالى: {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: ١١]، وقوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: ٣٠].

المسألة الثانية: حياة البرزخ وعذاب القبر ونعيمه، وأنهما حق وواقع، فإن هذه الأحداث المذكورة في هذين الحديثين – من العذاب والنعيم – هي مما يكون في حياة البرزخ، ولهذا استدل بهما كثير من العلماء على إثبات البرزخ وما يكون فيه من عذاب ونعيم، وأورد ابن القيم – رحمه الله – حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – في كتاب الروح[2] وقال: «وهذا نص في عذاب البرزخ، فإن رؤيا الأنبياء وحي مطابق لما في نفس الأمر».

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (٨/ ١٥٥ رقم: ٧٦٦٦).

[2] (١/ ٣٠١).

وقد تواترت الأدلة على إثبات ذلك من الكتاب والسنة[1]، فمن أدلة الكتاب:

١- قوله تعالى: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٥- ٤٦].

وجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى أخبر عن آل فرعون بأنهم يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا، ثم عطف على ذلك بقوله: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} فدل ذلك على أن عرضهم على النار بعد موتهم وقبل يوم القيامة، وذلك في حياة البرزخ، وأنهم إذا كان يوم القيامة يُدخَلون أشد العذاب.[2]

يوضحه حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».[3]

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور».[4]

٢- وقوله تعالى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} [التوبة: ١٠١].

وجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى توعَّد هؤلاء المنافقين بأنهم سيعذبون مرتين؛ مرة في الدنيا، ومرة في البرزخ، ثم يردون إلى عذاب عظيم في الآخرة.

قال قتادة والحسن وابن جريج رحمهم الله: عذاب في الدنيا، وعذاب في القبر، ثم يُرَدُّون إلى عذاب النار.[5]

---

[1] انظر: التبصير في الدين للإسفراييني (ص: ٦٧)، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص: ١١٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٨٥)، والروح لابن القيم (١/ ٢٨٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٥٧٨)، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني (ص: ١٢٥).

[2] انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٣٥٠) و (٣/ ٩٧٩)، وتفسير الزمخشري (٤/ ١٧٠)،.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز باب الميت يعرض عليه بالغدو والعشي (١/ ٤٦٤ رقم: ١٣١٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنوة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٤/ ٢١٩٩ رقم: ٢٨٦٦).

[4] تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).

[5] انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٤/ ٤٤٣- ٤٤٤).

٣- قوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

وجه الدلالة من هذه الآيات: أنها دلت على أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وهذه الحياة والرزق إنما يكونان في البرزخ؛ لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء في الدنيا لم يموتوا ولا قتلوا.[١]

وهناك آيات أخرى استدل بها العلماء على إثبات عذاب القبر ونعيمه، نكتفي بما ذكرنا من الآيات، أما دلالة السنة على ذلك فكثيرة جدًّا، منها هذان الحديثان اللذان معنا، ومنها:

١- حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخلتْ عليَّ عجوزان من عُجُز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذَّبون في قبورهم. قالت: فكذَّبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت له: يا رسول الله! إن عجوزين من عُجُز يهود المدينة دخلتا عليّ، فزعمتا أن أهل القبور يعذَّبون في قبورهم. فقال: «صدقتا، إنهم يعذَّبون عذابًا تسمعه البهائم». قالت: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر.[٢]

٢- حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمِعَكم من عذاب القبر».[٣]

٣- حديث أم مُبَشِّرٍ - رضي الله عنها - قالت: دخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا في حائط من حوائط بني النجار، فيه قبور منهم، قد ماتوا في الجاهلية، فسمعهم وهم يعذَّبون، فخرج وهو يقول: «استعيذوا بالله من عذاب القبر». قالت: قلت: يا رسول الله! وإنهم ليعذبون في قبورهم؟ قال: «نعم، عذابًا تسمعه البهائم».[٤]

---

[١] انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص: ٢٥٠).

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات باب التعوذ من عذاب القبر (٥/ ٢٣٤١ رقم: ٦٠٠٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (١/ ٤١١ رقم: ٥٨٦).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٤/ ٢٢٠٠ رقم: ٢٨٦٨).

[٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٤/ ٥٩٢ رقم: ٢٧٠٤٤) بإسناد صحيح.

والإيمان بموجب هذه النصوص الشرعية هو مذهب أهل السنة والجماعة وسلف الأمة وأئمتها[1]، خلافًا لمن أنكر ذلك من الملاحدة، ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة من الإسلاميين، والجهمية[2]، والخوارج[3]، وبعض المعتزلة[4] ومن وافقهم.

المسألة الثالثة: إثبات الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن مُعدَّتان لأهلهما، والشاهد على ذلك من الحديثين اللذين معنا: قوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث سمرة رضي الله عنه: «قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك. قال: فسما بصري صعدًا، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قال: قالا لي: هذاك منزلك. قال: قلت لهما: بارك الله فيكما، ذراني فأدخله. قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله ... وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يَحُشُّها ويَسعى حولها، فإنه مالِكٌ خازنُ جهنم». وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «فصعدتُ حتى إذا كنتُ في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار». وفي اللفظ الآخر: «ثم انطلقنا، وإذا نحن نرى دخانًا، ونسمع عواءً، قلت: ما هذا؟ قال: هذه جهنم، فدَعْها».

وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على ذلك، ومنها قوله تعالى عن الجنة: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]، وعن النار: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤].

وجه الدلالة من الآيتين: أن التعبير عن إعداد الجنة للمؤمنين، وإعداد النار للكافرين بالفعل الماضي يدل على أنهما موجودتان الآن بالفعل.

وفي السنة النبوية إضافةً إلى الحديثين اللذين معنا أحاديثُ كثيرة تدل على أن الجنة والنار موجودتان الآن، ومن أوضحها دلالة على ذلك: حديث أبي هريرة - رضي الله عنهما - أن

---

[1] انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ١٥٤)، والآيات البينات في عدم سماع الأموات للآلوسي (ص: ٥٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٨٤)، والروح لابن القيم (١/ ٢٨٣ و ٢٩٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٥٧٦).

[2] انظر: التنبيه والرد للملطي (ص: ١٢٤).

[3] انظر: الفصل لابن حزم (٤/ ٥٦).

[4] انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص: ١٤ و ٢٤٧)، والفصل لابن حزم (٤/ ٥٥)، والتبصير في الدين للإسفراييني (ص: ٦٦- ٦٧)، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص: ١١٧)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص: ٦٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٨٣)، والروح لابن القم (١/ ٢٩٨)، والآيات البينات في عدم سماع الأموات للآلوسي (ص: ٥٧).

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لما خلقَ الله – عز وجل – الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أيْ رَبِّ، وعِزَّتِكَ لا يَسمَع بها أحدٌ إلا دخلها. ثم حَفَّها بالمَكارِهِ، ثم قال: يا جبريلُ! اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أيْ ربِّ، وعزَتِكَ لقد خَشيتُ أن لا يدخُلَها أحدٌ. قال: فلما خَلَقَ الله النار قال: يا جبريلُ! اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أيْ ربَّ، وعِزَّتك لا يسمعُ بها أحد فيدخلها، فحَفَّها بالشهوات، ثم قال: يا جبريلُ! اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أى ربَّ، وعِزَّتك لقد خَشيتُ أنْ لا يبقى أحدٌ إلا دَخَلها».[1]

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على ذلك، ولم يُعرف لهم مخالف في صدر الإسلام، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة!.[2]

وشبهة هؤلاء المنكرين لوجود الجنة والنار الآن تتلخص فيما يلي[3]:

أولاً: قالوا: خلق الجنة والنار قبل يوم الجزاء عبث؛ وذلك لأن خلقهما قبل يوم الجزاء يقتضي أن تبقى كل واحدة منهما معطلة مدة طويلة دون أن يجزى بها أحد، وهذا عبث، والعبث محال على الله عز وجل.

ويجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

١- أن هذا معارَضَةٌ للنصوص الصحيحة بالعقل المجرد في أمر غيبي لا يُعرف إلا عن طريق الوحي.

٢- أن وجودهما الآن فيه فوائد، منها أن استشعار ذلك باعث على الطاعة رغبةً في الجنة، والكفِّ عن المعصية خوفًا من النار. ومنها أن المؤمنين ينعمون في البرزخ بعرض مقعدهم من الجنة عليهم، كما أن الكفار يعذبون في البرزخ بعرض مقعدهم من النار عليهم، ولا يزالون كذلك إلى أن يبعثهم الله يوم القيامة. فوجودهما إذن ليس بعبث.

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ١٢٢ رقم: ٤٧٤٤)، والترمذي في سننه (٤/ ٦٩٣ رقم: ٢٥٦٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٤٣١ رقم: ٤٦٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٢٥ رقم: ٥٢١٠).

[2] انظر: حادي الأرواح لابن القيم (ص: ١١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٦١٥).

[3] انظر عرض ونقد هذه الشبهة في: حادي الأرواح لابن القيم (ص: ٤٥- ٥٠)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٦١٨- ٦٢٠)، وفتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي – قسم العقيدة (ص: ٢٤٢- ٢٤٤).

ثانيًا: استدلوا بقوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨]، وبقوله عز وجل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: ١٨٥]، قالوا: فلو كانتا موجودتين الآن لوجب اضطرارًا أن تهلكا وتفنيا يوم القيامة، ويذوقَ كلُّ من فيهما الموتَ عند النفخة الأولى في الصور، من أجل إنهاء الدنيا وتخريبها.

ويجاب على هذا الاستدلال بأن كلاًّ من الجنة والنار مستثنى مما يصيبه الهلاك والفناء عند النفخة الأولى؛ لأنهما خلقتا للبقاء لا للفناء، ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمر: ٦٨]، فإنهما داخلتان في عموم من شاء الله بقاءه جمعًا بين الأدلة، فمعنى الآيتين: كلُّ شيء كتب الله عليه الهلاك أو ذوق الموت فهو هالك وذائق للموت، والجنة والنار ليستا مما كُتِب عليه الهلاك؛ لأنهما خلقتا للجزاء. وقال بعض العلماء في معنى قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨]: كلُّ عمل حابطٌ إلا ما أريد به وجه الله، بدليل قوله في صدر الآية: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}.[١]

ثالثًا: استدلوا بما ذكره الله عن امرأة فرعون من قولها: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} [التحريم: ١١]، وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم بأن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان[٢]، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».[٣] وقوله صلى الله عليه وسلم: «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة».[٤]

قالوا: فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغًا منها لَمَا طلبت امرأةُ فرعون من ربها أن يبني لها بيتًا فيها، ولَمَا قال صلى الله عليه وسلم: إنها قيعان، وأنها لا تزال يغرس فيها كلما كان التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير من العابدين.

---

[١] انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٨)، والتفسير البسيط للواحدي (١٧/ ٤٧٩).

[٢] **القيعان**: جمع القاع، وهو ما استوى من الأرض وصَلُبَ ولم يكن فيه نبات. لسان العرب (٨/ ٣٠٤).

[٣] أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥١٠ رقم: ٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». وحسنه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٤ رقم: ١٠٥).

[٤] أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥١١ رقم: ٣٤٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقال: «هذا حديث حسن غريب». وصححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (١/ ١٣٤ رقم: ٦٤).

ويجاب عن هذا الاستدلال بأن ما ذُكِرَ دليلٌ على وجود الجنة الآن، لا على عدمها، إلا أنها لا تزال يخلق الله فيها أنواعًا من النعيم ما ذكره الذاكرون، بل ويجدد الله فيها يوم القيامة أنواعًا من النعيم، فالإنشاء فيها مستمرٌّ اليوم ويومَ القيامة، والنعيم فيها متجدد أبد الآبدين.

وفي الباب رؤى أخرى فيها إثبات وجود الجنة والنار الآن، وذكر بعض تفاصيلهما، وهي:

٥- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينا نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتُني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانبِ قصرٍ، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب. فذكرتُ غيرته فولَّيتُ مُدْبِرًا». فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟!.[١]

فهذه الرؤيا فيها إثبات الجنة وأنها حق، وموجودة، وأن فيها قصورًا ونساءً قد أعدت لأصحابها وهم أحياء في الدنيا. نسأل الله تعالى من فضله.

٦- حديث بريدة - رضي الله عنه - قال: أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا بلالاً فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قطُّ إلا سمعتُ خَشْخَشَتَكَ أمامي، دخلت البارحة الجنة فسمعتُ خَشْخَشَتَكَ أمامي، فأتيتُ على قصرٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل من العرب. فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. قلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد. قلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب».[٢]

وهذه الرؤيا أيضًا فيها إثبات الجنة وأنها حق، وأن فيها قصورًا من ذهب، وأنها موجودة الآن، وأنها قد هيئت لمن يستحقها. جعلنا الله من أهلها بفضله وكرمه.

٧- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة».[٣]

وهذه الرؤيا أيضًا فيها إثبات الجنة، وأنها موجودة الآن، وأن فيها ملائكة، وأن أهلها يتنعمون بها قبل قيام الساعة، وسيأتي معنا في مناقب جعفر - رضي الله عنه - ما يؤيد كون هذه الرؤيا منامية.[٤]

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣/ ١١٨٥ رقم: ٣٠٧٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤى باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (٧/ ١١٤ رقم: ٦٣٥٣)، وهو عنده أيضًا برقم (٦٣٤٩) من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ: «دخلت الجنة فرأيت فيها دارًا أو قصرًا ...».

[٢] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤١٢).

[٣] سبق تخريجه، (ص: ٣٨٠).

[٤] وانظر: تحفة الأحوذي (١٠/ ١٨٣).

٨- حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في قصة رؤياه وفيه: فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان، في يد كلِّ واحدٍ منهما مِقْمَعَةٌ من حديد، يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنم! ثم أراني لقيني ملَكٌ في يده مِقْمَعَةٌ من حديد، فقال: لم تُرَع، نِعْمَ الرجلُ أنتَ لو تُكثرُ الصلاة. فانطلَقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم[(١)]، فإذا هي مطويَّةٌ كطَيِّ البئر، لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملَكٌ بيده مِقْمَعَةٌ من حديد، وأرى فيها رجالاً معلَّقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفتُ فيها رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين. فقصصتها على حفصة، فقصَّتْها حفصةُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن عبد الله رجل صالح».[(٢)]

وعند البخاري: «رأيت في المنام كأنَّ في يدي سَرَقَةً من حرير، لا أهوي بها إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه[(٣)]».[(٤)]

وفي لفظ لهما: «كأن بيدِي قطعةَ إستبرق[(٥)]، فكأني لا أريد مكانًا من الجنة إلا طارت إليه».[(٦)]

وهذه الرؤيا أيضًا فيه إثبات الجنة، وبعضِ ما فيها من النعيم، ومن ذلك لبس الحرير، وأن صاحبها يتبوَّأُ منها حيث يشاء.

كما أن فيها إثبات النار، وأنها موجودة الآن، وأن من أسمائها: جهنم، وأن لها شفيرًا، وقرونًا كقرون البئر، وأن فيها ملائكة موكلين بها، وأن فيها أنواعًا من العذاب، من ذلك مقامع الحديد، وسلاسل يعلق بها أصحابها، وأن فيها الآن أناسًا يعذبون فيها. أجارنا الله ووالدين والمسلمين منها.

---

(١) **شفير جهنم**: طرفُها وحدُّ حَرْفِها، كشفير الوادي. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٦/ ٢٥٣)، وتهذيب اللغة للهروي (١١/ ٢٤٠).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه (ص: ٣٢٠).

(٣) يعني: لا أقصد بتلك السَّرَقة إلى مكان في الجنة لأنزلَ فيها إلا كانت تلك السرقةُ مُطيرة بي، ومُبْلِغة إلى تلك المنزلة، فكأنها مثلُ جناحِ الطير. المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (٦/ ٣٣٧).

(٤) صحيح البخاري: كتاب التعبير باب الاستبرق ودخول الجنة في المنام (٦/ ٢٥٧٤ رقم: ٦٦١٣).

(٥) **إستبرق**: هو ما غلظ من الحرير والإبريسم. النهاية لابن الأثير (١/ ٤٧).

(٦) صحيح البخاري: كتاب التهجد باب فضل من تعار من الليل فصلى (١/ ٣٨٨ رقم: ١١٠٥)، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٤/ ١٩٢٧ رقم: ٢٤٧٨).

٩- حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومًا فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصحابه: اضرب له مثلاً. فقال: اسمع سمعَتْ أذنُك، واعقل عقل قلبك، إنما مثَلُكَ ومثَلُ أمتك كمثَل مَلِكٍ اتخذ دارًا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».[١]

وهذه الرؤيا أيضًا فيها إثبات الجنة، وأنها حق، وأنها لا تكون إلا لمن أجاب دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - فدخل في دينه الإسلام، وأن فيها نعيمًا، وأن من دخلها تنعَّم بنعيمها وأكل مما فيها. ثبَّتنا الله - عز وجل - على دينه وأدخلنا جنته وأكرمنا بالتنعم فيها.

١٠- حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تُعجِبُه الرؤيا، فربما رأى الرجلُ الرؤيا فسأل عنه إذا لم يَكن يَعرِفُه، فإذا أُثْنِيَ عليه معروفًا كان أعجَبَ لرؤياه إليه، فأتَتْه امرأةٌ فقالت: يا رسولَ الله! رأيتُ كأنِّي أُتِيتُ فأُخرجتُ من المدينة فأُدخلتُ الجنَّة، فسمعتُ وَجْبةً[٢] انْتَحَتْ[٣] لها الجنة، فنظرتُ فإذا فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، فسَمَّت اثني عشرَ رجلاً كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعثَ سَرِيَّةً قَبْلَ ذلك، فجيءَ بهم عليهم ثيابٌ طُلْسٌ[٤]، تَشْخُبُ[٥] أوداجُهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهرِ البَيْذَخ[٦] - وفي لفظ: نهر البيدح[٧] - قال:

---

[١] حديث صحيح، سبق تخريجه (ص: ٣٨٤).

[٢] **الوَجْبَة**: السَّقْطَة من علو إلى أسفل بصوت مزعج. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٥٤).

[٣] **انْتَحَتْ**: انتحى للشيء: عَرَضَ له وقَصَدَ نحوه. انظر: تهذيب اللغة للهروي (٥/ ١٦٣)، والمعجم الوسيط (٢/ ٩٠٨).

[٤] **طُلْسٌ**: جمع أَطْلَس: وهو الأَسْوَدُ والوسخُ من الثياب. انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ١٣٢).

[٥] **طُلْسٌ**: تسيل. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٥٠). وسيتكرر.

[٦] **البَيْذَخ**: قال الجوهري: البَذَخ: الكِبر. وقد بَذِخَ بالكسر، وتَبَذَّخَ: أي تكَبَّرَ وعَلا. وشَرَفٌ باذِخ: أي عالٍ. والبَواذِخُ من الجبال: الشوامخ. وامرأة بَيْذَخ: أي بادِن. الصحاح (١/ ٤١٨).

[٧] **البَيْدَح**: قال الزبيدي: البَدَاحُ: المُتَّسِعُ من الأرض. والبَدَاحُ: الأرضُ اللَّيِّنةُ الوَاسِعةُ. والبُدْحَةُ من الدارِ: السّاحَةُ. والبِدْحُ: الفَضَاءُ الوَاسِعُ. وامرأَةٌ بَيْدَحٌ: بادِنٌ، أَي صاحبةُ بَدَنٍ. تاج العروس (٦/ ٣٠٢) بتصرف.

فغُمِسُوا فيه، قال: فخَرَجُوا ووجُوهُهم كالقمر ليلةَ البدر – وفي رواية: ثم أُتُوا بكراسِيَ من ذهبٍ فقعدوا عليها – فأُتُوا بصَحْفَةٍ من ذهب فيها بُسْرَة[1]، فأكلوا من بُسُرِه ما شاؤوا، ما يُقلِّبُونها من وجهٍ إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلتُ معهم. فجاء البشيرُ من تلك السَّرِيَّة فقال: كان من أمرنا كذا وكذا، فأصيبَ فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، حتى عد اثني عشرَ رجلاً. فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالمرأة فقال: «قُصِّي رُؤياك». فقَصَّتْها وجعلتْ تقولُ: جيءَ بفلانٍ وفلانٍ، كما قال الرجل.[2]

وهذه الرؤيا أيضًا فيها إثباتُ الجنة، وذكرُ شيءٍ من نعيمها، وأن فيها أنهارًا، وكراسي من ذهب، وصحافًا من ذهب، ونخيلاً وبسرًا، وفواكه، وأنها موجودة الآن، وأن لها أهلاً يدخلونها فيتنعمون بنعيمها، ويأكلون من ثمارها.

فهذه التفاصيل التي ذكرت في هذه الرؤى والتعابير للجنة والنار يجب تصديقها، والإيمان بها، وكلها داخلة فيما يجب الإيمان به من أمور اليوم الآخر.

---

(1) **البُسْرَة**: البُسْرُ من التَّمْر قبل أن يُرْطِبَ، فإنَّ البُسْرَ أَوَّلُه طَلْعٌ ثم خَلَالٌ – بالفتح – ثم بَلَحٌ – بفتحتين – ثم بُسْرٌ، ثم رُطَبٌ، ثم تَمْرٌ، الواحدة منه: بُسْرَةٌ و بُسُرَةٌ، وَالجمع: بُسُرَاتٌ و بُسُرٌ. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٧/ ٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص: ٣٤).

(2) أخرجه أحمد في مسنده (١٩/ ٣٧٨ رقم: ١٢٣٨٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٢/ ٢٦٩ رقم: ١٢٧٣)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٤٤ رقم: ٣٢٨٩)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤١٨ رقم: ٦٠٥٤)، واللفظ له، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

المبحث السادس

دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالقدر

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقدر.

المطلب الثاني: الإيمان بالقدر.

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالقدر

المطلب الرابع: مسألة أطفال المشركين.

المبحث السادس

دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالقدر

المطلب الأول: التعريف بالقدر

القدر في اللغة: بفتح الدال وإسكانها تتكون من ثلاثة أحرف أصلية صحيحة: القاف والدال والراء، وهو أصل واحد يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، وإليه يرجع سائر معانيه، ومن ذلك القدر بمعنى: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها.[(١)]

ويقال: قَدَر فلانًا: عَظَّمَه وجعله بقدر. ويقال: قدَرَ الأمرَ: دَبَّره وفكَّر في تسويته. وقدر الشيءَ بالشيءِ: قاسه به وجعله على مقداره. وقدر اللهُ الأمرَ على فلان: جعله له وحكم به عليه. وقَدَر الرزقَ عليه: ضيقه.[(٢)] والقدر أيضًا: الطاقة، ومنه قوله تعالى: {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا} [البقرة: ٢٣٦].[(٣)]

وأما تعريف القدر في الشرع فقد تعددت تعريفات العلماء له، وكلها تدور حول مراتب القدر الأربع التي يأتي بيانها إن شاء الله.[(٤)]

فقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بأنه: «علم الله وكتابته، وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه».[(٥)]

ومن أجمع هذه التعاريف وأوضحها أنه: «تقدير الله تعالى الأشياءَ في القِدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلْقُه لها».[(٦)]

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٧٤٦).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧١٨).

(٣) انظر: تاج العروس للزبيدي (١٣/ ٣٧٠).

(٤) انظر: شفاء العليل لابن القيم (ص: ٢٩).

(٥) جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٣٥٥).

(٦) القضاء والقدر للدكتور عبد الرحمن المحمود (ص: ٤١).

وبين القضاء والقدر ارتباط وثيق بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر، حتى إن بعض العلماء ذهب إلى أنهما مترادفان لا فرق بينهما، وأن كلاً منهما في معنى الآخر، فالقضاء هو القدر والقدر هو القضاء.[1] وأيدوا قولهم بما يلي:

١- أن الذين فرقوا بينهما ليس لهم دليل صريح من الكتاب والسنة يفصل في القضية.

٢- أنه عندما يطلق أحدهما فإنه يشمل الآخر، وهذا يوحي بأنه لا فرق بينهما في الاصطلاح، ولذا فالراجح أنه لا فرق بينهما.

٣- أنه لا فائدة من هذا الخلاف، لأنه قد وقع الاتفاق على أن أحدهما يطلق على الآخر، وعند ذكرهما معًا فلا مشاحة من تعريف أحدهما بما يدل عليه الآخر.[2]

وذهب آخرون إلى أن بينهما فرقًا، ثم اختلفوا في تحديد هذا الفرق، ومِن أوجَهِ هذه الفروق التي ذكرت: أن القضاء والقدر من قبيل الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، لكل منهما معنى شامل عند الانفراد، ومعنى خاص عند الاجتماع، فالقضاء إذا أفرد شمل القدر، والقدر إذا أفرد شمل القضاء، لكن إذا اجتمعا فالقضاء: «ما يقضيه الله في خلقه من إيجاد، أو إعدام، أو تغيير». والقدر: «ما قدره الله – تعالى – في الأزل».

وبعبارة أخرى: «القدر هو: تقدير الله في الأزل. والقضاء هو: حكم الله بالشيء عند وقوعه». فإذا قدر الله تعالى أن يكون الشيء المعيَّنُ في وقته فهذا قدر، فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء.[3]

وعلى هذا يكون القدر سابقًا، والقضاء لاحقًا، وعليه أيضًا يكون القضاء أخص من القدر، فإن القضاء: ما وقع وقُضِي من القدر، والقدر أعم؛ يشمل ما قُضي وما لم يُقض.[4]

وهذا التفريق يؤيده الوضع اللغوي لكلمة «القضاء» ويؤيده أيضًا ظاهر نصوص الشرع.

---

[1] وممن ذهب إلى هذا القول شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، كما في فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٤/ ١٩١).

[2] انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه للدكتور عبد الرحمن المحمود (ص: ٤٤).

[3] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٧٩- ٨٠).

[4] وانظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصبهاني (ص: ٦٧٥- ٦٧٦) حيث قال: «والقَضَاءُ من الله تعالى أخصّ من القدر، لأنه الفصل بين التّقدير، فالقدر هو التّقدير، والقضاء هو الفصل والقطع. وقد ذكر بعض العلماء أنّ القدر بمنزلة المعدّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل».

فإن القضاء في اللغة: إحكام الأمر وإتقانه وإنفاذه لجهته.[1]

قال ابن الأثير: «وأصله: القطع والفصل. يقال: قضى يقضي قضاء فهو قاض: إذا حكم وفصل. وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق.

وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو ختم، أو أدي، أو أوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي؛ فقد قضي. وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث.

ومنه "القضاء المقرون بالقدر" والمراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء: الخلق، كقوله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: ١٢] أي خلقهن».[2]

وعليه يدل ظاهر القرآن كما في قوله تعالى: {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال: ٤٤].

وذهب بعض العلماء إلى العكس من هذا القول، فجعل القضاء أعم من القدر، وجعل القضاء مقدَّمًا على القدر. قال الكرماني رحمه الله: «القضاء: هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر: هو جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله التي تقع في لا يزال، قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} [الحجر: ٢١]».[3]

والخلاصة ما ذكره ابن الأثير – رحمه الله – بقوله: «فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه».[4]

---

[1] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٨٦١).

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٧٨).

[3] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٧٢)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٧).

[4] النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٧٨).

المطلب الثاني: الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، كما دل على ذلك حديث جبريل عليه السلام، وفيه: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».[1]

كما دل القرآن الكريم على الإيمان به في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [الأحزاب: ٣٨]، وقوله عز وجل: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩].

والإيمان بالقدر جانب مهم جدًّا من جوانب العقيدة الإسلامية، فهو - بالإضافة إلى كونه أحد أركان الإيمان - يدخل ضمن توحيد الربوبية؛ لأنه من أفعال الرب جل جلاله، ولأن من آمن بأن الله تعالى هو الخالق المدبر المتصرف في شؤون خلقه كلها فهو مؤمن بقضاء الله وقدره، كما أن الإيمان بالقدر وبربوبية الله - عز وجل - يدخلان ضمن توحيد الأسماء والصفات، وذلك لأن «الرب» من أسماء الله الحسنى، والربوبية والعلم والقدرة والمشيئة من صفاته العليا.[2]

والإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب[3]:

الأولى: الإيمان بأن الله - سبحانه وتعالى - علم الأشياء كلها قبل وجودها بعلمه الأزلي، وعلم مقاديرها وأزمانها، وآجال العباد وأرزاقهم وأعمالهم وغير ذلك، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التوبة: ١١٥] وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: ١٢].

الثانية: أن الله - جل وعلا - كتب جميع الأشياء من خير وشر، وطاعة ومعصية، وآجال وأرزاق، وغير ذلك؛ في اللوح المحفوظ، كما قال سبحانه: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج: ٧٠].

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء».[4]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، وعلامة الساعة (١/ ٣٧ رقم: ٨).

[2] انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للدكتور محمد الخميس (٥١٥- ٥١٦).

[3] انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٥٨- ٦٠).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٤/ ٢٠٤٤ رقم: ٢٦٥٣).

الثالثة: أن كل شيء في السموات والأرض من حركة أو سكون أو طاعة أو معصية أو غير ذلك؛ فهو بمشيئة الله جل جلاله، ولا يقع في ملكه – تبارك وتعالى – إلا ما يشاء، كما قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣]، وقال سبحانه: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا} [الأنعام: ١٠٧]، وقال عز وجل: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٨- ٢٩].

الرابعة: أن الله – سبحانه وتعالى – هو الخالق الموجد لجميع الأشياء من ذوات وصفات وأفعال، فالجميع خلق الله سبحانه، وكل ذلك واقع بمشيئته وقدرته، فالعباد وأرزاقهم وطاعاتهم ومعاصيهم كلها خلق لله، كما قال تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ١- ٢].

ومع ذلك فإن أفعال العباد تنسب إليهم فيستحقون الثواب على طيبها والعقاب على خبيثها، وهم فاعلون لها حقيقة، ولهم مشيئة، ولهم قدرة قد أعطاهم الله إياها، والله سبحانه هو خالقهم وخالق أفعالهم وقدراتهم ومشيئاتهم. كما قال عز وجل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦]، وقال جل وعلا: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف: ٢٩]، وقال سبحانه: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦].(١)

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه المراتب الأربع ويثبتونها كلها، ويرون أنه لا يتحقق الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بهذه المراتب الأربع.

والمخالفون لأهل السنة والجماعة في هذا الباب خالفوهم في مسألتين:

الأولى: علم الله السابق بالأشياء قبل وجودها وكتابته لها، أي المرتبة الأولى والثانية من مراتب القدر، فقد أنكر غلاة القدرية – وهم القدرية الأولى – هذا النوع من التقدير، وقالوا: إن الأمر أنف. أي أنه مستأنف، وأن الله – عز وجل – لم يقدر الأشياء قبل خلقها، فلم يعلمها ولم يكتبها إلا بعد وجودها.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٦/ ٥٨- ٦٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا القول مهجور باطل مما اتفق على بطلانه سلف الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين، بل كفروا قائله. والكتاب، والسنة مع الأدلة العقلية تبين فساده».[1]

وقال: «غلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف: أي مستأنف. وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير، وبين بني أمية في أواخر عصر عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وغيرهما من الصحابة، وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني، فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرؤوا منهم، وأنكروا مقالتهم، كما قال عبدالله بن عمر لما أخبر عنهم: "إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني". وكذلك كلام ابن عباس، وجابر بن عبدالله، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين فيهم كثير، حتى قال فيهم الأئمة كمالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم: إن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون».[2]

وقد بين الأئمة أن مذهب القدرية الغلاة هذا قد انقرض، وأن القدرية اليوم مطبقون على أن الله تعالى عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا أهل السنة والجماعة في إثبات عموم مشيئة الله تعالى وخلقه وقدرته كما يأتي بيانه.[3]

وقد سبق مزيد بيان لهذه المسألة.

الثانية: عموم مشيئة الله تعالى وخلقه وقدرته، فالمعتزلة – وهم القدرية النفاة – أنكروا عموم مشيئة الله وعموم خلقه وقدرته، فقالوا: إن الكفر والمعاصي والسيئات لم يقع شيء منها بمشيئة الله وإرادته، لأنه يلزم من ذلك – عندهم – أن يكون الله قد أمر بها، والله لا يأمر بالفحشاء. وقالوا: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد بل هم الخالقون لأفعالهم.[4]

---

[1] مجموع الفتاوى (٨/ ٤٩١) وقد ناقش – رحمه الله – هذا القول وبين بطلانه ودلل على ذلك من الكتاب والسنة فيما تلا ذلك من الصفحات.

[2] مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٠).

[3] انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٩).

[4] انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٩٨- ٢٩٩)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ١١٤- ١١٥)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٤).

والجبرية – من الجهمية ومن وافقهم – بالغوا في إثبات عموم المشيئة والخلق والقدرة حتى سلبوا العبد مشيئته واختياره وقدرته، فقالوا: إن العباد مجبورون على أعمالهم، لا قدرة لهم ولا إرادة ولا اختيار، وإن الله تعالى هو وحده خالق أفعال العباد، وإنما تنسب إليهم مجازًا، كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس.[1]

فهذان مذهبان متطرفان، أحدهما مُفَرِّط والآخر مُفْرط، وتوسط أهل السنة والجماعة بينهما، فمع إثباتهم عموم مشيئة الله تعالى وخلقه وقدرته أثبتوا للعبد مشيئة وقدرة واختيارًا، وقالوا: إن الله تعالى خالق أفعال العباد، والعباد فاعلون حقيقة، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.[2]

وقد سبق مزيد بيان لهذه المسألة.

---

(1) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٣٣٨)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢١١)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٥).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٩- ١٥٠).

المطلب الثالث: دلالات الرؤى والتعابير في باب الإيمان بالقدر

من أحاديث الرؤى والتعابير التي لها دلالات في هذا الباب:

١- حديث الطفيل بن سخبرة – رضي الله عنه – في قصته مع اليهود والنصارى في المنام، وفيه: «لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد».[١]

٢- حديث حذيفة – رضي الله عنه – في القصة نفسها وفيه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «والله إن كنت لأعرفها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد».[٢]

٣- حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – في اختصام الملأ الأعلى، وفيه: «وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون».[٣]

ففي هذه الأحاديث إثبات مرتبة من مراتب الإيمان بالقدر، وهي الإيمان بمشيئة الله الشاملة النافذة، كما في حديث الطفيل وحذيفة رضي الله عنهما، وفي معناها الإرادة الكونية القدرية كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي حديث الطفيل وحذيفة – رضي الله عنهما – أيضًا إثبات المشيئة للمخلوق، لكنها ليست مساوية لمشيئة الله تعالى، بل هي تابعة لمشيئته سبحانه، ولهذا نهاهم عن قول: ما شاء الله وشاء محمد، ورخص لهم في قول: ما شاء الله ثم شاء محمد. وفي القرآن الكريم قوله تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٨- ٢٩].

وقد تقدم مزيد بيان لمسألة المشيئة.

٤- حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – وفيه: «قالا: ذاك منزلك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملتَ أتيتَ منزلك».[٤]

وفي هذا الحديث إثبات معنى من معاني القدر، وهو أن الله تعالى قدر الآجال وحدَّدها، فلا تتقدم ولا تتأخر، وأن الإنسان لا يرحل من هذه الدنيا إلا بعد استكمال أجله.

---

[١] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٣).

[٢] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٧٢).

[٣] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٢).

[٤] أخرجه البخاري، وقد تقدم تخريجه (ص: ٣٦).

المطلب الرابع: مسألة أطفال المشركين[1]:

المراد بالأطفال هنا: الذين ماتوا ولم يبلغوا الحلم، فبالتالي لم يدركوا شيئًا من الأحكام لصغر سنهم، والصغر يعتبر من العوارض التي تعترض أهلية التكليف، أي يجعل صاحبه غير مكلف بشيء ما.

ففي حديث عائشة – رضي الله عنها – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل – أو يفيق –».[2] وفي لفظ: «وعن الصبي حتى يحتلم».[3]

وقد ورد في رؤيا النبي – صلى الله عليه وسلم – التي رواها عنه سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قوله صلى الله عليه وسلم:

«فانطلقنا فأتينا على رَوضةٍ مُعْتَمَّة فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظَهْرَي الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر وِلْدانٍ رأيتهم قط. قال: قلت لهما: ما هذا؟! ما هؤلاء؟! قال: قالا لي: انطلق انطلق». إلى أن قال: «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأما الوِلْدان الذين حوله فكل مولودٍ مات على الفطرة». قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله! وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأولاد المشركين».[4]

دلَّت هذه الرؤيا على أن من مات على الفطرة من أولاد المسلمين فهو في الجنة، ودلت عليه أيضًا رؤياه الأخرى التي رواها أبو أمامة – رضي الله عنه – وفيها: «ثم انطلق بي فإذا أنا بالغلمان يلعبون بين نهرين، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذراري المؤمنين».[5]

---

[1] جعلتُ هذه المسألة هنا في باب الإيمان بالقدر؛ لأن كثيرًا من العلماء جعلها كذلك، انظر: صحيح البخاري (٨/ ١٢٢)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٧)، وسنن أبي داود (٧/ ٩٥)، وسنن ابن ماجه (١/ ٦٠)، والسنة لابن أبي عاصم (١/ ٩١)، والقدر للفريابي (ص: ١٢٢)، والإبانة للأشعري (ص: ١٩٤)، والشريعة للآجري (٢/ ٨١٥)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٤/ ٦٩)، والقضاء والقدر للبيهقي (ص: ٣٤٨)، وشرح السنة للبغوي (١/ ١٥٣)، وجامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (١٠/ ١٢١)،وأصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٧٩).

[2] أخرجه أبو داود في سننه (٦/ ٤٥١– ٤٥٢ رقم: ٤٣٩٨)، والنسائي في سننه (٦/ ١٥٦ رقم: ٣٤٣٢)، وابن ماجه في سننه (٣/ ١٩٨ رقم: ٢٠٤١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢/ ٤ رقم: ٢٩٧).

[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤١/ ٢٢٤ رقم: ٢٤٦٩٤) وقال محققوه: «إسناده جيد».

[4] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٦).

[5] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤٠٦).

وهذا الأمر كالمجمع عليه عند أهل السنة والجماعة، فقد نقل جملة من العلماء الإجماع على ذلك، منهم الإمام ابن عبد البر – رحمه الله – في التمهيد فقال: «وقد أجمع العلماء على ما قلنا من أن أطفال المسلمين في الجنة، فأغنى ذلك عن كثير من الاستدلال، ولا أعلم عن جماعتهم في ذلك خلافًا إلا فرقة شذت من المجبرة، فجعلتهم في المشيئة، وهو قول شاذ مهجور مردود بإجماع الجماعة، وهم الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم، ولا يجوز على مثلهم الغلط في مثل هذا»[1]. وكذلك الإمام النووي في شرحه على مسلم فقال: «أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفًا، وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا[2]».[3]، ونقل الإجماع أيضًا: ابن الملقن[4]، ونقل ابن القيم – رحمه الله – عن الإمام أحمد – رحمه الله – قوله: «لا يختلف فيهم أحد أنهم من [أهل] الجنة».[5]

كما دلت الرؤيا أيضًا على أن أطفال المشركين كذلك في الجنة، وهذه مسألة اختلف العلماء فيها اختلافًا كثيرًا، وتعددت فيها أقوالهم، وذلك لاختلاف النصوص الواردة فيها، فمنها ما يفيد أن أطفال المشركين في الجنة، كما في هذه الرؤيا التي معنا.

ومنها ما قد يفهم منه أنهم في النار، كحديث الصعب بن جثامة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سئل عن أهل الدار يُبَيَّتُون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم، قال: «هم منهم».[6] وفي رواية لمسلم: لو أن خيلاً أغارت من الليل، فأصابت من أبناء المشركين؟ قال: «هم من آبائهم».[7]

---

[1] التمهيد (٦/ ٣٤٩).

[2] سيأتي نصه بعد قليل إن شاء الله، فنؤجل تخريجه وتوجيهه إلى ذلك الحين.

[3] شرح النووي على مسلم (١٦/ ٤٢٣).

[4] انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ٤٣٢).

[5] أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٧١) وما بين المعكوفتين زيادة مني.

[6] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري (٣/ ١٠٩٧ رقم: ٢٨٥٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد (٣/ ١٣٦٤ رقم: ١٧٤٥).

[7] الموضع السابق من صحيح مسلم.

ومنها ما يفيد التوقف في شأنهم وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى، كحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذراري المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».[1]

ومنها ما يفيد بأنهم يمتحنون في عرصات القيامة، بأن يُرسَل إليهم رسولٌ، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.[2]

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «والحاصل أن مسألة أطفال الكفار باعتبار أمر الآخرة من المعارك الشديدة؛ لاختلاف الأحاديث فيها، ولها ذيول مطولة».[3]

وقد سلك العلماء - رحمهم الله - حيال هذا الاختلاف ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: مسلك الجمع بين النصوص الواردة في الباب[4]، وقد ذكر العلماء - رحمهم الله - في الجمع بينها وجهين:

الوجه الأول وهو أقواهما: «أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ويرسل إليهم هناك رسولٌ ... فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه أدخله النار.

وعلى هذا فيكون بعضُهم في الجنة، وبعضُهم في النار، وبهذا يتألَّفُ شَمْلُ الأدلةِ كلِّها، وتتوافق الأحاديث، ويكون معلوم الله الذي أحال عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول: «الله أعلم بما كانوا عاملين»؛ يظهَرُ حينئذ، ويقع الثواب والعقاب عليه حال كونه معلومًا علمًا خارجيًّا، لا علمًا مجردًا، ويكون النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ردَّ جوابَهم إلى علم الله فيهم، والله يردُّ ثوابهم وعقابهم إلى معلومه منهم، فالخبر عنهم مردود إلى علمه، ومصيرهم مردود إلى معلومه».[5]

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين صحيح البخاري (١/ ٤٦٥ رقم: ١٣١٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٤٩ رقم: ٢٦٥٩). وفي الباب: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عند البخاري (١٣١٧) ومسلم (٢٦٦٠).

[2] ستأتي الأحاديث الواردة في ذلك قريبًا.

[3] نيل الأوطار (٧/ ٢٣٧).

[4] وهذا المسلك هو المقدَّم في كل مسألة وردت فيها نصوص ظاهرها التعارض، إن أمكن ذلك، لأن مقتضاه العمل بجميع الأدلة الواردة في المسألة الواحدة، وإعمال الأدلةِ كلِّها أولى من إهمالها أو إهمال بعضها. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في نزهة النظر (ص: ٩٧): «فصار ما ظاهِرُهُ التَّعارُضُ واقعًا على هذا الترتيب: الجمعُ إن أمكن، فاعتبارُ النَّاسخِ والمنسوخِ، فالترجيحُ إن تَعَيَّن، ثم التوقُّفُ عن العمل بأحد الحديثين». وانظر: اختلاف الحديث للشافعي (ص: ٤٨٧)، والاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي (ص: ٩)، ومقدمة ابن الصلاح (ص: ٢٨٤- ٢٨٦)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد للدكتور عثمان بن علي حسن (١/ ٣٢٢- ٣٢٦).

[5] طريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٨٧- ٥٨٨).

وعلى هذا لا يكون هناك تنافٍ بين ما ورد في بعض النصوص من أنهم في الجنة، وما ورد من أنهم في النار، وما ورد من قوله - صلى الله عليه وسلم - في أكثر من حديث: «الله أعلم بما كانوا عاملين». إذ يقال: إن النصوص دلت على أن بعضهم في الجنة، وبعضَهم في النار، وأنه بناءً على ذلك لا يُجزَمُ لمعيَّنٍ منهم بجنة أو نار، وإنما يقال فيهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وقال ابن القيم رحمه الله: «وفي قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين» إشارة إلى أنه سبحانه كان يعلم ما كانوا عاملين لو عاشوا، وأن من يطيعه وقت الامتحان كان ممن يطيعه لو عاش في الدنيا، ومن يعصيه حينئذ كان ممن يعصيه لو عاش في الدنيا، فهو دليل على تعلُّق علمه بما لم يكن لو كان كيف كان يكون».[1]

وقد ذهب إلى هذا القول جملة من العلماء المحققين، منهم: أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - وحكاه عن أهل السنة والجماعة[2]، وابن تيمية[3] وقال: «وهذا القول منقولٌ عن غير واحد من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم. وقد رُوِيَ به آثار متعددة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حسانٌ يصدِّقُ بعضُها بعضًا، وهو الذي حكاه الأشعري في المقالات عن أهل السنة والحديث[4]، وذكر أنه يذهب إليه، وعلى هذا القول تدل الأصول المعلومة بالكتاب والسنة، كما قد بسط في غير هذا الموضع، وبُيِّن أن الله لا يعذب أحدًا حتى يبعث إليه رسولاً».[5]

---

[1] تهذيب سنن أبي داود لابن القيم، بهامش عون المعبود (١٢/ ٣٢٣). وانظر: درء التعارض لابن تيمية (٤/ ٩٧).

[2] الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٣٤).

[3] انظر: الرد على الشاذلي (ص: ٧٩- ٨٠)، والصفدية (٢/ ٢٤٤- ٢٤٥)، والفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٦)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٦- ٢٤٧).

[4] قال الأشعري - رحمه الله - في كتابه مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٩) وهو يحكي مذهب أهل الحديث والسنة: «وأن الأطفال أمرهم إلى الله؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد». وهذا كما ترى ليس صريحًا في أنهم يمتحنون، وصرَّح بذلك في الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٣٤) فقال: «وقولنا في أطفال المشركين: أن الله تعالى يؤجج لهم في الآخرة نارًا، ثم يقول لهم: اقتحموها. كما جاءت بذلك الرواية».

[5] درء التعارض لابن تيمية (٤/ ٩٧).

وذهب إلى هذا القول ونصره ابن القيم[(١)]، وابن كثير[(٢)]، والشنقيطي[(٣)]، وابن باز[(٤)]، والألباني[(٥)]، وابن عثيمين[(٦)]، رحمهم الله.

واستدلوا بجميع الأدلة الواردة في الباب، مع حمل كل دليل على الجزء الذي يدل عليه دون أن يتعارض مع غيره، إذ من الأدلة الواردة في الباب ما يقضي بأن بعضًا منهم في الجنة، وما يقضي بأن البعض الآخر منهم في النار، وما يدل على عدم القطع لمعيَّنٍ منهم بجنة أو نار مع تفويض العلم بما كانوا عاملين – لو عاشوا – إلى الله عز وجل، وما يدل على أن الله – سبحانه وتعالى – لا يعذب إلا من بلغته الدعوة وكان أهلاً للتكليف، كقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥] وقوله عز وجل: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص: ٥٩][(٧)]، وما يدل على أن دخول النار إنما يكون بالأعمال كقوله تعالى مخاطبًا أهل النار: {اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الطور: ١٦][(٨)].

---

(١) أحكام أهل الذمة (٢/ ١١٣٧– ١١٥٨)، وطريق الهجرتين (ص: ٥٨٧– ٥٩٥)، وتهذيب سنن أبي داود بهامش عون المعبود (١٢/ ٣٢٣)، وإعلام الموقعين (٤/ ٢٠٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٨– ٥٩) وقال: «وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض. وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – رحمه الله – عن أهل السنة والجماعة، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب "الاعتقاد" وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ النقاد».

(٣) أضواء البيان (٣/ ٣٥٥).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ١٦٤).

(٥) موسوعة الألباني في العقيدة (٥/ ٨٥٨) و (٥/ ٩٠٢).

(٦) فتاوى نور على الدرب – لابن عثيمين (١٢/ ٣٦).

(٧) يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – في طريق الهجرتين (ص: ٥٨٠): « فإذا كان سبحانه لا يهلك القرى في الدنيا ويعذب أهلها إلا بظلمهم، فكيف يعذب في الآخرة العذاب الدائم من لم يصدر منه ظلم؟! ولا يقال: كما أهلكه في الدنيا تبعاً لأبويه وغيرهم فكذلك يدخله النار تبعاً لهم، لأن مصائب الدنيا إذا وردت لا تخص الظالم وحده، بل تصيب الظالم وغيره، ويبعثون على نياتهم وأعمالهم، كما قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال: ٢٥]، وكالجيش الذي يخسف بهم جميعهم وفيهم المكره والمستبصر وغيره. فأما عذاب الآخرة فلا يكون إلا للظالمين خاصة، ولا يتبعهم فيه من لا ذنب له أصلاً».

(٨) وذلك لأن «النار دار عدله، والجنة دار فضله، فلهذا ينشئ للجنة من لم يعمل عملاً قط، وأما النار فإنه لا يعذب بها إلا من عمل بعمل أهلها ... وأيضاً فإن النار دار جزاءٍ، فمن لم يعص الله طرفة عين كيف يجازى بالنار خالداً مخلداً أبد الآباد؟! ... وأيضاً فلو عذب هؤلاءِ لكان تعذيبهم إما مع تكليفهم بالإيمان أو بدون التكليف. والقسمان ممتنعان؛ أما الأول فلاستحالة تكليف من لا تمييز له ولا عقل أصلاً، وأما الثاني فيمتنع أيضاً بالنصوص التي ذكرناها وأمثالها من أن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه» طريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٨١– ٥٨٢).

أما الأدلة الخاصة التي تدل على أنهم يمتحنون في عرصات القيامة فقد وردت في أحاديث لا تخلو من ضعف، لكن يرى بعض العلماء أنها مجتمعة وبضمها إلى ما يؤيدها من نصوص أخرى وقواعد الشرع وأصوله؛ ترتقي إلى درجة القبول، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد رُوِيَ به آثار متعددة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – حسانٌ يصدِّقُ بعضُها بعضًا».[١] وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: «هذه الأحاديثُ يشدُّ بعضُها بعضًا، وتشهد لها أصول الشرع وقواعده، والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة».[٢] وقد صححها جملة من العلماء غيرهما[٣]. وهذه الأحاديث هي:

١- حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول. ويقول المعتوه: أي رب! لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيرًا ولا شرًّا. ويقول المولود: لم أدرك العمل. قال: فترفع لهم نار، فيقال لهم: ادخلوها. فيدخلها من كان في علم الله سعيدًا إن لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيًّا إن لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالى: إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب؟!».[٤]

٢- حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني، كلهم يتكلم بحجته، فيقول الرب – تبارك وتعالى – لعنق من جهنم: أبرزي. فيقول لهم: إني كنتُ أبعثُ إلى عبادي رسلاً من أنفسهم، فإني رسولُ نفسي إليكم، ادخلوا هذه. فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب! أتدخلناها ومنها نفرق؟! ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعًا. قال: فيقول الله: قد عصيتموني، وأنتم لرسلي أشد تكذيبًا ومعصية. قال: فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار».[٥]

---

[١] درء التعارض لابن تيمية (٤/ ٩٧). وانظر: الصفدية (٢/ ٢٤٥).

[٢] طريق الهجرتين (ص: ٥٩١- ٥٩٢).

[٣] ومنهم: السبكي في فتاويه (٢/ ٣٦٣)، والحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٥٨).

[٤] أخرجه ابن الجعد في مسنده (ص: ٣٠٠ رقم: ٢٠٣٨)، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٣٤ رقم: ٢١٧٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٦٦٦ رقم: ١٠٧٦)، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٢٧) من طرق عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري به. وهذا إسناد ضعيف لأجل عطية العوفي، فقد قال فيه الحافظ في التقريب (٢/ ٢٨ رقم: ٥١٩٠): «صدوق يخطئ كثيرًا، كان شيعيًّا مدلِّسًا»، وقد عنعن.

[٥] أخرجه البزار في مسنده (١٤/ ١٠٤ رقم: ٧٥٩٤)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٢٥ رقم: ٤٢٢٤)، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ١٧٠) وفي القضاء والقدر (ص: ٣٦٢ رقم: ٦٤٦) وضعف إسناده، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٢٨)، من طريق ليث ابن أبي سليم عن عبد الوارث عن أنس – رضي الله عنه – به. وليث ابن أبي سليم =

٣- حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً، وبالهالك في الفترة، وبالهالك صغيرًا، فيقول الممسوخ عقلاً: يا رب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد بعقله مني. ويقول الهالك في الفترة: يا رب لو أتاني منك عهدٌ ما كان من أتاه منك عهدٌ بأسعدَ بعهده مني. ويقول الهالك صغيرًا: لو آتيتني عمرًا ما كان من آتيته عمرًا بأسعدَ من عمره مني. فيقول الرب تبارك وتعالى: إني آمركم بأمر فتطيعوني؟ فيقولون: نعم وعزَّتِك. فيقول: اذهبوا فادخلوا النار. فلو دخلوها ما ضرتهم، فيخرج عليهم قوابصُ[1] يظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء، فيرجعون سِراعًا فيقولون: خرجنا يا رب نريد دخولها فخرجَتْ علينا قوابص ظننَّا أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء. فيأمرهم الثانية، فيرجعون كذلك، يقولون مثل قولهم، فيقول الله تبارك وتعالى: قبل أن تُخلَقوا علمتُ ما أنتم عاملون، وإلى علمي تصيرون، فتأخذهم النار».[2]

هذه الأحاديث الثلاثة فيها تصريح بمصير الأطفال الذين ماتوا قبل البلوغ، وأنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ومن ثَمَّ ينقسمون إلى أهل جنة وأهل نار، وعمومها مخصوص بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة الكثيرة القاضية بأن أطفال المسلمين في الجنة، فهذه الأحاديث الثلاثة في شأن أطفال المشركين، لكنها كلها ضعيفة من حيث الإسناد، ولو صحت لكانت قاطعة للنزاع.

ضعيف، قال عنه الحافظ في التقريب (٢/ ١٤٨ رقم: ٦٣٨٢): صدوق، اختلط أخيرًا، ولم يتميز حديثه فترك». وشيخه عبد الوارث هو الأنصاري مولى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال عنه أبو زرعة الرازي كما في سؤالات البرذعي (٢/ ٣٨١): «منكر الحديث». وقال الترمذي في العلل الكبير (ص: ١٢٥): «سألتُ محمدًا - يعني البخاري - عن عبد الوارث هذا، فقال: هو رجل مجهول». وضعفه الدارقطني كما في سننه (٣/ ٢٠٥)، وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ١٣٠ رقم: ٤٢٠٠).

[1] **قوابِص**: أي طَوائِف وجماعات، واحِدها: قَابِصَةٌ. النهاية لابن الأثير (٤/ ٥).

[2] أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٥٧ رقم: ٧٩٥٥) والكبير (٢٠/ ٨٣ رقم: ١٥٨) ومسند الشاميين (٣/ ٢٥٧ رقم: ٢٢٠٥) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن يونس بن ميسرة إلا عمرو بن واقد، ولا يروى عن معاذ إلا بهذا الإسناد». وأبو نعيم في الحلية حلية (٥/ ١٢٧)، وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٢٩) من طرق عن عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن معاذ بن جبل به. وعمرو بن واقد الدمشقي متروك كما في التقريب (٢/ ٨٦ رقم: ٥٧٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٧): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه عمرو بن واقد، وهو متروك عند البخاري وغيره، ورمي بالكذب، وقال محمد بن المبارك الصوري: كان يتبع السلطان وكان صدوقًا. وبقية رجال الكبير رجال الصحيح».

٤- حديث الأسود بن سَرِيعٍ - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أربعة يَحتجُّون يوم القيامة: رجلٌ أصم، ورجلٌ أحمق، ورجلٌ هرِم، ورجلٌ مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام ولم أسمع شيئًا. وأما الأحمق فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيانُ يَحذِفُوني بالبَعْر. وأما الهرِمُ فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وما أعقل. وأما الذي مات في الفترة فيقول: ربِّ ما أتاني لك رسول. فيأخذ مواثيقَهم ليُطِيعُنَّه، فيُرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار. قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها كانت عليهم بردًا وسلامًا».[1]

٥- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا بنحو حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه، إلا أنه قال في آخره: «فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها يسحب إليها».[2]

وهذان الحديثان الأخيران ليس فيهما ذكرٌ للمولود، إلا أن العلماء يذكرونهما في هذا الباب ويقوون بهما الأحاديث السابقة، ويقيسون المولود على المذكورين فيهما بجامع أن الجميع لم تبلغه الدعوة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد جاء في آثار أخرى أنهم يمتحنون يوم القيامة، وجاءت بذلك أحاديث صحيحة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيمن لم تبلغه الدعوة في الدنيا، كالمجنون والشيخ الكبير والأصم الذي أدركه الإسلام وهو أصم لا يسمع ما يقال ومن مات في الفترة، وأن هؤلاء يؤمرون يوم القيامة، فإن أطاعوا دخلوا الجنة، وإلا استحقوا العذاب، وكان هذا تصديقًا لعموم قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء: ١٥]، وبذلك استدل أبو هريرة على أن أطفال الكفار لا يعذبون حتى يمتحنوا في الآخرة».[3]

---

[1] أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ١٢٢ رقم: ٤١)، وأحمد في مسنده (٢٦/ ٢٢٨ رقم: ١٦٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٥٦ رقم: ٧٣٥٧)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٨٧ رقم: ٨٤١)، والبيهقي في الاعتقاد للبيهقي (ص: ١٦٩) وفي القضاء والقدر (ص: ٣٦١ رقم: ٦٤٤) وقال: «وهذا إسناد صحيح». والحافظ المقدسي في المختارة (٤/ ٢٥٤- ٢٥٥ رقم: ١٤٥٤) وقال: «إسناده حسن». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٤١٨- ٤١٩ رقم: ١٤٣٤).

[2] أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ١٢٣ رقم: ٤٢)، وأحمد في مسنده (٢٦/ ٢٣٠ رقم: ١٦٣٠٢)، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ١٦٩) وفي القضاء والقدر (ص: ٣٦١ رقم: ٦٤٥) وقال: «وهذا إسناد صحيح». والحافظ المقدسي في المختارة (٤/ ٢٥٥- ٢٥٦ رقم: ١٤٥٥) وقال: «إسناده حسن». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٤١٨- ٤١٩ رقم: ١٤٣٤).

[3] الصفدية (٢/ ٢٤٥).

وقال – رحمه الله – في موضع آخر مبينًا وجهًا آخر من أوجه ترجيح هذا المسلك: «وهذا التفصيل يُذهب الخصومات التي كَرِهَ الخوضَ فيه لأجلها من كرهه، فإن من قطع لهم بالنار كلِّهم جاءت نصوص تدفع قوله، ومن قطع لهم بالجنة كلِّهم جاءت نصوص تدفع قوله. ثم إذا قيل: هم مع آبائهم، لزم تعذيبُ من لم يُذنب، وانفتح باب الخوض في الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والقدر والشرع، والمحبة والحكمة والرحمة. فلهذا كان أحمد يقول: هو أصل كل خصومة. فأما جواب النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي أجاب به أحمد آخِرًا، وهو قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين» ، فإنه فصل الخطاب في هذا الباب. وهذا العلم يَظهر حكمُه في الآخرة، والله تعالى أعلم».[1]

الخلاصة: أن هذا الوجه في الجمع بين أدلة هذا الباب وجهٌ قويٌّ ووجيهٌ، لكنه لم يصح فيه شيء صريح.[2]

الوجه الثاني في الجمع بين أدلة الباب: ما ذهب إليه بعض القائلين بأن أطفال المشركين في الجنة مطلقًا، وخلاصته: أن أحاديث الوقف وتفويض علمهم إلى الله لا تعارض الأحاديث المصرحة بأنهم في الجنة، إذ يمكن حملها على النهي عن الخوض في هذه المسألة، أو حملها على عدم الجزم لمعين بجنة أو نار، وإن كان يقال: إنهم في الجنة على العموم. وإما بحملها على أنها متقدمة، وأحاديث دخولهم الجنة متأخرة، وتلمس القرائن في ذلك. وإما بحمل الأحاديث المصرحة بدخولهم النار على أفراد منهم على الخصوص، وقد علم أن الخاص لا يعارض العام، وأما الأحاديث المصرحة بامتحانهم فلم يصح منها شيء.

وسيأتي بيان أدلتهم في مسلك الترجيح، بإذن الله تعالى.

---

[1] درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٧٣).

[2] قال شيخنا محمد علي آدم – حفظه الله – في ذخيرة العقبى (١٩/ ١٩٤– ١٩٥): «لو صحت أحاديث امتحان الأطفال لكان هذا المذهب أعدل الأقوال، وأرجحها كما قال ابن القيم، لكنها غير ثابتة، فقد أخرجها أبو يعلى الموصلي من حديث أنس وفي سنده ليث ابن أبي سليم، وهو متروك، وأخرجها الذهلي والبزار من حديث أبي سعيد الخدري وفي سندها عطية العوفي، ضعيف جدًّا، وروي من حديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه – وفي سنده عمرو بن واقد الدمشقي، متروك. والحاصل أن أحاديث امتحان الأطفال غير صحيحة، وإنما يصح حديث امتحان الأصم، والأحمق، والهرم، وأهل الفترة ... فظهر بهذا أن ترجيح القول بالامتحان للأطفال بحديث الامتحان ليس له وجه، لأن طرقه واهية، فلا يمكن تصحيحها بتعدد طرقها، ولا يمكن أيضًا كون الحديث الصحيح المذكور آنفًا شاهدًا لها، للمخالفة الواضحة، فإنها تدل على النكارة والوهاء، فتبصر».

المسلك الثاني: مسلك الترجيح بين الأدلة الواردة في الباب، وقد افترق أصحاب هذا المسلك إلى عدة أقوال، أشهرها:

القول الأول: أنهم في الجنة، وقد ذهب إلى ترجيح هذا القول جملة من العلماء، منهم: الإمام البخاري[١]، وابن بطال[٢]، والحليمي[٣]، والنووي[٤]، وابن حزم[٥]، وابن الجوزي[٦]، والقرطبي[٧]، والخازن[٨]، وأبو حيان الأندلسي[٩]، والسبكي[١٠]، وابن الملقن[١١]، وابن الدماميني[١٢]، وابن حجر العسقلاني[١٣]، والسخاوي[١٤]، وأبو زكريا الأنصاري[١٥]، والإمام محمد بن عبد الوهاب[١٦]، وشيخنا محمد بن علي بن آدم الأثيوبي[١٧].

واستدلوا بأدلة عامة تدل على عدم مؤاخذة وتعذيب من لم تبلغه الدعوة كقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥] قالوا: وهؤلاء لم تقم عليهم حجة الله بالرسل فلا يعذبهم[١٨]، أو تدل على أن دخول النار لا يكون إلا بالأعمال كقوله تعالى:

---

[١] ذكره ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٢٤٦)، والعيني في عمدة القاري (٨/ ٢١١).

[٢] شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ٣٧٣) وقال: «وهذا القول أصح ما فى هذا الباب من طريق الآثار وصحيح الاعتبار».

[٣] المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٥٧).

[٤] شرح النووي على مسلم (١٦/ ٤٢٤) وقال: «وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون».

[٥] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٦٠).

[٦] نسبه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٢).

[٧] تفسير القرطبي (٧/ ٣١٧) و (١٤/ ٣٠)، و التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ١٠٤٢).

[٨] تفسير الخازن (٢/ ٢٧٣).

[٩] البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٨٨).

[١٠] فتاوى السبكي (٢/ ٣٦٣).

[١١] التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/ ١٧٠) و (٣٠/ ١٣٥).

[١٢] مصابيح الجامع (٣/ ٣٠٢).

[١٣] فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٦- ٢٤٧).

[١٤] الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية (٢/ ٤٤٨).

[١٥] منحة الباري بشرح صحيح البخاري (٣/ ٤٦١).

[١٦] أصول الإيمان (ص: ٧٩).

[١٧] ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٩/ ١٩٦)، ومشارق الأنوار الوهاجة (٢/ ٥٢٠).

[١٨] انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٨٠).

{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩] وقوله عز وجل: {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت: ٥٥][١]، أو تدل على أن كل مولود يولد على الفطرة كقوله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولَدُ على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه، أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسانه».[٢] قالوا: فإذا مات الطفل قبل التهويد والتنصير مات على الفطرة، فكيف يستحق النار؟![٣]

واستدلوا كذلك بأدلة خاصة تدل على أن أطفال المشركين في الجنة، من أصحها وأوضحها:

١- حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - السابق في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق». إلى أن قال: «فانطلقنا فأتينا على رَوضةٍ مُعْتَمَّة فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظَهْرَي الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر وِلْدانٍ رأيتهم قط. قال: قلت لهما: ما هذا؟! ما هؤلاء؟! قال: قالا لي: انطلق انطلق». إلى أن قال: «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأما الوِلْدان الذين حوله فكل مولودٍ مات على الفطرة». قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله! وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأولاد المشركين».[٤] قال ابن القيم رحمه الله: «فهذا الحديث الصحيح صريح في أنهم في الجنة، ورؤيا الأنبياء وحي».[٥]

٢- حديث حسناء بنت معاوية الصُّرَيميَّة قالت: حدثنا عمي قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: من في الجنة؟ قال: «النبيُّ في الجنة، والشهيدُ في الجنة، والمولُودُ في الجنة، والوَئيدُ في الجنةِ».[٦]

---

[١] انظر: المرجع السابق.

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام (١/ ٤٥٦ رقم: ١٢٩٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٤٧ رقم: ٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣] انظر: المرجع السابق (ص: ٥٨١).

[٤] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٦).

[٥] طريق الهجرتين (ص: ٥٧٨).

[٦] أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ١٧٥ رقم: ٢٥٢١)، والإمام أحمد في مسنده (٣٤/ ١٩٠ رقم: ٢٠٥٨٣)، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٤٦)، والأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود في الموضع المشار إليه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧/ ٢٨٠ رقم: ٢٢٧٦).

وهذه أدلة قوية وصريحة، قال ابن القيم رحمه الله: «وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة، ولا سبيل إلى دفعها».[1]

وقد حمل بعضُ العلماء – ممن ذهبوا إلى القول بأنهم يمتحنون – هذين الحديث على بعض أطفال المشركين، لثبوت أن بعضهم في النار، كما سيأتي، وقالوا: هذا إنما يكون لأنهم يمتحنون في الآخرة، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار.[2]

وقريبٌ من هذا القولِ قولُ من قال: إنهم خدمُ أهل الجنة، ويستدل أصحاب هذا القول بحديث أنس – رضي الله عنه – مرفوعًا: «أطفال المشركين خدمُ أهلِ الجنة».[3] وبحديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل عن أطفال المشركين فقال: «هم خدم أهل الجنة».[4]

القول الثاني: أنهم في النار، وهذا قول الأزارقة من الخوارج[5]، ونسبه ابن القيم – رحمه الله – إلى جماعة من المتكلمين وأهل التفسير[6]، وهو ظاهر كلام ابن بطة[7]، ومال إليه الخطابي[8]، واختاره القاضي أبو يعلى وذكر أنه منصوص عن الإمام أحمد! وغلط عليه في ذلك[9].

---

[1] طريق الهجرتين (ص: ٥٨٢).

[2] انظر: أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض للدبيخي (٢/ ٥١٧).

[3] أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٢٢٠ رقم: ٢٩٧٢) وفي سنده مقاتل بن سليمان، قال عنه الحافظ في التقريب (٢/ ٢٧٧ رقم: ٧٧٣١): «كذَّبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم». وأخرجه أيضًا في الأوسط (٥/ ٢٩٤ رقم: ٥٣٥٥)، والبزار في مسنده (١٤/ ٣٩ رقم: ٧٤٦٦) بإسناد آخر فيه المبارك بن فضالة وهو صدوق يدلِّس ويسوِّي كما في التقريب (٢/ ٢٣٥ رقم: ٧٢٨٧) وقد عنعن، وشيخه علي بن زيد بن جدعان ضعيف كما تقدم مرارًا. وأخرجه بنحوه أبو داود الطيالسي في مسنده (٣/ ٥٨٠ رقم: ٢٢٢٥)، و أبو يعلى في مسنده (٧/ ١٣٠ رقم: ٤٠٩٠)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٣٥٥ رقم: ٦٢٨) من طريق يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس، ويزيد ضعيف كما في التقريب (٢/ ٣٧٠ رقم: ٨٦٥٨)، وضعف هذا الحديثَ: ابن القيم في طريق الهجرتين (ص: ٥٨٤)، والحافظُ ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٤٦). ومع ذلك فإن الشيخ الألباني – رحمه الله – صححه بمجموع طرقه وشواهده كما في السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٥٢- ٤٥٣ رقم: ١٤٦٨) وذكر من شواهده حديث سمرة التالي. وانظر: السلسلة الضعيفة (١٢/ ٦٤٥).

[4] أخرجه البزار في مسنده (١٠/ ٣٨٤ رقم: ٤٥١٦)، والروياني في مسنده (٢/ ٦٣ رقم: ٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٠٢ رقم: ٢٠٤٥) والكبير (٧/ ٢٤٤ رقم: ٦٩٩٣) كلهم من طريق عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة بن جندب به. وعباد قال عنه الحافظ في التقريب (١/ ٣٧٥ رقم: ٣٤٧٨): «صدوق، رمي بالقدر، وكان يدلس». وقد ضعف الحافظُ إسناده في الفتح (٣/ ٢٤٦)، وانظر ما قبله.

[5] انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ٦٠)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٢٢).

[6] انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/ ١٠٩٢)، وطريق الهجرتين (ص: ٣٨٩).

[7] الإبانة الكبرى (٤/ ٧٤).

[8] معالم السنن (٤/ ٣٢٥).

[9] انظر: الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٣٤). وانظر المرجعين السابقين.

واستدلوا بأدلة، منها: قوله تعالى: {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح: ٢٦- ٢٧]، قالوا: هذه الآية تدل على أن الكفار لا يلدون إلا فاجرًا كَفَّارًا، فهم وأطفالهم في النار.[١]

وهذا الاستدلال لا يصح؛ لأن نوحًا – عليه السلام – إنما قال ذلك على كفار قومه خاصة، وذلك بعد أن أخبره الله تعالى بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فأيقن نوح – عليه السلام – بهذا الوحي أنه لا يَحدُث فيهم مؤمنٌ أبدًا، وأن كل مولودٍ فيهم لا يكون إلا كافرًا ولا بد، فأيس منهم ودعا عليهم بهذا الدعاء.[٢]

واستدلوا كذلك بأحاديث بعضها ضعيفة، وبعضها محتملة وليست صريحة، فمن ذلك:

١- حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أطفال المشركين فقال: «هم في النار يا عائشة». قلت: فما تقول في أطفال المسلمين؟ قال: «هم في الجنة يا عائشة». قلت: وكيف ولم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الأقلام؟! قال: «ربك أعلم بما كانوا عاملين».[٣]

وفي لفظ قال لها: «إن شئتِ أسْمعتُكِ تَضَاغِيَهم[٤] في النار».[٥]

٢- حديث علي – رضي الله عنه – قال: سألتْ خديجةُ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – عن ولدَينِ ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هما في النار». قال: فلما رأى الكراهية في وجهها قال: «لو رأيتِ مكانهما لأبغَضْتِهما» قالت: يا رسول الله، فولدي منكَ؟ قال: «في الجنة» قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه

---

[١] انظر: الاستذكار لابن عبد البر (٣/ ١١٢)، والفصل لابن حزم (٤/ ٦١).

[٢] انظر: الفصل لابن حزم (٤/ ٦١).

[٣] أخرجه الطيالسي في مسنده (٣/ ١٥٣ رقم: ١٦٨١)، ومن طريقه البيهقي في القضاء والقدر (ص: ٣٥٠ رقم: ٦١٦). وفي إسناده أبو عقيل يحيى بن المتوكل وهو ضعيف جدًّا، فقد قال فيه ابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٢٢): «لا يحتج بمثله عند أهل العلم بالنقل». وقال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص: ٥٧٤): «لا يحتج بحديثه فإنه في غاية الضعف». وقال ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٤٦) عن الحديث: «وهو حديث ضعيف جدًّا؛ لأن في إسناده أبا عقيل مولى بُهَيَّة، وهو متروك». وقال الألباني عن الحديث في السلسلة الضعيفة (٨/ ٣٦٧ رقم: ٣٨٩٨): «موضوع».

[٤] **تَضَاغِيَهم**: أي صِياحَهم وبُكاءَهم. يقال: ضَغَا يَضْغُو ضَغْواً وضُغَاءً: إذا صَاح وضَجَّ. النهاية لابن الأثير (٣/ ٩٢).

[٥] أخرجه ابن الجعد في مسنده (ص: ٤٣٦ رقم: ٢٩٦٩)، والإمام أحمد في مسنده (٤٢/ ٤٨٤ رقم: ٢٥٧٤٣)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٣٥١ رقم: ٦١٧). وإسناده كالذي قبله.

وسلم: «إن المؤمنين وأولادَهم في الجنة، وإن المشركين وأولادَهم في النار». ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم} [الطور: ٢١].[1]

وأجيب عن هذين الحديثين بأنهما ضعيفان، لا يصلحان للاحتجاج.

٣- حديث الصعب بن جثامة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل عن أهل الدار يُبَيَّتُون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم، قال: «هم منهم».[2] وفي رواية لمسلم: لو أن خيلاً أغارت من الليل، فأصابت من أبناء المشركين؟ قال: «هم من آبائهم».[3]

أجيب عن هذا الحديث بأنه ليس في بيان حكم أطفال المشركين في الدار الآخرة، وإنما هو في بيان حكمهم في دار الدنيا، كما هو صريح الحديث أنهم أصيبوا في الجهاد والبيات، فلا حجة فيه لمن ذهب إلى أن أطفال المشركين في النار.[4]

٤- حديث سلمة بن يزيد الجعفي[5] قال: انطلقتُ أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قلنا: يا رسول الله! إن أمَّنَا مُلَيكةَ كانت تَصِلُ الرَّحِمَ، وتَقْرِي الضَّيفَ، وتَفعَلُ .. وتَفعَلُ .. هلكتْ في الجاهلية، فهل ذلك نافعُها شيئًا؟ قال: «لا». قال: قلنا: فإنها كانت وأَدَتْ أختًا لنا في الجاهلية، فهل ذلك نافعُها شيئًا؟ قال: «الوائدةُ والموؤودةُ في النار، إلا أن تُدرِكَ الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها».[6]

---

[1] أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (٢/ ٣٤٨ رقم: ١١٣١)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩٤ رقم: ٢١٣) وفي إسناده محمد بن عثمان وهو مجهول، قال الذهبي - رحمه الله - في ميزان الاعتدال (٣/ ٦٤٢ رقم: ٧٩٣٣): «محمد بن عثمان، لا يدرى من هو، فتشت عنه في أماكن، وله خبر منكر». ثم ذكر هذا الحديث. وضعف الحديث الألباني في تخريجه للسنة (١/ ٩٤ رقم: ٢١٣)، ومحققوا المسند (٢/ ٣٤٨ رقم: ١١٣١).

[2] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٥٠٧).

[3] تقدم تخريجه (ص: ٥٠٧).

[4] انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٦/ ١٤٦) و (١٨/ ١٢١)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٨٥).

[5] هو سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك الجعفي الكوفي من مذحج ، وفد إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسلم وروى عنه، ينسب إلى أمه فيقال: ابن مُلَيكة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٣٠)، أسد الغابة لابن الأثير (٥/ ٤٥٨).

[6] أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٢٦٨ رقم: ١٥٩٢٣)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٢٥ رقم: ١١٥٨٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٣٩ رقم: ٦٣١٩)، ورجاله ثقات، قال ابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٢٠): «وهو حديث صحيح من جهة الإسناد». وقال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص: ٥٧٦): «وهذا إسناد لا بأس به». وحسنه ابن كثير في تفسيره (٥/ ٦٠) إلا أنه قال في صحابيه: سلمة بن قيس الأشجعي! فلعله وهم منه رحمه الله. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٠٠ رقم: ٧١٤٣).

وفي رواية: «إنها وأَدَتْ أختًا لنا لم تَبلُغ الحِنث».[1]

وأجيب عن هذا الحديث بأنه خاص بموءودة معينة، فلا يعم غيرها.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وهو حديث صحيح من جهة الإسناد، إلا أنه محتمل أن يكون خرج على جواب السائل في عين مقصودة، فكانت الإشارة إليها، والله أعلم، وهذا أولى ما حمل عليه هذا الحديث؛ لمعارضة الآثار له، وعلى هذا يصح معناه، والله المستعان».[2]

وجزم ابن حزم – رحمه الله – بأن هذه الموءوة كانت بالغة؛ لأن الصغيرة غير مكلفة، وأجاب عن رواية: «إنها وأَدَتْ أختًا لنا لم تَبلُغ الحِنث» فقال: «هذه اللفظة – يعني: لم تبلغ الحنث – ليس بلا شك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفي وأخيه، فلما أخبر – عليه السلام – بأن تلك الموءودة في النار كان ذلك إنكارًا وإبطالاً لقولهما: إنها لم تبلغ الحنث. وتصحيحًا لأنها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنهما. لا يجوز إلا هذا القول؛ لأن كلامه – عليه السلام – لا يتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عز وجل، بل كلامه – عليه السلام – يصدِّق بعضُه بعضًا، ويوافق لما أخبر به عز وجل، ومعاذ الله من غير ذلك، وقد صح إخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن أطفال المشركين في الجنة، قال الله تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨، ٩] فنص تعالى على أنه لا ذنب للموءودة، فكان هذا مبينًا لأن إخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن تلك الموءودة في النار إخبارٌ عن أنها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظن أخويها».[3]

وقال الألباني رحمه الله: «ظاهر الحديث أن الموءودة في النار ولو لم تكن بالغة، وهذا خلاف ما تقتضيه نصوص الشريعة: أنه لا تكليف قبل البلوغ، وقد أجيب عن هذا الحديث بأجوبة أقربها عندي إلى الصواب: أن الحديث خاص بموءودة معينة، وحينئذ ف (ال) في

---

[1] أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٤٢١ رقم: ٢٤٧٤) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عبيدة بن حميد نا داود عن الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد به، وعبيدة بن حميد هو الكوفي قال عنه الحافظ في التقريب (١/ ٥٠٩ رقم: ٤٩٦٤): «صدوق، نحوي، ربما أخطأ». لكن تبعه المعتمر بن سليمان كما في التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١١٩) قال ابن عبد البر: «ليس لهذا الحديث إسناد أقوى وأحسن من هذا الإسناد، ورواه جماعة عن الشعبي كما رواه داود، وقد رواه أبو إسحاق عن علقمة كما رواه الشعبي، وهو حديث صحيح من جهة الإسناد». وأخرجه ابن حزم في الفصل (٤/ ٦٢) من طريق ابن عبد البر

[2] التمهيد (١٨/ ١٢٠) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٢/ ٣٦٩).

[3] الفصل (٤/ ٦٢).

(الموءودة) ليست للاستغراق بل للعهد. ويؤيده قصة ابنَي مُلَيكة، وعليه فجائز أن تلك الموءودة كانت بالغة فلا إشكال، والله أعلم».[1]

وللألباني – رحمه الله – جواب آخر عن هذا الحديث، وهو أن فيه تقديرًا غير مصرحٍ به في الحديث، ولكنه معروف فكرًا، وهو: (الوائدة والموءودة له في النار)، فليس المقصود بالحديث الموءودة ذاتها، وإنما المقصود: الموءود له؛ إما الأب، وإما الأم، وإما كلاهما معًا إذا كانا اشتركا واتفقا على وأد بنتهما. فقوله: «والموءودة» لا يمكن أن يحمل على ظاهر النص؛ لأن الشريعة قاطعة الدلالة على أن الطفل الصغير الذي لم يبلغ سن التكليف ليس مكلفًا ولا مؤاخذًا فلا يحكم له بالنار، ولذلك فتأويل الحديث: (والموءودة له) أي: زوج الوائدة.[2]

قلت: وهذا الجواب الأخير مستغرب من الألباني رحمه الله، ولا يتماشى مع منهجه المعروف في التعامل مع النصوص، ولا يؤيده ظاهر الحديث، فإنهما سألا أولاً عن أمهما الوائدة، ثم عن أختهما الموءودة، هل بإمكانهما نفعهما؟ فأجابهما بقوله: «الوائدة والموءودة في النار».

٥- حديث ابن عباس عن أبي بن كعب – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا، ولو عاش لأَرْهَقَ أبويه طغيانًا وكفرًا».[3]

وجه الدلالة من الحديث: أنه إذا كان طُبع كافرًا فهو في النار.

ويجاب عن هذا الحديث أيضًا بأنه حادثة عين فلا يعم، وبأن الحديث يخبر عن هذا الغلام بأنه طُبع كافرًا، ولم يخبر بأنه يدخل النار بمجرد كونه طُبع كافرًا، فشأنه شأن غيره ممن يمتحنون في عرصات القيامة، فتقام عليه الحجة، ثم يدخل النار.

وقريبٌ من هذا القولِ – أي القول بأن أطفال المشركين في النار – قولُ مَن قال: إن حكم الأطفال كلِّهم كحكم آبائهم في الدنيا والآخرة، هم مؤمنون بإيمان آبائهم، وكافرون بكفر آبائهم، فأطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار في النار.[4]

---

[1] موسوعة الألباني في العقيدة (٥/ ٩١٧).

[2] المرجع السابق (٥/ ٩١٨).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر باب معنى: (كل مولود يولد على الفطرة) وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٥٠ رقم: ٢٦٦١).

[4] انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٩٦- ٩٧)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٨٤- ٥٨٧) وذكر فرقًا دقيقًا بين القولين.

واستدلوا بحديث عائشة وحديث الصعب بن جثامة المتقدمين، وتقدم أيضًا الجواب عنهما، واستدلوا أيضًا بحديث «الوائدة والموءودة في النار» على أن المراد دخول الموءودة النار تبعًا لوالدتها الوائدة، وتقدم الجواب عنه بأن هذا محمول على موءودة معينة. وأيضًا استدلوا بالآية الكريمة: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الطور: ٢١] قالوا: اتباع الذرية لآبائهم ونجاتهم إنما يُسْتَحقُّ بإيمان الآباء، فإذا انتفى إيمانهم انتفى اتباع النجاة، وبقي اتباع العذاب.[1]

وهذا الاستدلال مبني على أن الأصل في الذرية أنهم في النار إلا إذا حصل الإيمانُ من آبائهم فينجون منها تبعًا لآبائهم، وهذا الأصل يفتقر إلى دليل، وهو منازع فيه، فلا يبنى عليه حكم.

القول الثالث: التوقف عن القطع لهم بجنة أو نار، وإنما أمرهم إلى الله تعالى، فهو أعلم بما كانوا عاملين.

وقد يعبر بعضهم عن ذلك بقوله: إنهم في المشيئة، فمن شاء الله منهم أدخله الجنة، ومن شاء أدخله النار.

وممن ذهب إلى ذلك: حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وأكثر أصحاب مالك، فيما ذكر ابن عبد البر عنهم.[2] وهو اختيار أبي بكر الأثرم فيما ذكر عنه ابن الجوزي[3]، واختاره أيضًا: البيهقي[4]، والإمام البغوي[5]، وجمال الدين الغزنوي[6]، والشوكاني[7]. واستدلوا بأدلة منها:

---

[1] انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٨٥).

[2] انظر: التمهيد (١٨/ ١١١- ١١٢) قلت: نقلُ ابن عبد البر – رحمه الله – عن هؤلاء في عموم الأطفال وليس في أطفال المشركين خاصة، فإنه قال: «بهذه الآثار وما كان مثلها احتجَّ من ذهب إلى الوقوف عن الشهادة لأطفال المسلمين أو المشركين بجنة أو نار، وإليها ذهب جماعة كثيرة من أهل الفقه والحديث، منهم: حماد بن زيد، وحماد ابن سلمة، وابن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، وهو يشبه ما رسمه مالك في أبواب القدر في موطئه، وما أورد في ذلك من الأحاديث، وعلى ذلك أكثر أصحابه، وليس عن مالك فيه شيء منصوص، إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار خاصة في المشيئة، لآثار وردت في ذلك».

[3] كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٣٦٦).

[4] شعب الإيمان (١/ ٩٧) وقال: «وهذا أشبه الأقاويل بالسنن الصحيحة، والله تعالى أعلم».

[5] شرح السنة (١/ ١٥٥).

[6] أصول الدين (ص: ٢١٠) وهو جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي، فقيه أصولي حنفي المذهب ماتريدي العقيدة، توفي (٥٩٣هـ) انظر: الأعلام (١/ ٢١٧).

[7] نيل الأوطار (٧/ ٢٣٧).

١- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وغيره أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال عن أولاد المشركين: «الله أعلم بما كانوا عاملين».[1]

٢- حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أتى علي زمان وأنا أقول: أولاد المسلمين مع المسلمين، وأولاد المشركين مع المشركين. حتى حدثني فلان عن فلان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عنهم، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». قال: فلقيت الرجل فأخبرني، فأمسكت عن قولي.[2]

أجاب ابن القيم - رحمه الله - عن هذين الحديثين وما في معناهما بأن «النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يجب فيهم بالوقف، وإنما وكل علم ما كانوا يعملون لو عاشوا إلى الله سبحانه وتعالى. والمعنى: الله أعلم بما كانوا يعملون لو عاشوا. فهو سبحانه وتعالى يعلم القابل منهم للهدى العامل به لو عاش، والقابل منهم للكفر المُؤْثِرَ له لو عاش، لكن لا يدل هذا على أنه يجزيهم بمجرد علمه فيهم بلا عمل يعملونه، وإنما يدل على أنه يعلم منهم ما هم عاملون بتقدير حياتهم. وهذا الجواب خرج عن النبي - صلى الله عليه وسلم - على وجهين: أحدهما: جواب لهم إذ سألوه عنهم: ما حكمهم؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» وهو في هذا الوجه يتضمن أن الله - سبحانه وتعالى - يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر بتقدير الحياة، وأما المجازاة على العلم فلم يتضمنها جوابه صلى الله عليه وسلم ... والوجه الثاني: جواب لهم حين أخبرهم أنهم من آبائهم، فقالوا: بلا عمل؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، كما روى أبو داود عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله! ذراري المؤمنين؟ قال: «من آبائهم»، فقلت: يا رسول الله! بلا عمل؟! قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[3]. ففي هذا الحديث ما يدل على أن الذين يلحقون بآبائهم منهم هم الذين علم الله أنهم لو عاشوا لاختاروا الكفر وعملوا به، فهؤلاء مع آبائهم، ولا يقتضي أن كل واحد

---

[1] متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص: ٥٠٨).

[2] أخرجه أحمد في مسنده (٣٤/ ٣٠٥ رقم: ٢٠٦٩٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩٥- ٩٦ رقم: ٢١٤) وصححه الألباني في تخريجه للسنة.

[3] أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٩٦ رقم: ٤٧١٢)، والإمام أحمد في مسنده (٤١/ ٩٥ رقم: ٢٤٥٤٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٧١٢). تتمة الحديث: قلت: يا رسول الله! فذراري المشركين؟ قال: «هم من آبائهم». فقلت: يا رسول الله! بلا عمل؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

من الذرية مع أبيه في النار، فإن الكلامَ في هذا الجنس سؤالاً وجواباً، والجوابَ يدل على التفصيل، فإن قوله صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بما كانوا عاملين» يدل على أنهم متباينون في التبعية، بحسب نياتهم ومعلوم الله فيهم».[1]

ثم إن الأخذ بموجب هذين الحديثين لا يتعارض مع الأقوال السابقة، فلا يلزم منه عدم امتحانهم في عرصات القيامة، ولا امتناع كون كلهم أو بعضهم في الجنة أو في النار.

وقد سبق جواب القائلين بأن أطفال المشركين في الجنة عن هذين الحديثين.

٣- حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: دعي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنازةِ صبيٍّ من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه، قال: «أو غير ذلك، يا عائشة! إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».[2]

أجيب عن هذا الحديث بأنه إنما يدل على عدم جواز القطع أو الشهادة لكل واحد من أطفال المؤمنين بعينه بالجنة، وإن كانوا في الجملة من أهل الجنة، فإن الشهادة للمعين ممتنعة، كما يشهد للمؤمنين مطلقًا أنهم في الجنة، ولا يشهد لمعيَّنٍ بذلك إلا من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم[3]، أو أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل أن يعلم بالوحي أن أطفال المسلمين من أهل الجنة قطعًا.[4]

وسيأتي في الرد على أهل التوقف والإمساك في هذه المسألة ما يؤيد ضعف هذا القول.

هذه الأقوال الثلاثة أشهر ما قيل في الترجيح بين أدلة هذا الباب، وأقواها - كما تبيَّن - هو القول بأن أطفال المشركين في الجنة.

المسلك الثالث: مسلك التوقُّف والإمساك عن الخوض في هذه المسألة من أساسها، لعدم العلم بحكمهم، فلا يُتكلَّم فيهم بشيء.

---

[1] طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٥٧٢- ٥٧٣).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٥٠ رقم: ٢٦٦٢).

[3] انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص: ١٦٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٨١)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٨٧).

[4] انظر: الفصل لابن حزم (٤/ ٦٤).

وهو منقول عن ابن عباس – رضي الله عنهما – ومحمد بن الحنفية والقاسم بن محمد[1]، وهو الظاهر من إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رحمه الله[2]، ونسبه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إلى طائفة من المنتسبين إلى السنة.[3] واستدلوا بما يلي:

١- حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – وغيره أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال عن أولاد المشركين: «الله أعلم بما كانوا عاملين».[4]

٢- حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: أتى علي زمان وأنا أقول: أولاد المسلمين مع المسلمين، وأولاد المشركين مع المشركين. حتى حدثني فلان عن فلان أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل عنهم، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». قال: فلقيت الرجل فأخبرني، فأمسكت عن قولي.[5]

٣- حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: دعي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى جنازةِ صبيٍّ من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير

---

[1] انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١٣١- ١٣٢)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٩٥)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٦١) قال: «ولما كان الكلام في هذه المسألة يحتاج إلى دلائل صحيحة جيدة، وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارع؛ كره جماعة من العلماء الكلام فيها، روي ذلك عن: ابن عباس، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن الحنفية وغيرهم».

[2] فقد جمع عبد الإله الأحمدي في كتابه "المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة" (١/ ١٧٤) عدة روايات عن الإمام أحمد – رحمه الله – ظاهرها الإمساك عن الخوض في هذه المسألة، من ذلك: قال رحمه الله: «إذا سأل الرجل عن أولاد المشركين مع آبائهم؛ فإنه أصل كل خصومة، ولا يسأل عنه إلا رجلٌ اللهُ أعلم به». وقال: «ونحن نمرُّ هذه الأحاديث على ما جاءت، ونسكت ولا نقول شيئًا».

[3] انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٩٦- ٩٧) وكلامه نفيس، ولهذا أنقله هنا، قال رحمه الله: «الوقف قد يفسر بثلاثة أمور: أحدها: أنه لا يعلم حكمهم، فلا يتكلم فيهم بشيء، وهذا قول طائفة من المنتسبين إلى السنة، وقد يقال: إن كلام أحمد يدل عليه. والثاني: أنه يجوز أن يدخل جميعهم الجنة، ويجوز أن يدخل جميعهم النار، وهذا قول طائفة من المنتسبين إلى السنة من أهل الكلام وغيرهم من أصحاب أبي الحسن الأشعري وغيرهم. والثالث: التفصيل، كما دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بما كانوا عاملين» فمن علم الله منه أنه إذا بلغ أطاع أدخله الجنة، ومن علم منه أن يعصي أدخله النار. ثم من هؤلاء من يقول: إنهم يجزيهم بمجرد علمه فيهم، كما يحكى عن أبي العلاء القشيري المالكي. والأكثرون يقولون: لا يجزي على علمه بما سيكون حتى يكون، فيمتنحهم يوم القيامة، ويمتحن سائر من لم تبلغه الدعوة في الدنيا، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار، وهذا القول منقول عن غير واحد من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم».

[4] متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص: ٥٠٨).

[5] حديث صحيح، وتقدم تخريجه (ص: ٥٢٣).

الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه، قال: «أو غير ذلك، يا عائشة! إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».[1]

أجاب ابن حزم – رحمه الله – عن استدلالهم بهذه الأحاديث فقال: «وهذان الخبران لا حجة لهم في شيء منهما إلا أنهما إنما قالهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل أن يوحى إليه أنهم في الجنة، وقد قال تعالى آمرًا لرسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يقول: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: ٩] قبل أن يخبره الله – عز وجل – بأنه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه: «وما أدري – وأنا رسول الله – ما يفعل بي».[2] وكان هذا قبل أن يخبره الله – عز وجل – بأنه لا يدخل النار من شهد بدرًا[3]، وهو – عليه السلام – لا يقول إلا ما جاء به الوحي، كما أمره الله – عز وجل – أن يقول: {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} [الأنعام: ٥٠] فحُكمُ كلِّ شيءٍ من الدين لم يأت به الوحي أن يتوقف فيه المرء، فإذا جاء البيان فلا يحل التوقف عن القول بما جاء به النص، وقد صح الإجماع على أن ما عملت الأطفال قبل بلوغها من قتل أو وطء أجنبية أو شرب خمر أو قذف أو تعطيل صلاة أو صوم؛ فإنهم غير مؤاخذين في الآخرة بشيء من ذلك ما لم يبلغوا، وكذلك لا خلاف في أنه لا يؤاخذ الله – عز وجل – أحدًا بما لم يفعله، بل قد صح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن من هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه[4]، فمن المحال المنفي أن يكون الله – عز وجل – يؤاخذ الأطفال بما لم يعملوا مما لو عاشوا بعده لعملوه وهو لا يؤاخذهم بما عملوا، ولا يختلف اثنان في أن إنسانًا بالغًا مات ولو عاش لزنا أنه لا يؤاخذ بالزنا الذي لم يعمله، وقد كذَّب الله – عز وجل – من ظن هذا بقوله الصادق: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ

---

[1] أخرجه مسلم، وقد تقدم تخريجه (ص: ٥٢٤).

[2] أخرجه البخاري، وسيأتي تخريجه (ص: ٥٧٩).

[3] وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علي – رضي الله عنه – في قصة حاطب بن أبي بلتعة وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لعمر: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم». انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٤٦٣ رقم: ٣٧٦٢) وصحيح مسلم (٤/ ١٩٤١ رقم: ٢٤٩٤).

[4] وذلك فيما أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة». انظر: صحيح البخاري (٥/ ٢٣٨٠ رقم: ٦١٢٦) وصحيح مسلم (١/ ١١٨ رقم: ١٣١).

بِمَا كَسَبَتْ} [غافر: ١٧] وبقوله تعالى: {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النمل: ٩٠]، فصح أنه لا يُجزى أحدٌ بما لم يعمل، ولا بما لم يُسِن، فصح أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بما كانوا عاملين» ليس فيه أنهم كفار، ولا أنهم في النار، ولا أنهم مؤاخذون بما لو عاشوا لكانوا عاملين به مما لم يعملوه بعدُ ... وإنما فيه أن الله تعالى يعلم ما لم يكن وما لا يكون لو كان كيف كان يكون ... فبطل أن يكون لأهل التوقف حجة في شيء من هذين الخبرين؛ إذ لم يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه المسألة بيانٌ».[١]

٤- حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال أمر هذه الأمة مُوائمًا - أو مُقاربًا - ما لم يتكلموا في الولدان والقدر».[٢]

وقد أجاب ابن القيم - رحمه الله - عن استدلالهم بهذا الحديث بأنه «يدل على ذمّ من تكلم فيهم بغير علم، أو ضرب النصوص بعضها ببعض، كما ذمّ من تكلم في القدر بمثل ذلك، وأما من تكلم فيهم بعلم وحق فلا».[٣]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن اشتبه عليه الأمور فتوقف لئلا يتكلم بلا علم، أو لئلا يتكلم بكلام يضر ولا ينفع؛ فقد أحسن، ومن علم الحق فبيَّنه لمن يحتاج إليه وينتفع به؛ فهو أحسن وأحسن. ولهذا لما روى يحيى بن آدم لابن المبارك هذا الأثر عن ابن عباس، وهو قوله: «إنه لا يزال أمر هذه الأمة مُواتيًا أو مُقاربًا - شك الراوي - حتى يتكلموا

---

[١] الفصل (٤/ ٦٤)، وانظر: طريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٧٢).

[٢] أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ١١٨ رقم: ٦٧٢٤)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٢٤١ رقم: ٤٠٨٦) والكبير (١٢/ ١٦٢ رقم: ١٢٧٦٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٢ رقم: ١٠٠) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا نعلم له علة ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٢٩٢ رقم: ٤٤٥) من طريق يزيد بن صالح اليشكري ومحمد بن أبان الواسطي عن جرير بن حازم قال: سمعت أبا رجاء العطاردي، يقول: سمعت ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكره. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٩ رقم: ١٥١٥). وروي موقوفًا على ابن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٤٠٠ رقم: ٨٧٠) من طريق وكيع، والفريابي في القدر (ص: ٢٠٣ رقم: ٢٥٩ و ٢٦٠) من طريق كل من: أبي عثمان الحراني وأبي أسامة ويزيد، والدولابي في الكنى والأسماء (١/ ٢١٣ رقم: ٣٩١) و (٢/ ٥٣٩ رقم: ٩٧٥) من طريق أبي أسامة، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٢٩٢ رقم: ٤٤٦ و٤٤٧ و٤٤٨) من طريق أبي أسامة وعاصم بن علي كلهم عن جرير بن حازم به. وقد أعله بعضهم بذلك، وقال: الصحيح أنه موقوف. انظر: القضاء والقدر للبيهقي (ص: ٢٩٢). قلت: حتى لو صح موقوفًا فإنه في حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال بالرأي.

[٣] طريق الهجرتين (ص: ٥٧٤).

في الولدان والقدر». وكأن قائل هذا يطلب من الناس السكوت مطلقًا؛ قال له ابن المبارك: أفيسكتُ الإنسان على الجهل؟! وقد صدق ابن المبارك، فقال له يحيى بن آدم: أفتأمر بالكلام؟ فسكت ابن المبارك؛ لأن أمره بالكلام مطلقًا يتضمن الإذن بالكلام الذي وقع من الناس، وفيه من الجهل والكذب ما ينهى عنه».[1]

ثم قال: «وتحقيق الأمر أن الكلام بالعلم الذي بيَّنه الله ورسوله مأمورٌ به، وهو الذي ينبغي للإنسان طلبه، وأما الكلام بلا علم فيُذَمّ، ومن تكلم بما يخالف الكتاب والسنة فقد تكلم بلا علم».[2]

وبعد هذا الاستعراض لمذاهب العلماء وأقوالهم في مسألة أطفال المشركين في الآخرة، ومناقشة أدلتهم، والمقارنة بينها؛ نخلص إلى ما يلي:

- أنه لا يجوز الخوض في هذه المسألة بلا علم، أو بما يخالف الكتاب والسنة، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما. وأما الكلام فيهم بالعلم الذي بيَّنه الله ورسوله فمأمورٌ به، وهو الذي ينبغي للإنسان طلبه.
- وأنه لا يقطع لأحد معين منهم بجنة ولا نار، بل يقال فيهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بما كانوا عاملين». لحديث أبي هريرة وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم.
- وأن أرجح المسالك في هذه المسألة هو الجمع بين ما ورد فيها من الأدلة وإعمالها كلها، وأقوى الأوجه في ذلك هو أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، وبهذا القول تجتمع الأدلة ويتلملم شملها، والله تعالى أعلم.

---

[1] نقض تعارض العقل والنقل (٤/ ٧٧).

[2] المرجع السابق.

المبحث السابع

دلالات الرؤى والتعابير في باب الصحابة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالصحابة

المطلب الثاني: فضائل الصحابة رضي الله عنهم **وعدالتهم**

المطلب الثالث: مذاهب الناس في الصحابة رضي الله عنهم

المطلب الرابع: دلالات الرؤى والتعابير في باب الصحابة

المبحث السابع

دلالات الرؤى والتعابير في باب الصحابة

المطلب الأول: التعريف بالصحابة

الصَّحابة في اللغة: الأصحاب، وهي في الأصل مصدر صَحِبَه يَصحَبُه صُحبةً وصَحابَةً، أي: رافقه، ويقال في الدعاء: "صَحِبَكَ الله" أي: حفظك ورافقتك عنايته. وصاحَبَه: عَاشَرَه. والصَّاحِبُ: المُعاشر.

والصحابة: جمع صاحب، قال بعض أهل اللغة: ولم يجمع فاعِلٌ على فَعَالةٍ إلا هذا الحرف فقط.[(١)] وكذلك يقال في واحد الصحابة: صحابيٌّ.

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: «لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول: "صحابي" مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره، قليلاً كان أو كثيرًا، كما أن القول: "مكلِّمٌ" و "مخاطب" و "ضارب" مشتق من: المكالمة، والمخاطبة، والضرب، وجار على كل من وقع منه ذلك، قليلاً كان أو كثيرًا. وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال. وكذلك يقال: صحبتُ فلانًا حولاً ودهرًا وسنةً وشهرًا ويومًا وساعةً. فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي – صلى الله عليه وسلم – ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم».[(٢)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والأصحاب: جمع صاحب، والصاحب: اسم فاعل من صَحِبَه يَصحَبُه، وذلك يقع على قليل الصَّحابة وكثيرها؛ لأنه يقال: صَحِبتُه ساعةً، وصَحِبتُه شهرًا، وصَحِبتُه سنةً. قال الله تعالى: {وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} [النساء: ٣٦]، قد قيل: هو الرفيق في السفر. وقيل: هو الزوجة. ومعلوم أن صحبة الرفيق وصحبة الزوجة قد تكون ساعةً فما فوقها، وقد أوصى الله به إحسانًا ما دام صاحبًا».[(٣)]

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (١/ ١٦١)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ٥١٩)، وتاج العروس للزبيدي (٣/ ١٨٥)، والمعجم الوسيط (١/ ٥٠٧).

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٥١).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ٥٧٥).

والصحابي في اصطلاح أهل الشرع: «من لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – مؤمنًا به، ومات على الإسلام».[1]

ذكر ابن حجر – حمه الله – أن هذا التعريف للصحابي هو أصح ما وقف عليه من التعاريف، ثم شرح التعريف فقال: «فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالستُه له أو قصُرَت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى. وقولنا: (به) يخرج من لقيه مؤمنًا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة ... ويدخل في قولنا: (مؤمنًا به) كل مكلف من الجن والإنس ... وخرج بقولنا: (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد، ومات على ردته والعياذ بالله ... ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به – صلى الله عليه وسلم – مرة أخرى أم لا؛ وهذا هو الصحيح المعتمد».

ثم قال: «وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين؛ كالبخاري، وشيخه أحمد ابن حنبل، ومن تبعهما».[2]

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «كل من صحبه سنةً أو شهرًا أو يومًا أو ساعةً، أو رآه؛ فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه».[3]

---

[1] الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ١٥٨).

[2] المرجع السابق (١/ ١٥٨- ١٥٩).

[3] الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٥١).

المطلب الثاني: فضائل الصحابة رضي الله عنهم وعدالتهم

الصحابة – رضي الله عنهم – هم وزراء النبي – صلى الله عليه وسلم – وجلساؤه، وبطانته، ورسله إلى الناس، وحملة دينه، وحماة شرعه، ورواة أحاديثه، ومحل ثقته، وأهل ودّه.

هم أوّل الأمة إيمانًا به، وأصدقهم حبًّا له، وأكثرهم نصحًا له، وأحرصهم تلقيًا عنه، وأشدهم اتباعًا لسنته، وأوعاهم فهمًا لدينه، وأبلغهم بيانًا لهديه، وأحرصهم تبليغًا لشرعه.

عن طريقهم بلغَنا القرآن، وبهم حُفِظَ الوحيان، وبأقوالهم وأفعالهم يُفهمان، عليهم من الله الرضوان.

ولقد أثنى الله تعالى عليهم في مواضع كثيرة من كتابه، وبين صدق إيمانهم، وصفاء نفوسهم، وطهارة قلوبهم، وشدة حبهم لربهم ولنبيهم، وجهادهم في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وأعلن رضاه عنهم، وحكم لهم بالفلاح، ووعدهم بالمغفرة والرضوان والرزق الكريم وجنات النعيم.

قال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: ٧٤]، وقال جل شأنه: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ٨٨– ٨٩]، وقال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١١٧]، وقال سبحانه: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨]، وقال جل وعلا: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩]. وقال تعالى ذكره: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الأِيمَانَ وَزَيَّنَهُ

فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} [الحجرات: ٧]، وقال عز وجل: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد: ١٠]، وقال عزَّ مَن قائل: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٨- ٩].

وأما السنة النبوية فهي حافلة بذكر فضائلهم، وبيان مناقبهم، وصفاء سريرتهم، وحسن الثناء عليهم، والترغيب في حبهم، ولزوم الأدب معهم، والتحذير من بغضهم وعداوتهم والنيل منهم.

فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».[١]

وعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: صلينا المغرب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «ما زلتم هاهنا؟» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: «أحسنتم» أو «أصبتم». قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون».[٢]

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه».[٣]

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣/ ١٣٣٥ رقم: ٣٤٥١)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٣ رقم: ٢٥٣٣).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة (٤/ ١٩٦١ رقم: ٢٥٣١).

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٣/ ١٣٤٣ رقم: ٣٤٧٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب تحريم سب الصحابة (٤/ ١٩٦٧ رقم: ٢٥٤١).

وعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».[1] وفي لفظ: «ولا يبغضهم إلا كافر».[2]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد – صلى الله عليه وسلم – خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيء».[3]

فهذه النصوص من الكتاب والسنة والأثر تدل على أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كلهم ثقات عدول، ذوو فضل ومنزلة، مع تفاوتهم في الفضيلة والمكانة، وهذه العناية البالغة بهم في الكتاب والسنة دليل واضح على علو شأنهم، وأهمية أمرهم، وخطورة جانبهم، فإن حفظ جنابهم، وصيانة أعراضهم، والذبَّ عنهم، والإشادة بفضائلهم ومناقبهم؛ حفظٌ لجناب الدين، وصيانة لحماه من أن تُمَدَّ إليه أيدي العابثين من الأعداء المتربصين. كما أن الطعن فيهم، والنيل منهم، وزعزعة الثقة بهم، والتشكيك فيهم؛ طعنٌ في الدين، وتشكيك في مصدريه: الكتاب والسنة، لأنه لم يصل إلينا الدين إلا بواسطتهم، ولم ينقل إلينا الكتاب والسنة إلا عن طريقهم.

روى الخطيب البغدادي – رحمه الله – بسنده عن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال: سمعت أبا زرعة يقول: «إذا رأيتَ الرجلَ ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – عندنا حق،

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب حب الأنصار من الإيمان (٣/ ١٣٧٩ رقم: ٣٥٧٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي – رضي الله عنهم – من الإيمان (١/ ٨٥ رقم: ٧٥).

[2] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٨١ رقم: ٨٢٧٦) وإسناده صحيح على شرطهما.

[3] أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٨٤ رقم: ٣٦٠٠)، والطبراني في الكبير (٩/ ١١٢ رقم: ٨٥٨٢ و ٨٥٨٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤ رقم: ١٠٥)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ١٧) لأن في سنده عاصمًا ابن أبي النجود، وهو صدوق له أوهام، كما في التقريب (١/ ٣٦٥ رقم: ٣٣٧٤)، قلت: وأخرجه البزار في مسنده (٥/ ١١٩ رقم: ١٧٠٢)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٥٨ رقم: ٣٦٠٢) والكبير (٩/ ١١٥ رقم: ٨٥٩٣) من طريق علي بن قادم عن عبد السلام بن حرب عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله به. وهذا إسناد قوي.

والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة».[١]

ومن هنا لم يَأْلُ أعداء الإسلام – قديمًا وحديثًا – جهدًا في سبيل الطعن والقدح في هؤلاء الصفوة الكرام، واختلاق الأكاذيب حولهم، وتشكيك الناس في صدق إيمانهم، والتنقص من مكانتهم، ليصلوا بذلك إلى غايتهم الحقيقية، وهي إبطال هذا الدين، وإبعاد الناس عنه، ولكن أنَّى لهم ذلك وقد قال ربي جل جلاله: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف: ٨- ٩].

[١] الكفاية في علم الرواية (ص: ٤٩).

المطلب الثالث: مذاهب الناس في الصحابة رضي الله عنهم

والضالون في باب الصحابة - رضي الله عنهم - سلكوا مسلكين مذمومين: مسلك الإفراط والغلو في بعضهم، ومسلك التفريط والجفاء في البعض الآخر، وأهل الحق هم الذين اتخذوا بين ذلك سبيلاً.

فالناس في باب الصحابة - رضوان الله عليهم - افترقوا إلى طرفين ووسط، فبين غال مُفْرِط، وجافٍ مُفَرِّط، ووسَطٍ مقتصد.

فالروافض غلوا في عليٍّ وزوجه فاطمة - رضي الله عنهما - وأبنائه منها، حتى ادَّعَوا فيهم من الأوصاف ما لا ينبغي إلا لفاطر الأرض والسموات[1]، وصرفوا لهم أنواعًا من العبادات[2]، وبنوا على ذلك معتقداتهم الفاسدة؛ من الإمامة والولاية والغيبة والرجعة وغيرها[3]، وكفّروا سائر الصحابة رضي الله عنهم، وتبرؤوا منهم، ولم يستثنوا منهم إلا نفرًا يسيرًا[4]، ونصبوا لهم العداوة، لا سيَّما الخلفاءِ الثلاثةِ: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[5]، وزعموا أن هؤلاء غصبوا الخلافة من علي رضي الله عنه، وأن عليًّا كان أحق بها

---

(1) انظر: الكافي- الأصول للكليني (١/ ١٠٣- ١٦٧) فقد حشا هذه الصفحات الكثيرة بروايات مكذوبة ملؤها الغلو والإفراط، قسمها في أبوابٍ عناوينها تنبئك عن مضامينها، من تلك الأبواب: **باب** أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها. **وباب** أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام. **وباب** أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم. **وباب** أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأن لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم.

(2) فهم يعتقدون أن أئمتهم الاثني عشر هم الواسطة بين الله وخلقه (بحار الأنوار: ٢٣/ ٩٧)، وأن الدعاء لا يقبل إلا بأسمائهم (المرجع السابق: ٣٣/ ١٠٣)، ويستغيثون بأئمتهم، ولكل إمام من أئمتهم وظيفة خاصة في هذا الباب فمثلاً: علي بن الحسين للنجاة من السلاطين، وموسى بن جعفر لطلب العافية، ومحمد بن علي لاستنزال الرزق**!!** وهكذا (المرجع السابق: ٩١/ ٣٣)، ويحجون إلى مشاهد أئمتهم ويرون أن ذلك أعظم من الحج إلى بيت الله**!!** فقد عقد المجلسي في بحاره (٩٨/ ٢٨- ٤٣) بابًا بعنوان: (باب أن زيارته - أي الحسين - عليه الصلاة والسلام تعدل الحج والعمرة والجهاد والاعتاق) وحشاه بالروايات الدالة على أن زيارة قبر الحسين أفضل من الحج إلى بيت الله.

(3) لمعرفة هذه المعتقدات وما فيها؛ انظر كتاب: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية للقفاري (٢/ ٢٥٩- ٦٠٨).

(4) انظر: تفسير العياشي (١/ ١٩٩)، والكافي للكليني - ط دار الكتب الإسلامية (٢/ ٢٤٤)، ورجال الكشي (ص: ٦ - ١١)، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ٣٤٥ و ٣٥١ و ٣٥٢). وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية للقفاري (٢/ ٣٣٦- ٣٤٤).

(5) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٣٠/ ١٤٥- ٤٠٤) سود هذه الصفحات كلها بروايات مختلقة تحت باب: (كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم وفضل التبري منهم ولعنهم)!. وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية للقفاري (٢/ ٣٤٥- ٣٤٩).

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، ويتقربون إلى الله بلعنهم، ويقولون: لا ولاء لأهل البيت إلا بالبراءة من هؤلاء الصحابة[2]، وادِّعاؤهم محبةَ أهل البيت مع بغضهم لزوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – وسادات الصحابة تناقض بيِّنٌ، فإن أهل البيت تربطهم بهؤلاء الصحابة أواصر حب واحترام وتقدير[3]، كما أن ما يزعمونه من حب لأهل البيت ينقضه ما يتفوهون به من سوء أدب تجاههم[4].

والخوارج جفوا في علي – رضي الله عنه – جفاءً عظيمًا فكفروه وتبرؤوا منه، كما كفروا معاوية والحَكَمَين – أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص – وطلحة والزبير رضي الله عنهم، ومن رضي بالتحكيم، وكفروا أكثر أصحاب الجمل والصفين، مع إثباتهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.[5]

وبين هذا الغلو والجفاء توسط أهل السنة والجماعة، فلم يغلوا في علي – رضي الله عنه – غلو الروافض ولم يجفوا فيه جفاء الخوارج، وكذلك في غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في بيان مذهب أهل السنة والجماعة: «وهم أقرب إلى كل طائفة من كل طائفة إلى ضدها، فهم الوسط في أهل الإسلام، كما أن أهل الإسلام هم الوسط في أهل الملل: هم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل وأهل التمثيل ... وفي باب القدر بين أهل التكذيب به وأهل الاحتجاج به، وفي باب الأسماء والأحكام بين الوعيدية والمرجئة، وفي باب الصحابة بين الغلاة والجفاة، فلا يغلون في علي

---

[1] انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٥/ ٨٨- ٩٠)، وبوّب في (٣٠/ ٥٣- ١٢٠) بابًا بعنوان: (باب في ذكر ما كان من حيرة الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وغصب الخلافة، وظهور جهل الغاصبين وكفرهم ورجوعهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام)، وأتبعه بـ : (باب ما أظهر أبو بكر وعمر من الندامة على غصب الخلافة عند الموت).

[2] انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٧/ ٦٣)، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٤٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٦٩٧)، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين (ص: ١١٤)، ومصطلحات في كتب العقائد للشيخ محمد إبراهيم الحمد (ص: ١٢٥).

[3] انظر: التشيع- نشأته ومراحل تكوينه للدكتور أحمد بن سعد الغامدي رحمه الله (ص: ٧٢- ١٧٢).

[4] انظر: كتاب سليم بن قيس (ص: ١٥٧- ١٥٨)، والكافي للكليني (١/ ٤٠٥) و (٦/ ٤٩٧) و (٧/ ١٨٧)، والاختصاص للمفيد (ص: ٨٢). وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية للقفاري (٢/ ٣٥٧- ٣٦١).

[5] انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٦٧ و ٢٠٤) و (٢/ ١٤١- ١٤٣)، والفَرْق بين الفِرَق للبغدادي (ص: ٧٣)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٧)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١٥٣ و ٤٣٦ و ٤٦٨ و ٤٧٦) و(١٩/ ٨٩ و ٢١٢) و (٢٨/ ٥٢٧).

غلو الرافضة، ولا يكفرونه تكفير الخوارج، ولا يكفرون أبا بكر وعمر وعثمان كما تكفرهم الروافض، ولا يكفرون عثمان وعليًّا كما يكفرهما الخوارج».[١]

وقد بين الإمام الطحاوي – رحمه الله – خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة – رضي الله عنهم – فقال: «ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ونثبت الخلافة بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أولاً لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه – تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون. وأن العشرة الذين سماهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة ابن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين. ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس؛ فقد برئ من النفاق».[٢]

---

[١] منهاج السنة النبوية (٣/ ٤٦٨– ٤٦٩).

[٢] العقيدة الطحاوية (ص: ٢٩– ٣٠). وانظر: مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة (ص: ٦١).

المطلب الرابع: دلالات الرؤى والتعابير في باب الصحابة رضي الله عنهم

فضائل الصحابة – رضي الله عنهم – ومناقبهم أشغلت حيزًا كبيرًا من الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية، بل إن معظمها فيهم، وهذا مؤشر آخر إلى أهمية أمرهم، وجلالة شأنهم، وعلو منزلتهم.

وهذه الرؤى والتعابير النبوية تفصل في قضايا اختلف الناس فيها، وتثبت فضائل أنكرها شراذم من الناس، وتلقم حجرًا أفواهَ قومٍ تفوهوا بالطعن في هذه الصفوة المختارة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ونظرًا لكثرة هذه الرؤى والتعابير سأجمعها تحت العناوين التالية:

* **من فضائل الصديق أبي بكر ابن أبي قحافة** رضي الله عنهما.

١– حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيتُ كأني أُعْطِيتُ عُسًّا[1] مملوءًا لبنًا، فشربتُ منه حتى تَمَلَّأْتُ، فرأيتُها تجري في عُروقي بين الجلد واللَّحم، ففَضَلَتْ منها فَضْلَةٌ فأعطيتها أبا بكر». قالوا: يا رسول الله! هذا علم أعطاكه الله، حتى إذا تملأتَ منه فَضَلتْ فَضْلةٌ فأعطيتَها أبا بكر. فقال صلى الله عليه وسلم: «قد أصبتم».[2]

٢– حديث أبي بكر – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني رأيت في المنام غنمًا سُودًا يتبعها غنمٌ صُفْرٌ حتى غمرتها. يا أبا بكر اعبر». قال: قلت: هي العرب تتبعك ثم العجم. قال: «كذلك عبرها الملك بسحر».[3]

---

[1] **العُسُّ**: القدح العظيم، وجمعه عساس. الصحاح للجوهري (٣/ ٩٤٩).

[2] أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٦٩ رقم: ٦٨٥٤) من طريق عبد الله بن الصباح العطار، حدثنا معتمر بن سليمان، عن عبيد الله بن عمر، عن سالم بن عبد الله عن أبيه به. وقال الشيخ الألباني – رحمه الله – في التعليقات الحسان (١٠/ ٦): «صحيح بذكر: (عمر) مكان: (أبي بكر) ، والعكس شاذ». وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للموضع السابق من صحيح ابن حبان: «إسناده صحيح على شرط الشيخين، إلا أنَّ جعله في مناقب أبي بكر قد انفرد المؤلف بإخراجه من طريق عبد الله بن الصباح وهو ثقة، وخالفَ عبدَ الله هذا شيخان ثقتان: هما محمد بن أبي بكر المقدَّمي، وعمر بن عون الواسطي، كلاهما عن معتمر بن سليمان، فجعلاه في مناقب عمر بن الخطاب ... وقد اتفق الشيخان على إخراجه بنحوه في مناقب عمر من طريقين عن ابن عمر ... وقد أورد المحب الطبري في "الرياض النضرة" ١٥٢/١ حديث الباب في مناقب أبي بكر، ونسبه إلى ابن حبان، وقال بإثره: وقد جاء في الصحيح مثل هذا لعمر، وسيأتي في خصائصه، ولعل الرؤيا تعددت في ذلك، وعلى ذلك يحمل، فإن الحديثين صحيحان، وإن كان حديث عمر متفقًا عليه». قلت: وسيأتي تخريج الطريقين الأخريين اللتين أشار إليهما الشيخ الأرنؤوط في فضائل عمر رضي الله عنه.

[3] حديث صحيح، وتقدم تخريجه (ص: ٣١٢).

٣- حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - الآتي في الرجل الذي رأى ظُلَّةً تنطف السمن والعسل، وتعبير أبي بكر - رضي الله عنه - لرؤياه، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - له: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا».[١]

٤- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأُوحِيَ إليَّ في المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي». فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة.[٢]

هذه الرؤى والتعابير فيها ذكرٌ لبعض فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - فيه إثبات ما فُضِّل به أبو بكر - رضي الله عنه - من العلم الذي ورثه من النبي صلى الله عليه وسلم، وفاق به غيره من الصحابة، فهو أعلم الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن رجلين اختلفا فقال أحدهما: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أعلم وأفقه من علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وقال الآخر: بل علي ابن أبي طالب أعلم وأفقه من أبي بكر وعمر. فأي القولين أصوب؟ وهل هذان الحديثان وهما قوله صلى الله عليه وسلم: «أقضاكم علي». وقوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». صحيحان؟ وإذا كانا صحيحين؛ فهل فيهما دليل أن عليًّا أعلم وأفقه من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين؟ وإذا ادعى مدع أن إجماع المسلمين على أن عليًّا - رضي الله عنه - أعلم وأفقه من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم أجمعين - يكون محقًّا أو مخطئًا؟

فأجاب: «الحمد لله، لم يقل أحد من علماء المسلمين المعتبرين: إن عليًّا أعلم وأفقه من أبي بكر وعمر، بل ولا من أبي بكر وحده. ومدعي الإجماع على ذلك من أجهل الناس وأكذبهم؛ بل ذكر غير واحد من العلماء إجماع العلماء على أن أبا بكر الصديق أعلم من علي. منهم الإمام منصور بن عبد الجبار السمعاني المروذي، أحد أئمة السنة من أصحاب الشافعي، ذكر في كتابه "تقويم الأدلة على الإمام" إجماع علماء السنة على أن أبا بكر أعلم من علي. وما علمتُ أحدًا من الأئمة المشهورين ينازع في ذلك. وكيف وأبو بكر الصديق

---

[١] متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص: ٥٠).

[٢] متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص: ٤٢١).

كان بحضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – يفتي ويأمر وينهى ويقضي ويخطب، كما كان يفعل ذلك إذا خرج هو وأبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام، ولما هاجرا جميعًا ويوم حنين وغير ذلك من المشاهد، والنبي – صلى الله عليه وسلم – ساكت يُقرُّه على ذلك، ويرضى بما يقول، ولم تكن هذه المرتبة لغيره. وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – في مشاورته لأهل العلم والفقه والرأي من أصحابه؛ يقدم في الشورى أبا بكر وعمر، فهما اللذان يتقدمان في الكلام والعلم بحضرة الرسول – عليه السلام – على سائر أصحابه. مثل قصة مشاورته في أسرى بدر. فأول من تكلم في ذلك أبو بكر وعمر؛ وكذلك غير ذلك».[1]

وحديث أبي بكر نفسه مع حديث ابن عباس – رضي الله عنهم – فيهما إثبات ما فضِّل به أبو بكر – رضي الله عنه – من العلم بتعبير الرؤى، وإصابته الحق في ذلك في الغالب، حتى إن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يطلب إليه تعبير رؤياه، أو ربما استأذنه أبو بكر – رضي الله عنه – في تعبير بعض ما كان يُعرَض عليه من الرؤى، وثناءُ النبي – صلى الله عليه وسلم – على تعبيره بقوله: «كذلك عبرها المَلَكُ بسَحَر».

وأما حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – ففيه منقبة لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه – من وجه لطيف ذكره ابن القيم – رحمه الله – فقال: «هذا الحديث من أكبر فضائل الصديق، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – نفخ السِّوارين بروحه فطارا، وكان الصديق هو ذلك الروح الذي نفخ مسيلمة وأطاره».[2]

*** من فضائل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.**

١– حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «رأيتُ في النوم كأنِّي أُعطيتُ عُسًّا مملوءًا من لبن، فشربتُ منه حتى تملأتُ، فرأيتُه يجري في عروقي بين لحمي وجلدي، وفَضُلَتْ منه فضلة، فأعطيتُها ابن الخطاب. فأوِّلُوها» قالوا: يا نبيَّ الله! هذا علمٌ أعطاكه الله عز وجل، حتى امتلأتَ منه، فَضُلَتْ منه فضلة، فأعطيتَها ابنَ الخطاب، قال: «أصَبتُم».[3]

---

[1] مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٨– ٣٩٩).

[2] زاد المعاد (٣/ ٦١٣).

[3] أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زياداته على فضائل الصحابة (١/ ٢٥٣ رقم: ٣١٩) من طريق محمد ابن أبي بكر المقدَّمي حدثنا معتمر بن سليمان عن عبيد الله بن عمر عن بكر أو أبي بكر بن سالم عن أبيه عن ابن عمر به. وهذا إسناد صحيح، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٩٣ رقم: ١٣١٥٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٨– ٣٩ رقم: ٤٥٥٢) كلاهما من طريق عمرو بن عون حدثنا معتمر بن سليمان به. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالا، ويشهد له ما يليه.

٢- حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أيضًا قال: سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «بَيْنَا أنا نائمٌ إذ رأيتُ قدحًا أُتيتُ به فيه لبن، فشربتُ منه حتى إني لأرى الرِّيَّ يجري في أظفاري، ثم أَعطيتُ فضلي عمرَ بن الخطاب». قالوا: فما أوَّلتَه يا رسولَ الله؟ قال: «العلم».[١]

٣- حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ يُعرَضُون عليَّ وعليهم قُمُص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمرُ بن الخطاب وعليه قميص يَجُرُّه». قالوا: فما أوَّلتَ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «الدِّين».[٢]

٤- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بَيْنَا نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ قال: «بَيْنَا أنا نائمٌ رأيتُني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضَّأُ إلى جانب قصر، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب. فذكرتُ غَيرتَه فولَّيتُ مُدْبِرًا». فبكى عمر وقال: أعليكَ أغارُ يا رسولَ الله؟!.[٣]

٥- حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا وفيه: «ورأيتُ قصرًا بفنائه جاريةٌ، فقلتُ: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر. فأردتُ أن أدخُلَه فأنظرَ إليه فذكرتُ غَيرتَك». فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله! أعليكَ أَغار؟![٤]

وفي لفظ للبخاري: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لرجل من قريش. فما منعني أن أدخله يا ابن الخطاب إلا ما أعلم من غيرتك».[٥]

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم باب فضل العلم (١/ ٤٣ رقم: ٨٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر (٤/ ١٨٥٩ رقم: ٢٣٩١) واللفظ له.

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (١/ ١٧رقم: ٢٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر (٧/ ١١٢ رقم: ٦٣٤٠).

[٣] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٩٣).

[٤] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣/ ١٣٤٦ رقم: ٣٤٧٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٤/ ١٨٦٢ رقم: ٢٣٩٤).

[٥] صحيح البخاري : كتاب التعبير باب القصر في المنام (٦/ ٢٥٧٧ رقم: ٦٦٢١).

٦- حديث بريدة – رضي الله عنه – مرفوعًا وفيه: «... دخلتُ البارحةَ الجنةَ ... فأتَيتُ على قصر مربَّعٍ مشرفٍ[1] من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل من العرب. فقلت: أنا عربيٌّ، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. قلت: أنا قرشيٌّ، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد. قلت: أنا محمدٌ، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب».[2]

وفي لفظ عند الإمام أحمد رحمه الله: «قالوا: لرجل من المسلمين من أمة محمد».[3]

هذه الرؤى والتعابير النبوية فيها طرَفٌ من فضائل أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفضائله كثيرة، وقد أفردها بعض العلماء بالتأليف[4]، وضمنها بعضهم كتبهم[5].

فحديثا ابن عمر – رضي الله عنهما – فيهما بيان ما فضِّل به عمر – رضي الله عنه – من العلم الذي ورثه من النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك النبع الصافي النقي المتدفق المعصوم، وفي ذلك إشارة إلى أمرين: سعة علمه، وتزكيته.

قال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله[6]: «وهذا الحديث من أوضح الأدلة على غزارة علم عمر رضي الله عنه، وأنه لم يكن في الصحابة بعد أبي بكر – رضي الله عنه – أحد يماثل عمر – رضي الله عنه – في العلم أو يقاربه. وفيه أبلغ ردٍّ على أبي تراب[7] فيما

---

[1] **مُشرف**: أي له شُرْفة، والشُّرفة من القصر: ما أشرف من بنائه. قال في الصراح: شُرفة بالضم: كنكرة، جمعها: شُرَف. تحفة الأحوذي (١٠/ ١٢٠).

[2] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤١٢).

[3] مسند أحمد (٣٨/ ١٠١ رقم: ٢٢٩٩٦) قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره، وهذا إسناد قوي».

[4] منهم: الحافظ عبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ) في كتابه فضائل عمر بن الخطاب، وابن المبرد الحنبلي (٩٠٩هـ) في كتابه: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، والسيوطي (٩١١هـ) في كتابه الغرر في فضائل عمر.

[5] وهذا صنيع معظم أئمة الحديث في كتبهم كالإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٤٤- ٤٤٧) وكذلك غيره ممن كتب في فضائل الصحابة، والبخاري في صحيحه (٣/ ١٣٤٥- ١٣٥١)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٨- ١٨٦٥)، والترمذي في سننه (٥/ ٦١٦- ٦٢٣)، وابن ماجه في سننه (١/ ٧٦- ٧٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١- ٤٩) وغيرهم.

[6] في مقال له بعنوان: تنزيه الأصحاب عن تنقص أبي تراب، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد (٣٠) ص: ٧٨- ٧٩.

[7] أبو تراب الظاهري هو: أبو محمد عبد الجميل بن عبد الحق بن عبد الواحد العمري، يتصل نسبه بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولد سنة ١٣٤٣هـ ببلدة (أحمد بور الشرقية) من بلاد الهند، وتوفي سنة ١٤٢٣هـ بمدينة جدة، وهو أديب وعالم هندي، ظاهري المذهب، له باع في فنون متعددة من اللغة والتفسير والحديث والفقه وغيرها، استقطب إلى المملكة العربية السعودية مع والده، ومنح الجنسية السعودية، ودرَّسَ في الحرم المكي، وعمل في مكتبة الحرم، وألف كتبًا كثيرة، وله كثير من المشاركات في التلفاز والإذاعة والصحف والمجلات، وقد أثنى عليه جملة من العلماء، منهم الشيخ أحمد شاكر، والشيخ عبد الله خياط، والشيخ عبد الرحمن المعلمي وغيرهم، ومع ذلك =

شذ به من تفضيل علي وأبي هريرة ومعاذ وابن مسعود وابن عمر - رضي الله عنهم - على عمر - رضي الله عنه - بالعلم والفقه. وقد شهد حبر الأمة عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان - رضي الله عنهم - لعمر - رضي الله عنه - بغزارة العلم، وهما أعلم الصحابة بمراتب الصحابة في العلم. وشهد له بذلك أيضًا سعيد بن المسيب، وهو من أعلم التابعين بمراتب الصحابة في العلم. وشهد له بذلك أيضًا عمرو بن ميمون وإبراهيم النخعي، وكلٌّ منهما عالم بمراتب الصحابة في العلم».

ثم ذكر نقولاً عن هؤلاء الأعلام، ومن ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لو وضع علم أحياء العرب في كفة، وعلم عمر في كفة؛ لرجح بهم علم عمر». قال أبو معاوية: فقال الأعمش: فحدثتُ بهذا الحديث إبراهيمَ فقال: قال عبد الله: «إن كنا لنحسب عمرَ قد ذهب بتسعة أعشار العلم».[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - في حق عمر من العلم والدين والإلهام، بما لم يخبر بمثله، لا في حق عثمان، ولا علي، ولا طلحة، ولا الزبير».[2]

ووجه تفسير اللبن في هذا الحديث بالعلم؛ هو اشتراكهما في كثرة النفع، وفي أنهما سبب الصلاح، فاللبن غذاء الأطفال وسبب صلاحهم وقوت للأبدان بعد ذلك، والعلم سبب لصلاح الدنيا والآخرة وغذاء للأرواح، واللبن أول شيء يناله المولود من طعام الدنيا وبه تقوم حياته، كذلك حياة القلوب تقوم بالعلم.[3]

وأما حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - ففيه فضيلة أخرى لعمر - رضي الله عنه - وهو الشهادة له بكمال الإيمان وصلابة الدين، وحسن الأثر في الناس، حيث أوَّل النبي - صلى الله عليه وسلم - القميص في الرؤيا بالدِّين، وأنه رأى الناس يعرضون عليه

أخذ عليه بعض الأمور، كإباحة الغناء، وما بينه الشيخ حمود التويجري هنا، رحم الله الجميع. انظر: "أبو تراب الظاهري .. صفحات من حياته وتأملات في أدبه" للدكتور عبد الكريم العبد الكريم. ومقال بعنوان: "أبو تراب الظاهري وشيء من سيرته" في ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?s=&threadid=2525

[1] أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٣٦)، وأبو نعيم في تثبيت الإمامة (ص: ٢٨٤ رقم: ٧٢) بإسناد صحيح.

[2] منهاج السنة النبوية (٨/ ٦٤).

[3] انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٥٥- ١٥٦)، وشرح المشكاة للطيبي (١٢/ ٣٨٥٧)، والكواكب الدراري للكرماني (٢٤/ ١١٤).

وعليهم قمص، أي أنهم مؤمنون وأهل دين، لكنهم متفاوتون في إيمانهم وتديُّنهم، فلهذا قال: «منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك». وفي لفظ: «منها ما يبلغ الثديين، ومنها ما هو أسفل من ذلك».[1] ثم بيَّن أن عمر – رضي الله عنه – عُرِضَ عليه وعليه قميص سابغ قد جاوز قدميه فهو يجره لطوله، فهذه فضيلة وخصيصة لعمر – رضي الله عنه – اختص بها دون الناس الذين عُرضوا على النبي – صلى الله عليه وسلم – في منامه.

قال ابن العربي المالكي – رحمه الله – مبينًا وجه تأويل النبي – صلى الله عليه وسلم – القميص في المنام بالدين: «وذلك لأن الدين يستر عورات الجهل، كما يستر الثوب عورات البدن، فالذي كان يبلغ للثدي هو الذي يستر قلبه عن الكفر، والذي كان يبلغ أسفل من ذلك هو الذي يستر فرجه، وما دون ذلك هو الذي يستر رجليه عن المشي فيما لا ينبغي، والذي يستره ويجره هو الذي احتجب بالتقوى من الوجوه كلها ومن هو إلا عمر».[2]

وقال الطيبي رحمه الله: «القميص الدين، وجرُّه يدل على بقاء آثاره الجميلة، وسنته الحميدة في المسلمين بعد وفاته ليقتدى به».[3]

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد استشكل هذا الحديث بأنه يلزم منه أن عمر أفضل من أبي بكر الصديق، والجواب عنه: تخصيص أبي بكر من عموم قوله: «عرض علي الناس»، فلعل الذين عرضوا إذ ذاك لم يكن فيهم أبو بكر، وأن كون عمر عليه قميص يجره لا يستلزم أن لا يكون على أبي بكر قميص أطول منه وأسبغ، فلعله كان كذلك إلا أن المراد كان حينئذ بيان فضيلة عمر فاقتصر عليها، والله أعلم».[4]

وأما أحاديث أبي هريرة وجابر وبريدة – رضي الله عنهم – ففيها منقبة عظيمة لعمر – رضي الله عنه – وهي الشهادة له بالجنة، وأن له فيها قصرًا مربَّعًا مشرفًا من ذهب، بفنائه جارية تتوضأ. وهذه بشرى عظيمة لعمر – رضي الله عنه – وهو على قيد الحياة.

كما فيها وصفه – رضي الله عنه – بالغيرة، وهي مما يمتدح به الإنسان، كما فيها بيان تقدير النبي – صلى الله عليه وسلم – له، وفيها شدة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣١٣ رقم: ٦٨٩٠) وصححه الأرنؤوط.

[2] عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (٩/ ١٣٦).

[3] شرح الطيبي للمشكاة (١٢/ ٣٨٥٧).

[4] فتح الباري (٧/ ٥١).

قال الحافظ العراقي رحمه الله: «ما الحكمة في أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يصرح له بالجواب عما سأل عنه باسم من له القصر، بل قيل: لرجل من العرب، وزاد في رواية الترمذي بعده: "لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. قلت: أنا قرشي". ثم اتفقا على قوله: "لرجل من المسلمين" الحديث. فلم يسمِّ عمرَ إلا في الرابعة على رواية الترمذي، وفي الثالثة على رواية المسند، وكذلك رده صلى الله عليه وسلم: أنا عربي، أنا قرشي، أنا محمد. فهل كان ذلك رجاءَ أن يكون ذلك القصر له، أو لمعنى آخر؟

والجواب: أنه أريد بذلك - والله أعلم - بيان فضيلة هذه الأوصاف، فكونه من العرب أفضل وأرفع من كونه أعجميًّا، وكونه من قريش أفضل من كونه من عربٍ غيرِ قريش، وكونه ممن أسلم من قريش من أمة محمد أفضل من كونه من قريش ولم يدخل في الأمة لموته قبل البعثة، كزيد بن عمرو بن نفيل، وإن كان من أهل الجنة، فأُرِيدَ بتكرار الجواب، والسؤال ما ذكرناه، والله أعلم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: أنا عربي، أنا قرشي؛ فيحتمل أنه قاله تجويزًا لكونه له، إذ فيه ذلك الوصف الذي ذكر.

وأما قوله بعد ذلك: أنا محمد؛ فذلك بعد أن عرف أنه ليس له، ولكنه عرف علو منزلته على من له القصر، وأنه بلغ ذلك لكونه من أمته، وأراد معرفة من له ليبشر صاحبه كما وقع، أو ليعرف منزلة صاحبه، والله أعلم».[(١)]

وفيما ذكر من فضائل عمر - رضي الله عنه - أعظم ردٍّ على الطاعنين فيه من الشيعة الروافض، فقد شهد له النبي - صلى الله عليه وسلم - بالعلم الغزير والإيمان الراسخ وجنة النعيم، كما أنه وُصِفَ بأنه أصيل النسب فهو عربي قرشي، وبأنه رجل من المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن علم ذلك وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ لا يتجرأ على الطعن في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ناهيك عن لعنه وتكفيره والحكم عليه بالنار، والعياذ بالله.

* **من فضائل الشيخين: أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق** - رضي الله عنهما - **مجتمعَين**.

١- حديث أبي الطفيل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت فيما يرى النائم كأني أَنزِعُ أرضًا، وَرَدَتْ عليَّ غَنَمٌ سُودٌ وغَنَمٌ عُفْر[(٢)]، فجاء

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ٦١).

(٢) **غَنَمٌ عُفْر**: جمع عَفْراء، من العُفْرة وهي: بياضٌ ليس بناصع. انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٢٦١).

أبو بكر فنزع ذَنُوبًا أو ذَنُوبَين[1]، وفيهما ضعف، والله يغفر له، ثم جاء عمر فنزع فاستحالتْ غَرْبًا[2] فملأ الحوضَ وأروى الواردة[3]، فلم أرَ عبقريًّا[4] أحسنَ نزعًا من عمر، فأوَّلْتُ أن السُّودَ العرَبُ، وأن العُفْرَ العجَمُ».

وفي لفظ: «بينما أنا أنزع الليلة إذ وردت علي غنم سُود وغنم عُفْر ...».[5]

٢- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «بَيْنا أنا نائمٌ رأيتُني على قَلِيبٍ[6] عليها دَلْوٌ، فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذَها ابنُ أبي قُحافةَ فنزَعَ بها ذَنُوبًا أو ذَنُوبَين، وفي نزعه ضَعْفٌ، والله يغفر له ضعفَه، ثم استحالت غَرْبًا فأخذها ابن الخطاب، فلم أرَ عبقريًّا من الناس ينزع نَزْعَ عمر، حتى ضرب الناس بعطن[7]».[8]

٣- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضًا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «بَيْنا أنا نائمٌ أُرِيتُ أني أَنْزِعُ على حوضي أَسْقِي الناسَ، فجاءني أبو بكر فأخذ الدَّلْوَ من يَدِي لِيُرَوِّحَنِي، فنَزَعَ دَلْوَيْنِ وفي نَزْعِهِ ضعْفٌ، واللهُ يغفر له، فجاء ابنُ

---

[1] **الذَّنوب**: ملء دلْو من ماء. وقيل: الذَّنوب: الدلو العظيمة، ولا تسمى ذَنَوبًا إلا إذا كان فيها ماء. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٨/ ١٩٠)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ١٧١).

[2] **فاستحالت غَرْبًا**: أي تحوَّلت إلى دَلْوٍ عظيمة، والغَرْبُ: أعظم الدَّلْو، وهو أكبر من الذَّنُوب، يُسْتَقى به على السَّانِيَة. انظر: تهذيب اللغة للهروي (٨/ ١١٦)، وأعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٦٢٦).

[3] **الواردة**: الناس الذين يردون الماء، أو الإبل التي ترد الماء. انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٥٤٩)، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٢٤).

[4] **العَبْقَرِيّ**: نسبة إلى عَبْقَر، وهو صفة لكل ما بُولِغَ في وصفه وما يفوقه شيء. والعَبْقَرِيُّ: السَّيِّدُ من الرِّجَال. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٨١)، وتاج العروس للزبيدي (١٢/ ٥١٤).

[5] أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/ ٢١٨ رقم: ٢٣٨٠١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٢٠٠ رقم: ٩٥١)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٩٨ رقم: ٩٠٤)، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، ولكن للحديث شواهد يتقوى بها، ستأتي معنا، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد.

[6] **القَلِيب**: البئر تُحفر فيُقلب تُرابها قبل أن تُطوى، يُذكَّر ويؤنَّث. أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٦٢٦)، والنهاية لابن الأثير (٤/ ٩٨).

[7] **العَطَن**: ما حول الحوض والبئر من مَبارِكِ الإبل ومُناخ القوم، ويجمع على أعطان. وقال ابن الأنباري: حتى رووا، وأرووا إبلهم، وأبركوا، وضربوا لها عطنا. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٢/ ١٤)، والإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (٤/ ٦٩).

[8] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٤).

الخطَّابِ فأخذ منه، فلم أَرَ نَزْعَ رجلٍ قطُّ أقوى منه، حتى تَوَلَّى الناسُ والحوضُ مَلآنُ يتفجَّر».[1]

هذه الرؤى والتعابير النبوية وردت بفضائل عدة في خصوص الشيخين؛ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا شك أنهما أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وقد تواترت الأحاديث بذلك، وما ذكر في هذه الرؤى غيضٌ من ذلك الفيض.

ففي هذه الرؤى والتعابير إشارة إلى توليهما الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتولاها أبو بكرٍ أولاً ثم عمر رضي الله عنهما.

وفيها إشارة إلى أن توليهما الخلافة يكون بِرِضًا من المسلمين عربهم وعجمهم.

وفيها بيان لـمُدَدِ خلافة كلٍّ منهما، وما يحصل فيها من الفتوح ودخول الناس في الدين، وأن خلافة أبي بكر أقصرُ مدَّةً، وأقلُّ فتوحاتٍ بالنسبة إلى خلافة عمر رضي الله عنهما.

قال الخطابي رحمه الله: «وهذا مثلٌ ضربه في ولاية أبي بكر وعمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. والذَّنوبان: هما سنتان وليهما أبو بكر، وضعف نزعه: إنما هو اشتغاله بقتال أهل الرِّدة، فلم يتفرَّغ لافتتاح الأمصار وجباية الأموال، وكان جودةُ نزعِ عمر طولَ أيامه وما فتح الله في عهده من الممالك، وأغنمه من الأموال، فحسُنَت بها أحوال المسلمين وأخصبت رحالهم».[2]

وفيها مزيد ثناءٍ على عمر رضي الله عنه، ولا يلزم من ذلك تفضيله على أبي بكر رضي الله عنه، فإن المفضول قد يختص بفضيلةٍ لا توجد في الفاضل، والحقيقة أن هذه الفضيلة راجعة إلى طول مدة خلافته، وتهيؤ الوضع للفتوح وتوسيع الدولة الإسلامية في عهده.

قال ابن بطال رحمه الله: «وقد علمنا أن هذا مثلٌ في رؤيا النبي عليه السلام، وإنما يراد بالمثَلِ تقريبُ علمِ الشيءِ وإيضاحُه بذِكْرِ نَظيره، وفي إغفال بيانه والذهاب عن معناه وعن موضع التشبيه به؛ إبطالُ فائدة المثَل، وإثباتُ الفضيلةِ لعمر على أبى بكر، إذ قد وُصِفَ بالقوة مِن حيثُ وُصِفَ أبو بكر بالضعف، وتلك خُطَّةٌ أباها المسلمون، والمعنى – والله أعلم – أنه إنما أراد بهذا إثباتَ خلافتهما، والإخبارَ عن مدَّةِ ولايتهما، والإبانةَ عما جرى عليه

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير باب الاستراحة في المنام (٦/ ٢٥٧٦ رقم: ٦٦١٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضائل عمر رضي الله عنه (٤/ ١٨٦١ رقم: ٢٣٩٢).

[2] أعلام الحديث (٣/ ١٦٢٧).

أحوال أمته في أيامهما، فشبَّهَ أمرَ المسلمين بالقليب، وهو البئر العادية، وذلك لما يكون فيها من الماء الذي به حياةُ العبادِ وصلاحُ البلاد، وشبَّهَ الواليَ عليهم والقائمَ بأمورهم بالنازع الذي يستقي الماءَ ويقرِّبه من الوارد، ونزعُ أبي بكرٍ ذَنُوبًا أو ذَنُوبينِ على ضعف فيه؛ إنما هو قِصَرُ مدَّةِ خلافته، والذَّنُوبان مَثَلُ ما في السنتين اللَّتين وَلِيَهما وأشْهُرٍ بعدَهما، وانقضَتْ أيامُه في قتال أهلِ الرِّدَّة، واستصلاحِ أهلِ الدعوة، ولم يتفرَّغ لافتتاح الأمصار، وجباية الأموال، فذلك ضَعْفُ نزعِه، وأما عمرُ فطالتْ أيامُه، واتَّسعَتْ وِلايتُه، وفتح الله على يديه العراق والسواد وأرض مصر وكثيرًا من بلاد الشام، وقد غَنِمَ أموالَها وقِسْمَتَها في المسلمين، فأخصَبَتْ رحالُهم، وحَسُنَتْ بها أحوالُهم، فكان جودةُ نزعِه مَثَلاً لما نالُوا من الخير في زمانه، والله أعلم».[1]

وأمَّا قوله – صلى الله عليه وسلم – في أبي بكر رضي الله عنه: «والله يغفر له» فقال النووي رحمه الله: «ليس فيه تنقيصٌ له، ولا إشارةٌ إلى ذنب، وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم، ونِعْمَت الدعامة، وقد سبق في الحديث في صحيح مسلم[2] أنها كلمة كان المسلمون يقولونها: افعل كذا والله يغفر لك».[3]

قال الطيبي – رحمه الله – موضحًا كلام النووي: «أراد أنه من باب التتميم، وهو أن يقيَّد بكلام فيه نوع إيهام للنقص بما يصونه عنه».[4]

وكلام النووي – رحمه الله – وجيهٌ ويتماشى مع الروايات التي في صحيح مسلم، فإنها اقتصرت على لفظ: «والله يغفر له»، لكن يشكل عليه ما ورد عند غيره[5] بلفظ: «والله

---

[1] شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٥٤٠- ٥٤١)، وانظر نحو هذا الشرح والبيان للقاضي عياض – رحمه الله – في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٣٩٦- ٣٩٧)، والنووي – رحمه الله – في شرحه على مسلم (١٥/ ١٥٧).

[2] لعله يشير إلى ما رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٨٩ رقم: ٧١٥) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – في قصة شراء النبي – صلى الله عليه وسلم – جمله وفيه: فقال صلى الله عليه وسلم: «أتبيعنيه بكذا وكذا والله يغفر لك؟». قال: قلت: هو لك يا نبي الله. قال: «أتبيعنيه بكذا وكذا، والله يغفر لك؟». قال: قلت: هو لك يا نبي الله. قال: وقال لي: «أتزوجت بعد أبيك؟» قلت: نعم. قال: «ثيبًا، أم بكرًا؟». قال: قلت: ثيبًا. قال: «فهلاً تزوجت بكرًا تُضاحِكُكَ وتُضاحِكُها، وتُلاعِبُكَ وتُلاعِبُها». قال أبو نضرة: «فكانت كلمة يقولها المسلمون: افعل كذا وكذا والله يغفر لك».

[3] شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٥٧).

[4] شرح المشكاة للطيبي (١٢/ ٣٨٥٨).

[5] كما عند البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٣/١٣٤٠ رقم: ٣٤٦٤).

يغفر له ضعفَه»، فإنَّه جعل المغفرة عائدة على ما كان منه من ضعفٍ في نزعِه، وهو انشغاله بقتال المرتدين عن التوسع في الفتوحات، وكان ذلك أول خلافته، ثم لما أخمد فتنة المرتدين بدأ في الفتوحات في آخر عهده، ومهَّد الأمور للخليفة بعده.

وقال المظهري رحمه الله: «قوله: "والله يغفر له ضعفَه"؛ أي: ضعفَ زمان خلافته، وذلك ما حدث في زمانه من ارتداد قوم، واتِّباعِهم مسيلمةَ الكذَّاب، وإنكار قوم الزكاة، وغير ذلك من أعباء الخلافة، أو المراد بالضعف: قصر مدة خلافته كما ذُكر قَبْلُ. فإذا كان كذلك فالضعف في المباشَرِ فيه الذي هو الزمانُ، لا في المباشِرِ الذي هو الصدِّيقُ، لكنه نَسبَهُ إليه إطلاقًا لاسم المَحَلِّ على الحالّ، وذلك مجاز سائغ في كلام العرب».[1]

وذكر الحافظ ابن حجر – رحمه الله – احتمالاً آخر في معنى هذه الجملة فقال: «ويحتمل أن يكون فيه إشارة إلى أن قلة الفتوح في زمانه لا صنع له فيه؛ لأن سببه قصر مدته، فمعنى المغفرة له رفع الملامة عنه».[2]

ثم قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: وفي كل هذا إعلامٌ بخلافة أبي بكر وعمر، وصحة ولايتهما، وبيان صفتها، وانتفاع المسلمين بها».[3]

وقوله: «فنزع ذَنُوبًا أو ذَنُوبَين» لعله شكٌّ من بعض الرواة، والصحيح: «ذَنُوبَين»؛ لأن خلافة الصديق – رضي الله عنه – كانت سنتين وأشهرًا، ولهذا جاءت في بعض الروايات بالقطع، كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – الثاني الذي معنا: «فنَزَعَ دَلْوَيْنِ». وورد أيضًا بلفظ: «فنزع ذنوبين».[4] وقد نبَّه على هذا القاضي عياض والنووي – رحمهما الله – في شرحهما على مسلم.[5]

وقال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «فجاءني أبو بكر فأخذ الدَّلْوَ من يَدِي لِيُرَوِّحَنِي». وفي لفظ: «لِيُريحَني». قال ابن هبيرة رحمه الله: «قوله: "ليريحني" في هذه الرواية

---

[1] المفاتيح في شرح المصابيح (٦/ ٢٩٨).

[2] فتح الباري (٧/ ٣٩).

[3] شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٥٧).

[4] صحيح البخاري (٦/ ٢٥٧٦ رقم: ٦٦١٩).

[5] انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٣٩٦)، وشرح النووي على مسلم (١٥/ ١٥٧).

يشير بذلك إلى أنه لم يأخذه عنه عن طريق الاستلاب ولا المسارقة ولا الإكراه؛ ولكن ليرَوِّحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك كان، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين استراح في نعيم الآخرة خلفه أبو بكر – رضي الله عنه – في أمته بالقيام بأعباء ولايته صلى الله عليه وسلم».[1]

تنبيه: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: "ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر"؛ كذا هنا، ولم يذكر مثله في أخذ أبي بكر الدلو من النبي صلى الله عليه وسلم، ففيه إشارة إلى أن عمر ولي الخلافة بعهد من أبي بكر إليه، بخلاف أبي بكر فلم تكن خلافته بعهد صريح من النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن وقعت عدة إشارات إلى ذلك فيها ما يقرب من الصريح».[2]

قلت: بل ورد مثله في أخذ أبي بكر الدلو من النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – المتفق عليه، ولفظه: «فجاءني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليروحني».[3] فلا أدري كيف لم ينتبه الحافظ – رحمه الله – لهذا وهو شارح البخاري؟! بل كيف تبعه في ذلك بعض من أتى بعده من الشراح؟!

* **من فضائل الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي** – رضي الله عنهم – **مجتمعين، وترتيبهم في الخلافة**. ورد ذلك في:

١– حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – أن رجلاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت كأنَّ دلوًا دُلِّيَتْ من السماء[4]، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها[5]، فشرب منه شربًا ضعيفًا – قال عفان: وفيه ضعف –، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها، فشرب حتى تضلع[6]، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها، فشرب فانتشطت منه[7]، فانتضح عليه منها شيء».[8]

---

[1] الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٩٤).

[2] فتح الباري (١٢/ ٤١٢)، وتبعه الكوراني في الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (١٠/ ٤٩٢)، والقسطلاني في إرشاد الساري (١٠/ ١٤٧).

[3] متفق عليه، وتقدم تخريجه قريبًا.

[4] **دُلِّيَتْ من السماء**: أي: أُرسِلت. يقال: أدليتُ الدلو إذا أرسلتها في البئر، ودَلَوْتها إذا نزعتها. معالم السنن للخطابي (٤/ ٣٠٦).

[5] **بعَرَاقيها**: العَراقي: أعواد يخالف بينها، ثم تُشد في عُرى الدلو، ويعلق بها الحبل، واحدتها عُرْقُوة. المرجع السابق.

[6] **تَضَلَّعَ**: التَّضَلُّع: الاستيفاء في الشرب حتى يروي فتمدد جنبه وضلوعه. المرجع السابق.

[7] **انتَشَطَتْ**: اضطربت حتى انتضح ماؤها. المرجع السابق.

[8] أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢١ رقم: ٢٠٢٥٥)، وقال محققوه: إسناده حسن من أجل الأشعث بن عبد الرحمن الجَرمي.

وهو عند أبي داود والطبراني بلفظ: أن رجلاً قال: يا رسول الله! رأيت كأن دلوًا دُلِّيَ من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها، فشرب شربًا ضعيفًا[1]، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها، فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها، فانْتَشطَتْ منه وانتَضَح عليه منها شيء.[2]

٢- حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه كان يحدث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أُرِيَ الليلةَ رجلٌ صالحٌ أن أبا بكرٍ نِيطَ برسول الله صلى الله عليه وسلم، ونِيطَ عمر بأبي بكر، ونِيطَ عثمان بعمر».[3]

قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلنا: أما الرجل الصالحُ فرسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأما تَنَوُّطُ بعضهم ببعض فهم وُلاةُ هذا الأمر الذي بعث الله به نبيَّه صلى الله عليه وسلم.[4]

---

[1] قال الخطابي - رحمه الله - في معالم السنن (٤/ ٣٠٦): «قوله في أبي بكر: " شرب شربًا ضعيفًا " فإنما هو إشارة إلى قصر مدة أيام ولايته، وذلك لأنه لم يعش بعد أيام الخلافة أكثر من سنتين وشيء، وبقي عمر عشر سنين وشيئاً، فذلك معنى تضلُّعِه، والله أعلم».

[2] سنن أبي داود (٧/ ٣٧ رقم: ٤٦٣٧)، والمعجم الكبير للطبراني (٧/ ٢٣١ رقم: ٦٩٦٥) وإسناده حسن كالذي قبله. وهذه الرواية تختلف عن الأولى في أمرين: الأول: أنها من مسند سمرة - رضي الله عنه - والرؤيا فيها منسوبة للرجل الذي لم يسم، بينما الرواية الأولى من مسند الرجل الذي لم يسم، والرؤيا فيها منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. الثاني: أن الرواية الأولى اقتصرت على الخلفاء الثلاثة ولم تذكر عليًّا رضي الله عنهم، بينما الرواية الثانية ذكرت عليًّا رضي الله عنه، وجعلت قصة انتشاط الدلو وانتضاح الماء له.

[3] **نِيطَ**: معناه: عُلِّق، والنَّوْطُ: التعليق، والتَّنَوُّطُ: التعلُّق. انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٣٠٥).

[4] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣/ ١٢٤ رقم: ١٤٨٢١)، وأبو داود في سننه (٢٤١/١٢ رقم: ٤٠١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٣٧ رقم: ١١٣٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٤١٢ رقم: ٣٣٤٧)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣٤٣ رقم: ٦٩١٣)، والطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٥٨ رقم: ١٨٠٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٨/ ١٦٨ رقم: ٢٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧- ١٨ رقم: ٤٤٩٦) كلهم من طريق محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر به. وقال الحاكم: «ولعاقبة هذا الحديث إسناد صحيح عن أبي هريرة ولم يخرجاه». وصححه الذهبي في التلخيص. وقال الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٥٣٧): «إسناده ضعيف، ورجاله ثقات غير عمرو بن أبان بن عثمان، فإنه مجهول الحال، لم يرو عنه غير الزهري وعبد الله بن علي ابن أبي رافع الملقب عبادل، ولم أعرفه، وكأنه لذلك لم يوثق ابنَ أبانٍ هذا أحدٌ غير ابن حبان، على قاعدته المعروفة في توثيق المجهولين، ومع ذلك فقد أبدى شكَّه في سماعه من جابر فقال: ولا أدري أسمع منه أم لا؟». مع أنه صححه في تخريجه لشرح العقيدة الطحاوية (ص: ٥٣٥). وقال شعيب الأرنؤوط في الموضعين السابقين من مسند أحمد وسنن أبي داود: «رجاله ثقات غير عمرو بن أبان بن عثمان، فقد ذكره الزبير ابن بكّار في أولاد أبان، وقال: أمه أم سعيد بنت عبد الرحمن بن هشام. وذكره ابن حبان في "الثقات" ٧/ ٢١٦ فقال: روى عنه الزهري وأهل المدينة، وقد روى عن جابر بن عبد الله، فلا أدري أسمع منه أم لا؟». قلت: أخرج الحديث نعيم بن حماد في الفتن (١/ ١١٠ رقم: ٢٦٢) فقال: حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري قال حدثني من سمع جابر بن عبد الله - رضى عنهما - يقول: رأى رجل صالح الليلة ... فذكره. فإن كان يقصد بالذي سمع =

٣- حديث الأسود بن هلال[١] عن رجل من قومه أنه كان يقول في خلافة عمر بن الخطاب: لا يموت عثمان بن عفان حتى يستخلف. قلنا: من أين تعلم ذلك؟ قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «رأيتُ الليلةَ في المنام كأنَّ ثلاثة من أصحابي وُزِنُوا؛ فوُزِنَ أبو بكر فوَزَن، ثم وُزِنَ عمر فوَزَن، ثم وُزِنَ عثمان فنَقَصَ صاحبُنا وهو صالح».[٢]

٤- حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوُزِنتَ أنت وأبو بكر فرجحتَ أنت بأبي بكر، ووُزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووُزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان. فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي لفظ: «ثم رفع الميزان، فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء».[٣]

٥- حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات غداة فقال: «رأيت آنفًا[٤] أني أُعطيتُ الموازين والمقاليد، فأما المقاليد فهذه المفاتيح، وأما الموازين فهي التي تَزِنُون بها، فوُضعتُ في كفة، ووضعتْ أمتي في كفة فرجحتُ بهم، فجيء بأبي بكر فرجح، ثم جيء بعمر فرجح، ثم جيء

جابرًا عمرَو بنَ أبان؛ فهذا نص من الزهري على سماع عمرو بن أبان من جابر. وعلى كلٍّ فالحديث وإن كان في سنده شيء إلا أن معناه صحيح، ويشهد له الحديث الذي قبله وما سأذكره بعدُ - إن شاء الله - من أحاديث.

[١] هو أبو سلام المحاربي الكوفي، ثقة جليل، مخضرم، من كبار التابعين توفي سنة ٨٤هـ، أخرج له الجماعة إلا الترمذي وابن ماجه. انظر التقريب لابن حجر (١/ ٨٨ رقم: ٥٧٨).

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٤٨ رقم: ٣١٩٢٨)، والإمام أحمد في مسنده (٢٧/ ١٤٩ رقم: ١٦٦٠٤) واللفظ له، وقال محققه: «إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين، وجهالة الصحابي لا تضر». قلت: قد صرح الأسود بن هلال باسمه كما في معجم الصحابة لابن قانع (١/ ١٤٣) فقال: كان أعرابي فينا يؤذن بالخير، يقال له: جبر، فقال: إن عثمان لن يموت حتى يلي هذه الأمة ... فذكره. ورواية ابن أبي شيبة مختصرة لم تذكر عثمان بن عفان رضي الله عنه.

[٣] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣١١).

[٤] **آنِفًا**: الآنِفُ: الماضي القريب، يقال: فعله آنفًا: قريبًا، أو أول هذه الساعة، أو أول وقت كنَّا فيه. المعجم الوسيط (١/ ٣٠).

بعثمان فرجح». ثم قال: «رُفِعَتْ»، قال: فقال له رجل: فأين نحن؟ قال: «حيث جعلتم أنفسكم».[1]

٦- حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظُلَّةً تَنطِفُ السمن والعسل، فأرى الناس يَتَكَفَّفُون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراكَ أخذتَ به فعَلَوتَ، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكر: يا رسول الله - بأبي أنت - والله لتدعَنِّي فأعبرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعبرها». قال: أما الظُّلَّة فالإسلام، وأما الذي يَنطِفُ من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تَنطِف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيُعْلِيَكَ الله، ثم يأخذ به رجلٌ من بعدِك فيَعْلُو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فيَعْلُو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فينقطع به، ثم يوصل له فيَعْلُو به. فأخبِرْني يا رسولَ الله - بأبي أنت - أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا». قال: فوالله لتُحَدِّثَنِّي بالذي أخطأتُ. قال: «لا تُقسِم».[2]

هذه الرؤى والتعابير النبوية دلت على فضيلة الخلفاء الراشدين الأربعة: أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم، وعلى قرب منزلتهم ، وعلو مكانتهم لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى صحة خلافتهم وثبوتها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى ترتيبهم في الخلافة، وأن أوَّلهم أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان بن عفان، ثم علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم، وكذلك ترتيبهم في الفضل، دلَّ على ذلك حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ومعتقدهم في الخلفاء الراشدين.[3]

---

[1] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤٢١).

[2] متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص: ٥٠).

[3] انظر: العقيدة الطحاوية (ص: ٢٩)، ومقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة (ص: ٦١)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي إسماعيل الصابوني (ص: ٢٨٩- ٢٩٤)، ولمعة الاعتقاد للمقدسي (ص: ٣٥- ٣٧)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٣ و ٤٠٦).

فقد أخرج الإمام ابن عبد البر بسنده عن أبي علي الحسن بن أحمد بن الليث الرازي قال: سألت أحمد بن حنبل فقلت: يا أبا عبد الله من تُفضِّل؟ فقال: "أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وهم الخلفاء". فقلت: يا أبا عبد الله! إنما أسألكَ عن التفضيل، من تُفضِّل؟ قال: "أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وهم الخلفاء المهديون". ورد الباب في وجهي. قال أبو علي: ثم قدمتُ الرَّيَّ فقلتُ لأبي زرعة: سألت أحمد، وذكر له القصة، فقال: لا نبالي من خالفنا، نقول: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلافة والتفضيل جميعًا، هذا ديني الذي أدين الله به، وأرجو أن يقبضني الله عليه.[1]

وأخرج أيضًا بسنده عن سلمة بن شبيب قال: وكتبت إلى إسحاق بن راهويه: مَن تُقدِّم مِن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكتب إليّ: "لم يكن بعدَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الأرض أفضلُ من أبي بكر، ولم يكن بعده أفضلُ من عمر، ولم يكن بعد عمر أفضلُ من عثمان، ولم يكن على الأرض بعد عثمان خيرٌ ولا أفضلُ من علي رضي الله عنهم".[2]

وفي ذلك رد على الشيعة الروافض في زعمهم أن عليًّا - رضي الله عنه - كان هو الخليفةَ الموصى به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]، وأن أبا بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - غصبوا منه الخلافة، ورتبوا على ذلك تضليلَ وتكفيرَ هؤلاء الخلفاء الثلاثةِ وسائرِ الصحابة رضوان الله عليهم، وتبرؤوا منهم، وتقربوا إلى الله بسبِّهم ولعنهم،[4] ولم يستثنوا منهم إلا عددًا يسيرًا لا يتجاوز أصابع اليدين[5]. قبحهم الله وعاملهم بما يستحقون.

كما أن فيها الردَّ على الخوارج والنواصب الذين خرجوا على عثمان وعلي رضي الله عنهما، وناصبوهما ومن معهما العداوة، وحكموا بكفرهما وكفر غيرهما من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ممن رضوا بالتحكيم، أو شاركوا في جمل وصفين.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٧٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (٣/ ٢٩٨) وبحار الأنوار للمجلسي (٢٣/ ٣٥٨) و (٤٦/ ١١١).

(٤) انظر: بحار الأنوار للمجلسي(٣٠/ ٥٣- ١٢٠): (باب في ذكر ما كان من حيرة الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وغصب الخلافة وظهور جهل الغاصبين وكفرهم ورجوعهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام). وما بعدها من الأبواب.

(٥) انظر: كتاب سليم بن قيس (ص: ٧٤- ٧٥).

وحديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - فيه ردٌّ لما تتهم به الشيعةُ الروافضُ أهلَ السنة من بغض عليٍّ - رضي الله عنه - ونصب العداوة له، فإن فيه إثباتَ فضيلة عليٍّ - رضي الله عنه - وإثباتَ خلافته، وأنه رابع الخلفاء رضي الله عنهم.

وفيه كذلك الإشارةُ إلى مُدَدِ خلافتهم، وأن أقصرهم خلافة أبو بكر رضي الله عنه، حيث كانت سنتين ومائة يوم[1]، وهو المراد بالشرب الضعيف، ثم خلافة عليٍّ رضي الله عنه، حيث كانت خمس سنوات إلا أشهر[2]، وهو المراد بانتشاط الدلو وانتضاح مائها عليه، أما خلافة عمر وعثمان - رضي الله عنهما - فطالتا، حيث بلغت خلافة عمر - رضي الله عنه - عشر سنين وستة أشهر[3]، وبلغت خلافة عثمان - رضي الله عنه - اثنتي عشرة سنة إلا أيامًا[4]، وهو المراد بتضلُّعهما من الدلو.

وقد أثنى النبي - صلى الله عليه وسلم - على خلافتهم بأنها خلافة نبوة، كما تقدم في حديث أبي بكرة رضي الله عنه.[5]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - معلقًا على هذا الحديث: «فبين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة، ثم بعد ذلك مُلكٌ، وليس فيه ذكر علي؛ لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك».[6]

وقال المظهري رحمه الله: «وعلّةُ ظهور الكراهية في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه علمَ أن استقرارَ الإسلام في حياته - صلى الله عليه وسلم - وبعد وفاته إلى زمانَ عثمان، ثم تظهر الفتن والاختلاف بين أصحابه.

ومعنى ترجيح كل واحد من الذين وُزِنُوا: أن مَن رجح في الميزان هو أفضلُ من المرجوح؛ يعني: النبي أفضلُ من أبي بكر، بل من أهل السماء والأرض، ثم بعده أبو بكر أفضلُ من عمر، ثم عمرُ أفضلُ من عثمان.

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي - سيرة الخلفاء الراشدين (ص: ١٦).

(2) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٤٦٨).

(3) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٥٢).

(4) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٣٧٩).

(5) حديث صحيح، تقدم تخريجه (٣١١).

(6) منهاج السنة النبوية (١/ ٥١٣- ٥١٤).

وإنما رُفع الميزانُ ولم يُوزَن عثمانُ وعليٌّ رضي الله عنهما؛ لأن خلافةَ عليٍّ تكون مع افتراق الصحابة فرقتَين: فرقة معه، وفرقة مع معاوية، فلا تكون خلافتُه مستقرةً متفقًا عليها». [١]

وقوله في اللفظ الآخر: «فاستاء لها» أي: ساءه ما ذكر الرجل من الرؤيا. ويُروى: «فاستأولها» أي: طلب تأويلها بالتأمل والنظر. [٢]

قال التوربشتي رحمه الله: «إنما ساءه - والله أعلم - من الرؤيا التي ذكرها ما عرفه من تأويل رفع الميزان، فإن فيه احتمالاً لانحطاط رتبة الأمر في زمان القائم به بعد عمر - رضي الله عنه - عما كان عليه من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتأييد. ويحتمل أن يكون المراد من الوزن موازنة إياهم لما كان يطرأ فيها من رونق الإسلام وبهجته، ثم إن الموازنة إنما تراعى في الأشياء المتقاربة مع مناسبة ما، فيظهر الرجحان، فإذا تباعدت كل التباعد لم يوجد للموازنة معنى، فلهذا رفع الميزان». [٣]

ولم يَرِد هنا في هذا الحديث وفي الأحاديث التي بعده ذكرٌ لعليٍّ رضي الله عنه، ومن الحكمة في ذلك - فيما يظهر لي - مزيدُ تأكيدٍ لفضائل الخلفاء الثلاثة قبل عليٍّ رضي الله عنهم، وزيادة تأكيدٍ على حقية خلافتهم، وفي ذلك ردٌّ صريح على الشيعة الروافض الذين لا يثبتون خلافة هؤلاء الثلاثة، ويعتبرونهم غاصبين للخلافة.

وعدم ذكر علي - رضي الله عنه - لا يدل على أن خلافته لم تكن خلافة نبوة، بل دل الدليل على أن خلافته خلافة نبوة، وذلك في حديث سفينة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلافةُ النُّبوَّة ثلاثونَ سنةً، ثم يؤتي الله الملكَ - أو ملكه - من يشاء». ثم بين - رضى الله عنه - ذلك فقال: «أمسِكْ عليكَ: أبا بكرٍ سنتين، وعُمرَ عشرًا، وعثمانَ اثنتي عشرة، وعليٌّ كذا». [٤]

وفي لفظ: «وست سنين عليّ». [٥]

---

[١] المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (٥/ ١١٤).

[٢] انظر: شرح المشكاة للطيبي (١٢/ ٣٨٧١).

[٣] الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (٣/ ١٠٢١).

[٤] أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٤٤ رقم: ٤٦٤٧)، وحسن إسناده الأرنؤوط.

[٥] أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٤١٤ رقم: ٣٣٤٩). قلت: لعل ما ذكره سفينة - رضي الله عنه - هنا مبني على جبر الكسور وحذفها.

وقد عقد الطحاوي – رحمه الله – في شرح مشكل الآثار بابًا لبيان مشكل ما روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ولاة الأمر بعده، الذين هم في ولايتهم إياه خلفاء نبوة، من هم؟[١] أورد فيه حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «أُرِيَ الليلةَ رجلٌ صالحٌ أن أبا بكر نِيطَ برسول الله صلى الله عليه وسلم، ونِيطَ عمرُ بأبي بكر، ونِيطَ عثمانُ بعمر». فلما قمنا من عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما ما ذكر من نَوطِ بعضِهم بعضًا فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله – عز وجل – به نبيه صلى الله عليه وسلم.[٢]

ثم قال رحمه الله: «ففي هذا الحديث أن ولاة الأمر الذي بعث الله به نبيه – صلى الله عليه وسلم – بعده هم هؤلاء الثلاثة المذكورون في هذا الحديث، فقد يحتمل أن يكونوا ولاته بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – ويكون له ولاة بعدهم سواهم».

ثم أورد حديث أبي بكرة – رضي الله عنه – الذي معنا، ثم قال: «ثم نظرنا في ذلك، هل روي فيه غير هذا الحديث إذ كان في هذا الحديث رفع الميزان الذي أخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن الموزونين به ولاة ذلك الأمر بعده».

ثم أورد حديث سفينة – رضي الله عنه – الذي ذكرناه آنفًا، ثم قال: «فدل هذا الحديث أن سنين[٣] خلافة النبوة في هذه الثلاثون السنة التي قد دخلت فيها مدد خلافة أبي بكر، ومدد خلافة عمر، ومدد خلافة عثمان، ومدد خلافة علي رضي الله عنهم. وأن ما في الحديثين الأولين مما فيه ذكر أبي بكر وعمر وعثمان بما ذكروا به فيهما لا يذكر لعلي في ذلك معهم؛ إنما كان لأن ما فيها كان في أبي بكر وعمر وعثمان خاصة، كما قد روي سوى ذلك في أبي بكر مما لا ذكر لعمر فيه ، وفي عمر مما لا ذكر لأبي بكر ولا لعثمان فيه، وفي عثمان مما لا ذكر لأبي بكر ولعمر فيه، فمثل ذلك أيضًا عليٌّ في هذا المعنى قد روي فيه ما لا ذكر لأبي بكر ولا لعمر ولا لعثمان فيه؛ لأنهم – رضوان الله عليهم – أهل السوابق، وأهل الفضائل، ويتباينون في فضائلهم، ويتفاضلون فيها كأنبياء الله – عز وجل – في نبوتهم التي قد

---

[١] (٨/ ٤١٢- ٤١٤).

[٢] تقدم تخريجه (ص: ٥٥٢).

[٣] هكذا في الأصل بإثبات النون، والمشهور حذفها للإضافة لأن (سنين) وبابها ملحق بجمع المذكر السالم، وربما ذهب المصنف رحمه الله إلى رأي من يجعل إعراب (سنين) بالحركات على النون مع التزام الياء في جميع الأحوال كما هو الشأن مع (حِينٍ). انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ٦٥- ٦٦).

جمعتهم، ثم أخبر الله – عز وجل – في كتابه بما أخبر به فيهم من قوله: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ} [الإسراء: ٥٥]. وحديث سفينة الذي ذكرنا حصر خلافة النبوة بمدة عقلنا بها أن لها أهلاً إلى انقضائها، وهو هؤلاء الأربعة رضوان الله عليهم، والله عز وجل نسأله التوفيق».

وما ذكر في حديث جابر – رضي الله عنه – من تَنَوُّطِ بعضهم ببعض؛ يدل على قوة تعلُّق وارتباط بعضهم ببعض، وأن كل واحد منهم يلي الآخر ويخلفه ويجيء بعده، فأبو بكر – رضي الله عنه – يلي رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – ويجيء بعده ويخْلُفُه، ثم يلي أبا بكر عمرُ – رضي الله عنهما – ويخلفه، ثم يلي عمرَ عثمانُ – رضي الله عنهما – ويخلفه.

كما أن ما ذكر في حديث ابن عمر وأبي بكرة والأسود بن هلال – رضي الله عنهم – من وزن النبي – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الثلاثة بعده، ورجحان كل واحد منهم بمن دونه، وبسائر الأمة دون من فوقه؛ دليل صريح على جلالة فضلهم، وعلوّ منزلتهم، ورفعة مكانتهم، واختصاصهم بذلك الفضل دون سائر الأمة.

قال الملا علي القاري – رحمه الله – معلقًا على حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «ولعل في راجحيةِ كلِّ أحدٍ منهم بجميع الأمة إيماءٌ إلى اتفاق جميع الأمة على خلافته، وكأنه قعد بهم وناء بحملهم، وفي رفع الميزان إشارة إلى الاختلاف الواقع بعد ذلك، ولا تنافي بين هذا الحديث وبين حديث أخرجه أحمد أيضًا أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: "رأيت الليلة في المنام كأنَّ ثلاثةً من أصحابي وُزِنُوا، فوُزِنَ أبو بكر فوَزَن، ثم وُزِنَ عمرُ فوَزَن، ثم وُزِنَ عثمانُ فنَقَص صاحبُنا وهو صالح". بل نحملهما على معنيين مختلفين، جمعًا بين الحديثين بقدر الإمكان، فإن ذلك أولى من إلغاء أحدهما، فيحمل قوله السابق: "فرجح أبو بكر" على ما تقدم من الاتفاق على خلافته، ويحمل قوله: "فوَزَنَ" على موافقة رأيهم، وأن رأيه وازن آراءهم فجاء موزونًا معتدلاً معها، لم يخالفوه في رأي رآه».[1]

يريد – رحمه الله – أن معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث الأسود بن هلال: «ثم وُزِنَ عثمان فنَقَصَ صاحبُنا، وهو صالح»: ما حصل في آخر خلافته من مخالفة بعض الناس عليه مما أدى إلى استشهاده رضي الله عنه.

وفي حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أيضًا تأكيد على خلافة الخلفاء الثلاثة بعد نبينا – صلى الله عليه وسلم – مع الإشارة إلى ما يكون في خلافة الأخير منهم من ضعف، حيث قال الرجل في حكاية رؤياه: إني رأيت الليلة في المنام ظُلَّةً تَنطِفُ السمن والعسل،

[1] مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٩١٦).

فأرى الناس يَتَكَفَّفُون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراكَ أخذتَ به فعَلَوتَ، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فانقطع ثم وصل. وقال أبو بكر - رضي الله عنه - في تأويلها: وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيُعْلِيَكَ الله، ثم يأخذ به رجلٌ من بعدِك فيَعْلُو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فيَعْلُو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فينقطع به.

قال ابن بطال رحمه الله: «والرجل الذي يأخذ الحبل بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر الصديق يقوم بالحق في أمته بعده، ثم يقوم بالحق بعده عمر، ثم يقوم بالحق بعده عثمان، وهو الذي انقطع به».[1]

وقال المازري رحمه الله: «وقال بعضهم: فإنّ المنام يدلّ على خلع عثمان؛ لأنّه ذكر أنّه أخذ بالسبب فانقطع به، وذلك يدلّ على زواله عن الولاية قهرًا لا اختيارًا، لأنّه لو رمى بالسبب بنفسه لدلّ على انخلاعه بنفسه، ولما انقطع به دلَّ على خلعه قهرًا. وإذا كان عثمان - رضي الله عنه - قد خلع قَهرًا وقتل؛ حمل الوصل للسبب على ولاية غيره من بعده».[2]

ومما ينبغي التأمُّل فيه في هذه الرؤى أنها - في معظمها - ربطت الخلافة الراشدة في الأرض بسبب من السماء، مما يدل على أنها اختيار رباني وعناية إلهية، ففي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: «رأيت كأنَّ دلوًا دُلِّيَتْ من السماء». وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه: «رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء». وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء».

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - منقبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي علمه بتعبير الرؤى، وقد عبر هذه الرؤيا بطلبٍ منه وإذنٍ من النبي صلى الله عليه وسلم، بل قد سبق معنا في حديث أبي بكر - رضي الله عنه - نفسه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - طلب منه ابتداءً أن يعبر بعض الرؤى، وأثنى عليه بإصابته في تأويلها، فقال عليه الصلاة والسلام: «إني رأيت في المنام غنمًا سودًا يتبعها غنمٌ صُفْرٌ حتى غمرتها. يا أبا بكر اعبر». قال: قلت: هي العرب تتبعك ثم العجم. قال: «كذلك عبرها الملك بسحر».[3]

---

[1] شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٥٦٠).

[2] المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٢١٠).

[3] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٨٣).

وقوله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث: «أصبتَ بعضًا، وأخطأتَ بعضًا». اختلف العلماء – رحمهم الله – في بيان المراد منه، فقال بعضهم: أصاب في تعبيره الرؤيا، وأخطأ في طلبه تعبير الرؤيا في حضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أن الرجل عرض رؤياه على النبي صلى الله عليه وسلم.[1] وقال بعضهم: أصاب في عامة تعبيره إلا موضعًا واحدًا وهو أنه عبر شيئين مختلفين – وهما العسل والسمن – بشيء واحد وهو القرآن، وكان ينبغي تعبيرهما بشيئين مختلفين وهما القرآن والسنة.[2] وقال بعضهم: بل الموضع الذي أخطأ فيه هو قوله: «ثم وصل له» حيث زاد قوله: «له»، مع أن الرؤيا اقتصرت على جملة: «ثم وصل»، ولم يذكر: «له»، لأن الوصل إنما يكون لغيره لا له، فكان ينبغي أن لايذكر الموصول له.[3]

ولم يرتض ابن الدماميني[4] ما ذهب إليه هؤلاء العلماء من تبيين ما أخطأ فيه الصديقُ – رضي الله عنه – فقال: «لا يكاد يُقضى العجبُ من هؤلاء الذين تَعَرَّضوا إلى تبيين الخطأ في هذه الواقعة مع سكوتِ النبي – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك، وامتناعِه منه بعدَ سؤالِ أبي بكرٍ له في ذلك، فكيف لا يسعُ هؤلاء من السكوت ما وسعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم؟!

---

(١) وجزم به الإسماعيلي، انظر: أعلام الحديث للخطابي (٤/ ٢٣٢٦– ٢٣٢٧)، المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٢٠٩– ٢١٠)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٣٢/ ٢٥٥). وقال القاضي عياض – رحمه الله – في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢٢٤): «وردَّ بعض العلماء هذا التأويل بأن قالوا: قد أذن – صلى الله عليه وسلم – له في ذلك، وقال له: " اعبرها "، فلا ملام عليه في التقدم».

(٢) وممن ذهب إلى هذا القول الإمام الطحاوي – رحمه الله – في شرح مشكل الآثار (٢/ ١٤٨– ١٥٢) حيث عقد له بابًا، وقال: «إنه جعل السمن والعسل المذكورين فيها شيئًا واحدًا، وهو القرآن، ثم وصفه بالحلاوة واللين. ووجدنا أهل العلم بالعبارة يذهبون إلى أنهما شيئان، كل واحد منهما غير صاحبه من أصلين مختلفين، وكان أبو بكر ردهما إلى أصل واحد، وهو القرآن، وإن كان قد جعل من صفتهما اللين والحلاوة، فإن ذلك لا يمنع أن يكونا صفة لشيء واحد». ثم أورد رؤيا عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أنه رأى في المنام كأن في إحدى أصبعيه عسلاً وفي الأخرى سمنًا، وكأنه يلعقهما. فذكر ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: «تقرأ الكتابين: التوراة، والفرقان» فكان يقرؤهما. واستدل به على أن العسل والسمن في الرؤيا شيئان مختلفان من أصلين مختلفين، كما عبرهما النبي – صلى الله عليه وسلم – شيئين مختلفين في رؤيا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) وممن قال به المهلب فيما نقله عنه ابن بطال في شرحه على البخاري (٩/ ٥٦٠) وأقره عليه، وابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/ ٢٥٤).

(٤) هو محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر المخزومي القرشي، المعروف بابن الدماميني المالكي، عالم بالشريعة وفنون الأدب، ولد في الاسكندرية، واستوطن القاهرة، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق، ومنها حج، وعاد إلى مصر فولي فيها قضاء المالكية، ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد نحو سنة، وانتقل إلى الهند فمات بها، من كتبه: تحفة الغريب شرح لمغني اللبيب، ونزول الغيث، والفتح الرباني في الحديث، ومصابيح الجامع وهو شرح لصحيح البخاري. توفي سنة ٨٢٧هـ انظر: البدر الطالع للشوكاني (٢/ ١٥٠) والأعلام للزركلي (٦/ ٥٧).

وماذا يترتبُ على ذلك من الفائدة؟! وهل ثَمَّ إلا سعيٌ في تخطئة خيرِ هذه الأمة، وإظهار خطئه بأمورٍ لا يُقطع بصحتها؟! فالسكوتُ عن ذلك هو المتعينُ، والله تعالى أعلم». [(١)]

وقد أجاب الكرماني عما استشكله ابن الدماميني - رحمهما الله - فقال: «فإن قلت: لَمْ يبيِّنْ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موضعَ الخطأ، فلِمَ تبيِّنُونه أنتم؟ قلت: هذه احتمالات لا جزم فيها، أو كان يلزم من بيانه مفاسد للناس واليوم زال ذلك». [(٢)]

*** من فضائل بلال بن رباح رضي الله عنه.**

١- حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيتُني دخلتُ الجنةَ ... وسمعتُ خَشْفَةً فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال». [(٣)]

٢- حديث بريدة - رضي الله عنه - قال: أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا بلالاً فقال: «يا بلال! بِمَ سبقتَني إلى الجنة؟ ما دخلتُ الجنةَ قطُّ إلا سمعتُ خَشْخَشَتَكَ أمامي، دخلتُ البارحةَ الجنةَ فسمعتُ خَشْخَشَتَكَ أمامي...». فقال بلال: يا رسول الله! ما أذَّنْتُ قطُّ إلا صليتُ ركعتين، وما أصابَني حدَثٌ قطُّ إلا توضأتُ عندها، ورأيتُ أن لله عليَّ ركعتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بهما». [(٤)]

في هذه الرؤيا النبوية منقبة عظيمة لبلال بن رباح رضي الله عنه، وهي الشهادة له بالجنة، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما دخل الجنة سمع خشخشته - أي صوت مشيه - أمامه، كما فيها إشارة إلى علو منزلته في الجنة، حتى إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: «يا بلال! بِمَ سبقتَني إلى الجنة؟ ما دخلتُ الجنةَ قطُّ إلا سمعتُ خَشْخَشَتَكَ أمامي».

وفي الحديث بيان لما كان عليه بلال - رضي الله عنه - من الاجتهاد في العمل، مما بلغ به هذه المنزلة الرفيعة في الجنة، فلهذا قال في جواب سؤال النبي - صلى الله عليه وسلم - الماضي: يا رسول الله! ما أذَّنْتُ قطُّ إلا صليتُ ركعتين، وما أصابَني حدَثٌ قطُّ إلا توضأتُ عندها، ورأيتُ أن لله عليَّ ركعتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بهما». أي: بهذين العملين: الوضوء بعد كل حدث وصلاة ركعتين بعده، وصلاة ركعتين بعد كل أذان. [(٥)]

---

(١) مصابيح الجامع (١٠/ ٧١).

(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ١٣٨). والكرماني متقدم على ابن الدماميني، فيبدو أن ابن الدماميني لم يقف على جوابه، أو وقف عليه ولم يرتضه.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٤٦ رقم: ٣٤٧٦).

(٤) حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤١٢).

(٥) وانظر: طرح التثريب للحافظ العراقي (٢/ ٥٩)، ومرعاة المفاتيح للمباركفوري (٤/ ٣٦٨)

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما دخلتُ الجنةَ قطُّ إلا سمعتُ خَشْخَشَتَكَ أمامي» يفيد تكرر دخوله – صلى الله عليه وسلم – الجنة، وأنه في كل مرة يدخل الجنة يسمع خشخشة بلال بين يديه.[1]

قال الحافظ العراقي رحمه الله: «إن قيل: ما معنى رؤياه – صلى الله عليه وسلم – لبلال أمامه في الجنة كلما دخل، مع كونه – صلى الله عليه وسلم – أول من يدخل الجنة؟ فكيف معنى تقدم بلال عليه في هذه الرؤيا؟

والجواب: أنه لم يقل في هذه الرؤيا أنه يدخلها قبله في القيامة، وإنما رآه أمامه في منامه، وأما الدخول حقيقة فهو – صلى الله عليه وسلم – أول من يدخلها مطلقًا، وأما هذا الدخول فالمراد به سريان الروح في حالة النوم، فلا إشكال في ذلك، والله أعلم».[2]

*** من فضائل أم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنهما.**

١– حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُريتُكِ قبل أن أتزوَّجُكِ مرَّتين؛ رأيتُ المَلَكَ يَحمِلُكِ في سَرَقَةٍ من حرير، فقلتُ له: اكشف. فكشف فإذا هي أنتِ، فقلتُ: إن يكن هذا من عند الله يمضه. ثم أُريتُكِ يحملكِ في سَرَقَةٍ من حرير، فقلتُ: اكشف. فكشف فإذا هي أنتِ، فقلتُ: إن يك هذا من عند الله يمضه».[3]

ولفظُ مسلم: «أُريتُكِ في المنام ثلاثَ ليال، جاءني بكِ الملَكُ في سَرَقَةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشفُ عن وجهكِ فإذا أنتِ هي، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يمضه».[4]

وهو عند الترمذي عن عائشة – رضي الله عنها – أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة.[5]

---

(١) وانظر: مرعاة المفاتيح للمباركفوري (٤/ ٣٦٨).

(٢) طرح التثريب للحافظ العراقي (٢/ ٥٨).

(٣) متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص: ٣٥).

(٤) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها (٤/ ١٨٨٩ رقم: ٢٤٣٨).

(٥) سنن الترمذي (٥/ ٧٠٤ رقم: ٣٨٨٠) وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمرو بن علقمة». وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (٣٠٤١).

وصح في بعض الروايات أن ذلك كان بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.[1]

٢- حديث عائشة - رضي الله عنها - أيضًا قالت: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرضه الذي قبض فيه: «إنَّه لَيُهَوِّنُ عليَّ الموتَ أني أُريتُكِ زَوجَتِي في الجنَّة».[2]

ورواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ: «إنه لَيُهَوِّنُ عليَّ أني رأيتُ بياضَ كفِّ عائشة في الجنة».[3]

في هذه الرؤيا فضائل ظاهرة لأمنا عائشة الصديقة رضي الله عنها وأرضاها، وهذه الفضائل هي:

١- أن زواجها من النبي - صلى الله عليه وسلم - كان اختيارًا إلهيًّا، فإنه لما توفيت خديجة رضي الله عنها، وحزن النبي - صلى الله عليه وسلم - عليها حزنًا شديدًا؛ أرسل الله إليه في المنام بصورة عائشة - رضي الله عنها - في قطعة حرير على يد جبريل - عليه

---

[1] أخرج ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ٣٩١ رقم: ٣٠٠٩)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٨/ ٧٤ رقم: ٤٦٠٠)، وأبو عوانة في المستخرج (١٨/ ٥٨٩ رقم: ١٠٧٤٧)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٩ رقم: ٤١)، والآجري في الشريعة (٥/ ٢٣٩٥ رقم: ١٨٧٥) من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أتيت بجارية في سرقة من حرير بعد وفاة خديجة - رضي الله عنها - فإذا هي أنت ... ». وإسناده صحيح.

[2] أخرجه نعيم بن حماد في زياداته على الزهد لابن المبارك (ص: ٣٨٢ رقم: ١٠٧٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ٣٩٠ رقم: ٣٠٠٨)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٨٤ رقم: ٣١٦١) والكبير (٢٣/ ٣٩ رقم: ٩٨) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن حماد إلا أبو حنيفة ومسعر، تفرد به أبو معاوية». كلهم من طريق أبي معاوية محمد بن خازم الضرير حدثنا أبو حنيفة عن حماد - وهو ابن أبي سليمان - عن إبراهيم - وهو ابن يزيد النخعي - عن الأسود - وهو ابن يزيد النخعي - عن عائشة به. وأخرجه أبو الطاهر السلفي في الطيوريات (٣/ ٨٠٩ رقم: ٧١٧) من طريق أبي نعيم - وهو الفضل بن دكين - حدثنا أبو حنيفة به، إلا أنه أسقط الأسود بن يزيد النخعي بين إبراهيم وعائشة. وهذا الإسناد فيه ضعف، لأجل أبي حنيفة وشيخه حماد ابن أبي سليمان رحمهما الله، فقد تُكلِّم فيهما، وقد يُقوّى بالطريق الأخرى التي أخرجه منها الإمام أحمد كما يأتي، وكان الألباني - رحمه الله - يرى ضعف هذا الحديث، ثم تراجع عن ذلك وحكم عليه بالتحسين، كما في السلسلة الصحيحة حيث قال: «وأنا أرى أن الحديث حسن بمجموع إسنادي أبي حنيفة وأحمد، والله أعلم». قلت: لا سيما وللحديث شواهد، منها ما تقدم عند الترمذي (٥/ ٧٠٤ رقم: ٣٨٨٠) من حديث عائشة رضي الله عنها: «إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة». وهو حديث صحيح. ومنها ما أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٦٠٠ رقم: ٦٦٨٧) من حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - قال: «إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا والآخرة».

[3] مسند الإمام أحمد (٤١/ ٥١٩ رقم: ٢٥٠٧٦)، وفي فضائل الصحابة (٢/ ٨٧١ رقم: ١٦٣٣) ولفظه: «لقد رأيت عائشة في الجنة كأني أنظر إلى بياض كفيها، ليهون بذلك علي عند موتي». من طريق وكيع عن إسماعيل ابن أبي خالد عن مصعب بن إسحاق بن طلحة عن عائشة به. قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لجهالة مصعب بن إسحاق بن طلحة، وهو من رجال "التعجيل"، تفرد بالرواية عنه إسماعيل بن أبي خالد، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان». قلت: بضمه إلى الذي قبله وبما ذكرنا من شواهد يكون حديثًا حسنًا إن شاء الله.

السلام – مرارًا، ليلتين أو ثلاثًا، يقول له في كل مرة: «هذه امرأتك»، فيقول صلى الله عليه وسلم: «إن يكُ هذا من عند الله يمضه». فقد كان من عند الله حقًّا، وقد أمضاه الله جل في علاه.

واختيار الله – عز وجل – إياها لنبيه – صلى الله عليه وسلم – من أكبر الأدلة على أنها من الطيبات الطاهرات المباركات؛ تصديقًا لقوله تعالى: {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [النور: ٢٦].

٢- أنها زوجة النبي – صلى الله عليه وسلم – في الدنيا والآخرة، وهذه شهادة لها بحسن الختام، كما كانت الأولى شهادة لها بحسن الاختيار.

٣- أنها من أهل الجنة، بل في أعلى مقام فيها، فهي زوجة النبي – صلى الله عليه وسلم – في الجنة كما كانت زوجته في الدنيا، وهذه شهادة عظيمة لها.

٤- شدة حب النبي – صلى الله عليه وسلم – لها، وعبر عن ذلك بقوله: «إنَّه لَيُهَوِّنُ عليَّ الموتَ أني أُريتُكِ زَوجَتِي في الجنَّة».

فعائشة – رضي الله عنها – هي أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما صرح بذلك في حديث عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أنه قال: يا رسول الله! من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة». قال: من الرجال؟ قال: «أبوها».[1]

٥- علو منزلتها، إذ اختارها الله تعالى لأفضل أنبيائه على الإطلاق، وبعث بصورتها إليه على يد أفضل ملائكته على الإطلاق، وأعلمه أنها زوجته في الدنيا والآخرة.

فتبًّا وسحقًا لأولئك الروافض الأشرار، الذين يطعنون في أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها، مقتدين بمن سبقهم من المنافقين الأفاكين، مخالفين في ذلك صريح الكتاب والسنة، فبأيِّ حديث بعد ذلك يؤمنون؟!

* **من فضائل الغُمَيصَاء – وقيل: الرُّمَيصَاء – أم سليم امرأة أبي طلحة** رضي الله عنهما.

هي أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية، وهي أم أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، اشتهرت بكنيتها، واختلف في اسمها، فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: مليكة، وقيل: الغميصاء أو الرميصاء، تزوجت مالك بن

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٣/ ١٣٣٩ رقم: ٣٤٦٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٤/ ١٨٥٦ رقم: ٢٣٨٤).

النضر في الجاهلية، فولدت له أنسًا، وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، فغضب مالك وخرج إلى الشام فمات بها، فخطبها أبو طلحة الأنصاري قبل أن يسلم، فقالت: يا أبا طلحة ألستَ تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟ قال: بلى. قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة؟! إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقًا غيره. قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فقالت: يا أنس زوِّجْ أبا طلحة. فزوَّجَها. وهي من أفاضل النساء، ولها مناقب كثيرة، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكثر من زيارتها ويقيل في بيتها، رضي الله عنها.[1]

ومن فضائلها شهادة النبي – صلى الله عليه وسلم – لها بالجنة، وذلك في هذه الرؤيا النبوية الكريمة، في الحديثين التاليين:

١– حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيتُني دخلتُ الجنةَ فإذا أنا بالرُّمَيصاءِ امرأةِ أبي طلحة».[2]

٢– حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «دخلتُ الجنةَ فسمعتُ خَشْفَةً[3]، فقلتُ: من هذا؟ قالوا: هذه الغُمَيْصَاءُ بنتُ مِلْحان أم أنس بن مالك».[4]

وفي لفظ: «فقيل: هذه الرميصاء بنت ملحان، وهي أم أنس بن مالك».[5]

*** من فضائل أم حرام بنت ملحان، وزوجها عبادة بن الصامت، وأمير المؤمنين معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهم.**

أم حرام: هي أم حرام بنت مِلْحَان، خالة أنس بن مالك، وقد تقدم نسبها عند التعريف بأختها: أم سليم، ويقال: إنها الرميصاء، وقال أبو عمر: لا أقف لها على اسم صحيح. وهي

---

[1] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٩٤٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٣٠٤– ٣١١)، والإصابة لابن حجر (٨/ ٢٢٧– ٢٢٩).

[2] متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص: ٥٦٢).

[3] **الخَشْفَة:** بالسكون: الحس والحركة. وقيل: هو الصوت. والخَشَفَة بالتحريك: الحركة. وقيل هما بمعنى. النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٤).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل أم سليم أم أنس بن مالك وبلال رضي الله عنهما (٤/ ١٩٠٨ رقم: ٢٤٥٦).

[5] أخرجه أحمد في مسنده (٢١/ ١٥٨ رقم: ١٢٥١٤)، و ابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٦٢ رقم: ٧١٩٠) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

زوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنه، صحابية جليلة، كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكرمها ويزورها في بيتها ويقيل عندها، وأخبرها بأنها شهيدة كما سيأتي، كانت من علية النساء، رضي الله عنها.[1]

عُبادة بن الصامت: هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة الخزرجي، ويكنى أبا الوليد، شهد العقبة الأولى والثانية، وهو أحد النقباء الاثني عشر، آخى الرسول – صلى الله عليه وسلم – بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد بدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان عقبيًّا نقيبًا بدريًّا أنصاريًّا، وهو ممن جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قويًّا في دين الله، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، وجهه عمر إلى الشام قاضيًا ومعلِّمًا، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، ومات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، رضي الله عنه.[2]

معاوية ابن أبي سفيان: هو أمير المؤمنين معاوية ابن أبي سفيان – واسمه صخر – بن حرب ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الرحمن، أسلم عام الحديبية، وكتم إسلامه من أبيه وأمه، فلما دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مكة عام الفتح أظهر إسلامه، شهد مع النبي – صلى الله عليه وسلم – حنينًا والطائف، وكتب له، وروى عنه أحاديث، ودعا له الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقال: «اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب».[3] وقال:

---

[1] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٩٣١)، وأسد الغابة لابن الأثير (٧/ ٣٠٤)، والسير للذهبي (٢/ ٣١٦-٣١٧)، والإصابة لابن حجر (٨/ ١٨٩).

[2] انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٥٤٦)، والاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٨٠٧- ٨٠٩)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/ ١٥٨)، والسير للذهبي (٢/ ١٠)، والإصابة لابن حجر (٣/ ٥٠٦- ٥٠٧).

[3] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢٨/ ٣٨٢ رقم: ١٧١٥٢) وفي فضائل الصحابة (٢/ ٩١٣ رقم: ١٧٤٨)، والبزار في مسنده (١٠/ ١٣٨ رقم: ٤٢٠٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٢١٤ رقم: ١٩٣٨)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٩١ رقم: ٧٢١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٢٥١ رقم: ٦٢٨) كلهم من طريق الحارث بن زياد عن أبي رهم عن العرباض بن سارية به، والحارث بن زياد هو الشامي وهو لين الحديث كما في التقريب (١/ ١٤٤ رقم: ١١٢٦) وقال بعضهم: هو مجهول لم يوثقه غير ابن حبان، لكن الحديث له شواهد يتقوى بها، أوردها الألباني – رحمه الله – في السلسلة الصحيحة (٧/٦٨٧- ٦٩٤ رقم: ٣٢٢٧) وبها صحح الحديث.

«اللهم اجعله هاديًا مهديًّا واهْدِ به».[1] وولاه عمر بن الخطاب دمشق، فلم يزل واليًا لعمر حتى قتل عمر رضي الله عنه، ثم ولاه عثمان – رضي الله عنه – ذلك العمل، وجمع له الشام كلها حتى قتل عثمان رضي الله عنه، فكانت ولايته على الشام عشرين سنة أميرًا، ثم بويع له بالخلافة، واجتمع عليه بعد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فلم يزل خليفة عشرين سنة، وهو أول ملوك الإسلام، مات ليلة النصف من رجب سنة ستين، وهو يومئذ ابن ثمان وسبعين سنة، رضي الله عنه.[2]

وردت في مناقبهم الرؤيا التالية:

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدخل على أمِّ حَرَام بنتِ مِلْحَان فتُطعِمُه، وكانت أمُّ حَرامٍ تحتَ عُبادةَ بنِ الصامت،

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٦٨٧ رقم: ٣٨٤٢) من طريق أبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة – وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – عن النبي صلى الله عليه وسلم به، وقال: «هذا حديث حسن غريب». وأخرجه أيضًا من هذه الطريق: ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٣٥٨ رقم: ١١٢٩)، والآجري في الشريعة (٥/ ٢٤٣٦- ٢٤٣٧ رقم: ١٩١٤- ١٩١٧)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ١٩٠ رقم: ٣٣٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨/ ١٥٢٧ رقم: ٢٧٧٨). وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢٩/ ٤٢٦ رقم: ١٧٨٩٥) من طريق علي بن بحر حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد به. وأخرجه أبو بكر الخلال في السنة (٢/ ٤٥٠ رقم: ٦٩٧) من طريق عمر بن عبد الواحد ثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة به. وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين للطبراني (١/ ١٨١ رقم: ٣١١) و (٣/ ٢٥٤ رقم: ٢١٩٨) من طريق علي بن سهل الرملي ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن عبد الرحمن بن عمير المزني أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم به. وأخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ١٤٦)، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٠٥ رقم: ٦٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٥٨) من طريق زيد بن أبي الزرقاء نا الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة بن حلبس به. وهذه الأسانيد صحاح غير أن بعضهم أعلها بأن عبد الرحمن بن أبي عميرة مختلف في صحبته! وفيما ذكرنا من الأسانيد ما يرد ذلك؛ فقد صرح فيها بالسماع من النبي صلى الله عليه وسلم. وأعلها بعضهم أيضًا بأن سعيد بن عبد العزيز قد اختلط في آخر عمره. وهذا أيضًا لا يقوى على تضعيف الحديث؛ لأسباب منها: أنه روى هذا الحديث عن سعيد بن عبد العزيز جملة من الرواة الثقات ويبعد أن يكون جميعهم رووا عنه بعد الاختلاط. وأن الذي قال باختلاطه قبل موته هو ابن معين وأبو مسهر، ومع ذلك روى هذا الحديث عنه أبو مسهر كما سبق، ولو كان ذلك بعد الاختلاط لما روى عنه، فدل أن ذلك قبل الاختلاط. وصحح الألباني – رحمه الله – هذا الحديث وأطال البحث فيه في السلسلة الصحيحة (٤/ ٦١٥- ٦١٨ رقم: ١٩٦٩).

[2] انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٠٦- ٤٠٧)، والاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١٤١٦- ١٤٢٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (٥/ ٢٠١)، والسير للذهبي (٣/ ١١٩- ١٦٢)، والإصابة لابن حجر (٦/ ١٢٠- ١٢٢).

فدخل عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأطعَمَتْه، وجعلتْ تَفْلِي رأسَه، فنام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلتُ: وما يُضحِكُكَ يا رسولَ الله؟ قال: «ناسٌ من أمتي عُرِضُوا عليَّ غُزاةً في سبيل الله، يركبون ثَبَجَ هذا البحرِ مُلوكًا على الأسِرَّة – أو مثل الملوك على الأسرة –». شكّ إسحاق، قالت: فقلتُ: يا رسول الله! ادعُ الله أن يجعلني منهم. فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم وضَعَ رأسَه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلتُ: وما يُضحِكُكَ يا رسولَ الله؟ قال: « ناسٌ من أمتي عُرِضُوا عليَّ غُزاةً في سبيل الله ...». كما قال في الأول. قالت: فقلت: يا رسول الله! ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم. قال: «أنتِ من الأولين». فركبَت البحرَ في زمان معاوية ابن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.[1]

ولفظ مسلم: «أُرِيتُ قومًا من أمتي يَرْكَبون ظهرَ البحرِ كالملوك على الأسرة». وفيه: فتزوَّجَها عُبادةُ بن الصامت بعدُ، فغزا في البحر فحمَلَها معه، فلما أن جاءتْ قُرِّبَتْ لها بَغلةٌ فركِبَتْها، فصرعتها، فاندقت عنقُها.[2]

هذه الرؤيا النبوية فيها مناقب لثلاثة ممن صحب النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وهم:

أم حرام بنت مِلْحَان رضي الله عنها، حيث دل الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يدخل عليها، ويطعم من طعامها، ويقيل في بيتها، وكانت تفلي رأسه، وطلبت منه أن يدعو الله تعالى أن يجعلها ممن يركبون البحر غزاة في سبيل الله ملوكًا على الأسرة، فدعا لها، وبشرها بأنها منهم، فكانت كذلك، حيث ركبَت البحرَ في زمان معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما، فذهبت تركب دابتها حين خرجت من البحر فصرعتها، فاندقت عنقُها فماتت، رضي الله عنها.

وزوجها عبادة الصامت رضي الله عنه، لأنه كان ممن ركب البحر غازيًا في سبيل الله في هذه الغزوة، رضي الله عنه.

وكذلك أمير المؤمنين معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما، فإنه قاد المسلمين في هذه الغزوة، وكان ذلك سنة ثمان وعشرين للهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه، فقد استأذن معاوية – رضي الله عنه – عمرَ بنَ الخطاب – رضي الله عنه – أيامَ خلافته في الغزو في

---

[1] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٣٤).

[2] تقدم تخريجه (ص: ٤٣٤).

البحر فلم يأذن له، ثم استأذن عثمان – رضي الله عنه – أيامَ خلافته فأذن له، فتحقق فيه هذه البشرى النبوية، رضي الله عنه. قال المهلب: «وفيه فضل معاوية – رحمه الله – وأن الله قد بشر به نبيه في النوم؛ لأنه أول من غزا في البحر، وجعل من غزا تحت رايته من الأولين».[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ملوك على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة». قال بعض أهل العلم: وإنما رآهم على الأسرة في الجنة، واستشهد على ذلك بقوله تعالى في وصف أهل الجنة: {عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ} [الواقعة: ١٥]، وقوله عز وجل: {عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُون} [يس: ٥٦].[2] وبناءً على هذا القول تكون هذه الرؤيا شهادةً لهؤلاء بالجنة، وهذا فضل عظيم.

وقال غيرهم: بل هو إخبار عن حالهم في الدنيا حين ركوبهم ثبج البحر بأنها تشبه حال الملوك على الأسرة، في صلاح أحوالهم وسعة دنياهم وقوتهم على العدو وكثرة عددهم وسلاحهم وأسرتهم وغير ذلك مما يحتاجون إليه في غزوهم، وأنهم ليسوا بحال ضيق، ولا إقلال، وأنه مع ذلك يُسرُّ ويُضحك من حالهم، وهذا يدل على أنها حال صلاح في الدنيا مضافة إلى صلاح في الدين، ولولا ذلك لما سُرَّ بها صلى الله عليه وسلم.[3]

*** من فضائل أمراء معركة مؤتة: زيد بن حارثة، وجعفر ابن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم.**

زيد بن حارثة: هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي، أبو أسامة، مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحِبُّه وأبو حِبِّه، كان قد أصابه سباء في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعتقه وتبنَّاه بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثمان سنين، فكان يقال له: زيد بن محمد، ثم أبطل الإسلام التبني، فدعي بعد ذلك زيد بن حارثة، زوَّجه النبي – صلى الله عليه

---

[1] شرح صحيح البخارى لابن بطال (٥/ ١١)، وانظر: الاستذكار لابن عبد البر (٥/ ١٢٨)، والمنتقى شرح الموطأ (٣/ ٢١٣)، والمسالك في شرح موطأ مالك (٥/ ١٠٦) كلاهما لابن العربي المالكي.

[2] جزم به ابن بطال في شرحه على البخارى (٥/ ١٠) وابن عبد البر في الاستذكار (٥/ ١٢٦)، واستظهره ابن حجر في الفتح (١١/ ٧٤) واستبعد القول الثاني، وقال: «لكن الإتيان بالتمثيل في معظم طرقه يدل على أنه رأى ما يؤول إليه أمرهم، لا أنهم نالوا ذلك في تلك الحالة، أو موقع التشبيه أنهم فيما هم من النعيم الذي أثيبوا به على جهادهم مثل ملوك الدنيا على أسرتهم، والتشبيه بالمحسوسات أبلغ في نفس السامع».

[3] قاله ابن العربي المالكي في المنتقى شرح الموطإ (٣/ ٢١٢) وجعله هو الأظهر، وذكره القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ٣٣٩) مع الاحتمال الأول.

وسلم – مولاته أم أيمن، فأنجبت له أسامة، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا فتح مكة وما بعده، حيث استشهد في مؤتة، فقد أمَّره النبي – صلى الله عليه وسلم – على جيش مؤتة سنة ثمان، فاستشهد فيها، وهو الصحابي الوحيد الذي ذكر باسمه في القرآن، رضي الله عنه.[1]

جعفر ابن أبي طالب: هو جعفر ابن أبي طالب – واسمه عبد مناف – ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، يكنى أبا عبد الله، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخو علي لأبويه، أسلم بعده بقليل، كان أشبه الناس خَلْقًا وخُلُقًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من المهاجرين الأولين، حيث هاجر إلى أرض الحبشة، وقدم منها على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة حين فتح خيبر سنة سبع، فتلقاه واعتنقه وقبَّل بين عينيه، وقال: ما أدري بأيهما أنا أشد فرحًا؛ أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟ واختط له إلى جنب المسجد، ثم بعثه في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة، فاستشهد فيها، رضي الله عنه.[2]

عبد الله بن رواحة: هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا محمد، أحد النقباء، شهد العقبة، وبدرًا، والمشاهد كلها إلا الفتح وما بعده، لأنه قتل يوم مؤتة شهيدًا، كان من كتّاب الأنصار، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة، وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أول خارج إلى الغزو وآخر قافل، رضي الله عنه.[3]

فهؤلاء الثلاثة هم أمراء معركة مؤتة، اختارهم النبي – صلى الله عليه وسلم – لهذه المهمة العظيمة، لما كانوا يتصفون به من شجاعة وإقدام وفضيلة، قال أبو قتادة فارسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جيش الأمراء وقال: «عليكم زيدُ بن حارثة، فإن أصيب زيدٌ فجعفر، فإن أصيب جعفرٌ فعبد الله بن رواحة الأنصاري» فوثب جعفر فقال: بأبي أنت يا نبي الله وأمي! ما كنت أرهب أن تستعمل عليَّ زيدًا. قال: «امضوا، فإنك لا تدري أي ذلك خير». قال: فانطلق الجيش، فلبثوا ما شاء

---

[1] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٥٤٢- ٥٤٧)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢/ ٣٥٠- ٣٥٣)، والسير للذهبي (١/ ٢٢٠- ٢٣٠).

[2] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٢٤٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (١/ ٥٤١)، والسير للذهبي (١/ ٢٠٦- ٢١٧).

[3] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٨٩٨- ٩٠١)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٢٣٥- ٢٣٧)، والسير للذهبي (١/ ٢٣٠- ٢٤١).

الله، ثم إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صعد المنبر، وأمر أن يُنادى: الصلاةَ جامعة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نابَ خبرٌ، ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ إنهم انطلقوا حتى لَقَوا العدوّ، فأصيبَ زيدٌ شهيدًا، فاستغفروا له» فاستغفر له الناس «ثم أخذ اللواءَ جعفر ابن أبي طالب، فشدَّ على القوم حتى قُتل شهيدًا، أشهدُ له بالشهادة، فاستغفروا له. ثم أخذ اللواءَ عبد الله بنُ رواحة، فأثبتَ قدميه حتى أصيب شهيدًا، فاستغفروا له. ثم أخذ اللواءَ خالدُ بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، هو أمَّر نفسَه». فرفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصبعيه وقال: «اللهم هو سيفٌ من سيوفك فانصره» فيومئذ سمي خالدٌ سيفَ الله. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «انفروا، فأمِدُّوا إخوانكم، ولا يتخلفنَّ أحد». فنفر الناس في حرٍّ شديدٍ مُشاةً ورُكبانًا.[1]

وقد وردت في مناقبهم هذه الرؤى النبوية:

١– عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزاة، غزوة مؤتة، قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل القوم حتى قُتل، فلما قُتل جعفرٌ أخذ عبدُ الله بنُ رواحة الراية، ثم تقدَّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمتُ يـا نفسُ لَتَنْزِلِنَّـهْ ... لَتَنْزِلِنَّ طائعـةً أو لَتُكْرَهِنَّـهْ
مَا لي أَراكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّـهْ ... إنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ[2]
لَطالَمَا قد كُنتِ مُطمَئِنَّهْ ... هَلْ أنتِ إلاَّ نُطْفَـةٌ في شَنَّـهْ[3]

وقال عبد الله بن رواحة:

يا نفسُ إن لم تُقْتَلِي تَموتِي ... هَذا حِمـامُ الموتِ قد صَلِيتِ
ومَـا تَمَنَّيتِ فقد أُعْطِيتِ ... إن تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُـدِيتِ

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده (٣٧/ ٢٤٤- ٢٤٦ رقم: ٢٢٥٥١)، والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٤٨ رقم: ٨١٩٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/ ١٦٦ رقم: ٥١٧٠)، وإسناده حسن، والحديث صحيح بشواهده كما بين ذلك الألباني – رحمه الله – في إرواء الغليل (٥/ ٢٨٤ رقم: ١٤٦٣).

[2] **الرَّنَّة**: الصَّوْتُ الشَّديد يخالطه فزعٌ أَو صُرَاخ. جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي (٢/ ٨٠٧).

[3] **نُطْفَةٌ في شَنَّهْ**: النُّطفة: القليل من الماء. والشَّنَّة: السِّقاء البالي، فيوشك أن تهراق النطفة، وينخرق السقاء. ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده. الروض الأنف للسهيلي (٧/ ١٧٢).

يعني صاحبيه زيدًا وجعفرًا، ثم نزل، فلما نزل أتاه ابنُ عمٍّ له بعَظْمٍ من لحم، فقال: اشدُد بهذا صُلبَك، فإنكَ قد لَقيتَ أيامَكَ هذه ما قد لَقيت، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة[1]، ثم سمع الحَطْمَةَ[2] في ناحية الناس، فقال: وأنتَ في الدنيا! ثم ألقاها من يده، ثم أخذ سيفَه فتقدَّم فقاتَلَ حتى قُتل، فأخذ الرايةَ ثابتُ بن أقرم[3]، أحد بَلْعَجْلان[4]، وقال: يا أيها الناس! اصطلحوا على رجلٍ منكم. قالوا: أنتَ. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الرايةَ دافَعَ القومَ، ثم انحاز حتى انصرف بالناس.

ولما أُصِيبوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخذ الرايةَ زيدُ بن حارثة فقاتَلَ بها حتى قُتِلَ شهيدًا، ثم أخذها جعفرٌ فقاتَلَ بها حتى قُتلَ شهيدًا». ثم صمتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، حتى تغيَّرتْ وجوهُ الأنصار، وظنُّوا أنه كان في عبد الله بن رواحةَ بعضَ ما يكرهون، قال: «ثم أخذها عبد الله بنُ رواحة فقاتَلَ بها حتى قُتِلَ شهيدًا».

ثم قال: «لقد رُفِعُوا لي في الجنة فيما يَرَى النائمُ على سُرُرٍ من ذهب، فرأيتُ في سريرِ عبد الله بن رواحة ازْوِرَارًا[5] عن سريرِ صاحبيه، فقلت: بمَ هذا؟ فقيل لي: مَضَيا، وتَرَدَّدَ عبدُ الله بعضَ التردُّدِ ومضى».[6]

٢- عن سالم ابن أبي الجعد قال: أُرِيَهم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - في النوم، فرأى جعفرًا ملَكًا ذا جناحين مُضَرَّجًا بالدماء[7]، وزيدًا مُقابِلَه على السرير، وابنَ رواحة جالسًا معهم، كأنهما مُعرِضَانِ عنه[8].[9]

---

[1] **انتهسه**: يقال: نَهَسَ اللَّحمَ: أخذه بمقدم أسنانه ونتفه للأكل، وانتهَسَه: بالغ في النهس. انظر: تاج العروس للزبيدي (١٦/ ٥٨٦)، والمعجم الوسيط (٢/ ٩٥٨).

[2] **الحَطْمَة**: أي صوت الزحام والتدافع. انظر: تاج العروس للزبيدي (٣١/ ٥٠٩).

[3] هو ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد مؤتة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما أصيب عبد الله بن رواحة دفعت الراية إليه، فسلمها إلى خالد بن الوليد، وقال: أنت أعلم بالقتال مني، واستشهد - رضي الله عنه - سنة إحدى عشرة في قتال أهل الردة، وقيل: سنة اثنتي عشرة، قتله طليحة الأسدي. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١/ ٤٣٧).

[4] أي: بني عجلان.

[5] **ازْوِرَارًا**: أي: مَيَلانًا. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص: ٤٤٣).

[6] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ١٨٢ رقم: ٤٢٩) ورجاله كلهم ثقات، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٥٩- ١٦٠ رقم: ١٠٢٢١) وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

[7] **مُضَرَّجًا بالدماء**: أي ملطخًا بها. النهاية لابن الأثير (٣/ ٨١).

[8] ضمير التثنية لزيد وجعفر، وضمير المفرد لابن رواحة رضي الله عنهم.

[9] ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٢٠٩ رقم: ١٩٣٦٥) و (٦/ ٣٨١ رقم: ٣٢٢٠٠)، والطبراني في المعجم الكبير =

٣- عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - في الرؤيا الطويلة التي رآها النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيها: «ثم شَرَفَ شَرَفًا فإذا أنا بنفرٍ ثلاثةٍ يشربون من خمرٍ لهم، قلتُ: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جعفرُ وزيدٌ وابنُ رواحة».[(١)]

٤- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيتُ جعفرًا يَطيرُ في الجنة مع الملائكة».[(٢)]

(٢/ ١٠٧ رقم: ١٤٦٨ و ١٤٧٣) من طريق يحيى بن آدم عن قطبة بن عبد العزيز عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن سالم بن أبي الجعد، ورجال إسناده كلهم ثقات رجال مسلم، إلا أنه مرسل. وأخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (٢/ ٤٩١ رقم: ٨٩٠) مختصرًا على جزئه الأول المتعلق بجعفر رضي الله عنه، فقال: حدثنا الحسن بن علي بن عفان حدثنا أبو أسامة قال سالم ابن أبي الجعد حدثنا أبو القاسم الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلتُ الجنة فرأيت جعفرًا ذا الجناحين مضرَّجًا بالدماء». قال الألباني - رحمه الله - في السلسلة الضعيفة (١٤/ ٧٨٣): «ورجاله ثقات، غير أبي القاسم الأنصاري، فلم أعرفه». قلت: وقد ذكر في الصحابة: أبو القاسم الأنصاري، انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٦/ ٢٤٣ رقم: ٦١٧٠)، والإصابة لابن حجر (٧/ ٢٧٠ رقم: ١٠٤٠٦) فإن كان أبو القاسم المذكور في السند هو هذا فالاسناد متصل، وجهالة الصحابي لا تضر. وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ١٢٩- ١٣٠) حديثًا طويلاً في قصة استشهاد قادة مؤتة من طريق محمد ابن أبي ليلى عن سالم ابن أبي الجعد عن أبي اليسر عن أبي عامر رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الشام ... وقال في آخره: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان الذي رأيتم مني أنه أحزنني قتل أصحابي، حتى رأيتهم في الجنة إخوانًا على سرر متقابلين، ورأيت في بعضهم إعراضًا كأنه كره السيف، ورأيت جعفرًا ملَكًا ذا جناحين مُضَرَّجًا بالدماء مصبوغ القوادم». فهذا إسناد متصل، إلا أن محمد ابن أبي ليلى قال فيه الحافظ في التقريب (٢/ ١٩٣- ١٩٤ رقم: ٦٨٤٤): «صدوق سيء الحفظ جدًّا». وقال الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٢٨): «فحديثه جيد في الشواهد». وقال في السلسلة الضعيفة (١٤/ ٧٨٤): «وهذا مسند - كما هو ظاهر -؛ لكن (أبو اليسر) هذا لم أعرفه، وكذلك أبو عامر». قلت: أما أبو عامر رضي الله عنه فلا يضر الجهل به لأنه صحابي، وقد ترجم له أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٩٦٦ رقم: ٦٩١٦) ثم خرج له هذا الحديث، لكنه جعله من طريق عيسى بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن أبيه عن سالم ابن أبي الجعد به، وعيسى ثقة (التقريب: ٥٩٦٧) وكذلك أبوه (التقريب: ٤٤٦٥). وانظر: الإصابة لابن حجر (٧/ ٢١٢ رقم: ١٠١٩٢). وأما أبو اليسر فهو كذلك صحابي جليل، ترجم له أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٣٦٨) وقال: «كعب بن عمرو أبو اليسر الخزرجي عقبي بدري ... وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر، وكان رجلاً قصيرًا دحداحًا، آخر من مات بالمدينة ممن شهد بدرًا سنة خمس وخمسين، روى عنه: ابنه عمار، وموسى بن طلحة، وربعي بن خراش، وحنظلة بن قيس، وأبو جعفر محمد بن علي، وسالم ابن أبي الجعد، وعبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، وغيرهم». وترجم له غيره، انظر: الطبقات لابن سعد (٣/ ٥٨١)، والاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٦ رقم: ٣٢٢١)، والسير للذهبي (٢/ ٥٣٧)، والإصابة لابن حجر (٧/ ٣٨٠ رقم: ١٠٧٤٤).

(١) حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤٠٦).

(٢) حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٨٠).

ولفظه عند ابن حبان: «أُريتُ جعفرًا ملَكًا[1] يَطيرُ بجناحيه في الجنة».[2]

وعند الحاكم: «مرَّ بي جعفرٌ الليلةَ في ملإٍ من الملائكة وهو مُخْضَبُ الجناحَين بالدم، أبيضُ الفؤاد».[3]

فهذه الرؤى النبوية فيها مناقب عظيمة لهؤلاء الثلاثة أمراء جيش مؤتة رضي الله عنهم، وتتلخص هذه المناقب في: اختيار النبي – صلى الله عليه وسلم – لهم أمراءَ على الجيش في هذه المعركة العظيمة، واستشهادهم جميعًا في هذه المعركة، وإخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنهم جميعًا شهداء، وأنهم جميعًا منعَّمين في مكان عالٍ من الجنة، متقابلين على سرر من ذهب، يشربون من خمر لهم فيها، وأنهم متفاوتون فيها بتفاوت أعمالهم في الدنيا، ورسوخ أقدامهم في تلك المعركة.

ويظهر من هذه الرؤى أن زيدًا وجعفرًا – رضي الله عنهما – في الجنة أعلى منزلة من عبد الله بن رواحة رضي الله عنه؛ وذلك لأنهما مضيا في القتال بمعركة مؤتة من غير تردد، وكان من ابن رواحة – رضي الله عنه – بعض التردد، وبيَّن النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – ذلك بقوله: «فرأيتُ في سريرِ عبد الله بن رواحة ازْوِرَارًا عن سريرِ صاحبيه، فقلت: بمَ هذا؟ فقيل لي: مَضَيا، وتَرَدَّدَ عبدُ الله بعضَ التردُّدِ ومضى».

وازورار سريره عن سريرهما هو الذي يفسَّر به الإعراض المذكور في حديث سالم ابن أبي الجعد رحمه الله.

وأعلاهم منزلة هو جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه، فلهذا وردت في حقه في هذه الرؤى مزايا لم ترد في حق صاحبيه، فإنه عُوّض عن يديه اللتين قطعتا في المعركة بجناحين مخضبين بالدماء، يطير بهما مع الملائكة في الجنة، رضي الله عنهم وعن سائر الصحابة والتابعين.

*** من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.**

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العَدَوِيّ، أبو عبد الرحمن، أسلم قديمًا مع أبيه ولمَّا يبلغ الحلم، ثم هاجر أيضًا مع أبيه، وقيل: قبله، ولم يشهد بدرًا، ولا أحدًا لصغر سنه، وأوَّلُ مشاهده الخندق، وشهد ما بعده من مشاهد، وبايع تحت الشجرة، وشهد مؤتة

---

[1] أي على هيئة مَلَك.

[2] تقدم تخريجه (ص: ٣٨١).

[3] المستدرك على الصحيحين (٤/ ٢٢٢ رقم: ٤٩٩٦) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. قال الألباني: «وهو كما قالا». السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٢٨).

واليرموك وفتح مصر وإفريقية، وكان من أهل الورع والعلم والصلاح والفتوى، كثير الاتباع لآثار النبي صلى الله عليه وسلم، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكل ما يأخذ به نفسه، أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم كان بعد موته مولعًا بالحج، من أعلم الصحابة بمناسكه، كثير الاعتاق، حتى قال نافع: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد. توفي بمكة سنة أربع وسبعين، عن ست وثمانين سنة رضي الله عنه.[1]

ووردت في فضله الرؤيا التالية:

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: إن رجالاً من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقصونها على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقول فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما شاء الله، وأنا غلام حديث السن، وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلتُ في نفسي: لو كان فيكَ خيرٌ لرأيتَ مثلَ ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعتُ ليلةً قلتُ: اللهم إن كنتَ تعلم فيَّ خيرًا فأرني رؤيا. فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان، في يد كل واحد منهما مِقْمَعَةٌ من حديد، يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنم! ثم أراني لقيني ملك في يده مِقْمَعَةٌ من حديد، فقال: لم تُرَع، نِعْمَ الرجلُ أنت لو تُكثر الصلاة. فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملَكٌ بيده مِقْمَعَةٌ من حديد، وأرى فيها رجالاً معلَّقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفتُ فيها رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ عبدَ الله رجلٌ صالح». فقال نافع: لم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة.[2]

وعند البخاري: رأيت في المنام كأنَّ في يدي سَرَقَةً من حرير، لا أهوي بها إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن أخاك رجل صالح» أو قال: «إن عبد الله رجل صالح».[3]

---

[1] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٩٥٠- ٩٥٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٣٣٦- ٣٤١)، والسير للذهبي (٣/ ٢٠٣- ٢٣٩)، والإصابة لابن حجر (٤/ ١٥٥- ١٦١).

[2] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٠).

[3] صحيح البخاري: كتاب التعبير باب الاستبرق ودخول الجنة في المنام (٦/ ٢٥٧٤ رقم: ٦٦١٣).

وفي لفظ لهما: رأيت على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – كأنّ بيدي قطعة استبرق، فكأني لا أريد مكانًا من الجنة إلا طارت إليه. ورأيت كأنّ اثنين أتياني أرادا أن يذهبا بي إلى النار، فتلقاهما ملَكٌ فقال: لم تُرَع، خَلِّيَا عنه. فقَصَّتْ حفصةُ على النبي – صلى الله عليه وسلم – إحدى رؤياي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله لو كان يصلي من الليل».[1]

وفي لفظ عند الدارمي: كنتُ أبيتُ في المسجد، ولم يكن لي أهل، فرأيتُ في المنام كأنما انطُلِقَ بي إلى بئرٍ فيها رجال معلقون، فقيل: انطلقوا به إلى ذات اليمين. فذكرت الرؤيا لحفصة فقلت: قصيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقصتها عليه، فقال: «من رأى هذه؟». قالت: ابن عمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم الفتى – أو قال: نعم الرجل – لو كان يصلي من الليل». قال: وكنتُ إذا نمتُ لم أقم حتى أصبح. قال: فكان ابن عمر يصلي الليل.[2]

ففي هذه الرؤيا منقبة عظيمة لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، حيث كان حريصًا على الخير، ودعا الله بقوله: اللهم إن كنتَ تعلم فيَّ خيرًا فأرني رؤيا. فاستجاب الله دعاءه، فعُلِمَ أن الله تعالى علم فيها خيرًا، ولما عُرِض له النار قال له الملك: «لم تُرَع، نِعْمَ الرجلُ أنت لو تُكثر الصلاة». وأكد على ذلك النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – فقال: «نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله لو كان يصلي من الليل». بل قال جازمًا: «إنَّ أخاكِ رجلٌ صالح» أو «إنَّ عبدَ الله رجلٌ صالح». فهذه شهادة من النبي – صلى الله عليه وسلم – له بالصلاح، قال فيه ذلك في تأويل رؤياه التي قصتها عليه أخته حفصة رضي الله عنها.

ويظهر من الروايات السابقة أنه – رضي الله عنه – رأى رؤيَيَين، وصف إحداهما بقوله: «أراني لقيني ملك في يده مِقْمَعَةٌ من حديد، فقال: لم تُرَع، نِعْمَ الرجلُ أنت لو تُكثر

---

[1] صحيح البخاري: كتاب التهجد باب فضل من تعار من الليل فصلى (١/ ٣٨٨ رقم: ١١٠٥)، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٤/ ١٩٢٧ رقم: ٢٤٧٨).

[2] سنن الدارمي (٢/ ٨٧٩ رقم: ١٤٤٠)، ورجال إسناده كلهم ثقات، من رجال الصحيحين، إلا شيخ الدارمي وهو موسى بن خالد الشامي، فإنه مقبول أخرج له مسلم في صحيحه كما في التقريب (٢/ ٢٨٧ رقم: ٧٨٣٢)، فالإسناد أقل أحواله أنه حسن. لا سيما وقد تابعه أبو صالح الفراء وهو محبوب بن موسى الأنطاكي عند البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٤٧٥ رقم: ٢٨٣٤) وهو أيضًا مقبول كما في التقريب (٢/ ٢٣٨ رقم: ٧٣٢١).

الصلاة. فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملَكٌ بيده مِقْمَعَةٌ من حديد، وأرى فيها رجالاً معلَّقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفتُ فيها رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين». وهذه فيها البشرى له بالنجاة من النار.

ووصف الثانية بقوله: «رأيت في المنام كأنَّ في يدي سَرَقَةً من حرير، لا أهوي بها إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه». وهذه فيها البشرى له بدخول الجنة.

ويؤيد ذلك أنه في إحدى الروايات جمع الرؤيَيَين، ثم قال: فقَصَّتْ حفصةُ على النبي – صلى الله عليه وسلم – إحدى رؤيَايَّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله لو كان يصلي من الليل».

وذكر الحافظ ابن حجر – رحمه الله – أنه ورد في بعض الروايات ما يفيد أن حفصة – رضي الله عنها – قصت على النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا النار، وفي بعضها ما يفيد أنها رؤيا الجنة، ثم جمع بينهما فقال: «يحتمل أن يكون قوله: (إحدى رؤياي) محمولاً على أنها قصت رؤيا السرقة أولاً، ثم قصت رؤيا النار بعد ذلك، وأن التقدير: قصت إحدى رؤياي أولاً، فلا يكون لقوله: (إحدى) مفهوم، وهذا الموضح لم أرَ من تعرض له من الشراح، ولا أزالَ إشكالَه، فلله الحمد على ذلك».[1]

ولقد كان لهذه الرؤيا – أو الرؤيَيَيْنِ – أثرٌ عظيمٌ في حياة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فإنه كان قبلها إذا نام بالليل لم يقم حتى يصبح، فلما رأى هذه الرؤيا كان يكثر الصلاة من الليل، ولا ينام إلا قليلاً، فرضي الله عنه وأرضاه، وألحقنا وإياه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

*** من فضائل عثمان بن مظعون رضي الله عنه.**

هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو ابن هصيص القرشي الجمحي، يكنى أبا السائب، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، وكان أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين، حيث توفي سنة اثنتين أو ثلاث من الهجرة، فلما غُسِّل وكُفِّن قَبَّلَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين عينيه، وسالت

---

[1] فتح الباري (١٢/ ٤٠٤).

دموعه على خديه، وهو أول من دفن بالبقيع، فلما دُفِنَ قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم السلف هو لنا. ولما توفيت ابنة النبي – صلى الله عليه وسلم – زينب أو ابنه إبراهيم؛ قال: «الْحَقْ بالسلف الصالح: عثمان بن مظعون». وكان – رضي الله عنه – عابدًا مجتهدًا من فضلاء الصحابة، رضي الله عنه وأرضاه.[1]

وقد وردت في فضله هذه الرؤيا:

عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء – امرأة من نسائهم بايعت النبي صلى الله عليه وسلم – أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين. قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا فمَرَّضْتُه حتى توفي، وجعلناه في أثوابه، فدخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليكَ لقد أكرمكَ الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما يُدريكِ أنَّ الله أكرمه؟». قالت: قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فمن؟ قال: «أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري – واللهِ – وأنا رسول الله ما يُفعل بي». قالت: فوالله لا أزَكِّي أحدًا بعده. قالت: فأحزنَني ذلك، فنِمتُ فأُرِيتُ لعثمان بن مظعون عينًا تجري، فجئتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرتُه، فقال: «ذلك عمله».[2] وفي لفظ: «ذاك عمله يجري له».[3]

ففي هذه الرؤيا منقبة لعثمان بن مظعون رضي الله عنه، وهي أن له عملاً صالحًا يجري له بعد وفاته.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقوله في آخره: (ذاكَ عملُه يجري له) قيل: يحتمل أنه كان لعثمان شيءٌ عَمِلَه بَقِيَ له ثوابُه جاريًا، كالصدقة، وأنكره مغلطاي، وقال: "لم يكن لعثمان بن مظعون شيءٌ من الأمور الثلاث[4] التي ذكرها مسلمٌ من حديث أبي هريرة رفعه:

---

[1] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١٠٥٣- ١٠٥٧)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٥٨٩- ٥٩٢)، والسير للذهبي (١/ ١٥٣- ١٦٠).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب مقدم النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه المدينة (٣/ ١٤٢٩ رقم: ٣٧١٤).

[3] صحيح البخاري: كتاب التعبير باب العين الجارية في المنام (٦/ ٢٥٧٥ رقم: ٦٦١٥).

[4] هكذا في الفتح، ولعل الصواب: الثلاثة. وقد نقله محمد الخضر الشنقيطي على الصواب في كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (١١/ ٢٧٨).

(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ...)[1] قلت: وهو نفي مردود؛ فإنه كان له ولد صالح شهد بدرًا وما بعدها، وهو السائب، مات في خلافة أبي بكر[2]، فهو أحد الثلاث، وقد كان عثمان من الأغنياء فلا يبعد أن تكون له صدقة استمرت بعد موته، فقد أخرج ابن سعد من مرسل أبي بردة ابن أبي موسى قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فرأيْنَ هيئتها فقلن: ما لَكِ؟ فما في قريش أغنى من بعلك! فقالت: أما ليلُه فقائم ... الحديث، ويحتمل أن يراد بعمل عثمان بن مظعون مرابطتُه في جهاد أعداء الله، فإنه ممن يجري له عمله، كما ثبت في السنن وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث فَضالة بن عبيد رفعه: (كل ميتٍ يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر)[3] وله شاهد عند مسلم والنسائي والبزار من حديث سلمان رفعه: (رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأمن الفتان)[4] وله شواهد أخرى، فليحمل حال عثمان بن مظعون على ذلك، ويزول الإشكال من أصله».[5]

*** من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه.**

هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، يكنى أبا يوسف، وهو من ولد يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما، كان حليفًا للأنصار، من بني القينقاع، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عبد الله، وهو أحد الأحبار، أسلم لما قدم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: إنه عاشر عشرة في الجنة[6]، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين، رضي الله عنه وأرضاه.[7]

---

[1] صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٥ رقم: ١٦٣١)، ولفظه: «إلا من ثلاثة».

[2] انظر ترجمته في: الطبقات لابن سعد (٣/ ٤٠١)، والاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٥٧٥)، والسير للذهبي (١/ ١٦٣).

[3] سنن أبي داود (٤/ ١٥٥ رقم: ٢٥٠٠)، والترمذي (٤/ ١٦٥ رقم: ١٦٢١)، وصحيح ابن حبان (١٠/ ٤٨٤ رقم: ٤٦٢٤)، والمستدرك للحاكم (٢/ ٣٩٨ رقم: ٢٤٦٤).

[4] صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٠ رقم: ١٩١٣)، وسنن النسائي (٦/ ٣٩ رقم: ٣١٦٩).

[5] فتح الباري (١٢/ ٤١١– ٤١٢).

[6] أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٦٧١ رقم: ٣٨٠٤) وقال: «حديث حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٣٦ رقم: ٣٩٧٥).

[7] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٩٢١– ٩٢٣)، وأسد الغابة لابن الأثر (٣/ ٢٦٥)، والسير للذهبي (٢/ ٤١٣– ٤٢٦).

وقد وردت في فضله هذه الرؤيا وتعبيرها:

١- عن قيس بن عباد قال: كنت جالسًا في مسجد المدينة، فدخل رجلٌ على وجهه أثرُ الخشوع، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة. فصلى ركعتين تجوَّز فيهما، ثم خرج وتبعتُه، فقلت: إنك حين دخلتَ المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة. قال: والله لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأُحدِّثك لم ذاك، رأيتُ رؤيا على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقصصتُها عليه، ورأيتُ كأني في روضة - ذكر من سعتها وخضرتها - وسطها عمود من حديدٍ أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عُروة، فقيل لي: ارقه. قلت: لا أستطيع. فأتاني مِنْصَفٌ فرفع ثيابي من خلفي، فرَقِيتُ حتى كنتُ في أعلاها، فأخذتُ بالعروة، فقيل لي: استمسك. فاستيقظتُ وإنها لفي يدي، فقصصتُها على النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «تلك الروضةُ: الإسلام، وذلك العمودُ: عمودُ الإسلام، وتلك العروةُ: عروةُ الوثقى، فأنتَ على الإسلام حتى تموت». وذلك الرجل عبد الله بن سلام.[١]

٢- عن خَرَشَة بنِ الحُرِّ[٢] قال: كنت جالسًا في حلقة في مسجد المدينة، قال: وفيها شيخٌ حسن الهيئة، وهو عبد الله بن سلام، قال: فجعل يحدِّثُهم حديثًا حسنًا، قال فلما قام قال القوم: من سَرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلْينظرْ إلى هذا. قال: فقلتُ: والله لأتَّبِعَنَّه فلأعلَمَنَّ مكانَ بيته، قال فتَبِعْتُه، فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة، ثم دخل منزله. قال: فاستأذنتُ عليه فأذن لي، فقال: ما حاجتُكَ يابن أخي؟ قال: فقلتُ له: سمعتُ القوم يقولون لكَ لما قمتَ: من سَرَّه أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، فأعجبَني أن أكونَ معك. قال: الله أعلم بأهل الجنة، وسأحدِّثُكَ مِمَّ قالوا ذاك، إني بينَما أنا نائمٌ إذ أتاني رجلٌ فقال لي: قم.

---

[١] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣١٩).

[٢] هو خَرَشَةُ بنُ الحُرِّ بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، قيل: له صحبة، ورجح ابن حجر أنه من التابعين، وأن الذي له صحبة هو خرشة بن الحارث، وهو غير الأول، وكان خرشة بن الحر هذا يتيمًا في حجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، روى عن عمر وأبي ذر وعبد الله بن سلام رضي الله عنهم، وروى عنه جماعة من التابعين، منهم: ربعي بن خراش، والمسيب بن رافع، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير. قال ابن سعد: مات في ولاية بشر على العراق. وقال خليفة: مات سنة أربع وسبعين. انظر: الاستيعاب لابن الأثير (٢/ ٤٤٥- ٤٤٦) والإصابة لابن حجر (٢/ ٢٣٤).

فأخذ بيدي فانطلقتُ معه، قال: فإذا أنا بجوادٍ[1] عن شمالي، قال: فأخذتُ لآخذ فيها، فقال لي: لا تأخذ فيها؛ فإنها طرُقُ أصحابِ الشمال، قال: فإذا جوادٌ مَنْهَجٌ[2] على يميني، فقال لي: خذ هاهنا، فأتى بي جبَلاً، فقال لي: اصعد، قال: فجعلتُ إذا أردتُ أن أصعدَ خررتُ على استي، قال: حتى فعلتُ ذلك مِرارًا، قال: ثم انطلق بي حتى أتى بي عمودًا، رأسُه في السماء وأسفله في الأرض، في أعلاه حلقة، فقال لي: اصعد فوقَ هذا، قال: قلتُ: كيفَ أصعدُ هذا ورأسُه في السماء؟ قال: فأخذ بيدي فزَجَلَ بي[3]، قال فإذا أنا متعلِّقٌ بالحلقة، قال: ثم ضرب العمودَ فخَرَّ، قال: وبقيتُ متعلِّقًا بالحلقة حتى أصبحتُ، قال: فأتيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فقصصتُها عليه، فقال: «أما الطرُقُ التي رأيتَ عن يسارِكَ فهي طرُقُ أصحابِ الشمال، قال: وأما الطرُقُ التي رأيتَ عن يمينِكَ فهي طرُقُ أصحابِ اليمين، وأما الجبلُ فهو منزلُ الشهداء، ولن تنالَه، وأما العَمودُ فهو عَمودُ الإسلام، وأما العُروةُ فهي عروةُ الإسلام، ولن تَزالَ متمسكًا بها حتى تموت».[4]

وفي رواية لابن ماجه: قدمتُ المدينة فجلستُ إلى شِيَخَةٍ[5] في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء شيخٌ يتوكَّأُ على عصًا له، فقال القوم: من سَرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلْيَنظرْ إلى هذا، فقام خلْفَ سارية، فصلى ركعتين، فقمتُ إليه، فقلتُ له: قال بعض القوم كذا وكذا. قال: الحمد لله، الجنةُ لله يُدخلُها من يشاء، وإني رأيت على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا، رأيتُ كأنَّ رجلاً أتاني فقال لي: انطلق، فذهبتُ معه، فسلك بي في مَنهَجٍ عظيم، فعَرَضتْ عليَّ طريقٌ على يساري، فأردتُ أن أسلكها، فقال: إنكَ لستَ من أهلها، ثم عَرضتْ

---

[1] **الجَوَاد**: الطرق، واحدها جادَّة، وهي سواء الطريق ووسطه. وقيل هي الطريق الأعظم التي تجمع الطرق، ولا بد من المرور عليها. النهاية لابن الأثير (١/ ٢٤٥).

[2] **مَنْهَج**: كنَهْجٍ، يقال: طريقٌ نَهْجٌ، وسبيلٌ مَنْهَجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ. ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه. وأَنْهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ وَصَارَ نَهْجًا واضِحًا بَيِّنًا. والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٢/ ٣٨٣).

[3] **زَجَلَ به**: رماه، من الزَّجْل، وهو رَمْيُكَ الشيءَ تأخُذُه بيَدِكَ.انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (٦/ ٦٧).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه (٤/ ١٩٣١ رقم: ٢٤٨٤).

[5] **شِيَخَة**: جمع شَيْخ، وهو من استبانت فيه السن، وظهر عليه الشيب. انظر: تاج العروس للزبيدي (٧/ ٢٨٦).

طريقٌ عن يميني فسلكتها، حتى إذا انتهيتُ إلى جبلٍ زَلِقٍ فأخذ بيدي، فزَجَلَ بي، فإذا أنا على ذُرْوَتِه، فلم أَتَقَارَّ[1] ولم أَتَمَاسَكْ، وإذا عَمُودٌ من حديدٍ في ذُرْوَتِه حلقةٌ من ذهب، فأخذَ بيدِي، فزَجَلَ بي، حتى أخذتُ بالعُروة، فقال: استمسك، قلتُ: نعم. فضَرَب العَمُودَ برِجْلِه، فاستمسكتُ بالعروة.

قال: قصصتُها على النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «رأيت خيرًا، أما المنهجُ العظيمُ فالمحشر، وأما الطريق التي عَرَضتْ عن يسارِكَ فطريقُ أهلِ النار، ولستَ من أهلها، وأما الطريقُ التي عَرَضَتْ عن يمينك فطريقُ أهلِ الجنة، وأما الجبلُ الزَلِقُ فمنزلُ الشهداء، وأما العروةُ التي استمسكتَ بها فعروةُ الإسلام، فاستمسكْ بها حتى تموت». فأنا أرجو أن أكون من أهل الجنة. وإذا هو عبد الله بن سلام.[2]

ففي هذه الرؤيا منقبة عظيمة لعبد الله بن سلام رضي الله عنه، وهي الشهادة بأنه لا يزال ثابتًا على الإسلام، مستمسكًا بالعروة الوثقى منه؛ حتى يلقى الله عز وجل، وذلك من موجبات دخول الجنة، لأن من مات على الإسلام دخل الجنة، بل قد صرح الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه من أهل الجنة، كما مرَّ معنا في حديث معاذ - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في عبد الله بن سلام: إنه عاشر عشرة في الجنة.

كما أخبر - صلى الله عليه وسلم - من خلال تأويله لرؤيا عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - بأنه ليس ممن يسلك طرُقَ أهل الشمال المؤدية إلى النار، ويسلك طريق أصحاب اليمين المؤدية إلى الجنة، ولهذا قال: فأنا أرجو أن أكون من أهل الجنة.

وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - كذلك من خلال تأويله للرؤيا بأن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - لا يقتل شهيدًا، فلا يبلغ منزل الشهداء، وإنما يموت مستمسكًا بدينه. فرضي الله عنه وأرضاه.

قال ملا علي القاري في قوله: «فاستيقظت وإنها لفي يدي»: «أي: أن الاستيقاظ كان حال الأخذ من غير فاصل، فلم يَرِدْ أنها بقيتْ في يده حال يقظته، ولو حُمِلَ على ظاهره ما امتنع في قدرة الله تعالى، لكن يَظهر خلافُه، ويحتمل أن يريد أن أثرها بقي في يديَّ بعد الاستيقاظ، كأن يصبح فيرى يده مقبوضة».[3]

---

[1] **فلم أتَقارَّ**: أي لم أستقر. وتفسِّره الجملة التي بعدها.

[2] سنن ابن ماجه (٥/ ٧٣- ٧٤ رقم: ٣٩٢٠)، وإسناده حسن؛ لأجل عاصم ابن بهدلة، ويشهد له ما قبله.

[3] مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٠٤).

* **من فضائل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.**

هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، يكنى أبا محمد، وقيل: أبا عبد الرحمن، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً حافظًا عالمًا، قرأ القرآن والكتب المتقدمة، واستأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - في أن يكتب حديثه، فأذن له، قال أبو هريرة: "ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مني إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يعي بقلبه، وأعي بقلبي، وكان يكتب وأنا لا أكتب". وله: مناقب، وفضائل، ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - علمًا جمًّا، واختلف في سنة وفاته ما بين سنة اثنتين وستين إلى تسع وستين للهجرة، عن اثنتين وسبعين سنة، رضي الله عنه وأرضاه.[١]

وردت في فضله هذه الرؤيا الدالة على سعة علمه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنه قال: رأيت فيما يرى النائم لكأنَّ في إحدى أصبعيَّ سمنًا وفي الأخرى عسلاً فأنا ألعقهما، فلما أصبحتُ ذكرتُ ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «تقرأ الكتابين: التوراة والفرقان». فكان يقرؤهما.[٢]

ففي هذه الرؤيا بشرى لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وهي أنه يتعلم الكتابين: التوراة والقرآن، ويقرأهما، وهذه منقبة جليلة لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

* **من فضائل عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه.**

وهو عكرمة ابن أبي جهل - واسمه عمرو - بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، ويكنى: أبا عثمان، كان وأبوه شديدَي العداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية، وكان فارسًا مشهورًا، هرب حين الفتح، فلحق باليمن، ولحقت به امرأته، فأتت به النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: مرحبًا بالراكب المهاجر، فأسلم، وذلك سنة ثمان بعد الفتح، وحسن إسلامه، وكان محمود البلاء في الإسلام، مجتهدًا في قتال المشركين مع

---

[١] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٩٥٧)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٣٤٥)، والسير (٣/ ٧٩- ٩٤)، والإصابة لابن حجر (٤/ ١٦٥- ١٦٧).

[٢] حديث حسن، تقدم تخريجه (ص: ٣٩٠).

المسلمين، وجهه أبو بكر إلى عمان، وكانوا ارتدوا، فظهر عليهم، ثم وجهه إلى اليمن، ثم لزم الشام مجاهدًا حتى قتل يوم اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنهما، وقيل: استشهد يوم أجنادين في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما.[1]

وردت في فضله الرؤيا النبوية التالية:

حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «رأيتُ في المنام كأنَّ أبا جهلٍ أتاني فبايعني». فلما أسلم خالدُ بنُ الوليد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: قد صدَّقَ الله رؤياك يا رسول الله، هذا كان إسلام خالد. فقال: «ليكونَنَّ غيره». حتى أسلم عكرمة ابن أبي جهل، وكان ذلك تصديقَ رؤياه.[2]

ففي هذه الرؤيا البشارة بإسلام عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه، ومبايعته للنبي صلى الله عليه وسلم.

*** من فضائل حارثة بن النعمان رضي الله عنه.**

هو حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك الخزرجي النجاري، أبو عبد الله الأنصاري، وكان له من الولد: عبد الله، وعبد الرحمن، وسودة، وعمرة، وأم هشام، وأم كلثوم، وأمة الله. شهد حارثة بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأى جبريل - عليه السلام - مرتين، وهو من المائة الصابرة الذين ثبتوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين فتكفل الله بأرزاقهم وأرزاق عيالهم في الجنة، وكان من فضلاء الصحابة، خيِّرًا ديِّنًا بارًّا بأمه، وبقي إلى خلافة معاوية - رضي الله عنه - وتوفي فيها، بعد أن ذهب بصره.[3]

وردت في فضله الرؤيا التالية:

١- حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نِمتُ فرأيتُني في الجنة، فسمعتُ صوتَ قارئٍ يقرأ، فقلتُ: من هذا؟ قالوا: هذا

---

[1] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١٠٨٢- ١٠٨٥)، وأسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٦٧- ٧٠)، والسير للذهبي (١/ ٣٢٣- ٣٢٤).

[2] أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب معرفة الصحابة باب ذكر مناقب عكرمة بن أبي جهل واسم أبيه مشهور (٣/ ٢٧١ رقم: ٥٠٦٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

[3] انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٤٨٧- ٤٨٨)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٧٣٦)، والاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٣٠٦)، والسير للذهبي (٢/ ٣٧٩- ٣٨٠)، والإصابة لابن حجر (١/ ٧٠٧- ٧٠٨).

حارثة بن النعمان». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذاكَ البِرُّ، كذاكَ البِرُّ». وكان أبر الناس بأمِّه.[1]

٢- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني أراني في الجنة، فبينما أنا فيها سمعتُ صوتَ رجلٍ بالقرآن، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان. كذاكَ البِرُّ، كذاكَ البِرُّ، كذاكَ البِرُّ».[2]

ففي هذه الرؤيا منقبة عظيمة لحارثة بن النعمان رضي الله عنه، حيث شهد له الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالجنة، أخبر أنه سمع صوته وهو يقرأ القرآن في الجنة، وأن الذي بلغ به هذه المنزلة هو برُّه بأمه، رضي لله عنه وأرضاه، ورزقنا البر بوالدينا.

*** من فضائل الحسن بن علي ابن أبي طالب، وفاطمة بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأم الفضل، وابنها قُثَم رضي الله عنهم.**

الحسن بن علي: هو الحسن بن علي ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، يكنى أبا محمد، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن ابنته فاطمة رضي الله عنها، وريحانته من الدنيا، سيد شباب أهل الجنة، وأشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[3]. ولا أسود ممن سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيدًا، وكان حليمًا ورعًا فاضلاً، دعاه ورَعُه وفضلُه إلى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله، وقال: والله ما أحببتُ منذ علمتُ ما ينفعني وما يضرني أن أَلِيَ أمرَ أمةِ محمد - صلى الله عليه وسلم - على أن يهراق في ذلك محجمة دم. فنزل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه،

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٢/ ١٠٠ رقم: ٢٥١٨٢)، وابن راهويه في مسنده (٢/ ٤٣٨ رقم: ١٠٠٥)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص: ١٠٩ رقم: ٣٨٧)، والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٤٢ رقم: ٨١٧٦)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٧٨ رقم: ٧٠١٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٩ رقم: ٤٩٢٩) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٧ رقم: ٣٤١٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٨٢ رقم: ٩١٣).

[2] أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ١٠٩ رقم: ٣٨٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٤٣ رقم: ٨١٧٧)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٣٦ رقم: ٤٦٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٢٦١ رقم: ٧٤٦٦)، وإسناده صحيح.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» (٢/ ٩٦٢ رقم: ٢٥٥٧).

فتحقق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم، وفرح بذلك المسلمون واجتمع أمرهم، وسمي ذلك العام عامَ الجماعة، توفي سنة تسع وأربعين، وقيل: خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، رضي الله عنه وأرضاه.[1]

فاطمة بنت محمد: هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيدة نساء العالمين في زمانها، أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت تكنى: أم أبيها، وكانت أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوّجها من علي ابن أبي طالب، وانقطع نسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا منها، كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحبها ويكرمها ويُسرُّ إليها، ويقول فيها: «فاطمة بَضْعةٌ مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها».[2] مناقبها غزيرة، وكانت صابرةً ديِّنةً خيِّرةً صينةً قانعةً شاكرةً لله. توفيت بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - بخمسة أشهر، أو نحوها، وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة، رضي الله عنها وأرضاها.[3]

أم الفضل: هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجة العباس بن عبد المطلب، وأم أكثر بنيه. يقال: إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يزورها ويقيل عندها، وروت عنه أحاديث كثيرة، وكانت من المنجبات، ولدت للعباس ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم، وهم: الفضل، وبه تكنَّت، وعبد الله الفقيه، وعبيد الله الفقيه، ومعبد، وقُثَم، وعبد الرحمن، وكانت من عِلْية النساء، رضي الله عنها وأرضاها.[4]

قُثَم بن العباس: هو قُثَم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخو الحسن بن علي من الرضاع. قال عبد الله بن جعفر: كنت أنا وعبيد الله وقُثَم ابنا العباس نلعب. فمرَّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ارفعوا إليَّ هذا - يعني قُثَم - فرُفع إليه، فأردفه خلفه، وجعلني بين يديه، ودعا لنا. وقال ابن

---

[1] انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٣٨٣- ٣٩٢)وأسد الغابة لابن الأثير (٢/ ١٣)، والسير للذهبي (٣/ ٢٤٥- ٢٧٩)،

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب مناقب فاطمة رضي الله عنها (٣/ ١٣٧٤ رقم: ٣٥٥٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام (٤/ ١٩٠٣ رقم: ٢٤٤٩)، من حديث المسور بن مخرمة - رضي الله عنه - وهذا اللفظ للنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٩٤ رقم: ٨٣١٢).

[3] انظر: أسد الغابة ابن الأثير (٧/ ٢١٣)، والسير للذهبي (٢/ ١١٩- ١٣٤).

[4] انظر: الاستيعاب لابن البر (٤/ ١٩٠٩)، وأسد الغابة ابن الأثير (٧/ ٢٤٦)، والسير للذهبي (٢/ ٣١٤- ٣١٥).

عباس: هو آخر الناس عهدًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه كان آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه، وكان يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان واليًا لعلي ابن أبي طالب على مكة، وقيل: استعمله على المدينة، وكان سيدًا ورعًا فاضلاً، وخرج إلى سمرقند مع سعيد بن عثمان زمن معاوية، واستشهد بها.[1]

وردت في فضلهم الرؤيا التالية:

عن أم الفضل – رضي الله عنها – قالت: قلت: يا رسولَ الله! رأيتُ كأنَّ في بيتي عضوًا من أعضائك. قال: «خيرًا رأيتِ، تلدُ فاطمةُ غلامًا فترضعيه». فولدَتْ حسينًا أو حسنًا، فأرضعَتْه بلبن قُثَم. قالت: فجئت به إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فوضعتُه في حِجرِهِ فبال، فضربتُ كَتِفَه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أوجعتِ ابني، رحمكِ الله!».[2]

وفي لفظ: رأيتُ كأنَّ في بيتي عضوًا من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فجزِعتُ من ذلك، فأتيتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فذكرتُ ذلك له، فقال: «خيرًا رأيتِ، تلدُ فاطمةُ غلامًا، فتَكْفَلِينه بلبنِ ابنكِ قُثَم» قالت: فولدَتْ حسنًا، فأُعطِيتُه، فأرضعتُه حتى تحرَّكَ أو فَطَمتُه.[3]

ففي هذه الرؤيا منقبة للحسن بن علي رضي الله عنهما، وهي شدة حب النبي – صلى الله عليه وسلم – له وقربه منه، وعبرت الرؤيا عن ذلك بأنه عضو من أعضاء النبي صلى الله عليه وسلم.

كما فيها منقبة لفاطمة رضي الله عنها، لأنها هي التي ولدت هذا الابن الذي أحبه النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان لابنها هذه المنزلة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكيف بمنزلتها هي في قلبه؟!

وفيها منقبة لأم الفضل رضي الله عنها، حيث تشرّفت بخدمة النبي صلى الله عليه وسلم، وخدمة أهل بيته، وإرضاع حفيده الحسن بن علي رضي الله عنهما.

---

[1] انظر: الاستيعاب لابن البر (٣/ ١٣٠٤- ١٣٠٥)، وأسد الغابة ابن الأثير (٤/ ٣٧٣)، والسير للذهبي (٣/ ٤٤٠- ٤٤٢).

[2] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤٣٦).

[3] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٦٣٦).

وفيها أيضًا منقبة لقُثَم بن العباس رضي الله عنهما، حيث رضع الحسن بن علي – رضي الله عنهما – من لبنه، فكان أخاه من الرضاع. رضي الله عنهم جميعًا وأرضاهم، وألحقنا بهم في جنات النعيم.

المبحث الثامن

دلالات الرؤى والتعابير في أبواب متفرقة من العقيدة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: من فضائل الإسلام.

المطلب الثاني: من مسائل الإيمان.

المطلب الثالث: انحراف اليهود والنصارى وعداوتهم لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم — وأمته.

المطلب الرابع: فضائل الأماكن والأزمنة والأعمال.

المطلب الخامس: مسائل متعلقة بالرؤى والتعابير

المبحث الثامن

دلالات الرؤى والتعابير في أبواب متفرقة من العقيدة

المطلب الأول: من فضائل الإسلام وعالميته

الإسلام هو الدين المعتبر عند الله عز وجل، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩]، فأخبر بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام[١]، والإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله تعالى من أحدٍ دينًا سواه، قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]، والإسلام هو الدين الكامل الذي أتم الله به النعمة على هذه الأمة ورضيه لها دينًا، وقال ممتنًّا: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

وقد وردت في فضله الرؤى والتعابير التالية:

١- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظُلَّةً تَنطِفُ السمن والعسل، فأرى الناس يَتَكَفَّفُون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراكَ أخذتَ به فعَلَوتَ، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكر: يا رسول الله - بأبي أنت - والله لتدعَنِّي فأعبرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعبرها». قال: أما الظُّلَّة فالإسلام، وأما الذي يَنطِفُ من العسل والسمن فالقرآنُ حلاوتُه تَنطِف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيُعْلِيَكَ الله، ثم يأخذ به رجلٌ من بعدِك فيَعْلُو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فيَعْلُو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فينقطع به، ثم يوصل له فيَعْلُو به. فأخبِرْنِي يا رسولَ الله - بأبي أنت - أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا». قال: فوالله لتُحَدِّثَنِّي بالذي أخطأتُ. قال: «لا تُقسِم».[٢]

---

[١] انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥).

[٢] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٥٠).

قال ابن بطال رحمه الله: «قال المهلب: إنما عبر بالظلة عن الإسلام؛ لأن الظلة نعمة من نعم الله على أهل الجنة، وكذلك كانت على بني إسرائيل، وكذلك كانت تُظل النبيَّ – عليه السلام – أينما مشى قبل نبوته، فكذلك الإسلام يقي الأذى، وينعم المؤمن به في الدنيا والآخرة».[1]

٢- عن قيس بن عباد قال: كنت جالسًا في مسجد المدينة، فدخل رجلٌ على وجهه أثرُ الخشوع، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة. فصلى ركعتين تجوَّز فيهما، ثم خرج وتبعتُه، فقلت: إنك حين دخلتَ المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة. قال: والله لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأُحدِّثك لم ذاك، رأيتُ رؤيا على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فقصصتُها عليه، ورأيتُ كأني في روضة – ذكر من سعتها وخضرتها – وسطها عَمُودٌ من حديدٍ أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عُروة، فقيل لي: ارقه. قلت: لا أستطيع. فأتاني مِنْصَفٌ فرفع ثيابي من خلفي، فرَقِيتُ حتى كنتُ في أعلاها، فأخذتُ بالعروة، فقيل لي: استمسك. فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «تلك الروضةُ الإسلام، وذلك العمودُ عمودُ الإسلام، وتلك العروةُ عروةُ الوثقى، فأنتَ على الإسلام حتى تموت». وذلك الرجل عبد الله بن سلام.[2]

٣- عن خَرَشَة بنِ الحُرِّ أنه قال لعبد الله بن سلام رضي الله عنه: سمعتُ القوم يقولون لكَ لما قمتَ: من سَرَّه أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، فأعجبَني أن أكونَ معك. قال: الله أعلم بأهل الجنة، وسأحدِّثُكَ مِمَّ قالوا ذاك، إني بينَما أنا نائمٌ إذ أتاني رجلٌ فقال لي: قم. فأخذ بيدي فانطلقتُ معه، قال: فإذا أنا بجوادٍ عن شمالي، قال: فأخذتُ لآخذ فيها، فقال لي: لا تأخذ فيها؛ فإنها طرُقُ أصحابِ الشمال، قال: فإذا جوادٌ مَنْهَجٌ على يميني، فقال لي: خذ هاهنا، فأتى بي جبَلاً، فقال لي: اصعد، قال: فجعلتُ إذا أردتُ أن أصعدَ خررتُ على استي، قال: حتى فعلتُ ذلك مِرارًا، قال: ثم انطلق بي حتى أتى بي عمودًا، رأسُه في السماء وأسفله في الأرض، في أعلاه حلقة، فقال لي: اصعد فوقَ هذا، قال: قلتُ: كيفَ أصعدُ

---

[1] شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٥٥٩- ٥٦٠).

[2] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣١٩).

هذا ورأسُه في السماء؟ قال: فأخذ بيدي فزَجَلَ بي، قال فإذا أنا متعلِّقٌ بالحلقة، قال: ثم ضرب العمودَ فخَرَّ، قال: وبقيتُ متعلِّقًا بالحلقة حتى أصبحتُ، قال: فأتيتُ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – فقصصتُها عليه، فقال: «أما الطرُقُ التي رأيتَ عن يسارِكَ فهي طرُقُ أصحابِ الشمال، وأما الطرُقُ التي رأيتَ عن يمينِكَ فهي طرُقُ أصحابِ اليمين، وأما الجبلُ فهو منزلُ الشهداء، ولن تنالَه، وأما العَمودُ فهو عَمودُ الإسلام، وأما العُروةُ فهي عروةُ الإسلام، ولن تَزالَ متمسكًا بها حتى تموت».[1]

وهذه الرؤيا تُبيِّن أيضًا فضل الإسلام، وأنه روضة غناء، من دخلها وجد فيها الرَّوحَ والريحانَ، والسلامةَ والإحسانَ، واستظلَّ بظِلالها، وتنعَّمَ بنعيمها، وأنَّ للإسلام عمودًا راسخًا أسفلُه في الأرض ورأسُه في السماء، وعروةً هي أوثق العرى، وأنَّ من أقام عمودَه واستمسكَ بعُروته الوثقى حتى الموت؛ فإنه ينجو من النار بأن يجنِّبه الله سلوك سبيل أصحاب الشمال، ويفوز بالجنة بأن يوفقه الله لسلوك طريق أصحاب اليمين. نسأل الله – عز وجل – من فضله.

٤– عن سعيد ابن أبي هلال عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: خرج علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومًا فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصحابه: اضرب له مثلاً. فقال: اسمع سمعَتْ أذنُك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل مَلِكٍ اتخذ دارًا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه. فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».[2]

وهذه الرؤيا أيضًا فيها بيانٌ لفضل الإسلام، وأنه دار المَلِك جلَّ جلاله، وهو الطريق إلى مأدبة الله في جنته، ومفتاحُه الاستجابة لله ورسوله، بإخلاص التوحيد لله – عز وجل – والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم، فلا سبيل إلى الجنة إلا من خلال دين الإسلام المتمثل في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] أخرجه مسلم، تقدم تخريجه (ص: ٥٨٢).

[2] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٨١).

٥- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيتُ غنمًا كثيرةً سوداءَ دخلتْ فيها غنمٌ كثيرةٌ بِيضٌ» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العجَمُ يُشركونكم في دينكم وأنسابكم». قالوا: العجم يا رسول الله؟ قال: «لو كان الإيمان معلَّقًا بالثُّريَّا لنالَه رجالٌ من العجَم وأسعدهم به الناس».[1]

٦- حديث أبي بكر - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني رأيت في المنام غنمًا سودًا يتبعها غنمٌ صُفْرٌ حتى غَمَرَتْها. يا أبا بكر اعبر». قال: قلت: هي العرب تتبعك ثم العجم. قال: «كذلك عبرها الملك بسحر».[2]

٧- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت في المنام كأني وردَتْ عليَّ غنمٌ سُود، ثم وردت غنمٌ بِيضٌ حتى لم يصب من السود منها» قال: فقال له أبو بكر: يا رسول الله، هذه العرب يسلمون فيكثرون، ثم تسلم العجم حتى لا تستبين فيهم العرب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «صدقت، كذلك عبرها الملك».[3]

هذه الأحاديث تدل على فضل الإسلام وعالميته، وأنه ليس خاصًّا بالعرب، كما أن نبي الإسلام - عليه الصلاة والسلام - مبعوث إلى جميع الناس عربهم وعجمهم، كما قال تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: ١٥٨]، وقال عز وجل: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة: ٢- ٤].

أورد ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره تحت هذه الآية حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كنا جلوسًا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزلت عليه سورة الجمعة: {وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة: ٣]. قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثًا، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده على سلمان ثم

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك: (٥/ ٥٦٤ رقم: ٨٢٥٥) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٩٢ رقم: ١٠١٨).

[2] حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه (ص: ٣٨٣).

[3] أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٨)، وصححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (٣/ ١٦).

قال: «لو كان الإيمانُ عند الثُّريَّا لناله رجال - أو رجلٌ - من هؤلاء».[1] ثم قال: «ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية، وعلى عموم بعثته - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس؛ لأنه فسر قوله: {وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ} بفارس؛ ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله عز وجل، وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله: {وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} قال: هم الأعاجم، وكل من صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - من غير العرب».[2]

وفي هذه الرؤيا وتعبيرها البشارة بكثرة دخول الناس في الإسلام لاسيما الأعاجم، وفيها مدح الأعاجم بشدة الرغبة في الإسلام، والحرص عليه، وتحمل الصعاب في سبيل الوصول إليه، وهي تَحْمِلُ في طياتها عَلَمًا من أعلام نبوته، حيث أخبر بأمر سيقع، وقد تحقق ما أخبر به.

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير باب تفسير سورة الجمعة (٤/ ١٨٥٨ رقم: ٤٦١٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضل فارس (٤/ ١٩٧٢ رقم: ٢٥٤٦).

[2] تفسير ابن كثير (٨/ ١١٦).

المطلب الثاني: من مسائل الإيمان

المسألة الأولى: أن العمل من الإيمان، وأن الناس متفاوتون في إيمانهم.

حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة هي: قولٌ واعتقادٌ وعملٌ، فالعمل عندهم داخل في مسمى الإيمان، وجزء منه، فالإيمان عندهم يتجزأ، وهو يزيد وينقص، وأهله فيه متفاضلون.[1]

وخالفهم في ذلك المرجئة بجميع أصنافهم فأقصوا العمل عن الإيمان، ولم يدخلوه في مسماه، ولم يعتبروه جزءًا منه.

وفي مقابل هؤلاء الخوارجُ والمعتزلةُ الذين جعلوا الإيمان حقيقة واحدة مركبة من ثلاثة أشياء: القول والعمل والاعتقاد، وهم وافقوا أهل السنة في الظاهر، لكنهم خالفوهم في اعتبارهم الإيمان كلاًّ لا يتجزأ.

واتفق المخالفون لأهل السنة والجماعة على أن الإيمانَ كلٌّ لا يتجزَّأ، وأنه لا يزيد ولا ينقص، وأن أهله فيه لا يتفاضلون، والتزموا بسبب ذلك نفي الإيمان كلِّه أو إثباته كلِّه، فالمرجئة يرون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، والخوارج يرون أنه لا يبقى إيمان مع كبيرة.

ومما يدل على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من دخول العمل في الإيمان وتفاضل أهله فيه؛ الرؤيا النبوية التالية:

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ يُعرَضُون عليَّ وعليهم قُمُص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمرُ بن الخطاب وعليه قميص يَجُرُّه». قالوا: فما أَوَّلتَ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «الدِّين».[2]

وجه الدلالة من هذه الرؤيا أن القُمُص والثياب في الرؤيا تعبر بالأعمال، كقوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: ٤] يريد نفسَكَ وعمَلَكَ، وإصلاحَ عملِكَ ودينِك[3]، والنبي – صلى

---

[1] انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٧)، وصريح السنة للطبري (ص: ٢٥)، والسنة لأبي بكر بن الخلال (٣/ ٥٨٢)، وشرح السنة للبربهاري (ص: ٥٢)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٠٧)، والشريعة للآجري (٢/ ٦١١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤/ ٩١١)، والإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة للشيخ عبد الله الأثري (ص: ٢٦) و (ص: ٣٩– ٤٠) و (ص: ٥٧).

[2] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٥٤٢).

[3] انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٢٣)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٧/ ٣٩٥).

الله عليه وسلم - أوّل القميص في الرؤيا بالدين، فدل ذلك على أن العمل من الدين، والدين والإيمان بمعنًى.[1]

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «وإنما فسر القُمُص في المنام: الدين؛ لأن الدين والإسلام والتقوى كل هذه توصف بأنها لباس، قال تعالى {وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: ٢٦]، وقال أبو الدرداء: "الإيمان كالقميص، يلبسه الإنسان تارة، وينزعه أخرى". وفي الحديث: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ينزع منه سربال الإيمان"[2]. وقال النابغة:

الحمدُ للهِ الَّـذي لم يَـأْتِني أَجَلِي ... حتى اكْتَسَيْتُ مِنَ الإسلامِ سِرْبَالا

وقال أبو العتاهية:

إذَا المرءُ لم يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى ... تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وإن كانَ كَاسِيا

فهذه كلها كسوة الباطن، وهو الروح، وهو زينة لها، كما في حديث عمار: "اللهم زيِّنَّا بزينة الإيمان"[3]. كما أن الرِّياشَ زينةٌ للجسد وكسوة له، قال تعالى: {يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: ٢٦]. ومن هنا قال مجاهد والشعبي وقتادة والضحاك والنخعي والزهري وغيرهم في قوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: ٤] إن المعنى: طهر نفسك من الذنوب. وقال سعيد بن جبير: وقلبَكَ ونيَّتَكَ فطَهِّر. وقريب منه قول من قال: وعملَكَ فأصلح. رُوِيَ عن مجاهد وأبي روق والضحاك. وعن الحسن والقرظي قالا: خُلُقَكَ حسِّنه. فكنى بالثياب عن الأعمال، وهي الدين والتقوى والإيمان والإسلام، وتطهيره: إصلاحه وتخليصه من المفسدات له، وبذلك تحصل طهارة النفس والقلب والنية، وبه يحصل حسن الخلق؛ لأن الدين هو الطاعات التي تصير عادة ودَيْدَنًا وخُلُقًا، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم} [القلم: ٤]. وفسره ابن عباس بالدين».[4]

---

[1] انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢/ ٦٠١- ٦٠٢)، واللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح للبرماوي (١/ ١٧٩).

[2] اتفق الشيخان على تخريج الجزء الأول منه وهو «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: صحيح البخاري (٢/ ٨٧٥ رقم: ٢٣٤٣) وصحيح مسلم (١/ ٧٦ رقم: ٥٧). أما الجزء الأخير منه وهو «ينزع منه سربال الإيمان» فقد أخرجه ابن الجوزي في ذم الهوى (ص: ١٩٠) بإسناد ضعيف جدًّا، وانظر: السلسلة الضعيفة (٤/ ٨٦ رقم: ١٥٨٤).

[3] أخرجه النسائي في سننه (٣/ ٥٤ رقم: ١٣٠٥) وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (١/ ٢٧٩ رقم: ١٣٠١).

[4] فتح الباري لابن رجب (١/ ٩٩- ١٠١).

وتفاضل الناس في قُمُصهم، بحيث منهم من يبلغ قميصه الثدي، ومنهم من هو دون ذلك؛ دال على تفاضلهم في الدين والإيمان، وهو دال على أن الإيمان يزيد وينقص.[١]

ولهذا أخرج البخاري – رحمه الله – هذا الحديث في (باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال) من كتاب الإيمان في صحيحه.[٢]

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في بيان مطابقة الحديث للباب: «ومطابقته للترجمة ظاهرة من جهة تأويل القمص بالدين، وقد ذكر أنهم متفاضلون في لبسها، فدل على أنهم متفاضلون في الإيمان».[٣]

وأخرجه النسائي – رحمه الله – في باب زيادة الإيمان من سننه.[٤]

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «وهذا الحديث نص في أن الدين يتفاضل».[٥]

المسألة الثانية: أن الكبائر والمعاصي لا تنافي الإيمان ولا تبطله.

الإيمان عند أهل السنة والجماعة – كما سبق – يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والإيمان له نواقض تبطله؛ كالكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي، وله خوارم تنقصه وتخدشه؛ ككبائر الذنوب وصغائرها.

أما بطلانه بالكفر والشرك فلا خلاف فيه بشكل عام، وكذلك عدم بطلانه بصغائر الذنوب محل اتفاق، وإنما تفرَّق الناس في حكم مرتكب الكبيرة إلى طرفين ووسط؛ فالطرف الأول – ويمثله الخوارج والمعتزلة – يحكمون عليه في الدنيا بالخروج من الإسلام، وفي الآخرة بالخلود في النار. والطرف الثاني – وتمثله المرجئة – يحكمون عليه بالإيمان الكامل في الدنيا ودخول الجنة دون سابقة عذاب في الآخرة. والوسط – وهم أهل السنة والجماعة – يرون أنه في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، أي أنه لا يعطى في الدنيا اسم الإيمان المطلق، بل يكون معه مطلق الإيمان، وهو حد الإسلام. ثم هو في الآخرة – إن مات على كبيرته ولم يتب – تحت مشيئة الله تعالى؛ إن شاء عفا عنه بفضله، وأدخله الجنة ابتداءً، وإن شاء عذبه بعدله بقدر ذنبه ثم يكون مآله إلى الجنة؛ لأنه مات على الإيمان.

---

[١] المرجع السابق.

[٢] (١/ ١٧ رقم: ٢٣).

[٣] فتح الباري (١/ ٧٤).

[٤] (٨/ ١١٣ رقم: ٥٠١١).

[٥] فتح الباري لابن رجب (١/ ٩٨).

فأهل السنة والجماعة لا يسلبون وصف الإيمان من العبد إذا عمل شيئًا من المحذورات التي لا يكفر فاعله، أو ترك شيئًا من الواجبات التي لا يكفر تاركه، ولا يحكمون عليه بالخروج من الإيمان إلا بفعل ناقض من نواقضه.

فالإيمان عند أهل السنة والجماعة يقبل التبعيض والتجزئة، وبقليله يُخرِجُ اللهُ من النار من دخلها بفضله ورحمته. ولذلك فإنهم لا يكفِّرون أحدًا من أهل القبلة بذنب ارتكبه؛ إلا بذنب يستحله، أو يزول به أصل الإيمان، قال الله تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [النساء: ٤٨]. وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف؛ فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه».[1]

ومما يدل على مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب الرؤيا التالية:

١– عن جابر – رضي الله عنه – قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمكة فقال: يا رسول الله هلم إلى حصن وعدد وعدة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمعَكَ مَن وراءَك؟» قال: لا أدري. فأعرض عنه، فلما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينةَ قدِمَ الطفيل بن عمرو مهاجرًا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه رجل من رهطه، فحُمَّ ذلك الرجل حُمَّى شديدة، فجزع فأخذ شفرة فقطع بها رواجِبَه، فتَشَخَّبَتْ حتى مات، فدُفن، ثم إنه جاء فيما يرى النائمُ من الليل إلى الطفيل بن عمرو في شارة حسنة وهو مخمِّرٌ يدَه، فقال له الطفيل: أفُلان! قال: نعم. قال: كيف فعلتَ؟ قال: صنع بي ربي خيرًا، غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. قال: فما فعلتْ يداك؟ قال: قال لي ربي: لن نصلحَ منك ما أفسدتَ من نفسك. قال: فقَصَّ الطفيلُ رؤياه على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فرفَعَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يديه: «اللهم وليديه فاغفر، اللهم وليديه فاغفر، اللهم وليديه فاغفر».[2]

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخار في صحيحه: كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حب الأنصار (١/ ١٥ رقم: ١٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها (٣/ ١٣٣٣ رقم: ١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

[2] أخرجه مسلم، وهذا اللفظ لابن حبان، وتقدم تخريجه (ص: ٣١٠).

فهذا الرجل ارتكب كبيرة من الكبائر، وهو قتل النفس، فقد ورد فيه وعيد شديد، وهو قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: ٢٩- ٣٠]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من تردَّى من جبلٍ فقتَلَ نفسَه فهو في نارِ جهنَّمَ يتردَّى فيه خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومن تحسَّى سُمًّا فقتل نفسَه فسُمُّه في يده يتحَسَّاه في نارِ جهنَّمَ خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسَه بحَديدةٍ فحَديدَتُه في يدِه يَجَأُ بها في بَطنِهِ في نارِ جهنَّمَ خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا».[1]

ومع هذا الوعيد الشديد فإنه لم يخرج من الدين، بل شفعتْ له هجرتُه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستغفر له الرسول – صلى الله عليه وسلم – مرارًا، ولو كانت كبيرته تخرجه من الدين لأبطَلَتْ هجرتَه، ولَمَا استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله تعالى نهاه والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين فقال: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة: ١١٣].

قال القاضي عياض رحمه الله: «وفي هذا الحديث غفران الله تعالى لهذا الذي قتله نفسه، وفيه دليلٌ لأهل السنة على غفران الذنوب لمن شاء الله تعالى، وشرحٌ للأحاديث قبله الموهم ظاهرُها التخليدَ وتأبيدَ الوعيد على قاتل نفسه، وردٌّ على الخوارج والمعتزلة، وفيه مؤاخذته بذنبه ومعاقبته، وهو رد على المرجئة».[2]

٢– عن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – في سرده لرؤيا النبي – صلى الله عليه وسلم – الطويلة أنه قال: «فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لي: ارقَ فيها. قال: فارْتقَينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلَبِنِ ذهَبٍ ولَبِنِ فضَّة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا، ففتح لنا فدخلناها، فتلقانا فيها رجالٌ شطرٌ من خَلْقهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطرٌ كأقبح ما أنت راءٍ. قال: قالا لهم: اذهبوا فقَعُوا في ذلك النهر. قال: وإذا نهر معترض يجري، كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث (٥/ ٢١٧٩ رقم: ٥٤٤٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة (١/ ١٠٣ رقم: ١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٤٠٣)، وانظر: الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (٣/ ٨١٠)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ١٣٢).

في أحسن صورة». ثم قال في تأويلها: «وأما القوم الذين كانوا شطرًا منهم حسن وشطرًا منهم قبيح، فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم».[(١)]

وهذه الرؤيا وتعبيرها يدل على أن المؤمن الذي خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا لا ينتفي إيمانه في الدنيا، ولا يُحرَم الجنةَ في الآخرة، وأن الله يعفو عنهم ويتجاوز، فيغفر لهم ذنوبهم ويطهرهم من سيئاتهم، ويدخلهم الله الجنة برحمة منه وفضل، فاللهم لا تحرمنا فضلك، ولا تمنعنا كرمك، يا ذا الفضل والكرم.

المسألة الثالثة: لا يُقطَعُ لأحدٍ من أهل القبلة بجنةٍ ولا نارٍ إلا من شهدَ له الشارع بذلك.

من أصول أهل السنة والجماعة أنهم لا يقطعون لمعيَّنٍ من أهل القبلة بجنة ولا بنار، إلا من شهد له الشارع بذلك، كالعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم ممن نص الشارع على أنهم من أهل الجنة، وذلك لأن الأعمال بالخواتيم، ولأن النيات والعواقب لا يطلع عليها إلا الله وحده، وإنما يرجون للمحسن الثواب، ويخشون على المسيء العقاب.[(٢)]

ومما يدل على هذا الأصل من أصول أهل السنة والجماعة الرؤى والتعابير التالية:

١- عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء - امرأة من نسائهم بايعت النبي صلى الله عليه وسلم - أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين. قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا فمَرَّضْتُه حتى توفي، وجعلناه في أثوابه، فدخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليكَ لقد أكرمكَ الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما يُدريكِ أنَّ الله أكرمه؟». قالت: قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فمن؟ قال: «أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري - واللهِ - وأنا رسول الله ما يُفعل بي». قالت: فوالله لا أزَكِّي أحدًا بعده. قالت: فأحزنَني ذلك، فنِمتُ فأُرِيتُ لعثمان بن مظعون عينًا تجري، فجئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته، فقال: «ذلك عمله».[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري، وتقدم تخريجه (ص: ٣٦).

(٢) انظر: أصول السنة للإمام أحمد (ص: ٥٠- ٥٢)، ولمعة الاعتقاد (ص: ٣٨)، والإيمان لابن تيمية (ص: ٣٢٦).

(٣) أخرجه البخاري، وتقدم تخريجه (ص: ٥٧٩).

وفي لفظ: «ذاك عمله يجري له».[1]

وفي لفظ: «ما أدري ما يفعل به».[2]

وجه دلالة هذه الرؤيا على هذا الأصل أن أم العلاء الأنصارية – رضي الله عنها – شهدت لعثمان بن مظعون – رضي الله عنه – أن الله تعالى قد أكرمه، وذلك يقتضي القطع بأنه من أهل الجنة، لأن إكرام الله تعالى للميت يكون بذلك[3]، وذلك قبل أن ترى فيه الرؤيا التي رأتها، فأنكر النبي – صلى الله عليه وسلم – قطعها له بذلك، وأعلمها بأن ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وحده، حتى هو – صلى الله عليه وسلم – وهو رسول الله؛ لا يدري ما يُفعَلُ به ولا بعثمان بن مظعون رضي الله عنه، ثم أرشدها إلى الموقف الصحيح، وهو أن يُرجَى الخير للمؤمن الصالح.

قال الملا علي القاري رحمه الله: «قوله: (والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي) كلمة: (ما) موصولة أو استفهامية. قال الداودي: (ما يفعل بي) وهمٌ، والصواب: (ما يفعل به) أي: بعثمان؛ لأنه لا يعلم من ذلك إلا ما يوحى إليه. وقيل: قوله: (ما يفعل بي) ، يحتمل أن يكون قبل إعلامه بالغفران له، أو يكون المعنى: ما يفعل بي في أمر الدنيا مما يصيبهم فيها. فإن قلت: عثمان هذا أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة، وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن أهل بدرٍ غفر الله لهم. قلت: قد قيل: بأن ذلك قبل أن يُخبَرَ أن أهل بدرٍ من أهل الجنة. فإن قلت: هذا أيضًا يعارض قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث جابر رضي الله تعالى عنه: (ما زالت الملائكةُ تُظِلُّه بأجنِحَتِها حتى رفعتموه)[4]. قلت: لا تعارض في ذلك؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم – لا ينطق عن الهوى، فأنكر على أم العلاء قَطْعَها على عثمان إذ لم تعلم هي

---

(1) صحيح البخاري: كتاب التعبير باب العين الجارية في المنام (٦/ ٢٥٧٥ رقم: ٦٦١٥).

(2) صحيح البخاري: كتاب التعبير باب رؤيا النساء (٦/ ٢٥٧٠ رقم: ٦٦٠٢).

(3) يؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٠ رقم: ٢١٢٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٣٧ رقم: ٨٣١٧)، من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما مات عثمان بن مظعون، قالت امرأة: هنيئًا لك الجنة عثمانَ بن مظعون! فنظر إليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نظر غضبان، فقال: «وما يدريكِ؟». قالت: يا رسول الله! فارسُكَ وصاحبُك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله إني رسول الله، وما أدري ما يفعل بي». الحديث، وعلي بن زيد ضعيف كما مر معنا مرارًا.

(4) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه (١/ ٤٢٠ رقم: ١١٨٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله تعالى عنهما (٤/ ١٩١٨ رقم: ٢٤٧١).

من أمره شيئًا. وفي حديث جابر قال ما علمه إلا[1] بطريق الوحي، إذ لا يقطع على مثل هذا إلا بوحي، حاصله: أن ما قاله النبي – صلى الله عليه وسلم – إخبارُ مَن لا ينطق عن الهوى، وذلك كلامُ أم العلاء، وليسا بالسواء».

ثم قال: «فيه: دليل على أنه لا يجزم لأحد بالجنة إلا ما نص عليه الشارع، كالعشرة المبشرة وأمثالهم، سيما والإخلاص أمر قلبي لا اطلاع لنا عليه».[2]

وقال ابن الملقن رحمه الله: «وأما حديث أم العلاء ففيه أنه لا يقطع لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار، ولكن يُرجى للمحسن، ويُخاف على المسيء».[3]

٢- عن قيس بن عباد قال: كنت جالسًا في مسجد المدينة، فدخل رجلٌ على وجهه أثرُ الخشوع، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة. فصلى ركعتين تجوَّز فيهما، ثم خرج وتبعتُه، فقلت: إنك حين دخلتَ المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة. قال: والله لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأُحدِّثك لم ذاك، رأيتُ رؤيا على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فقصصتُها عليه، ورأيتُ كأني في روضة – ذكر من سعتها وخضرتها – وسطها عمود من حديدٍ أسفلُه في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عُروة، فقيل لي: ارقه. قلت: لا أستطيع. فأتاني مِنْصَفٌ فرفع ثيابي من خلفي، فرَقِيتُ حتى كنتُ في أعلاها، فأخذتُ بالعروة، فقيل لي: استمسك. فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «تلك الروضةُ الإسلام، وذلك العمودُ عمودُ الإسلام، وتلك العروةُ عروةُ الوثقى، فأنتَ على الإسلام حتى تموت». وذلك الرجل عبد الله بن سلام.[4]

٣- عن خَرَشَة بنِ الحُرِّ قال: كنت جالسًا في حلقة في مسجد المدينة، قال: وفيها شيخٌ حسن الهيئة، وهو عبد الله بن سلام، قال: فجعل يحدِّثُهم حديثًا حسنًا، قال فلما قام قال القوم: من سَرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلْينظرْ إلى هذا. قال:

---

[1] هكذا في المطبوع، ويظهر لي أن (إلا) مقحمة.

[2] عمدة القاري (٨/ ١٧- ١٨).

[3] التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ٤٠٦). وانظر: الكواكب الدراري للكرماني (٧/ ٥٥)، واللامع الصبيح للبرماوي (٥/ ١٤٨).

[4] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣١٩).

فقلت: والله لأتَّبِعَنَّه فلأعلَمَنَّ مكانَ بيته، قال فتبَعْتُه، فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة، ثم دخل منزله. قال: فاستأذنتُ عليه فأذن لي، فقال: ما حاجتُكَ يابن أخي؟ قال: فقلتُ له: سمعتُ القوم يقولون لكَ لما قمتَ: من سَرَّه أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، فأعجبَني أن أكونَ معك. قال: الله أعلم بأهل الجنة، وسأحدِّثُكَ مِمَّ قالوا ذاك ...» الحديث.[1]

وفي رواية لابن ماجه: قدمتُ المدينة فجلستُ إلى شِيَخَةٍ في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء شيخٌ يتوكَّأُ على عصًا له، فقال القوم: من سَرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلْيَنظرْ إلى هذا، فقام خلْفَ سارية، فصلى ركعتين، فقمتُ إليه، فقلتُ له: قال بعض القوم كذا وكذا. قال: الحمد لله، الجنةُ لله يُدخلُها من يشاء. ثم ذكر رؤياه وتأويل النبي – صلى الله عليه وسلم – لها، ثم قال: فأنا أرجو أن أكون من أهل الجنة.[2]

وجه دلالة هذه الرؤيا على هذا الأصل هو أن عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – أنكر على هؤلاء الذين قطعوا له بالجنة دون أن يذكروا دليلاً على ذلك، لينبه على أنه لا يجوز القطع لأحد من المسلمين بالجنة إلا بنص من الشارع، ولكن يُرجى له ذلك.

قال القاضي عياض رحمه الله: «وشهادة هؤلاء لعبد الله بن سلام أنه من أهل الجنة، وليس في الحديث الذي ذكره عن النبي – عليه الصلاة والسلام – إلا أنه أخبر أنه يموت على الإسلام والاعتصام بعروته الوثقى؛ حجةٌ على اتفاقهم على مذهب أهل السنة، أنه من مات على الإسلام فهو من أهل الجنة على كل حال، وإن كان من العاصين، وأن الله لا يحرم عليه الجنة، وأمره بعد إلى الله تعالى، إن شاء عاقبه قبل دخوله الجنة، وإن شاء عفا عنه.

وفيه: أنه لا يقطع بالجنة إلا لمن أعلم النبي – صلى الله عليه وسلم – بحاله في ذلك من موته على الإسلام، وأنه من أهل الجنة؛ إذ الخاتمة مغيَّبة عنَّا.

لكن قد ذكر مسلم من رواية سعد ابن أبي وقاص: ما سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول لحي يمشي: إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام[3]. فلعلَّ هؤلاء بلغهم خبرُ سعدٍ، ولم يبلغ ذلك عبد الله بن سلام، أو لم يُرِدْ ذكرَه خبرًا وتَسَتُّرًا.

---

[1] أخرجه مسلم، تقدم تخريجه (ص: ٥٨٢).

[2] تقدم تخريجه (ص: ٥٨٣).

[3] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه (٤/ ١٩٣٠ رقم: ٢٤٨٣).

وقول عبد الله بن سلام: (ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم) على طريق التواضع وكراهة الشهرة، أو لقطعهم على ذلك من جهة الدليل لا من جهة النص، كما تقدم».[1]

وقال النووي رحمه الله: «قوله: (ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم) هذا إنكار من عبد الله ابن سلام عليهم حيث قطعوا له بالجنة، فيحتمل أن هؤلاء بلغهم خبر سعد ابن أبي وقاص أن ابن سلام من أهل الجنة ولم يسمع هو ذلك، ويحتمل أنه كره الثناء عليه بذلك تواضعًا وإيثارًا للخمول وكراهية للشهرة».[2]

وعلق عليه الطيبي – رحمه الله – قائلاً: «فعلى هذا الإشارة بقوله (ذاك) إلى إنكاره إياهم، يعني: إني أحدِّثُك بسبب إنكاري عليهم، وهو أني رأيتُ رؤيا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ... إلى آخره، وهذا لا يدل على النص بقطع النبي – صلى الله عليه وسلم – على أني من أهل الجنة كما نص على غيري.

ويمكن أن تكون الإشارة بذاك إلى قولهم: هذا رجل من أهل الجنة، يعني لا ينبغي لأحد ممن أدرك النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – وصَحِبَهُ أن يقول بما لا يعلم، فإنهم علموا بذلك وقالوا، وأنا أيضاً أقول: رأيت رؤيا ... الخ».[3]

---

[1] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٥٢١- ٥٢٢).

[2] شرح النووي على مسلم (١٦/ ٤٢).

[3] شرح المشكاة للطيبي (١٢/ ٣٩٣٢).

المطلب الثالث: انحراف اليهود والنصارى وعداوتهم لمحمد – صلى الله عليه وسلم – وأمته:

اليهود: هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه الصلاة والسلام، وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم ببني إسرائيل[1]، وأهل الكتاب، واليهود.

لكن الملاحظ أن تسميتهم باليهود لا تكون إلا في مواطن الذم، مثل ما ورد في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤] الآية، وقوله جل شأنه: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة: ٣٠].

وهذا يدل على أنهم تلقبوا بهذا اللقب بعد أن فسد حالهم، وانحرفوا عن دين الله عز وجل.[2]

والنصارى: هم الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام، وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم بالنصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، ولم ترد تسميتهم بالمسيحيين في القرآن ولا في السنة، كما لم يسمِّ المسيحُ – عليه السلام – أتباعه بذلك بحسب الإنجيل، وهي في الحقيقة تسمية لا توافق واقع النصارى؛ لتحريفهم دين المسيح عليه السلام، فالحق والصواب أن يطلق عليهم: نصارى، أو أهل الكتاب؛ لأن في نسبتهم للمسيح – عليه السلام – خطأ فاحش، إذ يلزم من ذلك عزو ذلك الكفر والانحراف إلى المسيح عليه السلام، وهو منه بريء.[3]

ولقد بعث الله أنبياءه ورسله – ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام – بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، وتعريف الخلق بخالقهم ومعبودهم الحق سبحانه وتعالى، وتنزيهه عن كل نقص وعيب، فقامت الرسل بما أوجب الله تعالى عليهم من تبليغ الرسالة ونصح الأمة على الوجه الأكمل، كما أنهم دعوا أقوامهم إلى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل؛ لأن مرسلهم جميعًا هو الله الواحد الأحد، فالْتَزَمَ بذلك من شاء الله سعادته في الدنيا والآخرة، وأعرض عنه من كُتِبَ عليه الشقاء فيهما، ومنهم من سعى لتحريف دين رسلهم، ومنهم اليهود والنصارى، وقد سجل عليهم القرآن الكريم ذلك في مواطن عديدة، وكذلك السنة النبوية، ولقد زادوا على انحرافهم بكفرهم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، مع بشارة أنبيائهم وكتبهم به، ومعرفتهم إياه كما يعرفون أبناءَهم، ولم يكتفوا بذلك بل نصبوا له ولأمته العداوة، وسعوا لقتله والإضرار به، فكفاه الله شرَّهم، ونسأل الله تعالى أن يكفينا أيضًا شرهم.

---

[1] نسبة إلى يعقوب عليه السلام، وكان يسمى إسرائيل، كما قال تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ} [آل عمران: ٩٣].

[2] انظر: دراسات في الأديان – اليهودية والنصرانية – للدكتور سعود الخلف (ص: ٤٥– ٤٦).

[3] انظر: المرجع السابق (ص: ١٦٣– ١٦٤).

ومن شواهد ذلك في الرؤى والتعابير النبوية ما ورد في الأحاديث التالية:

١- عن طفيل بن سخبرة - أخي عائشة لأمها - أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مَرَّ برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرًا ابن الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مَرَّ برهط من النصارى فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى. فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وما شاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره، فقال: «هل أخبرتَ بها أحدًا؟» قال: نعم. فلما صلَّوا خطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها» قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد».[1]

وفي رواية للطبراني: «إن أخاكم رأى رؤيا قد حدَّثكم بما رأى، إنما كان يمنعني أن أنهاكم من ذلك الحياء، فإذا قلتم فقولوا: ما شاء الله وحده».[2]

٢- عن حذيفة - رضي الله عنه - أن رجلاً من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلاً من أهل الكتاب، فقال: نِعْمَ القومُ أنتم لولا أنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. وذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أما والله، إن كنت لأعرفها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد».[3]

وعند النسائي عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: رأيتُ في النوم كأن رجلاً من اليهود يقول: تزعمون أنا نشرك بالله، وأنتم تشركون، ما شاء الله وشاء محمد؟ فأتيت النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فأخبرتُه فقال: «أما إني كنتُ أكرهها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شئت».[4]

في هذين الحديثين إثباتٌ لانحراف اليهود والنصارى، وذلك بادعائهم الولد لله سبحانه وتعالى، وهو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فاليهود زعمتْ أن عزيرًا ابن الله، والنصارى ادّعت أن المسيح عيسى ابن الله، تعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا، وتصديق ذلك في كتاب

---

[1] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٣).

[2] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٢٥ رقم: ٨٢١٥) وإسناده حسن.

[3] تقدم تخريجه (ص: ٣٧٢).

[4] تقدم تخريجه (ص: ٣٧٣).

الله – عز وجل – في قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: ٣٠].

وانحرافهم – لاسيما اليهود – عن علم وبينة، فإنهم يعلمون أنهم يشركون، بل ويعرفون الشرك الخفي الأصغر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف بالشرك الجلي الأكبر عندهم؟ ولهذا قالوا: «نِعْمَ القومُ أنتم لولا أنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشاء محمد». وقالوا: «تزعمون أنا نشرك بالله، وأنتم تشركون، ما شاء الله وشاء محمد؟».

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله: «وفي الحديث من الفوائد: معرفة اليهود بالشرك الأصغر، وكثير ممن يدعي الإسلام لا يعرف الشرك الأكبر، بل يصرف خالص العبادات من الدعاء والذبح، والنذر لغير الله ويظن أن ذلك من دين الإسلام، فعلمتَ أن اليهود في ذلك الوقت أحسن حالاً ومعرفة منهم. وفيه فهم الإنسان إذا كان له هوى كما نبه عليه المصنف، وأن المعرفة بالحق لا تستلزم الإيمان ولا العمل. وقبول الحق ممن جاء به، وإن كان عدوًّا مخالفًا في الدين. وأن الحلف بغير الله من الشرك الأصغر لا يمرق به الإنسان من الإسلام».[1]

٣– عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سَحَرَ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – رجلٌ من بني زريق يقال له: "لبيد بن الأعصم"، حتى كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم – أو ذات ليلة – وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة! أشَعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجُفُّ طَلْعِ نخلةٍ ذَكَر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان». فأتاها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «يا عائشة! كأن ماءها نُقاعة الحِنّاء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين». قلت: يا رسول الله! أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًّا». فأمر بها فدفنت.[2]

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٥٢١).

(٢) متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣١١). وفي لفظ عند أحمد في مسنده (٦/ ٦٣ رقم: ٢٤٣٩٢): «... فاستيقظ النبي – صلى الله عليه وسلم – من نومه فقال: أي عائشة! ألم ترين أن الله أفتاني فيم استفتيته ...». وإسناده صحيح.

وفي لفظ للبخاري: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا.[1]

وفي لفظ له: مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي .. وفيه: «قال: في جف طلعة ذكر، في مشط ومشاقة، تحت رعوفة في بئر ذروان». وفيه: فأمر به النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخرج. وفيه: قالت: ولبيد ابن أعصم رجل من بني زريق حليف ليهود.[2]

وفي لفظ لمسلم: سحَرَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يهوديٌّ من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم.[3]

وهذا الحديث فيه بيان شدة عداوة اليهود للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولأمته، وترجمتهم ذلك عمليًّا بهذا العمل الخبيث، وقد أخبر القرآن الكريم عن شدة عداوتهم فقال: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [المائدة: ٨٢].

وقد ثبت في السيرة النبوية عدة محاولات يهودية لاغتيال النبي - صلى الله عليه وسلم - باءت كلها بالفشل، لأن الله - سبحانه وتعالى - وعد نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأنه يعصمه من الناس من أن يبلغوا قتله أو أسره أو الحيلولة دون تبليغ رسالته، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٦٧].

وقد تقدم الحديثُ عن الشبهات المثارة حول هذا الحديث والجوابُ عنها.

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الطب باب هل يستخرج السحر (٥/ ٢١٧٥ رقم: ٥٤٣٢).

[2] صحيح البخاري: كتاب الأدب باب قول الله تعالى {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...} [النحل: ٩٠] (٥/ ٢٢٥٢ رقم: ٥٧١٦).

[3] صحيح مسلم: كتاب السلام باب السحر (٤/ ١٧١٩ رقم: ٢١٨٤).

المطلب الرابع: من فضائل بعض الأماكن والأزمان والأعمال:

علاقة هذا الموضوع بالعقيدة من حيث إنه لا يجوز اعتقاد فضيلة وخصوصية لمكان أو زمان أو شخص أو عمل إلا ما دل عليه الدليل من الكتاب أو السنة.

وقد جاءت الرؤى والتعابير النبوية مبينة لفضائل بعض تلك الأمكنة والأزمنة والأعمال، نكتفي بالإشارة إليها دون إطالة:

فمن فضائل الأمكنة الواردة في الرؤى والتعابير ما ورد في الأحاديث التالية:

١–عن أبي موسى – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وَهَلِي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب».[١]

٢–عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: لم أعقل أبوي قطُّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – طرفي النهار بكرة وعشية – إلى قولها: – فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين». وهما الحرتان، فهاجر مَن هاجر قِبَلَ المدينة، ورجع عامةُ من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة.[٢]

٣–عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «رأيتُ كأنَّ امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة – وهي الجحفة –، فأولتُ أن وباء المدينة نقل إليها».[٣]

٤–حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول: إنه سمع عمر – رضي الله عنه – يقول: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلة آت من ربي فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة».[٤]

هذه الرؤى فيها بيان فضيلة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث اختارها الله – عز وجل – لتكون دار هجرة نبيه – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين به، وبارك فيها وفي أطرافها ووديانها، وطيبها وهيَّأها لهم بأن أخرج منها وباءها، وشرفها بأن هاجر إليها نبيُّه

---

[١] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٣٧).

[٢] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ٤٣٧).

[٣] أخرجه البخاري، تقدم تخريجه (ص: ١٠٢).

[٤] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣١٠).

صلى الله عليه وسلم، وسكنها، وأقام فيها أول دولة إسلامية، ومات فيها، ودفن فيها، وكذلك كبارُ أصحابه رضي الله عنهم.

والمدينة النبوية من الأماكن المقدسة التي خصها الله تعالى بفضائل كثيرة، وقد جمع عدد من العلماء هذه الفضائل في مصنفات مستقلة[1]، أو ضمن مصنفاتهم الأخرى[2]، ليس هنا موضع بسطها.

٥–عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام».[3]

وفي رواية: «رأيت عمود الإسلام احتمل من تحت رأسي».[4]

هذه الرؤيا فيها فضيلة لأرض الشام، والشام هي الأرض المباركة[5]، خصها الله تعالى بفضائل جمة، منها ما ورد في هذه الرؤيا من أن عمود الكتاب عُمد به إلى الشام، وأن الإيمان حين تقع الفتن بالشام.

---

[1] من ذلك: فضائل المدينة لأبي سعيد الجندي (٣٠٨هـ) طبع بتحقيق: محمد مطيع الحافظ و غزوة بدير، ونشرته دار الفكر بدمشق عام ١٤٠٧هـ، وفضائل المدينة لابن عساكر (٦٠٠هـ)، والدرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار (٦٤٣هـ) طبع بتحقق: حسين محمد علي شكري ونشرته شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، والتحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية لعبد الرحمن عبد الحميد البر نشرته دار اليقين عام ١٤٢١هـ، وفضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها للشيخ عبد المحسن البدر طبع بمطبعة النرجس عام ١٤٢١هـ، والأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعًا ودراسة للدكتور صالح بن حامد الرفاعي نشرته دار الخضيري، وهذا الأخير من أجمل ما كتب في هذا الباب.

[2] منهم: الإمام البخاري عقد كتابًا في صحيحه بعنوان فضائل المدينة (٢/ ٦٦٠– ٦٦٨)، والإمام مسلم عقد عدة أبواب في صحيحه في فضل المدينة (٢/ ٩٩١– ١٠١٧)، والترمذي في سننه باب ما جاء في فضل المدينة (٥/ ٧١٩– ٧٢٢)، وابن ماجه في سننه باب فضل المدينة (٤/ ٢٩١– ٢٩٤)، وغيرهم.

[3] أخرجه أحمد (٣٦/ ٦٢ رقم: ٢١٧٣٣) وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح. وقال ابن حجر في الفتح (١٢/ ٤٠٣): وإسناده صحيح.

[4] أخرجه الغضائري في جزء له (ص: ١٧٥ رقم: ٣٢) بإسناد صحيح، ومن طريقه أخرجه السمعاني في فضائل الشام (ص: ٤١ رقم: ١٢).

[5] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤): «وقد دل القرآن العظيم على بركة الشام في خمس آيات: قوله: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} [الأعراف: ١٣٧] والله تعالى إنما أورث بني إسرائيل أرض الشام. وقوله: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء: ١]، وقوله: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ٧١]، وقوله: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا} [الأنبياء: ٨١]، وقوله تعالى {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً} [سبأ: ١٨] الآية. فهذه خمس آيات نصوص. والبركة تتناول البركة في الدين والبركة في الدنيا. وكلاهما معلوم لا ريب فيه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقوله «رأيت كأن عمود الكتاب» وفي رواية: «عمود الإسلام أخذ من تحت رأسي فأتبعته نظري فذهب به إلى الشام». وعمود الكتاب والإسلام: ما يعتمد عليه، وهم حملته القائمون به».[(١)]

ونقل الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن العلماء قولهم: «من رأى في منامه عمودًا فإنه يعبر بالدين أو برجل يعتمد عليه فيه، وفسروا العمود بالدين والسلطان».[(٢)]

وهذا إنما يكون في آخر الزمان كما قال القرطبي رحمه الله: «ولعل هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال، والله ورسوله أعلم».[(٣)]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد دل الكتاب والسنة وما روي عن الأنبياء المتقدمين – عليهم السلام – مع ما علم بالحس والعقل وكشوفات العارفين: أن الخلق والأمر ابتدءا من مكة أم القرى، فهي أم الخلق، وفيها ابتدئت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي جعلها الله قيامًا للناس؛ إليها يصلون ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم. فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة على أن "مُلك النبوة" بالشام والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس؛ فأول الأمة خيرٌ من آخرها، وكما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام، كما أسري بالنبي – صلى الله عليه وسلم – من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. فخيار أهل الأرض في آخر الزمان ألزمهم مُهاجَر إبراهيم – عليه السلام – وهو بالشام، فالأمر مساسه كما هو الموجود والمعلوم».[(٤)]

وقد وردت في فضائل الشام نصوص كثيرة، أفردها بعض العلماء بالتأليف[(٥)]، وذكرها بعضهم في ثنايا كتبه[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٢).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٤٠٣).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى (ص: ١١٧٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٣- ٤٤).

(٥) من ذلك: فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي (٤٤٤هـ) وهو مطبوع وقد قام الألباني – رحمه الله – بتخريج أحاديثه، وفضائل الشام للسمعاني (٥٦٢هـ) وهو مطبوع أيضًا.

(٦) منهم: أبو داود في سننه: باب في سُكنى الشام (٤/ ١٣٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه: باب ما جاء في أهل الشام (٦/ ٤٠٩- ٤١٠)، وابن حبان في صحيحه ذكر دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم بالبركة للشام واليمن وستة أبواب بعده (١٦/ ٢٩٠- ٢٩٧)، والبغوي في شرح السنة: باب ذكر الشام (١٤/ ٢٠٦- ٢١٢) وغيرهم.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يكشف الغمة عن أهل الشام، ويرفع ما نزل بهم من بلاء وشدة، ويعجّل لهم بالنصر والفرج والتمكين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ومن فضائل الأزمنة ما ورد في هذه الرؤيا في شأن ليلة القدر:

٦–عن أبي سلمة قال: انطلقت إلى أبي سعيد الخدري فقلت: ألا تخرج بنا إلى النخل نتحدث، فخرج فقال: قلت: حدثني ما سمعت من النبي – صلى الله عليه وسلم – في ليلة القدر؟ قال: اعتكف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عشر الأول من رمضان، واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك. فاعتكف العشر الأوسط، فاعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك. قام النبي – صلى الله عليه وسلم – خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «من كان اعتكف مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فليرجع فإني أريت ليلة القدر، وإني نسيتها، وإنها في العشر الأواخر وفي وتر، وإني رأيت كأني أسجد في طينٍ وماء». وكان سقف المسجد جريد النخل، وما نرى في السماء شيئًا، فجاءت قزعة فأمطرنا، فصلى بنا النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأَرْنَبَتِه تصديقَ رؤياه.[1]

وأما فضائل الأعمال الواردة في الرؤى والتعابير النبوية فكثيرة جدًّا، نذكر أمثلة منها:

- **فضل الهجرة إلى الله ورسوله:**

٧–عن جابر – رضي الله عنه – قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمكة فقال: يا رسول الله هلم إلى حصن وعدد وعدة – قال أبو الزبير: حصن في رأس الجبل لا يؤتى إلا في مثل الشراك – فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمعَكَ مَن وراءك؟» قال: لا أدري. فأعرض عنه، فلما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة قدم الطفيل بن عمرو مهاجرًا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه رجلٌ من رهطه، فحُمَّ ذلك الرجلُ حُمًّى شديدة، فجزع، فأخذ شفرة فقطع بها رواجبه، فتشخبت حتى مات، فدفن، ثم إنه جاء فيما يَرى النائمُ من الليل إلى الطفيل بن عمرو في شارة حسنة وهو مخمر يده، فقال له الطفيل: أفلان! قال: نعم. قال: كيف فعلت؟ قال: صنع بي ربي خيرًا، غفر لي

---

[1] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٤٤١).

بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. قال: فما فعلتْ يداك؟ قال: قال لي ربي: لن نُصلحَ منك ما أفسدتَ من نفسك. قال: فقَصَّ الطفيلُ رؤياه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يديه: «اللهم وليديه فاغفر، اللهم وليديه فاغفر، اللهم وليديه فاغفر».[1]

• **فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله:**

٨– حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تُعجِبُه الرؤيا، فربما رأى الرجلُ الرؤيا فسأل عنه إذا لم يَكن يَعرفُه، فإذا أُثْنِيَ عليه معروفًا كان أعجَبَ لرؤياه إليه، فأتَتْه امرأةٌ فقالت: يا رسولَ الله! رأيتُ كأنِّي أُتِيتُ فأُخرجتُ من المدينة فأُدخلتُ الجنَّة، فسمعتُ وَجْبةً انْتَحَتْ لها الجنة، فنظرتُ فإذا فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، فسَمَّت اثني عشرَ رجلاً كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعثَ سَرِيّةً قَبْلَ ذلك، فجيءَ بهم عليهم ثيابٌ طُلْسٌ، تَشْخُبُ أوداجُهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهرِ البَيْذَخ – وفي لفظ: نهر البيدح – قال: فغُمِسُوا فيه، قال: فخَرَجُوا ووجُوهُهم كالقمر ليلةَ البدر – وفي رواية: ثم أُتُوا بكراسِيَ من ذهبٍ فقعدوا عليها – فأُتُوا بصَحْفَةٍ من ذهب فيها بُسْرَة، فأكلوا من بُسُرِه ما شاؤوا، ما يُقلِّبُونها من وجهٍ إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلتُ معهم. فجاء البشيرُ من تلك السَّرِيَّة فقال: كان من أمرنا كذا وكذا، فأصيبَ فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، حتى عد اثني عشرَ رجلاً. فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالمرأة فقال: «قُصِّي رُؤياك». فقَصَّتْها وجعلتْ تقولُ: جيءَ بفلانٍ وفلانٍ، كما قال الرجل.[2]

• **فضل الإكثار من الصلاة بالليل:**

٩– حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: لما اضطجعتُ ليلةً قلتُ: اللهم إن كنت تعلم فيَّ خيرًا فأرني رؤيا. فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان، في يد كل واحد منهما مِقْمَعَةٌ من حديد، يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنم! ثم أراني لقيني ملك في يده مِقْمَعَةٌ من حديد، فقال: لم تُرَع، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عبد الله رجل صالح». فقال نافع: لم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة.[3]

---

[1] أخرجه مسلم، وهذا اللفظ لابن حبان، وتقدم تخريجه (ص: ٣١٠).

[2] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٤٩٦).

[3] متفق عليه، وتقدم تخريجه (٣٢٠).

المطلب الخامس: مسائل متعلقة بالرؤى والتعابير:

بما أن موضوع هذه الرسالة: الرؤى والتعابير في الكتاب والسنة؛ فإني أختمها بجملة من المسائل المتعلقة بالرؤى والتعابير، مستنبطًا إياها من الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية[1]، مرتِّبًا لها على النحو التالي:

- **عناية النبي** – صلى الله عليه وسلم – **بالرؤى وحرصه على تعبيرها.**

كما في حديث سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا». قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص.

وفي رواية: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟». قال فإن رأى أحد قصها، فيقول: «ما شاء الله». فسألنا يومًا فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟». قلنا: لا. قال: «لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ...».[2]

- **عناية الصحابة** – رضي الله عنهم – **بالرؤى والتعابير.**

وحرصُهم على عرض رؤاهم على النبي – صلى الله عليه وسلم – وطلبُهم تعبيرَها لديه، كما في حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: إن رجالاً من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقصونها على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقول فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما شاء الله، وأنا غلامٌ حديثُ السن، وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خيرٌ لرأيت مثل ما يرى هؤلاء. فلما اضطجعتُ ليلةً قلتُ: اللهم إن كنتَ تعلم فيَّ خيرًا فأرني رؤيا. فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان، في يد كل واحد منهما مِقْمَعَةٌ من حديد، يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنم! ثم أراني لقيني ملك في يده مِقْمَعَةٌ من حديد، فقال: لم تُرَع، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة. فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مِقْمَعَةٌ من حديد،

---

[1] وقد سبق ذكر جملة من مسائل الرؤى والتعابير المستنبطة من الرؤى والتعابير الواردة في القرآن الكريم (ص: ١٩٥ – ٢٠١).

[2] متفق عليه، تقدم تخريجه (ص: ٣٦).

وأرى فيها رجالاً معلقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عبد الله رجل صالح». فقال نافع: لم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة.[١]

- **بعض الرؤى في عهد النبي** - صلى الله عليه وسلم - **كان سببًا لتشريع بعض الأحكام**.

كما مرَّ معنا في حديث عبد الله بن زيد - رضي الله عنه - في قصة الأذان، وفي حديث طفيل بن سخبرة - رضي الله عنه - في النهي عن قول: (ما شاء الله وشاء محمد)، وحديث ابن عباس وأبي سعيد - رضي الله عنهم - في سجود التلاوة والدعاء فيه.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً[٢] رأى فيما يرى النائم قيل له: بأي شيء أمركم نبيُّكم صلى الله عليه وسلم؟ قال: أمرنا أن نسبح ثلاثًا وثلاثين، ونحمد ثلاثًا وثلاثين، ونكبر أربعًا وثلاثين، فتلك مائة. قال: سبحوا خمسًا وعشرين، واحمدوا خمسًا وعشرين، وكبروا خمسًا وعشرين، وهللوا خمسًا وعشرين، فتلك مائة. فلما أصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعلوا كما قال الأنصاري».[٣]

- **رؤيا الرجل الصالح أقرب إلى الحق**.

كما في حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثني عليه معروفًا كان أعجب لرؤيا إليه.[٤]

وفي رواية: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تعجبه الرؤيا الحسنة، وكان فيما يقول: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟»، فإذا رأى الرجل الذي لا يعرفه سأل عنه، فإن أخبر عنه بمعروف كان أعجب لرؤياه.[٥]

---

[١] متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص: ٣٢٠).

[٢] وعند النسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٠٢ رقم: ١٢٧٦): أن رجلاً من الأنصار.

[٣] أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٤٧٩ رقم: ٣٤١٣) وقال: هذا حديث صحيح، والنسائي في سننه (٣/ ٧٦ رقم: ١٣٥١). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٠- ٢١١).

[٤] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ١٠١).

[٥] أخرجه عبد بن حميد كما في المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢/ ٢٦٩ رقم: ١٢٧٣) وإسناده صحيح.

- **لا ينبغي التحدُّث بكل رؤيا لكل أحد.**

فإن من الرؤى ما لا ينبغي التحدُّث به إلى أحد، ومنها ما لا يحدَّث به إلا لعالم وادٍّ ناصحٍ ذي رأي. فعن جابر - رضي الله عنه - قال: جاء أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله! رأيت في المنام كأن رأسي ضُرِبَ فتدَحْرَجَ فاشتَدَدْتُ على أثره. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للأعرابي: «لا تحدِّثِ الناسَ بتلَعُّب الشيطان بك في منامك». وقال سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - بعدُ يخطب فقال: «لا يحدِّثَنَّ أحدُكم بتلعُّب الشيطان به في منامه».[١]

ولما رأى طفيلُ بن سخبرة - رضي الله عنه - رؤيا وحكاها على النبي - صلى الله عليه وسلم - سأله: «هل حدَّثْتَ بها أحدًا قبلي؟» قال: نعم، يا نبي الله! فقام - صلى الله عليه وسلم - على المنبر، فقال: «إن أخاكم رأى رؤيا قد حدثكم بما رأى، إنما كان يمنعني أن أنهاكم من ذلك الحياء، فإذا قلتم فقولوا: ما شاء الله وحده».[٢]

- **ينبغي تعبير الرؤيا على خير، فإن الرؤيا على ما يعبرها صاحبها.**

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف، فكانت ترى رؤيا كلما غاب عنها زوجها، وقلَّما يغيب إلا تركها حاملاً، فتأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتقول: إن زوجى خرج تاجرًا وتركنى حاملاً، فرأيتُ فيما يرى النائم أن سارية بيتى انكسرت، وأني ولدت غلامًا أعور. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيرٌ، يرجع زوجك عليك - إن شاء الله تعالى - صالحًا، وتلدين غلامًا برًّا». فكانت تراها مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك تأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول ذلك لها، فيرجع زوجها وتلد غلامًا، فجاءت يومًا كما كانت تأتيه ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - غائب، وقد رأت تلك الرؤيا، فقلت لها: عم تسألين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا أمة الله؟ فقالت: رؤيا كنت أراها فآتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسأله عنها، فيقول خيرًا، فيكون كما قال. فقلت: فأخبريني ما هي؟ قالت: حتى يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعرضها

---

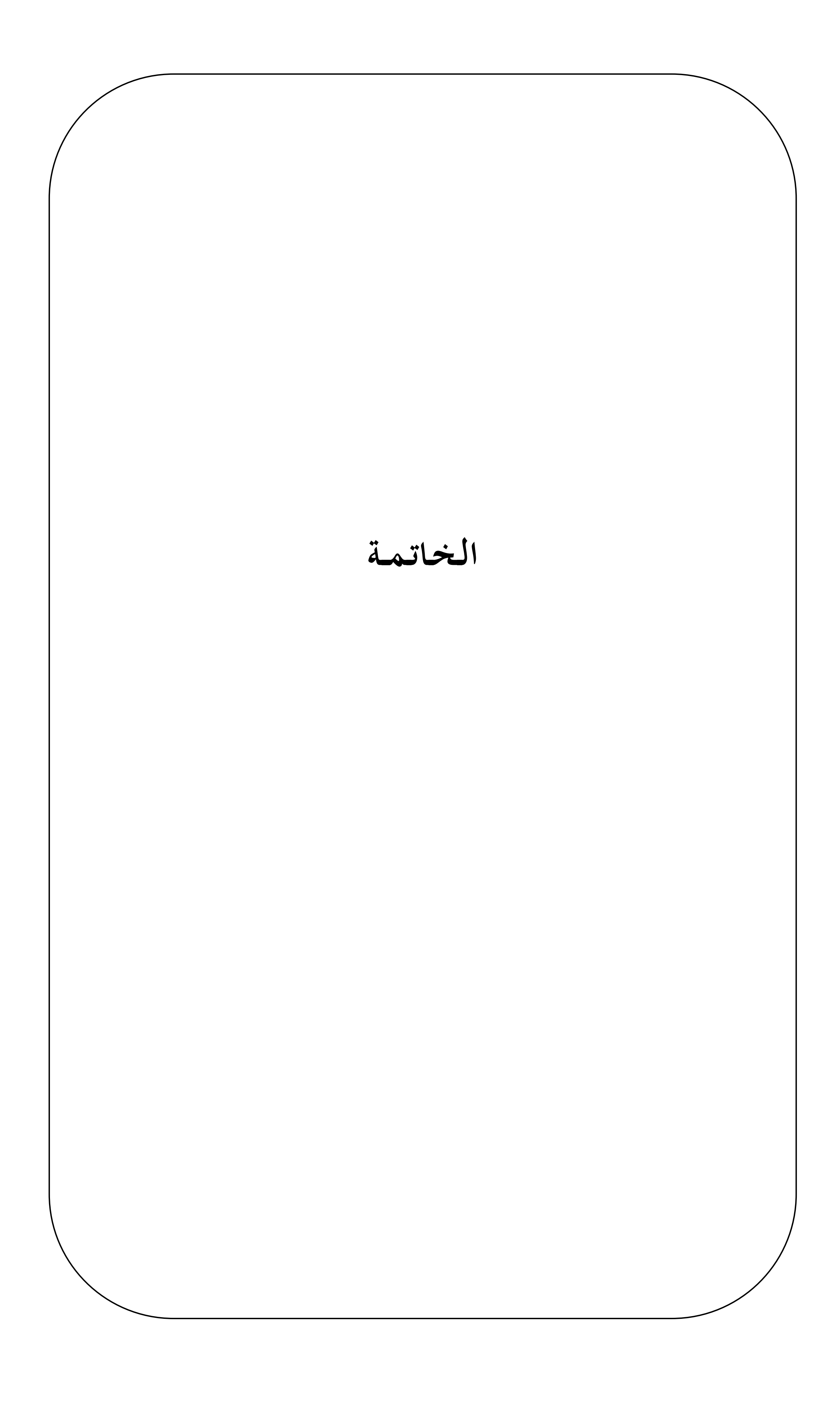
[١] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا باب لا يخبر بتلاعب الشيطان به في المنام (٤/ ١٧٧٦ رقم: ٢٢٦٨).

[٢] حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص: ٣٢٣).

عليه كما كنت أعرض. فوالله ما تركتُها حتى أخبرتني، فقلت: والله لئن صدقَتْ رؤياكِ ليموتَنَّ زوجُكِ وتلدين غلامًا فاجرًا. فقعَدَتْ تبكي، وقالت: ما لي حينَ عرضتُ عليك رؤياي؟ فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي تبكي، فقال لها: «ما لها يا عائشة؟». فأخبرتُه الخبرَ وما تأوَّلتُ لها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَهْ يا عائشة، إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير، فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها». فمات والله زوجها، ولا أراها إلا ولدت غلامًا فاجرًا.[1]

---

[1] أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ١٣٨٠ رقم: ٢٢٠٩)، ورجال إسناده ثقات، غير أن فيه عنعنة ابن إسحاق، ومع ذلك فقد حسن الحافظ إسناده في الفتح (١٢/ ٤٣٢).



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده سبحانه وتعالى حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، بما أنعم ويسَّر وأعان على إتمام هذا البحث: «الرؤى والتعابير في الكتاب والسنة– دراسة عقدية» وقد توصلت من خلاله إلى نتائج ألخصها في النقاط التالية:

١- أن للرؤى والتعابير مكانة علية، وشأنًا عظيمًا في حياة الناس عمومًا، ولدى المسلمين منهم خصوصًا، فقد اهتمت بها الأمم قديمًا وحديثًا، وعني بها الكتاب والسنة وعلماء سلف الأمة وأئمتها، وترتبت عليها آثار عظيمة، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو الأمة، فكانت حَرِيَّة بالدراسة والبحث والتحقيق.

٢- أن لفظ «الرؤيا» يطلق في اللغة على ما يراه النائم في منامه، وربما أطلق على ما يُرى في اليقظة أيضًا، ومن الثاني قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]، على الراجح، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هي رؤيا عين أُرِيَها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليلة أسري به إلى بيت المقدس». وعليه فلا حجة في هذه الآية لمن ذهب إلى أن الإسراء والمعراج كانا منامًا.

٣- أن الرؤى تنقسم إلى أقسام عديدة باعتبارات مختلفة، فهي تنقسم باعتبار حقيقتها إلى رؤى صادقة وأضغاث أحلام. وباعتبار مصدرها إلى رؤيا من الله، ورؤيا من الشيطان، ورؤيا ناتجة عن حديث النفس. وباعتبار آثارها إلى رؤيا مبشرة، ومنذرة، ومحزنة. وباعتبار أصحابها إلى رؤيا الأنبياء، ورؤيا الصالحين، ورؤيا المستورين، ورؤيا الفاسقين، ورؤيا الكفار. وباعتبار حجيتها إلى ما هو حجة بنفسها، أو بإقرار الشارع، وما ليس بحجة ولكن يستأنس به، وما ليس بحجة ولا يستأنس به أيضًا.

٤- أن من أغراض الرؤى وحِكَمها: الوحي إلى الأنبياء في المنام، إرهاص وتمهيد لإرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري بالنبوة والرسالة، بشرى للعبد المؤمن وإعانة له على الاستقامة على دين الله، نذارة للرائي أو المرئي له، كشف وإلهام في المنام لغير الأنبياء، هداية وإرشاد إلى خيري الدنيا والآخرة.

٥- أن للرؤيا علاقة بالروح فهي مجال لتلاقي الأرواح، ولها علاقة بالوحي إذ هي نوع من أنواع الوحي، ولها علاقة بالنبوة فهي جزء من أجزائها كما ثبت ذلك في السنة الصحيحة.

٦- من خصائص رؤيا الأنبياء – عليهم السلام – أنها كلها صادقة صالحة لا سبيل للشيطان إليها، وأنها وحي من الله تعالى، فهي حجة واجبة الاتباع، وتمتاز بكون أصحابها تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. وتختص تعابيرهم بكونها أصدق التعابير وأصحها؛ لأنهم مؤيدون بالوحي من الله تعالى، ولا يُقَرُّون على خطأ. ولرؤى نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وتعابيره من هذه الخصائص أفضلها وأكملها، وتمتاز عليها بكثرة ما حفظ ونقل إلينا منها، وبشموليتها لكثير من الجوانب الدينية والدنيوية والأخروية.

٧- من مظاهر اهتمام الدين الإسلامي بالرؤى والتعابير ورود نماذج منها في المصدر الأول من مصادره وهو القرآن الكريم، فقد اشتمل القرآن الكريم على ست رؤى، قُرنتْ ثلاثٌ منها بتعابيرها، وتضمنت مسائل مهمة وفوائد جليلة، وهي: رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام، ورؤيا نبي الله يوسف عليه السلام، رؤيا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر، ورؤياه قبل صلح الحديبية، ورؤيا صاحبي يوسف – عليه السلام – في السجن، ورؤيا ملك مصر في عهد يوسف عليه السلام.

٨- من أهم دلالات رؤيا نبي الله إبراهيم – عليه السلام – العقدية:

أ- أن رؤيا الأنبياء – عليهم السلام – حق ووحي من الله عز وجل؛ ذلك لأنه – عليه السلام – امتثل ما ورد في رؤياه من ذبح ابنه البكر الوحيد، فعزم على ذلك واتخذ الأسباب المؤدية إليه، ففداه الله بذبح عظيم، ولولا أنها وحي معصوم لما أقدم على ذلك؛ لأن قتل النفس المعصومة من كبائر الذنوب.

ب- أن الذبيح هو إسماعيل، وليس إسحاق عليهما السلام؛ فإن الله تعالى ذكر في سياق قصة الذبيح بشارتين لخليله إبراهيم عليه السلام: الأولى بغلامٍ حليمٍ أُمِرَ بذبحه، فلما استوفى قصته؛ ذكر البشارة الأخرى بإسحاق نبيًّا من الصالحين، فدل على أن المبشَّرَ به ثانيًا غيرُ الغلام الحليم المبشَّرِ به أولًا. وهناك أدلة أخرى على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، أوردتها وناقشت أدلة القائلين بأن الذبيح هو إسحاق، وأجبت عنها.

٩- من أهم الدلالات العقدية لرؤيا نبي الله يوسف وتعبير أبيه يعقوب – عليهما السلام – لها:

أ- أن يوسف – عليه السلام – كان هو المجتبى بالنبوة من بين إخوته، ولم يكن إخوته أنبياء على الراجح من أقوال العلماء.

ب- الأصل أن السجود نوع عبادة لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، وهو هيئة من هيئات الخضوع والتذلل والتعظيم لا تنبغي إلا لله عز وجل، ولا يجوز السجود لغير الله - ولو لقصد التحية والتكريم - إلا إذا كان بأمر من الله - جل وعلا - أو بإذن منه تعالى، وذلك كسجود الملائكة لآدم - عليه السلام - حيث كان بأمر من الله عز وجل، وكسجود أبوي يوسف وإخوته له حيث كان بإذن من الله جل شأنه، فهما مخصوصان من عموم النهي عن السجود لغير الله جل جلاله، فلا يقاس عليهما غيرهما من السجود لغير الله، لأنه حينئذ يكون قياسًا للمنهي عنه على المأمور به والمأذون فيه، وهذا قياس فاسد. ومن هنا فإن القول بأن السجود المعهود - أي وضع الجبهة على الأرض - لأجل التحية والتكريم كان شرعًا عامًّا لمن قبلنا، أو أنه كان جائزًا على الإطلاق في شرع من قبلنا ثم نسخ أو منع في شرعنا؛ قولٌ يفتقر إلى دليل صحيح وصريح، لأنه خروج عن الأصل في السجود.

١٠- من أهم الدلالات العقدية لرؤيا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل الحديبية: جواز قول: «إن شاء الله» في الأمور المتيقنة غير المشكوك فيها، بما في ذلك مسألة الإيمان، فقد استدل كثير من العلماء بآية الفتح: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [الفتح: ٢٧] على جواز الاستثناء في الإيمان، وأنه لا يلزم من ذلك الشك في الإيمان أو التردد فيه، إذ يجوز الاستثناء في الأمور المتيقنة غير المشكوك فيها.

١١- من أهم الدلالات العقدية لرؤيا صاحبي يوسف - عليه السلام - في السجن: أن إطلاق اسم «الرب» على غير الله - عز وجل - لا يجوز إذا قصد به كمال وتمام معانيه التي لا تليق إلا بالله جل شأنه، أو كان معرفًا بالألف واللام، أو كان مضافًا إلى ما لا يمكن دخوله في ملك مخلوق أو تصرفه، أو ما من شأنه أن لا يقال إلا في الباري تعالى، مثل: رب العالمين، رب جبرائيل وميكائيل، رب السموات والأرض. وكذلك يكره إطلاقه مضافًا إلى ضمير المتكلم أو المخاطب من المخلوقين، مثل أن يقال لمخلوق: ربي، أو ربُّك؛ لصراحة النهي عن ذلك في الحديث، ولا بأس بإطلاقه مضافًا إلى ضمير الغائب، مثل: «أن تلد الأمة ربها». أو إلى غير المكلفين مما لا يتعبَّدُ التعبُّدَ التكليفي الشرعي من سائر الحيوانات والجمادات، مثل: رب الإبل؛ لانتفاء المحذور في ذلك.

١٢- من أهم الدلالات العقدية لرؤيا ملك مصر في عهد يوسف عليه السلام:

أ- أن ما كان من الأسماء الحسنى له معنى كلِّيٌّ يتفاوت الحكم فيه بين أفراده كالمَلِك، والعزيز ونحوهما؛ جاز إطلاقها على الخالق وعلى المخلوق، ولكلٍّ حُكمه ومعناه، ولا يلزم من ذلك التماثل، لاختصاص كل مسمى بسمات تميزه عن غيره، وبهذا يعرف الفرق بين تسمية الله بلفظ الجلالة، وتسميته بأسماء لها معانٍ كلية تشترك أفرادها فيها، فلا تقاس على لفظ الجلالة.

ب- أن وصف الزمان بما يقع فيه مما قدره الله من الخير والشر؛ لا يدخل في سب الدهر المنهي عنه، لأنه خبر محض عمَّا جرى فيه من قدر الله، ففرق بين سب الدهر وبين وصفه، فالأول يراد به العيب والعتب، والثاني لا يراد به إلا البيان والخبر.

١٣- أما الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية الصحيحة فكثيرة جدًّا، جمعتُ منها في الفصل الثالث من هذا البحث زهاء ستين رؤيا وتعبيرًا، وجاءت مشتملة على جميع أبواب العقيدة تقريبًا، ولهذا آثرت تقسيمها على أبواب العقيدة، ودراستها ضمن تلك الأبواب.

١٤- جاءت الرؤى والتعابير في السنة النبوية مؤكدة إفراد الله - عز وجل - بالربوبية والألوهية ونفي الشريك عنه فيهما، كما جاءت بإثبات جملة من الصفات لله جل شأنه، مثل: الإتيان، البركة والتبارك، العلو والتعالي، الصورة، القول أي الكلام، اليد ووصفها بالبرودة، الكف، الأنامل ووصفها بالبرودة، المغفرة، الرحمة، الإرادة، المشيئة، نفي الابن عن الله، تنزيه الله عن النقائص. كما ورد فيها إثبات رؤية الله تعالى في الدنيا في المنام.

١٥- وجاءت كذلك مثبتة وجود الملائكة إجمالاً، وذكر جملة من أسمائهم وصفاتهم وأفعالهم تفصيلاً، فيجب الإيمان بهم إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل.

١٦- ودلت كذلك على إثبات الكتب المنزلة من عند الله عز وجل، وعلى تسمية بعضها، وفضل من تعلمها وعمل بها، وعقوبة من رفضها وترك العمل بها.

١٧- ودلت أيضًا على إثبات النبوة والرسالة لجملة من الرسل، مع بيان أسمائهم وطرفٍ من أوصافهم، وامتاز نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - عن سائر الأنبياء بأنه أكثر من حفظ له وعنه وفيه من الرؤى والتعابير، وقد وردت الرؤى والتعابير بتفاصيل كثيرة في أوصاف نبينا - صلى الله عليه وسلم - وحقوقه وفضائله.

١٨- أن الراجح في عزير أنه ليس بنبي، بل كان رجلاً صالحًا أو حبرًا من أحبار اليهود.

١٩- أن النبوة والرسالة قد انقطعتا بموت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فلا نبوة ولا رسالة تنشأ بعده، لا نبوة تشريع، ولا نبوة عامة كما يزعم ابن عربي، وأما عيسى - عليه السلام - فنبوته ورسالته سابقة لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولا ينزل بنبوة جديدة ولا برسالة ناسخة.

٢٠- أن حديث سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث صحيح في أعلى مراتب الصحة، يجب تصديق ما ورد فيه، وكونه خبر آحاد لا يبرر رده، وهو لا يتعارض مع شيء من آيات القرآن الكريم، ولا مع عصمته صلى الله عليه وسلم، ولا يصدِّقُ ما رمى به المشركون النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه كان رجلاً مسحورًا، فإنهم أرادوا شيئًا غير الذي دل عليه الحديث، وتأثير هذا السحر على النبي - صلى الله عليه وسلم - كان تأثيرًا جسمانيًّا، لم يخالط عقلَه، ولم يُخلَّ باعتقاده، وإنما كان يرى أنه يأتي أهله ولم يأتهم، مع يقينه بأنه لم يفعل، ولا يجوز تجاوز ذلك إلى افتراضات واحتمالات لا يحتمله، ومثل هذا التأثير لا يحط من منصب النبوة، ولا يشكك في الرسالة، بل فيه من الحِكَم ما يجعله خيرًا ومصلحة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وللأمة جميعًا.

٢١- دلت الرؤى والتعابير في السنة النبوية على إثبات يوم الآخر، ووجوب الإيمان به إجمالاً وتفصيلاً، ويدخل فيه الإيمان بالموت وما بعده من أحداث، كعذاب القبر ونعيمه، والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار. كما يدخل فيه الإيمان بأشراط الساعة الصغرى والكبرى.

٢٢- كما دلت على إثبات القدر، وأن كل شيء واقع بمشيئة الله تعالى، وأن للمخلوق أيضًا مشيئة واختيارًا، ولكنها تابعة لمشيئة الله تعالى.

٢٣- كما دلت على أن أطفال المسلمين وأطفال المشركين في الجنة، وهذا شبه إجماع بالنسبة لأطفال المسلمين، أما أطفال المشركين فقد اختلف العلماء فيهم اختلافًا كثيرًا، وتعددت فيهم أقوالهم، وذلك لاختلاف النصوص الواردة في شأنهم، وبعد استعراض مذاهب العلماء وأقوالهم في مسألة أطفال المشركين في الآخرة، ومناقشة أدلتهم، والمقارنة بينها؛ خلُصْتُ إلى ما يلي:

- أنه لا يجوز الخوض في هذه المسألة بلا علم، أو بما يخالف الكتاب والسنة، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما. وأما الكلام فيهم بالعلم الذي بيَّنه الله ورسوله فمأمورٌ به، وهو الذي ينبغي للإنسان طلبه.
- وأنه لا يقطع لأحد معين منهم بجنة ولا نار، بل يقال فيهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بما كانوا عاملين». لحديث أبي هريرة وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم.
- وأن أرجح المسالك في هذه المسألة هو الجمع بين ما ورد فيها من الأدلة وإعمالها كلها، وأقوى الأوجه في ذلك هو أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، وبهذا القول تجتمع الأدلة ويتلملم شملها، والله تعالى أعلم.

٢٤- فضائل الصحابة - رضي الله عنهم - ومناقبهم أشغلت حيزًا كبيرًا من الرؤى والتعابير الواردة في السنة النبوية، بل إن معظمها فيهم، وهذا يدل على أهمية أمرهم، وجلالة شأنهم، وعلو منزلتهم. وهذه الرؤى والتعابير النبوية تفصل في قضايا اختلف الناس فيها، وتثبت فضائل أنكرها شراذم من الناس، وتلقم حجرًا أفواهَ قومٍ تفوهوا بالطعن في هذه الصفوة المختارة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

٢٥- كما دلت على مسائل أخرى عقدية ومتفرقة؛ كفضل الإسلام، وأن العمل من الإيمان، وأن الناس متفاوتون فيه، وأن الكبائر والمعاصي لا تنافي الإيمان ولا تبطله، وأنه لا يُقطَعُ لأحدٍ من أهل القبلة بجنةٍ ولا نارٍ إلا من شهدَ له الشارع بذلك، وانحراف اليهود والنصارى وعداوتهم لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته، وفضائل بعض الأماكن والأزمان والأعمال، ومسائل متعلقة بالرؤى والتعابير.

هذا وإني أوصي في نهاية هذه الدراسة المهتمين بتعبير الرؤى أن يدرسوا الرؤى والتعابير الواردة في الكتاب والسنة، ويستنبطوا منها القواعد والضوابط التي يبنون عليها في تعبيرهم الرؤى، حتى يسلموا - بإذن الله - من الوقوع في الزلل، كما أوصي طلبة العلم بإعطاء هذا الباب حقه من البحث والدراسة والكتابة.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

- فهرس المصادر
- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس معاني المفردات الغريبة
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس الموضوعات

فهرس المصادر

١- آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني (١٣٨٦هـ)، اعتنى به: مجموعة من الباحثين، وفق المنهج المعتمد من الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.

٢- آداب الشافعي ومناقبه، للإمام ابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣- الآداب الشرعية، للإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (٧٦٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيّام، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤- الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات، للشيخ نعمان بن محمود الآلوسي (١٣١٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الرابعة.

٥- الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء، للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: أبو عبد الله القاضي، دار الحديث— القاهرة، طبعة جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ.

٦- الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري (٣٣٠هـ)، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار- القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٧- الإبانة الكبرى، للإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد المعروف بابن بَطَّة العُكْبَري (٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي وعثمان الأثيوبي ويوسف الوابل والوليد بن سيف النصر وحمد التويجري، دار الراية- الرياض.

٨- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية- الكويت.

٩- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، للشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد (١٤٢٩هـ)، دار العاصمة- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٠- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري (١٤١٣هـ)، دار الصميعي- الرياض- السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للإمام أبي العباس أحمد بن أبي بكر البوصيري (٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٢- إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (شرح العقيدة الطحاوية)، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، تحقيق: سليمان القاطوني، دار المودة- المنصورة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١١م.

١٣- الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

١٤- إتمام الدراية لقراء النقاية، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٥- إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: د. شرف محمود القضاة، دار الفرقان- عمان الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١٦- أحكام أهل الذمة، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: يوسف ابن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، دار رمادى- الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٧- الإحكام في أصول الأحكام، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٨- الإحكام في أصول الأحكام، للإمام أبي الحسن علي بن محمد الآمدي (٦٣١هـ)، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٩- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى.

٢٠- أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢١- أخبار أصبهان، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٤٣٠هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٢- الاختصاص (من مصادر الشيعة)، لمحمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بـ الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، منشورات الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان.

٢٣- اختلاف الحديث، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)، تحقيق : عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٤- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، للشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد، مكتبة دار الزمان- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٥- الأذكار النووية، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، تحقيق: محيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٢٦- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، للشيخ الدكتور صالح بن فوزان ابن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي- السعودية- الدمام، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٧- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (٤٧٨هـ)، تحقيق: محمد يوسف وعلي عبد الحميد، مكتبة الخانجي- مصر ، طبعة عام ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م.

٢٨- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني (٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية- مصر، الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ.

٢٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي — بيروت.

٣٠- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٣١- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ).

٣٢- الاستذكار، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام أبي الحسن علي بن أبي الكرم الجزري ابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٣٤- أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ)، دار الشريعة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣٥- أسماء الكتب، لعبد اللطيف بن محمد رياض زاده (١٠٨٧هـ)، تحقيق: د. محمد التونجي، دار الفكر- دمشق- سورية، طبعة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣٦- الأسماء والصفات، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي- جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣٧- أشراط الساعة، للشيخ يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، دار ابن الجوزي- الدمام- السعودية، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٢٢هـ.

٣٨- أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار، لأبي مروان عبد الملك بن حَبِيب السلمي الإلبيري القرطبي (٢٣٨هـ)، تحقيق: عبد الله من الغماري، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٣٩- إشكال وجوابه في حديث أم حرام بنت ملحان، لأبي عمر علي بن عبد الله الصياح المطيري، تقديم الشيخ المحدث: عبد الله السعد، دار المحدث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٤٠- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٤١- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٤٢- الأصول الخمسة في علم الكلام، للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسدآبادي المعتزلي (٤١٥هـ)، تحقيق: فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٤٣- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي- الرياض- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٤٤- أصول السنة، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٤٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٤٦- أطراف الغرائب والأفراد للإمام الدارقطني، للإمام أبي الفضل ابن القيسراني (٥٠٧هـ)، تحقيق: محمود نصار والسيد يوسف، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٧- إظهار الحق، للعلامة محمد رحمت الله العثماني الهندي الحنفي (١٣٠٨هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٩- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٥٠- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، للإمام أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني (٥٨٤هـ)، دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد-الهند، الطبعة الثانية ١٣٥٩هـ.

٥١- الاعتصام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٥٢- اعتقاد أئمة الحديث، للإمام أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني (٣٧١هـ)، تحقيق: د. محمد الخميس، دار العاصمة- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٥٣- اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٥٤- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، للإمام البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٥٥- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

٥٦- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ)، تحقيق ودراسة: محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٥٧- أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (٤٥٠هـ)، دار ومكتبة الهلال- بيروت، الطبعة الأول ١٤٠٩هـ.

٥٨- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١هـ)، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي- القاهرة.

٥٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل لبنان- بيروت، طبعة سنة ١٩٧٣هـ.

٦٠- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده- تفسير القرآن، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٦١- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف- الرياض- السعودية.

٦٢- الإفصاح عن معاني الصحاح، لأبي المظفر يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ (٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ.

٦٣- الإقناع في مسائل الإجماع، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الشهير بـ ابن القطان (٦٢٨هـ)، تحقيق: حسن فوزي الصعيدي، دار الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٦٤- الإكليل في استنباط التنزيل، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة عام ١٤٠١هـ.

٦٥- إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم)، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء- مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٦- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للإمام يحيى بن أبي الخير العمراني (٥٥٨هـ)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف- الرياض، طبعة ١٩٩٩م.

٦٧- إنجيل برنابا، ترجمة: خليل سعادة، تقديم ونشر: محمد رشيد رضا، تعريف: أحمد حجازي السقا، دار البشير- القاهرة.

٦٨- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث- مصر، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٦٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، لأبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٧٠- أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (٦٨٤هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٧١- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام أبي محمد جمال الدين بن يوسف ابن هشام الأنصاري المصري (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة السادسة ١٣٩٤هـ.

٧٢- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، للقاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (٧٣٣هـ)، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٧٣- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للأديب المؤرخ إسماعيل باشا بن محمد أمين البابابي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت — لبنان.

٧٤- الإيمان، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- عمان- الأردن، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ.

٧٥- الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة، للشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مدار الوطن للنشر- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٧٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (من مصادر الشيعة الإمامية)، لمحمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧٧- البحر الزخار (مسند البزار)، للإمام أبي بكر البزار (٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م- ٢٠٠٩م.

٧٨- بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (٣٧٣هـ)، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر- بيروت.

٧٩- البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية لبنان- بيروت، طبعة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٨٠- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

٨١- بدائع الفوائد، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: معروف مصطفى زريق ومحمد وهبي وعلي عبد الحميد بلطه جي، دار الخير- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٨٢- البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٣- البردة شرحًا وإعرابًا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، لمحمد يحيى حلو، مراجعة: محمد علي حميد الله، دار البيروتي- دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ.

٨٤- برنامج الوادي آشي، لمحمد بن جابر الوادي آشي التونسي (٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد محفوظ، دار المغرب الاسلامي- أثينا- بيروت، طبعة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٨٥- البعث والنشور، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٨٦- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم- المدينة، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

٨٧- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها (شرح مختصر صحيح البخاري)، للإمام المحدث أبي محمد عبد الله ابن أبي جمرة (٦٩٩هـ)، مطبعة الصدق الخيرية- مصر، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

٨٨- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة- مكة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٨٩- بيان مذاهب الباطنية وبطلانه (منقول من كتاب قواعد آل محمد)، لمحمد الحسن الديلمي (من أعيان القرن الثامن)، عني بتصحيحه: ر. شتر وطمان، مكتبة المعارف- الرياض.

٩٠- تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٩١- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٩٢- تاريخ الأمم والملوك، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٩٣- تاريخ بغداد وذيوله، للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٩٤- التاريخ الكبير، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد- الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٩٥- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، للحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (٤٠٣هـ)، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني- القاهرة، طبعة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٩٦- تاريخ مدينة دمشق، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٩٧- تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الملقب بـ "أبابطين" (١٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد السلام بن برجس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٩٨- تأويل مختلف الحديث، للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر- بيروت- لبنان، طبعة عام ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٩٩- تبسيط العقائد الإسلامية، للشيخ حسن محمد أيوب (١٤٢٩هـ)، دار الندوة الجديدة- بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٠٠- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، للإمام أبي المظفر الإسفراييني (٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٠١- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، طبعة ١٩٨٤م.

١٠٢- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للقاضي البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٠٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للشيخ أبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٠٤- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٥هـ)، دار القلم- بيروت- لبنان، طبعة ١٩٨٤م.

١٠٥- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي (٦٦٨هـ)، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان- الرياض- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٠٦- تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، للعلامة أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٠٧- التدمرية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الثامنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٠٨- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٠٩- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: طارق فتحي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١١٠- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١١١- تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١١٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ)، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وغيره، مطبعة فضالة- المحمدية- المغرب، الطبعة الأولى.

١١٣- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للإمام أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١١٤- التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١١٥- التشيُّع نشأته ومراحل تكوينه، للأستاذ الدكتور أحمد بن سعد آل حمدان الغامدي (١٤٣٤هـ)، دار ابن رجب، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١١٦- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١١٧- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: د.عاصم بن عبد الله القريوني، مكتبة المنار- الأردن، الطبعة الأولى.

١١٨- تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد، للعلامة محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود ، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١١٩- تغليق التعليق على صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: سعيد عبد الرحمن القزقي، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٢٠- تفسير أسماء الله الحسنى، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢- السنة ٣٣- ١٤٢١هـ.

١٢١- تفسير العياشي (من مصادر الشيعة الإمامية)، لأبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي المعروف بالعياشي (٣٢٠هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية- طهران.

١٢٢- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، للشيخ محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٩٠م.

١٢٣- تفسير القرآن العزيز، للإمام ابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ)، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة- محمد الكنز، مكتبة الفاروق الحديثة- مصر- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٢٤- تفسير القرآن الكريم- سورة الصافات، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٢٥- تفسير القرآن الكريم- سورتي الفاتحة والبقرة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي- الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٢٦- تفسير القرآن العظيم، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢٧- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، للإمام ابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)، أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

١٢٨- التفسير القرآني للقرآن، للشيخ عبد الكريم الخطيب (بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي- القاهرة.

١٢٩- تفسير المظهري، للقاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري النقشبندي (١٢٢٥هـ)، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٣٠- تفسير مقاتل بن سليمان، للإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي بالولاء البلخي (١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٣١- تفسير الموطأ، لأبي المطرف عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري القَنَازِعي (٤١٣هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، دار النوادر- قطر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٣٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للعلامة محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١٣٣- تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٣٤- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، للإمام أبي زكريا النووي (٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٣٥- التقرير والتحبير على تحرير الكمال ابن الهمام، لأبي عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن أميرحاج ويقال له: ابن الموقت الحنفي (٨٧٩هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٣٦- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٣٧- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار التوحيد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٣٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام ابن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ.

١٣٩- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

١٤٠- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، لأبي الحسن علي بن أحمد المعروف بـ «ابن خمير» (٦١٤هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٤١- تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول، للشيخ محمد بن عبد الله الإمام، دار الإمام أحمد- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٤٢- التوحيد لله عز وجل، للحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (٦٠٠هـ)، تحقيق: مصعب بن عطا الله الحايك، دار المسلم للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٤٣- التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد، للإمام أبي عبد الله ابن مَنْدَه (٣٩٥هـ)، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٤٤- التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، تصحيح: محمد بن سليمان آل بسام، دار عالم الفوائد- مكة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٤٥- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح القصيدة النونية للإمام ابن القيم، للشيخ أحمد بن إبراهيم (١٣٢٧هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

١٤٦- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن الشافعي المصري (٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر- دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٤٧- التوقيف على مهمات التعاريف، لعبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ)، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٤٨- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني- القاهرة.

١٤٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٥٠- تهذيب اللغة، للإمام أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٥١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٥٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٥٣- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٥٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بـ ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، الطبعة الأولى.

١٥٥- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير ابن جرير الطبري)، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٥٦- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للإمام أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي (٧٦١هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٥٧- جامع الرسائل، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٥٨- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٥٩- الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي- بيروت.

١٦٠- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- اليمامة- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٦١- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، للإمام ابن أبي زيد القيرواني (٣٨٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٦٢- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب- الرياض- المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١٦٣- جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزيز شمس- بإشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٦٤- الجرح والتعديل، للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد- الدكن- الهند، الطبعة الأولى ١٢٧١هـ- ١٩٥٢م.

١٦٥- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٦٦- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، لأبي البركات نعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي (١٣١٧هـ)، قدم له: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، طبعة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٦٧- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٦٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: علي حسن وعبد العزيز العسكر وحمدان محمد، دار العاصمة- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٦٩- الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس (ديوان الإمام الشافعي)، إعداد وتعليق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا- القاهرة، بدون تاريخ.

١٧٠- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الشهير بـ ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، مطبعة المدني- القاهرة.

١٧١- حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد (تحفة المريد على جوهرة التوحيد)، لبرهان الدين إبراهيم الباجوري (١٢٧٦هـ)، تحقيق: علي جمعة، دار السلام- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

١٧٢- حاشية السندي على صحيح البخاري، للحافظ محمد بن عبد الهادي السندي المدني الحنفي (١١٣٨هـ)، دار الفكر.

١٧٣- حاشية كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (١٣٩٢هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

١٧٤- الحاوي للفتاوي، للحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٧٥- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني (٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية- الرياض، طبعة ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٧٦- حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ محمد بن خليفة ابن علي التميمي، مكتبة أضواء السلف- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٧٧- الحياة الآخرة، للدكتور غالب بن علي العواجي، المكتبة العصرية الذهبية- جدة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٧٨- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف- الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٧٩- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار الفضيلة- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٨٠- دَرْجُ الدُّرر في تفسيرِ الآي والسُّوَر، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ)، تحقيق: وليد الحسين وإياد القيسي، مجلة الحكمة- بريطانيا، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٨١- الدر المنثور في التأويل بالمأثور، للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت، طبعة ١٩٩٣م.

١٨٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

١٨٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد، مجلس دائرة المعارف العثمانية- صيدرآباد- الهند، طبعة ١٣٩٢هـ.

١٨٤- درة الغواص في أوهام الخواص، لقاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية- لبنان - بيروت، طبعة سنة ١٤١٨هـ.

١٨٥- دلائل النبوة، للإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، تحقيق: محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٨٦- دلائل النبوة، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية و دار البيان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٨٧- دليل المعلم لشرح ثلاثة الأصول وأدلتها، للشيخ عبد العزيز بن داخل المطيري، معهد آفاق للدراسة عن بعد، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ.

١٨٨- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، للإمام برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون اليعمري (٧٩٩هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي، دار التراث- القاهرة.

١٨٩- ديوان أبي الطيب المتنبي، لأبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي، تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي، دار الشرق العربي- بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

١٩٠- ديوان زهير ابن أبي سلمى، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٩١- الذخيرة (في الفقه المالكي)، للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب- بيروت، سنة النشر ١٩٩٤م.

١٩٢- الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، للدكتور سهل بن رفاع العتيبي، كنوز إشبيليا- السعودية- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٩٣- الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، للإمام عبد الحميد بن عبد الكريم الفراهي (١٣٤٩هـ)، اعتنى به: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار القلم- دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

١٩٤- الرد على الجهمية، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية- باكستان.

١٩٥- الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد- مكة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

١٩٦- الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. رفيق العجم، دار الفكر اللبناني- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٩٧- الرسائل الشخصية، للإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ)، تحقيق: صالح الفوزان ومحمد بن صالح العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية.

١٩٨- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ)، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة، الطبعة ١٤١٣هـ.

١٩٩- الرسالة القشيرية في علم التصوف، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (٤٦٥هـ)، تحقيق: معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٠٠- الرسل والرسالات، للدكتور عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح- الكويت، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٢٠١- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، دراسة وتحقيق: د. بسام علي العموش، دار ابن تيمية- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٠٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٠٣- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٨١هـ)، تحقيق: عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٠٤- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، للإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، تحقيق: د. عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٧هـ.

٢٠٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ.

٢٠٦- زاد المسير في علم التفسير، للإمام ابن الجوزي (٥٩٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م. (طبعة مضغوطة في مجلد واحد).

٢٠٧- الزاهر في معاني كلمات الناس، للإمام أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢٠٨- الزهد، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٠٩- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار كنوز إشبيليا- الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢١٠- سؤالات البرذعي (الضعفاء، وأجوبة أبي زرعة الرازي على سؤالات البرذعي)، للحافظ أبي زرعة الرازي (٢٦٤هـ)، تحقيق: د. سعدي الهاشمي، الجامعة الإسلامية- المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٢١١- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي (٩٤٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢١٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للإمام محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف- الرياض- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢١٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للإمام محمد ناصر الدين لألباني (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف- الرياض- المملكة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢١٤- السنة، للإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (٣١١هـ)، تحقيق: د. عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢١٥- السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (٢٩٠هـ)، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم- الدمام- السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢١٦- السنة، للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد ابن أبي عاصم الشيباني (٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٢١٧- سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢١٨- سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢١٩- سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.

٢٢٠- السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٢١- السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنات، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢٢٢- سير أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة- لبنان- بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.

٢٢٣- السيرة النبوية، للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام البصري (٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

٢٢٤- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير- الرياض.

٢٢٥- شرح الأصبهانية، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج- الرياض- السعودية، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ.

٢٢٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، للإمام أبي القاسم اللالكائي (٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة- الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٢٢٧- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن الخليل الهمذاني (٤١٥هـ)، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢٢٨- شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، للإمام أبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ)، مكتبة العمرين العلمية- الشارقة- الإمارات، تحقيق: جمال عزون، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٢٩- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية — القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٣٠- شرح السنة، للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٣١- شرح الشفا، للملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري (١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٣٢- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي (٤٤٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٢٣٣- شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٢٣٤- شرح العقيدة الطحاوية، للإمام علي بن علي ابن أبي العز الحنفي الدمشقي (٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٢٣٥- شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٢٣٦- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي- السعودية- الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٢٣٧- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن خليل حسن هرّاس (١٣٩٥هـ)، تحقيق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة- الخبر، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

٢٣٨- شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، للشيخ خالد بن عبد الله بن محمد المصلح، دار ابن الجوزي- الدمام- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٣٩- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة الدار- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٤٠- شرح الكوكب المنير (في أصول الفقه)، للعلامة محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار (٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان- الرياض، طبعة عام ١٤١٣هـ.

٢٤١- شرح مشكل الآثار، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

٢٤٢- شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، للشيخ محمد بن عزِّ الدِّين ابن مَلَك الكَرمانيّ (٨٥٤هـ)، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٢٤٣- الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ البغدادي (٣٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن- الرياض- السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٢٤٤- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٤٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ)، مذيلاً بالحاشية المسماة: «مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء»، للعلامة الشمنى (٨٧٣هـ)، دار الفكر، طبعة ١٤٠٩هـ.

٢٤٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: السيد محمد وسعيد محمود، دار الحديث- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٤٧- شفاء العِي بتخريج وتحقيق مسند الإمام الشافعي بترتيب العلامة السندي، لأبي عمير مجدي محمد عرفات المصري، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢٤٨- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة الحرس الوطني السعودي- السعودية.

٢٤٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٨هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٥٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الأصل لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (٣٥٤هـ)، والترتيب لعلي بن بلبان الفارسي (٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٥١- صحيح ابن خزيمة، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

٢٥٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، للإمام محمد بن ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٥٣- صحيح سنن أبي داود- الأم، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٥٤- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للإمام أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، دار الصميعي- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٢٥٥- الصفات، للإمام أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني (٣٨٥هـ)، تحقيق: عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٢٥٦- صفة الجنة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني (٤٣٠هـ)، تحقيق: علي رضا عبد الله، دار المأمون للتراث- دمشق- سوريا.

٢٥٧- الصفدية، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية - مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٥٨- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، للإمام ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة- الرياض- السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٥٩- ضوابط الرؤيا، للدكتور محمد بن فهد الودعان، دار كنوز إشبيليا- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٢٦٠- ضوء الساري في معرفة رؤية الباري، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بـ أبي شامة (٦٦٥هـ)، تحقيق: د. أحمد عبد الرحمن الشريف، دار الصحوة- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٦١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة- بيروت.

٢٦٢- طبقات الحنابلة، للإمام أبي الحسين محمد بن محمد ابن أبي يعلى (٥٢٦هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة- بيروت.

٢٦٣- طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٢٦٤- الطبقات الكبرى، للإمام أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

٢٦٥- طبقات المعتزلة، لأحمد بن يحيى بن المرتضى المهدي لدين اللّه (٨٤٠ هـ)، تحقيق: سُوسَنّة دِيفَلْد- فِلْزَر، دار مكتبة الحياة- بيروت، تاريخ النشر: ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م.

٢٦٦- طرح التثريب في شرح التقريب، للحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم أبو زرعة ابن العراقي (٨٢٦هـ)، الطبعة المصرية القديمة.

٢٦٧- طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم- الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٢٦٨- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٢٦٩- العَذْبُ النَّمِيرُ من مجالس الشنقيطي في التفسير، للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد- مكة، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

٢٧٠- العرش، للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن خليفة التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة - السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٢٧١- العظمة، للحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (٣٦٩هـ)، تحقيق: رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٧٢- العقائد الإسلامية، للشيخ سيد سابق (١٤٢٠هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت.

٢٧٣- عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، لمحمود المراكبي، الطبعة الثالثة.

٢٧٤- عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري (١٤١٣هـ)، دار اللواء- الرياض- السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٧٥- عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة، للدكتور سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني، دار طيبة الخضراء- مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٣٤هـ- ٢٠١٤م.

٢٧٦- عقيدة الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن المقدسي (٦٠٠هـ)، تحقيق: عبد الله البصيري، مطابع الفردوس- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٧٧- عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، للأستاذ الدكتور أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٢٧٨- عقيدة السلف أصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (٤٤٩هـ)، تحقيق: د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار العاصمة- الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٢٧٩- العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، عبد الله بن يوسف الجديع، دار الإمام مالك- دار الصميعي- الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٨٠- العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (٣٢١هـ)، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٨١- عقيدة المؤمن، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

٢٨٢- عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير- الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان- الرياض.

٢٨٣- العلل الكبير، للإمام أبي عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، رتبه على كتب الجامع: أبو طالب القاضي، تحقيق: صبحي السامرائي وغيره، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٨٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعلامة أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي العيني (٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٨٥- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، للعلامة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحسني الشهير بابن الوزير (٨٤٠هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

٢٨٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي عبد الرحمن العظيم آبادي (١٣٢٩هـ)، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٢٨٧- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري الربعي (٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم رمضان، دار القلم- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٨٨- غاية السول في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم، للإمام ابن الملقن (٨٠٤هـ)، تحقيق: عبد الله بحر الدين، دار البشائر الإسلامية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٢٨٩- غريب الحديث، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي البغدادي (٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٢٩٠- غريب الحديث، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٩١- غريب القرآن، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، طبعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٩٢- الغنية في مسألة الرؤية (رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه في ليلة الإسراء)، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: أبي بلال العدني، دار الآثار- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

٢٩٣- الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو الزمخشري (٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة- لبنان، الطبعة الثانية.

٢٩٤- فتاوى نور على الدرب، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد ابن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، عدد الأجزاء: ٢٢.

٢٩٥- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفى (١٤١٥هـ)، إعداد: وليد بن إدريس بن منسي والسعيد بن صابر بن عبده، دار الفضيلة- الرياض+ دار ابن حزم- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٢٩٦- فتاوى ومسائل ابن الصلاح، للإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح (٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٩٧- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ حامد بن محمد بن حسين بن محسن، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المؤيد، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٩٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح محب الدين الخطيب، تعليق ابن باز (الأجزاء الثلاثة الأولى)، دار المعرفة، بيروت، طبعة عام ١٣٧٩هـ.

٢٩٩- فتح البيان في مقاصد القرآن، للعلامة محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة- بيروت، طبعة عام ١٤١٢هـ.

٣٠٠- الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني، ومعه كتاب «بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني»، كلاهما للشيخ أحمد البنا (١٣٧٨هـ)، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.

٣٠١- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ)، دار الوطن- الرياض.

٣٠٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (تفسير الشوكاني)، للإمام محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث — القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٣٠٣- الفتح المبين بشرح الأربعين، لأحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي، (٩٧٤هـ)، عني به: أحمد جاسم وقصي محمد وأنور بن أبي بكر الشيخي الدّاغستاني، دار المنهاج- جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٣٠٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي (١٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة، الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ.

٣٠٥- فتح المعبود في الرد على ابن محمود، للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري (١٤١٣هـ)، مطبعة المدينة- الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٠٦- الفتوحات المكية، لمحي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي (الصوفي) (٦٣٨هـ)، درا الكتب العربية الكبرى- مصر.

٣٠٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان- دمشق، طبعة عام ١٤٠٥هـ.

٣٠٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي — القاهرة.

٣٠٩- فصوص الحكم، لأبي بكر محمد بن علي الملقب بـ محي الدين ابن عربي (الصوفي) (٦٣٨هـ)، تحقيق: أبي العلا عفيفي، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

٣١٠- فضائل الشام ودمشق، لأبي الحسن علي بن محمد بن صافي بن شجاع الربعي الشهير بـ ابن أبي الهول (٤٤٤هـ)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، الطبعة الأولى.

٣١١- فضائل القرآن، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي البغدادي (٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣١٢- فقه الأسماء الحسنى، للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار التوحيد- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٣١٣- فهرسة ابن خير الإشبيلي، لأبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (٥٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، طبعة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣١٤- الفوائد، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الشهير بـ ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٣١٥- فيض الباري على صحيح البخاري، للشيخ محمد أنور شاه الكشميري (١٣٥٣هـ)، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣١٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي (١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

٣١٧- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ، مجلد مضغوط.

٣١٨- القبس في شرح موطأ ابن أنس، للقاضي أبي بكر ابن العربي الأندلسي المالكي (٥٤٣هـ)، تحقيق: أيمن الأزهري وعلاء إبراهيم الأزهري، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣١٩- قصص الأنبياء، للحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة- السعودية- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٢٠- القصيدة النونية (الكافية الشافية)، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

٣٢١- القضاء والقدر، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٢٢- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن- الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣٢٣- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: خليل محي الدين الميس، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٢٤- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، للسيد محمد صديق حسن خان القنوجي (١٣٠٧هـ)، تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٣٢٥- قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، للدكتور عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة السابعة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٣٢٦- قواعد العقائد، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ)، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب- لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٢٧- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للإمام محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ)، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣٢٨- القواعد والضوابط السلفية في أسماء الله وصفات رب البرية، للشيخ أحمد محمد الصادق النجار، دار النصيحة- السعودية- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٣٢٩- القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (١٣٧٦هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

٣٣٠- القول الصريح في ظهور المهدي والمسيح (من مراجع القادرية)، لنذير أحمد مبشر السيالكوتي (أمير الجماعة الأحمدية في غانا)، الشركة الإسلامية.

٣٣١- القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ)، دار العاصمة- المملكة العربية السعودية- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٣٢- الكاشف عن حقائق السنن (شرح الطيبي على مشكاة المصابيح)، لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٣٣- الكافي (من مصادر الشيعة الإمامية)، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية- طهران، الطبعة الرابعة ١٣٦٥هـ ش.

٣٣٤- كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي (٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٣٣٥- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (٣١١هـ)، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.

٣٣٦- كتاب تعبير الرؤيا، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر- دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٣٧- كتاب الرؤيا، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري (١٤١٣هـ)، دار اللواء، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٣٨- كتاب سليم بن قيس الهلالي (من مصادر الشيعة الإمامية)، لسليم بن قيس الهلالي العامري، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، مطبعة الهادي- قم- إيران، الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ.

٣٣٩- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٤٠- كتاب القدر، لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (٣٠١هـ)، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣٤١- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة العبسي (٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٤٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣٤٤- كشف الأستار عن زوائد البزار، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٤٥- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، لعلاء الدين عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري الحنفي (٧٣٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣٤٦- كشف المشكل من حديث الصحيحين، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن- الرياض.

٣٤٧- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٤٨- الكفاية في علم الرواية، للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي عبد الله السورقي و إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية- المدينة المنورة.

٣٤٩- الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة لبنان- بيروت، طبعة: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٥٠- الكنى والأسماء، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (٣١٠هـ)، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم- بيروت- لبنان، طبعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥١- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية- إدارة الطبع والترجمة، الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٢هـ.

٣٥٢- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للإمام محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني (٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٣٥٣- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني الشافعي ثم الحنفي (٨٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

٣٥٤- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، لأبي عبد الله محمد بن عبد الدائم العسقلاني الشافعي البِرْماوي (٨٣١هـ)، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر- سوريا.

٣٥٥- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٥٦- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (بعد ٨٨٠هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٥٧- لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى.

٣٥٨- لسان الميزان، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية- الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٥٩- لمعة الاعتقاد، للإمام أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٦٠- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لأبي العون محمد بن أحمد السفاريني (١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين- دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٣٦١- لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي (٦٠٦هـ)، بعناية السيد محمد بدر الدين الحلبي، مطبعة الشرفية- مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ.

٣٦٢- مباحث المفاضلة في العقيدة، للدكتور محمد عبد الرحمن أبو يوسف الشظيفي، دار ابن عفان للنشر والتوزيع.

٣٦٣- المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٣٦٤- مجرد مقالات الأشعري، لمحمد بن الحسن بن فورك (٤٠٦هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

٣٦٥- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ.

٣٦٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، دار الفكر- بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

٣٦٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي (١٢٠٦هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٦٨- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين رحمه الله (١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن- دار الثريا، الطبعة الأخيرة ١٤١٣هـ.

٣٦٩- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للعلامة عبد العزيز ابن باز (١٤٢٠هـ)، جمع وترتيب وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٣٧٠- مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، بإشراف من أبناء الشيخ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٣٧١- محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، للإمام محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٣٧٢- محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، لعبد الرءوف محمد عثمان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- إدارة الطبع والترجمة- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٧٣- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٧٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المحاربي (٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٧٥- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٧٦- المحلى بالآثار، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ)، دار الفكر- بيروت.

٣٧٧- مختار الصحاح، للإمام زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٧٨- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ أبي محمد عبد العزيز بن محمد ابن عبد الرحمن السلمان (١٤٢٢هـ)، الطبعة الثانية عشر ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣٧٩- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة، مؤلف الأصل: الإمام ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد ابن الموصلي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٨٠- مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، للإمام ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، دراسة وتحقيق: ناصر السعوي وعلي القرعاوي وصالح التويجري وخالد الغنيم ومحمد الخضيري، دار الصميعي- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٣٨١- المدخل، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (٧٣٧هـ)، دار الفكر، سنة النشر ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٣٨٢- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، للدكتور عثمان جمعة ضميرية، مكتبة السوادي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣٨٣- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة أبي الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري (١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية- الجامعة السلفية- بنارس الهند، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٣٨٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري (١٠١٤هـ)، دار الفكر- بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٣٨٥- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، للدكتور عبد الإله بن سلمان ابن سالم الأحمدي، دار الطيبة- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٣٨٦- المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي (٥٤٣هـ)، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٣٨٧- مساوئ الأخلاق ومذمومها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي السامري (٣٢٧هـ)، تحقيق: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي- جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣٨٨- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (٤٠٥هـ)، ومعه تلخيص الذهبي، تحقيق: عبد السلام محمد علّوش، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٣٨٩- المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، ضمن الموسوعة الحديثية، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣٩٠- مسند إسحاق بن راهويه، للإمام أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (٢٣٨هـ)، تحقيق: د. عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٩١- مسند السراج، للإمام أبي العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالسَّرَّاج (٣١٣هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية- فيصل آباد- باكستان، طبعة: ١٤٢٣هـ.

٣٩٢- مسند علي بن الجعد، للحافظ علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٩٣- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٣٩٤- مشكلات موطأ مالك بن أنس، لأبي محمد عبد الله بن محمد البطليوسي (٥٢١هـ)، تحقيق: طه بن علي التونسي، دار ابن حزم- لبنان- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٩٥- مصابيح الجامع، لبدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي المعروف بالدماميني (٨٢٧ هـ)، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر- سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٣٩٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية- بيروت.

٣٩٧- مصطلحات في كتب العقائد، للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى.

٣٩٨- مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني الشهير بـ ابن قرقول (٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، وزارة الأوقاف- دولة قطر، الطبعة: الأولى ١٤٣٣هـ.

٣٩٩- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ بن أحمد حكمي (١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم- الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٠٠- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، للإمام محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٤٠١- معالم السنن (وهو شرح سنن أبي داود)، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية- حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ.

٤٠٢- معاني القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى- مكة المرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٠٣- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٠٤- معايير التفريق بين النبي والرسول (جمع ودراسة)، للدكتور يوسف الزيوت، وهو بحث علمي نشر في مجلة جامعة دمشق- المجلد التاسع عشر- العدد الأول ٢٠٠٣م.

٤٠٥- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، دار أضواء السلف- الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٤٠٦- المعتمد في أصول الدين، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الحنبلي البغدادي (٤٥٨هـ)، تحقيق: وديع زيدان حداد، دار المشرق- بيروت.

٤٠٧- معجم اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني (٧٣٠هـ تقريبًا)، تحقيق: د. عبد العال شاهين، دار المنار- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٤٠٨- المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله الحسيني، دار الحرمين- القاهرة، طبعة: ١٤١٥هـ.

٤٠٩- معجم السفر، لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني (٥٧٦هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية— مكة المكرمة.

٤١٠- معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة، لأكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الدار الأثرية- الأردن و دار ابن عفان- القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٤١١- معجم الصحابة، للحافظ أبي الحسين عبد الباقي بن قانع (٣٥١هـ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، طبعة عام ١٤١٨هـ.

٤١٢- المعجم الصغير (الروض الداني)، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور الحاج أمرير، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤١٣- المعجم الفلسفي، لمراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة، طبعة ٢٠٠٧م.

٤١٤- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، للدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني- لبنان- بيروت، طبعة ١٩٩٢م.

٤١٥- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم — الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٤١٦- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت ودار إحياء التراث العربي بيروت.

٤١٧- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) ، اعتنى به محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، مجلد مضغوط.

٤١٨- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للنشر.

٤١٩- معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، للإمام أبي عمرو ابن الصلاح (٦٤٣هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر — بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ.

٤٢٠- المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، للدكتور عبد الله بن محمد القرني، دار عالم الفوائد- المملكة العربية السعودية- مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٤٢١- المعرفة والتاريخ، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، (٢٧٧هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٤٢٢- المُعْلِم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي التَّمِيمي المازري المالكي (٥٣٦هـ)، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م.

٤٢٣- معيار العلم في فن المنطق، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف- مصر، عام النشر: ١٩٦١م.

٤٢٤- المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد الخوارزمي المطَرِّزِىّ (٦١٠هـ)، تحقيق: محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد- حلب، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٤٢٥- المغني في الضعفاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.

٤٢٦- المفاتيح في شرح المصابيح، لمظهر الدين الحسين بن محمود الزَّيْدَانيّ المشهور بالمُظْهِري (٧٢٧هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة بإشراف: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٤٢٧- مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، لأبي عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٤٢٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن حسن قائد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

٤٢٩- مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ) ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مجلد مضغوط.

٤٣٠- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٦٥٦هـ)، تحقيق: محي الدين ديب مستو وغيره، ودار الكلم الطيب، الطبعة : الأولى ١٩٩٦- ١٤١٧هـ.

٤٣١- مقاصد الفلاسفة، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، تحقيق: محمود بيجو، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤٣٢- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية — بيروت، طبعة ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٤٣٣- المقدمات الممهدات السلفيات في تفسير الرؤى والمنامات، للشيخ مشهور بن حسن آل سلمان وأبي طلحة عمر بن إبراهيم آل عبد الرحمن، دار الإمام مالك- أبو ظبي، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

٤٣٤- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن سليمان البلخى (٦٩٨هـ)، تحقيق: زكريا سعيد، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.[1]

٤٣٥- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، مكتبة الجفان والجابي- قبرص، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٣٦- الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.

٤٣٧- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، للشيخ حمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، اعتنى به: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان- دمشق، طبعة عام ١٤١٠هـ.

٤٣٨- المنتخب من مسند عبد بن حميد، للإمام أبي محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَشّي (٢٤٩هـ)، تحقيق: مصطفى العدوي، دار بلنسية، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٤٣٩- المنتقى شرح الموطأ، للإمام أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ.

٤٤٠- منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، للملا علي بن سلطان محمد القاري (١٠١٤هـ)، دار البشائر الإسلامية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٤١- منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»، للإمام أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (٩٢٦هـ)، تحقيق: سليمان العازمي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٤٤٢- منهاج رب العالمين إلى جنة رب العالمين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، تحقيق: محمود مصطفى حلاوي، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٤٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٥١هـ)، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٤٤٤- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، للدكتور عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة السابعة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٤٤٥- منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث وأثره في الفقه الإسلامي، للدكتور عبد المجيد بن محمد إسماعيل السوسوة، دار النفائس- الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

---

[1] وقد طبع هذا الكتاب عام ١٣٢٧هـ باسم " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" منسوبًا إلى ابن القيم رحمه الله، بعناية محمد بدر الدين النعساني، ثم طبعت على هذه الطبعة طبعات أخرى مصورة منها، ونسبة هذا الكتاب إلى الإمام ابن القيم - رحمه الله - لا تصح، انظر تحقيق القول في ذلك في المراجع التالية: مجلة المنار (١٩/ ١٢٠) مقالة للعلامة المحقق أبي الأشبال أحمد محمد شاكر - رحمه الله - بعنوان "الكتب المعزوة إلى غير مصنفيها"، ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده للعلامة بكر أبو زيد (ص: ٢٩٠- ٢٩٢)، ومقدمة الدكتور زكريا سعيد للكتاب (ص: ١١- ٣١).

٤٤٦- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، للإمام بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني (٧٣٣هـ)، تحقيق: محيي الدين رمضان، دار الفكر- دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٤٤٧- المواقف في علم الكلام، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (٧٥٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٤٤٨- موسوعة الألباني في العقيدة، للإمام محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، صنعها: شادي بن محمد آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية- صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

٤٤٩- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت.

٤٥٠- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، للدكتور رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٤٥١- الموطأ، للإمام مالك بن أنس أبي عبد الله الأصبحي (١٧٩هـ)، برواية يحيى الليثي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، طبعة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

٤٥٢- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار ابن الجوزي- السعودية- الدمام، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٤٥٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، سنة طبعة ١٩٩٥م.

٤٥٤- الميسر في شرح مصابيح السنة، لأبي عبد الله فضل الله بن الحسن التوربشتي (٦٦١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٤٥٥- نبذة في العقيدة الإسلامية (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين)، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ)، دار الثقة- مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤٥٦- النبوات، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف- الرياض- السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٤٥٧- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، للحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٥٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.

٤٥٩- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض الحسني الشهير بـ الكتاني (١٣٤٥هـ)، تحقيق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية- مصر، الطبعة الثانية.

٤٦٠- نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠هـ)، مكتبة الرشد- الرياض، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤٦١- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.

٤٦٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن الأثير الجزري (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.

٤٦٣- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد ابن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (١٠٠٤هـ)، دار الفكر- بيروت، الطبعة: ط أخيرة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤٦٤- نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي (٣٦٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل- بيروت، طبعة ١٩٩٢م.

٤٦٥- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث- مصر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤٦٦- الهداية إلى بلوغ النهاية، للإمام أبي محمد مكي ابن أبي طالب القيسي القيرواني (٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة- بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٤٦٧- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم- جدة- السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٤٦٨- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (رجال صحيح البخاري)، للحافظ أبي نصر أحمد بن محمد الكلاباذي (٣٩٨هـ)، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٦٩- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا، مطبعة وكالة المعارف الجليلة- استانبول، ١٩٥١م.

٤٧٠- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، للشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (١٤٠٣هـ)، مكتبة السوادي- جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤٧١- ينابيع المعاجز وأصول الدلائل، لهاشم بن سليمان البحراني - الرافضي - (١١٠٩هـ)، تحقيق فارس حسون كريم، مؤسسة المعارف الإسلامية- إيران- قم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٤٧٢- اليوم الآخر، للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري، مكتبة أصداء المجتمع- بريدة- السعودية، الطبعة الخامسة ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

فهرس الآيات القرآنية

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ}	٢٥٨	البقرة	٢٩٢
{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى ...}	٢٦٠	البقرة	٤٠٤
{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ...}	٢٨٥	البقرة	١٨١، ٣٩٩
{قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ...}	١٣	آل عمران	٢٤٠
{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ}	١٩	آل عمران	٥٩١
{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ..}	٢١	آل عمران	٣٩٨
{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ...}	٣٣	آل عمران	١٨٦، ٢٢٣
{وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ}	٤٩	آل عمران	٤١١
{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}	٥٥	آل عمران	٢٥٦
{فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا...}	٥٦	آل عمران	٢٥٦
{وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ...}	٥٧	آل عمران	٢٥٦
{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ}	٥٨	آل عمران	٢٥٦
{وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا}	٨٠	آل عمران	٤٠٣
{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ...}	٨٤	آل عمران	٢٠٢
{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ...}	٨٥	آل عمران	٥٩١
{وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}	١٢٢	آل عمران	٢١٩
{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ...}	١٣٣	آل عمران	٤٨٩
{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ...}	١٣٥	آل عمران	٣٤٩، ٣٥٣
{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ}	١٣٩	آل عمران	٩٧
{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا}	١٤٥	آل عمران	٤٨٧
{وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ...}	١٤٩	آل عمران	٢٦٨
{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ}	١٦٠	آل عمران	٢٣٧
{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ...}	١٦٩	آل عمران	٤٨٨
{فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ...}	١٧٠	آل عمران	٤٨٨
{يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ...}	١٧١	آل عمران	٤٨٨
{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ...}	١٧٥	آل عمران	٧٥
{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ...}	١٧٩	آل عمران	٢٦٨، ٤٦٠
{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ...}	١٨١	آل عمران	٣٩٨

{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}	٤٤	المائدة	٢٧٦
{وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ...}	٤٦	المائدة	٣٨٩
{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}	٤٨	المائدة	٣٨٨، ٤٢٤
{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}	٤٩	المائدة	٢٧٠
{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ...}	٦٤	المائدة	٣٤٠، ٦٠٦
{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...}	٦٧	المائدة	٤٥٢، ٦٠٩
{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ ...}	٨٢	المائدة	٦٠٩
{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ...}	١٠٩	المائدة	٢٦٨
{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ...}	١١١	المائدة	٨٦
{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}	١١٦	المائدة	٤١٩
{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ}	٥٠	الأنعام	٢٦٨، ٥٢٦
{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ...}	٦٠	الأنعام	٩٩
{وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى ...}	٦٨	الأنعام	٤٥٦
{وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى ...}	٨٤	الأنعام	٢٠٧
{وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ ...}	٨٧	الأنعام	٨٤، ٢٢٣
{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ...}	١٠٠	الأنعام	٣٦٤
{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ...}	١٠١	الأنعام	٣٦٤
{لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ...}	١٠٣	الأنعام	١٢٧
{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا}	١٠٧	الأنعام	٥٠٢
{وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى ...}	١٢٤	الأنعام	٢٢٣
{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ...}	١٤٧	الأنعام	٣٥٤
{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...}	١٥١	الأنعام	١٤٨
{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ...}	١٥٨	الأنعام	٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨، ٤٧٩
{مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ}	١٢	الأعراف	٢١٢
{وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}	٢٦	الأعراف	٥٩٧
{تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}	٥٤	الأعراف	٣٣٠
{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا ...}	٧٠	الأعراف	٣١٤
{وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا ...}	٨٧	الأعراف	٣٩٧

{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي ...}	١٤٤	الأعراف	٢٢٣
{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ...}	١٥١	الأعراف	٣٥٤
{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...}	١٥٦	الأعراف	٣٥٤، ٣٥٦
{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...}	١٥٨	الأعراف	٥٩٤
{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}	١٥٩	الأعراف	٢٠٣
{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ...}	١٦٠	الأعراف	٢٠٣
{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}	١٨٠	الأعراف	٢٢٥، ٢٩٢، ٣٩٣
{وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}	١٩٩	الأعراف	٤٥
{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}	٢٠٠	الأعراف	٤٥٦
{إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ ...}	٢٠٦	الأعراف	٢١٠
{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ...}	١٧	الأنفال	٢٤٥
{إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ...}	٤٣	الأنفال	٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢
{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ...}	٤٤	الأنفال	٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٥٠٠
{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}	٥٣	الأنفال	١٠٢، ١٩٦
{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ...}	٦٠	الأنفال	٢١٩
{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ...}	٦١	الأنفال	٢١٩
{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى ...}	٧٠	الأنفال	٣٤٩
{وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...}	٧٤	الأنفال	٥٣٢
{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ...}	٣٠	التوبة	٣٦٣، ٤٠٤، ٦٠٦، ٦٠٨
{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ...}	٣١	التوبة	٤٠٤
{لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ ...}	٨٨	التوبة	٥٣٢
{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...}	٨٩	التوبة	٥٣٢

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ...}	١٠٠	التوبة	٥٣٢
{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ...}	١٠١	التوبة	٤٨٨
{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ...}	١١٣	التوبة	٦٠٠
{وَما كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ ...}	١١٤	التوبة	١٨٢
{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}	١١٥	التوبة	٥٠١
{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ...}	١١٧	التوبة	٣٥٥، ٥٣٢
{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ ...}	٢١	يونس	٣٥٦
{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ...}	٣١	يونس	٣٠٦
{فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ...}	٣٢	يونس	٣٠٦
{وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَقُلْ إِي وَرَبِّي ...}	٥٣	يونس	٤٧٠
{أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}	٦٢	يونس	٤٠، ٨٤، ١٠١
{الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ}	٦٣	يونس	٤١، ٨٤، ١٠١
{لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ ...}	٦٤	يونس	٤١، ٧٣، ٧٤، ٨٤، ١٠١
{قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ...}	٦٨	يونس	٣٦٤
{قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}	٦٩	يونس	٣٦٤
{مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ...}	٧٠	يونس	٣٦٤
{مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ...}	٨١	يونس	٤٥٥
{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ ...}	١٠٩	يونس	٣٩٧
{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ...}	١	هود	٣١٤
{أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}	٢	هود	٣١٤
{وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ}	٣١	هود	٢٦٨
{وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ...}	٤٢	هود	١٨٢
{قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ...}	٤٣	هود	١٨٢
{وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ...}	٤٤	هود	١٨٢
{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ...}	٤٥	هود	١٨٢، ١٨٣
{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ...}	٤٦	هود	١٨٢، ١٨٣
{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ...}	٤٧	هود	١٨٢
{تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ...}	٤٩	هود	٢٦٨

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ...}	٥٨	هود	٣٩٧
{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ...}	٥٩	هود	٣٩٧
{وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ...}	٦٠	هود	٣٩٧
{قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ...}	٦٢	هود	٣١٤
{فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}	٧١	هود	١٤٦، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤
{قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ...}	٧٢	هود	١٦٤
{قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ...}	٧٣	هود	١٦٤، ٣٣٠
{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ...}	٧٧	هود	٢٠٢
{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ...}	١٢٣	هود	٢١٩، ٢٢١
{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...}	٣	يوسف	١٨٨
{يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ...}	٤	يوسف	٤٠، ٧٥، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٢
{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ...}	٥	يوسف	١٨٨، ١٩٠، ١٩٥، ٢١٩
{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ...}	٦	يوسف	٤١، ١٨٨، ١٩١، ٢٠٢، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٦٠، ٢٧١
{يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ}	١١	يوسف	١٩١
{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}	١٢	يوسف	١٩١
{يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ}	١٩	يوسف	١٩١
{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ...}	٢١	يوسف	٤٠، ٤١، ١١٥، ١٩١، ٢٦٠، ٢٧١
{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا}	٢٢	يوسف	١٩١
{مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}	٢٣	يوسف	٢٦٠، ٢٧٧، ٢٨٣
{وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ}	٣٢	يوسف	٢٦٠
{رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ...}	٣٣	يوسف	٢٦٠
{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ...}	٣٦	يوسف	٦٧، ١٧٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦٢، ٢٧٣
{ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي}	٣٧	يوسف	١٩٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣،

{قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ ...}	١٠٢	الإسراء	٣٠٦
{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ...}	١١٠	الإسراء	٢٢٦
{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ...}	١١١	الإسراء	٣٦٥
{وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}	٤	الكهف	٣٦٤
{مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ...}	٥	الكهف	٣٦٤
{وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا}	٢٣	الكهف	١٥٠، ٢٤٩
{إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ...}	٢٤	الكهف	١٥٠، ٢٤٩
{وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}	٢٦	الكهف	٢٧٦، ٢٧٧
{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ...}	٢٩	الكهف	٥٠٢
{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}	٤٩	الكهف	٥١٦
{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}	٧٩	الكهف	٢٩٢
{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ...}	١١٠	الكهف	٢٧٧
{فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا}	١٧	مريم	٣٧٧
{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ}	٣٠	مريم	٣٨٧
{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ}	٣١	مريم	٣٣١
{مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ...}	٣٥	مريم	٣٦٥
{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّى ...}	٤٨	مريم	١٤١
{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ ...}	٤٩	مريم	١٧٣
{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ...}	٥٤	مريم	١٦٥
{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا}	٨٨	مريم	٣٦٥
{لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا}	٨٩	مريم	٣٦٥
{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ...}	٩٠	مريم	٢٦٨
{أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا}	٩١	مريم	٢٦٨
{وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا}	٩٢	مريم	٢٦٨
{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ ...}	٦٥	طه	٤٥٦
{قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ...}	٦٦	طه	٤٥٦
{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}	٦٧	طه	٤٥٦
{قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى}	٦٨	طه	٤٥٦

{إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}	٦٩	طه	٤٥٤، ٤٥٦
{وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا}	٩٧	طه	٢٨٣، ٢٨٤
{وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ}	١٩	الأنبياء	٣٧٧
{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}	٢٠	الأنبياء	٣٧٧
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ...}	٢٥	الأنبياء	٣١٤
{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}	٣٥	الأنبياء	٤٥٩
{قُل مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِالليْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ...}	٤٢	الأنبياء	٣٥٦
{ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ}	٧٢	الأنبياء	١٦٥
{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ}	٨٥	الأنبياء	١٦٥
{وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}	٢٧	الحج	٤١٩
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا ...}	٥٢	الحج	٣٩٣، ٤٥٦
{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ...}	٥٣	الحج	٤٥٦
{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ...}	٥٤	الحج	٤٥٦
{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ...}	٥٥	الحج	٢٩٨، ٤٥٦
{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ}	٦٥	الحج	٢٧٥
{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ...}	٧٠	الحج	٥٠١
{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ...}	٧٥	الحج	٢٢٣، ٣٧٦
{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ...}	٤٤	المؤمنون	٣٩٤
{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}	٨٤	المؤمنون	٣٠٦
{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}	٨٥	المؤمنون	٣٠٦
{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}	٨٦	المؤمنون	٣٠٦
{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}	٨٧	المؤمنون	٣٠٦
{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ ...}	٨٨	المؤمنون	٣٠٦
{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}	٨٩	المؤمنون	٣٠٦
{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ...}	٩١	المؤمنون	٣٦٢، ٣٦٤
{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}	٩٢	المؤمنون	٣٦٥
{وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ	٢٦	النور	٥٦٥
{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...}	٥٥	النور	٢٤٢

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ...}	١	الفرقان	١٣٣، ٢٩٢، ٣٣٠، ٥٠٢
{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ...}	٢	الفرقان	٢٩٢، ٥٠٢
{وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا}	٨	الفرقان	٤٥١، ٤٥٢
{بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا}	١١	الفرقان	٤٦٩
{ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَعُمْياناً}	٧٣	الفرقان	٢٠٩، ٢١٠
{وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ}	٢٣	الشعراء	٣٠٧
{تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}	٩٧	الشعراء	٣٧٣
{إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}	٩٨	الشعراء	٣٧٣
{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ}	١٠٥	الشعراء	٣٩٧
{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}	٢١٤	الشعراء	١٨٣
{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ...}	١٤	النمل	٣٠٧
{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}	٦٥	النمل	٢٦٨، ٤١٧، ٤١٨
{هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}	٩٠	النمل	٥٢٧
{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ...}	٧	القصص	٨٦
{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا}	١٤	القصص	٢٠٦
{فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}	١٥	القصص	١٥٢
{يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ...}	٣٨	القصص	٣٠٧
{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ...}	٥٦	القصص	١٨٣
{يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ}	٥٧	القصص	٤١٩
{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا ...}	٥٩	القصص	٥١٠
{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ...}	٧٣	القصص	٣٥٦
{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}	٨٨	القصص	٤٩٢
{أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يترَكوٓاْ أَن يقولوٓاْ ءَامَنَّا ...}	٢	العنكبوت	١٥٣
{وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ...}	٣	العنكبوت	١٥٣
{يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ}	٢١	العنكبوت	٣٥٥
{إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}	٢٦	العنكبوت	١٤١
{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ ...}	٢٧	العنكبوت	١٦٥
{يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ...}	٥٥	العنكبوت	٥١٦

			١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٦، ١٧٣، ١٨٢
{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}	١٠٧	الصافات	١٤١، ١٤٥، ١٥٩
{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ}	١٠٨	الصافات	١٤١، ١٤٥
{سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ}	١٠٩	الصافات	١٤١، ١٤٥، ١٤٦
{كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}	١١٠	الصافات	١٤١، ١٤٥، ١٤٦
{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}	١١١	الصافات	١٤١، ١٤٥، ١٤٦
{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}	١١٢	الصافات	١٤١، ١٤٦، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٥
{وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ ...}	١١٣	الصافات	١٤١، ١٤٦، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦
{فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ}	١٤٩	الصافات	٣٦٤
{أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ}	١٥٠	الصافات	٣٦٤
{أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ}	١٥١	الصافات	٣٦٤
{وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}	١٥٢	الصافات	٣٦٤
{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ...}	١٥٨	الصافات	٣٦٢
{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}	١٥٩	الصافات	٣٦٢
{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ}	١٧١	الصافات	٢٤٢، ٢٤٣
{إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ}	١٧٢	الصافات	٢٤٢، ٢٤٣
{وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}	١٧٣	الصافات	٢٤٢
{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ...}	٤	ص	٣١٤
{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}	٥	ص	٣١٤
{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ ...}	٤١	ص	٤٥٦
{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ...}	٤٥	ص	٢٢٣
{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ}	٤٦	ص	٢٢٣
{وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ}	٤٧	ص	٢٢٣
{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ}	٦٦	ص	٣٥٠
{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ}	٧١	ص	٢١١

{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}	٧٢	ص	٢١١
{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}	٧٣	ص	٢١١
{إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}	٧٤	ص	٢١١
{قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ...}	٧٥	ص	٢١١، ٣٤٠، ٣٤١
{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ...}	٢٩	الزمر	٢٦٤
{اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ...}	٤٢	الزمر	٩٠
{قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا ...}	٥٣	الزمر	٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١
{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}	٦٢	الزمر	٥٠٢
{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ...}	٦٨	الزمر	٤٩٢
{حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}	٧٣	الزمر	١٤٤
{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ...}	٣	غافر	٣٥٠
{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا}	٧	غافر	٣٥٦
{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ}	١٧	غافر	٥٢٦
{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ...}	٣٤	غافر	٢٠٧
{وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ}	٤٥	غافر	٥١٧
{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ...}	٤٥	غافر	٤٨٨
{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...}	٥١	غافر	٢٤٢، ٢٤٣
{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا ...}	١٠	فصلت	٣٣٠
{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ}	١٢	فصلت	٥٠٠
{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ...}	١٦	فصلت	٢٠٢
{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ...}	٣٧	فصلت	٢١٠
{إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ}	٤٣	فصلت	٣٤٩
{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ...}	٤٦	فصلت	٥٠٢
{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ...}	١٠	الشورى	٢٧٦
{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}	١١	الشورى	٣٦٥
{وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ}	١٥	الشورى	٣٨٨
{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ...}	٢١	الشورى	٢٧٦
{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا ...}	٥١	الشورى	٨٢، ٩٤، ١٢٧

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}	٢٦	الزخرف	٢٧٣
{إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ}	٢٧	الزخرف	٢٧٣
{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}	٢٨	الزخرف	٢٧٣
{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ}	٥٧	الزخرف	٤٧٣
{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ...}	٦١	الزخرف	٤٧٣، ٤٧٤
{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ}	٨١	الزخرف	٣٦٥
{سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}	٨٢	الزخرف	٣٦٥
{إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}	٤٢	الدخان	٣٥٤
{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ...}	٢٤	الجاثية	٤٩٩، ٣٠٧
{قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ...}	٩	الأحقاف	٤١٩، ٥٢٦
{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}	٢٥	الأحقاف	٤١٩
{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ...}	٣٣	محمد	٤٧٩
{لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ...}	١٨	الفتح	٥٢٥
{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللهُ ...}	٢٧	الفتح	٤٠، ٦٧، ١٩٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧
{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ}	٢٩	الفتح	٤١٣، ٥٣٢
{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ...}	٧	الحجرات	٥٣٢
{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}	١٩	ق	٤٨٧
{وبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}	٢٨	الذاريات	١٦٥
{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}	٥٦	الذاريات	٢٣٤، ٣١٣
{اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ...}	١٦	الطور	٥١٠
{وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم}	٢١	الطور	٥١٩، ٥٢٢
{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}	١	النجم	٤١٩
{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى }	٢	النجم	٤١٩
{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}	٣	النجم	٣٢٧، ٤١٩
{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}	٤	النجم	٣٢٧، ٤١٩
{أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى}	١٢	النجم	٢٤، ١٣٥

{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}	١٣	النجم	٢٤، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٥
{عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}	١٤	النجم	٢٤، ١٢٩، ١٣٥
{عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}	١٥	النجم	٢٤، ١٢٩، ١٣٥
{إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى}	١٦	النجم	٢٤، ١٢٩، ١٣٥
{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}	١٧	النجم	٢٤، ١٢٩، ١٣٥
{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}	١٨	النجم	٢٤، ١٢٩، ١٣٥
{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ...}	٢٦	النجم	٣٧٧
{إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}	٣٢	النجم	٣٥٠
{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ}	١٩	القمر	٢٩٧
{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}	٤٩	القمر	٥٠١
{الرَّحْمَنُ}	١	الحمن	٣٥٦
{عَلَّمَ الْقُرْآنَ}	٢	الحمن	٣٥٦
{خَلَقَ الْإِنْسَانَ}	٣	الحمن	٣٥٦
{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}	٤	الحمن	٣٥٦
{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}	٧٨	الرحمن	٣٣٢
{عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ}	١٥	الواقعة	٥٧٠
{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ...}	١٠	الحديد	٥٣٣
{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ...}	٢٥	الحديد	٣٨٨
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ...}	٢٦	الحديد	١٨٤
{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ...)	٢٨	الحديد	٣٥٧
{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ...}	١٠	المجادلة	٧٥
{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}	٢١	المجادلة	٢٤٢
{وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}	٧	الحشر	٤٤، ٤٧٩
{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ...}	٨	الحشر	٥٣٣
{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...}	٩	الحشر	٥٣٣
{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ...}	٢٣	الحشر	٢٩٢، ٣٦٢
{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ...}	٢٤	الحشر	٢٩٢
{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ...}	٤	الممتحنة	٢٧٣

{وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ}	٢٣	التكوير	١٢٧
{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}	٢٨	التكوير	٥٠٢، ٥٠٥
{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}	٢٩	التكوير	٥٠٢، ٥٠٥
{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}	٢٢	الفجر	٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩
{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}	٦	الأعلى	٤٤٣
{إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}	٧	الأعلى	٤٤٣
{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}	١	العلق	٢٧١
{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ}	٢	العلق	٢٧١
{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}	٣	العلق	٢٧١
{الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}	٤	العلق	٢٧١
{عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}	٥	العلق	٢٧١
{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ}	٦	الزلزلة	٤٦٧
{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}	١	المسد	١٨٣
{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}	٢	المسد	١٨٣
{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ}	٣	المسد	١٨٣
{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}	٤	المسد	١٨٣
{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}	٥	المسد	١٨٣
{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}	١	الإخلاص	٢٦٨
{اللهُ الصَّمَدُ}	٢	الإخلاص	٢٦٨
{ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}	٣	الإخلاص	٢٦٨
{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}	٤	الإخلاص	٢٦٨

فهرس الأحاديث النبوية

بينا أنا في منامي، أتتني الملائكة فحملت عمود الكتاب من تحت وسادتي ...	عمرو بن العاص	٣٨٠، ٣٨٣،
بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض ...	أبو هريرة	٤٢٠، ٤٢٤، ٤٣٣
بينا أنا نائم أُتيت بقدح لبن، فشربت منه	عبد الله بن عمر	٥٠
بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي ...	أبو أمامة الباهلي	٤٠٦، ٤٨٥، ٤٨٩، ٥٠٦، ٥٧٤
بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب ...	أبو الدرداء	٦١١
بَيْنَا أنا نائمٌ إذ رأيتُ قدحًا	عبد الله بن عمر	٥٤٢
بينا أنا نائم أُريتُ أنه وضع في يدي سواران من ذهب	عبد الله بن عباس	٤٢١، ٤٣٣
بَيْنا أنا نائمٌ أُرِيتُ أني أَنْزِعُ على حوضي ...	أبو هريرة	٥٤٧
بينما أنا نائم أطوف بالكعبة	عبد الله بن عمر	٤٠٨، ٤١٠، ٤٧٢
بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب	أبو هريرة	٥٤٠
بَيْنَا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ يُعرَضُون عليَّ ...	أبو سعيد الخدري	٥٤٢، ٥٩٦
بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو ...	أبو هريرة	٣٢٤، ٣٤٩، ٥٤٧
بينا أنا نائم رأيتُني في الجنة ...	أبو هريرة	٤٩٣، ٥٤٢
بينا أنا نائم في الحجر، إذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه	الحسن البصري	١٣٤
بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما	عبد الله بن عباس	٩٦، ٣١٥، ٤٢٠
بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قمص	أبو سعيد الخدري	٥٠
بينما أيوب يغتسل عريانًا خَرَّ عليه رِجْلُ جَرادٍ من ذهب	أبو هريرة	٣٣١
تقرأ الكتابين: التوراة والفرقان	عبد الله عمرو	٣٩٠، ٤٣٥، ٥٨٤
تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام ...	عبد الله بن سلام	٣١٨، ٥٨١، ٥٩٢، ٦٠٣
تنام عَيْنَيَّ، ولا ينام قلبي	عائشة	١١٣
ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها ...	أبو هريرة	٤٧٩
ثم رفعتُ رأسي، فإذا ثلاثة نفر تحت العرش ...	أبو أمامة الباهلي	٤٠٧
جاءت ملائكة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم	جابر بن عبد الله	٣٦، ٤١٤
جعل الله الرحمة في مائة جزء ...	أبو هريرة	٣٥٧
حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه	أنس بن مالك	١٢٢

يا رسول الله! رأيت كأن دلوًا دُلِّيَ من السماء	سمرة بن جندب	٥٥٢
يا رسول الله! الرجل منّا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟	أنس بن مالك	٢١٨
يا رسول الله! من أحب الناس إليك؟	عمرو بن العاص	٥٦٥
يا عائشة! أشعرتِ أن الله أفتاني ...	عائشة	٣١١، ٣٢٠، ٣٨٤، ٤٤٤، ٤٤٨، ٦٠٨
يا عائشة! إن عيني تنامان ولا ينام قلبي	عائشة	٤١٤
يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ...	أبو ذر الغفاري	٣٥٠، ٣٥٣
يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم	أبو هريرة	١٨٣
يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود ...	أبو سعيد الخدري	٥١١
يؤتى يوم القيامة بالمولود والمعتوه ...	أنس بن مالك	٥١١
يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً	معاذ بن جبل	٥١٢
يأخذ الله - عز وجل - سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله ...	عبد الله بن عمر	٣٤١
يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار	أبو هريرة	٣٤٠
اليد العليا خير من اليد السفلى ...	عبد الله بن عمر	٣٤٤
يقطر رأسه ماء وإن لم يصبه بلل	أبو هريرة	٤١١
يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي ...	أبو هريرة	٣٢٦
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا	أبو هريرة	٣٣١

فهرس الآثار

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري		قائله	الصفحة
رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا	وَكُنْتُ للأَحْلاَمِ عَبَّارَا	بعض الأعراب	٣٨
الحمدُ للهِ الَّـذي لم يَـأْتِني أَجَـلِي	حتى اكْتَسَيْتُ مِـنَ الإسلامِ سِرْبَالا	النابغة	٥٩٧
فَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وهَشَّ فُؤَادُهُ	وبَشَّرَ نَفْسًا كَانَ قَبْلُ يَلُومُهَا	الراعي النميري	٢٥
والحمد لله على تمامها	وحسن ما وقف من نظامها	أبو الحسن المعافري	٥٩
إِذَا المرءُ لم يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى	تَـقَلَّـبَ عُـرْيَـانـًا وإن كـانَ كَـاسِـيـا	أبو العتاهية	٥٩٧
وإن الحق مقطعه ثلاثٌ	يَمين أو نِفار أو جَلاءُ	زهير ابن أبي سلمى	١٤٢
ألم تَـكُـنِ الـرُّؤيـا بحقٍّ و عـابَكم	بتصديقها فَـلٌّ من القوم هـاربُ	عاتكة بنت عبد المطلب	١٥
فقلتم ولم أكذب: كذبَتْ، و إنما	يُكَذِّبُنا بالصدق من هو كاذبُ	عاتكة بنت عبد المطلب	١٥
يا نفسُ إن لم تُقْتَلِي تَموتِي	هَذا حِمـامُ الموتِ قد صَلِيتِ	عبد الله بن رواحة	٥٧٢
ومَا تَمَنَّيتِ فقد أُعْطِيتِ	إن تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُـدِيتِ	عبد الله بن رواحة	٥٧٢
وأَهْلَكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَة وابنَه	ورَبَّ مَعدٍّ، بين خَبْتٍ وعَرْعَرِ	لبيد بن ربيعة	٢٨٠
لو نِيلَ بالقول مطلوبٌ، لَما حُرِمَ الـ	رؤيا الكَلِيمُ مُوسى، وكان الحَظُّ للجبلِ	الأمير أبو الفوارس	٢٥
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم	البوصيري	٢٧٠
وعبادة الرحمن غاية حبـه	مع ذل عـابده هما قطبـانِ	ابن القيم	٢١٠
وعليهما فلك العبادة دائر	ما دار حتى قامت القطبانِ	ابن القيم	٢١٠
هـذا وحاديها وعشـرون الذي	قـد جاء في الأخبـار والـقرآن	ابن القيم	٣٢٦
إتيـان رب العرش جل جلالـه	و مجيئه للفصل بالميـزان	ابن القيم	٣٢٦
انظر إلى التقسيم والتنويع في الـ	ـقرآن تلفيـه صـريح بيـان	ابن القيم	٣٢٦
إن المـجيء لـذاته لا أمـره	كلا و لا مَلَك عظيم الشان	ابن القيم	٣٢٦
إذ ذانك الأمران قد ذكرا وبيـ	ـنهما مجيء الرب ذي الغفران	ابن القيم	٣٢٦
والله ما احتمل المجيء سوى مجي	ء الذات بعد تبين الـبرهان	ابن القيم	٣٢٦
ما شئتَ كان وإن لم أشأ	وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن	الشافعي	١٥٠
الحمد لله على تقديره	إذ أحسن الإنسان في تصويره	أبو الحسن المعافري	٥٩
أقسمتُ يـا نفسُ لَتَنْزِلِنَّـهْ	لَتَنْزِلِنَّ طائعـةً أو لَتُكْرَهِنَّـهْ	عبد الله بن رواحة	٥٧٢
مَا لي أَراكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّـهْ	إنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ	عبد الله بن رواحة	٥٧٢
لَطالَمَا قد كُنتِ مُطمَئِنَّهْ	هَلْ أنتِ إلاَّ نُطْفَـةٌ في شَنَّـهْ	عبد الله بن رواحة	٥٧٢

فهرس معاني المفردات الغريبة

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الموضوعات